مجلـــة
دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (٩٩) المجلد الاول – لشهر كانون الاول لسنة ٢٠٢٥

الترقيم الدولي : ISSN:2075-3047
البريد الالكتروني : jasha@coart.uobaghdad.edu.iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

مجلة دراسات في التاريخ والاثار –جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد
العدد (٩٩) المجلد الاول- لشهر كانون الاول لسنة ٢٠٢٥
عدد الصفحات : ١٠٢٦ صفحة

تصميـــم واخـــراج
عـــلا صالح الجراح



دار ومكتبة كلكامش للطباعة والنشر
بغداد – باب المعظم -شارع المكاتب
07729093707 – 07736558370
ola.algarah88@gmail.com

رئيس التحرير :أ.د. منذر علي عبد المالك

مدير التحرير : أ.م.د. احمد ناطق ابراهيم

اعضاء هيئة التحرير

ا.د. محمود عبد الواحد القيسي	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. عـــادل شـــابث جابـــر	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. قصـــي صبحـــي عبـــاس	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. وســـن سعيـــد عبـــود	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. سجـــى مؤيـد عبد اللطيف	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. ميثـــم عبد الكاظم جـــواد	كليـــة الآداب / جامعـــة بغـــداد
ا.د. اوســـام بحـــر جـرك	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.د. ماجـــدة حســـو منصـــور	كلية التربيـــة / جامعة المستنصرية
أ.د. فاضـــل مهـــدي بيـــات	تركيـــا منظمـــة ارســـيكا
أ.د. حســـين القهـــواني	الادرن /الجامعـــة الاردنيـــة
أ.د. مارجرتنـــا فـــان أيـــس	المانيـــا/ معهـــد الاثـــار الالمـــاني
أ.د. والـــتر زالابيرجـــر	المانيـــا/ جامعـــة ميـــونخ
أ.د. بـــيتر ميكلـــوس	المانيـــا/ جامعـــة هايـــدلبر
أ.م.د. صلاح الدين محسن زاير	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أم.د. فـــاروق محمـــد علـــي	كليـــــة الآداب / جامعـة بغـداد
أ.م.د. بشـــرى عنـــاد محمـــد	كليـــــة الآداب / جامعة بغداد

مدقق اللغـــة العربيـــة: م.د . سهـــاد مـــازن فائـــق

مدقق اللغة الانكليزية: م.د. علياء عبد الحسين ناصر

شروط النشر في المجلة

١. ان تتضمن الصفحة الاولى من البحث مايأتي:
   أ. عنوان البحث باللغتين الانجليزية والعربية.
   ب. اسم الباحث باللغتين الانجليزية والعربية ، وشهادته العلمية ، ومؤهلاته، وتخصصه العلمي ومكان عمله.
   ج. البريد الالكتروني الرسمي للباحث ورقم الهاتف.
   د. ملخصان احدهما باللغة العربية والاخر باللغة الانجليزية وحجم الخط(١٢) .
   هـ. الكلمات المفتاحية (الدالة) للبحث باللغتين العربية والانجليزية.
٢. ان يتم طباعة البحث بواسطة الكومبيوتر باستخدام Microsoft Office Word 2010 ان يتم تزويد هيئة التحرير بنسخة الكترونية من البحث بوصفه مجلداً واحداً فقط ؛ ولا يمكن تقسيم البحث على اكثر من مجلد.
٣. ضرورة توثيق متن البحث بالمراجع (الاقتباسات) على وفق نظام (APA)
٤. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٢٥ صفحة حجم (A4).
٥. على الباحث دفع رسوم النشر المحددة.
٦. ان يكون البحث خالياً من الاخطاء اللغوية والنحوية والكتابية.
٧. يجب ان تتم طباعة البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word 2010 ووضع المخططات والاشكال ان وجدت في المكان المناسب للبحث وان تكون جيدة من الناحية الفنية للطباعة. وان لايتم تضمين الرموز في داخل البحث.

٨. ان يلزم الباحث بانواع واحجام الخطوط كما ياتي:

أ. العربية (Simplified Arabic) حجم الخط (١٤).

ب. اللغة الانجليزية (Times New Roman) حجم الخط (١٦) الملخص خط (١٢) . يجب ان تكون جميع صفحات البحث الاخرى الخط (١٤) .

ج. استخدام معالج النصوص في داخل البرنامج Microsoft Office Word.

٩. اخطار الباحث المجلة اذا لم يكن البحث مناسباً للنشر في مدة لاتزيد عن شهرين من وقت وصله الى المجلة.

١٠. يلتزم الباحث بالتعديلات التي يقوم بها الخبراء في البحث على وفق التقارير المرسلة اليه . ويجب اجراؤها في مدة لاتتجاوز(١٥) يوم.

١١. تضاف قائمة اخرى للمصادر مترجمة للغة الاتينية غير مرقمة على وفق نظام (APA) ومرتبة ترتيباً ابجدياً .

١٢. ملء الاستمارة الخاصة بـ (اتفاقية التلخيص لحقوق الطبع والنشر)والخاصة بمجلة دراسات في التاريخ والاثار.

١٣. التقديم يكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة :

jasha@coat.uobaghdad.edu.iq بعد التسجيل في الموقع ثم رفع طلب للنشر.

- **لاتنشر البحوث التي لا تطبق هذه الفقرات.**

رئيس التحرير

فهرس العدد (٩٩) المجلد الاول

ت	اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
١.	العلاقات السياسية بين سلطنة عمان والمملكة المغربية ١٩٧١-١٩٨٢م	م.م. نبراس خضير جدعان أ.د.فهمي أحمد فرحان	٣-٢٤
٢.	دورة الالعاب الاولمبية عام ١٩٨٨ واكتمال تحديث جمهورية كوريا	م.د.طلال اسماعيل ابراهيم	٢٥-٤٢
٣.	الأدوار الحضارية في قلعة أربيل	أ.م.د عادل فائق رشيد	٤٣-٦٢
٤.	البريديون في الدولة المملوكية	م.م. هيفاء طارش فنجان	٦٣-٨٠
٥.	علماء بغداد في القرن الثالث الهجري في كتاب حلية الأولياء للأصفهاني	هديل عبد الكريم عبد السلام شعلان أ.د وئام عدنان عباس	٨١-١٠٠
٦.	التوارث الوظيفي لمنصب القاضي في عهد دولة بني الأحمر في الاندلس (٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢)	أزهار صبارداود أ.م.د. نبراس فوزي	١٠١-١١٤
٧.	سياسات الإصلاح الزراعي في سوريا ١٩٦٣-١٩٧٠ بين الخطاب الاشتراكي والو اقع الاقتصادي	م.د عامر رحيم حسن	١١٥-١٣٤
٨.	النصوص التاريخية المفقودة من خلال كتاب أحسن المسالك لأخبار البرامك ليوسف بن محمد الميلوي المعرف بابن الوكيل (١١٣٢هـ/١٧١٩م)	م.د. حيدر عبد السادة شداوي	١٣٥-١٥٤
٩.	موقف الحركة النسوية من التطورات السياسية في مصر ١٩١٩-١٩٣٦م	ناديـــة تركـــي عنـــاد أ. د. عبد الستار جعيجر عبد	١٥٥-١٧٦
١٠.	أسلوب التكرار في فنون بلاد الر افدين (انواعه والغاية منه)	احمد عبد الوهاب رزوقي العكام أ.د اوسام بحر جرك	١٧٧-٢١٠
١١.	الصناعات النسيجية لمدينه اوما ضمن قرارات المتحف العراقي (٢٠٣, ٢٠٤, ٢٠٥)	نور حميد حسون الخفاجي أ.د. سجى مؤيد عبد اللطيف	٢١١-٢٣٦
١٢.	أبو العباس أحمد الحفصي نسبه وسيرته والمناصب التي تولاها قبل أن يكون سلطاناً (٧٢٩-٧٩٦هـ/ ١٣٢٩-١٣٩٤م)	نضـــال كـــاظم كشـــاش أ.م. د. خليل جليل بخت القيسي	٢٣٧-٢٧٠
١٣.	كُتب التراجم من خلال كتاب وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م)	حنـــين كامـــل جميـــل أ. د عبد الستار مطلك درويش	٢٧١-٢٩٨
١٤.	الجانب الاقتصادي لجزيرة كريت خلال فترة الحكم المصري(١٨٣٠-١٨٤٠م)	م.م. بهاء جاسم عودة	٢٩٩-٣١٨

١٥.	المراتب العسكرية في عصر المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٨٥ – ١٣٢٨م)	هيام سمير ناجي أ.د شيماء فاضل عبد الحميد	٣١٩-٣٣٦
١٦.	موارد ومنهج الامام محمد علي القلعي في كتابة تهذيب الرياسة وترتيب السياسة	م. د. سعاد سليم عبدالله	٣٣٧-٣٥٦
١٧.	الأوضاع الاجتماعية في إمارة شرق الأردن خلال سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩-١٩٣٣)	انوار سليم جاسم كامل الزبيدي أ.م.د. أنس يونس عبد	٣٥٧-٣٧٢
١٨.	واقع النشاط السياسي الجماهيري للاتحاد العام للعمال الجزائريين عام ١٩٥٦م.	سحر سلام نايف جواد أ.م شعوب كامل نصيف	٣٧٣-٤١٤
١٩.	مرويات السيوطي في معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم)	سارة مثنى عبد الوهاب عبدالرزاق أ.م.د رشيد أحمد مختار فريد	٤١٥-٤٢٨
٢٠.	الحركة الفكرية في مدينة ارجان في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/-٧٤٩ ١٢٥٨م)	ا.د. علي حسن غضبان أ. د. زينب مهدي رؤوف	٤٢٩-٤٥٧
٢١.	الاحتلال الفرنسي لتونس	م. م . عمر لطيف جاسم	٤٥٨-٤٨٥
٢٢.	الاثر العلمي للحافظ شرف الدين الدمياطي (ت ٧٠٥ هـ/ ١٣٠٦م)	م.م نورس فلاح حسن	٤٨٦-٥٢٦
٢٣.	تركيا ومنظمة المؤتمر الاسلامي واحتواء المشكلات السورية (٢٠٠٣-٢٠١٠)	ايلاف صلاح رشيد أ.د. علي محمد كريم	٥٢٧-٥٤٢
٢٤.	دور اميل لحود في اقصاء رفيق الحريري من الحكومة عام ١٩٩٨	أ.م فيان حسين احمد أ.د. عبد الله حميد مرزوك	٥٤٣-٥٥٦
٢٥.	المعالم الحضارية في مدينة سامراء لفترة حكم الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨ -٢٢٧ هـ/٨٣٣ - ٨٤٢ م)	م.م. عبد الناصر عبد الرحمن عاكف القاضي	٥٥٧-٥٧٤
٢٦.	دور علماء الشافعية في الحياة العلمية في مدينة نيسابور خلال القرنين(الخامس والسادس الهجري / الحادي عشر والثاني عشر الميلادي)	أ.م.د. فينوس ميثم علي	٥٧٥-٥٩٨
٢٧.	المشرق الاسلامي، دراسة في خارطته الجغرافية وحدوده السياسية في العصر العباسي(١٣٢ ــ ٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م)	أ.م.د علاء مطر تايه الدليمي	٥٩٩-٦٣٠

٢٨.	نواب الغيبة وتدرجهم في الوظائف في عهد الأمير بهاء الدولة (٣٧٩/ ٤٠٣هـ)(٩٨٩هـ/ ١٠١٢م (أبو نصر خواشاذه (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) (أنموذجاً)	شـــروق مجيـــد محيـــبس أ.د. علي حسن غضبان	٦٣١-٦٥٢
٢٩.	الفتوة ودورها الاجتماعي في عهد الخليفة الناصر لدين لله العباسي	م. د. ندى محمد عزيز	٦٥٣-٦٧٠
٣٠.	الاغتيالات السياسية في مصر حالة حسن ألبنا أنموذجاً	م.م عدي عامر حسن	٦٧١-٦٩٢
٣١.	المراسيم والتشريفات الدبلوماسية في الدولة الزيانية	م.م ولاء لعيبـــي جـــلاب أ.د زينب مهدي رؤوف	٦٩٣-٧١٨
٣٢.	محمد بن عبد الله الطاهري ودوره في حرب المستعين والمعتز	م. حارث جبار عبد	٧١٩-٧٦٠
٣٣.	تخطيط وعمارة مرقد الامامين العسكريين في سامراء- دراسة ميدانية	أ.د.صلاح الدين محسن زاير	٧٦١-٧٨٦
٣٤.	الجذور الر افدينية للكرم والشجاعة: دراسة تحليلية	م. د. أحمد محمد سعدون الموسوي	٧٨٧-٨٠٨
٣٥.	الحزب الشيوعي العراقي ودوره في التنظيمات والاتحادات المهنية والسياسية (١٩٤٥-١٩٦٣)	م.د. بديع نايف داود السعدي	٨٠٩-٨٣٨
٣٦.	السياسات التشريعية والمؤسسية لحماية الطفولة في مصر ودورها في الحد من ظاهرة التسول: دراسة تاريخية١٩٢٤-٢٠١٠م	م.د. هاجر مهدي خاطر	٨٣٩-٨٦٢
٣٧.	حياة الشيخ يوسف البحراني ومنهجه وموارده في كتابه لؤلؤة البحرين	ا.م.د.كاظم شامخ محسن الخزعلي	٨٦٣-٩١٦
٣٨.	جهود الدولة العثمانية في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية ضد مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي	د. حمساء حبيش رزاح ماضي آل قويد الدوسري	٩١٧-٩٧٨
٣٩.	التحالفات القبلية و اثرها في البيئة الاجتماعية في اليمن القديم	ماجد طلال حسن هاشم التميمي أ.د. عادل شابث جابر	٩٧٩-٩٩٦
٤٠.	الجانب السياسي والاقتصادي ,العمراني بين مدينتي بغداد وفاس في القرن الثاني الهجري / الثامن ميلادي	م.د. رياض خليل هندي	٩٩٧-١٠١٦

العلاقات السياسية بين سلطنة عمان والمملكة المغربية ١٩٧١-١٩٨٢م

م.م. نبراس خصير جدعان

مديرية تربية الأنبار

أ.د.فهمي أحمد فرحان

كلية التربية للعلوم الإنسانية -جامعة الأنبار

العلاقات السياسية بين سلطنة عمان والمملكة المغربية ١٩٧١-١٩٨٢م

م.م. نبراس خصير جدعان
أ.د.فهمي أحمد فرحان

الملخص

يتناول هذا البحث تطور العلاقات السياسية بين سلطنة عُمان والمملكة المغربية خلال المدة من ١٩٧١ حتى ١٩٨٢م، وهي مرحلة شهدت تحولات سياسية مهمة في العالم العربي. ركّزت الدراسة على توثيق اللقاءات الرسمية بين القيادتين، وتوضيح مواقف البلدين المتقاربة من القضايا العربية والإسلامية، خاصة القضية الفلسطينية. كما ناقش البحث التعاون بين البلدين داخل المنظمات الإقليمية كجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي. وبيّن أن العلاقات بين السلطنة والمملكة اتسمت بالاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية. وقد ساهمت زيارات القادة المتبادلة في ترسيخ هذا التعاون. كما أبرز البحث تطور المواقف الدبلوماسية المتبادلة تجاه قضايا الوحدة العربية والتضامن الإسلامي، كما أشار البحث إلى دعم كل من عُمان والمغرب للشرعية والاستقرار في المنطقة، ورفضهما للتدخلات الخارجية. وخلصت الدراسة إلى أن العلاقات بين البلدين في تلك المدة شكّلت نموذجًا للتنسيق السياسي البنّاء في العالم العربي.

الكلمات المفتاحية: سلطنة عمان، المملكة المغربية ، العلاقات السياسية، السطان قابوس،الحسن الثاني.

Abstract

This study examines the development of political relations between the Sultanate of Oman and the Kingdom of Morocco during the period from 1971 to 1982, a period that witnessed significant political transformations in the Arab world. The study focused on documenting official meetings between the two leaderships and clarifying the two countries' convergent positions on Arab and Islamic issues, particularly the Palestinian issue. The study also discussed

cooperation between the two countries within regional organizations such as the League of Arab States and the Organization of the Islamic Conference. It demonstrated that relations between the Sultanate and the Kingdom were characterized by mutual respect and non-interference in internal affairs. Reciprocal visits by leaders contributed to consolidating this cooperation. The study also highlighted the development of mutual diplomatic positions on issues of Arab unity and Islamic solidarity. It also indicated Oman and Morocco's support for legitimacy and stability in the region and their rejection of foreign interference. The study concluded that relations between the two countries during this period constituted a model of constructive political coordination in the Arab world.
Keywords: Sultanate of Oman, Kingdom of Morocco, political relations, Sultan Qaboos, Hassan II.

المقدمة

تعد العلاقات السياسية بين سلطنة عمان والمملكة المغربية خلال المدة ١٩٧١–١٩٨٢ محط أنظار العديد من المتابعين للسياسة العربية، إذ تعكس هذه العلاقات مستوى عميقًا من التعاون والتفاهم بين دولتين تقعان في موقعين استراتيجيين مختلفين في العالم العربي. سلطنة عمان، التي كانت تتمتع بسياسة خارجية مستقلة وحيادية، سعت إلى تعزيز دورها في القضايا الإقليمية والدولية. أما المملكة المغربية، فقد كانت تمر بمرحلة من التطور السياسي الداخلي، بالإضافة إلى أن سياستها الخارجية كانت تركز على بناء تحالفات قوية على المستويين الإقليمي والدولي، خلال هذه المدة، شهدت العلاقات بين الدولتين تطورًا كبيرًا في المجالات السياسية والاقتصادية، وكان لكل منهما مصالح مشتركة تهدف إلى تعزيز الأمن والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وتأسس التعاون بينهما على أساس الاحترام المتبادل للسيادة الوطنية، والحرص على دعم القضايا العربية المشتركة، لا سيما في ظل الأوضاع الإقليمية المتقلبة، مثل النزاع العربي الإسرائيلي والصراعات الداخلية في بعض الدول العربية، يأتي هذا البحث ليتناول تاريخ هذه العلاقات وتحليل

العوامل التي أثرت فيها خلال تلك المدة الزمنية، مع التركيز على كيفية تعامل عمان والمغرب مع التحديات الإقليمية والدولية التي واجهتها، وكذلك الوقوف على المواقف السياسية والدبلوماسية المشتركة بين البلدين. كما سيتطرق البحث إلى دراسة تأثير هذه العلاقات على السياسة الخارجية لكل من سلطنة عمان والمملكة المغربية، وكيف ساهمت في تعزيز الاستقرار الإقليمي والعلاقات بين الدول العربية.

أن موقع عمان الإستراتيجي في مدخل مضيق هرمز وساحلها الطويل أسهم في إثارة إهتمام القوى الدولية وللتعامل مع ذلك الواقع اعتمدت عمان سياسة التعاون والانفتاح في علاقاتها الدولية على الرغم من أن ذلك لم ينجح دائماً، لاسيما في علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي، إذ اصطفت عمان بجانب المعسكر الغربي الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية ومن بعدها بريطانيا، كما ابتعدت عمان عن العلاقة المنفردة، اذ رأت ان إقامة علاقة مع دولة معينة لايفترض به أن تؤدي بها إلى قطع علاقاتها مع الدول الأخرى؛ فكانت سياسة تبادل المنفعة واضحة في علاقات عمان الدولية, فتأريخياً إعتمدت عمان على قوى خارجية لتأمين الاستقرار السياسي في الداخل وعلى المستوى الاقليمي, كما إتخذت اسلوب التوازن في علاقاتها الدولية بغض النظر أحيانًا عن النظام السياسي القائم في الدولة ومدى مطابقته لسياستها[١].

ومنذ تولي السلطان قابوس بن سعيد عام ١٩٧٠م مقاليد الحكم بدأت سلطنة عُمان تبحث عن مكانة خاصة, وبرز دورها على الساحتين العربية والدولية, بأنتهاج سياسة خارجية –معتدلة– اتسمت بالحكمة, والتي حدد السلطان قابوس معالمها وثوابتها, استناداً إلى مبادئ أساسية, منها تدعيم العلاقات مع الدول العربية والصديقة، وانتهاج سياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية وحسن الجوار, وأحترام القوانين والأعراف الدولية[٢].

وقد تعاملت سلطنة عُمان مع جميع الأطراف المختلفة دون عمل عداوات مع أحد؛ ففي الوقت الذي تحالفت فيه السلطنة مع الولايات المتحدة الأمريكية سياسياً واقتصادياً, فتحت عُمان أبوابها مشرعة للتقارب مع إيران, وفيما تدعم باكستان ولاسيما إقليم جوادر الذي كان جزءًا من الأرض العُمانية, إلاّ أن علاقة عُمان بالهند ظلت متينة

وبين الدولتين استثمارات اقتصادية جيدة, كما تميزت السياسة الخارجية بالعلاقات المتوازنة وبناء مصالح مشتركة مع الآخرين, كما واتسمت كذلك سياسة سلطنة عُمان بالتسامح ومثال على ذلك, ان بعض دول الخليج ودولة اليمن الجنوبي كانوا من المعارضين لأنضمام السلطنة إلى الجامعة العربية, ولكن عُمان تعاملت مع اليمن بمودة بعيداً عن العداوات المزمنة(٣)

وتتميز العلاقات العُمانية الأميركية بالتعاون والتطور الحيوي نحو شراكة استراتيجية طويلة الأمد, كما ان علاقاتها كانت وطيدة مع إيران, وهذه العلاقات التي كونتها سلطنة عُمان تعد امتداداً مع التقارب العُماني–البريطاني الذي لم ينته مع الأنسحاب العسكري للقوات البريطانية من القواعد العُمانية عام ١٩٧٧م(٤).

أما بالنسبة للأتحاد السوفيتي فأنه كان يأمل مع تولي السلطان قابوس الحكم بتهيئة الأجواء لأقامة نوع من العلاقات السياسية بين البلدين, إلاّ أن هذا لم يحدث, لقناعة عُمان آنذاك بالدور الكبير للأتحاد السوفيتي في دعم فصائل المعارضة العُمانية التي كانت تقود القتال ضد السلطنة من ١٩٦٥–١٩٧٥م, من خلال تزويدها بالأسلحة والمعدات والخبرات العسكرية والإعلامية, ودوره أيضاً في دعم الأنظمة اليسارية في المنطقة آنذاك وبصفة خاصة اليمن الجنوبي التي كانت تُعد الظهير القوي لفصائل المعارضة العُمانية, وعلى الرغم من القضاء على المعارضة العُمانية عام ١٩٧٥م, إلا أن موقف عُمان المعارض لأقامة العلاقات مع الأتحاد السوفييتي ظل قائماً, ولاسيما بعد الغزو السوفيتي لأفغانستان عام ١٩٧٩م(٥)، وتبرز أهمية ما سبق اذ سيطر على عُمان حالة من الحذر في علاقاتها مع الدول الحليفة للسوفيت، كما يتضح في الصفحات القادمة.

أولاً: العلاقات السياسية بين سلطنة عمان والمملكة المغربية ١٩٧١–١٩٨٢م

لم يكن قبل عام ١٩٧٠م في سلطنة عُمان(٦) ما يسمى بسياسة خارجية بالمفهوم المطلق والمركزي؛ بل إنه لم يكن هناك أصلاً دولة بمفهومها العصري, اذ كانت عُمان في عهدها السابق في عزلة عن العالم الخارجي وحتى عن العالم العربي, وكانت بريطانيا هي التي تشرف على شؤونها الخارجية وتمثلها في المحافل الدولية, ولم يكن هناك تمثيل

سياسي في مسقط إلا لها وللهند, وعند تولي السلطان قابوس الحكم, بدأت عُمان مرحلة جديدة في علاقاتها الخارجية(٧), إذ استطاع ان ينهي عزلة عُمان, وأتبع سياسة الإنفتاح في علاقاته الخارجية, وقد حدد هذه السياسة في خطابه الذي ألقاه بعد تسلمه الحكم: "**إن سياستنا الخارجية تقوم على انتهاج سياسة حسن الجوار مع جيراننا وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة وتدعيم علاقاتنا مع الدول العربية وإقامة علاقات ودية مع دول العالم**"(٨), وهو ما أكده الممثل الدائم لعُمان في الأمم المتحدة محمود أبو النصر(٩).

كما تُعد مدة السبعينات وحتى عام ١٩٨٢م مدة حاسمة في تطور العلاقات السياسية بين سلطنة عُمان والمملكة المغربية, لاسيما مع تولي السلطان قابوس بن سعيد مقاليد الحكم إذ شهدت السلطنة تحولات جذرية على المستويين الداخلي والخارجي, مما أثر بشكل مباشر على طبيعة علاقاتهما الثنائية التي تربط بينهما ولاسيما ان المملكة المغربية كانت تمر بمدة من الأستقرار النسبي, مما ساهم في تعزيز مكانتها الإقليمية وقدرتها على بناء علاقات متوازنة مع مختلف الدول(١٠)، وإن كانت تأخرت بعض الشيء في اقامة علاقات واضحة مع المملكة المغربية حتى عام ١٩٧٣م.

ففي ٢٧ تموز ١٩٧٣م قام وزير الخارجية العُماني "فهد بن محمود آل سعيد: بأول زيارة رسمية إلى المملكة المغربية، وقد استغرقت خمسة أيام تلبيةً لدعوة وزير الخارجية المغربي أحمد الطيب بن هيمة, وقد استقبل هو والوفد المرافق له استقبالاً كبيراً عكس رغبة حقيقة في تقوية العلاقات بين البلدين, وحظي بمقابلة ملك المغرب الحسن الثاني والأمير مولاي عبدالله الممثل الشخصي لملك المغرب والوزير الأول أحمد عصمان, وجرت خلال هذه الزيارة مباحثات رسمية تناولت العلاقات الثنائية ورغبتهما في دعمها وتقويتها في سائر المجالات والوضع في الخليج والقضايا الدولية الهامة, وقد شرح الجانب المغربي الوضع في الأراضي المغربية التي تقع تحت الأستعمار الأجنبي, فأعرب الجانب العُماني عن تأييده للمغرب في مطالبته بتحرير هذه الأراضي, كما أكد الجانبان مساندتهما وتأييدهما المطلق لقضية الشعب الفلسطيني وتصميمهم على تحقيق مطالبه العادلة, وفي نهاية هذه المباحثات وجدت الدولتان أنهما على اتفاق تام في وجهات النظر, وأعربا عن تشبثهما بمبادئ وأهداف ميثاق هيئة الأمم المتحدة, وفي ختام هذه الزيارة صرح

الوزير العُماني عن شكره وإبتهاجه لما لقيه من تكريم وما شاهده من مظاهر التقدم والأزدهار التي ينعم بها المغرب تحت قيادة الحسن الثاني(١١).

ولأن القضية العربية كانت الجسر الأول لتقوية العلاقات بين البلدين؛ بعث ملك المغرب الحسن الثاني في ٢٤ تشرين الأول ١٩٧٣م ببرقية إلى رؤساء الدول العربية ومنها إلى السلطان قابوس, وجه له فيها دعوة إلى عقد مؤتمر عاجل لوزراء الخارجية العرب من أجل صيانة وحدة الصف العربي وتبادل الآراء واتخاذ موقف موحد بعد انتصار العرب في حرب تشرين الاول ١٩٧٣(١٢).

وعلى جانب آخر، كانت سلطنة عُمان في المحافل الدولية تؤيد حل قضية الصحراء المغربية على أساس التفاهم ونبذ الخلافات المسلحة, مع تعزيز ما رأته "تعاون بين أسبانيا والعالم العربي", فنجد ذلك في الخطاب الذي ألقاه أحمد بن عبد النبي مكي رئيس وفد عُمان في الدورة ٢٩ للجمعية العامة عام ١٩٧٤م, وقال آنذاك: "أما بخصوص مشكلة الصحراء, فإن حكومتي تؤيد الأتفاق الذي توصل إليه المغرب وموريتانيا لعرض القضية على محكمة العدل الدولية, وإننا نناشد الحكومة الإسبانية أن تقبل ذلك, وأن تتعاون على حل هذه القضية عن طريق التفاوض والتفاهم في إطار الصداقة, والتعاون السائدين بين أسبانيا والعالم العربي"(١٣).

وتعزيزاً للعلاقات السياسية بين البلدين بعث السلطان قابوس بن سعيد في ١٥ آذار ١٩٧٥م ببرقية تهنئة إلى الحسن الثاني تضمنت: "حضرة صاحب الجلالة الأخ العزيز الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية, يطيب لنا بمناسبة العيد الوطني للمملكة المغربية الشقيقة أن نبعث لجلالتكم بأسمى تهانينا وصادق أمانينا لشخصكم المحبوب ولحكومة وشعب المغرب بالأزدهار والرفعة, أخوكم قابوس بن سعيد سلطان عُمان"(١٤).

كما لوحظ التقاء زعماء البلدين في المناسبات الدولية البارزة، إذ شارك كل من السلطان قابوس بن سعيد والحسن الثاني بتشييع جثمان الملك السعودي فيصل بن عبد العزيز في ٢٨ آذار ١٩٧٥م(١٥), ويلاحظ أن تلك العلاقات العمانية المغربية لم تكن قد أخذت الطابع الرسمي حتى ذلك الوقت، حتى ١٨ تموز ١٩٧٥م عندما أصدر السلطان قابوس بن سعيد مرسومًا بنقل وتعيين سفراء جُدد تضمن المرسوم: نقل السفير شبيب بن

تيمور آل سعيد من سفارة جمهورية باكستان وعين سفيراً فوق العادة ومفوضاً لسلطنة عُمان لدى المملكة المغربية وهو أول سفير عُماني في المغرب(١٦).

وبالفعل غادر السفير العُماني إلى المملكة المغربية لتقديم أوراق اعتماده إلى الحسن الثاني ونقل له تحيات السلطان قابوس في ١٢ أيلول وتمنياته له ولشعب المغرب بالتقدم والأزدهار, وقد رد الحسن الثاني بعبارات ودية أشاد فيها بالعلاقات الثنائية الوثيقة التي تربط البلدين وطلب من السفير نقل تحياته إلى السلطان قابوس(١٧).

وعلى نفس المنوال استثمر السلطان قابوس كل مناسبة للتقارب مع المغرب، إذ بعث في ١٠ تشرين الأول ١٩٧٥م ببرقية تهنئة إلى الحسن الثاني ملك المغرب بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك(١٨), وفي ١ تشرين الثاني ١٩٧٥م أرسل السلطان قابوس بن سعيد ببرقية تأييد ومؤازرة إلى الحسن الثاني وكان نصها: "**جلالة الأخ الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية–الرباط: أننا نؤيد ونؤازر خطواتكم المباركة العادلة لأسترجاع الصحراء المغربية إلى الوطن الأم مؤكدين ان الأمة العربية شعب واحد وان تحرير وطنه وأراضيه المغتصبة واجب مقدس على جميع الدول العربية والدول المحبة للسلام, سيروا على بركة الله وهو ناصركم على المعتدين... اخوكم قابوس بن سعيد سلطان عُمان**"(١٩).

وغادر مسقط وفد من الشباب العُماني في ٧ تشرين الثاني ١٩٧٥م إلى المملكة المغربية برئاسة داوّد الحمدان مدير رعاية الشباب بوزارة الشؤون الأجتماعية والعمل للمشاركة في المسيرة السلمية التي يقوم بها شعب المغرب إلى الصحراء المغربية الخاضعة للسيطرة الأسبانية, واستمرت زيارة الوفد العُماني عشرة أيام, وأتت هذه المشاركة دعماً للتضامن السياسي العربي وتعبيراً عن مساندة سلطنة عُمان لشعب المغرب في أسترداد الصحراء المغربية التي تسيطر عليها أسبانيا(٢٠)، وجدير بالذكر أن لهذه الزيارات أهميتها إذ اتضح من خلال البحث أن عمان –شأنها في ذلك شأن قطر والبحرين– كانت تستثمر الزيارات ذات الطابع الاجتماعي في اعلان التضامن في قضية سياسية ما أو تأكيد على التقارب السياسي مع دول المغرب العربي، فلا شك ان ذلك كان عائدًا لحداثة

ظهورهم الدولي وطبيعة وضعهم الاقليمي الذي كان حديث الاستقلال، والذي اهتم بالدرجة الاولى قبل كل شيء بمشاكله الداخلية وترميم المشاكل التي خلفها الاستعمار البريطاني.

وفي الإطار نفسه؛ استقبل السلطان قابوس في ١٢ كانون الأول ١٩٧٥م بمكتبه بقصر السيب العامر, مبعوث الحسن الثاني الخاص عبدالسلام زينل ونقل إليه رسالة شفوية من الحسن الثاني تتعلق بالعلاقات الثنائية بين البلدين, وحضر المقابلة احمد المليح سفير المغرب المعتمد لدى سلطنة عُمان، كما تلقى السلطان قابوس برقية شكر جوابية من الحسن الثاني في ٢ كانون الثاني ١٩٧٦م رداً على تهنئته بمناسبة عيد الأضحى[٢١], وفي ٥ آذار بعث قابوس بن سعيد ببرقية تهنئة إلى الحسن الثاني بمناسبة العيد الوطني لبلاده[٢٢]، ثم استقبل وزير الخارجية المغربي أحمد العراقي في ١٩ نيسان ١٩٧٦م شبيب بن تيمور سفير سلطنة عُمان لدى المملكة المغربية, وتناول البحث في هذه المقابلة العلاقات الثنائية وسبل تطويرها بين البلدين والقضايا العربية وسبل حلها[٢٣].

وفي ٢٦ نيسان ١٩٧٦م زار المغرب وكيل شؤون المالية العُماني محمد موسى لحضور اجتماعات وزراء المالية والأقتصاد العرب, ووقع الوزراء على اتفاقية انشاء صندوق النقد العربي برسمال قدره ألف مليون دولار, وكان الهدف من ذلك تقديم المساعدة للدول الأعضاء التي تعاني من بعض الصعوبات في موازين مدفوعاتها, كما يهدف إلى أستقرار أسعار الصرف بين العملات العربية, وتنسيق مواقف الدول الأعضاء في مواجهة المشاكل النقدية والسياسية والأقتصادية الدولية بما يحقق مصالحها المشتركة[٢٤]، مما عكس صورة لرغبة عمان والدول العربية آنذاك في التعاون المشترك.

وكذلك الأمر وصل إلى سلطنة عُمان في ١ أيار ١٩٧٦م أحمد عصمان رئيس الوزراء المغربي في زيارة رسمية أستغرقت يومين, كان الهدف منها زيادة التعاون ودعم العلاقات الثنائية بين عُمان والمملكة المغربية[٢٥], استقبله في مطار مسقط حمد بن حمود رئيس ديوان السلطان قابوس بن سعيد وعدد من كبار المسؤولين, وجرت محادثات رسمية بينه وبين السلطان قابوس استغرقت ساعة كاملة, سلمه خلالها رسالة خطية من الحسن الثاني, وقد تدارس الوفدان خلال هذا الأجتماع إمكانيات توسيع التعاون بين البلدين في كافة المجالات[٢٦].

كما بعث الحسن الثاني في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٧٦م ببرقية تهنئة إلى السلطان قابوس بن سعيد بمناسبة العيد الوطني السادس لسلطنة عُمان, وأشاد بالعلاقات التي تربط بين البلدين, وبالمواقف التي وقفتها عُمان في قضية الصحراء المغربية, وبتاريخ ١٧ كانون الأول استقبل السلطان قابوس بن سعيد بمكتبة بقصر العلم العامر سفير المملكة المغربية لدى عُمان أحمد بلمليح غير المقيم وناقشا القضايا التي تهم البلدين(٢٧).

وفي المقابل ارسل السلطان قابوس في ٤ آذار ١٩٧٧م ببرقية تهنئة إلى الحسن الثاني بمناسبة ذكرى توليه حكم المملكة المغربية(٢٨), وفي ١٨ نيسان استقبل السلطان قابوس في قصره رئيس الديوان الملكي المغربي احمد بن سودة والوفد المرافق له, إذ نقل إليه رسالة شفوية من الملك الحسن الثاني تتعلق بالعلاقات بين البلدين, واستقبله في المطار وزير سلطنة عُمان قيس عبدالمنعم الزواوي, ونقل الرسالة ثم غادر عُمان عائداً إلى بلاده(٢٩)، ثم بتاريخ ٥ أيلول ١٩٧٧م بعث السلطان قابوس بن سعيد ببرقية تهنئة إلى الحسن الثاني الملك المغربي بوفاة شقيقته الأميرة لالا نزهة على إثر حادث سيارة, وفي ٢٦ أيلول تلقى السلطان قابوس برقية شكر جوابية من الحسن الثاني على تعازيه(٣٠).

كما أرسل الحسن الثاني في ١٣ كانون الأول ١٩٧٧م رسالة حملها بن سودة إلى سلطنة عُمان لتسليم رسالة إلى السلطان قابوس بن سعيد تتعلق بالوضع في المنطقة العربية والعلاقات بين البلدين(٣١)، وفي إطار ذلك التقارب قام في ٢٠ أيار ١٩٧٨م, إدريس السلاوي مستشار ملك المغرب بزيارة إلى سلطنة عُمان حاملاً رسالة من الحسن الثاني إلى السلطان قابوس بن سعيد تتعلق بآخر التطورات في الشرق العربي والعلاقات الثنائية بين البلدين(٣٢).

وكذلك الأمر بعث السلطان قابوس في ٦ آذار ١٩٧٨م ببرقية تهنئة إلى الحسن الثاني بمناسبة ذكرى توليه الحكم المغربي(٣٣), وفي ١ أيار استقبل وزير الأعلام والثقافة العُماني فهد آل سعيد بمكتبه عبد الهادي التازي مدير المعهد الجامعي للبحث العلمي بالمملكة المغربية, ودار الحديث خلال المقابلة حول مجالات التعاون بين البلدين في إطار العلاقات الأخوية الوطيدة التي تربط بين سلطنة عُمان والمملكة المغربية, كما قام

بأستقباله وزير العدل هلال بن حمد السمار في ٥ أيار وتبودلت الأحاديث الودية التي تهم البلدين, وتحدث عبدالهادي التازي عن العلاقات التاريخية التي تربط بين المغرب وسلطنة عُمان, وأشاد بالعلاقات الطيبة القائمة بينهما والأزدهار والتقدم الذي تم تحقيقه في مختلف المجالات(٣٤).

واستقبل السلطان قابوس بن سعيد في ١٩ أيار ١٩٧٨م مستشار الملك الحسن الثاني إدريس سلاوي إذ سلم له رسالة خطية من الحسن الثاني تتعلق بسبل تطوير العلاقات بين البلدين والقضايا ذات الأهتمام المشترك(٣٥), وفي ٢ حزيران بعث السلطان قابوس برسالة جوابية مع وزير الدولة للشؤون الخارجية قيس عبدالمنعم الزواوي إلى الحسن الثاني, رداً على رسالته, وغادر الزواوي مسقط إلى المملكة المغربية على متن طائرة خاصة لتسليم الرسالة, وكان في استقباله في المملكة المغربية الحسن الثاني في ٥ حزيران وسلمه الرسالة وأبلغه تحيات السلطان قابوس إليه ودامت المقابلة ساعة ونصف تناولوا خلالها مختلف القضايا(٣٦).

ثم استقبل الحسن الثاني في ٥ تشرين الثاني ١٩٨٠م ثلاثة سفراء منهم سفير سلطنة عُمان شبيب بن تيمور آل سعيد, الذي جاء لتوديعه بمناسبة انتهاء مأموريته بالمغرب, وقد وشح الحسن الثاني صدره بالحماله الكبرى للوسام العلوي, وبعد ذلك استقبل أيضاً أربعة سفراء جُدد وسلمهم أوراق اعتمادهم منهم: أحمد بالبشير الحسني وعينه سفيراً للمغرب بسلطنة عُمان. وقد أدى الحسني القسم أمامه(٣٧).

وانطلاقاً لما أعلن من عزم الدولتين على تقوية روابط الأخاء والصداقة والعلاقات السياسية, فقد تم توقيع اتفاقية للتعاون الأقتصادي والتقني بين البلدين في ٩ شباط ١٩٨٢م, والتي أعقبها عدة زيارات(٣٨) منها على سبيل المثال:

زيارة الوزير المغربي الأول المعطي بوعبيد والوفد المرافق له في ٣ أيار ١٩٨٢م سلطنة عُمان في زيارة رسمية أستغرقت ثلاثة أيام, وكان في استقباله السلطان قابوس بن سعيد وعدد من كبار المسؤولين العُمانيين, وجرى في اليوم الثاني جلسة مباحثات رسمية بين الجانب العُماني برئاسة فهد بن محمود آل سعيد نائب رئيس الوزراء وبين الجانب المغربي برئاسة المعطي بوعبيد والوفد المرافق له وأحمد بشير الحسني سفير المملكة

المغربية لدى سلطنة عُمان, شملت العلاقات الثنائية الوطيدة بين البلدين, وسبل تطويرها وتطورات الأوضاع على الساحة العربية, وصرح في نهاية المباحثات انها شملت الحرب العراقية الإيرانية والمساعي التي تؤيدها جميع الدول من أجل تحقيق تسوية سلمية لهذه الحرب المؤلمة حتى يعود السلام والوئام إلى هذه المنطقة, وأنه بحث مع المسؤوليين العُمانيين مجالات التعاون المختلفة بين البلدين مما يعزز من قوة العلاقات السياسية القائمة بينهما[٣٩].

كما صرح المعطي بوعبيد بأن اللجان المغربية والعُمانية اتفقا خلال المباحثات على اسناد مهام محددة للوزراء المختصين في البلدين لوضع الصيغة المناسبة للأتفاقيات التي يمكن عقدها لتنظيم كافة العلاقات بين البلدين, كما صرح يوسف العلوي عبدالله[٤٠] وزير الخارجية العُماني ان العلاقات القائمة بين البلدين وشعبيهما علاقات وطيدة وأعطت حافزاً وأرضية جديدة للحكومتين لتعزيز سبل التعاون بينهما بما يخدم المصلحة العامة لكلاهما, وأكد مجدداً موقف سلطنة عُمان المؤيد للمغرب من مشكلة الصحراء المغربية وانها تعدها جزءًا من ترابه الوطني, وأن السلطنة تساند المغرب على كل المستويات سواء في الأمم المتحدة أو في غيرها من المنظمات العربية والدولية, وان موقف عُمان هذا لا يعبر عن موقف سلبي تجاه الجزائر لأننا نحتفظ بعلاقات جيدة معها ونأمل دوماً ان نطور هذه العلاقات إلى الأفضل[٤١].

وصدر بيان مشترك عُماني مغربي عن هذه الزيارة أكد فيه الجانبان على ضرورة الأستمرار في توطيد العلاقات القائمة بينهما وتنمية التعاون المثمر في كافة المجالات, كما قام المعطي بوعبيد قبل مغادرته بتسليم رسالة من الحسن الثاني إلى السلطان قابوس تتضمن تحياته وفائق مشاعره الأخوية الصادقة التي يكنها لحكومة وشعب عُمان, واتفقا من اجل تطوير العلاقات السياسية لابد من ابرام عدد من الأتفاقيات في مختلف المجالات ويتم توقيعها في وقت لاحق, وتشكيل لجنة مشتركة تعمل على تدعيم العلاقات السياسية بينهما وتتبع تطبيق الأتفاقيات, وفي ختام زيارته أعرب المعطي بوعبيد عن شكره لحكومة وشعب عُمان على حسن الأستقبال وكرم الضيافة التي قوبل بها[٤٢].

وقد كانت هذه الزيارة خير دليل على الرغبة في تعزيز العلاقات السياسية المشتركة إذ تباحث خلالها كبار المسؤولين بالسلطنة حول القضايا التي تهم البلدين العُماني والمغربي, وهذا ادى إلى تطورات هامة في العلاقات السياسية والتنسيق المشترك بين قادة البلدين في مواقفهم الدولية، ثم غادر سلطنة عُمان في ٢٨ آب ١٩٨٢م يوسف العلوي عبدالله إلى المملكة المغربية ليترأس وفد السلطنة للأشتراك في مؤتمر وزراء الخارجية العرب, ورافقه وفد ضم عدد من السفراء منهم أحمد يوسف الحارثي سفير عُمان لدى المغرب وغالب عبدالله جبران سفير عُمان لدى تونس وسعود العنسي سفير عُمان لدى الكويت, وأتى عقد هذا المؤتمر في محاولة لأيجاد حلول مشتركة لأستئناف مؤتمر القمة العربي في فاس, وذلك في أعقاب الغزو الصهيوني للبنان, وبحث مشروع السلام العربي في الشرق الأوسط, والحرب العراقية الإيرانية وأثرها على القدرة العربية في مساندة القضية الفلسطينية(٤٣).

وبعد ذلك عقد مؤتمر فاس في المملكة المغربية في ٦ أيلول ١٩٨٢م لبحث التطورات على الساحة العربية في ضوء الأحداث التي مُنيت بها لبنان, وشارك في هذا المؤتمر المستشار الخاص للسلطان قابوس ثويني بن شهاب الذي وصل في ٥ أيلول والوفد المرافق له لتمثيل سلطنة عُمان في اجتماعات مؤتمر القمة(٤٤), وألقى الحسن الثاني خلال المؤتمر كلمة افتتاحية أكد فيها ان هذا الأجتماع ليس سوى أستئنافًا للشطر الأول من مؤتمر القمة, وتمنى ان ينجح المؤتمر في ايجاد الحلول المناسبة لكافة القضايا العربية المطروحة(٤٥).

ألزمت سلطنة عُمان نفسها باتباع سياسة خارجية حيادية حيال كل القضايا التي تكون طرفًا فيها, وتحقيقاً لسياسة التوازن والحياد الإيجابي, أعلنت السلطنة عدم الإنحياز لأي من إيران والعراق في حربهما(٤٦), وهذ دل على الأستقلالية التي ظهرت عند السلطان قابوس في تعامله مع الدول العظمى أو العربية, وظل يتعامل بتوازن مع الطرفين(٤٧).

الخاتمة

يتبين من خلال هذا البحث أن العلاقات السياسية بين سلطنة عمان والمملكة المغربية خلال المدة من ١٩٧١ إلى ١٩٨٢ كانت نموذجًا بارزًا للعلاقات الدبلوماسية التي تقوم على

أساس الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة. فقد تمكّن البلدان من الحفاظ على علاقة قوية رغم التحديات الإقليمية والدولية التي واجهتها منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا خلال تلك الحقبة، وهو ما يعكس القدرة على التكيف السياسي والمرونة في التعامل مع التغيرات الجيوسياسية، علاوة على ذلك، كانت سلطنة عمان والمملكة المغربية، في إطار هذه العلاقات، ملتزمتين بتحقيق الاستقرار والأمن في المنطقة، إذ تبادلتا المواقف والآراء حول العديد من القضايا الإقليمية والدولية، مع الحفاظ على استقلالية سياستهما الخارجية. وكان لهذه العلاقة دور كبير في دعم التعاون العربي المشترك، سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي، كما تميزت بقدرة كلا البلدين على تحقيق توازن دقيق بين مصالحهما الوطنية والهموم الإقليمية والدولية، يمكن القول بأن دراسة هذه العلاقات تكشف عن الأهمية الكبيرة التي يمكن أن تلعبها العلاقات الثنائية بين الدول العربية في بناء استراتيجيات سياسية مشتركة تسهم في تعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة. كما أن هذه العلاقات تبرز أيضًا النموذج العماني المغربي في التعاون، الذي لا يقتصر على تبادل المصالح فقط، بل يتجاوزها إلى تعزيز السلم والهدوء في محيطٍ مضطرب. وبناءً على ما تم تناوله، يمكن القول بأن هذه العلاقات تعد مرجعًا مهمًا لفهم آليات التعاون السياسي والدبلوماسي في الشرق الأوسط، وتحقيق التفاهم بين الدول العربية التي تسعى للسلام والاستقرار.

قائمة المصادر

اولاً: الوثائق

أ-الأجنبية

1. United Nations, Twenty-Sixth Session, Year 1971, General Assembly, Application of the Sultanate of Oman for admission to membership in the United Nations, Note by the Secretary-General.
2. NARA, Primin Osman's Trip to Gulf States April 19 May 3, Telegram from embassy Rabat to Secretary State, Washington, 7 May 1976.

3. NARA, Primin Osman's Trip to Gulf States April 19 May 3, Telegram from embassy Rabat to Secretary State, Washington, 7 May 1976.
4. NARA,Omani Ambassadorial Appointments, Telegram from embassy Muscat to Secretary State, Washington, 15 Jul 1978.

ب-العربية

١. وثائق الأمم المتحدة, الوثائق الرسمية, قرار ٢٧٥٤, الدورة رقم ٢٦ لسنة ١٩٧١م قرار الجمعية العامة, بشأن قبول عُمان في عضوية الأمم المتحدة.
٢. الوثائق المغربية, خطب وتصريحات وندوات الملك الحسن الثاني, برقية ملكية يدعو بها جلالة الملك رؤساء الدول العربية إلى عقد مؤتمر عاجل لوزراء الخارجية والدفاع العرب, ٢٤ تشرين الأول ١٩٧٣.
٣. وثائق الأمم المتحدة, الدورة ٣٢ لسنة ١٩٧٧م, الجمعية العامة, رسالة مؤرخة في ٢٧ حزيران ١٩٧٧, وموجهة إلى الأمين العام من الممثل الدائم لعُمان لدى الأمم المتحدة.

ثانياً:الكتب

أ-الأجنبية

1. Muge Dedeoglu, Dynamics of Oman's Foreign Policy Under Sultan Qaboos's Reign

ب-العربية

١. جمال زكريا قاسم, دولة البو سعيد في عمان وشرق أفريقيا منذ تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد(١٧٤١-١٩٧٠م), مركز زايد للتراث والتاريخ, الإمارات العربية المتحدة, ٢٠٠٠.
٢. سعد ابو دية, السياسة الخارجية العُمانية (١٩٧٠-٢٠٠٥م), الضوابط والمقومات"دراسة السياسة الخارجية العُمانية في إطار متغيرات البيئة العملية الخارجية والداخلية", أعمال المؤتمر العلمي الرابع -علاقات عُمان الخارجية في القرن العشرين, منشورات جامعة آل البيت, الأردن, ٢٠٠٧.

٣. عبدالهادي التازي, الصلات التاريخية بين المغرب وعُمان, منشورات وزارة التراث والثقافة, مسقط, ٢٠١٦.

ثالثاً:الرسائل والاطاريح الجامعية

أ-الاجنبية

1. Through the Lenses of New-Classical Realism, A Thesis Submitted to the Graduate School of Social Sciences of Middle East Technical University, The Department of Middle East Studies, 2022.

ب-العربية

١. باسمة عبدالعزيز عمر العثمان, سلطنة عُمان (١٩٧٠-١٩٨١) دراسة في العلاقات الخارجية, أطروحة دكتوراه (غير منشورة), جامعة البصرة, كلية الآداب, ٢٠٠٩.

٢. طاهر علي طاهر مقيبل, أثر المحددات الجغرافية والتاريخية والأقتصادية في السياسة الخارجية العُمانية ١٩٧٠-٢٠٠٨, رسالة ماجستير (غير منشورة), الجامعة الأردنية, كلية الدراسات العليا, الأردن, ٢٠١٠.

٣. عبدالعزيز بن هلال بن علي المعمري, سياسة الحياد الإيجابي وأثرها على العلاقات العمانية العربية (٢٠١١-٢٠١٥م), رسالة ماجستير (غير منشورة), جامعة آل البيت, الأردن, ٢٠١٧.

٤. علي احمد عبدالحميد الرحامنة, الدور السياسي والدبلوماسي لعُمان في الشرق الأوسط في ظل السلطان قابوس بن سعيد ١٩٧٠-٢٠٢٠م, أطروحة دكتوراه (غير منشورة), جامعة مؤته, كلية الدراسات العليا, الأردن, ٢٠٢١.

٥. فيصل سعيد أحمد رواس, السياسة الخارجية العُمانية بين التحالفات والتوازنات من عام ١٩٧٠-٢٠٠٠م, رسالة ماجستير (غير منشورة), الجامعة الأردنية, كلية الدراسات العليا, الأردن, ٢٠٠٥.

٦. مسعود بن سعيد بن ناصر الحضرمي, العلاقات العمانية العربية ١٩٧٠-١٩٩١, اطروحة دكتوراه (غير منشورة), جامعة عين شمس, كلية البنات للآداب, القاهرة, ٢٠١٤, ص١٧٢.

رابعاً:البحوث والدراسات

١. باسمة عبدالعزيز العثمان, العلاقات العُمانية السوفيتية ١٩٨١-١٩٩١, مجلة الخليج العربي, المجلد ٤٣, العدد ١-٢, ٢٠١٥.

٢. ثامر عزام حمد, السلطان قابوس بن سعيد ودوره في تحديث عمان حتى عام ١٩٨٦م, مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية, جامعة تكريت, المجلد ٦, العدد٢٣, السنة السادسة, ٢٠١٠.

٣. علي حمزة عباس, موقف سلطنة عُمان من حرب الخليج الأولى والثانية, مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية, جامعة الموصل, المجلد ١٣, العدد ١, ٢٠١٤.

٤. محمد حمد القطاطشة وعمر حمدان الحضرمي, الثوابت والمرتكزات في السياسة الخارجية العُمانية, مجلة المنارة, المجلد ١٣, العدد٤, المغرب, ٢٠٠٧.

خامساً: الجرائد

١. جريدة العلم, (المملكة المغربية), العدد ١٠٠٢٧, السنة الثانية والثلاثين, في ١٤ كانون الأول ١٩٧٧.

٢. جريدة العلم, (المملكة المغربية), العدد ١٠١٥٠, السنة الثانية والثلاثين, في ٢٠ أيار ١٩٧٨.

٣. جريدة العلم, (المملكة المغربية), العدد ١١١١١, السنة الخامسة والثلاثين, في ٥ تشرين الثاني ١٩٨٠.

٤. جريدة العلم, (المملكة المغربية), العدد ٨٤٣٤, السنة السابعة والعشرين, ٢ آب ١٩٧٣.

٥. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٢٢, السنة الثالثة, في ١٥ آذار ١٩٧٥.

٦. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٢٤, السنة الثالثة, في ٢٩ آذار ١٩٧٥.

٧. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٤٠, السنة الثالثة, في ١٩ تموز ١٩٧٥.

٨. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٤٨, السنة الثالثة, في ١٣ أيلول ١٩٧٥.

٩. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٥٢, السنة الثالثة, في ١١ تشرين الأول ١٩٧٥.

١٠. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٥٥, السنة الثالثة, في ١ تشرين الثاني ١٩٧٥.
١١. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٥٦, السنة الثالثة, في ٨ تشرين الثاني ١٩٧٥.
١٢. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٦٦, السنة الرابعة, في ١٣ كانون الأول ١٩٧٥.
١٣. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٧١, السنة الرابعة, في ٣ كانون الثاني ١٩٧٦.
١٤. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٨٩, السنة الرابعة, في ٦ آذار ١٩٧٦.
١٥. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٢٠١, السنة الرابعة, في ٢٠ نيسان ١٩٧٦.
١٦. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٢٠٣, السنة الرابعة, في ٢٧ نيسان ١٩٧٦.
١٧. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٢٠٤, السنة الرابعة, في ١ أيار ١٩٧٦.
١٨. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٢٦٣, السنة الخامسة, في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٦.
١٩. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٢٦٧, السنة الخامسة, في ١٨ كانون الأول ١٩٧٦.
٢٠. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٢٨٩, السنة الخامسة, في ٥ آذار ١٩٧٧.
٢١. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٣٠٢, السنة الخامسة, في ١٩ نيسان ١٩٧٧.
٢٢. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٣٤٢, السنة الخامسة, في ٦ أيلول ١٩٧٧.
٢٣. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٣٤٧, السنة الخامسة, في ٢٧ أيلول ١٩٧٧.
٢٤. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٣٧٢, السنة السادسة, في ٢٤ كانون الأول ١٩٧٧.
٢٥. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٣٩٣, السنة السادسة, في ٧ آذار ١٩٧٨.
٢٦. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤٠٩, السنة السادسة, في ٢ أيار ١٩٧٨.
٢٧. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤١٠, السنة السادسة, في ٦ أيار ١٩٧٨.
٢٨. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤١٤, السنة السادسة, في ٢٠ أيار ١٩٧٨.
٢٩. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤١٨, السنة السادسة, في ٣ حزيران ١٩٧٨.

٣٠. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤١٩, السنة السادسة, في ٦ حزيران ١٩٧٨.
٣١. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤٥١, السنة الثانية, في ٤ أيار ١٩٨٢.
٣٢. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤٥٢, السنة الثانية, في ٥ أيار ١٩٨٢.
٣٣. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤٥٣, السنة الثانية, في ٦ أيار ١٩٨٢.
٣٤. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٥٤٧, السنة الثانية, في ٢٨ آب ١٩٨٢.
٣٥. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٥٤٨, السنة الثانية, في ٢٩ آب ١٩٨٢.
٣٦. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٥٥٠, السنة الثانية, في ٣١ آب ١٩٨٢.
٣٧. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٥٥٥, السنة الثانية, في ٦ أيلول ١٩٨٢.
٣٨. جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٥٥٧, السنة الثانية, في ٨ أيلول ١٩٨٢.

الهوامش:

(١) باسمة عبدالعزيز عمر العثمان, سلطنة عُمان (١٩٧٠-١٩٨١) دراسة في العلاقات الخارجية, أطروحة دكتوراه (غير منشورة), جامعة البصرة, كلية الآداب, ٢٠٠٩, ص٢١٥.

(٢) علي حمزة عباس, موقف سلطنة عُمان من حرب الخليج الأولى والثانية, مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية, جامعة الموصل, المجلد ١٣, العدد ١, ٢٠١٤, ص٥٠٥.

(٣) علي احمد عبدالحميد الرحامنة, الدور السياسي والدبلوماسي لعُمان في الشرق الأوسط في ظل السلطان قابوس بن سعيد ١٩٧٠-٢٠٢٠م, أطروحة دكتوراه (غير منشورة), جامعة مؤته, كلية الدراسات العليا, الأردن, ٢٠٢١, ص٧٣-٧٤

(٤) المصدر نفسه, ص٩٦.

(٥) باسمة عبدالعزيز العثمان, العلاقات العُمانية السوفيتية ١٩٨١-١٩٩١, مجلة الخليج العربي, المجلد ٤٣, العدد ١-٢, ٢٠١٥, ص١٣٣.

(٦) انضمت عُمان إلى الجامعة العربية في ٢٩ أيلول ١٩٧١م, وشكل هذا نقطة بداية عند السلطان قابوس للدخول في العلاقات العربية العربية, والخروج من العزلة التي كانت تعيشها عُمان, ثم بدأت الدائرة السياسية بالأتساع إذ افتتحت عدة ممثليات وسفارات منها في المغرب العربي, كما قدمت عُمان طلباً رسمياً للأنضمام إلى عضوية الأمم المتحدة وتم قبول الطلب في ١ تشرين الأول ١٩٧١م. **ينظر:** وثائق الأمم المتحدة, الوثائق الرسمية, قرار ٢٧٥٤, الدورة رقم ٢٦ لسنة ١٩٧١م قرار الجمعية العامة, بشأن قبول عُمان في عضوية الأمم المتحدة. ؛ سعد ابو دية, السياسة الخارجية

العُمانية (١٩٧٠-٢٠٠٥م), الضوابط والمقومات"دراسة السياسة الخارجية العُمانية في إطار متغيرات البيئة العملية الخارجية والداخلية", أعمال المؤتمر العلمي الرابع -علاقات عُمان الخارجية في القرن العشرين, منشورات جامعة آل البيت, الأردن, ٢٠٠٧, ص١٧٠. ؛ طاهر علي طاهر مقيبل, أثر المحددات الجغرافية والتاريخية والأقتصادية في السياسة الخارجية العُمانية ١٩٧٠-٢٠٠٨, رسالة ماجستير (غير منشورة), الجامعة الأردنية, كلية الدراسات العليا, الأردن, ٢٠١٠, ص١٢٣. ؛ United Nations, Twenty-Sixth Session, Year 1971, General Assembly, Application of the Sultanate of Oman for admission to membership in the United Nations, Note by the Secretary-General.

(٧) محمد حمد القطاطشة وعمر حمدان الحضرمي, الثوابت والمرتكزات في السياسة الخارجية العُمانية, مجلة المنارة, المجلد ١٣, العدد٤, المغرب, ٢٠٠٧, ص٣٧٥-٣٧٧. ؛ جمال زكريا قاسم, دولة البوسعيد في عمان وشرق أفريقيا منذ تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد(١٧٤١-١٩٧٠م), مركز زايد للتراث والتاريخ, الإمارات العربية المتحدة, ٢٠٠٠, ص٤٣٥-٤٣٦.

(٨) ثامر عزام حمد, السلطان قابوس بن سعيد ودوره في تحديث عمان حتى عام ١٩٨٦م, مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية, جامعة تكريت, المجلد ٦, العدد٢٣, السنة السادسة, ٢٠١٠, ص٢١٨.

(٩) للمزيد من التفاصيل **ينظر**: وثائق الأمم المتحدة, الدورة ٣٢ لسنة ١٩٧٧م, الجمعية العامة, رسالة مؤرخة في ٢٧ حزيران ١٩٧٧, وموجهة إلى الأمين العام من الممثل الدائم لعُمان لدى الأمم المتحدة.

(١٠) عبدالهادي التازي, الصلات التاريخية بين المغرب وعُمان, منشورات وزارةالتراث والثقافة, مسقط, ٢٠١٦, ص٧-١١.

(١١) جريدة العلم, (المملكة المغربية), العدد ٨٤٣٤, السنة السابعة والعشرين, ٢ آب ١٩٧٣, ص٣,١.

(١٢) الوثائق المغربية, خطب وتصريحات وندوات الملك الحسن الثاني, برقية ملكية يدعو بها جلالة الملك رؤساء الدول العربية إلى عقد مؤتمر عاجل لوزراء الخارجية والدفاع العرب, ٢٤ تشرين الأول ١٩٧٣.

(١٣) فيصل سعيد أحمد رواس, السياسة الخارجية العُمانية بين التحالفات والتوازنات من عام ١٩٧٠-٢٠٠٠م, رسالة ماجستير (غير منشورة), الجامعة الأردنية, كلية الدراسات العليا, الأردن, ٢٠٠٥, ص٨٣-٨٤.

(١٤) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٢٢, السنة الثالثة, في ١٥ آذار ١٩٧٥, ص٧.

(١٥) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٢٤, السنة الثالثة, في ٢٩ آذار ١٩٧٥, ص١.

(١٦) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٤٠, السنة الثالثة, في ١٩ تموز ١٩٧٥, ص١. ؛ NARA,Omani Ambassadorial Appointments, Telegram from embassy Muscat to Secretary State, Washington, 15 Jul 1978.

(١٧) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٤٨, السنة الثالثة, في ١٣ أيلول ١٩٧٥, ص١.

(١٨) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٥٢, السنة الثالثة, في ١١ تشرين الأول ١٩٧٥, ص٨.

(١٩) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٥٥, السنة الثالثة, في ١ تشرين الثاني ١٩٧٥, ص١.

(٢٠) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٥٦, السنة الثالثة, في ٨ تشرين الثاني ١٩٧٥, ص١.

(٢١) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٦٦, السنة الرابعة, في ١٣ كانون الأول ١٩٧٥, ص١ & جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٧١, السنة الرابعة, في ٣ كانون الثاني ١٩٧٦, ص١.

(٢٢) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ١٨٩, السنة الرابعة, في ٦ آذار ١٩٧٦, ص١.

(٢٣) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٢٠١, السنة الرابعة, في ٢٠ نيسان ١٩٧٦, ص١.

(٢٤) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٢٠٣, السنة الرابعة, في ٢٧ نيسان ١٩٧٦, ص٨.

(٢٥) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٢٠٤, السنة الرابعة, في ١ أيار ١٩٧٦, ص١. ؛ المملكة المغربية: الزيارة الرسمية للوزير الأول السيد أحمد عصمان لسبع دول عربية, المصدر السابق, ص٦٢. ؛ NARA, Primin Osman's Trip to Gulf States April 19 May 3, Telegram from embassy Rabat to Secretary State, Washington, 7 May 1976.

(٢٦) المملكة المغربية: الزيارة الرسمية للوزير الأول السيد أحمد عصمان لسبع دول عربية, المصدر السابق, ص٦٢. ؛ NARA, Primin Osman's Trip to Gulf States April 19 May 3, Telegram from embassy Rabat to Secretary State, Washington, 7 May 1976.

(٢٧) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٢٦٣, السنة الخامسة, في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٦, ص١؛ جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٢٦٧, السنة الخامسة, في ١٨ كانون الأول ١٩٧٦, ص١.

(٢٨) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٢٨٩, السنة الخامسة, في ٥ آذار ١٩٧٧, ص١.

(٢٩) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٣٠٢, السنة الخامسة, في ١٩ نيسان ١٩٧٧, ص٨.

(٣٠) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٣٤٢, السنة الخامسة, في ٦ أيلول ١٩٧٧, ص٨، جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٣٤٧, السنة الخامسة, في ٢٧ أيلول ١٩٧٧, ص١.

(٣١) جريدة العلم, (المملكة المغربية), العدد ١٠٠٢٧, السنة الثانية والثلاثين, في ١٤ كانون الأول ١٩٧٧, ص٣ ؛ جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٣٧٢, السنة السادسة, في ٢٤ كانون الأول ١٩٧٧, ص١.

(٣٢) جريدة العلم, (المملكة المغربية), العدد ١٠١٥٠, السنة الثانية والثلاثين, في ٢٠ أيار ١٩٧٨, ص١.

(٣٣) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٣٩٣, السنة السادسة, في ٧ آذار ١٩٧٨, ص١.

(٣٤) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤٠٩, السنة السادسة, في ٢ أيار ١٩٧٨, ص١؛ جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤١٠, السنة السادسة, في ٦ أيار ١٩٧٨, ص٨.

(٣٥) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤١٤, السنة السادسة, في ٢٠ أيار ١٩٧٨, ص١.

(٣٦) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤١٨, السنة السادسة, في ٣ حزيران ١٩٧٨, ص١؛ جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤١٩, السنة السادسة, في ٦ حزيران ١٩٧٨, ص١.

(٣٧) جريدة العلم, (المملكة المغربية), العدد ١١١١١, السنة الخامسة والثلاثين, في ٥ تشرين الثاني ١٩٨٠, ص٢.

(٣٨) مسعود بن سعيد بن ناصر الحضرمي, العلاقات العمانية العربية ١٩٧٠-١٩٩١, اطروحة دكتوراه (غير منشورة), جامعة عين شمس, كلية البنات للآداب, القاهرة, ٢٠١٤, ص١٧٢.

(٣٩) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤٥١, السنة الثانية, في ٤ أيار ١٩٨٢, ص١.

(٤٠) **يوسف العلوي عبدالله:** وهو وزير الخارجية الأطول خدمة في الشرق الأوسط, عمل يوسف مع السلطان قابوس ٣٨ عاماً على إرساء مبادئ العلاقات الخارجية العُمانية, كان له تاريخ مثير للأهتمام يمتد من كونه متمرداً ضد السلطان قابوس وأحد أهم الشخصيات في جبهة تحرير ظفار, إلى كونه مساعداً مخلصاً له وذلك لأن قابوس عند اعتلاءه الحكم أقترب من المتمردين الظفاريين السابقين مع سياسة المصالحة ومنحهم العفو, وفي هذا الصدد التقى يوسف العلوي مع قابوس عام ١٩٧٠م وأخبره عن إيمانه بنظامه الجديد وساهم بعدها في دعم السلطان في كل قضاياه, ثم انضم بعدها إلى السلك الدبلوماسي العماني في بداية السبعين فعمل في سفارتي القاهرة وبيروت ثم سفيراً لعُمان في لبنان عام ١٩٧٣م, ثم وزيراً للشؤون الخارجية. **ينظر:** Muge Dedeoglu, Dynamics of Oman's Foreign Policy Under Sultan Qaboos's Reign Through the Lenses of New-Classical Realism, A Thesis Submitted to the Graduate School of Social Sciences of Middle East Technical University, The Department of Middle East Studies, 2022, P. 47-49.

(٤١) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤٥٢, السنة الثانية, في ٥ أيار ١٩٨٢, ص١.

(٤٢) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٤٥٣, السنة الثانية, في ٦ أيار ١٩٨٢, ص٢.

(٤٣) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٥٤٧, السنة الثانية, في ٢٨ آب ١٩٨٢, ص١؛ جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٥٤٨, السنة الثانية, في ٢٩ آب ١٩٨٢, ص١ ؛ جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٥٥٠, السنة الثانية, في ٣١ آب ١٩٨٢, ص١.

(٤٤) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٥٥٥, السنة الثانية, في ٦ أيلول ١٩٨٢, ص١

(٤٥) جريدة عُمان, (سلطنة عُمان), العدد ٥٥٧, السنة الثانية, في ٨ أيلول ١٩٨٢, ص١.

(٤٦) عبدالعزيز بن هلال بن علي المعمري, سياسة الحياد الإيجابي وأثرها على العلاقات العمانية العربية (٢٠١١-٢٠١٥م), رسالة ماجستير (غير منشورة), جامعة آل البيت, الأردن, ٢٠١٧, ص٤٢.

(٤٧) سعد ابو دية, المصدر السابق, ص١٩٣.

دورة الالعاب الاولمبية عام ١٩٨٨واكتمال تحديث جمهورية كوريا

Olympic games and the cpmpletion of the 1988 modernization of the republic of korea

https:\\orcid.org\0009-0009-5783-9483x

م.د. طلال اسماعيل ابراهيم

كلية الآداب/ جامعة بغداد

Talal Ismael Ibrahim

موبايل: ٠٧٧١٣٧٣٦٣٠٢

أيميل: talal.taha@coart.uobaghdad.edu.iq

دورة الالعاب الاولمبية عام ١٩٨٨واكتمال تحديث جمهورية كوريا

م.دطلال اسماعيل ابراهيم

ملخص:

بدأت جمهورية كوريا. استكمال عملية التحديث بوتيرة متصاعدة على مدى اربعة عقود من التأسيس وقد اكتمل التحول الديمقراطي بعقد اول انتخابات رئاسية بمشاركة جميع الاطياف والنخب المجتمعية عام ١٩٨٨ وكانت استضافة جمهورية كوريا "دورة الألعاب الاولمبية" عام ١٩٨٨.قد لفت انظار العالم بأن جمهورية كوريا نجحت فعليا في استكمال جميع مؤسسات التحديث وانها مؤهلة للاندماج في العالم الرأسمالي يحاول البحث تقديم رؤية تاريخية لأهمية دورة الالعاب الاولمبية في جمهورية كوريا عام ١٩٨٨كحدث استثنائي أشر هذا الانتقال من النظام الشمولي الى المدني الديمقراطي بعد اربعة عقود من تأسيس الجمهورية الجديدة .

Abstract

The paper is a study of the importance of the olympic Games in the republic of korea as anenidence of the political ,economic and social trans formation in ROK as a modernized nation .the year 1988had witnessed the first civil election leads to move to the civil government .

كلمات مفتاحية:

– الرأسمالية,الدستور, دورة الالعاب الاولمبية , التحديث , التحول الديمقراطي

Capitalism-constitution-olympic games –update –democratic transformation

المقدمة

البحث محاولة لفهم أهم التطورات السياسية والاقتصادية في جمهورية كوريا في النصف الثاني من القرن العشرين، فقد شهد عام ١٩٨٨،حدثين مهمين على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي أثارا انتباه العالم الى نجاح التجربة الكورية بعد كفاح طويل منذ عام ١٩١٠وحتى عام ١٩٤٥للتخلص من الاحتلال الياباني ثم صراع سياسي واقتصادي واجتماعي مرير بين عامي ١٩٤٨وعام١٩٨٨،اي بين تأسيس "جمهورية كوريا" والتخلص من الدكتاتوريات العسكرية .

كان عام ١٩٨٨هو العام الذي جرت فيه اول انتخابات ديمقراطية حقيقية والعام الذي نجحت فيه جمهورية كوريا في استضافة "دورة الالعاب الاولمبية ٢٤"، التي مثلت محاولة كورية لا ظهار الوجه الجديد للجمهورية الجديدة يتتبع البحث هذه التطورات وفقا لتسلسلها الزمني وتطورها الدراماتيكي مما شكل بداية للتحول السياسي والاقتصادي والاجتماعي لجمهورية كوريا.

١-استكمال التحديث السياسي في جمهورية كوريا

بدأت جمهورية كوريا منذ الثمانينات تتطلع نحو الديمقراطية من خلال النخب السياسية، ناهيك عن فترة عدم استقرار ومضايقات تعرض لها اطياف الشعب الكوري، لاسيما اساتذة الجامعات واصحاب الفكر وايقاف جميع وسائل الاعلام خدمة الاستعلامات الكورية فيما وراء البحار ص ٩٨ .

وكانت ثمانينات القرن الماضي قد شهدت دعم الولايات المتحدة الأمريكية واليابان للجمهورية الجديدة . Hood christopher مجموعة مصادر ص ١٠٨

وكانت العلاقات الدولية تؤتي ثمارها في تلك الفترة، لاسيما اليابانية والامريكية في صداها على جمهورية كوريا في عهد الرئيس الكوري شون دوو هوان ص ١٠٩ طلال اسماعيل التجربة الكورية دراسة في ثنائية التقليد والحداثة

تعرف الاحداث السياسية في فترة الرئيس شون دوو هوان بمرحلة سياسة التهدئة وتقليل كل اشكال القمع تجاه الطلاب واساتذة الجامعات, فتحت بالمقابل الابواب نحو المطالبة بالديمقراطية وكانت جميع النخب مشاركة فعلية، ولاسيما العمال نجلاء الرفاعي ,التحول

الديمقراطي في كوريا الجنوبية وتايوان ص ص ١١٨, ١١٩, ١٢٠.jung haegu p10 ١٠٩

كان الطلاب والعمال على خط تضامن واحد وبدأت فعليا مرحلة تحرك وصلت الى الحركة العمالية والمشاركة معهم ودعمهم للمطالبة بالتغيير والديمقراطية وتشكيل مجالس عام ١٩٨٤من ضمنها مجلس حركة الشعب المطالب بالديمقراطية والمجلس الوطني للديمقراطية ومجلس تعزيز الديمقراطية عام ١٩٨٤ jung haegu p10

كانت المعارضة السياسية في مرحلة الاستعداد للتغيير وكان المعارض الكوري كيم يونغ سام قد ساند فعليا مجلس نشر الديمقراطية وقيام طلاب الجامعات عمليا في تلك المرحلة الترويج وتعزيز مفاهيم الديمقراطية مع حركة مناهضة واسعة في دور الولايات المتحدة الامريكية في داخل جمهورية كوريا Baek okkyoung p266-267

بدأت الاحزاب المعارضة للحزب الحاكم الدخول بالحزب الديمقراطي الكوري الجديد عام ١٩٨٥من اجل الحفاظ على أواصر الديمقراطية الناشئة والمشاركة في الانتخابات العامة والدخول الى البرلمان في ١٢شباط ١٩٨٥وحصوله على مقاعد متقدمة وصلت ١٠٣مقعد من اصل ٢٧٦،مع تقدم واضح للحزب الحاكم جريدة القادسية ماذا يعني فوز مرشح الحكومة لرئاسة كوريا الجنوبية العراق ١٩٨٧.

وكانت حكومة الرئيس شون دوو هوان في مرحلة الثمانينات محاطة بمجموعة تأثيرات وتيارات من المحافظين والراديكاليين المطالبين بالتغيير، وهم الطلبة والعمال ،وكان لهم دور واضح منذ الخمسينات وفترة الرئيس السابق سينغمان ري والحرب الكورية وضباط الجيش المصدر جريدة الرأي العام العدد ٨١٦١البلد الذي تتجاذبه وجهتا نظر المتطرفين الكويت ١٩٨٦.كان الهدف الرئيسي هو تحقيق الديمقراطية ومقاومة ديكتاتورية الرئيس شون دوو هوان، وكانت هناك حلقات للناشطين مع ألاخذ بجميع الخطط والاستراتيجيات السياسية والنظريات و مشاركة فاعلة للطلاب والعمال والمعارضة السياسية jung hae gu p11

وصلت تلك التحركات الى مرحلة تشكيل ائتلاف ديمقراطي أكبر في عام ١٩٨٥من اجل مواجهة حكم الرئيس شون، وكانت اولى المطالب السياسية هو مرحلة التعديل الدستوري

من اجل انتخاب رئيس للبلاد مع حصول كسب واسع من الشعب الكوري jung hae gup11

وكانت اولى التحركات عام ١٩٨٦من قبل الحزب الديمقراطي الكوري الجديد وتقديم حملة للحصول على توقيع عشرة ملايين من قبل الكوريين ومطالبة بتعديل الدستوري وانتخاب رئيس للبلاد بشكل مباشر، وبدأت هناك استجابة لتلك المطالبات من خلال المدن في جمهورية كوريا Jung hae gu276.

كانت هناك صراعات واضحة وحادة بين المعارضة والحكومة حول مسألة التعديل الدستوري وانتخاب الرئيس، وحاول الرئيس اقناع المعارضة في المسائل اعلاه تحت قبة البرلمان الكوري jung hae gu11-12.

بدات تطورات الموقف السياسي تأخذ بالتصعيد وتحديدا عام ١٩٨٧عندما اخذت الحكومة تتحرك نحو اعتقال الصحفيين وكل من يحاول انتقاد الحكومة ، وطلبت من الكتاب تغيير كل المقالات التي تخص المظاهرات وانها تتحرك بدعم الشيوعية وعدم تناول موضوعات المعارضة وقادتها المصدر جريدة الوطن اعتقال صحفيين في كوريا الجنوبية العدد ٤٤٢٤الكويت.

وكانت بعض المظاهرات قد تحولت الى اعتصام شامل في كاتدرائية كاثوليكية وداخلها عدد من المتظاهرين الطلاب، وحاولت الحكومة اقتحام المكان بالقوة مع وجود مطالبات من قبل وزارة الخارجية الامريكية بانهاء الاعتصام بالطرق السلمية وعدم اراقة الدماء ،مع توجه الحكومة الكورية نحو اعلان الطوارئ من أجل المواجهة المصدر جريدة الاهرام توقعات باعلان الطوارئ في كوريا الجنوبية لمواجهة تصاعد مظاهرات الاحتجاج العدد ٣٦٧١٢القاهرة ١٩٨٧

بدأت التصعيدات تأخذ منحى آخر اتخذت الحكومة سياسة الانفتاح والتحرك نحو المعارضة السياسية القائمة وكان الهدف من ذلك ضمان عقد الالعاب الاولمبية في اجواء استقرار سياسي و معالجة من سيكون الرئيس القادم والاتفاق ضمن قيادات الحزب الحاكم المصدر مجلة المصور العدد ٣٢٦٣القاهرة ١٩٨٧

كانت المعارضة السياسية تحت قيادة كيم يونغ سام وكان على رأس حزب التوحيد الديمقراطي وقد طالب بحرية النشر في الصحافة واطلاق سراح المحتجزين والسجناء السياسيين وفتح باب الحوار نحو الديمقراطية المصدر جريدة الاهرام توحيد فصائل المعارضة بكوريا الجنوبية للمطالبة بمزيد من الديمقراطية والحرية السياسية العدد ٣٦٦٦٩القاهرة ١٩٨٧

كانت النقاشات تدور حول طبيعة انتخاب الرئيس القادم والتنازلات التي ستقدم من قبل الرئيس الكوري شون والاليات المتبعة في انتخابه هل عن طريق صناديق الاقتراع او التوجه بشكل مباشر عن طريق الجمعية الوطنية الكورية المصدر جريدة السياسة هل تنحاز ادارة ريغان للمعارضة في سيئول العدد ٦٧١٩الكويت ١٩٨٧

اشتدت المواجهة التقليدية بين المعارضة السياسية والحكومة حول انتخاب الرئيس القادم حيث تشبث الحزب الحاكم انتخاب الرئيس عن طريق البرلمان، لكن المعارضة التي تضافرت جهودها بأن يكون انتخاب الرئيس بشكل مباشر وعن طريق صناديق الاقتراع جريدة الرائ العام في كوريا الجنوبية انقسام المعارضة حول الاصلاح الدستوري العدد ٨٤٠١ ١٩٨٧

المشكلة السياسية من سيكون الرئيس القادم في ظل تمسك الرئيس شون دوو هوان ان الانتخاب يكون عن طريق تجمع الانتخابي وعدده ٥٠٠٠وليس كما تريد المعارضة عن طريق الاقتراع المباشر ونتيجة عدم وجود بوادر لحلحلة الازمة السياسة قدمت المعارضة تشكيل حكومة انتقالية.المصدر جريدة الاهرام بوادر ازمة سياسية في كوريا الجنوبية العدد ٣٦٦٥٣القاهرة ١٩٨٧

الا ان الرئيس رفض ذلك بحجة الحفاظ على الوضع الداخلي وتجنب الانقسام والفوضى السياسية والاجتماعية والتمسك بالدستور في انتخابات الرئيس القادم المصدر جريدة الاخبار تعديل دستور في كوريا الجنوبية بعد دورة الالعاب الاولمبية العدد ١٠٨٩٢القاهرة ١٩٨٧

تمسك كل طرف بما لديه حيث تؤكد المعارضة القيام بتعديلات دستورية تضمن وصول المعارضة للحكم ومن اجل حسم الموقف السياسي قدم الرئيس مقترح اعلان دستور

جديد واختيار الرئيس عن طريق الاغلبية السياسية والمعارضة ترى في تلك الخطوة سيطرة الحكومة على مصادر القراروتم تقديم مرشح الحكومة وهو روه تاي وو وعمل في عدة مناصب وزارية وايضا المشرف الاول على دورة الالعاب الاسيوية رقم ٢٤ علاء سالم ص The new encyclopedia vol 10p140.٢٢٥

نتيجة تصاعد الفوضى السياسية وازدياد رقعة التظاهرات والاحتجاجات المطالبة بالتعديل الدستوري قدم مرشح الحكومة مجموعة نقاط من ضمنها التداول السلمي للسلطة والمحافظة على الوحدة الوطنية وحرية الصحافة واطلاق سراح السجناء السياسيين وحقوق الانسان والابتعاد عن اجواء العنف وحصل الدستور على نسبة ٩٣%المصدر علاء سالم ص٢٢٥

كانت شدة المظاهرات التي اجبرت الرئيس شون دوو هوان على التنحي عن منصبه عام ١٩٨٧واعطاء مرشح الحكومة الدور له للرئاسة الكورية المصدر مجلة اليوم السابع الانتخابات الرئاسية لم تنته الازمة في كوريا الجنوبية العدد ١٩٠فرنسا ١٩٨٧

بدأت الديمقراطية تأخذ طريقها من خلال النخب السياسية الفاعلة في المجتمع الكوري ناهيك عن وصول جمهورية كوريا الى تحول وتحديث في النشاط الاقتصادي والتعليمي وفي النهاية لابد من حدوث معادلة موازنة مع جميع التطورات المصدر نجلاء الرفاعي التحول الديمقراطي في كوريا "التحولات السياسية في كوريا" مركز الدراسات الاسيوية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ٢٠٠٢ص ١١٢

اخذ التحديث الديمقراطي طريقه في عهد الرئيس روه تاي وو بسبب المظاهرات متواصلة عام ١٩٨٧وعملت على عدم استقرار سياسي وترقب الاعلام والقنوات الناقلة لتلك المظاهرات وايضا ترقب الحدث البارز دورة الالعاب الاسيوية وكان الرئيس السابق يحث عليها بشكل متكرر كونها تعطي حالة من الشرعية والاستقرار للبلاد المصدر رضا محمد هلال الاطار التاريخي لتطور النظام السياسي الكوري في المدة من ١٩٤٨-١٩٨٨

كان عام ١٩٨٧نقطة بدايات التحول الديمقراطي ظهور دستور معدل وتحديد مدة الرئاسة بحيث اصبحت خمس سنوات ومنعت استخدام الرئيس سلطاته الدستورية في اجراءات حل الجمعية الوطنية ومنع استخدام النفوذ والمال السياسي في الانتخابات وايضا

اتباع النزاهة المصدر خديجة عرفة واقع ومراحل التحول الديمقراطي في جمهورية كوريا "التحول الديمقراطي في كوريا" تحرير هدى ميتكسين ٢٠٠٧، ١١

تم تحديد مدة الرئاسة عمليا خمس سنوات دون تمديد وايضا من اجل منع السيطرة او التفرد في الحكم وايضا التحديث المترابط عن طريق المحكمة الدستورية عام ١٩٨٨المصدر سعيد رشيد عبد النبي, التجربة الكورية الجنوبية في التنمية مجلة دراسات دولية العدد٣٨ص ٤٤-٤٥

فشل المعارضة السياسية في كوريا الوصول الى سدة الحكم يعود الى انعدام الوحدة والانقسام من خلال عدم الاتفاق على مرشح محدد والدخول بترشيح اكثر من شخص وكان مرشح الحكومة قد اعطى الوعود الاصلاحية والابتعاد عن عسكرة المجتمع والوقوف الى جميع قطاعات والنخب السياسية والفاعلة في المجتمع الكوري لاسيما رجال الاعمال وتوجه كوريا نحو الرأسمالية الصناعية المصدرجريدة الاهرام المعارضة الكورية وقبل ان تلوم الاخرين العدد ٣٦٠٠٩٦القاهرة ١٩٨٧

كان انقسام المعارضة السياسية اعطى نوع من المجال الواسع امام مرشح الحكومة الرئيس روه تاي وو من اجل ضمان الفوز المصدر جريدة الانباء سيئول انقسام المعارضة يوفر النجاح لمرشح الحكومة العدد ٤٢٤٦الكويت ١٩٨٧تم تحديد موعد الانتخابات الرئاسية من قبل السابق وكانت بتاريخ ١٦كانون الاول ١٩٨٧وشهدت تلك الانتخابات مشاركة واسعة من جميع اطياف الشعب الكوري ووعد الرئيس الالتزام بجميع التعهدات الديمقراطية المصدر جريدة الثورة تحديد موعد انتخابات الرئاسية في كوريا الجنوبية العدد ٦٣٨٤العراق ١٩٨٧المصدر جريدة العراق رئيس كوريا الجنوبية روه يتعهد بامرار الاصلاحات الديمقراطية وتحقيق المصالحة الوطنية العدد ٣٦٩٣العراق ١٩٨٨

اعطى الرئيس المنتخب وعوده بالقيام بالديمقراطية في جميع ارجاء جمهورية كوريا واسدال الستار بالماضي وحتى لاتكون هناك شكوك من المعارضة ان الرئيس يمثل النظام السابق عمل على تشكيل حكومة جديدة المصدر جريدة القبس سيئول تعديل حكومي رئيسي روه عزل كل الوزراء ياستثناء ثلاثة العدد ٥٩٥٢الكويت ١٩٨٨

٢- استعدادات جمهورية كوريا في استكمال دورة الالعاب الاسيوية رقم٢٤

مثل عام ١٩٨٨ مرحلة استكمال جميع المؤسسات التحديثية في جمهورية كوريا والحدث الاهم في تلك السنة استضافة دورة الالعاب الاولمبية رقم ٢٤في العاصمة سيئول للفترة ١٧ايلول لغاية ٢تشرين الاول عام ١٩٨٨ومدن اخرى وكانت مباشرة بعد انتخاب الرئيس روه تاي وو ومثلت تلك الاستضافة واجب شرف وحظيت باهتمام واحترام دول العالم وجمهورية كوريا ترى من خلال تلك الاولمبياد اهتمام العالم وايضا ماتعطيه تلك الالعاب الرياضية من اعطاء المنافسة الشريفة وتجاوز جميع العقائد والخلافات السياسية وبمشاركة شملت ١٦٠دولة مجلة الدستور اولمبياد الشمال واولمبياد الجنوب العدد ٥٣٣لندن ١٩٨٨ الشعار الذي تم رفعه بعنوان "حسن التنسيق والحرص على النجاح" وكانت اللجنة مسؤولة عن تلك الاستضافة سليمان مظهر ،سياحة في ربوع النمور الاسيوية ص ٢٤٣

حملت استضافة دورة الاولمبياد طابع متميز والتألق في جميع الميادين وكانت الاستعدادات الكورية على قدم وساق من خلال استخدام الجيش والشرطة في حماية تلك الاولمبياد وايضا التدريب الوافي في ميدان القتال لاسيما التايكواندو المصدر جريدة الانباء كوريا ,٤٤٧٤ ,١٩٨٨

كانت الاستعدادات بشكل متواتر للافادة من تجارب الاولمبياد التي حدثت في العالم وكان الهدف الاساسي هو محاربة الارهاب وجميع الاشخاص كانوا مدربين بشكل جيد المصدر نفسه

كان نجاح الاولمبياد في جمهورية كوريا اعطى نوع من الارتياح الداخلي والخارجي لاسيما اثناء القاء الرئيس الكوري المنتخب روه تاي وو الكلمة في مقر الامم المتحدة بعد نجاح الاستعدادات والاستضافة والايجابية بكل ما حملته ايضا مع الجارة جمهورية كوريا الديمقراطية من اجل فتح باب الحوار والوحدة جريدة السياسة خريف ساخن ينتظر الرئيس الكوري الجنوبي واحتمال تعديلات حكومية وحزبية العدد ٧٢٥٥الكويت ١٩٨٨

وكانت دورة الالعاب الاولمبية في جمهورية كوريا الصيفية عقدت للفترة ٢٤في العاصمة سيئول ١٩٨٨وشارك فيها عدد الرياضيين ١٣,٣٠٤رياضيا ويمثلون اكثر من ١٦٠دولة مع تبني فلسفة "المصالحة والتقدم "وتحديد الاهداف"المشاركة الاكبر،الانسجام

الاقوى ، الاداء الافضل , السلامة المثلى, التوفير الاقصى" واصبحت جمهورية كوريا الدولة رقم ٢ في قارة اسيا و١٦في العالم في هذه الاستضافة واحرزت كوريا البلد المستضيف ١٢ميدالية ذهبية و١٠فضية وايضا ١١برونزية وكان المعنى الحقيقي انعقاد الاولمبياد دورة للمصالحة بين الشرق والغرب لاسيما بعد مقاطعة اولمبياد موسكو١٩٨٠اولمبياد لوس انجلس ١٩٨٤فجاءت الالعاب الاسيوية في جمهورية كوريا فرصة للقضاء على الخلافات الايديولوجية والعقائدية والعنصرية وايضا نشر الحداثة الكورية والتقاليد والثقافة الكورية للعالم arabic korea net دورة الالعاب الاولمبية الصيفية في سيئول

٣- النجاح الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في تحديث جمهورية كوريا

بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت حالة من التنافس نحو التنافس الاقتصادي مع تسابق واضح نحو التسلح بين المعسكر الشرقي والغربي وظهور الرأسمالية الحديثة بقيادة الولايات المتحدة الامريكية والاتجاه نحو تصريف المنتجات والحاجة الى الاسواق محمد عبدالله راضي ,تطور ظاهرة الصراع الدولي وافاقها في القرن الحادي والعشرين , ٢٠٠٥ ,٩٠-٩١

وضعت خطط اقتصادية في ظل حكومة الرئيس سينغمان ري وكانت بشكل تدريجي مع ابقاء باب المساعدة مع الولايات المتحدة الامريكية من خلال المنح والمساعدات الاقتصادية في الخمسينات والهدف الوصول الى مرحلة الاستقلال الاقتصادي وتسريع الصناعات الاستهلاكية والدخول بمرحلة الاستثمار في الصناعات الثقيلة والبضائع Baek okk young p350

كانت الفكرة في جمهورية كوريا من الناحية الاقتصادية التوجه نحو الانتاج بشكل تدريجي لكن يبقى كيفية استثمار المساعدات والمنح الاجنبية بعضها من اجل اعادة البناء والقسم المتبقي من اجل الاعمال التجارية ومع ذلك الخطوات لم تكن واقعية في ظل غياب التخطيط Hsakongp13

كانت الحرب الكورية لها تأثيرات واضحة على الاقتصاد الكوري وبعد انتهاء الحرب وصلت جمهورية كوريا الى مرحلة من الانكسار والضعف في الاقتصاد والبنى التحتية ناهيك

عن زيادة النفقات التشغيلية للحكومة مع رغبة الحكومة في البناء بمرحلة الخمسينات Baekokkyoungp250

كانت الخطط الاقتصادية تتجه نجو تفعيل القطاع الخاص عن طريق خطة ليبرالية مع ابقاء ادارة الدولة من اجل اعادة ادارة تلك الخطط في فترة الرئيس سينغمان ري وضعت خطة مدة خمس سنوات عام ١٩٥٦الكن لم تنجح وايضا في حكومة جانغ ميون التي وضعت الاقتصاد الكوري ضمن الاوليات لم تنجح كونها ظلت على المساعدات الامريكية وايضا الانقلاب العسكري عام ١٩٦١الهذا تعد فترة تخبط سياسي واقتصادي Baekokkyoungp272

شكلت فترة الستينات مرحلة تحول في تاريخ جمهورية كوريا وعمليا بدأت تنشط مشاريع التحديث في عهد الرئيس شونغ هي بارك التي تبحث عن مرحلة التغيير الاني بعيد عن الخطط التقليدية المصدر يونس العزاوي طبيعة العمل السياسي في الدول النامية دراسة مقارنة مجلة الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة بغداد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية العدد الاول المجلد الاول ١٩٦٩ص ١٩٦-١٩٨

كانت اهداف الرئيس شونغ هي بارك بناء جمهورية كوريا اقتصاديا وتحويلها من مجتمع زراعي الى دولة تحمل التحديث الصناعي وله تجارب واضحة في اليابان مع ابقاء السيطرة الفعلية في ادارة زمام الامورالمصدر سمير زهير الصوص ص ٣٨

نجاح الرئيس بارك يقوم على الاقتصاد اولا مع الدعم الواضح للصناعات الثقيلة والكيمياوية مع ابقاء المساعدات الامريكية لاسيما الجانب التقني وبمساندة جميع خطط الاقتصادية . Baek okkyoungp272-273Hsakongp16

من خلال التعديل للخطط السابقة في عهد الحكومة الانتقالية جانغ ميون وايضا مراجعة الخطط الخمسية مع تشكيل مجلس التخطيط الاقتصادي الكوري المصدر Baekokkyoungp273 جابر سعيد عوض الدور التنموي للدولة في كوريا الجنوبية بين الاستمرارية والتغيير "دور الدولة بين الاستمرارية والتغيير في الخبرة الاسيوية "تحرير جابرعوض مركز الدراسات الاسيوية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ٢٠٠٩ص١٠٦

تم تفيذ الخطط الاقتصادية بشكل مدروس وبقوة والرئيس ينظر ان تحريك الشعب عمليا عن طريق استخدام القوة والتوجه نحو العمل المنتج المصدر محمد امين شلقامي ص ٢٥-٢٦

فكر الرئيس بارك التوجه نحو منصة التصدير ويعرف جيد ان البلاد تعاني من ندرة الموارد الطبيعية لاسيما النفط وحاجة البلاد الفعلية الى الاموال والمدخرات والنقد الاجنبي والدخول الى الاسواق الخارجية جابر عوض الدور التنموي لكوريا الجنوبية بين الاستمرارية والتغيير ,١٠٥

كان الرئيس بارك عندما استلم السلطة في وقت جمهورية كوريا تعاني من اضطرابات كبيرة وصعبة وعدم قناعة الشعب الكوري بالتغيير, تحمل بارك المسؤولية ونجح في قيادة البلاد من خلال رؤية واضحة وعزيمة نحو التحديث والافادة من تجارب الدول ولاسيما "التجربة اليابانية .المصدرفاروق خالد الطيف معروف,شونغ هي بارك ودوره السياسي والاقتصادي في جمهورية كوريا ١٩٦١-١٩٧٩,رسالة ماجستير غير منشورة ,جامعة سامراء, كلية التربية, ٢٠١٧,ص ٢٣٧

عملت جمهورية كوريا في جميع القطاعات الزراعية من خلال مكتب التنمية الزراعية في وزارة الزراعة والغابات وجميع الخدمات البحثية في الحبوب واستخدام التقنيات الزراعية والصناعات ايضا من ضمنها السمنت وتكرير المشتقات النفطية وانتاج الطاقة الكهربائية التي تغطي احتياجات البلد محليا المصدر koreaandpastandpresentp181-203

منذ عام ١٩٦٠ولغاية ١٩٨٠يوجد نمو اقتصادي في جمهورية كوريا لكن بدأت تحدث الازمات الاقتصادية نتيجة الاستثمارات الهائلة في الصناعات الثقيلة والكيمياوية في السبعينات وازمة النفط الثانية وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي وتجربة بارك في مواجهة التحديات والصعاب المصدر سمير زهير الصوص التنمية الاقتصادية واقتصاد السوق لدول الشرق الاوسط وافريقيا ص ٥٤

كانت الشراكة قوية بين الولايات المتحدة الامريكية وجمهورية كوريا لاسيما في الجانب الاقتصادي كون هناك صادرات الى ذلك البلد والتعامل مع الوون مجلة التضامن المعجزة الاقتصادية والمأزق , ٢٧٥, ١٩٨٨

وصلت جمهورية كوريا الى مصافي الدول الكبرى بعد عقد الاجتماع لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي في سوول المصدر ترجمة جوزيف ملكون عن مجلة نيويورك جريدة الجمهورية موتمر سيئول النقدي يدعو الجميع لحل مشكلة الديون العدد٥٨٩٤العراق ١٩٨٥

على الرغم من النظرة المتشائمة عدم نجاح جمهورية كوريا من قبل تقرير البنك الدولي الا انها واجهت التحدي وتلفت العالم الى القوة الاقتصادية في شرق اسيا من خلال الخطط الخمسية لعام ١٩٨٧التي كانت اهدافها احداث نقلة في تقنيات والاجهزة الالكترونية وصناعة السيارات والاتصالات المصدر جريدة الوطن التحدي القادم من الشرق الاسيوي كوريا الجنوبية العدد ٤٢٣٧الكويت ١٩٨٦

عام ١٩٨٨نجحت شركة هيونداي في الاسهام في استضافة الالعاب الاولمبية من خلال الفوز في جمهورية كوريا في اقامة المونديال في اراضيها المصدر لي ميونغ باك ص ٣١٠

وصل البلد موحد من خلال النجاح الاقتصادي في التصنيع في فترة الستينات وتحقيق ديمقراطية ناجحة واقيمت دورة الالعاب للفترة ١٧ايلول الى ٢تشرين الاول ١٩٨٨المصدر Kim yuk hoon ,Korean history for International citizens,2007

كانت الشركات الكورية لها موقف واضح من خلال رسم الافكار والابتكار وادخال العملة الصعبة الى جمهورية كوريا وعام ١٩٨٨وصلت البلاد الى مرحلة التحديث الاقتصادي طلال اسماعيل ابراهيم, التجربة الكورية, ٢٠١٤

بدأت كوريا تتوسع عن طرق ريادة التعليم واعادة الموروث الثقافي والاجتماعي الى الواجهة بعد فترة الاحتلال الياباني وعدم الاستقرار السياسي وكان لابد من الاتصال الخارجي مع جميع الحضارات في العالم واستخدام العقل وسياسة التعلم والنهضة الاجتماعية واستطاع الكوريين تحقيق استقلال سياسي واقتصادي واجتماعي عام ١٩٨٨المصدر طلال اسماعيل ابراهيم , ٢٤٣

الخــاتمة

من خلال بحثنا دورة الالعاب الاولمبية عام ١٩٨٨واكتمال تحديث جمهورية كوريا ، توصلنا الى مجموعة من الاستنتاجات ، والتي من الممكن ان نوجزها وفق الاتي:

اولا: الاستنتاجات.

١-عملت جمهورية كوريا جاهدة على المستوى السياسي الى الوصول الى مراحل التحديث السياسي واكتمال تتويج ذلك الحدث السياسي بعد التحول الديمقراطي عام ١٩٨٨واستضافة اولمبياد سيئول جميع مكونات واطياف البلدان .

٢-استكملت جمهورية كوريا مراحل التحديث الاقتصادي عن طريق كبرى الشركات الكورية وعلى رأس الهرم الشيبول الذراع التنفيذي في تنفيذ المشاريع التنموية ونجاح شركة هيونداي الراعي الاول في استضافة اولمبياد عام ١٩٨٨على ارض جمهورية كوريا.

٣-اعطت انطباع واضح عقد اولمبياد سيئول رقم ٢٤على ارض جمهورية كوريا مدى التلاحم والوحدة الكورية واستكمال التحديث السياسي والاقتصادي والاجتماعي على مستوى البلاد .

٤- استطاعت جمهورية كوريا الحفاظ على الارث الحضاري والموروث الثقافي واختزاله من من خلال النجاح على المستوى الثقافي والاجتماعي في فعاليات اولمبياد جمهورية كوريا عام ١٩٨٨.

هوامش البحث:

١-خدمة الاستعلامات الكورية فيما وراء البحار, حقائق عن كوريا, ط١٨,مؤسسة هالنيم للنشر, كوريا,ص٩٨

2-Hood. Christopher .japaneseEducation ReformNaka SonesLegacy, London 2001.p108

٣-طلال اسماعيل ابراهيم ,التجربة الكورية دراسة ثنائية التقليد والحداثة في جمهورية كوريا ١٩٤٨-١٩٨٨,رسالة ماجستير غير منشورة ,جامعة بغداد, كلية الاداب , ٢٠١٤,ص١٠٩

٤-نجلاء الرفاعي ,التحول الديمقراطي في كوريا الجنوبية "التحولات السياسية في كوريا"مركز الدراسات الاسيوية ,كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ,جامعة القاهرة ,٢٠٠٢,ص ١١٨-١١٩-١٢٠

5-jung Hae Gu kim Hoki, Development of Democratization movementinsouth korea,p.10

6-Beakokk Young. Choji Hyung. Ham Dony. ujunjbyonyjoon, lee Hyanssooksohnjungsookunderstandingkorean Hitsory, Korean, 2011, p266-267

٧-جريدة القادسية ,ماذا يعني فوز مرشح الحكومة لرئاسة كوريا الجنوبية ,العراق ,١٩٨٧

٨-جريدة الرأي العام, البلد الذي تتجاذبه وجهتا النظر للمتطرفين ,العدد ٨١٦١,الكويت ,١٩٨٦

9-jung hae gu,op.cit.p11

10-lbid,p11

11-lbid,p276

12-lbid,p11-12

١٣-جريدة الوطن ,اعتقال صحفيين في كوريا الجنوبية ,العدد ٤٤٢٤,الكويت

١٤-جريدة الاهرام ,توقعات باعلان الطؤارى في كوريا الجنوبية لمواجهة تصاعد مظاهرات الاحتجاج العدد ٣٦٧١٢,القاهرة ,١٩٨٧

١٥-مجلة المصور, العدد ٣٢٦٣,القاهرة ,١٩٨٧

١٦-جريدة الاهرام ,توحيد فصائل المعارضة بكوريا الجنوبية للمطالبة بمزيد من الديمقراطية والحرية السياسية ,العدد ٣٦٦٦٩,القاهرة ,١٩٨٧

١٧-جريدة السياسة ,هل تنحاز ادارة ريغان للمعارضة في سيئول العدد ٦٧١٩,الكويت ,١٩٨٧

١٨-جريدة الرائ العام ,في كوريا انقسام المعارضة حول الاصلاح الدستوري العدد ٨٤٠١في عام ١٩٨٧

١٩-جريدة الاهرام ,بوادر ازمة سياسية في كوريا الجنوبية العدد ٣٦٦٥٣القاهرة ١٩٨٧

٢٠-جريدة الاخبار ,تعديل دستور في كوريا الجنوبية بعد دورة الالعاب الاولمبية العدد ١٠٨٩القاهرة ١٩٨٧

٢١-علاء سالم ,كوريا الجنوبية ورياح التغيير الديمقراطية ,مجلة السياسة الدولية ,القاهرة,١٩٨٨,ص ٢٢٥، The New Encyclopedia Britannica Ready Refevence.Vol.10.2010.p140

٢٢-علاء سالم ,المصدر السابق,ص ٢٢٥

٢٣-مجلة اليوم السابع ,الانتخابات الرئاسية لم تنته الازمة في كوريا الجنوبية ,العدد ٩٠,فرنسا,١٩٨٧

٢٤-نجلاء الرفاعي ,التحول الديمقراطي في كوريا "التحولات السياسية في كوريا "مركز الدراسات الاسيوية ,كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ,جامعة القاهرة,٢٠٠٢, ص ١١٢

٢٥-رضا محمد هلال , الاطار التاريخي لتطور النظام السياسي الكوري في الفترة من ١٩٤٨-١٩٩٣,التحولات السياسية في كوريا,تحرير عبد العزيز شادي ,مدحت ايوب ,الدراسات الاسيوية ,كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ,جامعة القاهرة,٢٠٠٢

٢٦-خديجة عرفة, واقع ومراحل التحول الديمقراطي في جمهورية كوريا "التحول الديمقراطي في كوريا" تحرير هدى ميتكسين ,مركز الدراسات الاسيوية ,كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ,جامعة القاهرة,٢٠٠٧,ص ١١

٢٧-سعيد رشيد عبد النبي, التجربة الكورية الجنوبية في التنمية, مجلة دراسات دولية ,العدد ٣٨,ص ٤٤-٤٥

٢٨-جريدة الاهرام,المعارضة الكورية وقبل ان تلوم الاخرين ,العدد ٣٦٠٠٩٦القاهرة ,١٩٨٧

٢٩-جريدة الانباء,سيئول انقسام المعارضة يوفر النجاح لمرشح الحكومة العدد ٤٢٤٦الكويت ١٩٨٧

٣٠-جريدة الثورة ,تحديد موعد انتخابات الرئاسية في كوريا الجنوبية العدد ٦٣٨٤,العراق ,١٩٨٧,جريدة العراق,رئيس كوريا الجنوبية يتعهد باجراء الاصلاحات الديمقراطية وتحقيق المصالحة الوطنية,العدد ٣٦٩٣العراق ١٩٨٨

٣١-جريدة القبس ,سيئول تعديل حكومي رئيس روه عزل كل الوزراء باستثناء ثلاثة ,العدد ٥٩٥٢,الكويت ١٩٨٨,

٣٢-مجلة الدستور,اولمبياد الشمال واولمبياد الجنوب العدد ٥٣٣لندن ١٩٨٨

٣٣-سليمان مظهر, سياحة في ربوع النمور الاسيوية ,هونغ كونغ ,سنغافورة, تايوان ,كوريا الجنوبية, تقديم ممتاز السويفي ,ط١, القاهرة ,الدار المصرية اللبنانية ,١٩٩٧,ص ٢٤٣

٣٤-جريدة الانباء ,كوريا الجنوبية تشدد اجراءات مكافحة الارهاب خلال دورة الالعاب الاولمبية ,العدد ٤٤٧٤,الكويت ١٩٨٨

٣٥-جريدة السياسة ,خريف ساخن ينتظر الرئيس الكوري الجنوبي واحتمال تعديلات حكومية وحزبية ,العدد ٧٢٥٥,الكويت ١٩٨٨

٣٦-arabickoreannet دورة الالعاب الاولمبية الصيفية في سيئول

٣٧-محمد عبدالله راضي, تطور ظاهرة الصراع الدولي وافاقها في القرن الحادي والعشرين ,رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية العلوم السياسية ,جامعة النهرين,٢٠٠٥,ص ٩٠-٩١

38-Baek OkkYoung,opcit,p350

39-Haskong and yonns unkoh,The Korean Economy, Six Decades of Growth, p.133

40-Baek OkkYoung,opcit,p.250

41-lbid,p.272

٤٢-يونس العزاوي ,طبيعة العمل السياسي في الدول النامية دراسة مقارنة مجلة الاقتصاد والعلوم السياسية ,جامعة بغداد ,كلية الاقتصاد والعلوم السياسية العدد الاول المجلد الاول ١٩٦٩,ص ١٩٦-١٩٨

٤٣-سمير زهير الصوص ,التنمية الاقتصادية واقتصاد السوق لدول الشرق الاوسط وافريقيا, ص ٣٨

44- Baek OkkYoung,opcit,p272-273,Hsakong,lbid,p.16

٤٥-Baekokkyoung,p.273,جابر سعيد عوض ,الدور التنموي في كوريا الجنوبية بين الاستمرارية والتغيير"دور الدولة بين الاستمرارية والتغييرفي الخبرة الاسيوية "تحرير جابر عوض ,مركز الدراسات الاسيوية كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ,٢٠٠٩,ص١٠٦

٤٦-محمد امين شلقامي , فهم التجربة الكورية وسبل الاستفادة منها: دليل عملي اوراق اسيوية ,مركز الدراسات الاسيوية ,جامعة القاهرة, كلية الادارة والعلوم السياسية ,العدد ٣٦, ٢٠٠١,ص ٢٥-٢٦

٤٧-جابر عوض, الدور التنموي لكوريا الجنوبية بين الاستمرارية والتغيير,ص ١٠٥,المصدر السابق

48-Korea Pastan Present,Kwang Myong Publishing company Korea.Seoul.p.181-203

٤٩-سمير زهير الصوص , المصدر السابق, ص ٥٤

٥٠-مجلة التضامن ,المعجزة الاقتصادية والمأزق ,العدد ٢٧٥,فرنسا,١٩٨٨

٥١-ترجمة جوزيف ملكون عن مجلة نيويورك جريدة الجمهورية مؤتمر سيئول النقدي يدعو الجميع لحل مشكلة الديون العدد ٥٨٩٤العراق ١٩٨٥

٥٢-جريدة الوطن ,التحدي القادم من الشرق الاسيوي كوريا الجنوبية,العدد ٤٢٣٧,الكويت ,١٩٨٦

٥٣-لي ميونغ باك ,المصدر السابق ,ص ٣١٠

54-Kim Yuk hoon,Korean history for lnternational citizens,2007

٥٥-طلال اسماعيل ابراهيم, المصدر السابق ,ص ٢٤٣

٥٦-المصدر نفسه, ص ٢٤٣

قائمة المصادر والمراجع:

٥٧-فاروق خالد الطيف المعيوف, شونغ هي بارك ودوره السياسي والاقتصادي في جمهورية كوريا١٩٦١-١٩٧٩,رسالة ماجستير غير منشورة ,جامعة سامراء ,كلية التربية ,٢٠١٧,ص٢٣٧.

الأدوار الحضارية في قلعة أربيل

أ.م.د عادل فائق رشيد

الجامعة العراقية – كلية الآداب

قسم التاريخ

adel_rachid@aliraqia.edu.iq

الأدوار الحضارية في قلعة أربيل

أ.م.د عادل فائق رشيد

ملخص:

مدينة أربيل هي عاصمة أقليم كردستان العراق وتقع المحافظة بين خط العرض (٣٧) وخط الطول (٤٥)، ويعد حي القلعة التاريخية في المدينة أعلى نقطة فيها حيث يصل إرتفاعه الى ٤١٤ م فوق مستوى سطح البحر. تتمتع أربيل بتاريخ طويل من الإستيطان تمتد الى حدود الألف السادس قبل الميلاد، وشهدت المدينة أحداثا على أهمية كبيرة من التاريخ العالمي، وتتمثل أهمية قلعة أربيل في كونها واحدة من أقدم المواقع المأهولة بالسكان وبشكل مستمر الأمر الذي يجعلها شاهدة على التعاقب الحضاري والتاريخي، ولعل قلعة أربيل المكان الأكثر تمييزاً من بينها و أنها تعد بدورها مستوطنة حضرية مميزة تستقر على قمة تل أثري والتي هو نتيجة تتابع سكني حضري يمتد عبر التاريخ.

كلمات مفتاحية: قلعة أربيل – تتابع السكنى – بلاد الرافدين.

Civilizational Levels at Erbil Citadel

Iraqi University – College of Arts
History Dept.
Assistant Prof. Adel Faiq Rashid, PhD.
Adel_rachid@aliraqia.edu.iq

Abstract:

City of Erbil is the Capital of the Kurdistan Regional Government, it is situated between Width line (37) and Longitude line (45), the historical citadel represents its highest peak reaching (414) meters above sea level. The city of Erbil itself represented with a long history of occupation that extends approximately to the sixth millennium B.C and witnessed major historical events, the citadel's importance is being one of the oldest successive inhabited locations which makes it an eyewitness upon historical and civilizational

succession, perhaps the citadel is most distinguished, extending on top of archaeological mound that was consisted of successive occupation levels extends through history.

Keywords: Erbil Citadel – Occupation succession – Mesopotamia

المقدمة

تتمع مدينة أربيل بتاريخ طويل من الإستيطان وتبدو آثار السكنى واضحة على عموم طبقاتها الأثرية، تمتد أقدم الأدوار الحضارية في قلعة أربيل الى حدود الألف السادس ق.م وهي تتقدم الأدوار الحضارية الأقدم التي ظهرت في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين، أذ ظهرت الأدوار المتأخرة من العصر الحجري الحديث حيث إستغل فلاحو ذلك العصر منطقة القلعة بشكل خاص ومدينة أربيل بشكل عام كمناطق زراعية لهم إستمرت منذ زمن العصر الحجري الحديث مروراً بالعصر الحجري المعدني حتى نهايات دور العبيد، فضلاً عن التوازي الواضح في أدوار قلعة أربيل مع الخط الزمني لمواقع جنوبي بلاد الرافدين مثل العصر الأكدي والسومري الحديث والعصور الآشورية، بذلك تعد قلعة أربيل مستوطنة حضرية تكونت بفعل التتابع الطبقي الممتد عبر التاريخ وأنها الموقع الذي يشهد على عملية تتابع المواضع وإشغالها بالسكنى لإعتبارات دفاعية وبيئية جعلتها موقعاً مميزاً للإستيطان.

القلعة الأثرية:

جائت القلعة بشكل بيضوي، وبإرتفاع يصل لقرابة الثلاثين متراً، تطل على الهضاب العالية لبلاد الرافدين وتمتد حتى حدود جبال زاكروس، شهد هذا التل اقدم أدوار البنائية التي ترجع لحوالي ٦٠٠٠ سنة ق.م[١]، وتعد القلعة واحدة من أقدم المستوطنات المأهولة بالسكان ، ومن خلال تاريخها الطويل ضمت معابداً للألهة القديمة فضلاً عن كونها مركزاً تجارياً مهماً يقع على حدود خطوط المواجهة مع العديد من الإمبراطوريات وأثبتت القلعة إنها كانت حصنا منيعاً بسبب موقعها الإستراتيجي المرتفع وجوانب تلالها المنحدرة فضلاً عن واجهات بيوتها التي شكلت حائط صد بوجه الغزاة[٢].

ولايزال التاريخ القديم القديم لمدينة أربيل مختبئاً تحت كثافة البيوت المشّيدة ما بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادية، والتي تنتصب شامخةً على قمة القلعة ، على الرغم

من ذلك فأن تاريخ هذه المدينة لا يخفى عن أحد وسميت هذه المدينة (أربيلا)[٣] ووجدت تسميتها متداخلة مع الكثير من النصوص المسمارية التي عثر عليها في مواقع أخرى، التنقيبات الاخيرة التي شُرع بها عند الحافة الشمالية من الموقع الخاص بالتل الكبير أظهرت الآثار الأولى والأقدم من هذه المدينة اذ تبين وجود بنائين حجريين كبيرين أسفل مركز التل، والذي ربما يمثل موقع المعبد الحجري الكبير المخصص لعبادة الإلهة عشتار ألهة الحب والحرب، ويبدو من خلال النصوص المسمارية التي تركها الملوك اللآشوريون أنهم كانوا يطلبون العون والإرشاد من هذه الإلهة[٤].

هذا الموقع الذي يتوّسط سهلاً خصبا غنياً ،أعتمدت محاصيله على الري بالامطار فضلاً عن إعتباره معبراً للشرق وموقع يربط ما بين الطرق المؤدية الى الخليج العربي وتلك المؤدية الى جنوب بلاد الأناضول، هذا الموقع الأستراتيجي لمدينة اربيل كان بذاته سبباً لمعاناة سكانها من الغزوات المتتابعة التي كان عليهم التصدي لها، وربما أقدمها محاولة التصدي لجنود مدينة أور السومريون فضلاً عن الهجمات الثلاثة بقيادة الأمبراطورية الرومانية ، وفي أزمان أحدث تصدّت المدينة لجحافل جيش جنكيز خان في القرن الثالث عشر الميلادي[٥].

<u>التحريات والمسوحات الأثرية في مدينة أربيل</u>

بدأ مشروع التحريات الأثرية في مدينة أربيل منذ العام ٢٠١٢ من قبل بعثة من جامعة هارفرد الأميركية والتي كانت تستهدف تغطية ما مقداره ٣٢٠٠ كم مربع من المنطقة المحيطة بمدينة أربيل نفسها وبمدة زمنية تقدر بعشر سنوات للإنتهاء من المشروع، ويتضمن النطاق الزمني للمسح المدة منذ العصور الحجرية القديمة وحتى الأدوار التاريخية الأحدث، مشروع مسح مدينة أربيل الآثاري يعرف تحت إسم EPAS[٦] ، ويتضمن تخطيط المواقع الأثرية والملامح الأرضية المحتملة والتي تحوي بداخلها مواقعا آثارية خلال مدة تغطي عشرة آلاف سنة مضت، ويتركز الجهد جغرافياً على السهل المحيط بمدينة أربيل التي هي غنية بالمواقع واللقى الآثارية، وتركز عملية EPAS، على تفحص تاريخ المستوطنات منذ العصر الحجري الحديث، يعتمد البرنامج في أساسه على تحقيق أهداف عدة منها، التعريف بالمواقع الأثرية ورسم الخرائط فضلا عن تأريخ إستيطان أغلب المواقع الاثارية

وكذلك القيام بعملية رسم لقنوات الري القديمة سواء أكانت بقاياها ظاهرة على السطح أم مندثرة ، فضلا عن رسم خرائط الطرق القديمة والمسارات وتأسيس قاعدة معلومات مكانية بالتعاون مع دائرة الآثار والتراث في بغداد، فضلا عن القيام بتدريب الطلبة الأجانب والعراقيين على تقنيات المسوحات الآثارية وأستخدام نظم المعلومات الجغرافية[٧].

المسوحات الأثرية في قلعة أربيل

بدأت المسوحات الأثرية التي خصصت في قلعة أربيل في العام ٢٠١٣ وخصصت للمشروع فترة خمس سنوات، وتعد القلعة موقع أساسي من ناحية المساحة وكذلك الحجم، تتألف المدينة التاريخية بصورة عامة من تل دائري الشكل تقريبا بأرتفاع ثلاثين متراً ويغطي مساحة من الأرض تقدر بحوالي ١٥٠ ألف متر مربع ونتيجة للتتابع السكني وصل للإرتفاع الذي هو عليه الآن وتسمى القلعة بالعامية بـ (كيلاي أو قلعات) وتحتوي القلعة داخل حدودها على ٣٢٢ مجموعة بنائية، فضلا عن عدة أمكنة عامة كالمساجد والحمامات العامة والتي تعود بفترتها الزمنية الى القرن الثامن عشر الميلادي[٨].

تتابع السكنى في الموقع وطول فترة الاستيطان في القلعة يضعها من بين من أهم المواقع في بلاد الرافدين، لهذه القلعة أهمية كامنة كبيرة في تفّهم التراث الاثاري للعراق بصورة عامة، تقدم القلعة تتابعا أثريا كبيرا يمتد من الطبقات الإستيطانية العائدة لعصور ما قبل التاريخ حتى وقتنا الحاضر، الإستكشافات الأثرية فيها يمكن أن تقود الى إكتشافات على مستوى كبير من الأهمية[٩]. وفيما يخص التنقيب وإستراتيجية العمل، تم عمل تقييم لكيفية تنفيذ عملية البحث الاثاري التي يمكن الاضطلاع بها أعتمادا على التقييم الطوبوغرافي للقلعة وتحديد المناطق المحتملة للشروع بالعمل والتي تتنوع من العمليات الصغيرة التي تهدف لأستبعاد الملامح العمارية الشاخصة من التنقيبات الكبرى، بدأت أعمال التنقيب في محيط التل ألمنطقة ب، أما التنقيبات في المنطقة أ فكانت تستهدف مقياسا كبيرا من أرض التل التي تتركز في منطقة المركز وجرى التركيز على منطقة المركز بأعتبارها المنطقة التي على الأغلب ستقدم تتابعا زمنيا كاملا للإستيطان نزولا للمواقع التي تعود الى عصور ما قبل التاريخ، التنقيب بدأ بالطبقات العائدة للعصور الوسطى ومساجد العصر العثماني نزولا الى الكاتدرائية والكنائس المسيحية ومنها سبر الأدوار الأقدم وصولاً الى معبد عشتار من العصر

الآشوري، علما أن المنطقة المعدّة للتنقيب كانت بقياس ٢٠ في ٢٠ متر، التنقيبات في المنطقة ب والتي تستهدف تفحص التحصينات الدفاعية لمنطقة القلعة فقد أظهرت في الجهة الغربية من التل حيث بوابة آميدي أوعميدي،اذ كانت هناك ساحة فارغة في الخط المتتابع لما يمكن تسميته بالقصور التي تحد الخط الخارجي بأعتبارها حائط الصد الخارجي للقلعة، كما وأستهدفت التنقيبات موقع البوابة المحتمل وتم حفر خمس خنادق إختبارية لغرض التأكد من موقع البوابة ومن ثم الشروع بعملية أعادة البناء، أما بعد تفحص المنطقة المنحدرة التي تقع خارج منطقة التل والتي تكونت أصلا من الفراغات التي تم تسويتها من قبل السكان، ظهرت بقايا من طبقة سميكة من الرماد في مكان الردم الاساسي والتي قد عملت أساسا من الطين الأحمر والطين الرمادي والتي أستخدمت في سد الفراغات في المنطقة المنحدرة من التل والتي ربما أستخدمت كقواعد لأرضية مستوية لغرض أنشاء بعض البيوت الكبيرة عليها، على هذا يمكن تقدير الأساسات في المنطقة المنحدرة الى حوالي العام ١٧٤٥ م[١٠].

ويمكن تلخيص مواد البناء المستخدمة في تشييد القلعة الى عدة أنواع:

- الجدران والتي تتألف من صفوف من الطابوق الصلب المرتبة في صفوف الجدران مع درجات متباينة من الحرق وبسمك يتراوح بين ٣٠-١٠٠ سم فضلا عن بعض الجدران التي تستند على الأحجار.
- شيدت الأسس بداخل الارض والتي ردمت أسافلها بقع من الحجر والحصى ذات الأحجام المختلفة[١١].
- أعتمدت أغلب الارضيات على جذوع أشجار النخيل كما يمكن ملاحظة أثار السعف والطبقات الطينية من الملاط التي أستخدمت لتغليف الأرضية.
- التسقيف: جاءت السقوف بشكل مستوي وعملت من الأخشاب المكسوة بمادة الطين بسمك لايتجاوز ٥٠ سم وغطيت بالطابوق المملط بطبقات من الطين لضمان عدم تسريب مياه الامطار[١٢].
- تغليف الجدران: غلفت الجدران بالملاط الطيني بسمك يتراوح من واحد الى ثلاثة سنتيمترات المغطى نفسه بطبقة من الرائب الكلسي او الجص[١٣].

الملاحظات العامة حول عملية المسح الاثري لمدينة أربيل

أستمر مشروع EPAS سبعة مواسم ما بين الأعوام ٢٠١٢-٢٠٢٠، تعرض المشروع للتوقف بسبب الظروف الأمنية بسبب وجود تنظيم داعش وعمليات التحرير في المنطقة، تمكن العاملون بخاصة في تقريرهم الأخير من تمييز العديد من المواقع الأثرية المحتملة فضلا عن زيارة وتفحص ١١٤ موقعا ، غطى المشروع كما مرّ الذكر مساحة تقدر بحوالي ٣٢٠٠ كم مربع حول مدينة أربيل، كذلك تمكنت البعثة الخاصة بالمسح من الوصول الى المناطق شمالي مدينة أربيل بحثا عن القناة الثانوية التي أمر الملك الأشوري سنحاريب بحفرها حتى تقوم بنقل المياه من موقع بستوراجاي الى عاصمة المقاطعة (آرابيل)، فضلا عن ذلك تمكنت البعثة من الكشف عن مستوطنة من العصر الحجري المعدني وان الجزء المؤكد من المعلومة أن السهل المركزي من مدينة أربيل كان قد تم أستغلاله من قبل مزارعي العصر الحجري الحديث وتم ريّه بصورة كبيرة خلال آلاف السنين الماضية وأن مواقع مزارعي العصر الحجري الحديث قد أندرست تحت الترسبات الكثيرة المتتابعة في أرض السهل[١٤]، فضلا عن الكشف عن مواقع السكنى الدائمة تم الكشف عنها والتي تعود الى عصر حسونة (الطور الأول) و دور حلف (الطور الثاني)[١٥]، دور العبيد (الفترة الثالثة) وكانت مواقع هذه الفترات صغيرة عموما وكذلك عددها قليلاً يتراوح ما بين التسعة عشر الى ست وعشرين موقعاً، خلال عصر العبيد عثر على أربعة مواقع بمساحة تتجاوز الخمسة هكتارات[١٦]، وتجدر الإشارة الى مواقع العصر الحجري الحديث المتأخر والعصر الحجري المعدني لم تكن موزعة بشكل متساوي على أرض السهل بل كانت تتركز في المنطقة المركزية المعروفة حالياً بإسم شماموك[١٧].

من المكتشفات المهمة الأخرى في منطقة المسح هو العثور على المستوطنات التي تعود الى الألف الرابع قبل الميلاد المتمثل بتوسع (دور الوركاء)، حيث بدأت المستوطنات في الألف الرابع بالتوسع بشكل غير مسبوق في منطقة شمالي العراق حيث أخذ التتابع الفخاري بالظهور خاصة بما يعرف بفخار عصر الوركاء، وأخذت المستوطنات في سهل أربيل بالتطبع بمميزات فخار العصر المذكور وتمكنت البعثة من العثور على ما يزيد عن ٦١ ألف كسرة من الفخار وتم تصنيف ١٤ ألف قطعة منها حسب تقسيم الفخار ومنها ما

يعود بكل تأكيد الى دور الوركاء فضلا عن مشابهة بعض الفخاريات مع فخار تل براك في سوريا[١٨].

الأدوار الحضارية التي مرت على مدينة أربيل (القلعة)

أولاً:عصور قبل التاريخ:

ظهرت الأدلة على إستيطان قلعة أربيل في عصر العبيد (٥٠٠٠-٤٠٠٠ ق.م) وتعد القلعة مركزا نموذجياً بأعتبارها مركزا حضريا لهذه الثقافة، ولم يتم العثور على أية وثائق كتابية للحقب التاريخية الاولى المتمثلة بالعصر الشبيه بالكتابي الأ أن الأدلة جاءت عن طريق التنقيبات الاثارية حصراً[١٩].

ثانياً: العصر الأكدي- السومري الحديث:

جاءت الوثائق الكتابية الأقدم والتي تذكر أسم مدينة أربيل من النصوص المعروفة بنصوص أيبلا من بلاد سوريا والتي يمكن تأريخها بحدود ٢٣٠٠ ق.م، الوثيقة الكتابية الثانية جاءت بعدها بحوالي المئة عام والتي توثّق إلقاء القبض على حاكم أربيل من قبل ملك الكوتيين، بعد ذلك بحوالي المئة عام ظهرت العديد من الألواح الكتابية السومرية ذات الصيغة التاريخية أو ما تسمى بالـ date formula [٢٠] ، ذلك في السنة الرابعة والخمسين من حكم الملك شولكي (أبن مؤسس سلالة أور الثالثة الملك أورنمو) الذي يوصف بأنه: "**الملك القوي، ملك أور، ملك الجهات الأربعة، حطّم رؤوس (أوربيلوم) و (سيميروم) واللولوبو و قارهار بحملة عسكرية واحدة**"...

ويبدو أن مدينة أربيل قد أنتفضت ضد الملك السومري الأمر الذي دفعه للقيام بحملة تأديبية لأعادة فرض سلطته، بعد خمسة سنوات من هذه الحملة التأديبية أنتفضت أربيل ضد الحاكم السومري الذي نصبّه أبن شولكي (أمار- سن) وسمى السنة الثانية من حكمه بالسنة التي دمّر فيها أمار- سن مدينة أربيلوم، في الواقع لم يكن الدمار كاملا في المدينة بدليل العثور على العديد من الالواح الطينية التي تؤرخ لحكم شولكي و أمارسن في السنوات التالية لهذه الحوادث وحتى في زمن الملوك اللاحقين الذين ذكروا أسم المدينة وبكونها مستمرة الوجود وبصورة متعاقبة[٢١].

ثالثاً: أربيل خلال العصر الآشوري:

تم الكشف في الأدوار الحضارية الآشورية من القلعة عن المعبد المخصص للإلهة عشتار والذي يعد واحدا من أهم مراكز العبادة في بلاد الرافدين، ، شكلّت أربيل بنهاية الألف الثاني قبل الميلاد أمتدادا خطيا للمدن الآشورية ومنذ ذلك الوقت وحتى نهاية الدولة الآشورية تركت لنا كماً كبيرا من المعلومات عن معبد الالهة عشتار وكهنة معبدها والعرافين، المنجمين، الكتبة والكثير من الجوانب الادارية والاقتصادية وتفاصيل الحياة اليومية في مدينة أربيل والتي تعتبر البوابة لبلاد الأناضول وكذلك أيران، وكانت هذه المدينة الموقع الدبلوماسي للعديد مما يمكن تسميته بالبعثات الدبلوماسية كما وكانت مكانا للاحتفال الذي يقوم به الملوك الآشوريون[٢٢].

رابعاً: الفترات الميدية والأخمينية (٦١٢-٣٣١ ق.م):

بعد سقوط الامبراطورية الاشورية في ٦١٢ ق.م، يبدو أن الأمور الأدارية والتبعية من الناحية السياسية قد أصبحت بيد الميديين كما يبين ذلك تمثال برونزي كسر (عمداً) عثر عليه بالقرب من بحيرة أورميا في إيران، الميديون الذين ربما يكونوا (أجداداً) للكرد الحاليين، اشتهر منهم الحاكم الميدي الثائر شترانتاخما الذي أدعى أنه من العائلة الملكية وأنتفض ضد حكم داريوس الكبير الا انه هزم على يد داريوس نفسه بحدود ٥٢١ ق.م، ومن بعد ذلك التاريخ أصبحت المدينة جزءا من الامبراطورية الأخمينية ومعبراً على الطريق الاخميني الملكي، في العام ٣٣١ ق.م داريوس الثالث جعل من مدينة أربيل قاعدة له قبيل هزيمته الكبيرة في موقعة أربيلا على يد الأسكندر المقدوني[٢٣].

خامساً: الفترات الهيلينستية (٣٣١-١٢٦ ق.م):

بعد موت الأسكندر المقدوني المفاجيء أصبح ألاخ الوحيد (أمفيماكوس) حاكما على مدينة أربيل قبل أن تصبح جزءاً من الأمبراطورية السلوقية التي تشكلت لاحقاً من بعد وفاة الأسكندر وأقتسام الامبراطورية من قبل قادته الثلاث أنتيكوتس و بطليموس و سلوقس[٢٤].

سادساً: الفترة الفرثية (١٢٦ ق.م – ٢٢٤ ميلادية):

في العام ١٤١ ق.م سيطر الفرس الفرثيون على بلاد الرافدين، في العام ٨٨ ق.م قام تيكران ملك الاخمينيين بضم مدينة أربيل الى سلطته خلال المناوشات الفرثية – السلوقية الأ

أن طموح صهره بالسيطرة على المقاطعة الرومانية نتجت عن أرسال بعثات إستقصائية من قبل الامبراطورية الرومانية وبدأت أولى التدخلات الرومانية بالمنطقة بقيادة الجنرال بومبي الذي لاحق الملك الفرثي الى مدينة أربيل بحدود العام ٦٦ قبل الميلاد، القرن الأول الميلادي كان قرن سلام مع السلالة الحاكمة في المدينة والتي عرفت بمملكة أديابين والتي جعلت من أربيل عاصمة لها وأعتنق قسم من العائلة المالكة لهذ السلالة الديانة اليهودية، وكسبت كذلك الديانة المسيحية مغنما من مدينة أربيل حيث أصبح في المدينة كرسي ثابت للأسقف وفي القرون التالية أشتركت مدينة أربيل في الحروب التي وقعت ما بين الامبراطورية الفرثية والروم، وفي العام ١١٦ ميلادي قام الامبراطور الروماني تراجان بغزو المدينة وجعلها تابعة للامبراطورية الرومانية وكانت مدينة أربيل العاصمة للمقاطعات الاشورية السابقة ألا أن الروم أنسحبوا الى جبهة نهر الفرات الغربية بعد سنتين من ذلك التاريخ، لاحقاً الأمبراطور الروماني سيبتيموس سيفيروس أحتل مدينة أربيل بحدود ١٩٥ للميلاد ألا أنه أجبر على الانسحاب في السنة التالية بسبب ضغط الملك الفرثي فولوكاسيس الذي أجبر الرومان على الانسحاب الى نهر الزاب الكبير ألا أن الامبراطور الروماني كاركالا تمكن من أحتلال بارثيا مرة أخرى في ١١٦ ميلادية وقام بتدمير كافة القبور الملكية في مدينة أربيل[٢٥].

سابعاً:الفترة الساسانية (٢٢٤- ٦٣٨) م:

بقيت مدينة أربيل واجهة حدودية للصراع ما بين الامبراطوريتين الفرثية والرومانية وكذلك من بعدها الامبراطورية الساسانية ، قام الحاكم الساساني شاربور الثاني باحتلال المقاطعات الرومانية بحدود ٣٥٤ م وقام الامبراطور الروماني قسطنطين الثاني بأحتلال أديبين أنتقاما من الساسانيين، في القرن السابع الميلادي تحديداً ٦٢٧ قام الامبراطور البيزنطي هيراكليوس بعبور مقاطعة أربيل ليقضي على القائد الساساني بمعركة واحدة والتي عرفت بمعركة نينوى وكانت هذه الموقعة الحرب الأخيرة التي حدثت ما بين الروم والبيزنطيين وحكام بلاد فارس ومن بعدها سيطر العرب على مدينة أربيل في ٦٣٨ أي الفتح العربي الإسلامي للعراق[٢٦].

ثامناً: الفترات الاسلامية المبكرة، عهد الخلافة الأموية و العباسية (٦٣٨-١٢٥٨):

تمت السيطرة على مدينة أربيل من قبل العرب المسلمين (الفتح العربي الأسلامي) تحت قيادة جيش عتبة أبن فرقد وفي الفترات الأموية والعباسية اللاحقة ، تم أستبدال الطريق الملكي (الأخميني) السابق بطريق جديد يمر بالقرب من نهر دجلة من بعد السيطرة على قلعة زنكي في مدينة الموصل، ثم عادت الأهمية للطريق الملكي ومن بعد سقوط السلطان المظفر بحدود ١١٩٠ دخلت أربيل عهدها الذهبي الذي سرعان ما تلا شى على يد المغول[٢٧].

تاسعاً: عصر المغول ودولتي الخروف الاسود والخروف الابيض وعصر الدولة الصفوية (١٣٤٠-١٥٣٥):

قامت في مدينة أربيل إمارة مستقلة في العصر العباسي ، حالها في ذلك حال الإمارات الأخرى التي استقلت اسميا عن الخلافة ، وكانت تحت حكم الأمير مظفر الدين كوكبري ، الذي بذل قصارى جهده للتصدي للزحف المغولي القادم من الشرق ، كما أثنت المصادر الإسلامية على الدور الكبير لسكانها أثناء المحاولات المغولية لإحتلال مدينتهم ، فضلاً عن أنها أكدت على دور قلعتها الحصينة في كبح جماح المغول ، وافشال جميع محاولاتهم ، التي قاموا بها خلال السنوات بدءاً من ٦٢٩هـ/١٢٣١م وحتى ٦٥٦هـ او ١٢٥٢م[٢٨].

تمكن المغول من تدمير الجزء الاسفل من المدينة بعد فشل الحصار الذي فرضوه على المدينة ومن ثم سيطر المغول على المدينة من خلال التفاوض، وبذلك سلمت من تدمير المغول وفي الفترات المغولية اللاحقة أصبحت أربيل محطة توقف مهمة للطريق القادم من جنوبي العراق وأيران والمتوجه الى آسيا الوسطى والصين، من الامور المهمة في مدينة أربيل في هذه الفترة أنها أصبحت داراً لضرب النقود بحدود ١٣٣٩ ميلادي والتي حملت نقش إسم جيهان تيمور الذي يعد الاليخان المغولي الأخير، سيطرت عائلة أو دولة الخروف الأسود ومن ثم الخروف الأبيض تباعا على المدينة ومن بعدهم الامبراطورية الصفوية حتى العام ١٥٣٥.[٢٩]

عاشراً: عصر الدولة العثمانية (١٥٣٥-١٩١٨):

اصبحت أربيل جزءا من الدولة العثمانية في العام ١٥٣٥ وبقيت كذلك حتى القرن التاسع عشر الميلادي وكانت تحكم بصورة شبه دائمة من قبل أمراء أكراد والذين تمتعوا بقدر كبير من الحكم الذاتي، في العام ١٧٣٤ تمت محاصرة المدينة من قبل نادر شاه حاكم بلاد فارس ولمدة ستين يوما ومن بعد ذلك أعيدت الى أحضان الدولة العثمانية[٣٠].

ولأهمية المدينة وكثرة الأحداث التي وقعت فيها أو كانت جزءاً منها، سنقوم بأدراج جدول يوجز أهم الأحداث في المدينة وحسب التتابع الزمني:

٤٠٠٠ ق.م دور العبيد	وجود دلائل أثرية للاستيطان في تل القلعة في الوقت الذي تطورت فيه المراكز الحضرية[٣١]
٢٣٠٠-٢٢٨٠ ق.م	أقدم الأشارات التاريخية التي ذكرت أسم المدينة في السجلات الكتابية وبصيغة (أربيلوم) بواسطة مبعوث من مدينة أيبلا بسوريا
٢٢٠٠ ق.م	نيريشوخا، حاكم مدينة أربيل (أوربيلوم) تم ألقاء القبض عليه من قبل ملك الكوتيين أريدو- بيزير
٢١٠٠ ق.م عصر سلالة أور الثالثة	تم تدمير أربيل على يد الملك السومري شولكي ولاحقا تم تدمير المدينة كذلك على يد أبنه أمارسن، على الرغم من الدمار ألا أن الحياة أستمرت في المدينة
١٧١٦ق.م	مملكة أربيل (أوربيل) تم السيطرة عليها وأصبحت وللمرة الأولى تابعة لدولة آشور
١٢٧٣-١٢٤٤ ق.م	أربيل (أربابيل) أصبحت جزءا من الدولة الآشورية في عصرها الوسيط، تم في هذه الفترة تشييد معبد عشتار في أربيل وكذلك الزقورة
٨٥٦ ق.م	شلمنصر الثالث، الملك الآشوري يحتفل في معبد عشتار في قلعة أربيل بعد تحقيقه أنتصارا كبيرا على مملكة أورارتو
٧٠٤-٦٨١ ق.م	الملك الآشوري سنحاريب يشيّد قناة مائية تحت الأرض لجلب الماء من وادي بسطورا الى مركز مدينة أربيل

٦٨٠-٦٦٩ ق.م	الملك الآشوري أسرحدون يغلف جدران معبد الالهة عشتار بألواح سبيكة الالكتروم ويقوم بنصب تماثيل من الذهب والفضة
٦٦٨-٦٢٧ ق.م	الملك الآشوري آشوربانيبال يضطلع بأعمال كبيرة لأجل أعادة أعمار معبد الالهة عشتار ويقوم بأكمال جدار المعبد الخارجي المسمى (المشرق كالنهار) ويغلفه بألواح من النحاس والذهب وفي العام التالي أحتفل الملك بأنتصاره على بلاد عيلام
٦١٢ ق.م	تم أخراج نينوى من التحالف الميدي والبابلي وربما في هذه السنة التي هي سقوط بلاد آشور تم نهب معبد الالهة عشتار
٣٣١ ق.م	الملك الأخميني داريوس الثالث يجعل من أربيل مركزا له قبل أن يحترب مع الأسكندر المقدوني في موقعة اربيلا
٣١٠ ق.م	مدينة أربيل تصبح جزءا من الدولة السلوقية
٨٨ ق.م	تيجران، الملك العظيم لأرمينيا، يقوم بالسيطرة على أربيل وجعلها من ضمن مظلة أمبراطوريته القصيرة الأمد
القرن الاول الميلادي	آديبين، المملكة الاربيلية التابعة للامبراطورية الفرثية، أصبحت أربيل في هذا القرن مركزا مهما للديانتين اليهودية والمسيحية على حد سواء
١١٦ م	الإمبراطور الروماني تاجان يتخذ من أربيل عاصمة له لمدة سنتان تقريبا
١٩٥ م	أربيل يتم أحتلالها من قبل الإمبراطور الروماني سيبتيموس سيفيروس ألا أنه يضطر للانسحاب في العام التالي
٢١٦ م	الإمبراطور الروماني كاراكالا يهجم على المدينة ويقوم بتدمير جميع الاضرحة الملكية الفرثية ألا أنه يضطر للانسحاب بعد ضغط الملك الفرثي أرتابانوس
٣٥٤ م	قسطنطين الثاني يغزو المدينة ويمنحها أسما مناسبا للنصر بعنوان آديابينيكوس ماكسيموس
٤٠٦-٤٣٠ م	دانييل أسقف أربيلا يصعد برتبها الى ميتروبوليتان
٤٥٠- ٤٩٨ م	كاتدرائية مدينة أربيل يتم بناؤها من قبل الميتروبوليتان ابوشا
٦٢٧ م	الإمبراطور البيزنطي هيراكليوس يقتحم مدينة أربيل للقضاء على الملك الساساني خوسرو الثاني
٦٣٨ م	أربيل تحت سيطرة العرب المسلمين الفاتحين بقيادة عتبة ابن فرقد
٧٥٠ م	نهاية الخلافة الاموية وهزيمة مروان الثاني في معركة الزاب الكبير

١١٢٦ م	السيطرة على القلعة من قبل نور الدين زنكي
١١٦٧ م	يؤسس زين الدين علي كوجوك أمارته ويجعل أربيل عاصمة له
١٢٣٢ م	الخليفة العباسي المستنصر بالله يحاصر المدينة ليثبت سلطته بعد وفاة مظفر الدين
١٢٣٦ م	تم إحراق المدينة السفلية ومحاصرة القلعة لمدة خمس واربعون يوما من قبل المغول
١٢٥٨ م	ينتهي الحصار الطويل للقلعة عندما يتم شراؤها من قبل حاكم الموصل بدر الدين لؤلوء
١٢٦٨ م	النسطوري الكاثوليكي مار دنخا يبني كنسية جديدة في القلعة
١٢٩٧ م	يتم محاصرة المسيحيين في القلعة
١٥٠٨ م	أربيل تصبح جزءا من الدولة الصفوية
١٥٣٤ م	أربيل تصبح جزءا من الدولة العثمانية
١٧٤٣ م	القلعة تسقط بعد حصار دام لمدة ستين يوما على يد الحاكم الفارسي نادر شاه
١٧٤٥ م	السلطان العثماني محمود الأول يأمر بأعادة أصلاح أسوار أربيل
١٨٣٥ م	قوات مير محمد راوندوزي حاكم سوران يتم محاصرتها في القلعة من قبل الجيش العثماني
١٩١٨ م	الحاكم العثماني ينسحب ويستبدل بحاكم يمثل الأدارة البريطانية
١٩٢١ م	يتم تأسيس الجمهورية العراقية
١٩٣٧ م	يتم أعلام موقع القلعة بأعتباره موقعاً محمياً

الإستنتاجات:

- تُعد قلعة أربيل واحدة من أقدم المواقع المأهولة بشكل مستمر في العالم، إذ تعود بداياتها إلى الألف الخامس قبل الميلاد تقريباً، مما جعلها شاهداً حياً على تطور الحضارات المتعاقبة في شمال بلاد الرافدين، وتمثل مدينة أربيل مثالاً واضحا عن الظاهرة المعروفة بتوارث المواقع، حيث أن المدينة أستمرت بالسكنى منذ عصور ما قبل التاريخ حتى عصرنا الحالي والملفت بالنظر أن السكنى لم تنقطع فيها على الرغم من التدمير والحروب الكبيرة التي قامت بها منذ عهد ملوك سومر وحتى العصور التاريخية الحديثة.
- تعد القلعة موقعا استراتيجيا جاذباً للإستقرار: ارتفاعها الطبيعي وموقعها عند تقاطع طرق التجارة بين الأناضول وبلاد الرافدين وزاكروس، ساهم في بقاء الاستيطان وعدم انقطاعه، تمكنت القلعة من التكيف مع العصور المختلفة، وإستمرت القلعة بالتجدد عبر العصور (السومرية، الآشورية، الأخمينية، الإسلامية والعثمانية) ما يدل على أن السكان أعادوا تهيئة عمرانها بما يلائم حاجاتهم الدفاعية والمعيشية.
- تتميز القلعة بمرونة دفاعية ثابتة عبر الزمن، أذ أن تحصيناتها كانت تُعدل حسب متطلبات المرحلة؛ من جدران طينية سميكة في العصور القديمة، إلى تحصينات حجرية واستعمال الآجر في المراحل الإسلامية والعثمانية.
- ضمت مدينة أربيل الى حدود الدولة الآشورية منذ العصر الاشوري القديم مروراً بالوسيط وأنتهاءا بالعصر الاشوري الحديث وأصبحت مركزا مهما لعبادة (عشتار أربيل) وشيّد لها معبدا مهما عرف بإسم (اي كاشان كلاما).
- أهتم الملوك الاشوريون أهتماما كبيرا بالمدينة وحفروا لها القنوات الاروائية كما فعل الملك الاشوري سنحاريب، أصبحت المدينة عاصمة للملوك الاشوريون أو مقرا مهما خاصة بعدما أتخذها الملك الاشوري آشوربانيبال قاعدة له وعمل على أعادة اعمار سور المدينة ومعبدها الرئيسي.

- ورد ذكر المدينة في الاحداث التاريخية المهمة كما هو الحال في موقعة أربيلا ما بين جيوش الملك الاخميني دارا الثالث وجيش الاسكندر المقدوني والتي أنتهت لمصلحة الاسكندر المقدوني في عام ٣٣١ ق.م.
- أصبحت أربيل في العصر الفرثي من المراكز الادارية الكبيرة والمهمة التابعة لمملكة حدياب الارامية والتي كان نفوذها يمتد الى الفرات غربا ونصيبين شمالا.
- وردت المدينة في كتابات البلدانيين العرب وأنهم كانوا يطلقون عليها إسم مدينة أربل.
- إن من أهم ما يميز المدينة المنطقة المركزية المرتفعة المسماة القلعة والتي يبدو أنها تكونت بسبب تتابع الإستيطان في هذه البقعة من الأرض فقد تشكل نتيجة لذلك تل أصطناعي يصل أرتفاعه الى ٣٢ متر فوق سطح الارض المجاورة له، وكانت قمة التل بأمتداد أقرب الى الشكل البيضوي أو الدائري.

قائمة المصادر:

1. Al Yaqoobi. D, Michelmore. D, Khasraw. R, Highlights of Erbil Citadel History & Architecture, Erbil, 2012.
2. Algaze. G, The Tigris-Euphrates Archaeological Reconnaissance Project, Final Report of the Cizre Dam and Cizre-Silopi Plain Survey Areas, (Anatolica:2012.
3. Amelie. K, The Assyrian Heartland in the Achaemenid Period, (UCL:1995).
4. Barton. G, The Semitic Ishtar Cult, Bryn College.
5. Boiy. T, Assyriology and the History of the Hellenistic Period, (Topoi:2007).
6. Chabr. T, Filipsky. D, Janicek.L and others, Research of the Arbil Citadel, Iraqi Kurdistan, First Season, (Pamatky Archeologicke:2008).
7. Dara. Al Yaqoobi ،David. Michelmore and Ranan.Khasraw ، Highlights of Erbil Citadel History & Architecture ،Erbil ،2012.
8. G. Reza, The Colossal Statue of Shapur I in the Context of Sasanian Sculptures, (New York:2012).
9. Housarova. E, Pavelka. K, Sedina. J, Study of Erbil Al –Qala citadel time changes by the comparison of historical and

contemporary image data, (European Journal of Remote Sensing:2018).
10. http://www.jstor.org/stable/24364531
11. https://whc.unesco.org/en/list/1437/
12. J .Martin and I. Paniagua ،Erbil Citadel Restoration: some thoughts on earth-built constructions exposed to seismic action ،INES Ingeneiros ،Spain.
13. J.A .Martin and I. Paniagua, Erbil Citadel Restoration: some thoughts on earth-built constructions exposed to seismic action, (INES Ingenious. Spain).
14. Jason. Ur ،Nader. Babakr ،Rocco. Palermo and Others ،The Erbil archaeological Survey: Preliminary report results ،2012-2020 ، IRAQ.
15. Jason. Ur, Erbil Plain Archaeology Survey, Harvard University, 2015.
16. Jason. Ur, Nader. Babakr, Rocco. Palermo and Others, The Erbil archaeological Survey: Preliminary report results, 2012-2020, IRAQ (2021.
17. Konstantinos. Kopanias and John. MacGinnis ،The Archaeology of the Kurdistan Region of Iraq and Adjacent Regions ،Oxford ،2016
18. Konstantinos. K, McGinnis. J, The Archaeology of the Kurdistan Region of Iraq and Adjacent Regions, Oxford, 2016.
19. Lawler ،A. (2014). Erbil Revealed. *Archaeology* ،*67*(5).
20. http://www.jstor.org/stable/24364531
21. Osman. A, The Citadel of Erbil: Structural Assessment and Preservation Measures, (Cairo University:2014.
22. Othman. S, The Bright Pages from Erbil History in the Ottoman Era, (Qalaai Zanist Journal:2018.
23. Ur. J, Babakr. N, Palermo. R and others, The Erbil Plain Archaeological Survey: Preliminary Results, 2012-2020, (Cambrdige:2021.

٢٤. فائز بخيت ،فتحي سالم، الصمود الاربلي في مواجهة الغزو المغولي من خلال المصادر الاسلامية، (بغداد. ٢٠١٩).

الهوامش:

[1] Housarova. E, Pavelka. K, Sedina. J, Study of Erbil Al –Qala citadel time changes by the comparison of historical and contemporary image data, (European Journal of Remote Sensing:2018), p.1.

[2] https://whc.unesco.org/en/list/1437/

[٣] وتعني مفردة (أربيلا) أو (اربائيلو) باللغة الأكدية الآلهة الأربعة، أذ أصبحت المدينة مركزاً لعبادة الإلهة عشتار والأله إنليل، للمزيد ينظر:

Barton. G, The Semitic Ishtar Cult, Byrn College.

[4] Lawler, A. (2014). Erbil Revealed. *Archaeology*, *67*(5), 38–43. http://www.jstor.org/stable/24364531

[5] Lawler, A. (2014). Erbil Revealed, P 40.

[٦] يقصد بـ EPAS مشروع مسح مدينة أربيل الأثري والحروف المختصرة تمثل Erbil Plain Archaeological Survey.

[7] Jason. Ur, Erbil Plain Archaeology Survey, Harvard University, 2015, p 16.

[8] J.A.Martin and I. Paniagua, Erbil Citadel Restoration: some thoughts on earth-built constructions exposed to seismic action,(INES Ingenious. Spain), p2.

[9] Dara. Al-Yaqoobi, Erbil Citadel Archeological Investigation, p 17.

[10] Konstantinos. K ,McGinnis. J, The Archaeology of the Kurdistan Region of Iraq and Adjacent Regions, Oxford, 2016, p 4.

[11] J. A. Martin and I. Paniagua, Erbil Citadel Restoration, p.3

[12] Osman. A, The Citadel of Erbil: Structural Assessment and Preservation Measures, (Cairo University:2014), p.3.

[13] Konstantinos. K, McGinnis. J, The Archaeology of the Kurdistan, p 586.

[14] Ur. J, Babakr. N, Palermo. R and others, The Erbil Plain Archaeological Survey: Preliminary Results, 2012-2020, (Cambrdige:2021), p.1.

[15] Algaze. G, The Tigris-Euphrates Archaeological Reconnaissance Project, Final Report of the Cizre Dam and Cizre-Silopi Plain Survey Areas, (Anatolica:2012), p.13.

[16] Ibid, p.16.

[١٧] **قصر شماموك** هو موقع أثري قديم في شمال العراق، يقع على بعد حوالي ٣٠ كيلومترًا جنوب أربيل الحديثة (أربيل القديمة، وربما أوربيلوم القديمة) في محافظة أربيل.

[18] Jason. Ur, Nader. Babakr, Rocco. Palermo and Others, The Erbil archaeological Survey: Preliminary report results, 2012-2020, IRAQ (2021), p 215.

[19] Chabr. T, Filipsky. D, Janicek.L and others, Research of the Arbil Citadel, Iraqi Kurdistan, First Season, (Pamatky Archeologicke:2008), p.259.

[٢٠] يقصد بهذا المصطلح، النظام الذي كان مستخدماً في كتابة النصوص المسمارية والتي تذكر أسماء السنوات بحسب أهم الأحداث التي كانت تقع بتلك السنين وبصورة خاصة بأعمال الملك في تلك السنة مثل عملية حفر قناة مائية جديدة أو تشييد مصلى أو معبد للأله.

[21] Al Yaqoobi. D, Michelmore. D , Khasraw. R, Highlights of Erbil Citadel History & Architecture, Erbil, 2012, p40.
[22] Ibid, p 40.
[23] Amelie. K, The Assyrian Heartland in the Achaemenid Period, (UCL:1995), p.239.
[24] Boiy. T, Assyriology and the History of the Hellenistic Period, (Topoi:2007), p.7.
[25] Dara. Al Yaqoobi ،Ibid, p 43.
[26] G. Reza, The Colossal Statue of Shapur I in the Context of Sasanian Sculptures, (New York:2012), p.3.
[27] Dara. Al Yaqoobi ,Ibid.
[٢٨] فائز بخيث ,فتحي سالم, الصمود الاربلي في مواجهة الغزو المغولي من خلال المصادر الاسلامية, (بغداد. ٢٠١٩)، ص٤١٤.
[29] Highlights of City of Erbil and its Citadel, Op. Cit, P 44.
[30] Othman. S, The Bright Pages from Erbil History in the Ottoman Era, (Qalaai Zanist Journal:2018), p.4.
[٣١] جميع المعلومات الواردة في الجدول مستقاة من المصدر:
Dara. Al Yaqoobi, Highlights on the city of Erbil.

البريديون في الدولة المملوكية

م.م. هيفاء طارش فنجان

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الاساسية/ قسم التاريخ

haifa_tarsh@uomustansiriyah.edu.iq

البريديون في الدولة المملوكية

م.م. هيفاء طارش فنجان

ملخص البحث

كان تحصين الثغور يتطلب وسيلة سريعة لنقل الاخبار تربط جميع النيابات المصرية والدمشقية للدولة المملوكية لغرض وصول الاخبار وصدور الاوامر لتنفيذها وقد وكان الظاهر بيبرس اول من تنبه لاهمية البريد فوضع نظم خاصاً به من خلال شبكة من الخطوط البريدية الجوية والبرية عن طريق استخدام الخيل والحمام الزاجل، وكان عمل البريدي عمله مقتصراً على ايصال اوامر السلطنة الى كافة نياباتها في القاهرة ودمشق ويستقبل رسائل حكامها وتقارير ولاتها العاملين فيها، وقد استخدمت المماليك النظام البريدي واعتنت بالبريدي الذي قام بدور مهم في الصراعات بينها وبين المغول خاصة، اضافة الى الخدمات الخاصة بالعلاقة الدولية مثل نقل الهدايا والسفراء وغيرها.

الكلمات المفتاحية: (البريدي، الدولة الملوكية)

Postal service in the Mamluk state

Assistant teacher: Haifa Tarsh Fungan
Al-Mustansiriya University / College of Basic Education
Department of History
haifa_tarsh@uomustansiriyah.edu.iq.

ABSTRACT

The fortification of the borders required a fast means of transmitting news linking all the Egyptian and Damascene deputies of the Mamluk state for the purpose of receiving news and issuing orders to be implemented. Al-Zahir Baybars was the first to realize the importance of the mail, so he established a special system for it through a network of air and land mail lines using horses and carrier pigeons. The postal service was limited to delivering the Sultanate's orders to all its deputies in Cairo and Damascus, and receiving the messages of its rulers and reports of its governors working there. The Mamluks used the postal system and took care of the postal service, which played an important role in the conflicts between them and the Mongols in particular, in addition to services related to international relations such as transporting gifts, ambassadors, and others..

Keywords: (Postal, Royal State)

المقدمة

فرض اضطراب الاحوال السياسية في السلطة المملوكية(٦٤٨-٩٢٤هـ/١٢٥٠-١٥٢٧م) اهتماماً بالغاً بالبريدي ونظامه ذلك ان اكثر المؤامرات والدسائس التي تعرضت لها السلاطين من خصومهم الطامحين للحكم او من الذين حاولوا الظفر بامتيازات خاصة كانت سبباً للالتفات للبريد بغية الوقوف على أحوالهم وكشف دسائسهم يضاف لهذا وذاك حاجة السلطنة في مراسلاتها الداخلية والخارجية للبريد كنظام يحكم نظامها الاداري ولما كان البريدي هو عين السلاطين التي يراقبون خلالها ما يجري من احداث حولهم اهتم سلاطين المماليك بالبريدي وأولوه جل عنايتهم فألى الظاهر بيرس[١](٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) يرجع الفضل في ارساء قواعد البريد والاهتمام بالبريدي فجعل في كل نيابات الممالك المصرية والدمشقية مقدم للبريد والذي يكون ملازماً في الخدمة على باب الدوادار الكبير[٢].

وتطرق البحث الحالي الى التعرف على عدة نقاط منها البريد في اللغة والاصطلاح وادارته في عصر السلاطين المماليك اضافة الى التعرف على انواع البريد والبريديون ونفقات البريد وانواع الاوراق والاقلام المستخدمة في نسخ البطائق.

أولاً: البريد في اللغة والاصطلاح

البريد لغة: هي "المسافة بين محطتين من محطات البريد او سككه أو مراكزه وهي اثنا عشر ميلاً، وقد قدرت عند الفقهاء وعلماء المسالك بأربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل ثلاث الاف ذراع بالهاشمي والذراع أربعة وعشرون أصبع"[٣].

اما كلمة بريد "اصلها فارسية معناها (بريده دم) وتعني الدابة المقطوع ذنبها لان الفرس كانوا يميزون دواب البريد بهذه الميزة"[٤].

البريد اصطلاحاً: هو "أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن فاذا وصل صاحب الخبر المسرع الى مكان منها، وقد تعب فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً وكذلك يفعل في المكان الاخر والاخر حتى يصل بسرعة"[٥].

ثانياً: البريد وادارته في عصر سلاطين المماليك

كان البريد في بداية العصر المملوكي امتداداً للبريد في العصر الايوبي ولما تولى السلطة الظاهر بيبرس أراد ان يجعل من البريد نظاماً دقيقاً ومحكماً ليتناسب مع ظروف مصر(٦)، وكان الذي يحمل البريد يسمى بريدي فضلاً عن الى مهامه، كان يحمل علامة خاصة يتميز بها وهي عبارة عن لوحة بشكل دائري يجعلها البريدي في عنقه وذلك الاطار طابعها الحكومي ومثل هذا النظام وجد عند المغول(٧).

وبالرغم من وجود عبارة صريحة بالمصادر العربية تشير الى ان المماليك اقتبسوا طريقة بريدهم الجديد من المغول الا ان السيوطي يشير– على لسان بعض المؤرخين الى ان الظاهر بيبرس أحب ان يسلك في حكمه طريقة جنكيزخان، استحدث وطور بعض الوظائف الادارية فربما كان البريد أحد هذه الوظائف(٨).

والى "الظاهر بيبرس يرجع الفضل الاكبر في ارساء قواعد البريد في عصر سلاطين المماليك وتطويره ففي سنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م) طلب الظاهر بيرس من ابو محمد عبد الوهاب العمري كاتب الانشاء بدمشق ان يطور نظام البريد بحيث يصله كل يوم خبر فقال له: ان قدرت أن لا تبيتني كل ليلة الا على خير ولا تصبحني الا على خير فافعل، وكان يشرف على ادارة البريد صاحب ديوان الانشاء"(٩).

ثالثاً: البريد البري

يمكن تقسيم البريد المملوكي الى عدة انواع هي: البري والجوي(الحمام الزاجل)، والجري والمناور(مواقيد النار).

وكان الذي يتولى آمر البريد يسمى البريدي أو صاحب البريد وهو الامر على عمال البريد، ولا يتصرفون الا بعلمه وكان تحت أمره سبعة مقدمين بعدد أيام الاسبوع لكل يوم مقدم يطلع فيه على أمور البريد، ويعلم مقدم البريدية بذلك، الذي يقوم بدوره باطلاع الدوادار الكبير على ما يجري من أمور لالبريد، اذا ان مقدم البريد يكون ملازماً في الخدمة على باب الدوادار الكبير(١٠).

وكانت دولة سلاطين المماليك واسعة الاطراف وتقسم ادارياً الى عدة نيابات ممالك، وفي كل نيابة مقدم للبريد: "وهو الذي يشرف على موظفي البريد بالنيابة الموجود بها ويقوم

بالمساواة بينهم في اثناء تكليفهم بالاشغال او بقضاء المهمات الرسمية المطلوبة منه وايصال موظفي البريد الى مراكزهم وابلاغ نائب السلطنة بما يجري في نيابته من امور هي من اختصاص ديوان البريد"(١١)، كما هو الحال في القاهرة، وقد يختلف اسمه في بعض هذه النيابات والسلطة، ومن امثلة ذلك الامير علاء الدين ايدكين(١٢).

كان البريدي "يحمل علامة خاصة يتميز بها وهي عبارة عن لوحة مدورة من الفضة منقوش على أحد وجهيها عبارات دينية، وعلى الوجه الأخر اسم السلطان أو نائب المملكة المتوجه منها، فكان البريدي يجعلها في شرابة من الحرير الاصفر في عنقه فتكون اللوحة على صدره والشرابة الصفراء مرسلة خلفه اذ الاصفر هو لون أعلام السلطان، يتميز عن لون شعار الخليفة الاسود، منقوش على أحد وجهيها العبارة التالية: لا الله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ضرب بالقاهرة المحروسة، وعلى الوجه الأخر: عز مولانا السلطان الملك(الفلاني)... سلطان الاسلام والمسلمين، وكانت هذه الالواح مودعة لدى ديوان الانشاء تحت أمرة كاتب السر، فاذا خرج بريدي الى جهة من الجهات أعطى لوحاً من تلك الالواح، ويذهب في مهمته وعندما يعود من الجهة التي ذهب اليها يعيد ذلك اللوح إلى ديوان الانشاء"(١٣)، ويضيف القلقشندي(١٤): "أن أمر الالواح قد ابطل وترك، وصار بريدي عنده شرابة صفراء يجعلها في عنقه غير لوح".

وعند خروج البريدي في مهمة "يقوم كاتب السر بتسليمه لوحاً من الالواح المحفوظة في الديوان ثم يكتب له ورقة بخطه الى أمير آخور البريد بالإصطبل السلطاني متضمنه السماح للبريدي بامتطاء إحدى الخيول لنقل البريد، وبكليت كاتب السر اسمه في آخر الكتاب ويختم، ثم يكتب له ورقة يحدد بها مساره، ثم يدون البريدي اسمه وتاريخ سفره والجهة التي توجهة إليها والمهمة التي توجه بسببها في دفتر الديوان"(١٥).

اما طريقة تقديم الرسالة الى السلطان، فكانت تتم كما يلي: "إذا قدم البريدي الى الابواب السلطانية حاملاً رسالة، أمير جاندار(١٦)، والدوادار وكاتب السر بين يدي السلطان، فيبل البريدي الارض، ثم يخذ الدوادار الكتاب ويمرره على وجهه ويمسحه بوجه البريدي ثم

ينادله السلطان ليفتحه ويجلس كاتب السر فيقرأه، بعد أن بخرج من كان موجوداً ثم يأمر السلطان بأمره(١٧).

كانت المكاتبات(المراسلات)، بمصر وما يتبعها من نيابات، خارج الدولة من اختصاص ديوان الانشاء في دولة سلاطين المماليك(١٨)، وكانت هذه المكاتبات "تصدر عن الديوان بصيغة معينة بالنسبة للجهة المرسلة إليها وتحتوي على مكاتبات لها اسماء مختلفة مثل: مناشير، وتواقيع، وتقاليد ورسائل، وكتب، وملطفات وغيرها، وكثيراً ما كانت تعرف جميعها بالمرسوم او المرسوم السلطاني، وفي هذه المكاتبات بذكر أسمه وألقاب أبيه اذا كان ملكاً متوجاً، وكانت تدمغ بالعلامة السلطانية، التي تعطي الكاتب الصفة الرسمية والذي أوجدها هو السلطان الناصر محمد بن قلاوود"(١٩).

وكانت تكتب "بقلم خاص يسمى قلم العلامة اي انها تكتب بنوع خاصمن الخط وكان السلطان يكتب بيده أحياناً فيضيف ويشير الى ما هو هام وكانت تكتب على انواع خاصة من الورق حسب استخدامها"(٢٠).

وعندما يصدر المرسوم السلطاني الى جهة ما "تكتب الرسالة او الكتاب بصيغة معينة تكون معروفة لدى ديوان الانشاء فكانت الالقاب تستخدم حسب صفة المرسل إليه من الأمراء مثل (المقر) للأمراء الكبار، و(الجناب) لأمراء الطباخانات)...وغيرها هذا فضلاً عن الى صفات ونسب معينة تصعيد كل لقب مثل العالي، والسامي، والشريف...الخ"(٢١).

رابعاً: الساعي

السعاة، ومفردها(ساعي)، وهو "موزع البريد والمخاطبات، أول من استخدم السعاة هم البويهيون وظل الاهتمام بهم كبيراً في الفترات اللاحقة ولم ينقص هذا الاهتمام في عهد دولة سلاطين المماليك لما له من أهمية قصوى في حال تعذر وصول بريد الخيل الى اهدافها ، وكان السعاة موزعين في جميع أنحاء الدولة ولكل مملكة نقيب قائم عليها ويطلبون منه وكان السعاة يختارون ممن لهم قدرة فائقة على المسير حتى أن منهم من سار من دمشق الى مصر في مدة أسبوع واحد ففي سنة (٨٥٦هـ،/١٤٥١م) وصلت شكوى الى السلطان من احد الحلبيين يشكو على القاضي محب الدين ابن الشحنة(٢٢).قاضي قضاة حلب وذكر عنه اشياء شنيعة وتتضمن هذه الشكوى ان ابن الشحنة هدم مسجداً وضم أرض المسجد الى داره

التي بناها في حلب فلما سمع السلطان هذه الشكوى أمر بهدم هذه الدار وكتب بذلك مرسوماً شريفاً أرسله مع أحد السعاة يدعى بشي الساعي"(٢٣).

وكان للسعاة "أجر معلوم يتقاضونه من ديوان الخاص بواسطة نقيبهم وكانوا يتقاضون أجرهم على كل سفرة بعد عودتهم من المهمة التي ارسلوا من أجلها، وبهذا يضمن نقيبهم عودتهم في الوقت المقرر"(٢٤).

خامساً: النجاب والهجان

النجاب: وهو النجيب الفاضل من كل حيوان وهي مثل البعير والفرس وكذلك الابل فتكون قوية خفيفة السرعة(٢٥)، اما الهجان: فهو فرس هجين والهجين من الخيل الذي ولدته برذونه من حصان عربي والهجان من الابل البيض(٢٦).

ويسمى البريدي هنا "نجاباً، وهجاناً، وكانت هذه وسائل تستخدم في دولة المماليك عندما تتعطل خطوط البريد وأكثر ما استخدمت بعد غزو تيمورلنك سنة(٨٠٤هـ/١٤٠١م)وكانت هذه الطريقة أسرع من غيرها في ايصال الخبر"(٢٧).

وكان نقل البريد بهذه الوسائل يتم بـ"النقل من بئر الى أخر وذلك ليتزود النجاب بما يحتاجه ودابته من الماء يستطيع مواصلة سيره وكان بالقاهرة اسطبل خاص يعرف بالمناخ يتولى كاتب السر النظر في تجهيزها بما يلزم وهي من جملة واجباته كانت هذه المناخات تزود بما يلزمها من الدواب بواسطة القبائل العربية في مصر"(٢٨).

وكانت الهجانة تصل بالبريد الى جميع الشامية والمصرية ففي (٨٤٨هـ/١٤٤٤م) "وصل هجان الى حلب قادماً من القاهرة وبيده مرسوم سلطاني شريف بالأفراج عن أحد الامراء وفي سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)، قام هجان بنقل مملوك المقر الاشرف الصالحي برسيابي قرا المحمدي الظاهري جقمق حاجب الحجاب وأخيرات أستاذه دخل حلب سالماً"(٢٩).

وظلت الهجانة مستخدمة حتى نهاية عصر السلاطين المماليك وقد بلغت "اعداد الجمال في المناخات زمن برقوق خمسة عشر ألف جمل"(٣٠).

سادساً: الاعين وحاملوا الملطفات[٣١]

لم يكن البريد يقوم فقط بنقل الاخبار ومتجددات الامور الرسمية ولكنه يقوم بأعمال الاستخبارات العسكرية والشرطة السرية فعرف بعضه بالعيون ورئيسهم بصاحب الخبر ومن يقمون بتبليغ أوامر السلطان بحاملي الملطفات ويشرف على هذا الجهاز صاحب ديوان الانشاء وكان لهذا الجهاز اهمية كبرى في الدولة فقد ساهم بقسط وافر في كشف المؤامرات على السلطان والابلاغ عنها بالوقت المناسب وكان له كبير الاثر في الكشف عن تحركات العدو على الحدود، لذا فقد أولى سلاطين المماليك عناية كبيرة لهذا الجهاز الذي ساعد بقدر كبير في إدارة أمور الدولة ومراقبة العمال والولاة وجميع مرافق الدولة من عسكرية وإدارية وغيرها.

وكان "صاحب ديوان الانشاء يحتاط في أمر الجواسيس(الاعين) اكثر مما يحتاط في أمر البريدية والرسل لأن الرسول كان يبعث للصديق والعدو معاً أما الجاسوس فانه لا يتوجه الا إلى العدو، لذا كان صاحب ديوان الانشاء يختار الاعين ممن يشف بهم وممن يتوفر فيهم الصدق واليقظة والذكاء والفراسة التامة والدس الصائب وكثرة الدهاء والمكر، ومعرفة عالية للدخول في الحيل والخديعة والبهتان، ليتمكن الجاسوس من ادراك مقصده من اي طريق أمكنه أنه إن لم يحقق ذه الشروط ظفر به العدو ويعود دون فائدة، كما يشترط بصاحب الخبر أن يكون له خبرة بطرق السفر والبلاد المتوجه إليها كي لا يلجأ الى السؤال فربما في ذلك هلاكه أو ربما يقبض عليه فيدل عن غرضه وبذلك يكون عيناً للأعداء على ملكه وبلاده ويجب أن يكون عارفاً بلسان أهل البلاد التي يتوجه إليها ليتمكن من التقاط الكلام عمن يخالطه من أهل تلك البلاد ويشترط به الصبر، فذا ظفر به العدو لا يخبره بأحوال ملكه ولا يدله على مواطن الضعف في مملكته وان يكون المتجسس منتبهاً بشكال أهل البلاد التي بعث إليها حتى يندرج فيهم وبيهم أمره عليهم"[٣٢].

ونظراً لأهمية ما يأتيه الاعين من اخبار هامة فقد ذكر القلقشندي[٣٣] عن بعض الملوك أنه كان يعطي من يأتيه بالأخبار المكروهة اكثر مما يعطي من يأتيه بالأخبار السارة.

كذلك كان المماليك حذرين من جواسيس اعدائهم حول ذلك يقول القلقشندي(٣٤): "واعلم أنه لا يمكن احداً ممن يمنع بلاده او عسكره من جواسيس عدوه فيجب الاحتراز منهم بكتمان السر وستر العورة وما امكنه على أنه ربما دعت الضرورة في بعض الاحيان الى ان يعرف الملك عدوه بعض أموره على حقيقة لأمر يحاول به مكيدته، والطريق في ذلك أن يتطلع إلى ان يصبح جاسوس عدوه جاسوساً له بأن يتودد إليه بالاستمالة بالسير وكثرة البذل حتى يستخرج نصيحته فحينئذ يلقي إليه ما أراد تبليغه الى صاحبه الاول مما فيه المكيدة فيوصله إليه فيكون أقرب قبوله من بلوغه له من غيره ممن يتهمه"(٣٥).

وكان "للملك الناصر محمد جاسوساً يأتيه بالأخبار وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل كان شديد العناية بالجواسيس وكان ينفق عليهم في كل سنة مالاً عظيماً"(٣٦).

وكان صاحب الخبر يرسل في مهمته على خيل البريد او أي وسيلة أخرى حسب المهمة المرسل من أجلها، فاذا أراد السلطان أن يبعث ملطف وتعذر ايصاله على البريد، يقوم كاتب السر بأمر السلطان احد القصاد ليوصل الملطف الى الجهة التي يريدها السلطان والاتيان بالجواب.

والملطفات "تلف كبطاقة ولكن حجمها يكون أكبر من البطاقة، وتختم ويضعها حامل الملطف في سواك مجوف او عكاز او ما تشابه ذلك، حتى لا يطلع عليها أحد، إلى أن يصل حاملها الى من يقصده، فيوصلها له خفية مختومة لا يطلع عليها أحد إلا المعني بها ثم يعمل بما فيها، ولضمان وصول الملطف الى الجهة المرادة كان يرسل أكثر من حامل له وعندما يكون من يبعث اليه هذا الملطف نائباً في قلعة ويتعذر وصول حامل الملطف إليه فان حامل الملطف يقوم بربطه على سهم في نشاب يرمي به الى أعلى القلعة فيتم تسليمه الى النائب ويعمل فيه"(٣٧).

سابعاً: نفقات البريدي

يعد البريد من أدق الانظمة وأهمها وأوسعها انتشاراً في دولة سلاطين المماليك ومثل هذا النظام كان يلزمه إدارة منظمة، وامكانيات ضخمة للأنفاق على مراكزه وموظفيه لضمان بقائه واستمراريته كي يقوم بالواجبات المسندة إليه على أكمل وجه، لذا حرص الظاهر بيبرس منذ نشأة البريد المملوكي على اعداده على اكمل وجه وانفق في ذلك مالاً عظيماً(٣٨) حتى

قيل ان ما انفقه على البريد يعادل خزانة ملك[٣٩] كانت دولة سلاطين المماليك كثيرة الاهتمام بموظفيها فخصصت لهم الرواتب ومنحتهم الاقطاعات[٤٠] فكان لموظفي البريد رواتب، وكانت مراكز البريد تزود بكل ما يلزم من زاد وعلف وغير ذلك[٤١] وكان السلاطين يقفون الاوقاف للأنفاق على المراكز[٤٢].

ثامناً: الاوراق والاقلام المستخدمة في نسخ البطائق

تكتب "بطائق الحمام على ورق خفيف ورق الطير اوراق البطائق يستخدم هذا الورق في ديوان الانشاء في الملطفات والبطائق لا غير وتكنب هذه البطائق بقلم خاص يعرف(بالغبار) وسمي بذلك لدقته كأن النظر يضعف عند رؤيته لدقته كما يضعف عند رؤية الشيء عند ثوران الغبار وتغطية له، وهو الذي كتب به القطع الصغير من ورق الطير ويسمى قلم الجناح"[٤٣]، وهو "قلم ضئيل مولد من الرقاع والنسخ مفتح العقد غير تروس فيه وتكون قصته مائلة الى التدوير لتفرعه عن الرقاعة والنسخ"[٤٤].

والجدير بالذكر "أن نسخ البطائق كان على قسمين، قسم عليه علامة السلطان العلامة الشريفة وقسم من غير علامة، فأما التي بعلامة فتكتب من غير بسملة، ويكتب في رأس الورق في الوسط الاسم الشريف وتحته ملصقاً به من غير بياض سطر واحد كامل من يمين بغير هامش، ثم يخلي بين العلامة تقديراً أربعة أصابع مطبوقة، ثم تكتب تتمة الكلام سطراً متلاصقة بنسبة الاول بغير هامش اصلاً الى آخره والذي يكتب من يمين الورق: "الله الهادي سرح الطير الميمون ورفيقه هداهما الله تعالى في الساعة الفلانية، من اليوم الفلاني، من الشهر الفلاني، من سنة كذا وكذا الى المجلس السامي الاميري، فلان الدين فلان والى فلان نعلمه ان الأمر كيت وكيت، ومرسومنا له إن يتقدم بكيت، وكيت فليعلم ذلك ويتعمده والله تعالى الموفق..." [٤٥] ويكتب فيها حسب المرسوم الشريف.

الخاتمة

تناول هذا البحث موضوع البريدي في عصر الدولة المملوكية حيث اصبح البريدية اداة فعالة ومن احدى أهم المؤسسات الدولة الادارية التي اضطلعت بمهمات واسعة ومتشعبة ادارياً وعسكرياً وأمنياً حتى اصبحت إحدى اركان الحكم الاساسية التي اعتمد عليها

السلاطين والنواب في الضبط الاداري والأمني العام للدولة من خلال أتصال السلطان بنوابه وعماله في النيابات والاقاليم المختلفة وذلك عن طريق إيصال أوامر السلطان وتوجيهاته وبسرعة عالية ورفع التقارير السرية عن سير الادارة وسلوك النواب والعمال في أقاليم الدولة المتعددة الى السلطان.

الهوامش

(١) الظاهر بيبرس النبقراري ولد ببلاد القبجاف عام(٦٢٥هـ/١٢٢٧م), وأسر وبيع وحمل الى القاهرة, كان من الممالك البحرية, تسلم السلطة بعد قطز عام(٦٥٨هـ/١٢٦٠م), تصدى للتتار والفرنجة, توفي عام(٦٧٦هـ/١٢٧٧م), ينظر: العمري, شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م), مسالك الأبصار في ممالك الأمصار, ط١, المجمع الثقافي, (ابو ظبي, ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م), ج٣, ص٢١١؛ ابن شاكر الكتبي, صلاح الدين محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن(ت٧٦٤هـ/١٣٦٣), فوات الوفيات, تحقيق: إحسان عباس, ط١, دار صادر, (بيروت, ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م), ج١, ص٢٣٥.

(٢) الدوادار الكبير: هو "الملك علاء الدين الطيبرسي الظاهري، مولى الخليفة الظاهر، وكان عظيما لديه، وعالي المرتبة عند المستنصر، زوجه بابنة بدر الدين صاحب الموصل، ووهبه ليلة عرسه مائة ألف دينار، وكان دخله في العام من ملكه وإقطاعه خمسمائة ألف دينار، وكان كريما حسن السيرة، دفن في مشهد موسى الكاظم، ورثته الشعراء"، ينظر: الذهبي, شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام, تح: عمر عبد السلام التدمري, ط٢، دار الكتاب العربي,(بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج٤٧، ص٤٤٣.

(٣) ياقوت الحموي، شهاب الدين بي عبد الله(٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، (بيروت،١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ج٢، ص٣٨.

(٤) القلقشندي, ابو العباس احمد بن علي بن احمد(ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا, تح: عبد القادر زكار, وزارة الثقافة, (دمشق, ١٤٠٢هـ/١٩٨١م)، ج١٤، ص٣٦٧.

(٥) ابن الطقطقي, محمد بن علي بن محمد(ت٧٠٩هـ/١٣٠٩)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية, تح: عبد القادر محمد مايو, ط١, دار القلم العربي, (بيروت, ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص١٦.

(٦) ابن اياس, ابو البركات محمد بن احمد(ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور, مكتبة مدبولي, (القاهرة, ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج١، ص١٣٤؛ علي، فينوس ميثم، ماليك الخليفة الناصر لدين الله ودورهم السياسي والعسكري(٥٧٧-٦٢٣هـ/١١٨٠-١٢٢٥م)،مجلة كلية التربية الاساسية، مج: ٢٨، ع: ١١٦، (بغداد، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، ص٤٢٨.

(٧) القلقشندي, صبح الاعشى في صناعة الانشا, ج١٤، ص٣٧١؛ محسن، علي عيسى، كتب المختصرات في العصر المملوكي، مجلة اداب المستنصرية، ع: ١١١، (بغداد، ١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م)، ص١٥.

(٨)المقريزي، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر(٨٤٥هـ/١٤٤١م)،السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت،١٤١٨هـ/١٩٩٧م)،ج٢، ص٨٦٢.

(٩) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج١٤، ص٤١٥.

(١٠)القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج١٤، ص٤١٥؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج١، ص٢٢٧.

(١١) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج٤، ص١٩٤، ج١٢، ص٤٣٣؛ الطروانة، طه ثلجي، مملكة صفد في عهد المماليك، منشورات دار الافاق الجيدة، (بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٢٤٣.

(١٢) الأمير علاء الدين أيدكين الأركشي: "كان أوّلاً برُمح يسوق في البريد من جملة بريدية مصر، وكان محَذلقاً، توجه إلى البلاد الشرقية وعاد في مهم، فراج عند السلطان الملك الناصر محمد، وحكى له أنه مرت به أهوالٌ عظيمة في سفرته وتحيّل بحيل كثيرة حتى نجا، وولاّه القاهرة، فظلم وجار وأشبهت أيامه الظلم، وتاه في الولاية وزاد، ولم يعبأ بأحد من الخاصكية، فاتفقوا عليه وشَكوه إلى السلطان، فعزله"، ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك(ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد واخرون، ط١، دار الفكر المعاصر، (بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ج١، ص٦٥٥.

(١٣) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج١٤، ص٤١٦-٤١٧.

(١٤) صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج١، ص١٥١.

(١٥) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ٤، ص١٩٤.

(١٦) جاندار: حارس ذات الملك، لفظ مركب من كلمتين، جان: أي روح ونفس ومن دار أي حافظ للسلطان فلا يأذن بالدخول عليه الا لمن يشق به، ينظر: دهمان، محمد أحمد، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ص١٨.

(١٧)العمري, مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٣، ص١٠٥-١٠٦؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج٤، ص٦١.

(١٨) ماجد، عبد المنعم، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة،١٤٠٠هـ/١٩٧٩م)، ج١، ص٥٧.

(١٩) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج٧، ص٢١٧.

(٢٠) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج٣، ص٥٥؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،ج٢، ص٢٣١.

(٢١) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج٤، ص٧-٨-١٣-١٥.

(٢٢) الشحنة: جماعة من العسكر الشرطة يسمى قائدها رئيس الشحنة كما يسمى متولي الشحنة صاحب الشحنة، ينظر: دهمان، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص٩٥.

([٢٣]) ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، حوادث الدهر في مدى الايام والشهور، تح: محمد كمال عز الدين، عالم الكتب، (بيروت،١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ج٢، ص٣٨٠.

([٢٤]) القلقشندي، صبح الاعشى وصناعة الانشاء، ج١، ص١٥٩.

([٢٥]) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، (بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج١، ص١٤٨.

([٢٦]) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٤٣١-٤٣٣.

([٢٧]) القلقشندي، صبح الاعشى وصناعة الانشاء، ج١، ص١٥٩.

([٢٨]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،ج٢، ص٨٦٢.

([٢٩]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٢، ص٨٦٣.

([٣٠]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ص٩٣-٩٥.

([٣١]) الملطفات: هي للرسائل التي تكتب عادة الى الامراء للترفيه او المدح او التعزيز او التأمين تمهياً لما يزعمه لهم السلطان من عقوبة او قتل وكانت تكليف بقلم الغباء، ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى وصناعة الانشاء، ج٣، ص١٢٨.

([٣٢]) القلقشندي، صبح الاعشى وصناعة الانشاء، ج١، ص١٥٩.

([٣٣]) صبح الاعشى وصناعة الانشاء، ج١، ص١٥٩؛ محمد، سحر عبد الله، مؤسسة القضاء في دولة المماليك(دراسة تاريخية)، مجلة اداب المستنصرية، ع: ٨٢، (بغداد، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، ص٦.

([٣٤]) صبح الاعشى وصناعة الانشاء، ج١، ص١٥٩.

([٣٥]) العيني، محمود بن احمد بن موسى(٨٥٥هـ/١٤٥١م)، الروض الزاهر في سيره الملك الظاهر، معهد المخطوطات العربية، (القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، ص٣٨٥-٣٨٦.

([٣٦]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة, ط١, دار الكتب, (مصر, ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، ج٨، ص٢٠٢.

([٣٧]) القلقشندي، صبح الاعشى، ج١، ص١١٦٣.

([٣٨]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،ج١، ص٤٦٦.

([٣٩]) العيني، محمود بن احمد بن موسى(٨٥٥هـ/١٤٥١م)، الروض الزاهر في سيره الملك الظاهر، معهد المخطوطات العربية، (القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، ص٩٥.

([٤٠]) القلقشندي، صبح الاعشى وصناعة الانشاء، ج٤، ص٥١-٥٢.

([٤١]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٦٣٣؛ العبادي، أحمد مختار، في التاريخ الايوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة،(الاسكندرية،١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٢١١.

([٤٢]) القلقشندي، صبح الاعشى وصناعة الانشاء، ج٤، ص٤٢٢-٤٢٤.

([٤٣]) القلقشندي، صبح الاعشى وصناعة الانشاء، ج٣، ص١٢٥.

([٤٤]) النويري، شهاب أحمد بن عبد الوهاب، (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الارب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج٩، ص٢٢٢؛ العبادي، التاريخ الايوبي والمملوكي، ص٢١١.

([٤٥]) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ج٧، ص٢٥١؛ سالم، السيد عبد العزيز، دراسة في تاريخ الايوبيين والمماليك، مؤسسة الجامعة، (الاسكندرية،١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٥٩.

المصادر

١-ابن اياس, ابو البركات محمد بن احمد(ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور, مكتبة مدبولي, (القاهرة, ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

٢-ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، حوادث الدهر في مدى الايام والشهور، تح: محمد كمال عز الدين، عالم الكتب، (بيروت،١٤١١هـ/١٩٩٠م).

٣-ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة, ط١, دار الكتب, (مصر, ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).

٤-دهمان، محمد أحمد، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

٥-الذهبي, شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام, تح: عمر عبد السلام التدمري, ط٢، دار الكتاب العربي,(بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
٦-سالم، السيد عبد العزيز، دراسة في تاريخ الايوبيين والمماليك، مؤسسة الجامعة، (الاسكندرية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
٧-ابن شاكر الكتبي, صلاح الدين محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن(ت٧٦٤هـ/١٣٦٣), فوات الوفيات, تح: إحسان عباس, ط١, دار صادر, (بيروت, ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
٨-الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك(ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، أعيان العصر وأعوان النصر، تح: علي أبو زيد واخرون، ط١، دار الفكر المعاصر، (بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
٩-الطروانة، طه ثلجي، مملكة صفد في عهد المماليك، منشورات دار الافاق الجيدة، (بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
١٠- ابن الطقطقي, محمد بن علي بن محمد(ت٧٠٩هـ/١٣٠٩)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية, تح: عبد القادر محمد مايو, ط١, دار القلم العربي, (بيروت, ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).
١١- العبادي، أحمد مختار، في التاريخ الايوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، (الاسكندرية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
١٢- علي، فينوس ميثم، ماليك الخليفة الناصر لدين الله ودورهم السياسي والعسكري(٥٧٧-٦٢٣هـ/١١٨٠-١٢٢٥م)،مجلة كلية التربية الاساسية، مج: ٢٨، ع: ١١٦، (بغداد، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م).
١٣- العمري, شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م), مسالك الأبصار في ممالك الأمصار, ط١, المجمع الثقافي, (ابو ظبي, ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
١٤- العيني، محمود بن احمد بن موسى(٨٥٥هـ/١٤٥١م)، الروض الزاهر في سيره الملك الظاهر، معهد المخطوطات العربية، (القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م).

١٥- القلقشندي, ابو العباس احمد بن علي بن احمد(ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا, تح: عبد القادر زكار, وزارة الثقافة, (دمشق, ١٤٠٢هـ/١٩٨١م).
١٦- ماجد، عبد المنعم، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة،١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).
١٧- محسن، علي عيسى، كتب المختصرات في العصر المملوكي، مجلة اداب المستنصرية، ع: ١١١، (بغداد، ١٤٤٦هـ/٢٠٢٥م).
١٨- محمد، سحر عبد الله، مؤسسة القضاء في دولة المماليك(دراسة تاريخية)، مجلة اداب المستنصرية، ع: ٨٢، (بغداد، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).
١٩- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر(٨٤٥هـ/١٤٤١م)،السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت،١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
٢٠- المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).
٢١- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، دار صادر، (بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
٢٢- النويري، شهاب أحمد بن عبد الوهاب، (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الارب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
٢٣- ياقوت الحموي، شهاب الدين بي عبد الله(٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، (بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

علماء بغداد في القرن الثالث الهجري في كتاب حلية الأولياء للأصفهاني

هديل عبد الكريم عبد السلام شعلان

أ.د وئام عدنان عباس

كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ الاسلامي

علماء بغداد في القرن الثالث الهجري في كتاب حلية الأولياء للأصفهاني

هديل عبد الكريم عبد السلام شعلان

أ.د وئام عدنان عباس

الملخص:

في هذا البحث، تسعى الباحثة إلى استكشاف صورة علماء بغداد في القرن الثالث الهجري كما رسمها الإمام أبو نعيم الأصفهاني في كتابه حلية الأولياء. لم يكن الهدف مجرد عرض تراجم، بل محاولة لفهم كيف صوّر الأصفهاني هؤلاء العلماء، وما إذا كانت رؤيته شاملة ومنصفة، مقارنةً بما ورد عنهم في مصادر تاريخية أخرى. بغداد، في ذلك القرن، كانت مركزاً علمياً نابضاً، أنجبت أعلاماً في علوم القراءات، الحديث، الفقه، التفسير، والتصوف. وقد انعكس هذا الثراء العلمي في اهتمام المؤرخين بتوثيق سيرهم، وكان أبو نعيم من أبرز من تناولهم، خاصةً أولئك الذين جمعوا بين العلم والزهد. لكن الباحثة لاحظت أن الأصفهاني مال إلى المتصوفة، ونقل عنهم الكرامات والمواقف الروحية دون تعقيب أو نقد، مما يكشف عن تصديقه لهم وميله لطريقتهم. ومن خلال تحليل محتوى حلية الأولياء، تبيّن أن أبا نعيم لم يستوعب كل علماء بغداد، بل ركّز على فئة معينة، مما يجعل صورته جزئية وليست شاملة. ومع ذلك، فإن أمانته في النقل، وغزارة التراجم التي قدّمها، جعلت من كتابه مرجعاً أساسياً اعتمدت عليه معظم المذاهب الإسلامية.

في النهاية، يخلص البحث إلى أن دراسة تراجم العلماء ليست مجرد توثيق، بل هي نافذة لفهم الحياة العلمية والروحية في بغداد، وتكشف عن تفاعل المؤرخ مع البيئة الفكرية التي عاش فيها. كما تدعو الباحثة إلى مزيد من الدراسات المقارنة بين كتب الطبقات، لفهم أعمق لتطور النظرة إلى العلماء عبر العصور.

Abstract:

This study delves into the intellectual and spiritual legacy of Baghdad's scholars during the third century AH, as portrayed by Imam Abu Nuʿaym al-Isfahani in his renowned work Ḥilyat al-Awliyāʾ. The researcher doesn't merely recount biographies; rather, she seeks to understand how Abu Nuʿaym shaped the image of these scholars and whether his portrayal offers a comprehensive and balanced view. Baghdad, at that time, was more than a city—it was a thriving hub of scholarship and religious thought. It nurtured figures in Qur'anic sciences, Hadith, jurisprudence, and Sufism. Abu Nuʿaym's approach to documenting these figures leaned heavily toward the spiritual dimension, often highlighting their asceticism and mystical experiences. His admiration for the Sufi path is evident in the way he presents their lives, sometimes including miraculous accounts without critique or commentary.

The researcher notes that while Abu Nuʿaym's work is rich in spiritual insight, it doesn't encompass the full spectrum of Baghdad's scholarly landscape. His focus on a select group of spiritually inclined scholars leaves gaps in the broader intellectual narrative. Nonetheless, Ḥilyat al-Awliyāʾ remains a foundational source, widely referenced across Islamic traditions.

Ultimately, the study emphasizes that biographical literature is not just historical documentation—it's a lens through which we understand the interplay between knowledge and spirituality in Islamic civilization. The researcher calls for further comparative studies across biographical sources to better grasp how scholars were perceived and remembered throughout history.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الليل والنهار، الحمد لله الذي أنعم علينا وجعلنا أحرار، الحمد لله خالق الجنة والنار، الحمد لله عدد ما حمده الأخيار، وعدد ما جحده الكفار، الحمد لله الذي منه وإليه الفرار، وأصلي وأسلم على الذي هدى الله به معظم الكفار، ورضي الله عن الآل والصحابة الأبرار، صلاة تهدينا للجنة وتنجينا من النار.

أما بعد..

تُعد مدينة بغداد في القرن الثالث الهجري منارةً علميةً وفكريةً لا مثيل لها في تاريخ الحضارة الإسلامية، إذ شهدت هذه الحقبة ازدهاراً غير مسبوق في مختلف ميادين العلوم الشرعية والعقلية، وبرز فيها عدد كبير من العلماء الذين أسهموا في ترسيخ قواعد المعرفة الإسلامية وتطوير مناهجها. وقد تزامن هذا النشاط العلمي مع اهتمام الخلفاء العباسيين بالحركة العلمية، مما جعل بغداد مركزاً لجذب العلماء والطلاب من مختلف الأمصار، ومن بين المصادر التي وثّقت هذا الزخم العلمي، يبرز كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، بوصفه موسوعة ضخمة في التراجم والتصوف، احتوت على أكثر من ٨٠٠ ترجمة لعلماء وزهاد ونساك من الصحابة والتابعين ومن تبعهم. وقد خصّ الأصفهاني علماء بغداد بحضور لافت في كتابه، مما يعكس مكانة هذه المدينة في وجدان المؤرخين والمتصوفة، ويكشف عن طبيعة الحياة العلمية والروحية فيها خلال القرن الثالث الهجري. ويهدف هذا البحث إلى دراسة صورة علماء بغداد كما وردت في كتاب حلية الأولياء، وتحليل الطريقة التي اعتمدها أبو نعيم في اختيارهم وتوثيق سيرهم، مع التركيز على الجوانب العلمية والروحية التي أبرزها في تراجمهم. كما يسعى إلى الإجابة عن عدد من التساؤلات الجوهرية، منها: هل استوعب الأصفهاني جميع أعلام بغداد في تلك الحقبة؟ وما مدى دقة رواياته؟ وهل جاءت رؤيته لهؤلاء العلماء متوافقة مع ما ورد عنهم في مصادر تاريخية أخرى؟ وهل كان لميوله الصوفية أثر في طريقة عرضه لسيرهم؟ إن دراسة تراجم علماء بغداد في هذا الكتاب لا تقتصر على الجانب التاريخي فحسب، بل تتعداه إلى فهم البنية الفكرية التي كانت سائدة آنذاك، وتبيّن كيف تداخلت العلوم الشرعية مع التصوف في تشكيل هوية العالم المسلم. كما تسلط الضوء على الأمانة العلمية التي اتصف بها أبو نعيم في نقله للمرويات، رغم ميله الواضح إلى التصديق بالكرامات والزهد، دون تعقيب نقدي عليها. وبذلك، فإن هذا البحث يسهم في إثراء الدراسات التاريخية المتعلقة بالحركة العلمية في بغداد، ويكشف عن دور التراجم الصوفية في حفظ سير العلماء، ويعزز من فهمنا لطبيعة التأريخ الإسلامي في القرون الهجرية الأولى، من خلال تحليل أحد أبرز مصادره وأكثرها تأثيراً.

أولاً: صدقة بن إبراهيم المقابري[١] من الشيوخ الصالحين والعبَّاد الزَّاهدين اشتهر بالعلم والورع، وكان مؤاخياً لمعروف الكرخي . ومن أقران بشر بن الحارث[٢]، قال أبو نعيم[٣]:" كان صدقة المقابري من التحقُّق والتحفُّظ بالمحل العالي" وفى موضع أخر قال :" أتى عليَّ عشرون سنة لم أكلم أحداً حتى أومر بكلامه، ولا تركت بكلامي احداً حتى أومر بترك كلامه"[٤].

ثانياً: عبد الرحمن بن أحمد بن عطية[٥] **العنسي**[٦] أبو سليمان الداراني[٧] أصله من دمشق من قرية داريا[٨] وقيل واسطي[٩]، كان أبو سليمان الداراني من أجَلَّ مشايخ الشَّام وزهَّادهم ومن أفاضل أهل زمانه وعبَّادهم. وَرَد بغداد وأقام بها مدَّة ثم عاد إلى الشام وبقي فيها حتى وفاته، كان لأبي سليمان الداراني حكايات كثرة رواها عنه بن أبي الحواري الدَّمشقي[١٠] ومن جميل كلامه قال : " من أحسن نهاره كوفئ في ليله ، ومن أحسن فى ليلة كوفئ فى نهاره ، ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله أكرم من أن يعذَّب قلباً بشهرة تركت له"[١١]، توفي العالم الزاهد أبو سليمان الداراني سنة (٢٠٥هـ/ ٨٢٠م) وقيل سنة (٢١٥هـ/٨٣٠م) في داريا[١٢].

ثالثاً: فتح بن سعيد الموصلي وكنيته أبو نصر العابد الولي الزاهد من أقران بشر الحافي والسري السقطي كان كبير الشأن فيه الورع والزُّهد والتقوى[١٣]، كان فتح الموصلي يزور بغداد دائماً، فيتردَّد على بشر الحافي وكان يجلس في مجلسه ويعظ الناس لما فيه دعوة للتخلي عن ملذات الدنيا و السَّعي للفوز بالأخرة ، وكان يرى حياته مماثلة لما عاشه الأنبياء من قبله فشكر الله على ذلك وصلى ليله حامداً فضله[١٤]، وكان فتح راوياً للحديث وله عناية به، فقد روى عن عيسى بن يونس[١٥]، كذلك حدث عن أبي حفص[١٦]، ابن أخت بشر الحافي. توفي العالم الصوفي أبو نصر الموصلي سنة (٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)[١٧].

رابعاً: منصور بن عمار بن كثير ابو السري الواعظ أصله من خراسان وقيل من مرو . سكن بغداد ومات بها[١٨]، رحل واعظاً إلى الشام ومصر ، كان فائق القدرة في الوعظ و والإرشاد وله مجالس عظيمة قيل عنه :" إنه أحسن الناس كلاماً في الموعظة وكان من حكماء المشايخ بل كان اليه المنتهى في بلاغة الوعظ وترقيق القلوب وتحريك الهمم، وعظ ببغداد والشام ومصر وبعد صيته، واشتهر اسمه"[١٩]. والتصوُّف عند منصور بن عمار هو

:" قلوب العباد كلُّها روحانية فإذا دخلها الشكُّ والخبث أمتنعت روحها"[٢٠]، ومن أقواله أيضاً :" إنَّ الحكمة تنطق في قلوب العارفين بلسان والتَّصديق في قلوب الزاهدين بلسان التفضيل، وفي قلوب العباد بلسان التوفيق، وفي قلوب المريدين بلسان التذكير"[٢١] إذاً التصوف عند منصور يدور حول محور القلب ولابد أن يحكمه سلوك إذ بدونه يتعرَّض للفساد ويخرج عن طبيعته. كان منصور بن عمار من رواة الحديث روى عن اللَّيث بن سعد[٢٢] وابن لهيعة[٢٣] وأخرين.

وحدَّث عنه : أولاده سليم وداود وزهير بن عبَّاد[٢٤] وغيرهم. كان منصور بن عمار صاحب كرامات فقد ذكر الخطيب البغدادي[٢٥] :" قيل إن المصريين استقوا به مرة ، فصار بينهم صاحب مكانة يعتزُّ به العلماء والفقهاء، فكان أن أقطعه الليث بن سعد خمسة وعشرين فداناً، أقطعه لهيعة خمسة فدادين"، منصور بن عمار أحد أئمة التصوُّف، وعرف أيضاً بصلاحه وورعه قال أبو نعيم[٢٦]:" منهم منصور بن عمار رحمه الله تعالى – كان لآلأ الله واصفاً ، وعلى بابه عاكفاً، يحوش العباد إليه ويلح في المسألة عليه". توفي منصور بن عمار سنة (٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)[٢٧] ودفن في بغداد وقبره بباب حرب[٢٨]، وعليه لوح منقوش فيه اسمه وإلى جانبه قبر ابنه سليم[٢٩].

خامساً: صالح بن عبد الجليل[٣٠]. بصري الأصل[٣١] .سكن بغداد ومن مشايخها القدماء في بغداد، كان واعظاً زاهداً صحب الفضيل بن عياض، وكان من أقران بشر بن الحارث[٣٢]. روى عنه أبو سليمان الداراني. ومن أقواله في الوعظ :" ذهب المطيعون لله بلذيذ العيش في الدنيا والأخرة يقول الله تعالى لهم يوم القيامة : أصبتم بي في الدنيا على شهواتكم، فعندي اليوم فباشروها، وعزَّتي ما خلقت الجنان إلا من أجلكم"[٣٣]. كان الواعظ صالح بن عبد الجليل يحثُّ على القناعة بطاعة الله ويعزِّزها في نفوس الناس فيبشَّرهم ويذكَّرهم بوعد الله سبحانه وتعالى بمنح الجنة للمطيعين الذين يتلذَّذون بطاعته وحسن العيش في الدنيا والأخرة[٣٤]وقال أيضاً:،" ينظر أهل البصائر إلى ملوك أهل الدنيا بالتصغير لهم، وينظر إليهم أهل الدنيا بالتعظيم لهم والغبطة"[٣٥] وسئل عن السَّماع فقال:" ما وجدت قلبك يصلح عليه فافعله" [٣٦]. كان صالح بن عبد الجليل من الزَّاهدين في الدنيا العازفين عن كل

ما يشغل النفس عن العبادة معتلياً على رغباته بالذكر قانعاً بعيشه يتلذَّذ بمناجاته وخلوه مع الله تبارك وتعالى قال عنه أبو نعيم[٣٧]: "المستلِذُّ بالطاعة والمجتزى بالبلغة والقناعة"

سابعاً: الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبدالله البصري، البغدادي[٣٨]. ولد في البصرة سنة (١٧٠هـ / ٧٨٦م)، وانتقل بعدها إلى بغداد في سنٍّ مبكرة، عاش في عصر ازدهار الخلافة العباسية، حيث كان عصره يزخر بالعلوم والفنون والمعارف، ووجود الأئمة الكبار ممن عاصره أمثال الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)[٣٩]. يعدُّ الحارث المحاسبي أحد أعلام التصوُّف في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. ومن علماء القوم والجامع بين علمي الباطن والظاهر وعلوم المعاملات[٤٠] والإشارات [٤١]عالماً بالأصول له تصانيف كثيرة في الزُّهد، درس الفقه عل يد الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٧٧٨م) ومن أبرز مؤلفاته " الرعاية لحقوق الله " و " بدء من أناب الله" و " آداب النفوس " و" فهم القرآن " وغيرها كثير [٤٢]. اهتم المحاسبي بمحاسبة النفس الإنسانية ومراقبتها. قال عنه ابو نعيم[٤٣]: "المشاهد المراقبي، كان لألوان الحق مراقباً " لذلك سمي بالمحاسبي كما ذكر المناوي [٤٤]ذلك بقوله:" سمي بالمحاسبي لكثرة محاسبة نفسه او لأنه كان له حصى يعدُّها ويحسُبها وقت الذكر". روى الحديث عن يزيد بن هارون[٤٥] وغيره، ومن أشهر تلامذته الجنيد والفرائضي[٤٦] وأخرون[٤٧]. كان الحارث المحاسبي شديد الورع والزُّهد ومن شدَّة ورعه يحكى أنه ورث عن أبيه سبعون ألف درهم فلم يأخذ منها شيئًا، فقد رأى أنه من الورع أن لا يأخذ ميراثه، فذكر أبو نعيم[٤٨] بإسناده قائلاً : "قال الحارث المحاسبي ، أهل ملَّتين لا يتوارثان"، ومات وهو محتاج درهم"، والمحاسبي كان صدوق في نفسه إلا أنه لم يسلم من النقد، فقد نقموا عليه تصوُّفه وتصانيفه وهذا ما أشار إليه الذهبي [٤٩]بقوله :" وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل إيَّاك وهذه الكتب، كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك". توفي الحارث المحاسبي في بغداد سنة (٢٤٣هـ / ٨٥٧م) ولم يصلِ عليه سوى أربعة نفر[٥٠]. ولعلَّ عزوف الناس عن حضور جنازته يعود إلى ما أشيع عن مؤلفاته من أنها تضم الكثير من البدع والضلالات.

ثامناً: ثوبان بن إبراهيم وقيل : الفيض بن إبراهيم – كنيته أبو الفيض – ويقال : أبو الفياض[٥١] ولد في مصر في قرية أخميم[٥٢] كان أبوه نوبيا[٥٣]. كان ذو النون أوحد زمانه

في العلم والورع. روى الموطأ عن مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م). وأول من تكلَّم في مصر في ترتيب الأحوال، قدم بغداد وجلس فيها مدَّة من الزمن، وكان واعظاً لأهله[٥٤]، ويعدُّ ذو النون شيخ الصوفيَّة ولمقامه العالي عندهم، أتُّهم بالزندقة[٥٥]، الأمر الذي أدى إلى استدعائه من قبل الخليفة العباسي المتوكل فجاء مكَّبلاً" ولمَّا دخل عليه ووعظه بكى المتوكل وردَّه إلى بلاده مكَّرماً ، وكان المتوكَّل إذا ذكر أهل الورع بين يديه يبكي ويقول : إذا ذكر أهل الورع فحي هلا بذي النون "[٥٦]. كان ذو النون أحد رجال الطريقة الصوفيَّة وشيخه فيها شقران بن عبدالله المغربي المعروف بالعابد لورعه وتقواه[٥٧]، أما عن سبب توبته، فعندما سئل عنها قال :" خرجت من مصر إلى بعض القرى ، فنمت في الطريق في بعض الصحاري وفتحت عيني فإذا أنا بقنبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض، فأنشقت الأرض فخرجت منها سكرجتان –اي آناءان[٥٨]– أحداهما ذهب و الأخرى فضة، وفى أحدهما سمسم وفي الأخرى ماء، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا ، فقلت : حسبي قد تبت، ولزمت الباب إلى أن قبلني [٥٩]. والتصوف عند ذي النون أن يكون العبد أو المريد خالصاً القلب والروح لله لا يأنس إلا بذكره ولا يطلب إلا منه ولا يجالس إلا من أراد إلى الله طريقاً ، ومن جميل وصاياه قال :" إن أتاكم عليل من فقدي فداووه، أو مريض من تذكري فأدنوه، أو ناسٍ لنعتي فذكروه، أو مبارز لي بالمعاصي فانبذوه أو محب لي فواسوه ... "[٦٠] وقال : " ثلاثة من أعمال المحبة : الرضا في المكروه، وحسن الظن في المجهول، والتحسين في الاختيار في المحذور...وثلاث من أعمال الصواب : الأنس به في جميع الأحوال، والسكون إليه في جميع الأعمال، وحب الحمرت بغلبة الشوق في جميع الأشغال"[٦١].

توفي العالم المتصوَّف ذو النون المصري سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)[٦٢].

تاسعاً: أبو تراب عسكر بن الحصين النخشبي[٦٣] ، خراساني الأصل، من أهل نخشب[٦٤]، من كبار مشايخ القوم اشتغل بالحديث وأسنده وكتب الكثير منه، وتفقه على مذهب الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩ م) ونظر في كتبه، صحب حاتم الأصم[٦٥]. حدَّث عن نعيم بن حماد[٦٦] ومحمد بن عبدالله بن نمير[٦٧] وغيرهم. وعنه حدَّث عبدالله بن أحمد بن حنبل وأحمد بن الجلاء وأخرون[٦٨]. رحل أبو تراب إلى مدن عديدة في طلب العلم، فكان لمكَّة النصيب الأكبر في رحلة طلب العلم، ورحل أيضا إلى اصبهان ودمشق

والعراق، قدم بغداد مَّرات عديدة وجلس فيها مدَّة من الزمن وكان يحضر مجالس أحمد بن حنبل[٦٩]. وقد ذكره الشيخ أبو نعيم في تاريخه بقوله :" قدم أصبهان قديماً أبو تراب الزَّاهد عسكر بن الحصين...أحد السَّياح من كبار العبَّاد"[٧٠]. كان أبو تراب من أجَلَّ العلماء الذين جمعوا بين العلم والدين والورع، وكان صاحب أحوال وكرامات وفي هذا قال عنه أبو نعيم[٧١]:" معروف بالتَّوكل والسَّياحة والفتوة". وذكره الذهبي[٧٢] أيضاً بقوله :" كتب العلم وتفقه، ثم تأله وتعبد، وساح وتجرد". توفي العالم الزَّاهد أبو تراب النخشبي في البادية ونهشته السباع سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)[٧٣].

عاشراً: أبو شعيب البراثي[٧٤]. من كبار المشايخ في بغداد، الزَّاهد العابد. قال عنه أبو نعيم[٧٥]:" ذو الأحوال العالية".

كان ابو شعيب أول من سكن براثا[٧٦]. فنسب إليها، ونقل لنا أبو نعيم قصصاً عن زهده في الدنيا وملذاتها ومتاعها، وتظهر هذه الصورة جليَّةً في نمط حياته، حيث كان يتعبَّد في كوخ صغير (حسب وصف أبي نعيم). وأبرز ما ذكره عن البراثي، إنه في يوم مَّرت به جارية ذات ترف كانت قد تربَّت في قصور الملوك، فنظرت إليه فاستحسنت حاله وعرضت عليه نفسها، فقال لها :" أن أردت ذلك فقيري من هيبتك وتجردي عما أنت فيه حتى تصلحي لما أردت، فتجردت من كل ما تملك ولبست لبسة النُّساك وحضرته فتزوجها".[٧٧] وقد دخلت كوخه فرأت قطعة خصاف كانت في مجلس ابو شعيب تقيه من الندى، فقالت له :" ما أنا مقيمة فيها حتى تخرج ما تحتك لأني سمعتك تقول : إن الأرض تقول : يا ابن آدم، تجعل اليوم بيني وبينك حجاباً وأنت غداً في بطني فما كنت لأجعل بيني وبينها حجاباً، فأخذ أبو شعيب الخصاف ورمى به فمكثت معه سنين كثيرة يتعبدان أحسن عبادة وتوفَّيا على ذلك متعاونين" [٧٨].

حادي عشر: السري بن المغلس السقطي وكنيته أبو الحسن[٧٩] شيخ الإسلام، العالم الزاهد. ولد سنة (١٦٠هـ/ ٧٧٦م) في بغداد[٨٠] عاش في كنف الدولة العباسية، وهو خال الجنيد وأستاذه، صحب معروف الكرخي وهو من أجلَّ أصحابه[٨١]، أشتهر السري السقطي بالعبادة وكان إمام البغداديين في الإشارات، وأوَّل من تكلّم بلسان التوحيد، وتكلم أيضا في علوم الحقائق[٨٢]، ويعد السري السقطي أوحد زمانه في الورع[٨٣]، حدث السري السقطي عن

كوكبة كبيرة من الشيوخ منهم الفضيل بن عياض، وسفيان بن عيينه، وأبي بكر بن عياش، وغيرهم[٨٤]. أقام السري السقطي ردحاً من الزمن في طرسوس[٨٥]، قام حينها بعدَّة غزوات ضد الروم البيزنطيين، فذكر ذلك أبو نعيم[٨٦] بقوله :" كنت بطرسوس ، وكان معي في الدار فتيان متعبَّدون، وكان في الدار تنور يخبزون فيه، فانكسر التنور ، فعملت لهم بدله من مالي، فتورَّعوا أن يخبزوا فيه، قال : وسمعت السري ، وذكر أن أبا يوسف الغسولي[٨٧]، كان يلزم الثغر ويغزو ، وكان إذا غزا ودخلوا بلاد الروم أكل أصحابه من طعام الروم وفواكههم ، فيقول أبو يوسف: لا آكل ، فيقال له : تشك أنه حلال ؟ فيقول : لا أشك ، هو حلال ، فيقال له : فكل من الحلال ، فيقول : إنما الزُّهد في الحلال"، وتفيد هذه الرواية إن السري السقطي جمع بين الجهاد القتالي وجهاد النفس، لما بينهما من ترابط وثيق، فالجهاد الأكبر هو تهذيب النفس وتوجيهها إلى الخير وبذلك تستعد لمواجهة العدو وقتاله، فعرف عن السري جهاده وحث الناس عليه والمرابطة لقتال العدو، ولعلَّ الخبر الذي ساقه أبو نعيم يعكس ما كان عليه المرابطون في سبيل الله من ورع وتقوى وزهد. والتصوُّف عند السري السقطي هو التحبُّب إلى الله بالنافلة وأن يأنس العبد بالأذكار ويقنع بما عنده وإن قلَّ، وأن ينشغل العبد بنفسه فإنَّ في النفس ما يشغل عن الناس، قال السري: "للمريد عشر مقامات، التحبب إلى الله بالنافلة، والتزيين عمده بالنصيحة، والأنس بكلام الله، والصبر على احكامه، والأثرة لأمره، والجهاد من نظرة، وبذل المجهود في محبوبه، والرضا بالقِلَّة والقناعة بالخمول"[٨٨]. كان السري السقطي من شيوخ الصوفيَّة وكبار الواعظين، قال أبو نعيم[٨٩] واصفاً السقطي: "العلم المنثور، والحكم المذكور، شديد الهوى، حميد المسعى، ذو القلب النقي، والورع الخفي، عن نفسه راحل، ولِحُكم ربه نازل". توفي العالم الزاهد السري السقطي سنة (٢٥١هـ/ ٨٦٥م)[٩٠] وقيل: سنة (٢٥٣هـ/ ٨٦٧م)[٩١] وقيل: سنة (٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)[٩٢] ودفن في مقبرة الشونيزية[٩٣].

حادي عشر: أبو أيوب الحمَّال[٩٤] : ذكره الخطيب البغدادي[٩٥]:" أيوب أبو سليمان الحمال"، أحد زهَّاد بغداد المجتهدين بالعبادة والورع صاحب كرامات عجيبة[٩٦]. من أقران السري السقطي وبشر بن الحارث[٩٧]. حكى عن أبو أيوب أحمد بن مسروق الطوسي وغيره[٩٨]، كان أبو أيوب من أجَلَّ المشايخ وأورعهم، وكان كثير الذكر والتسبيح قال أبو

نعيم[٩٩] بإسناده :" قال أبو أيوب عقدت نفسي أن لا أمشي غافلاً ولا أمشي إلا ذاكراً، فمشيت مشية غفلة فأخذتني عرجة فعلمت من أين أتت فبكيت واستغثت فتبت فزالت العِلَّة والعرجة فرجعت إلى الموضع الذي غفلت فيه فرجعت إلى الذكر فمشيت سليماً".

ثاني عشر: يحيى بن معاذ بن جعفر الرَّازي[١٠٠] : أبو زكريا الواعظ، الزَّاهد، أحد أعلام التصوُّف في القرن الثالث الهجري، أصله من الري، سكن بلخ، ثم أنتقل الى نيسابور وبقي فيها حتى وفاته[١٠١]. سمع الكثير من المشايخ وتتلمذ على أيديهم منهم إسحاق بن سليمان الرازي[١٠٢]، والطنافسي[١٠٣]، وغيرهم ، وحكى عنه أهل الري وهمدان وخراسان. قدم بغداد وكان واعظاً لأهلها، فقد اجتمع إليه مشايخ الصوفيَّة لمحاورته وسماع مواعظه، ذكر ذلك الخطيب البغدادي[١٠٤] بإسناده:" قدم إلى بغداد فاجتمع إليه النُّساك ونصبوا له منصة وأقعدوه عليها وقعدوا بين يديه يتجارون ". دعا الواعظ يحيى بن معاذ إلى الزُّهد والتقوى وعبادة الله بصدق وإخلاص وقد عّبر عن الحب الإلهي بالتوبة وترك زخرف الدنيا وبهجتها[١٠٥] وكانت له الكثير من المؤلفات منها كتاب "المريدين"[١٠٦]. وعن وعظ يحيى بن معاذ وورعه وتقواه قال عنه السلمي[١٠٧] ": أحد الاوتاد" وقال الذهبي[١٠٨] :" الرازي، الواعظ، من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة"، توفَّي الواعظ الزاهد يحيى بن معاذ سنة (٢٥٨هـ/ ٨٧٢م)[١٠٩].

الخاتمة

بعد استعراض وتحليل تراجم علماء بغداد في القرن الثالث الهجري كما وردت في كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، يتضح أن هذا المصدر يُعد من أبرز المراجع التي وثّقت الحياة العلمية والروحية في بغداد خلال تلك الحقبة الذهبية من تاريخ الحضارة الإسلامية. فقد قدّم الأصفهاني صورة غنية ومركّبة لهؤلاء العلماء، جمعت بين الجوانب العلمية من فقه وحديث وتفسير، وبين الأبعاد الروحية من زهد وتصوف وكرامات، مما يعكس طبيعة التداخل بين العلم والدين في ذلك العصر.

وقد أظهرت الدراسة أن اختيار أبي نعيم للتراجم لم يكن عشوائياً، بل جاء وفق رؤية صوفية واضحة، حيث ركّز على العلماء الذين جمعوا بين العلم والعمل، وأبرز فيهم صفات الورع والتقوى، مما يدل على أن كتابه لم يكن مجرد سجل تاريخي، بل كان أيضاً دعوة

ضمنية إلى الاقتداء بهؤلاء النماذج. كما كشفت الدراسة عن الأمانة العلمية التي اتصف بها المؤلف، رغم ميله إلى التصديق بالكرامات دون تمحيص نقدي، وهو ما يعكس طبيعة التأريخ الروحي في كتب التراجم الصوفية.

إن علماء بغداد الذين ورد ذكرهم في حلية الأولياء يمثلون نخبة من المفكرين والمحدثين والفقهاء الذين أسهموا في بناء الهوية العلمية للعصر العباسي، وكان لهم دور محوري في نقل المعارف وتطويرها، وفي ترسيخ قيم الزهد والتقوى في المجتمع الإسلامي. وقد ساهمت هذه التراجم في حفظ سيرهم من النسيان، وأتاحت للباحثين المعاصرين فرصة لفهم السياق الفكري والديني الذي نشأ فيه هؤلاء العلماء.

وبناءً على ما سبق، فإن هذا البحث يوصي بضرورة إجراء دراسات مقارنة بين تراجم علماء بغداد في حلية الأولياء وبين ما ورد عنهم في مصادر أخرى، مثل كتب الطبقات والتاريخ، وذلك لتكوين صورة أكثر شمولاً ودقة عنهم. كما يدعو إلى إعادة قراءة كتب التراجم الصوفية بوصفها مصادر تاريخية وفكرية، لا تقتصر على الجانب الروحي، بل تحمل في طياتها إشارات مهمة إلى تطور الفكر الإسلامي ومؤسساته العلمية.

المصادر والمراجع:

(١)أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج١٠، ص٣١٧؛ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٣٩٢ – ٤٦٣ هـ) ، تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها) ، ج٩، ص٣٣٢.

(٢)أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١٠، ص٣١٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص٣٣٢.

(٣) حلية الأولياء، ج١٠، ص٣١٧.

(٤)أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١٠، ص٣١٧.

(٥) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٩، ص٢٥٥.

(٦)العنسي: بفتح العين المهملة وسكون النون، وفي آخرها سين مهملة، وهي نسبة إلى عنس بن مالك بن أدد، وهو من مذحج في اليمن، وجماعة منهم نزلوا الشام.

عز الدين ابن الأثير الجزري [ت ٦٣٠ هـ] ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج٢، ص٣٦٢.

(٧) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٩، ص٢٥٥.

(٨) داريا: قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة، فيها قبر أبو سليمان الداراني نسب إليها الكثير من الأعيان.

شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٩.

(٩) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ج٤، ص٤٤٩.

(١٠) أحمد بن أبي الحواري الحافظ، والمحدث القدوة، أبو الحسن الكوفي أحد أعلام الشام ولد سنة (١٦٤هـ/ ٧٨٠م)، وتوفي سنة (٢٤٦هـ/ ٨٦٠م).

شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٨٦.

(١١)محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) ، طبقات الصوفية، ص٢٨.

(١٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٠، ص٢٤٨؛ أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٣١.

(١٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٨، ص٢٩٤؛ وللمزيد ينظر: أبن الملقن، طبقات الأولياء، ص٢٧٦.

(١٤)أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٨، ص٢٩٤.

(١٥) عيسى بن يونس أبن أبي إسحاق بن عمرو بن عبدالله الكوفي، الإمام الحافظ القدوة، كان أحد رواة الحديث النبوي الشريف، وأحد المرابطين في الثغور، توفي سنة (١٩١هـ/٨٠٧م). جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (٦٥٤ – ٧٤٢ هـ) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ج٢٣، ص٦٣.

(١٦) عمرو بن منصور بن نصر أبو حفص الكاتب المخي، أبن بنت مخة أخت بشر بن الحارث، روى عن بشر حكايات كثيرة وحدث عنه عبدالله بن أحمد بن حنبل وغيره. أبن الأثير، اللباب، ج٣، ص١٨٢؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٢١.

(١٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٨٤.

(١٨) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٩، ص٣٢٥؛ وللمزيد ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، ص٥٠.
جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، صفة الصفوة، ج٢، ص٣٠٨.

(١٩)شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ص٣٤٠

(٢٠) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٩، ص٣٢٧.

(٢١) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٩، ص٣٢٧.

(٢٢) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، المكنى بأبي الحارث من أهل أصفهان ، توفي سنة (١٧٥هـ/ ٧٩١م). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص١٣٧.

(٢٣) عبدالله بن لهيعة بن عقبة بن مرغان، محدث الديار المصرية، كان كثير الحديث، زاهداً صالحاً، توفي سنة (١٧٤هـ/). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص١٢.

(٢٤) زهير بن عباد بن مليح بن زهير ، كوفي الأصل، كان من فقهاء عصره، ومن أهل الحديث، وهو أبن عم وكيع الرؤاسي، حدث بمصر ودمشق عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة، وأبن المبارك.
شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، تهذيب التهذيب، ج٤، ص٥٠٧.شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تح: محب الدين ابي سعيد عمر بن غرامة العمروي، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥م)، ج١٩، ص١٠٨.

(٢٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، ج١٣، ص٤٣٠.

(٢٦) أبو نعيم , حلية الأولياء، ج٩، ص٣٢٥.

(٢٧) أبن الجوزي، صفة الصفوة، ج٢، ص٣٠٨.

([٢٨]) دار حرب : محلة مشهورة في بغداد تعرف بالحربية وسميت بهذا الاسم نسبة إلى حرب بن عبدالله أحد أصحاب ابو جعفر المنصور الذي كان يتولى شرطة بغداد. الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٧.

([٢٩]) عزيز السيد جاسم، متصوفة بغداد، ص٩٤.

([٣٠]) ابو نعيم، حلية الأولياء، ج ٨، ص ٣٥٤.

([٣١]) أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧ هـ) ، الجرح والتعديل، ج ٤، ص ٤٠٨.

([٣٢])ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ) ، طبقات الأولياء، ص ٤١.

([٣٣]) ابو نعيم، حلية الأولياء، ج ٨، ص ٣٥٤.

([٣٤]) ابو نعيم، حلية الاولياء, ص ٣٥٤.

([٣٥]) ابو نعيم، حلية الاولياء, ص ٣٥٤.

([٣٦]) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٤١.

([٣٧]) ابو نعيم , حلية الأولياء، ج ٨، ص ٣٥٤.

([٣٨])ابو نعيم , حلية الأولياء ، ج١٠، ص ٨١.

([٣٩])عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) ، الرسالة القشيرية، ص ٢٠.

([٤٠]) المعاملات : علم من علوم الشريعة ويعد من أعلى العلوم فيها وهو علم أحوال القلب اما ان يحمد الله ويشكره على مافيه من تقوى وزهد وحسن العيش، واما ان يذم ماهو عليه. الطوسي، اللمع، ص ٤٦٠.

([٤١]) الإشارات : هي واحدة من أهم المصطلحات التي استخدمها الصوفية وتعني : مايخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه. الطوسي، اللمع، ص٤١٤.

([٤٢]) السلمي، طبقات الصوفية، ص ٣٣.

([٤٣]) ابو نعيم , حلية الأولياء، ج ١٠، ص ٧٩.

([٤٤]) زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ / ١٦٢٢م)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، (بيروت، ١٩٣٨م)، ج١، ص ٢١٨-٢١٩.

([٤٥]) ابو خالد السلمي ابن زاذي، الامام القدوة، الحافظ الواسطي. بخاري الأصل ولد سنة (١١٨هـ/ ٧٣٦م) وتوفي سنة (٢٠٦هـ/ ٨٢١م). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص ٣٥٨.

([٤٦]) ابو بكر أحمد بن القاسم بن نصر، نيسابوري الأصل، من المحدثين الثقات، ولد سنة (٢٢٢هـ/ ٨٣٦م)، وتوفي سنة (٢٣٠هـ/ ٩٣٢م). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ٤٦٧.

([٤٧]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ١١٢.

([٤٨]) ابو نعيم , حلية الأولياء، ج ١٠، ص ٨٠.

([٤٩]) الذهبي , سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ١١٢.

([٥٠]) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٨، ص٢١٥.

([٥١]) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٩، ص٣٣١؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص٤٩٤؛ أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣١٦.

([٥٢]) أخميم: قرية من قرى مصر، تقع على شاطئ نهر النيل، فيها الكثير من الأعاجيب القديمة كالبرابي وغيرها، والبرابي هي عبارة عن أبنية عجيبة فيها تماثيل وصور. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٢٤.

([٥٣]) النوبة: قرية من قرى صعيد مصر نسب إليها والد ذو النون.الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٠٦.

([٥٤]) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨, ص٣٩٠.

([٥٥]) الزندقة : هو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة والربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧هـ) ، القاموس المحيط، ج٢، ص٤٧٢

([٥٦])أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج١، ص٣١٥.

([٥٧])أبن خلكان، وفيات الأعيان ، ج١، ص٣١٦.

([٥٨])محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) , لسان العرب , ج٦, ص٣٠٧.

([٥٩])أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣١٦.

([٦٠])أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٩، ص٣٣٧.

([٦١])ابو نعيم، حلية الاولياء, ص٣٤١.

([٦٢])الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد, ج٨, ص٣٩٣. صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، الوافي بالوفيات، ج٢، ص٤٩٤.

([٦٣])ابو نعيم، حلية الاولياء، ج ١٠، ص ٢٣٢.

(٦٤) نخشب : مدينة من مدن ما وراء النهر بين جيحون وسمرقند وهي نفسها مدينة نسف. الحموي، معجم البلدان، ج ٨، ص ٢٢١.

(٦٥) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج ١٠، ص ٢٣٢.

(٦٦) نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي، من اهل مرو، محدث وصاحب التصانيف الكثيرة توفي سنة (٢٢٩هـ/ ٨٤٤م). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٥٩٦.

(٦٧) أبو عبد الرحمن الهمداني، من اهل الكوفة، الحافظ، الثقة ، احد رواة الحديث النبوي ومن اقران الإمام أحمد بن حنبل توفي سنة (٢٣٤هـ/ ٨٤٩م). الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٤٥٦.

(٦٨) ابو نعيم، حلية الأولياء، ج ١٠، ص ٢٣٣.

(٦٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٣١٦.

(٧٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد, ج٢، ص١٤٦.

(٧١)ابو نعيم , حلية الأولياء، ج ١٠، ص ٢٣٢.

(٧٢) الذهبي , سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٢٣٠.

(٧٣) ابو نعيم، حلية الاولياء، ج ١٠، ص ٢٣٢.

(٧٤) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج ١٠، ص ٣٤٥.

(٧٥) الذهبي , حلية الأولياء، ج١٠، ص ٣٤٥.

(٧٦) براثا: بالثاء المثلثة، محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب المحول، فيها مسجد وقيل: كانت قبل بناء بغداد قرية مر بها الإمام علي (عليه السلام) أثناء قتال الحرورية في معركة النهروان. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣٢٣.

(٧٧) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١٠، ص ٣٤٥.

(٧٨) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١٠، ص ٣٤٥.

(٧٩) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١٠، ص ١١٩.

(٨٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص١٨٥.

(٨١) ابو نعيم، حلية الاولياء، ج١٠، ص ١١٩.

(٨٢) علوم الحقائق : شهود الحق في تجليات المظاهر. فالشريعة ان تعبده، والطريقة ان تقصده، والحقيقة ان تشهده. أبن عجيبة، معراج التشوف، ص ٧١.

(٨٣) ابو نعيم، حلية الأولياء، ج١٠، ص ١١٩.

(٨٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ١٨٥.

([٨٥]) طرسوس : هي مدينة بثغور الشام بين أنطاكيا وحلب وبلاد الروم وعليها سوران وخندق ولها ستة أبواب وفيها قبر الخليفة العباسي المأمون عبدالله بن الرشيد. الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٦٠.

([٨٦]) أبو نعيم، المصدر السابق، ج١٠، ص ١٢٠.

([٨٧]) أبو يوسف الغسولي: من العباد ومن أقران السري السقطي، كان مقيماً بالثغر الشامي ملازماً للغزو والجهاد، كان ورعاً ودياناً، توفي سنة (٢٤٠هـ/ ٨٥٤م). عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تح: سهيل زكار، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م)، ج ١٠، ص ٣٤٨.

([٨٨]) ابو نعيم، حلية الأولياء، ج ١٠، ص ١٢١.

([٨٩]) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١٠، ص ١١٩.

([٩٠]) الشيخ عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، ج١، ص٧٢.

([٩١]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص١٨٥.

([٩٢]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص١٨٥.

([٩٣]) الشونيزية: بالضم، ثم السكون، ثم نون مكسورة، وياء مثناة من تحت ساكنة، وزاي، وياء. النسبة: مقبرة ببغداد بالجانب الغربي لنهر دجلة دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين وفيها مسجد الجنيد. الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٧٤.

([٩٤]) أبو نعيم، حلية الاولياء، ج١٠، ص ٣٣٣.

([٩٥]) الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد، ج٧، ص٣١٢.

([٩٦]) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١٠، ص٣٣٣.

([٩٧]) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٧، ص٨.

([٩٨]) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧، ص٨

([٩٩]) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١٠، ص٣٣٣.

([١٠٠]) أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١٠، ص ٥٥؛ وللمزيد ينظر: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، ج٧، ص٢٥٨.الامام الحافظ المؤرخ ابي الفداء اسماعيل ابن الكثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٣١.

(١٠١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٢١٢. إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابـاني أصـلا، البغـدادي مَولـدا ومَسـكنا [ت ١٣٣٩ هـ] ، هديـة العـارفين أسـماء المـؤلفين وآثـار المصنفين ، ج٢، ص٥١٦.

(١٠٢) إسحاق بن سليمان الرازي، ابو يحيى العبدي، مولى عبد القيس، المحدث الكوفي، سكن الري، كان من المحدثين الثقات، عُرف بعلمه وورعه وتقواه، روى عن الكثير من شيوخ الحديث منهم سفيان الثوري والإمام مالك بن انس وعنه روى الإمام أحمد بن حنبل، توفي في الري سنة (١٩٩هـ/٨١٤م). المزي، تهذيب الكمال، ص٤٣٠.

(١٠٣) علي بن محمد بن إسحاق بن أبي شداد، ابوالحسن الطنافسي، الكوفي، سكن الري ومن ثم قزوين ، الإمام الحافظ المتقن، من الأئمة الأعلام في رواية الحديث حدث عنه الكثير منهم النسائي وابن ماجة، توفي سنة (٢٣٣هـ/ ٨٤٧م). العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٧، ص٣٣١.

(١٠٤) الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد، ج١٤، ص٢١٢.

(١٠٥) ابو نعيم، حلية الأولياء، ج١٠، ص ٥٥.

(١٠٦) البغدادي، هدية العارفين، ج٢، ص٥١٦.

(١٠٧) محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) , طبقات الصوفية، ص٩٨.

(١٠٨) شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص١٥.

(١٠٩) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٥٨.

التوارث الوظيفي لمنصب القاضي في عهد دولة بني الأحمر في الاندلس (٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢)

أ.م.د. نبراس فوزي
أزهار صبار داود
جامعة بغداد / كلية الاداب

التوارث الوظيفي لمنصب القاضي في عهد دولة بني الأحمر في الاندلس (٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢)

أ.م.د. نبراس فوزي

أزهار صبار داود

الملخص :

يتناول البحث مظاهر التوريث لمنصب القاضي في دولة بني الأحمر ، وفي الواقع لم يكن توريثاً مباشراً للمنصب من الأب الى الأبن أو الأخ بل كان يتم اختيار القضاة على وفق معايير علمية وفقهية ويكون هنالك ميل لترشيح أبناء القضاة أو أقاربهم ممن لهم دراية بالقضاء ويحملون صفات من سبقهم .

الكلمات المفتاحية : (القاضي ، بني الأحمر ، الاندلس)

The inheritance of the position of judge during the reign of the Banu al-Ahmar dynasty in Andalusia (635-897 AH/1238-1492 AD)

Abstract:

This research examines the inheritance of the position of judge in the Banu al-Ahmar dynasty. In reality, the position was not directly inherited from father to son or brother. Rather, judges were selected according to scholarly and jurisprudential criteria, with a tendency to nominate sons or relatives of judges who possessed knowledge of the judiciary and shared the qualities of their predecessors.

Keywords: (Judge, Banu al-Ahmar, Andalusia)

المقدمة :

القضاء في اللغة هو الحكم، والقاضي معناه القاطع للأمور والمحكم لها، واستقضي فلان أي جُعل قاضياً يحكم بين الناس، والقضايا الأحكام، والقضاء يأتي على وجوه مرجعها الى انقطاع الشيء وتمامه. والقضاء العدل وهو مصدر حكم يحكم[١].

أما في الاصطلاح فمعناه فض الخصومات والمنازعات عن طريق إلزام الخصوم بالأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والاجتهاد[٢].

كانت خطة القضاء في الأندلس من أعظم الخطط عند الخاصة والعامة، لتعلقها بأمور الدين، وكون السلطان لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي، ولا يتسمى باسم قاضي إلا إذا كان يتولى الحكم في مدينة جليلة، وإن كانت صغيرة يطلق على القاضي تسمية مسدد[٣]. أما في عهد الولاة فكان يعرف بقاضي الجند، ثم أصبح يسمى قاضي الجماعة في عهد الامارة[٤].

التوارث الوظيفي لمنصب القاضي في عهد دولة بني الأحمر في الاندلس (٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢)

حرص سلاطين بني نصر[٥] على أن لا يشغل منصب القضاء سوى العلماء والفقهاء، وقد توارثت بعض الأسر في الأندلس منصب القاضي في عهد بني الأحمر نذكر منهم بني ربيع الأشعري الذي كان منهم عدة قضاة أولهم كان القاضي العالم الشهير أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري الذي تولى قضاء الجماعة لمحمد بن يوسف بن الأحمر[٦] (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) وكان من جلة أهل الأندلس من كبر البيت وغزارة العلم، تولى قضاء قرطبة[٧] قبل سقوطها بيد الاسبان وكذلك تولى قضاء مالقة[٨]، وأعقبه ابنه أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي عامر يحيى بن ربيع الأشعري وكان على قدر كبير من المعارف والاشتداد على أهل العتو والفساد وبقي في القضاء حتى وفاته[٩].

وتوارث خطة القضاء في دولة بني الأحمر أبو عبد الله محمد بن عياض بن محمد بن موسى اليحصبي حفيد القاضي أبو الفضل عياض الذي كان معروفاً أيام المرابطين[١٠] وكان من كبار القضاة وأهل النزاهة فيهم شديد التحري في الحكم والاحتياط شديداً على أهل الجاه وذوي السطوة فاضلاً وقوراً حسن الصمت مقرباً لاصغار الطلبة ومكرماً لهم ومعتنياً بهم ليحبب اليهم العلم والتمسك به ، تولى قضاء غرناطة[١١] في عهد أول سلاطين بنو الأحمر محمد بن يوسف (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م) وتوفي بغرناطة وهو يتولى قضائها عام (٦٥٥هـ/ ١٢٥٨م)[١٢] اما بنو أضحى[١٣] فقد تولى القضاء منهم في عهد بنو الأحمر القاضي ابو عبد الله محمد بن أضحى وبيته شهير وكان عادلاً نزيهاً فقيهاً ، تولى القضاء لمحمد بن يوسف بن الأحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/ ١٢٣٧-١٢٧٢م)[١٤].

أما بنو المحاربي فتولى القضاء منهم في غرناطة الشيخ الفقيه أبا بكر يحيى بن مسعود بن علي بن مسعود بن علي بن مسعود المحاربي في أيام حكم السلطان اسماعيل بن فرج بن اسماعيل النصري (٧١٣-٧٢٥هـ/ ١٣١٤-١٣٢٥م) وكان رجل الجزالة وفيصل الحكم شديدا في إقامة الحق ، واستعان بالجاه حتى خاف الناس من سطوته فاستمر قاضياً حتى عام (٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، إذ وجهه السلطان أبو الحجاج محمد بن اسماعيل (٧٢٥-٧٣٣هـ/ ١٣٢٤-١٣٣٢م) رسولاً الى ملك المغرب وأدركته الوفاة في مدينة سلا[١٥]، فدفن بها وكان قد خلف ولده أبا يحيى مسعود نائباً عنه، فاستمرت له الأحكام واستقل بعده الى أن صُرف عام (٧٣١هـ/ ١٣٣٠م)[١٦].

ومن بيت عطية المحاربي، كان القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي[١٧] قاضي وادي آش[١٨] من عام (٣٧٨هـ/ ١٣٣٧م) حتى عام (٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)[١٩] وهو من أحفاد القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية قاضي المرية[٢٠] في عام (٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)[٢١].

ومن قضاة بني الأحمر القاضي " الإمام العالم العلامة المعمر رئيس العلوم اللسانية أبو محمد عبد الله بن ابي القاسم بن جزي وهو من بيت فاضل ونبيه وسلف شهير وأبوه خير، وهو أديب حافظ جيد النظم، قعد للاقراء ببلده غرناطة معيداً ومستقلاً، ثم تقدم للقضاء، أخذ عن والده الأستاذ الشهير أبي القاسم بن جزي[٢٢] أشياء كثيرة " [٢٣]. قال عنه ابن الخطيب " خزانة تنفق الادب اذا كسد ، وتصلح ادواته ما حسد " [٢٤] ، وكان "أخوه احمد بن محمد بن عبد الله بن جزي من اهل الفضل والنزاهة ، تولى قضاء غرناطة وغيرها، وله تعليق على كتاب ابيه القوانين الفقهية" [٢٥].

أما بني عاصم الوزراء المشهورين أبو بكر محمد بن عاصم القيسي الغرناطي، وابنه أبو يحيى بن عاصم ، فقد كانا ممن تولى القضاء ثم الكتابة والوزارة في دولة بني الأحمر [٢٦].

ومن الشخصيات الذين توارثوا القضاء في دولة بني الأحمر " غالب بن حسن بن أحمد بن سيد بونة، يكنى أبا تمام روى عن أبيه وصحب قريبه الشيخ الصالح أبا أحمد بن

سيد بونة، ولازمه وانتفع بصحبته، وكان يحدث بكثير من فضائله وكراماته وكان أبو تمام شيخاً فاضلاً ومقرئاً مباركاً، ولي القضاء، وكانت وفاته سنة (٦٥١هـ/ ١٢٥٣م) بحضرة غرناطة " [٢٧]. " ومن الشيوخ السراة المذكورين بالأندلس في القضاة... ابو تمام غالب بن حسن بن غالب بن احمد بن يحيى بن سيد بونة الخزاعي. تقدم ذكر جده ؛... فقام بالاعباء ؛ سالكاً سنن الصالحين من الايثار والتسديد بين قومه مكباً على العبادة والدعوة الى الجهاد وله رواية عن والده أبي علي وعن الخطيب أبي الحسن بن فضيلة وغيرهما وله تأليف في منع سماع اليراعة المسماة بالشبابة وعلى ذلك درج جمهورهم. مولده في ذي القعدة من عام (٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م) ووفاته في (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)"[٢٨].

ومما يبدو لنا من متابعة سيرة القضاة في غرناطة عهد بني الأحمر أن معظمهم شغلوا منصب الكتابة والوزارة بعد أن اشتهروا بمنصب القضاء، وكانوا يتوارثون هذا المنصب من ابائهم اواخوتهم او احد اقربائهم مع شرط ان يكون من يتوارث هذا المنصب على قدر من التفقه بأحكام القضاء.

الخاتمة

يتبين لنا من خلال كتابة هذا البحث أن وظيفة القاضي في عهد دولة بني الأحمر كانت حكراً على العلماء والفقهاء كما هو الحال في عهود الاندلس السابقة وشهد هذا العصر ازدهاراً في العلوم والفقه وظهر العديد من الفقهاء الذين ساهموا في تطوير القضاء وتفسير الاحكام ، وكان حكام بني الأحمر يميلون الى أختيار أحد أبناء القضاة أو أحد أقاربهم ليحل محله بعد وفاته ، في حال كان على قدر عالي من التفنن في علوم الفقه واحكام القضاء .

المصادر والمراجع

المصادر :

❖ **ابن الابار، محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي، (ت: ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)**

١- الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٨٥م.

❖ **ابن الأحمر، الامير ابو الوليد اسماعيل بن الاحمر، (ت٨٠٧ هـ/١٤٠٤م)**

٢- أعلام المغرب والاندلس نثير الجمان، تح :محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٦م

❖ **الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس (ت: ٥٦٠هـ/ م)**

٣- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م .

❖ **ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد الملك، (ت: ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)**

٤- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥م.

❖ **التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد التكروري السوداني، (ت: ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م)**

٥- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الحرامة، دار الكاتب، طرابلس، ٢٠٠٠م

❖ **الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)**

٦- الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.

❖ **ابن خاقان، الوزير ابو نصر الفتح بن محمد، (ت: ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م)**

٧- قلائد العقيان، المطبعة الاميرية ، بولاق،١٨٦٦

❖ **ابن الخصاف، أحمد بن عمرو بن مهر الشيباني، (ت: ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)**

٨- أدب القاضي، شرح ابو بكر أحمد بن علي الرازي، تح: فرحات زيادة، الجامعة الامريكية، القاهرة، ١٩٧٩م.

❖ **ابن الخطيب، الوزير أبي عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي، (ت: ٧٧٦هـ)**

٩- الاحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٣م .

١٠-الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣م.

١١- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، المطبعة السلفية، القاهرة،١٩٢٨م.

❖ **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)**

١٢- تاريخ ابن خلدون ، تح: خليل شحاذة، دار الفكر .

❖ **ابن ابي دينار، محمد بن ابي القاسم (ت: القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي)**

١٣- المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٩٣م .

❖ **ابن سعيد،علي بن موسى المغربي الاندلسي،(ت:٦٨٥هـ/١٢٨٦م)**

١٤- المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف،دار المعارف ،القاهرة،١٩٥٥ .

❖ **ابن عبد الملك المراكشي، ابي عبد الله محمد بن محمد (ت: ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م)**

١٥- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: احسان عباس ومحمد بن شريف وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢م.

❖ **ابن عذارى، ابو عبد الله محمد المراكشي، (كان حياً ٧١٢هـ/١٣١٢م)**

١٦-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد ،دار الغرب الاسلامي، تونس،٢٠١٣.

❖ **العسقلاني، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي(ت:٨٥٢هـ/١٤٤٨م)**

١٧- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ،تح: سالم الكرنكوي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد ،الدكن،١٩٧٢م

❖ **ابن القاضي ، أبو العباس احمد بن محمد المكناسي (١٠٢٥هـ/١٦١٦م)**

١٨- ذيل وفيات الاعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال ، تح: محمد الاحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٧١ .

❖ **القزويني ، زكريا بن محمد (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)**

١٩- أثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م.

❖ **القلقشندي، ابو العباس أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)**

٢٠- صبح الأعشى في صناعة الانشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت

❖ **المقري شهاب الدين محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)**

٢١- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٢- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩.

❖ **ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)**

٢٣-لسان العرب، الحواشي: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٩٩٣م .

❖ **النباهي، علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن الجذامي، (ت: ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م)**

٢٤- تاريخ قضاة الأندلس المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة احياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.

❖ **ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله الرومي، (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)**

٢٥-معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

المراجع :

❖ **بلغيث ، محمد امين**

١- دولة المرابطين بالاندلس من مدينة السياسة الى مدينة العلم ، دار الوعي ، الجزائر ، ٢٠٠٩م

❖ **عنان، محمد عبد الله**

٢- دولة الاسلام في الأندلس العصر، مكتبة الخانجي، ط٤، القاهرة، ١٩٩٧.

الرسائل والاطاريح:

❖ **دويكات ، الهام سمحات عادل**

٣- مدينة وادي آش الاندلسية في العصر الإسلامي (٩٢-٨٩٥هـ/٧١١-١٤٨٩م) ، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، فلسطين ، ٢٠٢٠

الهوامش:

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين (ت: ٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب، الحواشي: اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٩٩٣م، ج٥، ص١٨٦-١٨٩.

(٢) ابن الخصاف، أحمد بن عمرو بن مهر الشيباني، (ت: ٢٦١هـ/ ٨٧٤م) أدب القاضي، شرح ابو بكر أحمد بن علي الرازي، تح: فرحات زيادة، الجامعة الامريكية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٦١٩.

(٣) المقري شهاب الدين محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م ، ج١، ص٢١٨.

(٤) النباهي، علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن الجذامي، (ت: ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م) تاريخ قضاة الأندلس المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة احياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢١.

(٥) بني نصر : هم حكام دولة بني الاحمر التي اسسها محمد بن يوسف بن الاحمر في الاندلس بعد ضعف دولة الموحدين ، وشمل حكمهم غرناطة والمرية ومالقة واستمروا في الحكم لاكثر من قرنين من الزمن وأخر حكامهم ابو عبد الله الصغير . ينظر : ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) ، تاريخ ابن خلدون ، تح: خليل شحاذة، دار الفكر ، ج٤ ، ص٢١٨؛ عنان ،محمد عبد الله , دولة الاسلام في الاندلس ، مكتبة الخانجي، ط٤ ، القاهرة،١٩٩٧،ج٥، ص٣٧، ص٤١ ، ص٥٤.

(٦)محمد بن يوسف بن الاحمر : هو مؤسس دولة بني الاحمر وهو ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الانصاري الخزرجي ، ويعود اصله الى سعد بن عبادة سيد الخزرج وصاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان يلقب بالشيخ والغالب وأبو دبوس ، توفي عام (٦٧١هـ/١٢٧٢م). ينظر : بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٤، ص٢١٨ ؛

القلقشندي، ابو العباس أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م ، ج٥ ، ص٢٥١.

(٧) قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس وسط البلاد ومركز ملكهم ومركز ملوك بني أمية، وهي مدينة حصينة بسور من الحجارة ولها بابان مشرعان في نفس السور. ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله الرومي، (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٤، ص٣٢٥.

(٨) مالقة : مدينة على شاطئ البحر بالاندلس ، عليها سور من صخر ، والبحر في قبليها ، وهي حسنة عامرة اهلة كثيرة الديار ، ويكثر فيها التين وقصبتها في شرقي مدينتها . ينظر : الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م، ص٥١٧-٥١٨.

(٩) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٢٥.

(١٠) المرابطين : دولة تأسست في المغرب الاقصى ، اعتمدت في بدايتها على دعوة دينية للشيخ عبد الله بن ياسين الجزولي الذي دعاه الامير يحيى بن إبراهيم لنشر تعاليم الإسلام بين قبائل صنهاجة التي ينضوي تحت لوائها اكثر من سبعين قبيلة اشهرها لمتونة وجدالة ولمطة ومسوفة ، لانهم كانوا يجهلون تعاليم الإسلام الصحيحة، واستطاع الأمير الصنهاجي ان يقود معارك قضى فيها على جميع زعامات المغرب المتنازعة وتوحيدها وقد سميوا بالمرابطين لشدة بأسهم وحسن بلائهم في المعارك . ثم تنازل أمير صنهاجة لأبن عمه يوسف بن تاشفين عن زعامة المرابطين فأسس مدينة مراكش كعاصمة لهم واستطاع ضم الاندلس لدولة المرابطين . ينظر : ابن ابي دينار، محمد بن ابي القاسم (ت: القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي) ، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٩٣م، ص١٢٨- ص١٣١؛ ابن عذارى ،ابو عبد الله محمد المراكشي ،(كان حيا عام ٧١٢هـ/١٣١٢م)،البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ،تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد ،دار الغرب الاسلامي ،تونس،٢٠١٣،ج٣ ،ص٧-ص٢١.

(١١)غرناطة: أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الاندلس وأعظمها وأكثرها تحصينا يشقها النهر المعروف بنهر قلزم ومعنى اسم غرناطة (رمانة) بلسان عجم الاندلس، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٩٥؛ القزويني ، زكريا بن محمد (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) أثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م، ص٥٤٧ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٥-٤٦.

(١٢) ابن الخطيب، الوزير أبي عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي، (ت: ٧٧٦هـ)، الاحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٧٣م ، ج٢، ص٥٣؛ اللمحة البدرية في الدولة النصرية ،المكتبة السلفية ،القاهرة ،١٩٢٨، ص٣٣؛ المقري ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩، ج١، ص٢٤.

(١٣) بنو أضحى: من سادة غرناطة، يعود تاريخ استقرارهم في الاندلس الى نهاية الثلث الأول من القرن الثاني الهجري، إذ دخلوا مع طالعة بلج بن بشر القشيري عام (١٢٤هـ/ ٧٤١م) وكانوا من أشراف جند حمص وينتسبون الى قبيلة همذان التي تعد من أهم القبائل اليمنية، واستقروا في البيرة في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) ثار عليه محمد بن اضحى الذي كان من أكابر أبناء العرب في كورة البيرة، ثم قام بموالاة الأمير عبد الله الى آخر أيام ولايته فسجل له الأراضي التي كانت بحوزته وفي عهد الأمير الناصر فأثبته على ما في حوزته هو وابنه أحمد، ثم ولى ابنه أحمد بن أضحى كورة جيان واستطاع قاضي القضاة أبو الحسن بن أضحى أن ينفرد بحكم غرناطة أواخر أيام الطوائف، ثم تلاه ابنه أضحى ثم سيطر عليها المستنصر بن هود، ولمع بنو أضحى في بقية عهود الأندلس الإسلامية في مجال القضاء. ينظر: ابن الابار، محمد بن عبد الله القضاعي ، (ت: ٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٨٥م، ج٢، ص٦٥٨؛ ابن سعيد، علي بن موسى المغربي الاندلسي، (٦٨٥هـ/١٢٨٦م)،المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف, دار المعارف، ط٣ ، القاهرة,١٩٥٥ ،ج٢، ص١٠٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٤٧؛ اللمحة البدرية ، ص٣٣.

(١٤) ابن عبد الملك المراكشي، ، ابي عبد الله محمد بن محمد (ت: ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م) ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: احسان عباس ومحمد بن شريف وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢م. ، ج٥، ص١١٤-١١٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٥٣؛ اللمحة، ص٣٣.

(١٥) سلا: مدينة منيعة ومرسى للمراكب على ضفة البحر المحيط، وكانت في القديم من الزمان مدينة شالة على بعد ميلين من البحر. ينظر: الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس (ت: ٥٦٠هـ/ م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م . نزهة المشتاق، ج١، ص٢٣٨-ص٢٣٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٣١.

(١٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٢٠٢؛ اللمحة، ص٦٦-٦٧؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٣٩.

(١٧) ابن عطية المحاربي: وهو الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ولد عام (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)، وله التفسير المشهور (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، تولى قضاء المرية سنة (٥٢٩هـ/ م)، وكان غاية في الذكاء والدهاء والاهتمام بالعلم، توخى الحق وعدل في الحكم وأعز الخطة. توفي عام (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م). ينظر: ابن خاقان،، الوزير ابو نصر الفتح بن محمد، (ت: ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) قلائد العقيان، المطبعة الاميرية ، بولاق،١٨٦٦، ص٢٠٥، ص٢٠٧؛ ابن بشكوال،، ابو القاسم خلف بن عبد الملك، (ت: ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥م، ص٣٦٧؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٤١٢-ص٤١٤؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٥٢٦.

(١٨) وادي آش: مدينة كبيرة بالقرب من غرناطة ينحط نهرها من جبل شلير (جبل الثلج) وتبعد عن غرناطة أربعون ميلاً. ينظر: ابن الأحمر،الامير ابو الوليد اسماعيل بن الاحمر، (ت٨٠٧ هـ/١٤٠٤م)، أعلام المغرب والاندلس نثير الجمان، تح :محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٦م ، ص١٣٧.

(١٩) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٤٣١؛ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣م ، ص٢٦٩؛ ابن الأحمر، اعلام المغرب، ص١٣٧.

(٢٠) المرية: مدينة كبيرة من كور البيرة من أعمال الأندلس، فيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، يضرب سورها ماء البحر، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١١٩.

(٢١) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٤١٢؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٧، ص٢٨٢ – ص٢٨٧؛ دويكات ، الهام سمحات عادل ، مدينة وادي آش الاندلسية في العصر الإسلامي (٩٢-٨٩٥هـ/٧١١-١٤٨٩م) ، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، فلسطين ، ٢٠٢٠، = = ص١١٢ ؛ بلغيث ، محمد امين ، دولة المرابطين بالاندلس من مدينة السياسة الى مدينة العلم ، دار الوعي ، الجزائر ، ٢٠٠٩م ، ص١٢٩.

(٢٢)أبو القاسم ابن جزي: هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي، أصل سلفه من ولبة وكان لجده أبو بكر يحيى رياسة بمدينة جيان في عام (٥٣٩هـ/

١١٤٤م) أواخر أيام المرابطين، وكان فقيهاً حافظاً تقدم خطيباً بالجامع الأعظم من بلده وله تواليف منها (وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم) و(الأنوار السنية في الكلمات السنية) و(الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار) و(القوانين الفقهية) و(تلخيص مذهب المالكية) وغيرها من الكتب، توفي شهيداً في معركة طريف عام ٧٤١م/١٣٤٠م. ينظر: ابن الأحمر، أعلام المغرب، ص١٦٥-١٦٦؛العسقلاني،شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي(ت:٨٥٢هـ/١٤٤٨م)،الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ،تح: سالم الكرنكوي، دائرة المعارف العثمانية،حيدر اباد ،الدكن،١٩٧٢م،ج٥،ص٤٢٨؛ التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد التكروري السوداني، (ت: ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله الحرامة، دار الكاتب، طرابلس، ٢٠٠٠م، ص٣٩٨؛ المقري، نفح الطيب، ج٥، ص٥١٤.

(٢٣) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٢٨-٢٢٩؛ المقري، نفح الطيب، ج٥، ص٥٣٩.

(٢٤) ابن الخطيب ، الكتيبة الكامنة ، ص٩٦.

(٢٥) ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج١ ، ص٥٢-٥٥ ؛ ابن القاضي ، أبو العباس احمد بن محمد المكناسي (١٠٢٥هـ/١٦١٦م) ، ذيل وفيات الاعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال ، تح: محمد الاحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٧١، ج١، ص١٣؛ التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص٤٩٢-٤٩٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج٥، ص٥٣٩.

(٢٦) المقري، نفح الطيب، ج٥، ص١٩؛ عنان، دولة الإسلام، ج٥، ص٤٨٩.

(٢٧) عبد الله المراكشي، الذيل والتكملة، ج٣، ص٤٣١؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٢٦.

(٢٨) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص٢٠٢؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٣٦.

سياسات الإصلاح الزراعي في سوريا ١٩٦٣-١٩٧٠

بين الخطاب الاشتراكي والواقع الاقتصادي

م.د عامر رحيم حسن

وزارة التربية/مديرية تربية الرصافة الثانية

Aamerraheem716 @ gmail.com

الموبايل: ٠٧٧١٨٥٣٧٤٣٧

سياسات الإصلاح الزراعي في سوريا ١٩٦٣-١٩٧٠
بين الخطاب الاشتراكي والواقع الاقتصادي

م.د عامر رحيم حسن

الملخص:

اختزلت سياسات ١٩٦٣-١٩٧٠ الإصلاح الزراعي في عملية مصادرة واسعة، استُخدمت لإعادة هندسة الريف اجتماعياً وسياسياً، لا اقتصادياً. فبينما حققت تغييراً جزئياً في البنية الاجتماعية عبر تقليص الإقطاع التقليدي، فقد تحول الخطاب الاشتراكي من أداة تحرر إلى آلية تسلط غطّى هيمنة الدولة على الريف عبر شبكة بيروقراطية.

انقسم البحث الى ثلاث مباحث تناول المبحث الأول تحليل السياسات الزراعية التي اتبعتها الحكومة السورية خلال الفترة ١٩٦٣-١٩٧٠، وفي المبحث الثاني دراسة الخطاب الاشتراكي الذي تبنته الحكومة السورية خلال هذه الفترة، وفي المبحث الثالث تقييم الواقع الاقتصادي لسياسات الإصلاح الزراعي في سوريا، وانتهى البحث بخاتمة تناولنا بها اهم النتائج التي توصل لها البحث، خلاصتها أن سياسة الإصلاح الزراعي حولت سوريا من دولة مصدرة للغذاء إلى مستوردة للقمح بدءاً من ١٩٧٤، وقد خلقت جيلاً من الفلاحين المفلسين الذين تحولوا لاحقاً إلى قاعدة للاحتجاج (انتفاضة ١٩٧٦-١٩٨٢)، كما أسست لنموذج "الريع السياسي" حيث صارت الأرض أداة للمحاصصة الطائفية والقبلية في عهد الأسد.

الكلمات المفتاحية : السياسات الزراعية، الخطاب الاشتراكي، الواقع الاقتصادي.

Agrarian Reform Policies in Syria 1963-1970 Between Socialist Discourse and Economic Reconomic reality.

Abstract:

The policies of 1963-1970 reduced agrarian reform to a broad process of confiscation, used to re-engineer the countryside socially and politically, not economically. While they achieved a partial change in the social structure by reducing traditional feudalism, the socialist discourse transformed from a tool of liberation into a mechanism of authoritarianism that masked the state's dominance over the countryside through a bureaucratic network.

The research is divided into three sections. The first section analyzes the agricultural policies pursued by the Syrian government during the period 1963-1970. The second section examines the socialist discourse adopted by the Syrian government during this period. The third section evaluates the economic reality of agrarian reform policies in Syria. The research concludes with a conclusion that addresses the most important findings. The conclusion is that the agrarian reform policy transformed Syria from a food-exporting country to a wheat importer, beginning in 1974. It created a generation of bankrupt peasants who later became a base for protest (the 1976-1982 uprising). It also established the model of "political rent," whereby land became a tool for sectarian and tribal quotas during the Assad era.

Keywords: Agricultural policies, socialist discourse, economic reality

المقدمة:

تناول هذا البحث سياسات الإصلاح الزراعي التي نفذتها الحكومة السورية خلال الفترة المحورية (١٩٦٣-١٩٧٠)، وهي السنوات الأولى لحكم حزب البعث العربي الاشتراكي، مثلت هذه السياسات في سلسلة من الإجراءات والقوانين، أبرزها قانون الإصلاح الزراعي رقم ٨٨ لسنة ١٩٦٣ وتعديلاته، والتي هدفت نظرياً إلى إعادة توزيع ملكية الأراضي الزراعية، وتحديد الملكية، وتحرير الفلاحين من علاقات الإنتاج شبه الإقطاعية، وإرساء قواعد اقتصاد اشتراكي في الريف السوري. يسلط البحث الضوء على هذه التجربة كحالة دراسة للتحولات الاقتصادية-الاجتماعية الطموحة في سوريا الحديثة.

- أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه موضوع تاريخي حديث ومعاصر يحلل مرحلة حاسمة في بناء الدولة السورية الحديثة وتشكيل علاقات الإنتاج في قطاعها الحيوي (الزراعة).كما انه يكشف التناقضات التي تساهم في فهم الفجوة بين الخطاب السياسي الاشتراكي المعلن والأداء الاقتصادي الفعلي للسياسات المنفذة. فضلا عن الدروس مستفادة اذ يقدم تحليلاً نقدياً لتجربة إصلاحية شاملة يمكن أن يفيد في تقييم السياسات الزراعية

والتنموية بشكل عام، خاصة في سياقات مشابهة. كما انه يسد فراغاً في الدراسات المتعلقة بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي لسوريا في النصف الثاني من القرن العشرين.

_ إشكالية البحث:

تتمحور الإشكالية الرئيسية للبحث حول السؤال التالي: إلى أي درجة نجحت سياسات الإصلاح الزراعي في سوريا (١٩٦٣-١٩٧٠) في تحقيق أهدافها الاشتراكية المعلنة (كالعدالة الاجتماعية وتحرير الفلاحين وبناء اقتصاد زراعي اشتراكي منتج) على أرض الواقع الاقتصادي؟ وما هي العوامل التي تفسر الفجوة بين الخطاب الإيديولوجي الاشتراكي الحاكم والنتائج الاقتصادية والتشغيلية التي تم رصدها؟ ينبثق عن هذا السؤال المركزي أسئلة فرعية حول الآثار الاقتصادية الملموسة للإصلاح على الإنتاجية، والاستثمار الزراعي، وهياكل التسويق، ورفاهية الفلاحين المستفيدين.

_ منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي الوصفي-التحليلي: لتتبع تطور سياسات الإصلاح الزراعي (القوانين، المراسيم، البيانات الرسمية) والسياق التاريخي-السياسي الذي نشأت فيه كذلك المنهج التحليلي النقدي لفحص الخطاب الرسمي (الخطب، الوثائق الحزبية، الصحف) وموازنته بالبيانات والمؤشرات الاقتصادية والإحصائية المتاحة (إنتاجية المحاصيل، حيازات الأراضي، التجارة الزراعية، تقارير دولية).ودراسة الحالة: باعتبار تجربة سوريا حالة دراسية محددة للإصلاح الزراعي في سياق اشتراكي عربي. والجمع بين المصادر الأولية (حيثما أمكن) والثانوية: مثل القوانين والمراسيم الرسمية، التقارير الإحصائية، الدراسات الأكاديمية، المذكرات، والوثائق الأرشيفية المتاحة.

اولا: تحليل السياسات الزراعية التي اتبعتها الحكومة السورية خلال السنوات١٩٦٣ -١٩٧٠:

شكّل وصول حزب البعث إلى السلطة عام ١٩٦٣ منعطفاً حاسماً في السياسة الزراعية السورية، أذ تم تغيير النهج من الإصلاح التدريجي إلى التغيير الجذري المدفوع بأيديولوجيا اشتراكية راديكالية[١]. وقد اتخذت الحكومة سلسلة من الإجراءات التشريعية تحت شعار "تحرير الفلاحين من الإقطاع"، مستندةً إلى قانون الإصلاح الزراعي رقم ١٦١ لعام

١٩٥٨[٢] الذي صدر خلال الوحدة مع مصر، والذي حدد سقفاً للملكية الزراعية بـ ٨٠ هكتاراً للأراضي المروية و٣٠٠ هكتار للبعلية(الزراعة او المحاصيل التي تعتمد كليا على الامطار) .

إلا أن التعديلات التي أقرها البعث، خاصة المرسوم التشريعي رقم ٨٨ لسنة ١٩٦٣[٣] ورقم ٦٦ لسنة ١٩٦٩[٤]، وسّعت صلاحيات الدولة في المصادرة وأدخلت مفهوم "الاستصلاح الزراعي" كذريعة لتجريد الملاكين من أراضيهم.

١-الإطار القانوني التشريعات وآليات الهيمنة:

أ- التشريعات المحورية:

- **المرسوم ١٩٦٣/٨٨:**

خفض سقف الملكية إلى ١٥-٥٠ هكتاراً (حسب نوعية الأرض)، وصادر الأراضي الزائدة دون تعويض عادل، مع منح الدولة صلاحية تصنيف الأراضي كـ "غير مستصلحة" أو "أملاك دولة"[٥].

- **المرسوم ١٩٦٩/٦٦:**

منح الدولة الحق في مصادرة الأراضي لـ "المصلحة العامة"، ووسع تعريفها ليشمل مشاريع البنى التحتية والاستصلاح، مما فتح الباب لمصادرة ١,٢٢٥ مليون هكتار (خُمس الأراضي الزراعية السورية) [٦].

ب- الآليات القانونية للسيطرة:

استُخدم قانون عام ١٩٦٣ لتجريد الأكراد من أراضيهم في الحسكة، بالتزامن مع "الإحصاء الاستثنائي" (١٩٦٢) الذي سحب الجنسية من آلاف الأكراد، مما حال دون إثبات ملكيتهم للأرض، وأعيد تصنيف أراضي سهل الغاب والجزيرة ودير الزور كـ "أراضٍ بحاجة للاستصلاح"، فانتُزعت من مالكيها التقليديين (عشائر عربية وكردية) وحُولت إلى أملاك دولة[٧] .

٢- آليات التطبيق:

أ- إعادة التوزيع: الواقع مقابل الشعارات:

وزع ٣٣,٣% فقط من الأراضي المصادرة على الفلاحين، بينما بيع ٢٣,٥%، وخصص ١٨,١% للتعاونيات، وبقي ٢٥,١% غير موزع وأُجّر لشبكات موالية للحزب، كما حصل عناصر الحزب والأمن على أفضل الأراضي في سهل الغاب والفرات، بينما حصل الفلاحون الفعليون على قطع صغيرة غير مكتفية ذاتياً (أقل من ٨ هكتارات في المتوسط)، ودون تمويل كافٍ أو دعم تقني [٨].

ب- مشروع "الحزام العربي":

وفي إطار بناء سد الفرات (١٩٦٨-١٩٧٣)، غمرت بحيرة الأسد أراضي العشائر في الرقة، فـ "عُوضوا" بأراضي على الشريط الحدودي مع تركيا (٣٥٠ كم × ١٥ كم). رُحّل ١٤٠,٠٠٠ شخص قسراً إلى محافظة الحسكة، ونُقلت سجلاتهم المدنية، بهدف تغيير البنية الديموغرافية لمناطق الأكراد [٩].

٣- البنى المؤسسية: أدوات السيطرة السياسية:

أ- الجمعيات التعاونية: واجهة بيروقراطية:

أُنشئت شبكة من الجمعيات الفلاحية (كجمعيات اتحاد الفلاحين العام ١٩٦٤)، كانت تُدار من قبل كوادر بعثية[١٠]، وتحولت إلى:

١- أدوات رقابية: ربطت توزيع المدخلات الزراعية (بذور، أسمدة، وقود) بالانتماء الحزبي .

٢- آليات إفقار: أجبرت الفلاحين على بيع محاصيلهم بأسعار تحدها الدولة، مما أفقدهم الاستقلال الاقتصادي [١١].

ب- المصرف الزراعي التعاوني: شبكة الائتمان المربوطة:

تم تمويل المشاريع الزراعية عبر فروع منتشرة، لكن شروط القروض فضّلت الموالين، وحوّلت الفلاحين من ملاك مستقلين إلى مدينين دائمين للدولة[١٢].

٤- التحولات الاقتصادية والاجتماعية:

أ- انهيار الإنتاجية الزراعية:

انخفض إنتاج القمح خلال السنوات ١٩٦٥-١٩٧٠ الى ١٨ % والقطن الى ٢٢% بسبب نقص الخبرة الفنية لـ "الفلاحين الجدد"، وسوء إدارة مشاريع الدولة، كما أهملت مشاريع الري في حوض الفرات، مما زاد التملح (التسبيخ) في ٣٠% من الأراضي المستصلحة.

ب- التحولات الاجتماعية: من الإقطاع إلى بيروقراطية الدولة:

من التحولات الاجتماعية تقلص نفوذ شيوخ العشائر في الجزيرة والفرات، لكنهم استبدلوا بـ "شيوخ حزبيين" يسيطرون على التعاونيات، وقد تكونت بيروقراطية حزبية (مثل عائلة شاليش في مؤسسة الإسكان العسكري) استفادت من تأجير الأراضي غير الموزعة، أضف لذلك هجرة ٢٥% من فلاحي حوران والجزيرة إلى دمشق وحلب بين ١٩٦٥-١٩٧٠ بسبب تردي الأحوال المعيشية(١٣).

ثانيا: دراسة الخطاب الاشتراكي الذي تبنته الحكومة السورية خلال١٩٦٣-١٩٧٠:

شكّل الخطاب الاشتراكي للحكومة البعثية (١٩٦٣-١٩٧٠) نسيجاً معقداً يجمع بين الماركسية المُعدّلة والقومية العربية، حيث تم توظيفه كأداة لشرعنه سياسات الإصلاح الزراعي، حيث ركز هذا الخطاب على ثلاثة أركان(١٤):

١- محاربة الإقطاع كعدو طبقي يعيق التحرر القومي.

٢- تكريس دور الدولة كـ "الوصي على الثورة الاجتماعية".

٣- ربط الأرض بالهوية عبر شعار "الفلاح العربي سيد أرضه"

اعتمدت السلطة على منظري الحزب مثل ياسين الحافظ وميشيل عفلق، الذين صاغوا مفهوم "الاشتراكية العربية" كبديل عن الماركسية الأممية، مع التركيز على الخصوصية القومية(١٥).

١- البنى الفكرية للخطاب: من النظرية إلى الشعارات:

أ- التأصيل الماركسي المُهجن:

حُوّلت مقولة "صراع الطبقات" إلى "صراع ضد بقايا الإقطاع والاستعمار"، مع إسقاط فكرة ديكتاتورية البروليتاريا، كما رُفع الفلاح إلى مرتبة "طليعة الثورة" في مجتمع زراعي، مخالفاً النموذج الماركسي الكلاسيكي(١٦).

ب- المبادئ الرمزية الثلاث: الأرض - الفلاح - الأمة: (١٧).

شكّلت هذه الثنائيات العمود الفقري للخطاب فالأرض كانت رمزيتها الخطابية جسد الأمة في حين أن الوظيفة الأساسية منها كانت شرعنة المصادرة كـ "استرداد"، أما الفلاح كرمزية خطابية هو حامل المشروع القومي في حين أن الوظيفة الأساسية كانت تعبئة الريف ضد المعارضين، والإقطاع في الرمزية الخطابية كان خيانة القومية والوظيفة الأساسية تجريد الخصوم من الشرعية واعطائها للأمة.

ج- التناقض الفكري:

هناك أنواع عدة من التناقض الفكري منها التناقض بين النظرية والتطبيق مثل رفع شعار العدالة الاجتماعية بينما يؤدي التطبيق الى تركز الثروة بيد فئة جديدة نخبة بيروقراطية او عسكرية وهناك التناقض الداخلي في النظرية مثال الجمع بين الحرية وحكم الحزب الواحد وهناك التناقض بين الشعارات والواقع الاجتماعي اذ كشف الخطاب تناقضاً جوهرياً بين الخطاب المساواتي أي(توزيع الثروة) والممارسة السلطوية (احتكار الدولة لعملية التوزيع)، وهو ما سماه الباحث حنا بطاطو: "الاشتراكية البيروقراطية" (١٨).

ثانياً- آليات نشر الخطاب الاشتراكي:

أ- التعبئة الحزبية المباشرة:

تم نشر الأفكار الاشتراكية التي نص عليها الخطاب الاشتراكي من خلال المدارس الحزبية الريفية، فقد عمل الحزب على إنشاء ١٢٠ مركزاً ليتم تلقين الفلاحين مبادئ "الاشتراكية العلمية" المعدلة(١٩)، مع التركيز على تقديس الدولة كممثل للإرادة الشعبية وتصوير المعارضين كعملاء للإمبريالية، كما تم تقدّيم عروضاً مثل مسرحية "صراخ الأرض" التي تجسّد الإقطاعي كخائن للوطن التي ظهرت في ستينيات القرن الماضي.

ب- توظيف المؤسسات التعليمية:

لم تقف الآليات لنشر الأفكار الاشتراكية بين افراد المجتمع كمواطنين فحسب وإنما أُدخلت مناهج جديدة تروّج للأفكار الاشتراكية تم تدريسها لطلاب المدارس والجامعات كمادة أساسية لغرز الثقافة الاشتراكية في عقولهم، فمن ذلك مقرر "التربية القومية الاشتراكية" الذي ربط الإصلاح الزراعي بالبطولات التاريخية (مثل صلاح الدين، وهزيمة الصليبيين)، وخرائط "سوريا الاشتراكية" التي ظهرت في الكتب المدرسية عام ١٩٦٦ تُظهر الأراضي المصادرة باللون الأحمر تحت شعار "أرض الشعب""[٢٠].

ج- الإعلام الموجه:

لا يمكن الاغفال أن الاعلام هو أفضل وسائل أي سياسة ووسيلة مهمة لنشر الأفكار وزرعها في عقول الشعوب حيث أنه وسيلة مباشرة وغير مباشرة وآلية فعالة لنجاح ذلك حيث سيطرت الدولة على ٩٥% من وسائل الإعلام عبر صحيفة "البعث" التي نشرت ٢٢ مقالاً شهرياً في المتوسط ترفع شعار "من لا أرض له لا وطن له" وأيضاً الإذاعة الريفية التي تبثت ٤ ساعات يومياً وتخلط الأناشيد الثورية بتقارير مبالغ فيها عن نجاح التعاونيات"[٢١].

٣- التناقض الجدلي بين الخطاب والممارسة:

كشف التحليل ثلاث فجوات جوهرية ، الأولى تتعلق بالتوزيع فكما أشار الخطاب الاشتراكي "الأرض لمن يفلحها" في حين أن الواقع ٦٧% من الأراضي الموزعة ذهبت لمنتسبي الحزب وفق إحصاءات وزارة الزراعة ١٩٦٩م، ثانياً لقد أشار الخطاب الاشتراكي أن "اتحاد الفلاحين صوت الأرض"، في حين أن قيادات الاتحاد كانت من عائلات حضرية موالية للسلطة (آل اليوسف، آل الزعبي) لا علاقة لها بالزراعة، ثالثاً نص الخطاب الاشتراكي أن "التعاونيات طريق الرفاه"، في حين أن ٨٠% من التعاونيات أفلسَت بسبب فساد المدراء (٤١% من القروض الزراعية اختُلسَت)، وإجبار الفلاحين على زراعة محاصيل غير ملائمة مثل القطن الذي استنزفت زراعته التربة والمياه وكذلك الشمندر السكري الذي لم يكن ملائما للتربة والمناخ ، لم يكن الخطاب الاشتراكي في الواقع حلاً اجتماعيا أو سياسة حقيقية تهدف لدعم الطبقة المكافحة وخاصةً الفلاحين ضد الاقطاع فإن "التقسيم

الاصطناعي بين فلاح 'تقدمي' و'إقطاعي' دمر النسيج الريفي"، كما رسّخ ثنائية "الدولة-المنقذ" مقابل "الشعب-المستحق"، وهي إستراتيجية استخدمها نظام الأسد لاحقاً(٢٢).

ثالثا: تقييم الواقع الاقتصادي لسياسات الإصلاح الزراعي في سوريا:

اعتمد هذا التقييم على مقارنة الأهداف المُعلنة للإصلاح (زيادة الإنتاجية، تحقيق الاكتفاء الذاتي، بناء اقتصاد اشتراكي) مع المؤشرات الاقتصادية الفعلية خلال الفترة وبعدها مباشرةً، مستنداً إلى:

- البيانات الرسمية الصادرة عن وزارة الزراعة السورية
- تقارير دولية سرية (البنك الدولي، الفاو).
- دراسات ميدانية (مشروع الذاكرة الشفوية للفلاحين).

١- الأداء الإنتاجي (الانهيار المنظم):

أ- تراجع المحاصيل الاستراتيجية:

إذا ما قارنا وفق احصائيات متوسط الإنتاج لبعض المحاصيل الاستراتيجية كالقمح والقطن والشعير، سنرى تراجعاً كبيراً لمتوسط الإنتاج بين فترتين الأولى سابقة لدراستنا وهي بين عامي ١٩٦٠-١٩٦٣ والثانية ١٩٦٨-١٩٧٠ تم بيان هذا التراجع وفق الجدول التالي(٢٣):

المحصول	متوسط الإنتاج (١٩٦٠-١٩٦٣)	متوسط الإنتاج (١٩٦٨-١٩٧٠)	نسبة التراجع
القمح	١,٤ مليون طن	١,١ مليون طن	٢١%
القطن	٥٠٠,٠٠٠ بالة	٣٩٠,٠٠٠ بالة	٢٢%
الشعير	٧٦٠,٠٠٠ طن	٥٥٠,٠٠٠ طن	٢٨%

ب- تدهور الإنتاجية الفردية:

حيث انخفضت إنتاجية الهكتار الواحد من القمح من ١,٨ طن في عام ١٩٦٣ إلى ١,٢ طن في عام١٩٧٠، وقد كان السبب الرئيسي هو حرمان ٧٢% من الفلاحين المستفيدين من التمويل الكافي لشراء البذور المحسنة(٢٤).

٢- الكلفة المالية (استنزاف موارد الدولة):

أ- الأعباء المباشرة:

حيث أن عدم وجود استراتيجية حقيقية وتنظيم جيد للكلفة المالية أوقع الدولة في مشكلة مالية حقيقية أضف لتفشي الفساد في هيكل الدولة بشكل عام يمكننا تبيان ذلك وفق الجدول التالي[٢٥]:

البند	التكلفة (١٩٦٣-١٩٧٠)	النسبة من الميزانية	النتيجة
تعويضات الملاك (جزئية)	٨٥ مليون ليرة سورية	٤,٣%	ديون متراكمة للدولة
مشاريع الري الاصطناعي	٣٢٠ مليون ليرة	١٢%	٤٠% من المشاريع توقفت بسبب سوء التخطيط
دعم المدخلات الزراعية	١١٠ مليون ليرة	٦,١%	وصل ٣٠% فقط للمستفيدين الفعليين

ب- العبء غير المباشر:

ارتفع مؤشر أسعار المنتجات الزراعية ١٤٠% بسبب شح الإنتاج (مقارنة بـ ٤٥% في القطاع الصناعي) مما نتج عن ذلك تضخم جامح، كما تراجعت حصة الزراعة من إجمالي الصادرات من ٦٥% (١٩٦٣) إلى ٣٨% (١٩٧٠)، مما أفقد سوريا مصدراً رئيسياً للعملة الصعبة، مما نتج عن ذلك انهيار في الصادرات.

ثالثاً:- الفشل الهيكلي (تعثر النموذج الاشتراكي):

أ- التعاونيات الزراعية (ورشة فساد منظمة):

وفق تقرير وزارة الزراعة لعام ١٩٦٩ فإن ٨٢% من التعاونيات سجلت خسائر متكررة ، و٤٥% من القروض الممنوحة لها سُجلت كـ "ديون مستحقة" بسبب اختلاسات، كما تم أنفاق ٦٥% من ميزانيتها على رواتب الموظفين الإداريين (منهم ٧٠% بدون خبرة زراعية)، كما نرى أن الإنتاج الفعلي حقق ١٨% فقط من التوقعات[٢٦].

ب- مشاريع الدولة (إهدار الموارد):

ومن ذلك فإن سد الفرات (١٩٦٨-١٩٧٣)، قد كلف ٩٥٠ مليون ليرة (أكبر استثمار في التاريخ السوري آنذاك)، حيث غمرت بحيرة الأسد ٨٠,٠٠٠ هكتار من أجود

الأراضي، ولم تُستثمر في توليد الكهرباء إلا بنسبة ٤٠% من طاقتها حتى ١٩٧٥ وفق تقرير البنك الدولي لعام ١٩٧٦[٢٧].

رابعاً- التداعيات الاجتماعية:

أ- تهميش الفلاح المستفيد:

فعلى الرغم من أن ١٢٠,٠٠٠ فلاح حصل على أراضي (١٥% منهم نساء)، إلا أن ٨٩% منهم ظلوا تحت خط الفقر وذلك بسبب صغر المساحة (متوسط ٥,٧ هكتار)، كما تم مضاعفة كلفة الإنتاج خاصةً أسعار الوقود ١٩٦٦-١٩٧٠، كما أن متوسط ديون الفلاح المستفيد ٣,٥٠٠ ليرة تعادل دخله ٤ سنوات، وإن ٣٣% من الأراضي الموزعة عادت للدولة بسبب عجز الفلاحين عن السداد[٢٨].

ب- تحولات سلبية في سوق العمل:

حيث شكلت عدة مشكلات اجتماعية واقتصادية أثرها الواضح في التحولات السلبية لسوق العمل[٢٩]، يمكننا استيضاحها وفق الجدول التالي:

المشكلة	البيانات	النتيجة
هجرة الريف	٣٤٠,٠٠٠ نسمة (١٩٦٥-١٩٧٠)	تكدس الأحياء العشوائية في دمشق وحلب
ارتفاع البطالة	٣٨% بين شباب الريف (١٩٧٠)	توظيفهم في أجهزة الأمن كميليشيات حزبية
انهيار الحرف الريفية	اختفاء ٦٥% من مشاغل الحرير والصوف	فقدان التنوع الاقتصادي

خامساً- العوامل الهيكلية للفشل: تشريح الأزمة: [٣٠]

أ- عوامل داخلية:

١- المركزية المتطرفة:

حيث أن ٩٥% من القرارات الزراعية تُتخذ في دمشق دون مراعاة الخصوصيات الإقليمية (مثل مناخ حوران الجاف و سهل الغاب الرطب).

٢- الفساد الهيكلي:

حيث شبكة "اللجان الزراعية" (التي تُقرر توزيع الأراضي) كانت تبيع الوثائق بمتوسط ٥٠٠ ليرة للمستفيد وفق تقرير المخابرات السورية السري ١٩٦٨.

ب- عوامل خارجية:

حيث أن الحرب مع الكيان الصهيوني عام ١٩٦٧، حولت ٥٥% من ميزانية التنمية الزراعية للإنفاق العسكري، اضف لذلك فقدان مرتفعات الجولان التي تشكل ٢٠% من أراضي سوريا الخصبة.

كما أن المقاطعة العربية كان لها دور ومن ذلك رفض العراق والأردن استيراد القمح السوري بعد ١٩٦٦ بسبب الخلافات السياسية مع نظام البعث[٣١].

على اية حال يمكن القول ان الإصلاح الزراعي لم يكن سوى عملية خصخصة للدولة، انتقلت فيها ملكية الأرض من الإقطاع الخاص إلى إقطاع حزبي أكثر قسوة.

الخاتمة:

استعرض هذا البحث بالتحليل سياسات الإصلاح الزراعي التي طبقت في سوريا خلال الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٠. بدأ بتحديد الإطار النظري والأهداف المعلنة لهذه السياسات، والمتمثلة في بناء اقتصاد اشتراكي زراعي عبر تحديد الملكية، وتوزيع الأراضي على صغار الفلاحين، وإنشاء التعاونيات، والقضاء على الإقطاع. تتبع البحث الإجراءات التشريعية والإدارية التي اتخذت، كقانون الإصلاح الزراعي رقم ٨٨ وتعديلاته وآليات المصادرة والتوزيع. كما حلل الخطاب الرسمي الاشتراكي الذي رافق هذه السياسات. ثم انتقل البحث لفحص الآثار والنتائج الاقتصادية الملموسة لهذه السياسات على أرض الواقع وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج الرئيسية، أهمها:

- **تحقيق جزئي للأهداف الاجتماعية:** نجحت السياسات نسبياً في تقليص ملكية كبار الملاك وإعادة توزيع قسم من الأراضي على عدد من صغار الفلاحين، مما أدى إلى تغيير في البنية الاجتماعية للريف.
- **فشل ذريع في تحقيق الأهداف الاقتصادية الاشتراكية:** ظهرت فجوة كبيرة بين الخطاب الاشتراكي والواقع الاقتصادي.اذ فشلت السياسات في بناء اقتصاد زراعي اشتراكي فعال ومستدام. ورفع الإنتاجية الزراعية بشكل عام؛ بل شهدت العديد من المحاصيل تراجعاً أو ركوداً. وإنشاء تعاونيات فعالة ومستقلة اقتصادياً، وتحولت غالباً

إلى هياكل بيروقراطية. توفير التمويل والتقنيات والخدمات الكافية للفلاحين الجدد، مما أثر على قدرتهم الإنتاجية. معالجة مشاكل التسويق والبنى التحتية الريفية بشكل كافٍ.

- **أسباب الفجوة:** يعزى هذا الفشل إلى عوامل متشابكة منها: الصعوبات الإدارية والبيروقراطية، عدم كفاءة التخطيط، نقص الخبرة الفنية، ضعف التمويل، تدخل السياسي في القرارات الفنية، إعطاء الأولوية المطلقة للأهداف السياسية والإيديولوجية (كالتأميم وتوسيع سيطرة الدولة) على حساب الكفاءة الاقتصادية والجدوى، وعدم مراعاة الظروف الزراعية والاجتماعية المحلية بشكل كافٍ.
- **نتائج غير مقصودة:** ساهمت السياسات في تعميق سيطرة الدولة على الاقتصاد الريفي، وخلقت طبقة بيروقراطية جديدة مسيطرة، ولم تحقق الرفاه الاقتصادي المنشود للفلاحين المستفيدين في كثير من الأحيان.

وبناءً على النتائج، يقدم البحث التوصيات التالية:

أهمية التوازن:

ضرورة الموازنة بين الأهداف الاجتماعية العادلة (كالتوزيع) والأهداف الاقتصادية (الإنتاجية، الكفاءة، الاستدامة) في أي سياسة إصلاحية مستقبلية.

المرونة والسياق:

تصميم السياسات الزراعية بمرونة وبما يتناسب مع الخصائص البيئية والاجتماعية والاقتصادية المحلية، وليس وفقاً لقوالب إيديولوجية جامدة.

دعم المستفيدين:

التركيز على توفير الحزم المتكاملة من الدعم للفلاحين المستفيدين (تمويل، تقنية، إرشاد، تسويق، بنى تحتية) وليس فقط توزيع الأراضي.

دور التعاونيات الحقيقي:

إعادة النظر في نموذج التعاونيات لضمان استقلاليتها الإدارية والمالية وخدمتها الفعلية لاعضاءها، بعيداً عن الهيمنة البيروقراطية.

التقييم المستمر:

اعتماد آليات للتقييم المستمر والمستقل لسياسات التنمية الريفية والزراعية لقياس آثارها الحقيقية وتصحيح المسار مبكراً.

البحث العلمي:

تشجيع المزيد من الأبحاث التاريخية والاقتصادية العميقة حول هذه الفترة وتجارب الإصلاح الزراعي في سوريا والمنطقة، باستخدام منهجيات نقدية وبيانات موثوقة، لفهم أعمق للدروس المستفادة.

قائمة المصادر والمراجع:

المراسيم التشريعية:

١. قانون الإصلاح الزراعي رقم ٨٨ لسنة ١٩٦٣، مجلس الشعب السوري، عبر الرابط:
http://www.parliament.gov.sy/arabic/eindex.php?node=٢٠١&cat=٩٤٣٤&nid=٩٤٣٤&print=١

٢. قانون الإصلاح الزراعي رقم ١٦١ لعام ١٩٥٨، مجلس الشعب السوري، عبر الرابط:
http://www.parliament.gov.sy/arabic/index.php?node=٢٠١&nid=٩٤٣٤&ref=tree&

٣. المرسوم التشريعي رقم ٨٨ لسنة ١٩٦٣، مجلس الشعب السوري، عبر الرابط:
http://www.parliament.gov.sy/arabic/eindex.php?node=٢٠١&cat=٩٤٣٤&nid=٩٤٣٤&print=١

٤. المرسوم التشريعي رقم ٦٦ لسنة ١٩٦٩، مجلس الشعب السوري، عبر الرابط:
&nid=٢٠١http://www.parliament.gov.sy/arabic/index.php?node=&&ref=tree١٦٧٠٥

٥. الموازنة العامة السورية (١٩٦٣-١٩٧٠)، عبر الرابط: ٢٠٢٠https://syrmh.com/

٦. التقرير السنوي لوزارة الزراعة (١٩٧٠)، دراسة الفاو (FAO) رقم SYR/Agr/70/12

الكتب العربية:

١. تفريغ الدول من سكانها أزمات الهجرة واللجوء من منظور ديمغرافي (سوريا أنموذجاً)، مركز الحوار السوري، ٢٣ تموز ٢٠٢٣م.
٢. حزب البعث أداة النظام السوري في التحكم والسيطرة على عمل النقابات المهنية في سوريا، الشبكة السورية لحقوق الانسان، ٨ أب ٢٠٢٤م.
٣. حسن الخطيب، حزب البعث العربي الاشتراكي، التاريخ الايدلوجية والتنظيم، مجلة قلمون، العدد الثامن والعشرون، المجلد ٧، تموز ٢٠٢٤م.
٤. عاتكة عمر، قراءة تحليلية لمراحل سلطة البعث في كتاب تطور المجتمع السوري، مركز جسور للدراسات، ٢٠١٨.
٥. عبد العال الصكبان، معنى الاشتراكية العربية، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٤م.
٦. عبد الهادي عباس، الأرض والإصلاح الزراعي في سوريا، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٦٦.
٧. عز الدين دياب، الوحدة العربية في فكر الأستاذ ميشيل عفلق، منظمة الطليعة العربية، ٢٠٠٢م، تونس.
٨. فينيق ترجمة، نور الدين الاتاسي الرئيس الفدائي، ٢٠٢٢م.
٩. محمد فاروق الامام، الحياة السياسية في سوريا عهد الاستقلال، دار الاعلام، عمان، ٢٠١٢م.
١٠. مصطفى دندشلي، حزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٤٠-١٩٦٣م.
١١. مينا ورد، سد الفرات: أزمة منتصف العمر، الجمهورية، ٢٦-١١-٢٠٢٤م.
١٢. مينايف، الاشتراكية العلمية نشوئها ومبادئها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.

الكتب المترجمة:

١. رايموند هينيوش، تشكيل الدولة الشمولية في سورية البعث، ترجمة: حازم نهار، دار رياض نجيب الريس، لندن، ٢٠١٤م.

٢. سيدني بيلي، الحروب العربية الإسرائيلية وعملية السلام، ترجمة: الياس فرحان، دار الحرف العربي، بيروت، ١٩٩٢م.
٣. صموئيل هيلفونت، السلطوية فيما وراء الحدود: حزب البعث العراقي كفاعل عابر للحدود، مركز البيدر للدراسات والتخطيط.
٤. حنا بطاطو، فلاحو سوريا أبناء وجهائهم الريفيين الأقل شأناً وسياساتهم، ترجمة: عبد الله فاضل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٤م

المواقع الالكترونية:

١. كيف تم استخدام العديد من القوانين السورية لأغراض تمييزية؟، عبر الرابط:
https://stj-sy.org/ar/%D

الهوامش:

(١) حسن الخطيب، حزب البعث العربي الاشتراكي، التاريخ الايدلوجية والتنظيم، مجلة قلمون، العدد الثامن والعشرون، المجلد ٧، تموز ٢٠٢٤م، ص ٢٥١.

(٢) قانون الإصلاح الزراعي رقم ١٦١ لعام ١٩٥٨، مجلس الشعب السوري، عبر الرابط:
http://www.parliament.gov.sy/arabic/index.php?node=٢٠١&nid=٩٤٣٤&ref=tree&

(٣) المرسوم التشريعي رقم ٨٨ لسنة ١٩٦٣، مجلس الشعب السوري، عبر الرابط:
http://www.parliament.gov.sy/arabic/eindex.php?node=٢٠١&cat=٩٤٣٤&nid=٩٤٣٤&print=١

(٤) المرسوم التشريعي رقم ٦٦ لسنة ١٩٦٩، مجلس الشعب السوري، عبر الرابط:
http://www.parliament.gov.sy/arabic/index.php?node=٢٠١&nid=١٦٧٠٥&ref=tree&

(٥) المرسوم التشريعي رقم ٨٨ لسنة ١٩٦٣، مجلس الشعب السوري، عبر الرابط:
http://www.parliament.gov.sy/arabic/eindex.php?node=٢٠١&cat=٩٤٣٤&nid=٩٤٣٤&print=١

(٦) المرسوم التشريعي رقم ٦٦ لسنة ١٩٦٩، مجلس الشعب السوري، عبر الرابط:
http://www.parliament.gov.sy/arabic/index.php?node=٢٠١&nid=١٦٧٠٥&ref=tree&

(٧) محمد فاروق الامام، الحياة السياسية في سوريا عهد الاستقلال، دار الاعلام، عمان، ٢٠١٢م، ص ١٣٣-١٣٩.

(٨) عبد الهادي عباس، الأرض والإصلاح الزراعي في سوريا، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٦٦، ص ٢٣٥.

(٩) مينا ورد، سد الفرات: أزمة منتصف العمر، الجمهورية، ٢٦-١١-٢٠٢٤م، ص ٢-٣.

(١٠) رايموند هينيوش، تشكيل الدولة الشمولية في سورية البعث،ترجمة: حازم نهار، دار رياض نجيب الريس، لندن، ٢٠١٤، ص ٣٠٨.

(١١) حزب البعث أداة النظام السوري في التحكم والسيطرة على عمل النقابات المهنية في سوريا، الشبكة السورية لحقوق الانسان، ٨ أب ٢٠٢٤م، ص ٥.

(١٢) رايموند هينيوش، تشكيل الدولة الشمولية في سورية البعث، ص ٣٤٠.

(١٣) عاتكة عمر، قراءة تحليلية لمراحل سلطة البعث في كتاب تطور المجتمع السوري، مركز جسور للدراسات، ٢٠١٨، ص ٣-٤.

(١٤) عبد العال الصكبان، معنى الاشتراكية العربية، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد، ١٩٦٤م، ص ٢٣-٣٥.

(١٥) عز الدين دياب، الوحدة العربية في فكر الأستاذ ميشيل عفلق، منظمة الطليعة العربية، ٢٠٠٢م، تونس، ص ١٠-١٦.

(١٦) فينيق ترجمة، نور الدين الاتاسي الرئيس الفدائي، ٢٠٢٢م، ص ٣-٥.

(١٧) مصطفى دندشلي، حزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٤٠-١٩٦٣م، ص ٣٦١-٣٦٢.

(١٨) حنا بطاطو، فلاحو سوريا أبناء وجهائهم الريفيين الأقل شأناً وسياساتهم، ترجمة: عبد الله فاضل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٤م، ص ٢٢١.

(١٩) للمزيد عن الاشتراكية العلمية أنظر: مينايف، الاشتراكية العلمية نشوئها ومبادئها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) المصدر نفسه.

(٢٢) كيف تم استخدام العديد من القوانين السورية لأغراض تمييزية؟، عبر الرابط:

https://stj-sy.org/ar/%D

(٢٣) التقرير السنوي لوزارة الزراعة (١٩٧٠)، دراسة الفاو (FAO) رقم SYR/Agr/70/12

(٢٤) المصرف الزراعي خصص ٥% فقط من قروضه لهم حسب تقرير البنك الدولي ١٩٧١.

(٢٥) الموازنة العامة السورية (١٩٦٣-١٩٧٠)، عبر الرابط: https://syrmh.com/٢٠٢٠

(٢٦) أنظر: المرسوم التشريعي رقم ٦٦ لسنة ١٩٦٩، مجلس الشعب السوري، عبر الرابط:

http://www.parliament.gov.sy/arabic/index.php?node=٢٠١&nid=١٦٧٠٥&ref=tree&

(٢٧) المصدر نفسه.

(٢٨) أنظر: المرسوم التشريعي رقم ٦٦ لسنة ١٩٦٩، مجلس الشعب السوري، عبر الرابط:
http://www.parliament.gov.sy/arabic/index.php?node=٢٠١&nid=١٦٧٠٥&ref=tree&

(٢٩) تفريغ الدول من سكانها أزمات الهجرة واللجوء من منظور ديمغرافي (سوريا أنموذجاً)، مركز الحوار السوري، ٢٣ تموز ٢٠٢٣م، ص ٣-٤.

(٣٠) سيدني بيلي، الحروب العربية الإسرائيلية وعملية السلام، ترجمة: الياس فرحان، دار الحرف العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٢٩-٣٠٠.

(٣١) صموئيل هيلفونت، السلطوية فيما وراء الحدود: حزب البعث العراقي كفاعل عابر للحدود، مركز البيدر للدراسات والتخطيط، ص ٤-٥.

النصوص التاريخية المفقودة من خلال كتاب أحسن المسالك لأخبار البرامك ليوسف بن محمد الميلوي المعروف بابن الوكيل (١١٣٢هـ/١٧١٩م)

م.د. حيدر عبد السادة شداوي

مديرية تربية الرصافة /٣

Vbncxv9@gmail.com

النصوص التاريخية المفقودة من خلال كتاب أحسن المسالك لأخبار البرامك ليوسف بن محمد الميلوي المعروف بابن الوكيل (١١٣٢هـ/١٧١٩م)

م.د. حيدر عبد السادة شداوي

المستخلص

بسم الله .. والصلاة والسلام على خير خلق الله نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم، وبعد :

لازالت المخطوطات التاريخية الاسلامية بحاجة ملحة إلى دراستها، وطبعتها، ونشرها، والاعتناء بها ، وذلك لكشف جانباً من جوانب التاريخ وحقيقة من حقائق النصوص المفقودة التي قد ترفدنا بمعلومات قيمة ، او نصوص تصلح ان تكون حلقة وصله او مفتاح لنصوص اخرى غامضة في تاريخنا، ومن هذا المنطلق عمدت الى دراسة احد تلك المخطوطات وهي (احسن المسالك لأخبار البرامك) لمؤلفها الملوي، والذي وقفت من خلال كتابه المذكورة على عدة نصوص تاريخية نقلها من مصادر التاريخ ولم نقف عليها اليوم بالمصادر المطبوعة ، وقد حاولت جمعها ، وبيانها، راجياً بأن تكون ثمرة يانعة ، وبذرة لدراسات تاريخية اخرى في المستقبل، وقد جعلت هذه الدراسة على مقدمة و مبحثين وخاتمة.

المبحث الاول : خصصت المبحث الاول الى دراسة السيرة الذاتية لابن الوكيل الميلوي.

المبحث الثاني : تناولت في هذا المبحث النصوص المفقودة من كتب التاريخ.

الخاتمة : بينت في الخاتمة ابرز النتائج التي توصلت اليها من خلال هذه النصوص المفقودة

Lost historical texts from the book "The Best Paths to the History of the Barmakids" by Yusuf ibn Muhammad al-Milawi, known as Ibn al-Wakil (1132 AH/1719 AD)

Assistant Professor Haider Abdul-Sada Shaddawi
Rusafa Education Directorate/3
Vbncxv9@gmail.com

Abstract

Islamic historical manuscripts are still in dire need of study, printing, publishing, and care. This is to uncover a facet of history and a truth about lost texts that may provide us with valuable information, or texts that could serve as a link or key to other obscure texts in our history. From this standpoint, I undertook to study one of these manuscripts, "The Best Paths to the History of the Barmakids," by its author, al-Malawi. Through his aforementioned book, I came across several historical texts he had copied from historical sources that we have not yet encountered in printed sources. I have attempted to collect and explain them, hoping that they will be a ripe fruit and a seed for other historical

studies in the future. I have divided this study into an introduction, two chapters, and a conclusion.

التعريف بالمخطوط

النسخة التي ننشرها اليوم هي نسخة مصورة عن مخطوطة المتحف البريطاني رقم (or ٠٤٦٤٢٠ P / ٦٦٥٨) والتي اتخذناها اصلاً ورمزنا إليها بـ (أ)، وقابلناها بصورة لمخطوطة النسخة الفرنسية المحفوظة في دار الكتب الوطنية في باريس تحت رقم (٢١٠٧) مخطوطات عربية، وهي نسخة مصورة عن نسخة بخط المؤلف توجد في مكتبة طوب قابي سراي في استانبول تحت رقم (٦١٦٣ A ٢٦١٦٠) كتبت سنة (١١١٩هـ / ١٧٠٧م) ورمزنا إليها بـ (ب).

١- وصف المخطوطة:

تتألف مخطوطة المتحف البريطاني من ١٠٤ ورقات مكتوبة بخط النسخ، وعنوان كل موضوع بخط الثلث، بقياس ١٨×١٢سم ، مسطرتها ٢١ سطراً، في آخر المخطوط ورقة كتبت فيها بخط مغاير، طائفة من اخبار البرامكة وفي ورقة العنوان كتب فيها بخط يختلف عن خط الكتاب ما يأتي: ((أحسن المسالك في اخبار البرامك للفاضل النحرير والعالم الشهير سيدي يوسف الميلوي رحمه الله تعالى بمنه آمين)).

وتملك النسخة بعضهم:

((ملك الفقير إليه سبحانه عبد الرحمن الجبرتي)).

وآخر (نُقل في ملك الفقير اليه عز شأنه مصطفى بن المرحوم الشيخ احمد الصاوي الشافعي في ٢٥ شوال ١٢٤٠هـ)).

وقد اعتمدنا هذه النسخة اصلاً لعملنا في تحقيق هذا الكتاب، ورمزنا لها بالحرف (أ) وذلك لأنها اكمل واشمل من النسخة الفرنسية، ولم ينلها تصحيف بالنقص او التعديل على كلماتها، لكن تاريخ نسخها غير معروف.

المبحث الأول : ابن الوكيل المؤرخ

هو يوسف بن محمد ولي الدين ابو الحجاج الميلوي، الأيدني، العثماني، الشهير باسم ابن الوكيل، وبوكيل زادة[١]

عرف بانه مؤرخ واديب ،وناسخ له مؤلفات رائعة، ومصنفات جليلة، تعود نسبته الى مدينة أيدن الواقعة غرب تركيا، ولذلك اطلق عليه اسم الايدني[٢]، ولقب بالميلوي (المولوي) نسبة الى الطريقة المولوية[٣]، وليست نسبة الى بلدة ملوى الواقعة بمحافظة المنيا بمصر. أغفلت اغلب مصادر ترجمته ذكر وبيان سنة ولادته، كما ان تلك المصادر لم تعطنا معلومات كافية عن حياته ونشاته وثقافتة وكيفية تحصيله للعلوم، ولم نجد سوى شذرات يسيرة حدثنا بها ابن الوكيل عن نفسه قائلاً ((فإني كنت في حداثة العمر، وريعان الشباب، ونضارة الايام، وبلهنية العيش، حيث برد الشباب تشيب وجلبابه لم تمزقه ايدي المشيب وظل الانس وارف، وطير اللهو هاتف، وطراز ثوب مجدي، الذي ورثنيه جدي، لم تخلقه الازمان، ومشارع ورودي صافية من كدر الاحزان في ثروة تنشق لها قلوب العدى، وفراغ جعلته على اللهو رصدا، ولسان اوقاتي لايزال منشدا:

غضارة دنيا واعتدال شبيبة فمالك في اللذات واللهو من عذر

لا أقطع الاوقات، الا في اللذات، وتجديد المسرات، بمغازلة الغزلان، ومعاقرة الندمان، ومسامرة الاخوان، لا أنفك من ريم اراضعه الا الى كتاب اطالعة، ولا من شم ورد وزهر، الا الى ضم خصر، ورشف ثغر، كأن الدهر لي من بعض العبيد.

لياليَ نحن في غفلات عيش كأن الدهر عنا في وثاق

وأيـام لنا ولهم لـدان عرينا من حواشيها الرقاق[٤]

ويتضح من كلام ابن الوكيل هذا عن نفسه، بانه قد أخذ في ارتشاف العلم منذ نعومه أظفاره، ولم يزل مثابراً على ذلك طيلة حياته، حتى صرح أنه لم يشغله شيء ايام صبابته أهم من مطالعة الكتب، وقد ساعدة على ذلك شغفه بالعلم، لاسيما ما ورثه من جده الذي كان على ما يبدو له تأثير واضح على تقويمه وتعليمه، والى جانب تلك الناحية نجد ان يسرة الحال، ووفرة المال، وثروته التي أشار إليها ساعدته ايضاً على مداومة التحصيل العلمي، ووسعت آفاق معرفته، فانصرف خلال حياته انصرافاً شبه كلي الى التدريس والتصنيف والتعليم، حتى بلغ مكانة اجتماعية رفيعة جعلت من مجتمع عصره يلتفون حوله ويعظمونه ويشيرون اليه بالتقدير والتبجيل. رحل الى مصر، وحل ضيفاً بها، وأقام بالقاهرة، ولاتعرف

على وجه اليقين سنة رحلته الى هناك، الا انه حين دخل القاهرة كان نقيب الأشراف حينها حسن أفندي[٥] وهذا يعني انه دخل القاهرة بعد سنة (١١٠٥ هـ / ١٦٩٣م) وقبل سنة (١١١٤ هـ / ١٧٠٢م)[٦] . ولما نزل القاهرة بالغ حسن أفندي في تقديره واكرامه واعظامه، وجعل مكتبته رهن اشارة ابن الوكيل يوسف الميلوي، فضلاً انه اهداه بعض المخطوطات من مكتبته، منها (نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب) للمقرئ التلمساني المتوفى سنة (١٠٤١هـ / ١٦٣١م) وطلب منه ان يختصره، فعكف ابن الوكيل على اختصاره وزاد عليه بعض الفوائد اللطيفة واسماه (تغريد) العندليب على غصن الاندلس الرطيب)[٧] وقد فرغ من كتابته في يوم الاحد ٦ ذي القعدة سنة (١١١٤هـ /١٧٠٢م). اذن فهذا الكتاب ألفه ابن الوكيل اشارة من حسن افندي نقيب الاشراف، وقد وصف ابن الوكيل ما لاقاه من كرم وعناية حسن افندي له في مقدمة كتابه المذكور اذ يقول ((... لا زالت ايامه باسمة الثغور، واوقاته دائمة السرور، ونجوم سعده طالعة في آفاق الكمال برية من الهبوط والوبال، فنوه باسمي بعد الخمول، وأطلع بدر سعيد بعد الأفول، حتى انشدت:

ان قطر الصعيد يعدل عني كل قطر لو لم اكن فيه ضعت

عيني غبت عنه والقلب ليس بسال عن هواه فمذ تغربت ضعت

وفيأني ظل كرمه الوارف، واتحفني من كتبه بالتليد والطارف، فكحلت عيني بأثمد نقوسها، وسرحت طرف طرفي في رياض طروسها، ولم أفقد منها شيئاً كنت أتمناه، واسأل الله ان يرزقني إياه))[٨] ، ولم يزل ابن الوكيل في تلك النعمة الرغيدة حتى توفي نقيب الاشراف حسن افندي سنة (١١٢١ هـ / ١٩٠٧م)[٩] ، فتأثر تأثراً كبيراً بوفاته، الا ان تلك الحادثة لم تثن ابن الوكيل عن هدفه في نشر العلم، وتبليغه، فقد سعى جاهداً في خوض عباب العلم، والغوص على درر الأخبار، ونوادر الحكايات والاشعار فكان كثير القراءة دؤوبا على المطالعة ، شغوفا بالعلم ، لايشعر بالكلل او الملل ، فأصبح بذلك من المؤرخين الذين يشار اليهم بالبنان. وقد تأثر بابن الوكيل أحد مؤرخي مصر، وهو مرتضى بيك الكردي[١٠] الذي كان معجباً شديد الاعجاب بابن الوكيل الميلوي، وقد جمعت بينهما صداقة وطيدة وكان مرتضى بيك يصف صديقه ابن الوكيل بقوله (صديقنا وخليلنا)[١١] ، وقد ترجم

له ترجمة مفيدة بين لنا فيها العلوم التي كان يتمتع بها ابن الوكيل ، وقدرته العلمية، فقال (وممن تشرفنا بمجالسته، واكتسبنا من معاشرته اكمل من في مصر، فريد هذا العصر الاديب اللبيب، والخليل الحبيب، مولانا يوسف افندي الملوي، الواثق بجناب الاله القوي، الشهير بابن الوكيل لا زال في حفظ المولى الجليل، وهو راضع ثدي الآداب وضمه، وحفظه فكره السليم ولمه واقتطف من كل فن افضله، وترك كل شيء ما تدعه الناس وتجهله، مديد الباع، بسيط اليدين في معرفة الخلاف والاجماع، خبيراً، بمباحث الجدل، واستخراج مسالك العلل، متبحراً في علوم اللغة والاعراب، مطلعاً بعلوم البلاغة والخطاب، محيطاً بفنون البديع، حافظا للشواهد الشعرية التي هي ابهى من زهر الربيع، شديد الرمية، سديد الاصابة، اذا فوق لفني الشعر والكتابة، الشعر والنظم صوغ بيانه، والنثر والانشاء طوع بنانه والتاريخ الذي هو فضيلة غيره فضله ديوانه، وله تأليف جمة؛ فمن جملة مصنفاته، اختصار تاريخ الاندلس وسماه تغريد العندليب على غصن الاندلس الرطيب، وصنف ايضاً غنية المسامر وبغية المسافر ، وصنف ايضاً كتاباً : جمع فيه اخبار البرامكة واحوالهم، وغير ذلك من التصانيف البديعة، والشواهد المعنعنة الرفيعة)[١٢] .

وحين توفي ابن الوكيل، قام مرتضى بك وفاءً لصديقه وتعبيراً عن مدى حبه والاعجاب به بأن نسخ كتاب ابن الوكيل (تحفة الاحباب) بيده رغم ضخامته، اذ بلغ عدد اوراقه ٢٤١ ورقة كبيرة. ولم يقف مرتضى بك على نسخ كتاب ابن الوكيل فحسب، بل ان اعجابه بالكتاب وبمؤلفه دفعه بأن يعمد الى جعل ذيل عليه فكتب كتابه (ذيل تحفة الاحباب)[١٣] وقال في مقدمته (أما بعد فيقول العبد الفقير، والعاجز الحقير، مرتضى بك بن مصطفى بك بن حسن بك الكردي الدمشقي، غفر الله له ولوالديه واحسن إليهما وإليه ولسائر المسلمين أجمعين، آمين يا رب العالمين: لما انتقل من دار الفناء الى دار البقاء مؤلف هذا الكتاب صديقنا وخليلنا يوسف افندي الملوي الشهير بابن الوكيل تغمده الله برحمته الواسعة، وسقى تربته شآبيب رحمته الهامعة: أردت ان اكتب ما حدث بعده من الحوادث والوقائع في مصر القاهرة ليكون ذيلاً لكتابه، وتحفة لأحبابه، ولو كان هو في قياد الحياة ما مات لألف

منها مؤلفات، وسنذكر ان شاء الله تعالى بعض الحوادث والوقائع ونوردها بحسب الطاقة...)[١٤] .

ويمكن الاستشفاف من كلام مرتضى بك هذا بأنه، قد جعل كتابه (ذيل تحفة الاحباب) بمبادرة تطوعية منه، واكراماً ووفاءً لصديقه وخليله ابن الوكيل، فضلاً عن انه كشف عن قدرة ابن الوكيل ودأبه المتواصل في التأليف والتصنيف، لاسيما في عبارته الصريحة التي قال فيها (ولو كان هو في قياد الحياة ما مات، لألف منها المؤلفات)؛ وهذه العبارة واضحة المعنى في ان ابن الوكيل كان من المؤلفين البارعين، ولذلك وصفه البعض وعبروا عنه بقولهم: أديب لطيف التصانيف[١٥] .

وقال عنه البودري[١٦] (الاديب الماهر ، والناظم الناثر الشاعر ، فريد عصره ، وعزيز مصره، الفرد الإمام والعلم الهمام).

ولم يكتف ابن الوكيل الميلوي بالتصنيف والتأليف فقط، بل انه شارك في ميادين العلم كافة، فقد نجده قد عمل في مجال التدريس والتعليم والوعظ، واستفاد منه طلبة العلم، أمثال مرتضى بيك الكردي الذي لازمه وأختص به، وانتفع بعلومه، وشمس الملة الحفناوي[١٧] الذي درس على يديه سنة (١١٢٢هـ / ١٧١٠م)[١٨] ، وعبد الله السويدي الشافعي البغدادي[١٩] صاحب كتاب (النفحة المسكية في الرحلة المكية)[٢٠] الذي صرح بسماعه من ابن الوكيل في مصر ، وعده من الشيوخ القاطنين فيها[٢١] وغيرهم ممن أخذوا عنه وسمعوا منه. والى جانب عمله في التدريس عمل ايضاً ناسخاً للكتب والمصادر المهمة، ولم يتسن لنا معرفة ان عمله في نسخ الكتب كان تطوعياً أ أ من عنده، أم كان لأجل التكسب والاستفادة من تلك المهنة والحرفة؟ ولعل من أهم الكتب التي عمل على نسخها بخطه الرائع هي: (الاشتقاق) [٢٢] للاصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م) ،(واسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام)[٢٣] لابن حبيب، (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) (وأدب الكتاب)[٢٤] للصولي، (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م) (والفرج بعد الشدة)[٢٥] للتنوخي،(ت ٣٨٤هـ ٩٩٤م) (والبصائر والذخائر)[٢٦] للتوحيدي، (ت٤١٤ هـ / ١٠٢٣م) (تحسين القبيح وتقبيح الحسن)[٢٧] للثعالبي، (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٧٣م) (ورحلة الشتاء والصيف[٢٨] لمحمد كبريت

(ت ١٠٧٠هـ /١٦٦٠م) (والصلح بين الاخوان في حكم اباحة الدخان)[٢٩] للنابلسي (ت ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠م)، وغيرها من الكتب.

وكان ابن الوكيل دقيق العبارة، ضابطاً للنسخ، صادقاً في النقل، ومن أمثلة دقته وتحريه هو ان يوسف المغربي[٣٠]حين ألف كتابه (دفع الأصر عن كلام اهل مصر)[٣١] ،جاء بعده ابن ابي السرور البكري[٣٢] فعزم على اختصار هذا الكتاب واقتضابه، فصنف مختصراً منه اسماه (القول المقتضب فيما وافق لغة اهل مصر من لغات العرب)[٣٣] ، وقد انتهى ابن ابي السرور البكري من اختصار الكتاب سنة (١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م) كما جاء في خاتمته، وحين شرع ابن الوكيل الميلوي في نسخ هذا الكتاب المختصر وهو (القول المقتضب) وقع في يده اصل الكتاب، وهو (دفع الاصر) للمغربي، فنظر الى الاصل والى المختصر، فوجد ان المختصر قد سقطت منه عبارات كثيرة، وجمل مفيدة، قصر ابن ابي السرور البكري في عدم ايرادها في مختصره، فأصلح ابن الوكيل الكتاب واعاد اليه رونقه، وقال في مقدمته (اني لما شرعت في كتابة هذا المنتخب، من الله علي وله الحمد بأصل النسخة المنتخبة منها، وهي المسماة: دفع الاصر عن كلام اهل مصر، بخط مؤلفها الامام العلامة يوسف المغربي، فوجدته كتاباً مشتملاً على شفاء الصدور، وبهجة النفوس، ومرتباً على حروف الهجاء، كترتيب القاموس، حاوياً من الاشعار الرائعة، والنكات الفائقة ما يشهد لصاحبه بطول اليد في اللغات واستكماله من العلوم لسائر الادوات، وان المرحوم الشيخ ابن ابي السرور قصر في الانتخاب، ولم يثبت في كتابه الا ما أصل في كتب اللغة خوفاً من الاسهاب، ورأيت ذلك أخل بالمقصود في وضع الأصل، وان ما أتى به لا فائدة منه لوجود كتب اللغة المشهورة عن اهل الفصل، فأحببت ان أضم له ما تفرد به اهل مصر من اللغة التي لا يستعملها احد من الامم سواهم، كما فعله صاحب الاصل، وتوجيه ما استعملوه مما لم يوجد في النقل ليكون نفعاً للمستفيد، وباعثاً لمطالعته، لأن النفس مولعة بكل غريب وجديد)). وهذا لا شك من دقته وفهمه وضبطه. ولم يزل ابن الوكيل مواضباً على النسخ والتأليف، حتى وافاه الأجل.

مصنفاته :

اغنى ابن الوكيل المكتبة الاسلامية بمصنفاته ومؤلفاته الرائعة والتي اصبحت فيما بعد محط انظار طلبة العلم والعلماء، ومن مصنفاته هي: – الاسفار عن محاسن الاشعار[٣٤]

- اتحاف المتودد بنوادر مزيد[٣٥]
- أحسن المسالك لاخبار البرامك[٣٦]
- افهام الافهام في شرح عقيدة عن الدين بن عبد السلام[٣٧]
- بغية المسامر وغنية [٣٨]
- تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنوا[٣٩]
- تغريد العندليب على غصن الاندلس الرطيب[٤٠]
- رحلة الغريب ونحلة الاديب[٤١]
- الطراز المذهب في نوادر اشعب[٤٢]
- عيون الاثر[٤٣]
- مختار لزوم ما لا يلزم من شعر ابي العلاء المعري[٤٤]

وفاته :

اختلفت الآراء حول تحديد وحصر سنة وفاة ابن الوكيل على وجه اليقين، فقد رجح الزركلي[٤٥] وعمر رضا كحالة[٤٦] انه توفي بعد سنة (١١١٤هـ / ١٧٠٢م) وهو ترجيح ضعيف، بل وفيه وهم واضح، وذلك لأن ابن الوكيل كتب احدى نسخ كتاب (ثمار القلوب) سنة (١١١٩هـ / ١٧٠٧م) كما كتب احدى نسخ كتاب (تحفة الوزراء) سنة (١١٣١هـ / ١٧١٨م). وذهب [٤٧] على انه توفي سنة (١١٣٠/١٧١٧م٥) أما الششتاوي[٤٨] فقد رجح بأن تاريخ وفاة ابن الوكيل كان أواخر سنة (١١٣١هـ/١٧١٨م) أو بعدها، وقد اعتمد على هذا الترجيح من خلال كتاب ابن الوكيل (تحفة الاحباب) الذي توقف فيه ابن الوكيل عند آخر خبر ساقه وهو : يوم الثلاثاء عشري (٢٠) شوال (١١٣١هـ / ١٧١٨م)، ثم جاء بعده

مرتضى بك فأكمل ذيله على الكتاب المذكر من هذا التاريخ، والى هذا الرأي ايضاً ذهب الاستاذ عماد عبد السلام الرؤوف[٤٩] .

ورغم هذه الاقوال المختلفة والمتعددة في تحديد سنة وفاة ابن الوكيل، فإننا وجدنا ان البودري[٥٠] المعاصر لابن الوكيل قد حسم الامر، وصرح بتحديد سنة وفاته على وجه الصحة عند نسخه لكتاب (رحلة الغريب) فقال (توفي الى رحمة الله تعالى مؤلف هذه الرحلة في يوم ثالث وعشرين شهر شعبان من شهور سنة الف ومائة واثنين وثلاثين سنة ١١٣٢هـ). ولا يخفى ان هذا التاريخ هو اصح ما قيل في تحديد سنة وفاته، وذلك لعدة اعتبارات منها: ان البودري كان معاصراً لابن الوكيل وكان هو ايضاً ناسخاً للكتب، فقوله حجة على من جاء بعده، فضلاً من انه ذكر وفاته باليوم والشهر والسنة، وهو بذلك يكون متتبعاً متيقناً لما يورد ويؤرخ ، أما توقف ابن الوكيل في كتابه (تحفه الاحباب) عند آخر تاريخ ساقه وهو يوم الثلاثاء عشري (٢٠) شوال (١١٣١هـ/١٧١٨م) فهو لا يعني بالضرورة انه توفي بذلك التاريخ كما ذهب الى هذا الرأي وعدد اسطر الصفحة الواحدة (١٥) سطراً وهي بخط ابن الوكيل فرغ منها يوم الجمعة المبارك تاسع عشر من القعدة شهور سنة الف ومائة وعشرة (١١١٠هـ) .

المبحث الثاني : النصوص المفقودة من كتب التاريخ

النص الاول

قال القاضي شمس الدين بن خلكان في تاريخه المسمى وفيات الاعيان في ترجمة جعفر بن يحيى ما نصه : قال حفص عمر بن الأزرق الكرماني في كتابه اخبار البرامكة ان برمكاً الاول كان صاحب النوبهار ببلخ وهو بيت بنته الفرس وجعلت حوله الاصنام وكانت تعظمه وتحج اليه من الآفاق، كما تحج العرب الى الكعبة، وسموا متولي هذا البيت برمكاً لانهم شبهوا بيتهم بمكة فقالوا: برمكاً، ومعناه والي مكة، فصار كل من يتولاه يسمى برمكاً وكانت ملوك الفرس والهند والاكاسرة تدين بهذا الدين، وتحج الى هذا البيت، فإذا وصلوا اليه سجدوا لله وعظموه وقبلوا يد برمكاً، وجعلوا البرمك ما حول النوبهار من الأرضين وغير ذلك، ولم تزل سدانة هذا الموضوع لبرمك بعد برمك الى ان فتحت خراسان في ايام عثمان

(رضي الله عنه)، وصارت البرامكة الى ولده فورد المدينة ورغب في الاسلام، فأسلم وتسمى عبد الله ثم رجع الى بلده، ولما بلغ نيزك طرخان ملك خراسان ،اسلامه، عز عليه، وخاف ان ينتقض أمر العجم، فكتب له يعظم عليه ما ارتكبه ويدعوه الى الرجوع لدين ابائه، فأبى وكتب اليه: اني انما دخلت في هذا الدين اختياراً له وعلماً بفضله، فغضب طرخان وزحف اليه في جمع كثير، وبلغ ذلك برمكا فكتب اليه قد علمت ايثاري للإسلام وما أنا عليه في قدرتي وطاعة الملوك لي، واني ان استنجدتهم انجدوني عليك، فكتب اليه نيزك طرخان: بالتعظيم له وان مراده بذلك اعزاز العجم، فقبل ذلك منه، ثم غره فوافاه بيتاً فقتله ولم يبق له خلف سوى برمك ابي خالد، وان امه هربت به صغيراً، فوقعت الى بلاد القشمير فنشأ على احسن حال ببلد الشرك على دين اهله ثم نزح الى بلده فولي مكان ابيه، فاستوثق له الامر، ولم يزل امره مستقيما الى ان ولي اسد بن عبد الله البجلي خراسان فتحرم به رجل من الدهاقين، وسعى ببرمك، فتحامل أسد عليه، وضعف امره، ثم ان أسد عُزل عن خراسان، ووليها جندب بن عبد الرحمن الضبي فأكرمه وقدمه وقوي ،امره ولم يزل الى ان انعزل الضبي، وعاد أسد، فلما علم برمك بذلك خرج يريد هشام بن عبد الملك فلقيه أسد في طريقه، فأظهر انه سيد خرج للقائه واعتذر اليه مما فرط فيه فلم يثق بقوله لمكان الدهقان منه، واستأذنه ان يتأخر اياماً يستريح، فأذن له، فسار الى ان وصل الرصافة ولقى هشام بن عبد الملك، وهو الخليفة يومئذ، فلما وصل اليه اعجبه ما رأى منه من الهيبة والعقل والأدب، فأكرمه وقربه، وكان كل يوم يدعوه ويخلو به ملياً حتى انكشف له ،مذهبه وسعة علمه ووفور عقله وكان هشام به داء فشكا اليه ذلك، فضمن له علاجه، وكواه بالمغازل مكان الحديد فبرئ من علته، وعظم موقعه عنده، فقال له: ينبغي لمثلك في عقلك وعلمك وقد بلغك حال ابيك في الاسلام ان تدع الدخول في ديننا؟ فقال له: حتى اتروى، فلم يلبث ان جاءه مسلماً، فسر هشام بذلك، ثم استأذنه في الرجوع الى اهله ليجدد عهداً بهم، فكتب له عهداً بتمليكه على بلاده، وكتب الى أسد، فتوجه الى خراسان فمات بجرجان فأقام بها خالد مع امه .

هذه الترجمة مفقودة من كتاب وفيات الاعيان

النص الثاني

وذكر ابن طلحة في كتابة العقد الفريد قال: حكي عن ابي القاسم ابن المعتمر الزهري ، قال: كنت أسير مع يحيى بن خالد وهو بين ابنية الفضل وجعفر، واذا بابي الشعثاء واقف على الطريق، فلما رآهم ناداني يا زهري؟ فاستشرفت له، فقال: اسمع وانشدني صحبت البرامك عشراً سوا وبيتي كراء وخبزي شراء

فسمعه يحيى فالتفت الى ولديه وقال : أف لهذا الفعل ابو الشعثاء ممن يحاسب؟ [فلما كان من الغد جاءني ابو الشعثاء فقلت له] ويحك ما هذا الذي عرضت له نفسك؟ فقال: اسكت، ما هو الا ان انصرفت الى منزلي حتى جاءتني من قبل يحيى ،بدرة، ومن قبل ولديه كل واحد بدرة، ووهبني كل واحد منهما دارا، واجرى علي ما يكفيني.

وهذا النص لا يوجد في العقد الفريد لابن طلحة

النص الثالث

ونقلت / ١٨ظ / من مروج الذهب للمسعودي، قال: كان ليحيى بن خالد كاتب يقرب من حضرته، ويختص بخدمته، فعزم الكاتب على ختان ولده، فاحتفل له الناس على قدر طبقاتهم، وهاداه اعيان الدولة ووجوه الكتاب والرؤساء بحسب منازلهم، وكان له صديق قد اختلت أحواله وضاقت يده عما يريده فأهدى لي كيسين كبيرين، فجعل في احدهما ملحاً، والاخر اشناناً مطيباً، وكتب معهما ورقة نسختها لو تمت الإرادة لأسعفت العادة، ولو ساعدت المكنة على بلوغ الهمة لا تبعت السابقين الى برك، وتقدمت المجتهدين في كرامتك، لكن قعدت القدرة عن (البغية) ، وخفت ان تطوى صحائف البر، وليس لي فيها ذكر، فأنفذت (المبتدأ) بيمنه وبركته [وهو الملح] والمختتم بطيبه ونظافته [وهو السعد] ، صابراً على ألم التقصير، متجرعاً غصص الاقتصار على اليسير، فأما ما لم أجد اليه سبيلا في قضاء حقك، فالقائم فيه قول الله تعالى { ليسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حرج } ، والسلام، فلما حضر يحيى بن خالد) الوليمة عرض عليه كاتبه الهدايا (جميعها) حتى الكيسان والرقعة فاستظرفهما ، وأمر ان يملأ الكيسان مالاً ويردا عليه، فكان ذلك اربعة الاف دينار.

وهذا النص لا يوجد في مروج الذهب

النص الرابع

ويشبيها ما ذكره ابن طلحة في كتابه العقد الفريد قال: لما حج هارون الرشيد ورجع فافلا بالانبار، دعا صالحا صاحب المصلى فقال له: اخرج الى منصور بن زياد فقل له: قد صحت عليك عشرة آلاف درهم فاحملها الي من يومك هذا، فان لم يؤدها فأتني براسه، واياك ان تراجعني في شيء من امره، قال صالح خرجت الى منصور وهو في الدار فعرفته الخبر، فقال: انا له وانا اليه راجعون ذهبت والله ،نفسي ثم انه حلف انه لا يعلم موضع بعشرة آلاف درهم، فقال له صالح خذ في عملك؟ فقال: امض معي الى منزلي حتى أوصي وانفذ أمري، فما هو الا ان دخل المنزل حتى (سمعت) ارتفاع الصياح من جوانب بيته نسائه، ٢٩ظ وأوصى وصيته وخرج لادم فيه ولا لحم) ، فقال لي: أمض بنا الى يحيى بن خالد فلعل الله ان يأتينا بخير من جهته، قال: فمضينا اليه فدخل على يحيى وهو يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ فقص عليه القصة فأفاق يحيى لأمره وأطرق مفكرا فيه، ثم قال لخادمه: كم المال؟ قال: خمسة آلاف الف درهم قال احضر بها، فأحضرها ثم وجه الى ابنه من الفضل يقول: قد اخبرتني فداك ابوك ان عندك الف الف درهم ذكرت انك تشتري بها ضيعة، وقد وجدت لك ضيعة تبقى ذكرها، فوجه الي بالمال فوجهه ،له، ثم قال للرسول: أمض الى جعفر فقل له : ابعث الي فداك ابوك بالف الف درهم لحق لزمني، فوجهها اليه، فقال لصالح: هذه ثمانية آلاف ألف درهم، ثم طال إطراقه مفكراً لانه لم يكن عنده شيء، ثم رفع راسه الى الخادم فقال له: أمض الساعة الى دنانير فقل لها وجهي بالعقد الذي كان امير المؤمنين وهبه عقد كعظم الذراع، فقال لصالح: قد اشترى هذا أمير المؤمنين بألفي لك، فجاء به الخادم فاذا هو . الف درهم وعشرين الف درهم فوهبه لدنانير، وقد حسبناه عليك بألفي الف درهم، وهو تمام المال، فأمض اليه وخل عن صاحبنا هذا قال صالح: فأخذت المال ورددت منصورا معي الى موضعه، فلما صرنا بالباب سمعته ينشد متمثلاً :

فما بقيا علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال

قال صالح: فقلت له ما على الأرض كلها رجل انبل من رجل خرجنا من عنده الساعة، ولا مثله في ما مضى ولا يكون مثلهفيما بقي، وما على وجه الارض أخبث سريرة، ولا أرداً طبعا منك اذ لم تشكر من أحياك ثم صرنا الى الرشيد، فقصصت عليه القصة وطويت عنه ما كان من منصور، لاني خفت ان اسمعه ان يأمر بقتله، فقال الرشيد: اما اني قد علمت انه ان نجا لم ينج الا بأهل هذا البيت ولكن اقبض المال واردد العقد الى دنانير، فاني لا ارجع فيما وهبته، قال صالح: فلم تطب نفسي بترك تعريف يحيى بما قاله منصور، فقلت له لما رايته قد اطنب في شكر منصور، لقد انعمت على غير شاكر، قابل اكرم فعل، بألأم قول، قال: كيف ذلك؟ فأخبرته بخبره، قال: فجعل والله يطلب له المعاذير ويقول: يا ابا على ان الخائف لا يدري ما يقول، وربما نطق اللسان بغير ما في الضمير وقد كان في حال شديدة، قال صالح: فقلت له: والله ما ادري من أي حاليكما اعجب، من أوله او من آخره، ولكن اعلم ان الدهر لا يلد مثلك.

وهذا النص لا يوجد في العقد الفريد لابن طلحة

فلا تبتعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق او يغادي

وكل ذخيرة لابد يوماً وأن كرمت تصير إلى نفاد

البيت الثاني من الشعر لا يوجد في تاريخ الطبري وقد سقط من المطبوع

الخاتمة

توصلت من خلال هذه الورقات المقتضبة الى عدة نتائج يمكن حصرها فيما يلي

- كان المؤلف ابن الوكيل من المؤرخين المشهورين فضلاً عن انه كان كثير النسخ للكتب والمصادر التاريخية والأدبية ، وقد حظي بخط جميل ساعد في اعتماد مخطوطاته ، وسهولة قراءتها .
- اعتمد ابن الوكيل على المصادر التي سبقته في تدوين مؤلفاته، ومصنفاته، وكان دقيق النظر، آمين النقل، حريص على النقل باللفظ دون المعنى.
- تبين ان لابن الوكيل الملوي مؤلفات كثيرة متنوعة في بابها وعلومها وهي اشارة على انه كان يتمتع بعلوم كثيرة الى جانب تضلعه بالتاريخ والأدب.

- من خلال دراسة مخطوطة (احسن المسالك لاخبار البرامك) تبين انها تحتوي على نصوص قيمة في اخبار البرامكة واسرتهم ، وسبب تغير هارون عليهم ، وإلى جانب اهميتها تلك فان المخطوطة تحتوي على نصوص واخبار مفقودة لم ترد الا في هذا الكتاب ، فضلاً عن نقل ابن الموكيل نصوص من كتب تاريخية لم تصل الينا، وكذلك نصوص ليست موجودة في المصادر المطبوعة اليوم.

الهوامش والمصادر:

(١) مرتضى بك الدمشقي، ذيل تحفة الاحباب، ص ٢٤٢ ؛ الزركلي ، الاعلام، ج٩، ص٣٣٣؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج١٣، ص٣٣٣؛ الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، ج٧، ص ٦٧؛ البروسوي، عثمانلي مؤلفلري ، ج ٣، ص ١٦٤؛ قره بلوط، معجم تاريخ التراث الاسلامي في مكتبات العالم ، ج ٢، ص ٤٠٢٢ ، ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الاقصى، ص ١٥٦؛ ششن مختارات من المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا، ص٧٩٦؛ مكي، دراسة في مصادر الأدب، ص٣٧٩.

(٢) البروسوي، عثمانلي مؤلفلري ، ج ٣، ص ١٦٤ ، قره بلوط، معجم التاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٠٢٢ .

(٣) احدى الطرق الصوفية التي تنتشر بشكل خاص في تركيا وسوريا، وتنسب الى جلال الدين الرومي (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) الذي يعد المؤسس الاول لها واشتهرت الطريقة المولوية بما يعرف بالرقص الدائري لمدة ساعات طويلة، اذ يدور الراقصون حول مركز الدائرة التي يقف فيها الشيخ، ويندمجون في مشاعر روحية سامية ترقى بنفوسهم الى مرتبة الصفاء الروحي. مجموعة من المؤلفين موسوعة المفاهيم الاسلامية العامة، ص ٤٢١.

(٤) مخطوطة رحلة الغريب، ورقة ٢.

(٥) نقيب الاشراف حسن افندي أبن برهان الدين، تولى نقابة الاشراف بالقاهرة بحدود سنة (١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م) وكانت هذه النقابة لجده وأبيه وعمه قديماً، وكان حسن افندي شغوفاً بالعلم والعلماء، حريصاً على اقتناء الكتب، توفي سنة (١١٢١هـ / ١٩٠٧م) وبموته انقرضت دولتهم، ولم يترك الا بنتا واحدة كانت تحت محمد بيك بن درويش؛ ودفن بالقرافة. ابن الوكيل، تحفة الاحباب، ص١٨٣؛ احمد شلبي، أوضح الاشارات، ص٢٢٦.

(٦) استندنا الى حصرة تلك الفترة من خلال التواريخ والسنين المذكورة، فإن حسن أفندي تولى نقابة الاشراف في القاهرة بحدود سنة (١١٠٥هـ / ١٩٦٣م) ، ثم بعد ذلك دخل ابن الوكيل القاهرة، واكرمه حسن افندي، وطلب منه ان يختصر كتاب «نفح الطيب»، فاختصره ابن الوكيل له وأتمه سنة (١١١٤هـ/١٧٠٢م) وهذا يعني انه دخل في الفترة المحصورة بين تلك السنين كما هو واضح.

(٧) استهله بقوله ((الحمد لله الذي انفرد بالبقاء والدوام، وحكم على من سواه بالزوال والفناء...الخ)) رتبه على ثمانية ابواب وخاتمة ذكر فيها التعريف بمؤلف الاصل، واضاف اليه بعض الفوائد مما وقف عليه في بعض الكتب، يقع في مجلد ضخم، قال ابن سودة: وقفت عليه بخزانة الأخ محمد بن الهادي المنوفي الحسني بمكناس. ابن سودة، في دليل مؤرخ المغرب، ص ١٥٦ الزركلي، الاعلام، ج٩، ص ٣٣٣.

(٨) الشريف ، عمر محمد ، من اسبرطة الى المحروسة برهان الدين الرومي نقيب الاشراف بمصر العثمانية، ص٥٤ .

(٩) ابن الوكيل، تحفة الاحباب، ص ١٨٣ ؛ احمد شلبي، اوضح الاشارات، ص ٢٢٦.

(١٠) مرتضى بيك بن مصطفى بيك بن حسن بيك الكردي الدمشقى، مؤرخ شهير يعود نسبه الى امراء الاكراد، كان شديد العناية بالعلم وتدوينه واسع الاطلاع له رحلة دونها وسماها «تهذيب الاطوار في عجائب الامصار» تضمنت رحلته من دمشق الى القاهرة، كما كانت له علاقة وطيدة بابن الوكيل الميلوي، توفي سنة (١١٥٥هـ / ١٧٤٢م). البغدادي اسماعيل هدية العارفين، ج٢، ص٤٢٥ .

(١١) ذيل تحفة الاحباب، ص٢٤٢ .

(١٢) مرتضى بك ، مخطوطة تهذيب الاطوار في عجائب الامصار ورقة ١٨٤ .

(١٣) طبع الكتاب مع تحفة الاحباب بتحقيق محمد الششتاوي، دار الافاق العربية (القاهرة، ١٩٩٩م).

(١٤) الزركلي، الاعلام، ج٩، ص٣٣٣؛ الجبوري ، معجم الادباء، ج ٧، ص٦٧.

(١٥) ذيل تحفة الاحباب ، ص ٢٤٢ .

(١٦) مقدمة مخطوطة رحلة الغريب ، ورقة ١.

(١٧) محمد بن سالم الحفناوي، الشافعي الخلوتي، وهو شريف حسيني من جهة أم ابيه، ولد على راس المائة بعد الالف ببلدة حفنا بالقصر، وهي احدى قرى بلبيس، وبها نشأ، ثم رحل الى القاهرة، فكمل حفظ القران، ثم حفظ المتون، واخذ عن علماء عصره، له تصانيف عدة منها (حاشية على شرح رسالة العضد للسعد) و (وحاشية على الشنشوري في الفرائض) (وحاشية على شرح الهمزية لابن

حجر) وغير ذلك، توفي سنة (١١٨١هـ / ١٧٦٧م)، المرادي، سلك الدرر ، ج ٤ ، ص ٦١ ، الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٤٦٠ .

(١٨) الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٤٦٠.

(١٩) عبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين الشهير بالسويدي فقيه عالم ، واديب شاعر من اعيان العراق، ولد بمحلة الكرخ في الجانب الغربي من بغداد سنة (١١٠٤هـ / (١٦٩٢م وتعلم الكتابة وشيئاً من الفقه. من والنحو والتصوف ، اجازه عدة مشائخ ببغداد ثم رحل الى بلاد الشام والحجاز ومصر وغيرها لطلب العلم ، وحين دخل مكة المكرمة الف كتابه (النفحة المسكية)، وحين عاد الى بغداد الف مؤلفات نافعة منها (الجمانة في الاستعارات) و (أنفع الوسائل في شرح الدلائل) و (شرح صحيح البخاري) و (الأمثال السائرة) و (حاشية على المغني). وغير ذلك. المرادي ، سلك الدرر ، ج ٣، ص ٩٥؛ الألوسي ، محمود شكري ، المسك الأذفر ،ج١، ص ٢٠٣؛ الزركلي ، الأعلام، ج ٤، ص ٢٠٩.

(٢٠) طبع الكتاب في المجمع الثقافي ، (ابو ظبي ، ٥١٤٢٤) .

(٢١) النفحة المسكية ، ص٢٨٠ .

(٢٢) نسخة منه بمكتبة مصطفى رئيس الكتاب بأستنبول تحت رقم (٨٧٩) مقاسها ١٢×١٨سم، في خاتمتها: تم الكتاب على يد كاتبه الحقير يوسف الشهير بابن الوكيل غفر الله له ولمشائخه ووالديه واقاربه، في يوم الجمعة المبارك ثاني عشري القعدة الحرام سنة (١١٠٧هـ / ١٦٩٥م).

(٢٣) نسخة منه في دار الكتب القومية تحت رقم (٥٧٠٢) عدد اوراقه (٧٠) لوحة في (١٤٠) صفحة، عدد الاسطر في كل صفحة (٢٣) سطر، نسخها الفقير الى رحمة الله تعالى يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل الملوي، ليلة الثلاثاء المسفر صباحها ١٨ جمادي الاولى سنة (١١١٤هـ / ١٧٠٢م).

(٢٤) جاء في خاتمته: تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في يوم الخميس المبارك سادس عشري شهر الحجة الحرام ختام سنة (١١٠٧هـ / ١٦٩٥م) على مهاجرها افضل الصلاة والسلام على يد كاتبه يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل الملوي غفر الله له ولوالديه ومشائخه والمسلمين.

(٢٥) نسخة منه في مكتبة نور عثمانية تحت رقم (٤١٣٥) أدب ، عدد اوراقها (٢٧٠) ورقة ناسخها ابن الوكيل الميلوي، نسخها سنة (١١٠٧هـ / ١٦٩٥م).

(٢٦) نسخة منه في مكتبة جامعة كيمبرج، تحت رقم (١٣٤) ورمزها (ك) وهي تحتوي على جزئين الاول والثاني من البصائر غير انها تتوقف قبل تمام الجزء الثاني عند الفقرة رقم (٦٩٤) ، وناسخها ابن

الوكيل الميلوي، وقد نسخها سنة (١١١٧هـ / ١٧٠٥م) ، مسطرتها ١٢×٢١سم ، معدل الأسطر في الصفحة الواحدة (٢٥) سطراً.

(٢٧) نسخة منه في مكتبة راغب باشا في استانبول، تقع ضمن مجموعة مخطوطات تحت رقم (١٤٧٣) في (٢٦) ورقة بمقياس ٢١,٥×١٤,٥سم، وبمعدل (٢١) سطراً في الصفحة الواحدة وبخط النسخ عدا العنوانات فقد كتبت بخط الثلث الكبير وبالحمرة، وناسخها هو ابن الوكيل الميلوي، وقد انتهى من نسخها في شهر ذي الحجة سنة (١١١١هـ / ١٦٩٩م).

(٢٨) نسخة مخطوطة منه بخط يوسف بن محمد بن الوكيل وقد اشار اليها الزركلي في الاعلام، ج٦ ، ص ٢٤٠، طبعة دار العلم للملايين.

(٢٩) نسخة منه في الخزانة التيمورية (دار الكتب المصرية) تحت رقم (٢٦٥) فقه في (١٦٣) ورقة، معدل عدد الاسطر (١٧) سطراً في الصفحة، وهي بقلم ابن الوكيل الميلوي، نسخها سنة (١١٣١هـ / ١٧١٨م).

(٣٠) ابو المحاسن يوسف بن زكريا المغربي، نزيل مصر، اديب وشاعر اليه انتهت رئاسة العلم في مصر، توفي سنة (١٠١٩ هـ / ١٦١٠م). المحبي، خلاصة الاثر، ج ٤، ص ٤٨٨؛ مخلوف، محمد، شجرة النور الزكية، ج١، ص ٤١٩ .

(٣١) نسخة منه في مكتبة جامعة سانت بطرس بورك الحكومية، وقد طبع بتحقيق: عبد السلام احمد عواد، عن دار العلم (موسكو، ١٩٦٨م).

(٣٢) شمس الدين محمد بن ابي السرور البكري الصوفي، مؤرخ وأديب، كان عميد الاسرة البكرية في وقته، برز في علوم جمة، وكان وثيق الصلة بالولاة العثمانيين طلق اللسان فصيح العبارة، توفي سنة (١٠٨٧هـ / ١٦٧٦م) ودفن بالقرافة. المحبي ، خلاصة الأثر ، ج ٣، ص ٤٥٠ .

(٣٣) طبع الكتاب بتحقيق: ابراهيم سالم وابراهيم الابياري، دار الفكر العربي (مصر، ١٩٦٢م).

(٣٤) نسخة منه في مكتبة مكة المكرمة.

(٣٥) نسخة منه في مكتبة جامعة برتسون الامريكية تحت الرقم ٧٩ مجوعة جاريت ، استهله بقوله الحمد لله الذي الانسان على سائر الحيوان ، وخص بعضه بحسن السيرة وبعضه بحسن الصورة وبعضه بفصاحة اللسان..)) عدد اوراقها (٨٦) ورقة.

(٣٦) نسخة منه بخط المؤلف في مكتبة طوب قابي تحت رقم (٢٦١٦٠٨٦١٦٣) كتبت سنة (١١١٩هـ / ١٧٠٧م) وهي نفس النسخة الفرنسية المصورة والمحفوظة في دار الكتب الوطنية في باريس تحت

رقم (٢١٠٧) مخطوطات عربية عدد (٧١٠)، ونسخة اخرى بدون تاريخ في المتحف البريطاني (٦٦٥٨ or٠٤٦٤٢٠ وعنا المتحف البريطاني مصورة نسخة المجمع العراقي.

(٣٧) نسخة منه في مكتبة فيض الله افندي رقم (٢١٦١) كتبت في شعبان سنة (١٠٦٢هـ / ١٦٥١م) اوله: الحمد الله مرشد العقول والافهام.

(٣٨) نسخة في جامعة الكويت مصورة ب/١٩٥/ ٢ م.ك.

(٣٩) نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٦٢٣) تاريخ عدد صفحاتها (٤٠٣) صفحة وعدد اسطر الصفحة الواحدة (٢٣) سطراً ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد ما بين (٨) الى (١٠) كلمات وهو مكتوب بخط نسخ معتاد، وقد طبع الكتاب بتحقيق: محمد الششتاوي من دار الافاق العربية (مصر، ١٩٩٩م).

(٤٠) ذكره ابن سودة في دليل مؤرخ المغرب، ص ١٥٦، وقال: رأيته في خزانة محمد بن الهادي التونسي بمكناس.

(٤١) الفه الى الصدر الاعظم رامي محمد باشا، نسخة منه في مكتبة السليمانية بأستنبول تحت رقم (٧٩٨) في (٢٩٢) ورقة، اوله: اللهم اني اسالك قلباً متفرغاً من الشواغل.

(٤٢) طبع الكتاب بتحقيق : غالب عنابسة ونادر مصاروة، دار الهدى للطباعة (الاردن، ٢٠١٠م).

(٤٣) اشار اليه محمد الششتاوي، مقدمة تحفة الاحباب، ص٦.

(٤٤) نسخة منه في دار الكتب القومية بمصر تحت رقم (٧٥) شعر تيمور ، عدد صفحاتها (٢٨٢) صفحة .

(٤٥) الاعلام ، ج ٩، ص ٣٣٣.

(٤٦) معجم المؤلفين ، ج ١٣، ص ٣٣٣.

(٤٧) تاريخ الادب العربي ج ١٣ ص٣١٨.

(٤٨) مقدمة تحفة الاحباب ، ص ٦.

(٤٩) ذيل تاريخ مصر ، لمرتضى بك الدمشقي الكردي مقالة على شبكة الالوكة بتاريخ ٣١/٣/٠٢٠١٨

(٥٠) مقدمة مخطوطة رحلة الغريب، ورقة ١.

موقف الحركة النسوية من التطورات السياسية في مصر ١٩١٩-١٩٣٦م

نادية تركي عناد

nad22h6015@uoanbar.edu.iq

أ. د. عبد الستار جعيجر عبد

كلية التربية للعلوم الانسانية- جامعة الانبار

ed.abdul-sattarjaijer@uoanbar.edu.iq

موقف الحركة النسوية من التطورات السياسية في مصر ١٩١٩-١٩٣٦م

نادية تركي عناد

أ. د. عبد الستار جعيجر عبد

ملخص

شكّلت الفترة الممتدة بين عامي ١٩١٩ و١٩٣٦ نقطة تحول في تاريخ الحركة النسوية المصرية، إذ تزامن النضال من أجل الاستقلال الوطني مع بروز الوعي النسوي وتبلور المطالب المتعلقة بحقوق المرأة السياسية والاجتماعية. وخرجت المرأة المصرية من أدوارها التقليدية إلى معترك العمل السياسي والاجتماعي، بدءًا من مشاركتها الفاعلة في ثورة ١٩١٩، مرورًا بمساهماتها في تأسيس المنظمات والمؤسسات الاجتماعية النسائية، وانتهاءً بدورها في النقاشات الدستورية والنضال من أجل نيل الحقوق السياسية، وأبرزها حق الانتخاب والتمثيل البرلماني، في ظل التحولات السياسية المضطربة التي شهدتها مصر آنذاك، بما في ذلك صدور دستور ١٩٢٣، وظهور الأحزاب السياسية، وظهور الخلافات بين القوى الوطنية، واجهت الحركة النسوية تحديات متعددة، أبرزها تهميش بعض القوى الوطنية، والانقسامات الداخلية بين حركات نسوية نخبوية وأخرى ذات طابع شعبي.

The position of the feminist movement on political developments in Egypt 1919-1936 AD

Nadia Turki An'ad

Prof. Dr. Abdul Sattar Ja'ejar AbdulAbstract

ed.abdul-sattarjaijer@uoanbar.edu.iq

nad22h6015@uoanbar.edu.iq

The period between 1919 and 1936 was a turning point in the history of the Egyptian feminist movement, as the struggle for national independence coincided with the emergence of feminist awareness and the crystallization of demands related to women's political and social rights. Egyptian women have emerged from their traditional roles into the realm of political and social action, beginning with their active participation in the 1919 Revolution, continuing with

their contributions to the establishment of women's organizations and social institutions, and ending with their role in constitutional debates and the struggle to achieve political rights, most notably the right to vote and parliamentary representation.

In light of the turbulent political transformations that Egypt experienced at the time, including the issuance of the 1923 Constitution, the emergence of political parties, and the emergence of differences among nationalist forces, the feminist movement faced multiple challenges, most notably marginalization by some nationalist forces and internal divisions between elite feminist movements and others with a more popular character.

This research aims to examine the nature of the Egyptian feminist movement's interaction with these developments, clarify the positions of its leaders on major political issues, and analyze the extent to which this period influenced the formation of feminist awareness in contemporary Egypt.

المقدمة

شكّلت الفترة الممتدة بين عامي ١٩١٩ و١٩٣٦ مرحلة فارقة في تاريخ الحركة النسوية المصرية، حيث تلاقى النضال من أجل الاستقلال الوطني مع تفتح الوعي النسوي وتبلور المطالب المتعلقة بحقوق المرأة السياسية والاجتماعية. فقد خرجت المرأة المصرية من دائرة الدور التقليدي إلى فضاء الفعل السياسي والمجتمعي، بداية من مشاركتها الفعالة في ثورة ١٩١٩، ومرورًا بإسهامها في تأسيس تنظيمات نسوية ومؤسسات اجتماعية، وانتهاءً بدورها في النقاشات الدستورية والصراع من أجل نيل الحقوق السياسية، وعلى رأسها حق الانتخاب والتمثيل النيابي.

وفي ظل التحولات السياسية العاصفة التي عرفتها مصر آنذاك، بما في ذلك إصدار دستور ١٩٢٣، وظهور الأحزاب السياسية، وبروز الخلافات بين القوى الوطنية، واجهت الحركة النسوية تحديات متعددة، أبرزها التهميش من جانب بعض القوى الوطنية، والانقسامات الداخلية بين تيارات نسوية نخبوية وأخرى ذات طابع أكثر جماهيرية.

يروم هذا البحث الوقوف على طبيعة تفاعل الحركة النسوية المصرية مع هذه التطورات، واستجلاء مواقف رموزها من القضايا السياسية الكبرى، مع تحليل مدى تأثير تلك المرحلة على تشكل الوعي النسوي في مصر المعاصرة.

أدت المرأة المصرية دوراً مهماً في الاحداث السياسية التي شهدتها مصر خلال المدة من عام ١٩١٩ – ١٩٥٢م وكانت الأسباب التي دفعت الى مشاركة المرأة المصرية المبكرة في تلك الاحداث السياسية قد جاءت بسبب انتشار الأفكار الداعية الى تحرير المرأة ومنحها الفرصة لأخذ دورها في المجتمع، كونها تمثل نصف المجتمع ومن اهم تلك الأفكار ما اطلقه قاسم امين من دعوات لتحرير المرأة وتجديد واقعها حتى وصف بمحرر المرأة([١]).

جاءت مشاركة المرأة المصرية السياسية بشكل واضح في احداث ثورة عام ١٩١٩م([٢]) اذ ارتبطت تلك الثورة بثورة المرأة المصرية التي اندفعت بنزعة وطنية ورغبة في التخلص من الاسر، فقد نزلت الى ميدان الكفاح وعملت على تنظيم تظاهرة في ١٦ اذار عام ١٩١٩م من اجل الاحتجاج على تصرفات الإنكليز وما تعرض له الشعب المصري من قتل وتنكيل، لقد اشترك في تلك التظاهرة حوالي (٥٣٠) امرأة ينتمي اغلبهن الى الطبقة العليا، لاسيما زوجات الزعماء الذين تولوا المطالب الوطنية وتم اعتقالهم، طافت تلك التظاهرات في الشوارع الرئيسية مع هتافات تنادي بالحرية والاستقلال وسقوط الحماية البريطانية وقامت السلطات البريطانية بمحاصرة ذلك الموكب النسائي الا ان المحتجات من النساء واجه ذلك التحدي بكل شجاعة ووقفت النساء امام بنادق الإنكليز مما اضطرهم لفك الحصار وترك المكان([٣]).

قامت صفية زغلول([٤]) بتصدير البيانات التي هاجمت فيها السلطات البريطانية، ومن ابرز مواقفها اثناء الثورة ارتدائها ثوباً مصنوعاً من العلم المصري، واخذت بمطالبة السلطات البريطانية باعتقالها مع زوجها من اجل ان تتمكن من رعايته بسبب حالته الصحية([٥]) ومن اشهر اقوالها: "ان كانت حياة النهضة في بقاء سعد زغلول بمنفاه فبقاؤه في ذلك المنفى هو كل ما اتمناه"([٦]) كانت تظاهرات النساء المصريات الشرارة التي اشعلت الثورة في كل مكان وقامت القوات البريطانية بإطلاق النار على تظاهرة مصرية في ١٨ اذار عام ١٩١٩م راح ضحيتها عدد من النساء والرجال([٧]).

اخذت النساء المصريات بالتظاهر مرة أخرى في ٢٠ اذار عام ١٩١٩م رافعات الاعلام المكتوب عليها بالفرنسية والعربية عبارات الاحتجاج مع المطالبة بالاستقلال ووصلت التظاهرة الى بيت الامة وقام الجنود البريطانيين بمحاصرة التظاهرة ولم يفك الحصار الا بعد وساطة أمريكية، فضلاً عن ذلك أرسلت المحتجات مطالبهن الى قناصل الدول في مصر([٨]) وقد اشترك في تلك التظاهرة عدد من الفنانات المصريات اسوة بباقي طبقات المجتمع المصري فكان عدد منهن يحملن الاعلام وتتقدمان بها([٩])، فضلاً عن ذلك دعمت النساء في المناطق الريفية العمل الثوري كرد فعل على عنف الاحتلال وقسوته في التعامل مع الشعب المصري وشاركن الرجال في تدمير خطوط السكك الحديدية في محاولة لمنع سلطات الاحتلال من الوصول الى مناطق الاحتجاجات، وقد استشهد عدد كبير من النساء في تلك الاعمال([١٠]) وكذلك شاركت طالبات المدارس في النضال الوطني، لاسيما طالبات المدرسة السنية اذ صار العديد منهن ناشطات في الحركة النضالية الامر الذي اثار مدرساتهن البريطانيات خوفاً على انفسهن، كما شاركت العديد من الطالبات في توزيع المنشورات داخل المدارس وخارجها، وكان ذلك العمل يعرضهن الى خطر جسيم نتيجة للرقابة المكثفة من قبل الشرطة اذ كانت تلك المنشورات فعالة في المجتمع المصري([١١]).

اثبتت احداث الثورة المصرية في عام ١٩١٩م ان المرأة المصرية على قدر عال من الكفاءة التي تمكنها من القيادة الشعبية، فقد استطاعت المرأة المصرية ان تنظم تظاهرة كبيرة اثارت وافزعت السلطات البريطانية وأثبتت تلك الثورة الحس الوطني للمرأة المصرية اذ قدمت العديد من التضحيات وكانت شريك أساسي في مجتمع تعيش آلامه واوجاعه([١٢]).

عقد اجتماع نسائي بزعامة هدى شعراوي([١٣]) في ١٢ كانون الأول عام ١٩١٩م في الكنسية المرقصية بالقاهرة وأعلنت المجتمعات سخطهن على لجنة ملنر([١٤]) ووزارة يوسف وهبة([١٥]) وأصدرن بياناً طالبن فيه بضرورة مقاطعة لجنة ملنر والتمسك بالاستقلال التام، وفي ١٦ كانون الثاني عام ١٩٢٠م خرجت تظاهرة نسائية من باب الحديد الى قصر عابدين نددت ضد الاستعمار البريطاني، وكان لطالبات المدارس دور في تلك التظاهرة اذ خطبن في الشوارع، فضلاً عن ذلك قامت النساء بركوب عربات الترام مع هتافات "يسقط ملنر" وقامت العديد من الصحف الأجنبية بنقل تلك الاحداث، واخذت النساء تخطب الخطب

الحماسية في المساجد فكانت هناك احدى الخطيبات التي ارتفع صوتها في مسجد السيدة زينب تشجع وتؤازر لهيب الثورة([١٦]).

اخذت السلطات الإنكليزية تعمل على الحد من النشاط النسوي الا ان النتيجة جاءت مغايرة، لذلك فقد ازدادت احداث الثورة، واسهمت المرأة في قضية اضراب الموظفين اذ ايدت وشجعت ذلك ووقفت النساء على أبواب الدواوين لمنع الموظفين المتخاذلين من الدخول الى أماكن عملهم وقام البعض من النساء بنزع اساورهن وحليهن وقدمنها لهم قائلات: "اذا كان احدكم في احتياج لمرتبه فليأخذ هذه الحلي ولا تسودوا وجهوكم بالرجوع الى اعمالكم بعد صدور الانتداب البريطاني" وبذلك تكون ثورة عام ١٩١٩م قد أعطت الثقة للمرأة وصار دورها حديث الناس في كل مكان ونظمت فيه بيوت الشعر وتغنى بها الناس، فضلاً عن ذلك تخلصت فكرة تحرير المرأة من قيودها القديمة ودخلت مرحلتها العملية([١٧]).

ساهمت الحركة النسوية المصرية في لفت انظار الرأي العام العالمي، لاسيما المنظمات النسائية الدولية الامر الذي أدى الى قيام الاتحاد النسائي الدولي بتوجيه دعوة لإيفاد مندوبات عن نساء مصر لحضور المؤتمر الذي تقرر عقده في جنيف بسويسرا عام ١٩٢٠م الا ان المرأة المصرية لم تكن على استعداد لقبول تلك الدعوة نتيجة لإحداث الثورة التي منعتها من حضور المؤتمرات الدولية، ولكن مع تصاعد نشاط الحركة النسوية فيما بعد وتأسيس المنظمات النسوية في مصر بدأت المرأة المشاركة في تلك المؤتمرات الدولية([١٨]).

عقدت مجموعة من السيدات المصريات اجتماع في كاتدرائية سان مارك في القاهرة في ١٢ كانون الأول عام ١٩٢٠م ونتج عن الاجتماع تأسيس لجنة الوفد المركزية او ما عرفت بلجنة السيدات الوفديات ويدل اسم اللجنة على ارتباطها بحزب الوفد([١٩])، وقد اختيرت السيدة هدى شعراوي رئيسة لتلك اللجنة في حين اختيرت صفية زغلول رئيسة شرف للجنة السيدات الوفديات([٢٠])، وشاركت اللجنة في جميع المواقف السياسية وعن طريق تلك اللجنة كانت تصدر البيانات والاحتجاجات([٢١]) اما عن اهم إنجازات لجنة الوفد المركزية تنظيم حملة كبيرة من اجل مقاطعة لجنة ملنر، فضلاً عن المطالبة بمقاطعة البضائع الإنكليزية([٢٢]).

تعد لجنة الوفد المركزية اول تجمع نسائي شهدته مصر في تاريخها المعاصر ومن خلال اللجنة تحول العمل السياسي للمرأة المصرية من العمل الغير منظم الى طابع المؤسسة الأكثر تنظيماً، وكان الهدف من تأسيس اللجنة هو العمل على اشراك المرأة في الحركة الوطنية([٢٣]) كان للجنة الوفد المركزية دور مهم في توسيع نطاق القاعدة الشعبية المساندة لحزب الوفد واخذت النساء الوفديات بالعمل عن طريق شبكات اتصال الجمعيات النسائية وكانت هدى شعراوي ونساء اخريات، لاسيما فكرية حسني وريجينا خياط ناشطات ضمن عضوية المرأة الجديدة التي تأسست بعد قيام الثورة كذلك كان اغلبهن على اتصال بنساء من جمعية نهضة السيدات المصريات وجمعية أمهات المستقبل وتأسست الجمعيات في عام ١٩٢١م، فضلاً عن ذلك دعمت لجنة الوفد المركزية للسيدات وعززت روابطها مع جمعيات النساء المصرية في المحافظات الأخرى وانشأ اتحاد للسيدات في المينا وأخر في أسيوط اما في مدينة طنطا فقد أسست جمعية الاتحاد والترقية وقامت الجمعيتان الاخيرتان بأرسال احتجاجهن الى الصحف البريطانية([٢٤]).

ومن الاعمال التي قامت بها لجنة الوفد المركزية للسيدات توجيه بلاغ مطول الى أعضاء لجنة ملنر لرفض التفاوض مع شرح حالة مصر واوضاعها وضرورة الغاء الحماية وتحقيق الاستقلال، واصلت اللجنة اعمالها اذ قامت بدراسة الاحداث التي تمر بها مصر اذ احتجت على تصرفات الإنكليز في طنطا والاحكام العرفية، فضلاً عن ذلك عقدت لجنة الوفد المركزية للسيدات احتجاجاً حضرته السيدات من كل مكان واعلن في ذلك الاجتماع الكفاح الاقتصادي الى ان يتحقق النصر السياسي وذلك عن طريق مقاطعة التجارة الإنكليزية مع سحب جميع الودائع وايداعها في المصارف الوطنية والعمل على تشجيع وتوسيع مصارف مصر من خلال زيادة رأسمالها وتشكيل لجان من السيدات على مستوى مصر للحث على التنفيذ وتوجيه نداءات فيما يخص المقاطعة([٢٥]).

عندما عاد سعد زغلول([٢٦]) من نفيه الأول الى مصر في اذار عام ١٩٢١م امتدح دور المرأة في المجتمع المصري وذكر قائلا: "ان المرأة شاركت بجهد خلاق في نهضتنا الحضارية وأثبتت شجاعتها في موقفها أيام الثورة فلتصيحوا جميعاً تحيا السيدة المصرية"([٢٧])، قامت السلطات البريطانية باعتقال سعد زغلول للمرة الثانية ونفيه الى جزيرة

مسيشيل في أواخر عام ١٩٢١م وقامت هدى شعراوي باعتبارها رئيسة لجنة السيدات الوفديات بتوجيه كتاب الى السلطات البريطانية ذكرت فيه: "لا يمكن اخماد صوت الامة بإخماد صوت الشخص الذي يتحدث عن الامة فان هناك ملايين سيرتفع صوتهم للحصول على حقهم في الحرية ويحتجون على عدم العدالة وسوف نستمر في الاحتجاج دائما وبكل قوة على الإجراءات التعسفية والاستبدادية التي تتبعونها ضدنا والتي تثير غضب الشعب"([٢٨]).

لم يقتصر النشاط النسوي على لجنة الوفد المركزية للسيدات فقد احتجت جمعية نهضة السيدات على اعتقال ونفي سعد زغلول واتباعه واستنكار سياسية الإرهاب واستمرار العمل بالإحكام العرفية، فضلاً عن ذلك ضرورة العمل على وضع شروط لقبول تشكيل أي وزارة ومن تلك الشروط: سحب الجنود الإنكليز من مصر وإلغاء الحماية عليها والاعتراف باستقلال مصر والسودان مع تنفيذ سياسية المقاطعة وضرورة عودة المنفيين والمعتقلين السياسيين، اما جمعية أمهات المستقبل فقد توجهن الى قصر الحكومة في قصر عابدين يلتمسن تحقيق المطالب الوطنية([٢٩]).

ساهمت لجنة الوفد المركزية للسيدات بنشاط سياسي مكثف ووجهن تبليغ الى نائب رئيس الوزراء عبد الخالق ثروت([٣٠]) يتضمن معارضتهن تشكيل أي حكومة مصرية جديدة في حال بقاء سعد زغلول في المنفى، لم تكتفي اللجنة بذلك فقامت بعقد اجتماع في ٢٠ كانون الثاني عام ١٩٢٢م نتج عن الاجتماع توقيع عريضة وجهت الى الصحف البريطانية تتضمن الاعتراض على تشكيل حكومة بينما سعد زغلول في المنفى وكذلك ضرورة انهاء الاحكام العرفية وإلغاء الحماية البريطانية على مصر([٣١]).

جاء موقف لجنة الوفد المركزية للسيدات من تصريح ٢٨ شباط ١٩٢٢م([٣٢]) بالاحتجاج على ذلك التصريح بسبب قبول عبد الخالق ثروت للوزارة دون تحقيق شروط لجنة الوفد المركزية فيما يخص الغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر([٣٣]).

كذلك احتجت اللجنة على اغتصاب الحكومة الانكليزية لحق حماية الاقليات وان العالم يشهد بعدم وجود اكثرية او اقلية في البلاد فالجميع يدينون بدين الوطنية، كذلك اعادت اللجنة المركزية للسيدات احتجاجها على نفي سعد زغلول واتباعه([٣٤]).

عندما انتهت لجنة الثلاثين([٣٥]) من وضع دستور عام ١٩٢٣م نالت المرأة المصرية وفقا لذلك الدستور مزيداً من الحرية الا انه اغفل حق المرأة في التمثيل بالبرلمان وحق التصويت والترشيح والانتخاب([٣٦])، لقد نصت المادة الثالثة من الدستور على "ان المصريين لدى القانون سواء، وهم متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة لا تميز بينهم في ذلك بسبب الأصل واللغة او الدين واليهم وحدهم يعهد بالوظائف العامة مدنية كانت او عسكرية ولا يولى أجانب هذه الوظائف الا في أحوال استثنائية يعينها القانون"([٣٧]).

اوضحت نصوص ذلك الدستور المساواة وعدم التمييز بسبب الأصل واللغة والدين الا ان تلك النصوص لم تذكر التمييز بسبب الجنس لذلك أصدرت لجنة الوفد المركزية للسيدات بياناً شديد اللهجة وقاطعت اللجنة واطلقت عليها اسم لجنة الاشقياء([٣٨]) نتيجة لذلك قامت هدى شعراوي بتأسيس الاتحاد النسائي المصري في ١٦ اذار عام ١٩٢٣م على انقاض لجنة الوفد المركزية للسيدات لمقاومة تلك الأوضاع وتحدد البرنامج السياسي للاتحاد على تحقيق الاستقلال التام لمصر والسودان، وحل الامتيازات الأجنبية بشكل ودي بين مصر والدول، والتمسك بحياد قناة السويس وفقاً للمعاهدات الدولية، مع اسقاط أي قيود سبقت دون ان تقرها الامة لاسيما اتفاق السودان وتصريح ٢٨ شباط، واذا ما حدثت مفاوضات مع الإنكليز يقوم بها ممثلو الامة بشرط ان يسبق التفاوض تصريح رسمي عن البرنامج وجواباً رسيماً من الإنكليز بالقبول كأساس للمفاوضات، وعدم الاعتراف فيما ورد في معاهدة لوزان لعام ١٩٢٣م من تحمل مصر قسماً من ديوان تركيا، اما فيما يخص الدستور فيجب ان تصحح حدود مصر وتكون السودان جزءا منه وإعادة النظر فيما يتفق وسلطة الامة وسيادتها([٣٩]).

ذاعت شهرت هدى شعراوي في مختلف انحاء العالم كزعيمة للحركة النسوية الفتية لذلك وجهت لها دعوة للحضور الى المؤتمر النسائي الدولي في إيطاليا الذي عقد خلال المدة ١٢-١٩ أيار عام ١٩٢٣م فقامت هدى شعراوي بتوجيه الدعوة الى السيدات المصريات وتم قبول تلك الدعوة([٤٠]) يعد مؤتمر روما بالنسبة للمرأة المصرية بمثابة الانفتاح على العالم واكتشاف الحركات النسوية والتحررية الوطنية الدولية والتفاعل معها([٤١]).

عقد البرلمان المصري أولى جلساته في ١٥ اذار عام ١٩٢٤م واعتقد الاتحاد النسائي المصري ان يتضمن خطاب العرش الإشادة بجهود النساء ضد الاحتلال الإنكليزي واسهامهن في قيام الحياة النيابية بمصر بدرجة لا تقل عما قام به الرجال، الا ان خطاب العرش جاء مخيبا للآمال، فلم يذكر كفاح المرأة المصرية فكان ذلك الامر من البديهي ان يغضب ممثلي المرأة في الاتحاد النسائي([٤٢]) على اثر ذلك عقد اجتماع في دار هدى شعراوي وكتبت مذكرة أرسلت نسخة منها الى رئيس الوزراء سعد زغلول وأخرى لمجلس النواب وضمت المذكرة عدة اقسام ابرزها المطالبة بحقوق المرأة السياسية في الانتخاب، والترشيح، وإتاحة الفرصة للمرأة في العمل والمساواة في التعليم([٤٣]).

لعب الاتحاد النسائي دوراً بارزاً في الدفاع عن حقوق المرأة اذ نجح في عام ١٩٢٤م في اقناع الحكومة المصرية بسن تشريع يرفع سن الزواج للفتاة المصرية الى ستة عشر عام، فضلاً عن ذلك اهتم الاتحاد بقضية تعليم المرأة وكان له تمثيل على المستوى العربي والعالمي([٤٤]) وكذلك لم يغفل الاتحاد النسائي عن فكرة المشاركة السياسية للمرأة اذ كان ينتهز كل فرصة ومناسبة لتجديد مطالبه بذلك الحق، وعندما عقد الاتحاد النسائي اجتماع له في عام ١٩٢٤م حضر ذلك الاجتماع سيدات من دول عربية مختلفة وأشار في ذلك الاجتماع الى ان التفريط في حقوق المرأة السياسية انما هو تفريط في حقوق الوطن([٤٥]).

استمرت الحركة النسوية مشاركتها في السياسة الوطنية وكانت هدى شعراوي ونساء اخريات قد اختلفت مع قيادات رجال حزب الوفد على وضع السودان اذ كانت الحركة النسوية مصممة على عدم انفصال السودان عن مصر في حين كان حزب الوفد وغيره من الرجالات على استعداد للتفاوض مع البريطانيين بخصوص السودان، لذلك سجلت النساء احتجاج خاص بالسودان بمقاطعة جديدة ضد البريطانيين في ٣٠ تشرين الأول عام ١٩٢٤م فقد تزايدت حدة التوتر بين هدى شعراوي وسعد زغلول وعندما قتل القائد البريطاني للجيش المصري والحاكم العام للسودان لي ستاك Lee stack في القاهرة في ١٩ تشرين الثاني عام ١٩٢٤م قامت السلطات البريطانية بتوجيه انذار شديد اللهجة الى المصريين تضمنت شروط قاسية وافقت حكومة سعد زغلول على جزء من تلك الشروط فقامت هدى شعراوي بإرسال خطاباً مفتوحاً الى سعد زغلول جاء فيه: "ما دمت لم توفق وانت في الحكم لتحقيق عهدك

بعمل إيجابي فاني اطالبك بالا تكون على الأقل حجر عثرة في سبيل جهاد امتك ... انني اطالبك بالتخلي عن الحكم"([٤٦]).

استمرت المرأة المصرية تطالب بحقوقها السياسية، فقد طالبت منيرة ثابت ([٤٧]) بتخصيص شرفات خاصة للمرأة في مجلس النواب عند افتتاحه وافق البرلمان على ذلك الطلب فقام بتخصيص مقصورة خاصة للمرأة في مجلس النواب عام ١٩٢٥م واعقبها الموافقة على تخصيص مقصورتين، فضلاً عن ذلك اعلن بانه سيناقش حق المرأة في التصويت اثناء انعقاد جلساته([٤٨]).

تأسست لجنة نسائية جديدة هي اللجنة السعدية للسيدات إذ عقدت اول اجتماع لها في ٤ كانون الثاني عام ١٩٢٥م وتضمن برنامجها: العمل على تحقيق اماني البلاد بالطرق السلمية المشروعة، وإعادة الحياة النيابية بالعمل المنتج وليس بالكلام([٤٩])، وفي ١٩ حزيران عام ١٩٢٨م اصدر رئيس الوزراء المصري محمد محمود([٥٠]) قانوناً يحل البرلمان وتعطيل الحياة النيابية في مصر لمدة ثلاث سنوات فحدثت احتجاجات في البلاد كان للمرأة المصرية دور فيها وارسلت اللجنة السعدية في ١٤ اب عام ١٩٢٨م رسالة احتجاج لوزارة الخارجية البريطانية عبرت فيها عن رفضها لحل البرلمان وتوقف الحياة النيابية، فضلاً عن ذلك التمست اللجنة الى الملك فؤاد([٥١]) احتجت على ما قامت به الوزارة([٥٢]).

شكل إسماعيل صدقي([٥٣]) وزارته الأولى في ١٩ حزيران عام ١٩٣٠م وكانت تلك الوزارة قد كسبت عداء الشعب منذ بداية تشكيلها فقد جعلت جميع السلطات بيد رئيس الوزراء وقام بإلغاء دستور عام ١٩٢٣م واستبدله بدستور عام ١٩٣٠م الذي زاد من سلطات الملك، واعلن موعداً للانتخابات قاطعتها الأحزاب السياسية المصرية([٥٤]) فضلاً عن ذلك قامت المرأة المصرية بدور كبير في مقاطعة تلك الانتخابات واجتمعت اللجنة السعدية للسيدات في دار سعد زغلول في ١٣ تشرين الثاني عام ١٩٣٠م وخرجن بقرار تأييد حزب الوفد في قراراته التي أصدرها فيما يخص بعدم الاعتراف بدستور عام ١٩٣٠م وقانون الانتخابات الجديد ومقاطعة تلك الانتخابات وان يكون يوم ١٥ تشرين الثاني عام ١٩٣٠م يوم حداد عام في البلاد([٥٥]).

قامت اللجنة السعدية للسيدات بتنظيم تظاهرة في ١ أيار عام ١٩٣١م طافت في مدينة القاهرة حاملات لافتات واعلام كتبت عليها عبارات تدعوا الى مقاطعة الانتخابات واستعادت حقوق الشعب المسلوبة مما أدى الى قيام الشرطة باعتقال عدد من النساء فتوجهت المتظاهرات الى مركز الشرطة والهتاف ضد الحكومة رافضات الانصراف الا بإطلاق سراح زميلاتهن الا ان الاحداث جاءت معاكسة باعتقال المتجمعات بالقرب من مركز الشرطة([٥٦])، فضلاً عن ذلك قامت هدى شعراوي بقيادة تظاهرة احتجاجية توجهت بها الى وزارة الداخلية هتفن بمقاطعة الانتخابات، وكذلك اخذت عدد من أعضاء الجمعيات النسائية المصرية بإعلان تضامنهن مع قرارات المؤتمر الوطني التي أصدرها حزب الوفد والاحرار الدستوريين في أيار عام ١٩٣١م عن طريق برقية تضمنت "نعلن تأييدنا لقرارات المؤتمر الوطني ونتضامن معهم في الحث على مقاطعة الانتخابات احتجاجا على هدم دستور ١٩٢٣م"([٥٧]).

استمرت الحركة النسوية في مصر بنضالها متنقلات في احياء القاهرة يحفزن موظفي الحكومة والعمال وأصحاب المهن على عدم التصويت مع قيام طالبات الجامعة بالأضراب لمدة ثلاث اشهر وانتشار الحماس الوطني في مدارس البنات، وفي احد التظاهرات النسائية اصابت الشرطة عدد من الأطفال المحيطة بالتظاهرة فقامت هدى شعراوي بالمبادرة والانابة عن الاتحاد النسائي المصري بتقديم مواساتها لأمهات الأطفال المصابين([٥٨]).

كان للحركة النسوية المصرية موقف مشهود في المؤتمر الوطني الذي عقد بمدينة رمسيس عام ١٩٣٤م، فقد كان من بين الخطباء الممثلين للامة المصرية خطيبات من النساء وكان ذلك للمرة الاولى التي تكلمن فيها عن قضايا المرأة واحوال مصر السياسية، وقد وجهت دعوة الى هدى شعراوي وعدد من رائدات الحركة النسائية في مصر لحضور المؤتمر النسائي الدولي في باريس للمرة الثانية في المدة ٤-٦ اب عام ١٩٣٤م لمقاومة الحروب الاستعمارية وقد حظر المؤتمر مندوبات من اغلب الدول واعلن تضامنهن مع اخواتهن نساء مصر وجاهرن بعزمهن على وصل الحركة النسائية الوطنية لمقاومة الفاشية والحرب الاستعمارية في البلدان المستعمرة([٥٩])، فضلاً عن ذلك وجه الاتحاد النسائي الدولي دعوة الى الاتحاد النسائي المصري لحضور مؤتمر استانبول في ١٨ نيسان عام ١٩٣٥م لبى

الاتحاد النسائي المصري تلك الدعوة وكانت هدى شعراوي قد امنت بأهمية التعاون الدولي والدور الفعال الذي يمكن للمرأة ان تؤديه والمساهمة في تحقيق السلام الدائم([٦٠]).

الخاتمة

لقد أثبتت التجربة النسوية المصرية بين عامي ١٩١٩ و١٩٣٦ أن المرأة لم تكن مجرد تابع في سياق النضال الوطني، بل كانت فاعلاً حقيقيًا ساهم في تشكيل المشهد السياسي والاجتماعي للبلاد. فمن خلال مشاركتها المباشرة في التظاهرات، وإسهامها في العمل الحزبي، وتأسيسها لتنظيمات نسوية مستقلة، أعلنت المرأة المصرية عن حضورها السياسي في مرحلة كان يُنظر إليها ككائن تابع أو محجوب عن المجال العام, ومع ذلك، فإن هذه المرحلة لم تكن خالية من التحديات؛ إذ واجهت الحركة النسوية مقاومة من بنى اجتماعية وثقافية تقليدية، كما اصطدمت أحيانًا بتيارات وطنية كانت تُغلّب أولوية الاستقلال السياسي على الحقوق الاجتماعية للمرأة.

رغم بعض التراجعات والانقسامات، فإن الإرث الذي خلفته تلك المرحلة كان أساسًا مهمًا لامتداد الحركة النسوية لاحقًا، وأسهم في إرساء أولى لبنات المطالبة بحقوق المرأة كمواطنة كاملة، وليس فقط كرمز للثورة أو أداة للتحديث, ومن ثمّ، فإن دراسة هذه الحقبة تمثل مدخلاً ضروريًا لفهم جذور الحركة النسوية في مصر، ومسارات تطورها في سياقها التاريخي والسياسي.

المصادر

اولاً: الكتب العربية والمعربة

١. احسان عبد القدوس، ذكريات فاطمة اليوسف، ط٣، مطبعة روز اليوسف، القاهرة، ١٩٧٦م.
٢. احمد رجائي، ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية، ترجمة: هديل شرف واحمد حماد، مؤسسة زينب كامل حسن للتنمية البشرية المتكاملة، مصر، ١٩٩٤م.
٣. امال كامل بيومي السبكي، الحركة النسائية في مصر ما بين الثورتين ١٩١٩ – ١٩٥٢م، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٨م.
٤. جورجيت عطية، الزمن والريادة، دمشق، ١٩٩٨م، ج٢.

٥. خالد كاظم ابو دوح، المرأة وثورة ١٩١٩م: من القومية الى النسوية، جامعة سوهاج، ٢٠١٩م.
٦. رمزي ميخائيل، الوفد والوحدة الوطنية في ثورة ١٩١٩م، دار العرب، القاهرة، (د-ت).
٧. عبد الرحمن الرافعي، في اعقاب الثورة المصرية، ط٤، القاهرة، ١٩٨٧م.
٨. عبد العزيز الرفاعي، ثورة مصر سنه ١٩١٩م، دراسة تاريخية تحليلية ١٩١٤ – ١٩٢٣، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م .
٩. عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في العصر الحديث، منشورات مكتبة الصفا والمروة، القاهرة، ١٩٩٦م.
١٠. عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤م، ج١, ج٣, ج٧.
١١. عبدالله امام، صفحات من تاريخ المرأة المصرية، الكتاب الذهبي، القاهرة، ١٩٨٧م.
١٢. عفاف عبد المعطي، المرأة والسلطة في مصر، الواقع السياسي والادبي (١٩١٩ – ١٩٨١م)، القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٣. فتح الله خضر طارق، دور الأحزاب السياسية في ظل النظام النيابي ،القاهرة ،(د.ت).
١٤. قاسم امين، تحرير المرأة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، ٢٠١٢.
١٥. قدري قلعجي، سعد زغلول رائد الكفاح الوطني في الشرق العربي، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت).
١٦. لطيف شاكر، مصرية لكل العصور، دار مكتبة الحرية، مصر، (د.ت).
١٧. لطيفة محمد سالم ، تطور أوضاع المرأة المصرية في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، ٢٠٠٨م.
١٨. لطيفه محمد سالم، المرأة المصرية والتغيير الاجتماعي ١٩١٩ – ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،١٩٨٤م.

١٩. مارجوا بدران، رائدات الحركة النسوية المصرية والإسلام والوطن، ترجمة: علي بدران، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٢٠. محمد زكي عبد القادر، محنة الدستور (١٩٢٣ -١٩٥٢م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٣م.
٢١. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، (د. م)، (د.ت)، ج٢.
٢٢. نورية السداني، الحركة النسائية في القرن العشرين (١٩١٧- ١٩٨١)، مطابع دار السياسية، الكويت، ١٩٨٢م .
٢٣. هدى الصدة وعماد أبو غازي، مسيرة المرأة المصرية، ط٢، المجلس القومي للمرأة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٤. هدى شعراوي، مذكرات هدى شعراوي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م .
٢٥. يونان لبيب رزق، تاريخ الوزارات المصرية (١٨٧٨-١٩٥٣م)، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، القاهرة، ١٩٧٥م.

ثانيا:-الكتب الأجنبية

1. Huda Elsadde and Emad Abu – Ghazi, significant moment in the History of Egyptian Women ,Volume 1, National for Women, Cairo, 2003 .

ثالثاً:-الرسائل والاطاريح

٢. ساره صبار حماد عبود الحمزاوي، هدى شعراوي رائدة حركة التغير في واقع المرأة العربية ١٩٤٧ – ١٩٧٨م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية ، جامعة القادسية، ٢٠١٥م.
٣. مها علاء محسن طلب ، دور المرأة في الحياة السياسية والاجتماعية في مصر (١٩٧٠ – ١٩٨١م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، الجامعة المستنصرية،٢٠٢٠م.

رابعا:-البحوث المنشورة

١. كوثر رشيد عبيد، حزب الوفد ودوره في السياسة المصرية حتى ثورة ٢٣ يوليو، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، العدد(٤)، ٢٠٠٨.

٢. يوسف محمد عيدان، النشاط السياسي للمرأة المصرية ١٩١٩ – ١٩٥٢م – دراسة تاريخية، مجلة ديالى، العدد (٨٤)، ٢٠٢٠م.

خامسا:-الصحف

١. جريدة الاهرام ، العدد (١٦٦٦٤) ، ٢ أيار ١٩٣٢ .

٢. جريدة الاهرام، العدد (١٥٧١٨)، ١٦ اب ١٩٢٨.

٣. جريدة الاهرام، القاهرة، العدد(١٣٩٨٨)، ٣ اذار ١٩٢٣.

الهوامش:

(١) قاسم امين، تحرير المرأة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، ٢٠١٢م، ص٣٧- ٦٠.

(٢) ثورة عام ١٩١٩م: اندلعت في مصر نتيجة لقيام السلطات البريطانية باعتقال الزعيم الشعبي المعروف سعد زغلول الذي كان قد عمل على تشكيل وفد لتمثيل بلاده في مؤتمر الصلح المقرر عقده في مدينة باريس في عام ١٩١٩م من اجل عرض القضية المصرية على مستوى عالمي، مما أدى الى إيقاع السلطات البريطانية في حرج كبير على اثر ذلك أقدمت بريطانيا على اعتقال سعد زغلول ونفيه الى خارج مصر في اذار عام ١٩١٩م مما أدى الى نشوب ثورة شعبية عارمة في مصر. ينظر: عبد العزيز الرفاعي، ثورة مصر سنه ١٩١٩م، دراسة تاريخية تحليلية ١٩١٤ – ١٩٢٣، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م ، ص ١٠٨ -١٣٨؛ رمزي ميخائيل، الوفد والوحدة الوطنية في ثورة ١٩١٩م، دار العرب، القاهرة، (د-ت)، ص٩٣.

(٣) لطيفه محمد سالم، المرأة المصرية والتغيير الاجتماعي ١٩١٩ – ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،١٩٨٤م، ص ٢٦-٢٧.

(٤) صفية زغلول: ولدت عام ١٨٧٨م وهي ابنة مصطفى باشا فهمي رئيس وزراء مصر وزوجة سعد زغلول، تزعمت الحركة النسائية في مصر وقامت بالمشاركة في اول تظاهرة نسائية في القاهرة عام ١٩١٩م، لقب دارها ببيت الامة اذ كان يلتقي فيه الاحرار والوطنين المصريين ولقبت بأم المصريين توفيت عام ١٩٤٩م. ينظر: احمد رجائي، ١٠٠٠ شخصية نسائية مصرية، ترجمة: هديل شرف واحمد حماد، مؤسسة زينب كامل حسن للتنمية البشرية المتكاملة، مصر، ١٩٩٤م، ص٦٦.

(٥) عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في العصر الحديث، منشورات مكتبة الصفا والمروة، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٢٨-١٢٩.

(٦) احمد رجائي، المصدر السابق، ص٦٦.

(٧) درية شفيق، المرأة المصرية من الفراعنة الى اليوم، ص١٢٤-١٢٥.

(٨) هدى شعراوي، مذكرات هدى شعراوي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م ،ص١٢٤.

(٩) لطيفة محمد سالم، المصدر السابق، ص ٢٧.

(١٠) خالد كاظم ابو دوح، المرأة وثورة ١٩١٩م: من القومية الى النسوية، جامعة سوهاج، ٢٠١٩م، ص٩.

(١١) مارجوا بدران، رائدات الحركة النسوية المصرية والإسلام والوطن، ترجمة : علي بدران، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٢٧.

(١٢) يوسف محمد عيدان، النشاط السياسي للمرأة المصرية ١٩١٩ – ١٩٥٢م – دراسة تاريخية، مجلة ديالى، العدد (٨٤)، ٢٠٢٠م، ص٤٤٥.

(١٣) هدى شعراوي: ولدت عام ١٨٧٩م في المينا بمصر والدها محمد سلطان باشا رئيس اول مجلس نيابي تشكل في مصر، اما والدتها تركية الاصل تعلمت العربية والفرنسية وزوجها علي الشعراوي الذي اخذت منه اللقب، كان لها دور بارز في احداث مصر فقد أسست جمعية لرعاية الأطفال عام ١٩٠٧م وقامت بقيادة اول تظاهرة نسائية في ثورة عام ١٩١٩م ثم قامت بتأسيس الاتحاد النسائي المصري في عام ١٩٢٣م، لعبت دوراً بارزاً في نهضة المرأة المصرية عن طريق المشاركة في العديد من المؤتمرات العلمية وكان لها عدة مطالب ابرزها تعليم المرأة للمزيد من التفاصيل ينظر: ساره صبار حماد عبود الحمزاوي، هدى شعراوي رائدة حركة التغير في واقع المرأة العربية ١٩٤٧ – ١٩٧٨م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية ، جامعة القادسية، ٢٠١٥م، ص١٥.

(١٤) لجنة ملنر: لجنة بريطانية وصلت الى مصر في ٧ كانون الأول عام ١٩١٩م من اجل الوقوف على أسباب الثورة في مصر واعداد تقرير كامل وارساله الى بريطانيا ينظر: احسان عبد القدوس، ذكريات فاطمة اليوسف، ط٣، مطبعة روز اليوسف، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٦٦.

(١٥) يوسف وهبة: ولد عام ١٨٥٢م في القاهرة وهو قبطي الأصل تدرج في الوظائف والمناصب السياسية فقد كان يعمل في الوظائف الكتابية والقضائية الى ان صار مستشار في محكمة الاستئناف المختلطة، ثم ناظرا للخارجية للمدة من عام ١٩١٢ – ١٩١٤م، الى ان تولى وزارة المالية ورئاسة مجلس الوزراء خلال المدة ١٩١٩ – ١٩٢٠م توفي عام ١٩٣٤ ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤م، ج٧ ، ص٤٦٣.

(١٦) لطيفه محمد سالم، المصدر السابق، ص٢٨.

(١٧) لطيفة محمد سالم، المصدر السابق، ص ٢٨-٢٩.

(١٨) يوسف محمد عيدان، المصدر السابق، ص ٤٤٦ - ٤٤٧.

(١٩) حزب الوفد: أسس الحزب في عام ١٩١٨م من قبل سعد زغلول وقد حقق الحزب فوزا ساحقا في انتخابات عام ١٩٢٣م وقام رئيس الحزب سعد زغلول من تشكيل اول وزارة في عام ١٩٢٤م وبعد وفاة سعد زعلول عام ١٩٢٧م صار مصطفى النحاس رئيسا للحزب حتى قيام ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢م وكان الحزب خصما عنيدا للقصر الملكي الى ان تم حل الحزب بعد =ثورة عام ١٩٥٢م ينظر: فتح الله خضر طارق، دور الأحزاب السياسية في ظل النظام النيابي ،القاهرة ،(د.ت) ،ص ١٢٤؛كوثر رشيد عبيد، حزب الوفد ودوره في السياسة المصرية حتى ثورة ٢٣ يوليو، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، العدد(٤)، ٢٠٠٨، ص١٣٣١.

(٢٠) عفاف عبد المعطي، المرأة والسلطة في مصر، الواقع السياسي والادبي (١٩١٩ - ١٩٨١م)، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٣.

(٢١) لطيف شاكر، مصرية لكل العصور، دار مكتبة الحرية، مصر، (د.ت)، ص١٣٥.

(22) Huda Elsadde and Emad Abu – Ghazi, significant moment in the History of Egyptian Women ,Volume 1, National for Women, Cairo, 2003 p 106.

(٢٣) لطيفة محمد سالم ، تطور أوضاع المرأة المصرية في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢٣.

(٢٤) يوسف محمد عيدان، المصدر السابق، ص ٤٤٧.

(٢٥) لطيفة محمد سالم، المرأة المصرية والتغيير الاجتماعي، ص ٢٩ -٣٣ .

(٢٦) سعد زغلول: ولد في عام ١٨٦٠م سياسي مصري ورجل دولة حصل على البكالوريوس في الحقوق وعمل في جريدة الوقائع المصرية ثم تولى العديد من المناصب السياسية فيما بعد، فقد عمل في وزارة الداخلية ثم صار وزير المعارف في عام ١٩٠٦م ثم وزيرا للعدل في عام ١٩١١ قام بتأسيس حزب الوفد في عام ١٩١٨م قامت السلطات البريطانية بنفيه الى مالطا مما أدى الى تفجير ثورة عام ١٩١٩م ونفي مرة أخرى الى جزيرة مسيشيل عام ١٩٢١م، عاد الى مصر عام ١٩٢٣م والف وزارته الوحيدة بعد ان فاز في انتخابات عام ١٩٢٤م ثم استقال في نفس العام واكتفى بمنصب رئيس مجلس النواب حتى وفاته في اب ١٩٢٧م ينظر: قدري قلعجي، سعد زغلول رائد الكفاح الوطني في الشرق العربي، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت)، ص٥.

([٢٧]) امال كامل بيومي السبكي، الحركة النسائية في مصر ما بين الثورتين ١٩١٩ – ١٩٥٢م، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٢٠.

([٢٨]) هدى شعراوي، المصدر السابق، ص١٥٩.

([٢٩]) لطيفة محمد سالم، المرأة المصرية والتغيير الاجتماعي، ص٣٢.

([٣٠]) عبد الخالق ثروت: ولد في عام ١٨٧٣م وهو من أصول تركية درس في مدرسة عابدين وتخرج من كلية الحقوق في عام ١٨٩٣م عين في وزارة العدل ثم تولى القضاء في محكمة الاحداث المصرية في عام ١٩٠٥م، وصار مستشارا في محكمة الاستئناف عام ١٩٠٧م عمل بعدها نائبا عاما في عام ١٩٠٨م الى ان ارتقى الى المناصب السياسية العليا فتولى وزارة الداخلية للمدة نيسان ١٩١٤ – نيسان ١٩١٩م ثم تولى وزارة الداخلية في وزارة عدلي يكن المعادية للوفد عام ١٩٢١م اجرى مباحثات مع المندوب السامي البريطاني اللورد اللنبي وساهم في صدور تصريح ٢٨ شباط ١٩٢٢م الذي يعترف باستقلال مصر على اثر ذلك تولى رئاسة الوزراء في اذار ١٩٢٢م الى ان سقطت في تشرين الثاني عام ١٩٢٢م على اثر خلاف مع =الملك حول بعض احكام الدستور، تولى بعدها وزارة الخارجية في حزيران عام ١٩٢٦م ثم خلف عدلي يكن في رئاسة الوزراء في نيسان ١٩٢٧م واستقال في اذار ١٩٢٨م بسبب خلاف مع حزب الوفد توفي في أيلول عام ١٩٢٨م. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤م، ج٣، ص ٨١٤.

([٣١]) مارجوا بدران، المصدر السابق، ص ١٣٦.

([٣٢]) تصريح ٢٨ شباط: نص ذلك التصريح على ان مصر دولة مستقلة ذات سيادة مع التحفظ على اربع نقاط رئيسية وهي: الدفاع عن مصر ضد أي اعتداء يقع عليها، وتأمين المواصلات البريطانية والدفاع عن مصر من الاعتداءات الخارجية، وحماية المصالح الاجنبية والأقليات وبقاء الأوضاع في السودان طبقا لاتفاقية عام ١٨٩٩م، وإلغاء الحماية البريطانية على مصر، وقع التصريح عن الجانب المصري عبد الخالق ثروت رئيس وزراء مصر في ذلك الوقت، اما عن الجانب البريطاني فقد وقع اللورد كيرزون. ينظر: عبد الرحمن الرافعي، في اعقاب الثورة المصرية، ط٤، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٦٥.

([٣٣]) امال كامل بيومي السبكي، المصدر السابق، ص ٤٤.

([٣٤]) احتجاج لجنة السيدات المصريات على نفي سعد زغلول، دار الكتب والوثائق القومية، ٦ اذار ١٩٢٢م. للمزيد من التفاصيل ينظر الملحق رقم واحد.

(٣٥) لجنة الثلاثين: تشكلت تلك اللجنة في ٣ نيسان ١٩٢٢م بقرار من قبل عبد الخالق ثروت لوضع مشروع دستور مصري بعد اعلان استقلال مصر، ضمت اللجنة ثلاثين عضوا برئاسة حسين رشدي وكان فيها مجموعة من رجال القانون والسياسية ورجال الدين والفكر عقدت اللجنة عدة جلسات كان أولها في ١١ نيسان عام ١٩٢٢م واستمرت اللجنة في عملها طيلة ستة اشهر. ينظر: محمد زكي عبد القادر، محنة الدستور (١٩٢٣ -١٩٥٢م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٥٣ - ٥٦.

(٣٦) مها علاء محسن طلب ، دور المرأة في الحياة السياسية والاجتماعية في مصر (١٩٧٠ - ١٩٨١م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، الجامعة المستنصرية،٢٠٢٠م، ص٥.

(٣٧) عبدالله امام، صفحات من تاريخ المرأة المصرية، الكتاب الذهبي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢١٠.

(٣٨) درية شفيق وإبراهيم عبدة، تطور النهضة النسائية في مصر، ص١١٣.

(٣٩) لطيفة محمد سالم، المرأة المصرية والتغيير الاجتماعي، ص٣٤.

(٤٠) جريدة الاهرام، القاهرة، العدد(١٣٩٨٨)، ٣ اذار ١٩٢٣.

(٤١) اميرة سنبل واخرون، المصدر السابق، ص٣٨٢.

(٤٢) نورية السداني، الحركة النسائية في القرن العشرين (١٩١٧- ١٩٨١)، مطابع دار السياسية، الكويت، ١٩٨٢م ، ص ٢٧.

(٤٣) مها علاء محسن طلب، المصدر السابق، ص ٥ - ٦.

(٤٤) درية شفيق، المرأة المصرية من الفراعنة، ص ١٤٨.

(٤٥) يوسف محمد عيدان، المصدر السابق، ص٤٤٩.

(٤٦) مارجوا بدران، المصدر السابق، ص١٤٢.

(٤٧) منيرة ثابت: اول محامية مصرية في المحاكم المختلطة، فضلا عن انها اول فتاة جامعية تعمل بالصحافة تخرجت من مدرسة الحقوق الفرنسية العليا في مصر قامت بكتابة العديد من المقالات في جريدة الاهرام واطلق عليها لقب عميدة الصحافة طالبت بحقوق المرأة السياسية =رافعت عن المدرسات في الزواج مع الاحتفاظ بوظائفهن وتبنت قضية النساء العاملات، أصدرت مجلتها بعنوان الامل عام ١٩٢٥م . ينظر: هدى الصدة وعماد أبو غازي، مسيرة المرأة المصرية، ط٢، المجلس القومي للمرأة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٩٦.

(٤٨) محمد زكي عبد القادر، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٤٩) لطيفة محمد سالم، المرأة المصرية والتغيير الاجتماعي، ص ٣٣-٣٤.

(٥٠) محمد محمود: ولد في عام ١٨٧٧م اكمل دراسته في جامعة أكسفورد، وعين مفتشا للمالية وكان احد مؤسسي حزب الوفد عام ١٩١٨م ، قامت السلطات البريطانية بنفيه الى مالطا عام ١٩١٩م عاد من النفي فأرسله حزب الوفد الى الولايات المتحدة الامريكية لكسب تأييد القضية المصرية، قام بتأسيس حزب الاحرار الدستوريين عام ١٩٢٢م بعد استقالته من حزب الوفد الف وزارته الأولى عام ١٩٢٨م ثم صار عضوا في

الجبهة الوطنية عام ١٩٣٥م وقام بتأليف وزارته الثانية في عام ١٩٣٧م توفي عام ١٩٤١م. ينظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، (د. م)، (د.ت)، ج٢، ص١٦٦٢.

(٥١) الملك فؤاد: ولد في عام ١٨٦٨م وهو ابن الخديوي إسماعيل، درس في إيطاليا وتخرج من الكلية الحربية عين بعد تخرجه ياوراً للسلطان عبد الحميد الثاني، كان شديد الاهتمام بالشؤون الثقافية عاد الى مصر عام ١٨٩٠م ترأس اللجنة التي قامت بتأسيس الجامعة المصرية في عام ١٩٠٦م بعد وفاة أخيه السلطان حسين تولى عرش مصر في تشرين الأول عام ١٩١٧م، وشهدت مدة حكمه سلسلة من المفاوضات مع السلطات البريطانية من اجل عقد معاهدة تحالف =بينهما الى ان توصل الطرفين الى عقد معاهدة عام ١٩٣٦م توفي في نيسان عام ١٩٣٦م. ينظر: محمد شفيق غربال، المصدر السابق، ص١٨٩٣.

(٥٢) جريدة الاهرام، العدد (١٥٧١٨)، ١٦ اب ١٩٢٨.

(٥٣) إسماعيل صدقي: ولد في عام ١٨٧٥م في مدينة الإسكندرية تخرج من كلية الحقوق عام ١٨٩٤م وعمل بالنيابة العامة ثم سكرتيرا لوزارة الداخلية عام ١٩٠٨م وصار وكيلا للوزارة في عام ١٩١٠م تولى وزارة الزراعة ثم الأوقاف للمدة من نيسان ١٩١٤م الى أيار ١٩١٥م انضم الى حزب الوفد عام ١٩١٨م ونفي مع اتباعه الى مالطا، تولى بعدها وزارة المالية عام ١٩٢١م ثم وزيرا للداخلية عام ١٩٢٥م الى ان صار رئيس الوزارة خلال المدة ١٩٣٠- ١٩٣٣م قام بتأسيس حزب الشعب وترأس الوزارة للمدة الثانية عام ١٩٤٦م واجرى مفاوضات صدقي – بيفن الشهيرة التي انتهت بالاخفاق توفي في عام ١٩٥٠م . ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤م، ج١، ص ١٩١-١٩٢.

(٥٤) يونان لبيب رزق، تاريخ الوزارات المصرية (١٨٧٨-١٩٥٣م)، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٣٥٤-٣٦٠.

(٥٥) يوسف محمد عيدان، المصدر السابق، ص٤٥٠.

(٥٦) جريدة الاهرام ، العدد (١٦٦٦٤) ، ٢ أيار ١٩٣٢ .

(٥٧) يوسف محمد عيدان ، المصدر السابق ، ص٤٥١ .

(٥٨) مارجوا بدران ، المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

(٥٩) امال كامل بيومي السبكي، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٦٠) جورجيت عطية، الزمن والريادة، دمشق، ١٩٩٨م، ج٢، ص١٨٨.

أسلوب التكرار في فنون بلاد الرافدين

(انواعه والغاية منه)

The repetition technique in the arts of Mesopotamian (its types and purpose)

احمد عبد الوهاب رزوقي العكام

ahmed.abd1705@coart.uobaghdad.edu.iq

أ.د اوسام بحر جرك

جامعة بغداد/ كلية الآداب/ قسم الاثار

أسلوب التكرار في فنون بلاد الرافدين (انواعه والغاية منه)

احمد عبد الوهاب رزوقي العكام

أ.د اوسام بحر جرك

ملخص البحث

ان أسلوب التكرار يعني وجود عنصر او مشهد في العمل الفني متشابه او متطابق ويمكن الاستغناء عنه دون ان يؤثر على فكرة ومضمون موضوع العمل الفني بالكامل ولا يعني وجود اكثر من عناصر عدة من جنس واحد صوروا بوضعيات وهيئات مختلفة ويؤدون اعمال متباينة او وجود مشهدين او اكثر يمثلان الموضوع نفسهُ لكن بعناصر وبوضعيات وحركات مختلفة. كما يعرف التكرار بأنه استخدام عناصر او رموز متطابقة لتحقيق تأثير معين , او يمكن استخدامه ايضاً للفت الانتباه الى العنصر الذي يتم تكراره, كما يمكن استخدام التكرار بطرق عدة لإحداث تأثير في الفن, الأكثر شيوعاً هو هيكلة عمل فني حول عدد او نمط معين من العناصر المتشابهة .

Abstract

Repetition means the presence of an element or scene in an artwork that is similar or identical and can be dispensed with without affecting the idea or content of the artwork as a whole. It does not mean the presence of more than several elements of the same type depicted in different positions and poses and performing different actions, or the presence of two or more scenes representing the same subject but with different elements, positions and movements. Repetition is also defined as the use of identical elements or symbols to achieve a certain effect, or it can also be used to draw attention to the element being repeated. Repetition can be used in many ways to create an impact in art, the most common being structuring an artwork around a certain number or pattern of similar elements..

المقدمة:

تعد النتاجات الفنية من اهم ما انتجته حضارة بلاد الرافدين والتي امتازت بتنوعها عبر العصور وكانت تعبر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في كل عصر من تلك العصور ومن اهم تلك النتاجات الفنية هي النتاجات ثنائية الابعاد التي من أهمها النحت البارز والغائر, وتلك النتاجات الفنية ذات البعدين كانت بحاجة الى أساليب توزع عن طريقها العناصر الفنية في المشهد ومن اهم تلك الأساليب الفنية هي أسلوب التكرار .

والتكرار في فنون بلاد الرافدين هو أسلوب فني يعتمد على تصوير عنصر او اكثر او مشهد متكامل لأكثر من مرّة في عمل فني واحد لغايات جمالية او لإبراز دلالات معينة او لإيصال فكرة ما, وقد استخدم هذا الأسلوب في عدد كبير من النتاجات الفنية ذات البعدين في بلاد الرافدين على مر العصور.

تعريف التكرار

التكرار لغة :

التكرار اسم من المصدر كرّرَ والجمع تكرارت , وكرر الشيء أي اعاده مراراَ وتكراراً او اعاده مرّة بعد أخرى(١) .

والتكرار في اللغة من كرَّ , الكاف والراء اصل صحيح يدل على جمع وترديد ومن ذلك كررْتُ , وذلك الرجوع اليه بعد المرّة الأولى , فهو الترديد(٢).

كذلك : كرَّ يكُرُّ كَرَّاَ وكُرُراً , وكرر الشيء وَكَركره أي اعاده مرَّة بعد أُخرى , ويقال كررت عليه الحديث وكَرْكَرْتُهُ أي ردّدت عليه مرة أخرى , والكرَّ الرجوع الى الشيء ومنه التكرار (٣).

ومعنى تكرار الشيء أي كرره فعلاً او قولاً , كما ان التكرار هو التجديد للفظ الأول ويفيد ضرباً من التأكيد (٤).

التكرار اصطلاحاً :

التكرار: هو الاتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني, وهو أساس الإيقاع بجميع صوره, والتكرار هو ترديد اجناس متشابهة مراراً وتكراراً او لمرات عدة, كما انه

نوع من أنواع العلاقات المترابطة في أسس التنظيم وهو الذي يشكل من الوحدة الزخرفية شكلاً جمالياً(٥).

كما ان التكرار : هو حركة عنصر او مفردة او اكثر داخل سطح العمل الفني وفق نظام معين وهو الالحاح على عنصر من العناصر التشكيلية او على معنى من المعاني بحيث يقدم العنصر او المعنى المكرر قيمة جمالية, كما انه مادة فنية وبصرية وأداة تعبيرية تلح على اشكال معينة لإظهار أهميتها او خصائصها (٦).

والتكرار ايضاً: هو أسلوب يهدف الى تحقيق وفرة العناصر وتعني استخدام العنصر نفسهُ بأعداد كبيرة وحسب الحاجة اليها, والتكرار عملية تؤدي الى تأكد مظاهر الامتداد والحركة التعبيرية على سطح التصميم(٧).

ويعرف أيضا بأنه: تكرار العناصر المنفذة في العمل الفني سواء كانت طبيعية او هندسية وترتيبها بشكل يخلق فيها عنصر الجمال(٨).

ان أسلوب التكرار يعني وجود عنصر او مشهد في العمل الفني متشابه او متطابق ويمكن الاستغناء عنه دون ان يؤثر على فكرة ومضمون موضوع العمل الفني بالكامل ولا يعني وجود اكثر من عناصر عدة من جنس واحد صوروا بوضعيات وهيئات مختلفة ويؤدون اعمال متباينة او وجود مشهدين او اكثر يمثلان الموضوع نفسهُ لكن بعناصر وبوضعيات وحركات مختلفة .

أنواع أسلوب التكرار في فنون بلاد الرافدين

استخدم الفنان في بلاد الرافدين أسلوب التكرار بطرق عدة أدت الى تنوعه وذلك لإحداث التأثير والغاية المطلوبة منه, ويمكن تقسيم أسلوب التكرار على أنواع حسب التطابق او التشابه في العناصر المكررة في المشهد الفني .

١- **التكرار المتطابق**(٩) : هو نوع من أنواع التكرار ويعني تكرار مشهد او اكثر في عمل فني واحد او ان تكرار اكثر من حدث في المشهد الفني او تكرار عناصر المشهد الفني سواء كانت تلك العناصر طبيعية ام زخرفية هندسية تكراراً متطابقاً, ويشمل التطابق في المشاهد او عناصر المشهد في الشكل العام والحركة والحجم والاتجاه والملامح.

يستخدم التكرار المتطابق بشكل كبير في تصميم الزخارف او تأطير المشهد الفني ولاسيما الزخارف الهندسية فضلاً عن الزخارف الطبيعية, فأن تكرار عنصر طبيعي او هندسي بشكل متطابق يكون زخرفة ذات طابع جمالي او ذات دلالات أخرى تصنف حسب نوع وتاريخ العمل الفني(١٠) .

أ- التكرار المتطابق في المشاهد : هو ان يتطابق مشهدان في عمل فني واحد. ومن النماذج التي تحمل هذا النوع من التكرار هي كما يلي :

(شكل رقم ١) (١١):

اناء فخاري من عصر العبيد, مزين بزخرفة هندسية باللون الأسود على شكل ثلاثة خطوط افقية غير متساوية في السُمك حصرت بينها حقلين صورت فيها مجموعة متطابقة من الدوائر المعتمة التي تحيط بكل منها حلقة من الدوائر الصغيرة لقد زينت هذه الزخرفة المكررة الاناء وملئت في الوقت نفسهُ الفراغات التي تكونت بين الاشرطة الافقية على سطح الاناء.

(شكل رقم ٢) (١٢) :

طبعة ختم اسطواني من عصر الوركاء صور عليها مشهدان متطابقان في حقلين علوي وسفلي, يضم المشهد العلوي مجموعتين الأولى في الجانب الأيمن تمثل شخص جالس (ربما رجل) يمد يده ورجليه على الجانبين يمسك بيديه رأسي حيوانين وقفا على جانبيه على الأرجح لبوة في الجانب الأيمن وماعز في الجانب الايسر, وكرر تصوير المجموعة في الجانب الأيسر اذ صور الشخص نفسه وهو يمسك حيوانين اخرين وقفا على جانبيه ربما حمار في الجانب الأيمن وماعز في الجانب الايسر, يتكرر هذا المشهد بكل تفاصيله في الحقل السفلي تكراراً متطابقاً في العناصر والاحداث والحركات والاتجاهات.

قد تكون الغاية من ذلك لملئ الفراغ لكون الفكرة من الموضوع قد اكتملت في الحقل العلوي ولا يوجد داعي لتكرار المشهد في الحقل السفلي(١٣), او لتأكيد سيطرة هذا المخلوق على الحيوانات التي حوله لاسيما وانه قد كرر مرتين في المشهد الواحد, علما ان هذه الطبعة تحمل نوعين من التكرار المتطابق بين الحقلين العلوي والسفلي والمتشابه بين المجموعتين في الحقل الواحد.

(شكل رقم ٣)[١٤]

ختم اسطواني يعود الى عصر فجر السلالات الثاني يتكون من حقلين افقيين يتطابقان في المشاهد صور في كل منهما مشهد مجلس شراب, يتمثل بشخصين جالسين متقابلين وسطهما جرة كبيرة يتم الشراب منها بواسطة أنبوب موضوع في الجرة, فضلا عن وجود انبوبين اخرين فيها, ان تكرار مشهد مجلس الشراب تكرارا متطابقا في حقلين علوي وسفلي ربما لبيان أهمية المناسبة التي أقيم فيها مجلس الشراب وللتأكيد على المشاركة فيها[١٥] .

(شكل رقم ٤)[١٦]:

ختم اسطواني يعود الى العصر البابلي القديم صور فيه مشهدان متطابقان الأول من اليمين رجل واقف ماثل اما الالهة الداعية لاما ويتكرر المشهد مرة أخرى تكراراً متطابقاً في الوسط, وصور على يسار المشهد زوج من الالهة لاما اذ تم تكرارها تكراراً متطابقاً وهي ترفع يديها للأعلى, ان تكرار المشهد الرئيس وتكرار الالهة لاما لبيان أهميتها كآلهة داعية وشفيعة او انها وجدت لملئ الفراغ في المشهد .

(شكل رقم ٥)[١٧] :

رسم جداري منفذ على البوابة الرئيسة لمدينة دور شروكين (خورسباد) من العصر الاشوري الحديث, زين القوس اعلى البوابة بشريط مكرر تكرارا متطابقاً لمشهد طقوسي يتمثل بزهرة البابونك يقف على كلجانب منها ملاك حارس مجنح يحمل بيده اليمنى حبوب اللقاح او كوز الصنوبر ويحمل بيده اليسرى دلو, واطر المشهد من الأعلى والاسفل بزخرفة نباتية قوامها سلسلة متتالية من زهرة البابونك. ان تكرار هذا المشهد هو لبيان أهمية طقس التطهير الذي يقوم به الملاك الحارس المجنح في المعتقدات الاشورية, كما ان تكرار زهرة البابونك هو دليل على وفرتها وكثرتها في الطبيعة واهميتها من الناحية الطقوسية لذلك جعلت مادة زخرفية أساسية في فنون بلاد اشور وبابل في العصر الاشوري الحديث .

ب- التكرار المتطابق بالعناصر :

هو ان يتكرر عنصر واحد مرتين او اكثر تكراراً متطابقاً في مشهد فني واحد, وقد تم اختيار نماذج من أنواع عدة من النتاجات الفنية من عصور مختلفة لإبراز هذا النوع من التكرار وكما يلي :

(شكل رقم ٦)[١٨] :

صحن فخاري يعود الى عصر سامراء نقش عليه مشهد يتألف من أربعة طيور تقف حول دائرة مركزية تليها ثمانية اسماك صفت بشكل حلقة تدور عكس عقارب الساعة وأطر المشهد بزخرفة هندسية. ان تكرار عناصر هذا المشهد تكراراً متطابقاً دلالة على وفرتها في الطبيعة واهميتها في حياة الانسان فضلاً عن الغاية الزخرفية الجمالية.

(شكل رقم ٧)[١٩]:

جرة كروية تعود الى عصر حلف نقش سطحها الخارجي بمشهد يتمثل بطائر (ربما الوز) محلق بشكل عمودي ناشر جناحيه, يتكرر الطائر تكراراً متطابقاً حول بدن الجرة, وملئ الفراغ في سطح المشهد بما يشبه النجوم, كما اطر المشهد من الأعلى والاسفل بخطين افقيين. ان تكرار عنصر الطير على بدن الجرة هو دلالة على وفرة وكثرة هذا النوع من الطيور, فضلاً عن ان تكرار هذا العنصر لا يخلو من غرض زخرفي لإحاطة الجرة من جميع الجهات.

(شكل رقم ٨)[٢٠]:

مشهد نفذ على ختم منبسط يعود الى عصر الوركاء يتألف من أربعة اشخاص في وضعية المسير يضعون أيديهم خلف ظهورهم وهم في حالة انحناء بسيط يتجهون نحو اليمين, ان تكرار هذا الشخص تكراراً متطابقاً اربع مرات ربما للإيهام بحركة السير لهذا الشخص, أي ان الفنان أراد ان يبين ان هذا الشخص يقوم بالسير باتجاه اليمين, او ان هذا التكرار كان للدلالة على كثرة الأشخاص في هذا المشهد فضلاً عن الرغبة في ملئ سطح الختم بالكامل.

(شكل رقم ٩):

ختم اسطواني يعود الى عصر جمدة نصر نفذ عليه مشهد ديني لرجل يرتدي وزرة طويلة مشبكة يمثل كاهن او حاكم يقف في الجانب الايسر ويحمل بيده غصن يطعم به نعجتين واقفتين امامه, ويوجد خلف النعجتين زوج متدابر من رمز الالهة اينانا ثم زوج اخر من النعاج ثم رمز الالهة اينانا, ربما يكون الغاية من تكرار رمز الالهة اينانا لثلاث مرات

وكذلك تكرار النعاج هو لتأكيد ملكيتها للآلهة اينانا وما توفره من وفرة وخير وخصب, وهي قد تكون في الوقت نفسة أسلوب لملئ الفراغ على سطح الختم[٢١].

(شكل رقم ١٠)[٢٢] :

ختم اسطواني من عصر فجر السلالات الاول صور فيه حقلان افقيان متشابهان كل حقل يحتوي على مجموعة من الوعل وكأنها في حالة سير نحو جهة اليسار, ويفصل بين الحقلين خط افقي رفيع, ان تكرار هذا المشهد دلالة على الكثرة والوفرة لحيوان الوعل في هذا العصر, كما ان تكراره يوحي بأن الحيوان يسير فضلا عن دلالة الاستمرارية والامتداد في المشهد.

(شكل رقم ١١)[٢٣]

ختم اسطواني من العصر الاكدي مكون من حقلين جسد في الحقل العلوي مشهد ديني عبارة عن تقديم متعبد الى اله جالس على ظهر حيوان بواسطة اله ثانوي يحمل بيده قارورة صغيرة, اما الحقل السفلي فهو عبارة عن صف من الوزات او البجعات وهي تسبح في الماء جسدت بشكل متطابق, قد يدل تكرارها تكراراً متطابقاً على وفرتها في الطبيعة والاهمية الاقتصادية التي تتمتع بها, او قد يكون تكرارها هو للإيهام بأنها في حالة سباحة في الماء.

(شكل رقم ١٢)[٢٤] :

كسرتان من مسلة الامير كوديا من العصر السومري الحديث صور فيها رمز الاله انكي/ أيا المتمثل بالجرة التي يتدفق منها الماء وقد تم تكرار هذا الرمز مرات عدة, ان تكرار الاناء ربما تأكيداً على أهمية رمزيته المتمثلة بأنه يمثل ماء الحياة[٢٥], وكذلك تأكيداً على أهمية الاله انكي وهيمنته على المشهد.

(شكل رقم ١٣)[٢٦]:

ختم اسطواني يعود الى العصر البابلي الوسيط, جسد فيه إله الجبل (حاملا بكل يد جرة ينبثق منها الماء ينسكب في جرة اسفل المشهد), وقد احيط الاله بجبلين فوق واسفل كل منهما رمز الهي عبارة عن نجمة مشعة, ان تكرار الجبلان والرموز اعلى واسفل منهما دلالة على انها رموز لإله الجبل الذي يمثل العنصر الرئيس في المشهد وان تكرار الرموز دلالة على هيمنته وسيطرته على المشهد كله .

(شكل رقم ١٤)[٢٧]:

ختم اسطواني يعود الى العصر الاشوري الوسيط جسد عليه مشهد يتكرر فيه صف من الأشخاص يتجهون نحو اليمين يحمل كل منهم عمود طويل ينتهي من الأعلى بعنصر كروي .

٢- **التكرار المتشابه**[٢٨] : هو نوع من أنواع التكرار وتعني تكرار مشهد او حدث في العمل الفني او تكرار عناصر معينة فيه سواء كانت عناصر طبيعية او عناصر زخرفية من حيث الشكل او الوضعية, ولكن هناك اختلاف في بعض التفاصيل مثل الحجم او اتجاه الحركة, كأن يكون المشهد او الحدث المتشابه او العناصر المتشابهة متقابلة او متدابرة أي لا تتطابق في اتجاه الحركة وذلك لغايات ودلالات معينة في تصميم المشهد الفني.

أ – التكرار المتشابه في المشاهد: هو ان يتكرر مشهدان او اكثر في عمل فني واحد بشكل متشابه مع اختلافات قليلة سواء بالاتجاه او الحركة او بعض العناصر الفنية وغيرها, وقد تم اختيار نماذج معينة من عصور مختلفة لإبراز هذا النوع من التكرار وهي كما يلي :

(شكل رقم ١٥)[٢٩] :

ختم اسطواني يعود الى عصر الوركاء يحتوي على مشهد يتمثل اسد بارك يتجه نحو اليمين, كرر هذا المشهد تكراراً متشابهاً في صفين آخرين الصف الذي في الوسط يتجه فيه الاسد نحو اليسار والصف السفلي يتجه نحو اليمين, ان تكرار مشهد الختم بثلاثة صفوف هو أسلوب لملئ الفراغ, اذ ان الموضوع مكتمل في صف واحد من المشهد .

(شكل رقم ١٦)[٣٠]:

مشهد منقوش على سطح الاناء النذري الفضي للملك انتمينا يعود الى عصر فجر السلالات قسم على حقلين العلوي صور فيه صف من الابقار المتجهة نحو اليسار, اما الحقل السفلي فقد صور فيه مشهد يتمثل بالطائر الأسطوري امدكود(انزو) ناشر جناحيه وقابضاً بمخالبه على اسدين متدابرين مرة وعلى ماعزين متدابرين مرة أخرى ان تكرار مشهد الطائر الأسطوري مع اختلاف الفريسة دلالة على قوة واهمية هذا الطائر في اساطير بلاد الرافدين .

(شكل رقم ١٧)[٣١] :

ختم اسطواني من العصر الاكدي جسد فيه مشهد ديني يتمثل بالإله ادد واقف على ظهر تنين مجنح حاملاً بيده حزمة البرق, يتكرر هذا المشهد في الجانب الايسر من الختم تكراراً متشابهاً مع اختلاف في حركة الاله وملابسه, وهناك رجل واقف في الجانب الأيمن من المشهد, ان تكرار المشهد تكراراً متشابهاً ربما للإشارة الى أهمية الاله ادد وهيمنته على سطح الختم وكذلك لملئ الفراغ فيه, وقد تكون دلالة على مراحل إتمام سلسلة اعمال يقوم بها ذلك الاله.

(شكل رقم ١٨)[٣٢]:

مشهد صراع صور في ختم اسطواني يعود الى العصر البابلي القديم يتألف من ثلاث مجموعات جسد في الوسط البطل الحامي وهو يتصارع مع جاموس بري, يتكرر على يمين ويسار الختم اسد يفترس غزال وكليهما يقف على اطرافه الخلفية مع الاختلاف في اتجاه كل مجموعة, ان تكرار المجموعتين قد يكون دلالة على قوة الأسد وهيمنته او يكون تكرار المشهد هو أسلوب لملئ الفراغ, فضلا عن التوازن والتناظر وجمالية المشهد .

(شكل رقم ١٩)[٣٣] :

ختم اسطواني يعود الى العصر الاشوري الوسيط قسم على حقلين في الحقل العلوي ماعزان يتجهان نحو اليمين وسط نباتات, اما في الحقل السفلي فيتكرر المشهد لكن بزوج من الجداء بدلاً من الماعز, ان تكرار المشهد في حقلين تكراراً متشابهاً دلالة على كثرة الحيوانات والنباتات في الطبيعة .

(شكل رقم ٢٠)[٣٤]:

رسم جداري يعود الى العصر الاشوري الحديث يتكوّن من حقلين متشابهين يفصل بينهما زخرفة بشكل ضفيرة, في كل حقل زخارف نباتية اما الاختلاف بينهما ان الزخرفة في الحقل العلوي تتجه الزخرفة فيه نحو الأعلى اما الحقل السفلي فتتجه الزخرفة فيه نحو الأسفل, ان تكرار الزخرفة بحقلين افقيين هو لغرض زخرفي تزييني مما يعطي تناظراً وجمالاً للمنظر.

(شكل رقم ٢١)[٣٥]

ختم اسطواني من العصر البابلي الحديث جسد فيه مشهد من مجموعتين متشابهتين تم تصويرهما بشكل متدابر تتكون كل مجموعة من بطل ملتحي في صراع مع ثور مجنح يقف على قوائمه الخلفية ممسكاً البطل من قرنه ويحاول ضربه بهراوه رفعها البطل في الجهة اليمنى وخفضها في الجهة اليسرى, تتوسط الثورين المجنحين من الأعلى نجمة ذات عشرة اشعة, اما الغاية من تكرار المشهد في الختم فقد يكون لبيان قوة وهيمنة البطل او قد يكون لتصوير مشهدين متتاليين لحدثين او زمنين مختلفين, فضلاً عن كونه أسلوب لملئ الفراغ في سطح الختم كله.

ب – التكرار المتشابه في العناصر : يقصد به ان يتكرر عنصران او اكثر في مشهد واحد تكراراً متشابهاً مع اختلافات بسيطة سواء بالاتجاه او الحجم او الحركة وغيرها, وتم اختيار اكثر من عشرين نموذجاً من النتاجات الفنية المتنوعة من عصور مختلفة لتوضيح أسلوب التكرار المتشابه في العناصر وكما يلي :

(شكل رقم ٢٢)[٣٦]:

ختم منبسط يعود الى عصر العبيد صور فيه مشهد يتمثل بماعزين يتجهان نحو اليسار بينهما سمكة وزوجان من الطيور تحوم في الأعلى وهناك اختلاف بسيط بين الماعزين في القرون وشكل الجسم وكذلك اختلاف في اتجاه الطائرين, ان تكرار هذان العنصران(الماعز والطائر) في المشهد هو دلالة على وفرة وكثرة هذه الحيوانات.

(شكل رقم ٢٣)[٣٧]:

ختم منبسط يعود الى عصر الوركاء صور عليه مجموعة كبيرة من الطيور تكوّن سرب وتختلف بشكل بسيط من حيث الحجم والحركة, ان تكرار هذه الطيور تكراراً متشابهاً في المشهد هو دلالة على الوفرة والكثرة واهميتها الاقتصادية, فضلا عن استخدامها كعنصر لملئ الفراغ .

(شكل رقم ٢٤)[٣٨]:

ختم اسطواني يجسد مشهد من الطبيعة يعود الى عصر جمدة نصّر صور فيه نباتات وغزالان احدهما واقفة والأخرى باركة وهما متشابهتان مع اختلاف الحركة, اما الغاية من

تكرار الغزالين هو دلالة على الوفرة والكثرة, وربما لتوضيح خطوات الحركة لهذا الحيوان أي يجسد الحيوان وهو بارك ثم وهو واقف.

(شكل رقم ٢٥)[٣٩] :

ختم اسطواني من عصر فجر السلالات قسم على حقلين صور في الحقل العلوي رؤوس اسود امام كل منها حيوان صغير تهم بالتهامه, اما الحقل السفلي فقد صور فيه صف من الجزء العلوي من ستة حيوانات اليفة. ان تكرار رؤوس الأسود في هذا الختم ربما للدلالة على قوة الأسد وهيمنته وانعكاساً لما يرمز له الأسد سواء كان احد رموز الالهة او قوة الدولة او الحاكم او قوة الشر وتمكنه من الخير.

(شكل رقم ٢٦)[٤٠]:

ختم اسطواني يعود الى العصر الاكدي صور فيه مشهد يتمثل بتكرار ستة عقارب بشكل متشابه مع اختلاف في الاحجام والاتجاهات, وان تكرارها دلالة على وفرتها وكثرتها في الطبيعة فضلا عن أهميتها العقائدية.

(شكل رقم ٢٧)[٤١] :

ختم اسطواني يعود الى العصر السومري الحديث يحتوي على مشهد مكون من طائرين تشبه النسر يتجهان نحو اليمين ويدير كل منهما رأسه نحو اليسار, يتشابه الطائرين بشكل كبير من حيث البدن والحركة, لكن هناك اختلاف بسيط بحجم الرأس والفجوات الموجودة على البدن, ان تكرار هذا الطائر تكراراً متشابهاً هو دلالة على الوفرة والكثرة لهذا الطائر وربما لأهميته او ان تكراراه في المشهد هو للإيهام بالحركة.

(شكل رقم ٢٨)[٤٢]:

ختم اسطواني من العصر البابلي القديم صور عليه رجلان مقاتلان يتجهان نحو اليمين متخذين وضعية القتال متشابهين بالشكل مع بعض الاختلاف في الحركة والملابس, كما يوجد على جانب المشهد ثلاثة اسطر من الكتابة المسمارية, ان تكرار المقاتلين دلالة على القوة والهيمنة, او قد يكون للإيهام ان الرجل المحارب في حالة سير.

(شكل رقم ٢٩)

ختم اسطواني من العصر البابلي الوسيط جسد عليه مشهد صراع اذ صور وسط المشهد مخلوق اسطوري ربما يمثل (الاله اسيمود[٤٣]) يمسك بمخلوقين مركبين لهما رأس طائر وجسم اسد مجنح (كرايفن[٤٤]), كما يوجد شجرة في الجانب الأيمن من المشهد يقف عليها طائران , يؤطر المشهد من الاعلى زخرفة هندسية مكررة عبارة عن خمسة مثلثات, كما يتكرر في اعلى المشهد عشرة طيور محلقة يدل تكرارها على الأهمية الوفرة والكثرة فضلاً عن كونه أسلوب لملئ الفراغ وكسر الرتابة في المشهد [٤٥].

(شكل رقم ٣٠)[٤٦] :

ختم اسطواني يعود الى العصر الاشوري الحديث يمثل مشهد صيد من الطبيعة, اذ صور مجموعة من الصيادين وهم يوجهون سهامهم نحو حيوانات مختلفة, وصور في اعلى المشهد حصانان يجريان باتجاه اليسار, يتشابه الحصانان فيما بينهما مع اختلاف ان الحصان الذي يقع على يسار المشهد يمتطيه فارس, ان تكرار تصوير الحصان في المشهد دلالة على كثرة عددها واهميتها لاسيما عند الاشوريين في حالات الحروب ورحلات الصيد وغيرها.

الغاية والدلالة من التكرار

للتكرار غايات ودلالات عدة تعبر عن الفكرة والهدف من المشاهد الفنية , وقد يكون لتكرار مشهد او عناصر معينة اكثر من دلالة او غاية واحدة [٤٧], اذ يستخدم الفنان أسلوب التكرار ليصيب اكثر من هدف يساعده في اخراج وايصال مشهده الفني بأفضل صورة ومن اهم تلك الغايات والدلائل في أسلوب التكرار في فنون بلاد الرافدين هي :

١- الوفرة والكثرة

يشير تكرار عنصر معين في المشهد الفني احياناً الى توفر ذلك العنصر وكثرته في الطبيعة, فضلاً عن أهميته وانتشاره في العصر الذي صوّر فيه المشهد, فهناك عناصر فنية يتم تكرارها في المشاهد الفنية تدل على وفرتها في المنطقة المصورة فيها , ومثال على ذلك هناك عناصر حيوانية تنتشر في المنطقة الجنوبية بوفرة مثل الجاموس والحيوانات التي تعيش في بيئة الاهوار, فضلا عن العنصر النباتي الذي يدل أيضاً عند تكراره الى وفرته في

تلك البيئة او المنطقة مثل أشجار النخيل التي تنتشر في المناطق الوسطى والجنوبية من بلاد الرافدين وان تكرار تلك العناصر دلالة على أهميتها ودورها في فكرة العمل الفني .

كما يدل تكرار بعض العناصر مثل العناصر الحيوانية[٤٨]على وفرتها واهميتها في العصر الذي صور فيه المشهد ومثال على ذلك تصوير الحضيرة وحيوانات أخرى بكثرة وبشكل متكرر في اختام العصر الشبيه بالكتابي مما يدل على وفرتها واعتماد سكان ذلك العصر عليها من الناحية الغذائية والاقتصادية[٤٩].

٢- الاهمية والقوة والسيطرة

ان تكرار بعض العناصر الرئيسة في المشهد الفني لاسيما العناصر البشرية او الحيوانية او الأسطورية يدل على هيمنة واهمية ذلك العنصر سواء كان يعبر عن إله او ملك فأن تكراره له دلالات دينية او سياسية للتعبير عن سيطرة ذلك الاله او الملك في تلك الحقبة او المدينة التي صور فيها المشهد الفني.

ومثال على ذلك تكرار تجسيد الملك اورنمو في حدثين متقابلين في مسلته التي تعود الى العصر السومري الحديث اذ صور الملك تارةً وهو يقابل الاله سين وهو يصب الماء المقدس امامه, وصور تارةً أخرى بالجهة المقابلة وهو يصب الماء المقدس امام الالهة ننكال زوجة الاله سين, دلالة على ان الملك اورنمو هو العنصر الأهم في المشهد الفني المصور على تلك المسلة [٥٠].

كما ان تكرار بعض رموز الالهة في المشاهد الفنية يعبر عن المفهوم نفسهُ من سيطرة ذلك الاله وهيمنته على المدينة او تأكيد هويته كونه الاله الرئيس عليها, ومن الأمثلة على ذلك تكرار رمز الاله اعلى مسلة النصر للملك نرام سين التي تعود للعصر الاكدي, اذ نشاهد النجمة الثمانية المشعة التي ترمز الى الالهة عشتار او الاله شمش[٥١], دلالة على أهمية وهيمنة هذا الاله ودوره في الحرب ضد اقوام اللولوبو, فضلا عن سيطرته وهيمنته هذه الالهة في العصر الذي نحتت فيه تلك المسلة.

٣- التفاوت في زمن حدوث الفعل او مكانه

تكرار الاحداث او العناصر الرئيسة للمشهد الفني مع اختلاف حركة او اتجاه او حجم العناصر, اذ قد يصور احد الاحداث المكررة اصغر من الاخر للدلالة على ان ذلك الحدث

قد وقع في زمن اقدم من الحدث الأكبر حجماً في المشهد الفني او وقع في مكان ابعد (أي مراعاة المنظور), ومثال على ذلك تكرار المشهد في مسلة صيد الأسود من عصر الوركاء بالعناصر نفسها واختلاف حركتها وحجمها فيه للدلالة على ان المشهد العلوي الأصغر قد وقع في زمن اقدم من الحدث السفلي الأكبر حجما او انه وقع في منطقة ابعد.

٤- زخرفية جمالية

ان تكرار بعض العناصر سواء كانت عناصر طبيعية او هندسية بشكل زخرفي في النتاجات الفنية كانت الغاية منها اضفاء جمالية ورونق لسطوحها, ومثال على ذلك العناصر والرموز المتكررة التي تغطي اسطح اغلب الاواني الفخارية, فضلا عن العناصر والرموز المتكررة التي تؤطر بعض الاعمال الفنية مثل المنحوتات والرسوم الجدارية الاشورية مثل جدارية شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٣ ق.م), اذ اطر المشهد بخمسة افاريز منقوش عليها نماذج حيوانية ونباتية وهندسية متكررة لتكوّن اطار لتلك الجدارية وتضفي جمالية لها[٥٢].

٥- الايهام بالحركة

ان تكرار عناصر معينة في المشهد الفني بشكل افقي او عمودي للدلالة على حركة ذلك العنصر[٥٣], أي ايهام المشاهد بأن هذا العنصر المكرر يتحرك عمودياً او افقياً, ومثال على ذلك بعض مشاهد اختام عصر جمدة نصر التي تمثل حيوانات متكررة بصورة افقية مثل الأسماك ربما للدلالة على حركة تلك الأسماك أي انها تسبح بشكل افقي [٥٤].

٦- التناظر[٥٥] والتوازن في المشهد :

تكرار المشهد او عناصر منه مرتين مرة في الجانب الأيمن ومرة في الجانب الايسر منه مما يشكل تناظراً وتوازناً في العمل الفني ومثال على ذلك جدارية الملك اشور ناصر بال الثاني اذ يتناظر الملك وخلفه الملاك المجنح من جهتي اليمين واليسار.

٧ -الامتداد والاستمرارية :

ويقصد به خلق مشهد بصري ممتد دون انقطاع في العمل الفني للأيهام باستمرارية وقوع ذلك الحدث مثل سير عناصر متطابقة للأيهام انها في حالة سير[٥٦].

٨- للفت الانتباه لحدث او عنصر معين :

أي تكرار حدث او عنصر معين للفت الانتباه عليه والتنويه على أهميته او لإيصال فكرة معينة للمتلقي.

٩- لملئ الفراغ :

ان تكرار بعض العناصر الفنية او تكرار جزء منها في المشهد الفني او تكرار المشهد بالكامل مرات عدة قد استخدمه الفنان في بلاد الرافدين في بعض الأحيان لملئ الفراغ فضلاً عن دلالته الأخرى مثل الكثرة والسيطرة وغيرها[٥٧], كما أن تكرار بعض العناصر وملاحظة عدم ارتباطها بموضوع المشهد بالكامل يدل احياناً على انها صورت كعنصر لملئ الفراغ [٥٨].

اذ ان تكرار المشهد بالكامل في حقلين علوي وسفلي بكل تفاصيله هو أسلوب لملئ الفراغ , اذ ان الموضوع والفكرة قد اكتملت في الحقل العلوي , هو المشهد الأساس , ولكن في الوقت نفسهُ يدل التكرار هنا على أهمية الحدث وسيطرته او وفرة عناصره في الطبيعة وكثرتها [٥٩]. مثال على ذلك تصوير البطل الحامي في مشاهد الصراع في الاختام الاسطوانية اكثر من مرة وهو يتصارع مع حيوان معين مثل الجاموس البري يعد مشهداً رئيساً الا ان تكراره هو أسلوب لملئ الفراغ [٦٠].

الخلاصة

نستخلص مما تقدم ان التكرار هو أسلوب فني يعتمد على تكرار العناصر والاحداث في المشهد الفني , كما ان للتكرار أنواع واشكال عدة فمنها المتطابق ومنها المتشابه , اذ ان التكرار لا يعني دائماً التطابق التام في العناصر والاحداث فيمكن ان يكون هناك تكرار في العناصر مع اختلاف الحدث او ان يكون هناك تكرار في الحدث مع اختلاف عنصر من عناصره , كما ان لأسلوب التكرار في فنون بلاد الرافدين غايات ودلائل عدة حسب الغرض الذي صنع من اجله العمل الفني .

الاشكال



(شكل رقم ١)

(نوري عبيد كاظم محمد , فخار عصر .... , ص ٣٧٧ , شكل ٢٢)



(شكل رقم ٢)

(ريا محسن الحاج يونس , فجر الحضارة السومرية .... , ص ٢٢٦, شكل ١٧)



(شكل رقم ٣)

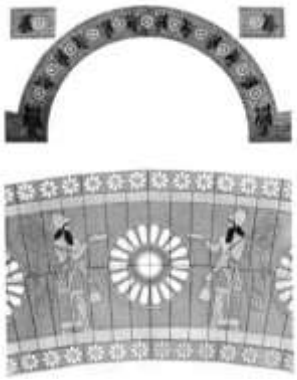
Jastrow ,Morris ., The Civilization....., (USA −1915) , Pl .XI , fig . 2)

(



(شكل رقم ٤)

(Collon, D., Cylinder Seals III....,p.84, Pl. XXIIX , fig.559)



(شكل رقم ٥)

(Handcock .S.P., Mesopotamian Archeology ….., p.279, Pl.XXX)



(شكل رقم ٦)

(Tom van Bakel ., Swastikas found….., p. 5 , fig.3.)



(شكل رقم ٧)

(الفتلاوي, نصير حميد عبود , تأويل الشكل…., ص١٤٦ , نموذج ٥ , شكل ٦)



(شكل رقم ٨)

Toble. A. J., Eyavalions at tepe Gwra Philadelphi,

((London:1950),fig.193)



(شكل رقم ٩)

(Amiet. p., La Glyplique Mesoptamienne …., Pl.143, fig.638)



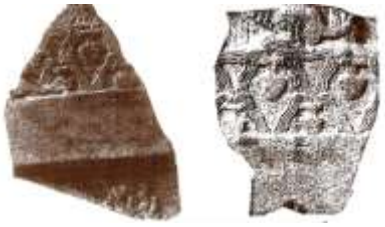
(شكل رقم ١٠)

(Wiseman .D.J., Cylinder Seals …., PL.23:c)



(شكل رقم ١١)

(Porada, E., The Collection of The Pierpont….,Pl,XL ,fig.260)



(شكل رقم ١٢)

(Jutta, Borker, "Altvorder Asiatische …., No.39-40)



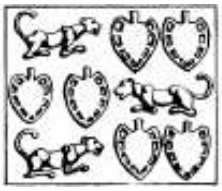
(شكل رقم ١٣)

(Christina Tsouparopoulou ., "Progress Report : ….., p.43, fig.9:c)



(شكل رقم ١٤)

(Loredan Palazzo ., " Signs Before the Alphabet , p.135, fig.82)



(شكل رقم ١٥)

(Frankfort, H., Cylinder Seals , (London – 1939), Pl.IV:g)



(شكل رقم ١٦)

(Ward .William .H., The Seal Cylinder…., p.30, fig.56)



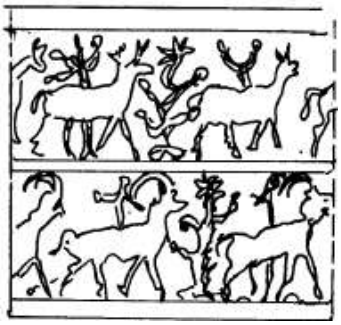
(شكل رقم ١٧)

(Delaporte, L., Catalogue des Cylinders….., Pl.72 ,fig.9)



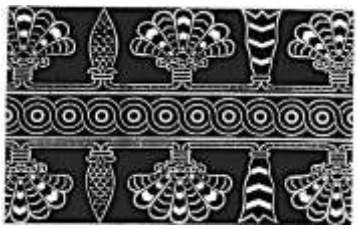
(شكل رقم ١٨)

(Collon, D., Cylinder Seals III….,p.84, Pl. XII , fig.123)



(شكل رقم ١٩)

(Kantor .H.J., Plant Ornament...., p.663 , fig. XVI)



(شكل رقم٢٠)

(Albenda Pauline ., Ornamental Wall ....,p.10 , fig .1:a)



(شكل رقم ٢١)

(Collon, D., Calaloyue of the Western V, Pl.XXVI, fig.318)



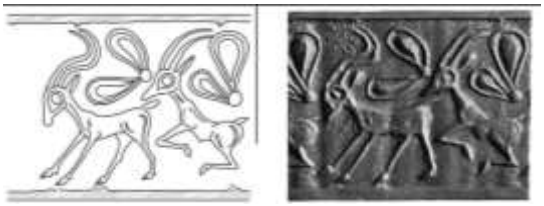
(شكل رقم ٢٢)

(Goff. B, symbols of perhistoric Mesopotimia, fig.212)



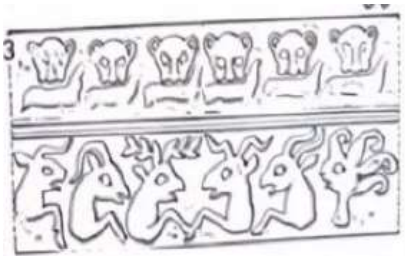
(شكل رقم ٢٣)

(ريا محسن الحاج يونس , فجر الحضارة ....., ص٣٠٨, شكل ٦٠)



(شكل رقم ٢٤)

(Moore , William .H., "Ancient Oriental .... , Pl.1 , fig. 4)



(شكل رقم ٢٥)

(Muller Karry Hermann ., Handuch Der Vorgeschichte ....,
TAFEL.195 , fig.32)



(شكل رقم ٢٦)

(Churak .Awsam Bahar ., "Tall Al- Thahab…., p.547, fig.5)



(شكل رقم ٢٧)

(Niederreiter Zoltan ., " Cuneiform Tablets , ….., vol.3 , 2018 , p.9 , fig.5)



(شكل رقم ٢٨)

(Porada, E., The Collection of The Pierpont….,Pl,LXXV ,fig.553.E)



(شكل رقم ٢٩)

(Matthews, Donald .M., The Kassite Glyptic…., fig.149)



(شكل رقم ٣٠)

(Delaporte . Louis ., Catalogue Des Cylinder …..,Pl.57 , fig . 2(k.7)

قائمة المصادر:

١. ابن منظور , أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم , لسان العرب , ج٥ , (القاهرة –٢٠٠٥)

٢. احمد بن فارس بن زكريا , مقاييس اللغة , ج٥ , تحقيق : عبد السلام بن هارون , (بيروت – بلا)

٣. احمد مختار عبد الحميد عمر , معجم اللغة العربية المعاصر , ج١ , (بيروت – ٢٠٠٨).

٤. اياد حسن عبد الله , فن التصميم , ج٢ , (الشارقة – ٢٠٠٨).

٥. إيهاب احمد عبد الرضا , التكوين في المسلات النحتية العراقية القديمة مضامينه وسماته الفنية , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة بغداد , كلية الفنون الجميلة , قسم الفنون التشكيلية , ٢٠٠٦.

٦. التويجري , محمد بن إبراهيم بن عبد الله , موسوعة الفقه الإسلامي , ط١ , ج٢ , (الرياض – ٢٠٠٩).

٧. جبران مسعود , الرائد (معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقاً لحروفها الأولى) , (بيروت –١٩٩٢).

٨. الخطيب , عبد الرحمن يونس , المياه في حضارة بلاد الرافدين , أطروحة دكتوراه منشورة , جامعة الموصل , كلية الاداب , قسم التاريخ , ٢٠١٠.

٩. رنا شاهين وخالد علي , " جماليات التكرار في الاعمال الفنية الحديثة والمعاصرة " , مجلة دمشق للعلوم الهندسية , المجلد ٣٨ , العدد ١ , ٢٠٢٢.

١٠. رو، جورج، العراق القديم، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، بغداد، ١٩٨٤.

١١. ريا محسن الحاج يونس , فجر الحضارة السومرية في ضوء اختام عصري الوركاء وجمدة نصر ,(بغداد – ١٩٩٨) .

١٢. الزبيدي , محمد مرتضى , تاج العروس , ج ٧ , (الكويت – ١٩٩٤).

١٣. سهيل نجم عبد , " الحركة في فن الرسم " , مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية , مجلد ١٨ , العدد , ٤ , ٢٠١٠.
١٤. الصيفي , إيهاب بسمارك , الأسس الجمالية والانشائية للتصميم , (القاهرة – ١٩٩٢).
١٥. العبيدي , ابتهال هادي جواد , عناصر ملئ الفراغ في مشاهد اختام بلاد الرافدين من (٤٥٠٠الى١٥٠٠ ق.م) , رسالة ماجستير غير منشورة ,جامعة بغداد , كلية الآداب , قسم الاثار , ٢٠٢٢.
١٦. الفتلاوي, نصير حميد عبود , تأويل الشكل .... , ص ١٣٩ , نموذج ٤ , شكل ٢٩ ; زهير صاحب ,الفنون التشكيلية العراقية (عصور ماقبل الكتابة), (بغداد .٢٠٠٧).
١٧. لويس معلوف , المنجد في اللغة العربية المعاصرة , (بيروت –٢٠٠٠).
١٨. محمد حسين جودي , تاريخ الفن العراقي القديم , (النجف الاشرف –١٩٧٤) , ج١.
١٩. نوري عبيد كاظم محمد , فخار عصر العبيد من موقع المسيحلي (دراسة فنية – اثارية) , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة بغداد , كلية الآداب , قسم الاثار , ٢٠١٤.
٢٠. هاله كريم إبراهيم , المواضيع الدينية في الاختام الاسطوانية من عصر الوركاء الى نهاية العصر السومري الحديث, رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة بغداد , كلية الاداب , قسم الاثار ,٢٠١٤.

المصادر الاجنبية

1- Albenda, Pauline ., Ornamental Wall Painting in the Art of the Assyrian Empire , (Boston – 2005).
2- Amiet. p., La Glyplique Mesoptamienne Archivue ,(paris:1961).
3- Awsam Bahar ., "Tall Al- Thahab Seals" , ISSN , Vol.6 , issue.10 .
4- Awsam ,Bahar ., "Drinking Scenes in Ancient Mesopotamia in the Light of the Seals from Tall al-Faras" , Jordan Journal For History and Archaeology , Vol.17, No.3, 2023 .
5- Barbara, Parker , " Cylinder Seals from Tell al Rimah" ,Iraq ,Vol.37, No.1, 1975.

6- Cheng Jack and Feldman .M.H., Ancient Near Eastern Art in Context ,(Boston – 2007)
7- Christina, Tsouparopoulou ., "Progress Report : An Online Database For the Documentation of Seals Sealing's , and Seal Impressions in the Ancient Near East " , Studio Orientale Electronica , vol .2 , 2014.
8- Collon, D., Calaloyue of the Western Asialic Seals in the British museum Cylinder ،Seals V (New Assyrian and New Babylonian Periods), 2001.
9- Collon, D., Cylinder Seals III Isin, Larsa and Old Babylonian Periods, (British-1986).
10- Collon, D., First Impression, Cylinder in the Ancient Near East, (London-1987)
11- Delaporte, L., Catalogue des Cylinders Orientaux II ,(Paris - 1923)
12- Frankfort ,H., Cylinder Seal , (London – 1939).
13- Goff. B, symbols of perhistoric Mesopotimia, (London – 1963).
14- Green .Anthony ,and Black .Jeremy ., Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamians , (London – 1992).
15- Handcock .S.P., Mesopotamian Archeology ,(New–York – 1912), p.279, Pl.XXX.
16- Jastrow, Morris ., The Civilization Babylonia and Assyria , (USA -1915.(
17- Jutta, Borker, "Altvorder Asiatische Bildselen und Vergleichbare Felsreliefs", Band 4, Tafeln, 1982.
18- Kantor .H.J., Plant Ornament in the Ancient Near East , (Chicago – 1999).
19- Loredan ,Palazzo ., " Signs Before the Alphabet " , Journey to Mesopotamia at the Origins of Writing , (Campo Santo Stefano – 2017) .
20- Matthews Donald .M., The Kassite Glyptic of Nippur ,(Switzerland – 1992).
21- Muller, Karry, Hermann ., Handuch Der Vorgeschichte , Band.III , (Munchen -1974)

22- Niederreiter, Zoltan ., " Cuneiform Tablets , Cylinder Seals Stamp Seals and Scaraboids in the Museum of Cultural History , University of Oslo " , CLARA , vol.3 , 2018 .
23- Porada. E., The Collection of Piper Pont Morgan Corpus of Ancient Near Eastern Seals in North America Collection, Vol.1, (Washingtion: 1948).
24- Stolper.M.W.,"Mischwesen .A . Philologisch . Mesopotamien " , RIA, Vol.8, 1994.
25- Suter .C.E., The Representation of an Early Mesopotamian Ruler in Text and Image, (Groningen-2000).
26- Toble. A. J., Eyavalions at tepe Gwra Philadelphi, (London:1950.(
27- Tom ,van Bakel ., Swastikas found in Samarra have a different meaning than the ones found in the Indus Valley ,(London - 2022) .
28- Ward ,William .H., The Seal Cylinders Western Asia, (Washington – 1910).
29- Winter , Irene .J., On Art in the Ancient Near East From the Third Millennium BCE, in Cultur and Histry of The Ancient Near East , Vol.2 ,(Leiden-Boston - 2010),p.219 , fig.5
30- Wiseman .D.J., Cylinder Seals Uruk – Early Dynastic Periods , (London -1962).

الهوامش:

[١] – جبران مسعود , الرائد (معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقاً لحروفها الأولى) , (بيروت –١٩٩٢) , ص٢٣٤.

[٢] – احمد بن فارس بن زكريا , مقاييس اللغة , ج٥ , تحقيق : عبد السلام بن هارون , (بيروت – بلا) , ص١٢٦ .

[٣] – ابن منظور , أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم , لسان العرب , ج٥ , (القاهرة – ٢٠٠٥) , ص ٣٩٠ .

[٤] – الزبيدي , محمد مرتضى , تاج العروس , ج ٧ , (الكويت – ١٩٩٤) , ص ٤٤٠.

[٥] – احمد مختار عبد الحميد عمر , معجم اللغة العربية المعاصر , ج١ , (بيروت – ٢٠٠٨) , ص٢٩٥.

[٦] – رنا شاهين وخالد علي , " جماليات التكرار في الاعمال الفنية الحديثة والمعاصرة " , مجلة دمشق للعلوم الهندسية , المجلد ٣٨ , العدد ١ , ٢٠٢٢ , ص ١٣٥.

[٧]– الصيفي , إيهاب بسمارك , الأسس الجمالية والانشائية للتصميم , (القاهرة – ١٩٩٢) , ص١٨٦.

[٨] – محمد حسين جودي , تاريخ الفن العراقي القديم , (النجف الاشرف –١٩٧٤) , ج١ , ص ٢٦.

[٩] – التطابق : هو التساوي والاتّفاق والتكافؤ ، كما انه المطابقة بين الشيئين، اي جعلهما على حذوٍ واحد وهو اقرب في الفن الى التناظر او الانعكاس بين العناصر .للمزيد ينظر : التويجري , محمد بن إبراهيم بن عبد الله , موسوعة الفقه الإسلامي , ط١ , ج٢ , (الرياض – ٢٠٠٩) , ص ١٥٧.

[10] – Porada. E., The Collection of Piper Pont Morgan Corpus of Ancient Near Eastern Seals in North America Collection, Vol.1, (Washingtion: 1948), Pl,I ,fig.1.E.

[١١] – نوري عبيد كاظم محمد , فخار عصر العبيد من موقع المسيحلي (دراسة فنية – اثارية) , رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة بغداد , كلية الآداب , قسم الاثار , ٢٠١٤ , ص ٣٧٧ , شكل ٢٢ .

[١٢] – ريا محسن الحاج يونس , فجر الحضارة السومرية في ضوء اختتام عصري الوركاء وجمدة نصر ,(بغداد – ١٩٩٨), ص ٢٢٦, شكل ١٧.

[١٣] – العبيدي , ابتهال هادي جواد , عناصر ملئ الفراغ في مشاهد اختتام بلاد الرافدين من (٤٥٠٠الى١٥٠٠ ق.م) , رسالة ماجستير غير منشورة ,جامعة بغداد , كلية الآداب , قسم الاثار , ٢٠٢٢, ص٢٢٣., ص ٢٥.

[14] – Jastrow, Morris ., The Civilization Babylonia and Assyria , (USA – 1915) , Pl .XI , fig . 2.

[١٥] – تعد مشاهد الشراب من المشاهد التي شاعت في اختتام عصر فجر السلالات وكانت الغاية منها هو الاحتفال والمتعة والاسترخاء , ويظهر ذلك جلياً في وضعية الشاربين اذ يجلسون بشكل متقابل رافعين كؤوسهم او ممسكين بأيديهم انبوبة الشراب , كما أن وجود عازف أو عازفة يخلق جواً من الفرح عن طريق الغناء والعزف على الآلات الموسيقية . للمزيد عن مشاهد مجالس الشراب ينظر :

Awsam ,Bahar ., "Drinking Scenes in Ancient Mesopotamia in the Light of the Seals from Tall al-Faras" , Jordan Journal For History and Archaeology , Vol.17, No.3, 2023 , p.145.

[16] – Collon, D., Cylinder Seals III Isin, Larsa and Old Babylonian Periods, (British-1986),p.84, Pl. XXIIX , fig.559.

[17] – Handcock .S.P., Mesopotamian Archeology ,(New-York – 1912), p.279, Pl.XXX.

[18] – Tom ,van Bakel ., Swastikas found in Samarra have a different meaning than the ones found in the Indus Valley ,(London -2022) , p. 5 , fig.3.

[١٩] – الفتلاوي, نصير حميد عبود , تأويل الشكل .... , ص ١٣٩ , نموذج ٤ , شكل ٢٩ ; زهير صاحب ,الفنون التشكيلية العراقية (عصور ماقبل الكتابة), (بغداد .٢٠٠٧), ص١٥٣.

[20] – Toble. A. J., Eyavalions at tepe Gwra Philadelphi, (London:1950),fig.193.

[21] – Amiet. p., La Glyplique Mesoptamienne Archivue ,(paris:1961), Pl.143, fig.638.

[22] – Wiseman .D.J., Cylinder Seals Uruk – Early Dynastic Periods , (London -1962) PL.23:c.

[23] – Porada, E., The Collection of The Pierpont....,Pl,XL ,fig.260.

[24] – Jutta, Borker, "Altvorder Asiatische Bildselen und Vergleichbare Felsreliefs", Band 4, Tafeln, 1982, No.39-40.

[٢٥] – رو، جورج، العراق القديم، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، مراجعة: فاضل عبد الواحد علي، بغداد، ١٩٨٤، ص١٣٤;

الخطيب , عبد الرحمن يونس , المياه في حضارة بلاد الرافدين , أطروحة دكتوراه منشورة , جامعة الموصل , كلية الاداب, قسم التاريخ , ٢٠١٠ , ص ٢٠١ .

[26]–Christina, Tsouparopoulou ., "Progress Report : An Online Database For the Documentation of Seals Sealing's , and Seal Impressions in the Ancient Near East " , Studio Orientale Electronica , vol .2 , 2014, p.43, fig.9:c .

[27] – Loredan ,Palazzo ., " Signs Before the Alphabet " , Journey to Mesopotamia at the Origins of Writing , (Campo Santo Stefano – 2017) , p.135 , fig.82.

[٢٨] – التشابه : هو وجود مَلامِح و صفات مُشتَرَكة بين عناصر معينة كما انها تقارب وجود أَوْجُه شَبَه , ويختلف عن التطابق في تماثل العناصر أي ان العناصر المتشابهة غير متماثلة كلياً في الشكل . للمزيد ينظر :لويس معلوف, الملجد في اللغة العربية المعاصرة , (بيروت – ٢٠٠٠) , ص ٧٤٤.

[29] – Frankfort ,H., Cylinder Seal , (London – 1939), Pl.IV:g .

[30] – Ward ,William .H., The Seal Cylinders Western Asia, (Washington – 1910), fig.56.

[31] – Delaporte, L., Catalogue des Cylinders Orientaux II ,(Paris –1923), Pl.72 ,fig.9.

[32] – Collon, D., Cylinder Seals III….,p.84, Pl. XII , fig.123;

العبيدي , ابتهال هادي جواد , عناصر ملئ .... , ص٢٩٨ , شكل ١٥٤ .

[33] – Kantor .H.J., Plant Ornament in the Ancient Near East , (Chicago – 1999) , p.663 , fig. XVI.

[34] – Albenda, Pauline ., Ornamental Wall Painting in the Art of the Assyrian Empire , (Boston – 2005), p.10 , fig .1:a

[35] – Collon, D., Calaloyue of the Western Asialic Seals in the British museum Cylinder ،Seals V (New Assyrian and New Babylonian Periods), 2001, Pl.XXVI, fig.318.

[36] – Goff. B, symbols of perhistoric Mesopotimia, (London – 1963) , fig.212.

[٣٧] – ريا محسن الحاج يونس , فجر الحضارة .....، ص٣٠٨, شكل ٦٠.

[٣٨] – المصدر نفسة .... , ص ٢٥٨, شكل ٤٤ .

[39] – Muller, Karry, Hermann ., Handuch Der Vorgeschichte , Band.III , (Munchen –1974), TAFEL.195 , fig.32.

[40] – Awsam Bahar ., "Tall Al– Thahab Seals" , ISSN , Vol.6 , issue.10 , p.547, fig.5.

[41] – Niederreiter, Zoltan ., " Cuneiform Tablets , Cylinder Seals Stamp Seals and Scaraboids in the Museum of Cultural History , University of Oslo " , CLARA , vol.3 , 2018 , p.9 , fig.5.

[42] – Porada, E., The Collection of The Pierpont….,Pl,LXXV ,fig.553.E

[١]– الاله ايسمود : (ذو الوجهين) وهو عبارة عن جسم بشري له رأس ذو وجهين , هو احد وزراء الاله انكي وله ذكر في العديد من الاساطير مثل اسطورة رحلة اينانا الى اريدو وغيرها . ينظر :

Green .Anthony ,and Black .Jeremy ., Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamians , (London – 1992),p. 119–121 .

[٤٤] – كرايفن : مخلوق مركب يتكون من رأس طائر ربما نسر وجسم اسد مجنح , الأطراف الامامية لطائر والخلفية لأسد وله ذيل اسد ايضاً , يظهر احياناً بمنقار مفتوح لإظهار اللسان الملتف, له أهمية دينية في بلاد الرافدين لاسيما فيما يخص الطقوس الجنائزية , وكان له أدوار سحرية تخص الحماية وطرد الأرواح الشريرة . ينظر :

Stolper.M.W.,"Mischwesen .A . Philologisch . Mesopotamien " , RIA, Vol.8, 1994, p.256–257.

[45] – Matthews Donald .M., The Kassite Glyptic of Nippur ,(Switzerland – 1992)fig.149.

[46] – Delaporte . Louis ., Catalogue Des Cylinder .....,Pl.57 , fig . 2(k.7.

[٤٧] – العبيدي , ابتهال هادي جواد , عناصر ملئ .... , ص٣٨ .

[48] – Winter , Irene .J., On Art in the Ancient Near East From the Third Millennium BCE, in Cultur and Histry of The Ancient Near East , Vol.2 ,(Leiden–Boston – 2010),p.219 , fig.5.

[٤٩] – هاله كريم إبراهيم , المواضيع الدينية في الاختام الاسطوانية من عصر الوركاء الى نهاية العصر السومري الحديث, رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة بغداد , كلية الاداب , قسم الاثار ,٢٠١٤, ص٥٨ .

[50] – Suter .C.E., The Representation of an Early Mesopotamian Ruler in Text and Image, (Groningen–2000),p.255, fig.33.b.

[٥١] – يعتقد ان العدد الحقيقي (أي قبل تلف جزء من قمة المسلة)للنجمات الثمانية في مسلة النصر للملك نرام سين هي سبعة نجمات والتي تشير بالتالي الى الالهة الانوناكي وهم (انو – انليل –انكي – ننخرساك– سين– شمش – عشتار) . للمزيد ينظر :

إيهاب احمد عبد الرضا , التكوين في المسلات النحتية العراقية القديمة مضامينه وسماته الفنية , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة بغداد , كلية الفنون الجميلة , قسم الفنون التشكيلية , ٢٠٠٦ , ص ٢٦٧–٢٦٨.

[52] – Cheng Jack and Feldman .M.H., Ancient Near Eastern Art in Context ,(Boston – 2007).p.159, fig.6.

[٥٣] – سهيل نجم عبد , " الحركة في فن الرسم " , مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية , مجلد ١٨ , العدد , ٤ , ٢٠١٠ , ص ١٠١٠ .

[٥٤] – فرج بصمجي , الاختام الاسطوانية ,ص ٩١, لوح ١٣ , شكل ١٧٠

[٥٥] – التناظر : احد الأساليب الفنية المستخدمة في الفنون والعمارة , كما تعد احدى أسس تصميم وبناء العمل الفني وتعني وضع قوى متماثلة متوازنة في وضع يبدو احدهما انعكاساً للآخر

ومتطابقاً معه بشكل تام او جزئي . ينظر : اياد حسن عبد الله , فن التصميم , ج٢ , (الشارقة – ٢٠٠٨) , ص ٩٨ .

[56] –Barbara Parker , " Cylinder Seals.....,Pl.XVI , fig.54.

[٥٧] – العبيدي , ابتهال هادي جواد , عناصر ملئ .... , ص١٢ .

[58] – Collon, D., First Impression, Cylinder in the Ancient Near East, (London–1987),, fig.742.

[٥٩] – العبيدي , ابتهال هادي جواد , عناصر ملئ .... , ص٢٥–٢٨ .

[60] – Collon ,D.,Catalogue of the Western II...,PL.XIII, fig . 98.

الصناعات النسيجية لمدينه اوما ضمن قرارات المتحف العراقي (٢٠٣, ٢٠٤, ٢٠٥)

Textile Industries in the City of Umma According to the Cuneiform Texts Published in the Iraq Museum Volumes 203, 204, and 205

نور حميد حسون الخفاجي

الهيئة العامة للاثار والتراث–مفتشية اثار بابل

Noor Hameed Hassoon Al-Khafaji

noor.hasan22021@coart.uobaghdad.edu.iq

أ.د. سجى مؤيد عبد اللطيف

Prof. Dr. Saja miayad abdulateef

جامعة بغداد كلية الاداب

s.muayad22@gmail.com

الصناعات النسيجية لمدينه اوما ضمن قرارات المتحف العراقي (٢٠٣, ٢٠٤, ٢٠٥)

نور حميد حسون الخفاجي
أ.د. سجى مؤيد عبد اللطيف

ملخص البحث

تعد الصناعات النسيجية احدى اهم الصناعات التي شهدتها بلاد الرافدين , زاولها لتغطية حاجته من الملابس والأغطية ، إذ إن حاجة الانسان الى المنسوجات لا تقل أهمية عن حاجته للغذاء. وقد أدى توفر المواد الأولية المتمثلة بصوف الأغنام وشعر الماعز من جهة ووجود الايدي العاملة الماهرة من جهة أخرى وبدعم واهتمام السلطة الحاكمة بإنشاء معامل النسيج وادارتها من خلال المشرفين والمراقبين الى تطور الصناعات النسيجية، وقد ذكرت النصوص أنواع من الملابس والثياب المنسوجة منها الثياب الملكية والثياب المعنقدة / المخصلة والجاهزة والثياب الخاصة بالاحتفالات وأغطية الرأس والأحزمة وغيرها من المنسوجات التي خصصت لعروش الملوك والمقدمة للآلهة والكهنة,ابرز الشخصيات التي تعاملت مع هذا الصناعة هي شات اشتار وابي توني .

Abstract

extile production was one of the most significant industries in ancient Mesopotamia. It was practiced primarily to meet the essential needs for clothing and coverings, as the necessity for textiles was no less important than the need for food. The development of this industry was driven by the availability of raw materials such as sheep wool and goat hair, along with a skilled labor force and the support of ruling authorities. These authorities established textile workshops and managed them through supervisors and overseers. Cuneiform texts mention various types of woven garments, including royal garments, fringed or pleated garments, ready-made clothes, ceremonial attire, head coverings, belts, and other textiles designated for royal thrones or offered to deities and priests. Among the most prominent individuals associated with this industry were Šāt-Ištar and Abi-Tuni..

المقدمة

تعد الصناعات النسيجية احدى اهم الصناعات التي شهدتها بلاد الرافدين , زاولها الانسان العراقي لتغطية حاجته من الملابس والأغطية , فكانت وليدة حاجته لوقاية نفسه من العوامل البيئية والمناخية المختلفة، ويتضح هذا لنا من خلال الدلائل المادية المتمثلة بأقراص المغازل وثقالات النسيج التي أسفرت عنها نتائج التنقيبات الأثرية في المدن الرافدينية القديمة أذ أن الإنسان قد عرف صناعة النسيج منذ عصور قبل التاريخ.(١)

عثر على الدلائل المادية المتمثلة بأقراص المغازل وثقالات النسيج في موقع قرية جرمو بالقرب من مدينة كركوك في حوالي (٦٧٥٠ ق.م) والمواقع الأخرى العائدة الى هذ العصر التي تعود الى العصر الحجري الحديث مما يؤشر على اهمية هذه الصناعة وتطورها واتساعها المتزايد فضلا عن حالة الرقي والتمدن الحضاري لأفراد المجتمع ومستواهم الحضاري والاجتماعي الكبيرين ويتمثل ذلك في التنظيمات الادارية التي تنظم عمل تلك الصناعة والعاملين عليها .(٢)

ان حرفة النساجة في عصر اور الثالثة كانت تحت اشراف الدولة وسيطرتها إذ استلزم رعايتها ومتابعتها واشرافها المباشر عليها باعتبارها احدى قطاعات الصناعية لانها احدى الدعامات المهمة في اقتصاد الدولة , واشارت النصوص الى الاشراف المباشر على ورش مصانع النسيج ومتابعة الموظفين الاداريين والمشرفين أو المراقبين على العمال فيها ,وقد كانت اوما من المراكز المهمة لصناعة النسيج التي بلغت فيها حرفة النسيج مرحلة متطورة في التقنيات تقنيتها ,و دلت النصوص المكتشفة في هذا العصر على ان صناعة النسيج قد استلزمت الدقة والذوق الرفيع في اعداد القطع المنسوجة وبشكل خاص تلك التي يتم صنعها للقصر ولكهنة المعابد والهتها.(٣)

المواد الأولية الداخلة في الصناعات النسيجية.

اعتمد الإنسان قديماً على مصدرين أساسيين لتوفير المواد الأولية اللازمة في صناعة النسيج يتمثل المصدر الأول الحيوان ,لذا فأن تربية الحيوانات لاسيما الأغنام والماعز مهمه للاستفادة من أصوافها وجلودها وتشير النصوص المسمارية الى وجود انواع منها كانت مخصصة لتوفير الصوف بأصناف مختلفة, اما المصدر الثاني فهو النبات

ولاسيما زراعة نباتات الكتان والقطن لهذا تعد زراعة هذه النباتات من الاعمال المهمة للحصول على المواد الأولية لصناعة الملابس .[٤] ولان العراقيون القدماء استخدموا الصوف ونبات الكتان والقطن في صناعة منسوجاتهم لهذا عد نسيج الكتان من أكثر الصناعات النسيجية اهمية في بلاد الرافدين وتحديدا عند السومريون منذ عهودهم الأولى , فقد اظهرت لنا النصوص المسمارية من عصر اور الثالثة استخدام النساجون لمادتي الصوف والكتان في الصناعات النسيجية المهمه.[٥]

الصوف

يحتل الصوف المرتبة الأولى من بين المواد الأولية الأخرى مثل الكتان والحرير ، وان لصناعة المنسوجات أهمية عن غيرها من بين صناعات ذلك العصر والدليل على ما زودتنا به التنقيبات الاثارية من مواقع عصور قبل التاريخ والعصور التي تليها بالكثير من أقراص المغازل وثقالات النسيج وتؤكد ذلك أيضا ما ذكرته النصوص المسمارية في هذا الخصوص وفي مجالاته المختلفة ، فضلا عن ورد من منحوتات على طبعات الاختام من مشاهد النساء العاملات بالغزل والحياكة.[٦]

يشير المقطع السومري الذي يعبر عن الصوف بـ (sig_2) وهي من المواد المفضلة في صناعة الأقمشة والملابس ,و أستخدم الصوف كماده أولية في صناعة الأقمشة والملابس بجميع أنواعها ودرجاتها والوانها أضافة الى شعر الماعز وشعر الغزلان، ويبرز قماش الأصواف التي كان يحصل عليها بعد عمليات الجز ,وفي مواسم معينة ومنها ما كان يجمع خلال محلات الجز الجماعي.[٧]

بعد جز الصوف وتنظيفه , يتم تنظيفه على مرحلتين، الأولى قبل الجز والثانية بعده، وتتلخص الأولى اما بوضع الخراف في أحواض مملؤه وغسلها أو انزال الخراف في ماء جاري (قناة أو فرع أو نهر صغير وغسلها لإزالة ما علق بها من شوائب أو اتربه اثناء الرعي. ولم تذكر النصوص المسمارية استخدام اية مادة غير الماء اثناء الغسل وتعد مرحلة الغسل قبل اعمال الجز مهمة جدا لأن الصوف بعد الغسل يكون قد فقد نسبة من وزنه بعد زوال الاتربه والشوائب وتشير المقاطع السومرية التالية الى اعمال الغسل والتنظيف تلك بالمصطلح (sig_2 udu–a–ga–ra) .[٨]

ولقد اشارت النصوص المسمارية في ارشيف مدينة اوما ضمن قرارات المتحف العراقي الى مادة الصوف [٩]

٢ – الكتان

من أهم الأقمشة التي أستخدمها السومريون منذ العهود الأولى، ولقد عرف الكتان المستخدم في صناعة الملابس من قبل السومريين والأكديين والبابليين والأشوريين , ويطلق على الكتان باللغة السومرية بالمصطلح (gada) او (gu) ويقابله باللغة الأكدية المفردة (ûkit)، مفردة تدخل في بناء تعابير أكدية تشير الى معاني تدل على الطهارة والنقاء والجمال , والتي تعني لباساً نفيساً مصنوعاً من الكتان، وكان أستخدام مثل هذه الأنسجة من القماش مقتصراً أول الأمر على ملابس تماثيل الألهة والحكام والبعض من الكهنة.[١٠]

بعدها تنوعت الانسجة المعمولة من الكتان وفقا لنوعية اليافه فقد ظهر النسيج ذو النوعية الجيدة والملمس الناعم ونوعية أخرى خصصت لصناعة المنسوجات الخشنة وتفاوتت درجات جودة المنسوجات الكتانية تبعا لدرجة جودة الكتان وكان الامر متعلق بالتكاليف التي تنفق للحصول على نسيج كتاني بجودة معينه كأن يكون نسيج من الدرجة الأولى الى الخامسة .[١١]

اما فيما يخص عملية تصنيع الكتان فانها تمر بثلاث مراحل رئيسة اولها كانت عملية التمشيط والقصر، والمرحلة الثانية هي عملية التنقيع والتعطين، اما الثالثة فكانت مرحلة نسيج خيوط الكتان, اذ كانت تتم اولا معالجة اغصان نبات الكتان بعد قلعه وترتيب الاغصان بحسب أطوالها، يتم بعدها تمشيط تلك الاغصان باستخدام مشط ,ومن ثم تجمع بشكل حزم لكي تتعرض الى أشعة الشمس لكي تجف وتساعد على بياض الخيوط وتمنع تجعدها , ثم تتبع خطوة اخرى تسمى بالتعطين والتنقيع، حيث توضع السيقان في الماء من اجل فصل الاجزاء الخشبية عن الألياف، ومن العوالق الترابية التي تسبب في لصق خيوط الكتان مع بعضها , وبعدها تجفف خيوط الكتان ثانية تحت أشعة الشمس ومن ثم تضرب او تدق ,ومن ثم تمشط الخيوط للمرة الأخيرة للتخلص من بقايا العوالق الخشبية الملتصقة بها وبعد اكتمالها تكون جاهزة لغرض النسيج [١٢] .

المنتجات النسيجية الوردة في نصوص مدينة اوما وفق قرارات المتحف العراقي :

١ – أنواع الملابس والثياب .

الملابس جمع مَلْبَس,[ل ب س] ارْتَدَى مَلَابِسَهُ: مَا يَلْبَسُهُ الإِنْسَانُ عَلَى جَسَدِهِ. مَلَابِسُ صُوفِيَّةٌ" "مَلَابِسُ قُطْنِيَّةٌ" "مَلَابِسُ حَرِيرِيَّةٌ مَلَابِسُ الْمِهْنَةِ: مَا يَلْبَسُهُ العَامِلُ وَنَحْوُهُ لِلْعَمَلِ وَيُمَيِّزُهُ عن غيره [١٣].

وتعود جذور المفردة العربية الى المصطلح الأكدي (Labišu) بمعنى (لباس) للدلالة على كل ما يلبس وهو اسم مشتق من فعل , ولباس اسم على وزن (فعال) وهو كل ما يستر به الجسم .[١٤]

ترد مفردة الملابس وفي النصوص المسمارية بالعلامة الدالة (TUG_2) ويرادفها بالأكدية (ṣubat)بمعنى ثوب.[١٥]

كانت الملابس في العصور القديمة من العناصر الأساسية ,وهي احدى مقومات الحضارة الإنسانية ,وان حاجة الانسان لها لاتقل أهمية عن اية حاجة رئيسية كالغذاء والشراب .[١٦]

اهتم سكان بلاد الرافدين اهتماماً كبيراً بصناعة الملابس ويظهر هذا الأمر جلياً في ضوء تعدد أنواع الملابس ومسمياتها في نصوص الدراسة ، فضلا عن ورود أنواع من المنسوجات المطلوبة للاحتفالات .[١٧]

واستخدم مصطلح الثياب (tug_2) كونه احد السلع التي استخدمت من اجل الضريبة (Gu_2–na)[١٨] : وهي مساهمة مالية الزامية يتم فرضها على مجموعة من السلع والأنشطة والنفقات والوظائف ومن ضمنها الملابس تفرض من حكومة على مجموعة من الاقطاعات ومنها الاعمال التجارية والهدف منه تنظيم الأنشطة الاقتصادية وتمويل الدولة , يقابلها بالاكدية (biltu) يعتبرها الباحثان (Oppenheim) و (Snell) ضريبة (tax) او نوعا من الضرائب ,وترد مع كثير من المواد مثل النسيج $^{tug2}gu_2$–na ضريبة ثوب .[١٩]

ان الاهتمام بحرفة النساجة كان على مستوى عالي من الطبقات الاجتماعية , كما هو واضحاً في دور الاميرة شات –اشتار في تداول التجارة في المنسوجات المختلفة , وبينت لنا نصوص عصر اور الثالثة , وفي أرشيف مدينة اوما من خلال قرارات المتحف العراقي ,

بمعلومات وافية عن أسماء التجار الذين تعاملوا مع المنسوجات المختلفة منهم ,–šaat a – ga , ša – at . ^{d}EN . ZU, ša – at – nu – nu, a– bi–tu–ni, eš$_{18}$–tar$_{2}$ – ti – a , lu$_{2}$–dingir–ra , , ur–šara$_{2}$, Geme$_{2}$–^{d}En–lil2 [٢٠].

بينت لنا نصوص أرشيف مدينة اوما أنواعاً للأنسجة والثياب الواردة بالصيغة السومرية منها : tug$_{2}$ uš–bar , tug$_{2}$ bar–dul$_{5}$, tug$_{2}$ nig$_{2}$–lam$_{2}$, tug$_{2}$ – lugal nig$_{2}$–lam$_{2}$ ثياب الاحتفالات الملكية (رداء صوفي ثمين) هو رداء رسمي او شعائري (tug$_{2}$bar–si us2 –حزام او وشاح (نوعية عادية) , tug$_{2}$ša$_{3}$–ga–du$_{3}$ ba–tab–tuh–hu–(um) 4–kam us2 –نوع من الملابس اكثر شهرة وهي من المنسوجات المطلوبة للاحتفال) هي نوع من المنسوجات لايمكن اقتناءه من قبل عامة المجتمع انما اقتصر على الطبقات الحاكمة ,فضلا عن,(tug$_{2}$guz–za (الثياب المخصلة– الثياب المنتفخة) ,(tug$_{2}$–bar–si–nin) غطاء رأس أو عصابة للنساء) (tug$_{2}$–bar–si–dagal 3–kam$_{2}$ us$_{2}$)غطاء رأس أو عصابة) (نوعية) عادية واسعة من الدرجة الثالثة) (tug$_{2}$ mug) صوف ردي الجودة) (tug$_{2}$ ša$_{3}$–ga–du$_{3}$) الاحزمة) (tug$_{2}$–bar–si–us$_{2}$) الوشاح) .[٢١]

أظهرت لنا نصوص الدراسة ان للانسجة درجات متفاوتة منها الدرجة العادية التي عبر عنها بالمقطع السومري (gen) والدرجة الثانية التي عبر عنها بالمقطع السومري(–2 kam–us$_{2}$) والدرجة الثالثة التي عبر عنها بالمقطع السومري(us$_{2}$–kam–3) والدرجة الرابعة التي عبر عنها بالمقطع السومري (us$_{2}$–kam–4) مثل ثوب للزينة من الصوف (نوعية) عادية من الدرجة الثالثة (túg–níg–lám 3–kám ús) و رداء أو تنوره ثوب للزينة من الصوف (نوعية عادية من الدرجة الرابعة) 2 (tug$_{2}$–gu$_{2}$–e $_{3}$–nig$_{2}$–lam$_{2}$ 4–kam$_{2}$–us). [٢٢]

جدول الصناعات (النسيجية).					
الرقم المتحف	الباحث	التاريخ	الاقمشـــــــــة (النسيجية)	الشخصيات الوردة	المضمون
IM.203350	افراح ٢٠١٥	٤ ابـي سين	tug قماش	Lu utu e–ur–bi–du_{10} ur–$šara_2$	ضـــريبة قمـــاش تعود لو اتو بختم اور شارا
IM.204871	افراح ٢٠١٥	٤ ابـي سين	tug قماش	ur–ni–gar šeš–a–ni ur–šara	ضـــريبة قمـــاش تعود اور –ني–كار بختم اور شارا
IM.204752	افراح ٢٠١٥	٤ ابـي سين	tug قماش	pisan–dub–ba ba–nam–DU ur–šara	ضريبة قماش ابا نام دو من بيسان دوبا بختم اور شارا
IM.204843	افراح ٢٠١٥	٤ ابـي سين	tug قماش	du–ni lu–dingir–ra/uš bar ur–šara	ضريبة قماش يعود لـ) دوني مـن لـو – دينكيـر را النساج بختم اور – شارا
IM.204031	افراح ٢٠١٥	٤ ابـي سين	tug قماش	ur–su'en nar ur šara	ضـــريبة قمـــاش ضريبة تعود لـ) كو او كو المغني مـــن اور ســـين المغني بختم اور شارا
IM.204287	افراح ٢٠١٥	٤ ابـي	tug	ur–šara sipa	ضريبة قماش

		سين	قماش	kab Dul	يعـود لـ اور شـارا الراعي بختم اور شارا
IM.204859	ابـاذر راهــي ٢٠١٠	٩ اوما ٩ شوسن	tug_2 uš–bar tug_2 uš–bar tur ثوب صغير نوع	a–bi_2–tu–ni–ta ša–at–eš18–dar ^{d}šara2–kam	صـرف كميـة مـن الثيـاب مـن قبـل أبـــي – تـــوني تسلمتها شات أشتار
IM.204919	ابـاذر راهــي ٢٠١٠	١ اوما ٢ ابـي سين	tug2 kurušda 4–kam–us2 كســاء مســمن الحيونــات مــن الدرجة الرابعة tug2 nig2–lam2 kam–us2 ثياب الاحتفالات الملكيــة (نــوع عادي) tug2 guz–za4– kam–us2 الثيـــــــاب المخصـــــلة– الثيـاب المنتفخـة (الدرجة الرابعة)	ša–at–eš18–dar a–bu–tu9–ni	تسـلم كميـة مـن الثيـاب المختلفـة الأنواع من ثياب

		tug2 ša3-ga-du3 ba-tab duh-hu-um kam-us2 نوع من الملابس اكثر شهرة وهي من المنسوجات المطلوبة للاحتفال tug$_2$ sag uš-bar أثواب أو قطع قماش من النوعية الجيدة tug2 mug tur ثوب أو قماش واحد نوع موك القصير			
IM.204905	ابـاذر راهـي ٢٠١٠	٩ اوما ٢ ابي سين	tug2 gu2-e3 guz-za kam us2 ša-at GU شال من النسيج من الدرجة الرابعة نوع tug$_2$ uš-bar	ša-at-eš18-dar a-bu-tu9-ni	وصل نقل يتضمن تسلم أنواع من الثوب المتنوعة

		نسيج محاك نوع اوش بار			
IM.203365	فاطمة عباس ٢٠١٣	١ اوما	tug2-nig2-lam2 ثياب الاحتفالات الملكية	dingir-ga-bi gar Lugal-me-lam2	مدخولات من) دنكير كا بيكار الى لوكال ميلام
IM.204101	سرجون نجيب	٢ اوما ٣ ابي سين	Tug_2 ni_3lam2.4.kam us ثياب الاحتفالات الملكية (الدرجة الرابعة) tug_2 gu_2-e_3 nig_2-lam_2 4-kam us_2 شال الاحتفالات (صوفي)من الدرجة الرابعة) tug2 ša3-ga-du3 ba-tab duh-hu-um kam us2 نوع من الملابس اكثر شهرة وهي	a-bi_2-tu-ni-ta $ša$-at-$eš_{18}$-dar $ša$-at. ^{d}EN.ZU	تسلم أنواع من الثوب المتنوعة

		من المنسوجات المطلوبة للاحتفال			
IM.204860	سرجون نجيب ٢٠١٠	٩ اوما ٩ شوسن	tug_2 sag uš–bar أثواب أو قطع قماش من النوعية الجيدة tug_2 uš–bar أثواب أو قطع قماش نوع اوشبار tug_2 uš–bar tur أثواب أو قطع قماش من نوع او شبار القصير tug_2 gu –e $_3$uš–bar tur قميصان أو تنورتان من نوع اوشبار القصير tug_2 gu_2–e_3 guz–za 4–kam us2 شال من النسيج من الدرجة الرابعة نوع عادي	a–bi2–tu–ni–ta ša–at–eš18–dar ša–at. ^{d}EN.ZU ša – at–nu–nu	وصل استلام أو مدخولات شخصية بعدد من أنواع الثياب ، من ابي تـوني وبختم شات عشتار

			tug$_2$ mug tug2 mug tur ثـوب أو قمـاش واحـد نـوع مـوك ثـوب أو قمـاش واحـد نـوع مـوك القصير		
IM.204702	ابـاذر راهـي 2018	٨ اوما ١ ابـي سين	tug$_2$ nig2-lam2 lugal ثياب الاحتفالات الملكيـة (رداء صوفي ثمين(هو رداء رسـمي او شعائري tug$_2$ nig2-lam2 us2 ثيـاب الاحتفـالات الملكيـة (نـوع عادي) tug$_2$bar-si us2 حـزام او وشـاح (نوعية عادية) tug$_2$guz-za 3-kam us2 الثيـاب المخصـلة-	Ša-at-dSuen Ša-at-Nu-nu Geme2-dEn-lil2 ša-at-eš18-dar a-bu-tu9-ni	اسـتلام أو مدخولات شخصية بعـدد مـن أنـواع الثياب

		الثياب المنتفخة (الدرجة الثالثة) tug$_2$bar–dul5 AB 4–kam us2 معطف أو عبائة من الدرجة. الرابعة tug$_2$guz–za 4–kam us2 الثياب المخصلة– الثياب المنتفخة (الدرجة الرابعة) tug$_2$ša$_3$–ga–du$_3$ ba–tab–tuh–hu–(um) 4–kam us2 نوع من الملابس اكثر شهرة وهي من المنسوجات المطلوبة للاحتفال tug$_2$ gu$_2$–e$_3$ nig$_2$–lam$_2$ 4–kam us$_2$			

		شـــــــــال الاحتفـــــالات (صـــوفي)مـــن الدرجة الرابعة) $tug_2gu_2-e_3$ guz-za 4-kam us2 شال من النسيج مـــن الدرجـــة الرابعـــة نـــوع عادي tug2sag-uš-bar uš-bar tur نـــوع جيـــد مـــن الثيـــــــــاب (منســـــوجات صغيرة)			
IM.203774	مهنـــــــــد عاشور ٢٠١١	٢ اوما ١ ابـي سين	túg-sag-šu ba-tab-du_8 u-um ús-nin 2 قمـــاش (نوعيـــة عاديـــة لعمامـــة ذات لفة مزدوجة للسيدات. túg-bar-si dagal-la	ša-at-eš18-dar a-bu-tu9-ni	اســـــــــتلام أو مدخولات شخصية بعـــدد مـــن أنـــواع الثياب

		ús-nin قماش (نوعية عادية واسعة غطاء الرأس السيدات. túg-bar-si dagal-la 2-kám ús قماش (نوعية عادية واسعة لغطاء الرأس للمرة الثانية.			
IM.203771	مهند عاشور ٢٠١١	túg-bar-si-nin غطاء رأس أو عصابة للنساء túg-níg-lám 3-kám ús ثوب للزينة من الصوف (نوعية عادية من الدرجة الثالثة túg-sag-šu ba-tab-du_8 u-um 3-kám ús قماش عمامة	٩ اوما ٢ ابي سين	a- bi /pil-tu-ni ša-at-$eš_{18}$-tár	استلام أو مدخولات شخصية بعدد من أنواع الثياب

			(نوعية عادية ذات لفة مزدوجة من الدرجة الثالثة túg–bar–si–dagal 3–kám ús غطاء رأس أو عصابة) (نوعية) عادية واسعة من الدرجة الثالثة túg–da–ba–tum قماش نوع داباتوم túg–sag– šu –bar نوع جيد من الثياب túg–uš–bar–tur ثوب صغير نوع (uš–bar)		
IM.203764	مهند	٥ اوما ٢ ابي سين	túg–níg–lám 4–kám–ús ثوب للزينة من الصوف (نوعية)	a– bi /pil–tu–ni ša–at–eš1_8–tár géme–den–lil	استلام أو مدخولات شخصية بعدد من أنواع الثياب

		عاديـــة مـــن الدرجة الثالثة túg–níg–lám 2 túg–Sà–ga–dù ba–tab–du_8 u–um 4–kám ús حـزام لفـائف أو أشـرطة لغطـاء الـرأس للإمـاء (نوعيـة) عاديـة مـــن الدرجـــة الرابعة túg–gú–è–ab 4 kám ús قمـاش لـرداء (كـواي) (نوعيـة عاديـــة مـــن الدرجة الرابعة túg–bar–si–ús–nin غطـــــاء رأس عصـابة للنسـاء (نوعية) عادية túg–Sà–ga–dù níg–lám			

		4-kám ús حـزام أو أشـرطة لغطـــاء الـــرأس للإمـاء (نوعيـة) عاديـــــة مـــــن الدرجة الرابعة túg-sag-uš-bar نــوع جيــد مــن الثياب túg-bar-si-ús قماش عمامـة او غطـــاء للـــرأس (نوعية) عادية			
IM.203776	مهنـــــــــد عاشور ٢٠١١	١٠ اوما ٩ شوسن	túg-níg-lám-ús ثياب الاحتفالات (رداءصـــــوفي ثمـين) (نوعيـة) عادية túg-sag-šu ba-tab-du_8-ús قمـــاش عمامـــة ذات لفة مزدوجـة (نوعية) عادية túg-bar-si-	a-ga-ti-a	اســـــــــتلام أو مدخولات شخصية بعـدد مـن أنـواع الثياب

			ús رداء ملكـــــــي داخلـي (نوعيـة) عادية		
			túg–bar–u–túg 3–kám–ús رداء عـادي مـن (bar–u–túg) نـوع من الدرجة الثالثة		
			túg–gú–è–níg–lám 4–kám–ús ثـوب للزينـة مـن الصوف (نوعية) عاديـــة مـــن الدرجة الرابعة		
			رداء أو تنـــــوره ثـوب للزينـة مـن الصـوف (نوعيـة عاديـــة مـــن الدرجة الرابعة		
			túg–[sà–ga]–dù ba–		

		tab du_8-[u]-um 4-kám-ús حـزام أو شـريط لغطـــــاء رأس الإمـاء (نوعيـة) عاديـــة مـــن الدرجة الرابعة túg-guz-za 4-kám-ús كساء منعقد túg-bar-u-túg-ab 4-kám-ús رداء أو قمـــاش عادي من نوع (bar-u-tug_2)مـن الدرجة الرابعة túg-bar-u-túg-gen رداء أو قمـــاش عادي من نوع (bar-u-tug_2) túg-uš-bar ثوب نوع (uš-bar)			

		túg–gú–tab–anše لأجـام نـوع (gu_2–tab–anše)			
IM.203775	مهنـــــــــد عاشور ٢٠١١	Tug	١ اوما ٤ ابـي سين	lugal–mu–ba–zi gi–da níg–bi	ضريبة قماش لوكال موباكيدا من نيك بي
IM.203780	مهنـــــــــد عاشور ٢٠١١	Tug	١ اوما ٤ ابـي سين	ur–sukkal ur–du_{10}–ga ta ur–šára	ضريبة قماش أورسوكال من أوردوكا ختم أورشارا
IM.203839	مهنـــــــــد عاشور ٢٠١١	Tug	٤ ابـي سين	ir–nin ki kaš4 ur–$šara_2$	ضريبة قماش أير نن من كاش ختم أورشارا
IM.203802	مهنـــــــــد عاشور ٢٠١١	Tug	٤ ابـي سين	ab–ba–gi–na ur–du–[ga] a–a–kal–la	ضريبة قماش أبباكينا من اوردوكا ختم أ– أكالا
IM.203768	مهنـــــــــد عاشور ٢٠١١	Tug	٤ ابـي سين	ki kaš ta kišib ur–šára	ضريبة قماش من كاش ختم أورشارا
IM.203795	مهنـــــــــد عاشور ٢٠١١	Tug	٤ ابـي سين	lú–en–lil sipa kaš ur–$šara_2$	ضريبة قماش لوانليل الراعي من كاش ختم أورشارا

IM.204895	اباذر راهي- ٢٠١٠	٢ابي سين 7 اوما	tug2 kurušda us2 كساء (لـ) مسمن الحيوانات من الدرجة الثانية tug2 bar-dul5 3-kam us2 معطف أو عباءة من الدرجة. الثالثة tug2 nig2-lam2 kam us2 ثياب الاحتفالات (رداءصوفي ثمين) tug2 guz-za kam us2 كساء منعقد من الدرجة الرابعة tug2 ša3-ga-du3 ba-tab duh-hu-um kam us2	a-bu-tu_9-ni ša-at-$eš_{18}$-dar-ta	تسليم ملابس متنوعة من شات أشتار استلمها ابي توني

		نوع من الملابس اكثر شهرة وهي من المنسوجات المطلوبة للاحتفال tug2 sag uš-bar ثوب نوع اوش بار			

الهوامش:

(١)١ عباس زويد موان الجبوري ,احمد عزيز سلمان ,النسيج في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية المنشورة والمشاهد الفنية , مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٦ ، العدد ٧ ,٢٠١٨ ,ص ١٠

(٢) أباذر راهي سعدون الزيدي , صناعة الأقمشة في بلاد الرافدين دراسة في ضوء الوثائق والمصادر المسمارية ,٢٠٢٠ ,ص ٩

(٣)نواله أحمد المتولي، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة في ضوء الوثائق المنشورة وغير المنشورة، منشورات الهيئة العامة للآثار والتراث، مطبعة دار الحوراء، الطبعة الأولى، (بغداد: (٢٠٠٧),,ص٢٦٤

(٤) عباس زويد موان الجبوري ,احمد عزيز سلمان ,النسيج في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية المنشورة والمشاهد الفنية , مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٦ ، العدد ٧ ,٢٠١٨ ,ص ١١

(٥) وليد الجادر ، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر (النساجون والنسيج) ، بغداد، ١٩٧٢، ص ١٢١

(٦) رشا عبد الوهاب محمود , الصوف في العراق القديم ,جامعة سامراء-كلية الاثار , سر من رأى, ٢٠١٥, المجلد ١١, العدد ٤٣, ص ٢٦٣

(٧) أباذر راهي سعدون الزيدي , المصدر السابق,٢٠٢٠ ,ص

(٨) نوالة أحمد محمود المتولي، المصدر السابق ,(٢٠٠٧),ص٢٦٦

(9) Saadoon, A. T., "Sumerian Texts from the Archive of the Princess Šāt-Eštar in the Collections of the Iraq Museum." IRAQ, vol. 80, 2018,p218-219

(١٠) شيماء علي احمد ,الأقمشة في ضوء المنحوتات الأثرية والنصوص المسمارية في العصر الآشوري الحديث , مجلة اثار الرافدين ,٢٠١٣ ,المجلد ٢, العدد ١ ,ص ١٨٢

(١١) مها حسن رشيد الزبيدي , الملابس في العصر البابلي الوسيط في ضوء الوثائق المسمارية (دراسة مقارنة) , كلية التربية الجامعة المستنصرية , اكليل للدراسات الانسانية, ٢٠٢٤, المجلد ٥, العدد عدد خاص وقائع مؤتمر اسطنبول ارسيكا, الصفحات ٢٣٩

(١٢) عباس زويد موان الجبوري ,احمد عزيز سلمان ,النسيج في بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية المنشورة والمشاهد الفنية , مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٦ ، العدد ٧ ,٢٠١٨ ,ص ٥

(١٣) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب، م ،١٣ ، ط ٤ ، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٦١

(١٤) مها حسن رشيد الزبيدي , المصدر السابق , ٢٠٢٤, ص٢٤١

(15) Waetzoldt, H., Untersuchungen Zur Neusumerischen Textilindustrie (UNT) Roma ,1972 p132.

(١٦) نوالة أحمد محمود المتولي، المصدر السابق ,(٢٠٠٧),ص٢٦٤

(١٧) فاطمة عباس، نصوص المدخولات (mu-du) في ضوء النصوص المسمارية المنشورة وغير المنشورة، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ٢٠١٣ , ص٨, ١٥, ١٩, ٣٢, ٥٥

(١٨) أفراح جاسم، نصوص اقتصادية غير منشورة من نهاية الألف الثالث ق.م، رسالة ماجستير، بغداد، ٢٠١٥ , ص ١٤, ١٨, ٢٣

(١٩) أباذر راهي سعدون الزيدي , المصدر السابق,٢٠٢٠ ,ص١٠٣

(٢٠)سرجون نجيب بهنام، نصوص مسمارية غير منشورة من سلالة أور الثالثة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ٢٠١٠ , ص٧٨ , ١٢٩, ١١٥, ١٤٦, ١٤٩, ١٤٤

(٢١) مهند عاشور، نصوص اقتصادية غير منشورة من العصر السومري الحديث، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ٢٠١١ , ص ٥ , ٤٧ , ٥٧, ١٠٦

(٢٢) مهند عاشور, المصدر السابق , ٢٠١١ , ص٦٧, ٧٧ , ٧٥, ٧٣, ٧٢, ١١٣, ١١٦

أبو العباس أحمد الحفصي نسبه وسيرته والمناصب التي تولاها قبل أن يكون سلطاناً (٧٢٩-٧٩٦هـ/ ١٣٢٩-١٣٩٤م)

نضال كاظم كشاش

أ.م. د. خليل جليل بخت القيسي

جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد

قسم التاريخ

أبو العباس أحمد الحفصي نسبه وسيرته والمناصب التي تولاها قبل أن يكون سلطاناً (٧٢٩-٧٩٦هـ/ ١٣٢٩-١٣٩٤م)

نضال كاظم كشاش

أ.م. د. خليل جليل بخت القيسي

الملخص

تولى حكم الدولة الحفصية العديد من السلاطين الحفصيين كان لهم دور كبير في الدولة ، إذ عملوا على توحيد البلاد وإعادة الامن والاستقرار للدولة نذكر منهم السلطان أبو العباس احمد الحفصي الذي هو موضوع دراستنا إذ عمل على شمل البلاد والقضاء على نفوذ المتمردين وكان لابناءه دور في الدولة كانوا امراء على المدن ، فسلم أبو العباس منصب الأمير على مدينة قسنطينة (٧٦١هـ/١٣٦٠م) بعد ان كانت تحت سيطرة المرينين ، وانتزع مدينة بجايه من ابن عمه أبو عبد الله سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٦م) وبذلك تمكن من إعادة وحدة الدولة الحفصية وتوسيع نفوذه.

الكلمات المفتاحية : أبو العباس ، الدولة الحفصية ، بجايه ، قسنطينة

Abu al-Abbas Ahmad al-Hafsi: His lineage, biography, and the positions he held before becoming sultan ((729-796 AH / 1329-1394 AD

Abstract:

The Hafsid dynasty was ruled by several Hafsid sultans who played a major role in the state, working to unify the country and restore security and stability. Among them is Sultan Abu al-Abbas Ahmad al-Hafsi, the subject of our study. He worked to unite the country and eliminate the influence of rebels. His sons also played a role in the state, serving as emirs of cities. Abu al-Abbas assumed the position of emir of the city of Constantine (761 AH/1360 AD) after it had been under the control of the Marinids. He also seized the city of Bejaia from his cousin Abu Abdullah in 767 AH/1366 AD, thus

enabling him to restore the unity of the Hafsid dynasty and expand his influence.
Keywords: Abu al-Abbas, Hafsid dynasty, Bejaia, Constantin

المقدمة :

شهدت بلاد المغرب وتونس خاصة ظهور العديد من الشخصيات العسكرية البارزة في التاريخ ، كان لها دور كبير على مجرى الاحداث السياسية ومنهم السلطان أبو العباس احمد الحفصي ٧٧٢-٧٩٦هـ/١٣٧٠-١٣٩٤م ، قسم البحث الى مقدمة ومبحثين : المبحث الأول أبو العباس احمد نسبه وسيرته ، والمبحث الثاني المناصب التي تولها قبل ان يكون سلطان وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع .

المبحث الأول/ أبي العباس أحمد الحفصي نسبه وسيرته

اولاً : أسمه ونسبه :

هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر بن يحيى بن عمر ابن وندوين، السلطان أبي العباس بن الأمير أبي عبد الله بن السلطان أبي بكر ابن الأمير أبي زكريا بن السلطان أبي إسحاق ابن السلطان السعيد ابن أبي زكريا ابن الأمير أبي محمد عبد الواحد بن الأمير أبي حفص بن أبي زكريا بن الشيخ أبي حفص الهنتاني المصمودي الحفصي[١]، من قبيلة هنتانة وهي بطن لمصمودة من البربر[٢]، مالك بلاد افريقية وغيرها من بلاد المغرب[٣].

أمه: جارية سوداء تدعى نشوان[٤].

كنيته: يكنى أبي العباس[٥].

لقبه: كان يلقب بأبي السباع[٦] ، يعد من أبرز سلاطين الدولة الحفصية في تونس إذ عمل على استعادة البلاد من الغزاة والمتسللين[٧]، بويع في الثاني عشر من شهر ربيع الآخر من سنة ٧٧٢هـ/١٣٢٩م[٨] ، تمكن من استعادة وحدة الحفصيين وإعادة بناء دولتهم ونشاطهم مما أسهم في استعادة سلطتهم على الجزائر[٩] وبعض مناطق المغرب[١٠] ، زحف إلى تونس احتلها مما ساهم في إعادة الاستقرار إلى الدولة بفضل عزيمته وحكمته ثم تولى حكمها[١١].

يُعد أبي العباس مجدد شباب الدولة الحفصية في ظل النزاع الداخلي بين الأمراء الحفصيين إذ تكررت محاولات السيطرة على السلطة واحتلال تونس من قبل بعض أفراد البيت الحفصي، وتمكن أبي العباس من أن يعيد الأمن والاستقرار والهدوء مما أعاد إلى الأذهان صورة مشابهة لما كانت عليه الدولة أيام السلطان أبي زكريا يحيى[١٢][١٣].

ثانياً : ولادته ونشأته :

ولد السلطان أبي العباس أحمد في مدينة قسنطينة لسنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م[١٤].نشأ في كنف ورعاية والده المستنصر حتى وفاته عام (٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م)، فكفل أخوه أبو زيد عبد الرحمن متولي قسنطينة من جانب جده السلطان أبي بكر ونقله اليه[١٥]. وعندما تولى الحكم في تونس كان لايزال في بداية الأربعينيات من عمره واستمر في الحكم حتى وفاته وقد اعتلى العرش في أوج شبابه إذ منحته التجربة الطويلة فهماً عميقاً للحقائق السياسية في شمال افريقية كان من أبرز سلاطين بني حفص وأعاد هيبة تلك الأسرة بعد فترة من الانقسامات والضعف والاضطرابات السياسية التي اجتازتها البلاد منذ وفاة المستنصر وعرف أبي العباس كيف يكسب ولاء رعاياه من خلال الأعمال الخيرية والموقف المتسامح تجاه أعدائه. وفي الوقت نفسه اتسمت فترة حكمه بالثبات والحزم[١٦] ، ومرت الأيام إلى أن ملك وسيطر على قسنطينة واستولى على تونس بعد عشرة سنوات واستمر في الحكم بلا منازع لمدة أربع وعشرون عاماً[١٧].

ثالثاً : زوجته:

هي أم ولد تدعى جوهرة تنتمي إلى قبائل الحرات من المحاميد[١٨] من عرب طرابلس[١٩]، والقاطنين في ليبيا من رياح الهلالية الذين دخلوا افريقية على عهد المعز بن باديس الصنهاجي[٢٠] [٢١].

رابعاً : صفاته:

كان يتمتع بالشجاعة ومتسامحاً كريماً وعاقلاً كما كان ملتزماً بدينه وعمل على مواجهة الاعراب من بني سليم[٢٢]. وكان حازماً ولديه دراية كبيرة بأمور المملكة واهتمام خاص بذوي الأنساب وأرباب البيوت وكان يتميز بشخصية بارزة وفخامة وضبط مسالك

العطاء كما حرص على أداء العبادات وولى عناية كبيرة للمفروضات إذ كان يصوم شهري رجب وشعبان ويقوم الليل في آخره[٢٣]. عُرف عنه عدالته ووصفه بالإنصاف للمظلومين[٢٤].

قضى على الانفصاليين والمتمردين واستقامت الأمور له بعدما أصبحت سلطته قوية وعز نصره[٢٥]. كان يقرأ القرآن ويُظهر احتراماً كبيراً لآل البيت النبوي ويحبهم ويتعاطف معهم، وهو شخص جاد بعيداً عن الهزل وشديد الحذر وكثير التفكير وعارفاً بالمكائد والدسائس والحيل وتميز بالسكينة والوداعة والرفق دون تعجل ويكره سفك الدماء ويعاقب على مرتكبي الجرائم بالسجن الطويل ولم يميز بين أحد من أعيانه أو غيرهم إذ أخذ عدداً من الأعيان وزجهم في السجن[٢٦].

خامساً : أولاده

١- أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر بن وندوين السلطان أبو فارس الهنتاني المصمودي الحفصي[٢٧] ،

هو من أبرز الشخصيات التاريخية ينتمي إلى العائلة الحفصية سلطان تونس وعامة افريقية تولى حكم البلاد بتوافق من قبل الأخوة[٢٨]. عمل على تطوير البلاد وأقام العدل[٢٩]. كان رمزاً من رموز الدولة الحفصية وفخراً من مفاخر الدولة التونسية إذ عمل على تدبير شؤون الدولة مما أدى إلى ازدهار افريقية في عهده وبلغت أوج عظمتها في السياسة والعمران الحضاري[٣٠]. وتميزت دولة بني حفص بقوتها خلال حكمه وتمكن من استعادة الامارات التي انفصلت خلال حياة والده أبي العباس[٣١]. كان يتصف بالشجاعة وحازماً وتقياً ذكياً فطناً معتقداً بالصالحين ويحترم ويقدر العلماء وكثير الصدقات ، يحب عمل الخير ومن فضائله كان كثير الصلاة لأهل الحرمين ويوجه لهم دعاءه مع ركب الحجازي[٣٢] بشكل مستمر[٣٣].

قال فيه ابن عرفة كان عبد العزيز في عدالته شبيهه ومثالاً يحتذى به كعمر بن عبد العزيز الأموي[٣٤] [٣٥] ، عرف عنه في الليل لا ينام إلا قليلاً لا يتجاوز أربع ساعات وربما

أقل من ذلك ولم يكن له شغل غير النظر في مصالح ملكه والمعروف عنه يؤذن بنفسه ويؤم الناس في الجماعة وكثير الذكر ومقرباً لأهل الخير وعمل على إبطال الكثير من التركات والمفاسد في بلاد تونس مثل القبالة[٣٦] وكان أبو فارس محافظاً على الطرقات وفي أيامه أمنت القوافل[٣٧]. وبالغ في أخذ الزكاة والعشر وأثناء مروره بالسوق يسلّم ولا يرتدي الحرير ولا يجلس عليه ولا يتختم بالذهب وصدقاته كانت جارية للصلحاء والعلماء[٣٨]. واعتمد أبي العباس أحمد عليه في تنفيذ بعض المهام التي تحتاج إلى حزم وحذر شديدين نذكر منها جباية الأموال من الأعراب فقام بإرساله مع عرب أبو الليل[٣٩] وحكيم للاستيفاء من بلاد الجريد، كذلك أظهر مقدرته وشجاعته في الهجوم الذي تعرضت له المهدية[٤٠] على يد الأفرنج[٤١] وقدم بلاءً حسناً في مواجهة العدو وكاد أن يُقتل حينها[٤٢].

٢- أبو بكر بن أبي العباس أحمد الحفصي:

يُكنى أبي يحيى، عقد له والده على بلاد قفصة[٤٣] [٤٤]، وحكم قسنطينة وأثناء دخوله بعد انقضاء عشرة أيام طلب من الناس بأخذ البيعة له وذلك حينما تلقى خبر وفاة والده فبايعوه وعُرف عنه كان كثير الملذات مقتصراً على راحته[٤٥]. وعندما عهد له بقسنطينة من قبل والده أبي العباس وبكتب كتبها بالولاية لكن كان أبو بكر غير مؤهل للإمارة[٤٦]. فظهرت كلمة الاعراب وبدأ الطمع وقام الكاتب إبراهيم ابن الكماد[٤٧] بشرح كافة أشكال الفساد بأسلوب بارع إذ استعرض في كتاباته مختلف المعاصي مسلطاً الضوء على العواقب المترتبة على ذلك وغدر الأمير أبو بكر وطلب الحديث مع رفاقه فخرجت مجموعة من الخدم وأخذوهم بعدها أطلقوهم فتوجه إبراهيم ابن الكماد مع قسم من الأعراب إلى أبـــي عبد الله محمد ابن ابـــي يحيى زكريا صاحب بونه[٤٨] يبشره بالحادثة ويقنعه على المجيء لملك مدينة قسنطينة[٤٩]. فقام الأمير أبي عبد الله بتجهيز جنوده ومن حوله ونزل البلد فقطع الأشجار ورماهم بالحجارة وهدم المنازل وحاصرهم وفي السنة الثانية عاد وهتك الزرع وأثناء ذلك خرج له السلطان عبد العزيز والتقى الاثنان فهزمه هزيمة منكرة وهرب أبو عبد الله على فرسه ودخل مدينة بونه مع من لحقه وكانت نيته بلاد المغرب ليستنجد بأهلها أو ليسلم على نفسه في مسلكه ودخل أبو فارس بونة وأمن أهلها[٥٠]. وجاء أخوه أبو بكر من قسنطينة

ورحب به واعتذر منه بعدم قدرته على القيام بأمور وأحوال مدينة قسنطينة، وأثناء ذلك قام أبو بكر بالكتابة بخط يده بخلع نفسه وانصرف برضا منه ووجه كتاباً يدعو به لأخيه أبو فارس وبيعته وأقر اسمه في الخطبة وضغط على أهل المدينة بتجديد البيعة له[٥١].

٣- المنتصر بن أبي العباس أحمد الحفصي:

ولاّه والده على مدينة توزر[٥٢]، ثم ترك أعماله في توزر[٥٣] وأقام بمدينة الحامة[٥٤] لأنه كان معارضاً لزعامة أخيه عبد العزيز للحفصيين وقام بترك بلاد الجريد[٥٥] بعد وفاة والده أبي العباس وذلك نتيجة للفوضى والاضطرابات التي حدثت في الجنوب[٥٦].

٤- أبي زكريا بن أبي العباس أحمد الحفصي:

هو صاحب نفطة[٥٧] قام بترك عمله وذهب إلى جبال نفزاوة سنة (٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م)[٥٨].

٥- التريكي /خالد /أبي زيان/ أولاد أبي العباس أحمد الحفصي:

قبض عليهم أخوهم عبد العزيز وذلك لما علم أنهم يحاولون الخروج عليه فعندها أمر بالقبض عليهم ومع من شاركهم من الجيش وأمر بقتلهم وتعليق رؤوسهم ليكونوا عبرة لغيرهم[٥٩].

٦- إسماعيل بن أبي العباس أحمد الحفصي:

أبقاه عبد العزيز في بلاد تونس واتخذ منه مثالاً يحتذى به الذي يدين بالعرش لحكمته وهو الذي قدم النصيحة لإخوته وتوصل معهم لإلقاء القبض على عمهم[٦٠].

٧- أبو حفص عمر بن أبي العباس أحمد الحفصي:

أوكل أبي العباس أحمد لأبي حفص جزيرة جربة ثم أضاف إليها قابس[٦١] إذ تحالف عمر مع بلدة الحامة وصاحبها ابن وشاح فشنوا جميعاً هجوماً على قابس واستطاعوا القبض على قائدها يحيى بن عبد الملك بن مكي[٦٢] وقتلوه، وبهذه الطريقة انتهى حكم بني مكي من قابس واستقل بها عمر بن أبي العباس الحفصي بالإضافة إلى امارته على جربة[٦٣] وصفاقس[٦٤] [٦٥].

٨- إبراهيم بن أبي العباس أحمد الحفصي:

كان له دوراً بارزاً في محاربة الذواودة[٦٦] أيام والده أبي العباس[٦٧]. وقام والده أبي العباس أحمد بتوليته على مدينة قسنطينة وأرسل معه الحجاب والقادة[٦٨]. وكان جامع للمال مع حسن التصرف والتدبير من صغره إلى كبره ، حميد السيرة ويحضر مجالس العلم في الجامع الأعظم بقصبة قسنطينة ، وكان يحضر مجالساً للفقه ولازمه لست سنين ، ويتصف الأمير إبراهيم باخلاق محمودة مثل الصدق والحفاظ على الصلاة والشفقة على الاخرين[٦٩] .

٩- أبو عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد الحفصي:

يُعرف بالحسين كان من خيرة فقهاء تونس وعلمائها ولد بتونس وترعرع فيها وأخذ تعليمه على يد ابن عرفة[٧٠] وأبي مهدي عيسى الغبريني[٧١] [٧٢]. قال عنه صاحب نيل الابتهاج "كان علامة محققاً من جلّة فقهاء تونس وعلمائها"[٧٣]. خرج على ابن أخيه عمرو بن عثمان بعد توليه السلطة لكن لم يمضي إلا وقت قليل حتى تم القبض عليه وسجنه حتى توفي في ربيع الثاني من سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م[٧٤]. ويعد من الحفصيين الذين انضموا إلى سلك المؤلفين[٧٥]، أذ كانت له إجابات على مسائل الإمام أبي الحسن بن سمعت الأندلسي[٧٦] المنوعة عندما وجهها إلى بلاد افريقية[٧٧].

المبحث الثاني / المناصب التي تولاها قبل أن يكون سلطاناً

أولاً : أميراً على قسنطينة (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)

كان السلطان المريني أبو عنان[٧٨] يسعى لتوحيد المغرب تحت حكمه وكان الحفصيون يمثلون عائقاً امام هذا الطموح فطلب السلطان المريني أبو عنان واليه الجديد بمهمة غزو مدينة قسنطينة فاستعد وتجهز لذلك محمد بن أبي عمرو[٧٩] وعندما سمع أبو زيد الحفصي[٨٠] تهيأ لمواجهة المرينيين وكان محبوساً عنده أحد أبناء السلطان أبي الحسن المريني[٨١] هو أبو عمر تاشفين[٨٢] وهذا معروفاً بالجنون فسرحه من سجنه وأقره سلطاناً مرينياً انتقاماً لأخيه أبي عنان [٨٣]. وتجهز العسكر بالأسلحة والرجال ليواجه جيوش بني مرين الزاحفة إلى قسنطينة إلا أن ذلك لم يستمر وبعد معارك بين القوات المرينية وجيش أبو

زيد صاحب قسنطينة ، قام أبو زيد لعقد الهدنة مقابل تسليم المريني إلى محمد بن عمرو الذي أرسل لأخيه أبي عنان فوضعه في الحبس وأمر بمتابعته من الحرس(٨٤).

وعزم أبو عنان على ضم قسنطينة إلى سلطته وبعد وفاة عامله عين مكانه سنة (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) والياً جديداً هو وزيره عبد الله بن علي بن سعيد(٨٥) وأعطاه مهمة القضاء أيضاً على السلطنة الحفصية في مدينة قسنطينة فامتنعت عليه ورجع إلى بجايه ، أما الأمير أبو زيد شعر بالضغط المريني عليه فأرسل إلى أخيه أبي العباس أحمد ليمد له العون ويحثه للمجيء إلى بلاد تونس(٨٦). بالنسبة لأبي العباس فعندما ترك اخوه أبو زيد في بلاد تونس ليستمر بالحرب ضد عمهما المستنصر وحاجبه ابن تافراجين قام أبي العباس بعدة أعمال في بلاد افريقية أعطته الشهرة من أهمها انتصاره على محمد بن ثابت صاحب طرابلس الذي أراد أن يضم جربه إلى عمله وكذلك انضم اليه خالد بن أبي الليل(٨٧) بعد أن فسدت العلاقة بينه وبين ابن تافراجين وعندما طلبه أخوه أبو زيد بمساعدته انضم اليه أبو الليل ليكونوا درعاً قوياً أمام القوات المرينية(٨٨).

قام الأمير أبو زيد بترك أخيه أبي العباس في قسنطينة وذهب مع خالد بن أبي الليل إلى تونس ليحرر تونس من عمه المستنصر وابن تافراجين لكن خسر إزاء ذلك ولم يتحقق ما كان يتمناه من احتلال تونس ومن جهة ثانية تنكر له أخوه أبي العباس واستبد بالأمر دونه في مدينة قسنطينة أما موقف أهالي المدينة كان مشجعاً لأبي العباس وأعلنوا التمرد والعصيان لأبي زيد وانحازوا للأمير أبي العباس أحمد لذكائه وشجاعته(٨٩)، فكتب كتاباً وشهد له فيه جماعة من كبراء البلد بأن الأمير أبو زيد لا يستطيع الدفاع عن المدينة وعاجزاً عن ذلك وان من أولى بالمبايعة هو لأخيه فتمت البيعة للأمير أحمد بن محمد في شهر شعبان من سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م (٩٠).

أثناء ذلك لم يبقَ أمام أبو زيد شيء فتوجه إلى مدينة عنابة(٩١) وبعث إلى أعدائه عمه وابن تافراجين يطلب منهم السماح بالمجيء إلى تونس مقابل تسليم عنابة وتم له ذلك ونزل عند عمه فرحب به وأثناه بالجوائز وكفله(٩٢).

قام الأمير أبي العباس أحمد بمواجهة الجيوش المرينية على مدينة قسنطينة وأحرز انتصاراً على المرينيين الذين حاصروا قسنطينة من أهمها المعركة التي سجل فيها انتصاراً كبيراً هي وادي القطن من سنة (٧٥٧هـ/١٣٥٦م)، التي كان يقود جيوشها موسى بن إبراهيم[٩٣]، عندما سمع خبر الهزيمة السلطان أبي عنان اشتد حنقه وحزن لهذا الأمر وقرر أن يقود الحملة بنفسه في مدينة قسنطينة فبقى أبو عنان يستعد أشهراً لتلك الحملة فجهز جيشه في سنة (٧٥٨هـ/١٣٥٧م) ثم سار إلى قسنطينة في هذه الأثناء طلب أبي العباس أحمد المساعدة والعون من عمه صاحب تونس لكن لم يجد جواباً، فتم محاصرة أبو عنان بقوة لأبي العباس أحمد في المدينة حتى طلب أبي العباس الأمان والاستسلام للسلطان أبي عنان فمنح الأمان لأبي العباس أحمد وبقي عند بني مرين عدة أيام ثم أرسله إلى مدينة سبته إذ اعتقل[٩٤]. فتمت السيطرة للسلطان المريني على قسنطينة وجاء ذلك نتيجة للاضطرابات والفتن بين أفراد العائلة الحفصية وعدم اتحادهم ضد عدوهم إذ كانوا يتقاتلون فيما بينهم وجاءت البيعة لأبي عنان من أقصى أطراف المدينة من نفطة وتوزر وقابس وغيرها[٩٥].

ووفد عليه أولاد مهلهل وأبي الليل من الكعوب[٩٦] يدعونه ويحرضونه على امتلاك بلاد تونس وأخذها من الحفصيين وبعث السلطان أبو عنان اسطوله فدخلت عساكر السلطان المدينة سنة (٧٥٨هـ/١٣٦٥م) وبعد قتال اقاموا بها الدعوة للسلطان[٩٧]. عندما توفي أبو عنان (ت ٧٥٩هـ/١٣٥٨م) تولى من بعده ابنه الأمير أبو بكر السعيد[٩٨] وكان بتدبير من الوزير حسن بن عمر[٩٩] وأثناء ذلك دخلت السلطة المرينية في الفوضى والانقسام والضعف أذ اصبح وزير الأمير السعيد هو المتصرف في الدولة ، وكان أول الخارجين والثائرين عليه هو موسى بن يوسف الزياني[١٠٠] ومنصور بن سليمان[١٠١] وهذا شجع عمه أبو سالم[١٠٢]٧٦٢هـ/١٣٦١م ليسيطر على البلاد طمعاً في الملك ، والتجأ إلى ملك قشتالة لطلب العون مستغيثاً به على ملك اباءه عندما بلغه وفاة أبو الحسن المريني واضطراب الأوضاع لكنه لم يجد نفعاً ، ونتيجة لفشل أبو سالم في النزول لمراكش بسبب سوء الأوضاع

فيها من قبل اخوة السعيد من بني مرين لتنصيب اخوهم للملك وامتناعهم عن البيعة له ، فالتجأ إلى قبيلة غمارة[١٠٣] التي أيدته في ذلك[١٠٤].

وثار على السعيد منصور بن سليمان وحاصر مدينة فاس وأمر بمجيء الأمير الحفصي أبي العباس أحمد واطلق سراحه واخرجه من معتقله في سبته وصادف وصول أبو سالم إلى المدينة ، فانضم معه وأيده بمن معه من أتباع منهم القائد بشير[١٠٥] وأبو سالم يعاني من قلة المناصرين وإزاء ذلك تعهد أبو سالم بإعادة الأمير الحفصي أبي العباس أحمد إلى مدينة قسنطينة بعدما ينتصر على عدوه وأثناء دخول المريني أبو سالم إلى مدينة فاس مع الأمير أبي العباس وجد في السجن الأمير الحفصي أبو عبد الله[١٠٦] صاحب بجايه الذي اعتقله أبو عنان ونفاه مثل الأمير أبي العباس أحمد[١٠٧]، فأطلق سراحه أبو سالم (ت ٧٦٢هـ/١٣٦١م) بعد دخوله مدينة فاس ثم فكر أبو سالم لضم تلمسان وذلك على ما جاء على خطة أبيه أبي الحسن المريني وأخوه أبو عنان لتحقيق الوحدة الحفصية التوسعية[١٠٨].

وقام أبو سالم بإعادة وإرجاع الأمير أبي العباس إلى قسنطينة وصرفه اليها بالاكرام وكانت مدينة قسنطينة لاتزال تحت سلطة بني مرين فأمر أبو سالم المريني إلى عامله منصور بن مخلوف[١٠٩] أن يتنازل عن مدينة قسنطينة ويسلمها إلى الأمير أبي العباس أحمد فعلاً تم ذلك وسلمها إلى صاحبها فدخلها أبي العباس الحفصي في شهر رمضان من سنة (٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)[١١٠]. ويذكر ابن خلدون بقوله "واقتعد سرير ملكه منها، وتباشرت بعودته مقاصد قصورها، فكانت مبدأ سلطانه، ومظهراً لسعادته، ومطلعاً لدولته"، فعامل أبي العباس الرعايا بالعدل والأمان وشمولهم بالاحسان، وصد العدوان ومهد ورعى الناس في دولته[١١١].

ثانياً: أميراً على بجاية (٧٦٧هـ/ ١٣٦٦م):

عندما تولى الأمير أبو عبد الله بجاية كان من يؤيده سنة (٧٦٥هـ/١٣٦٤م) وكتب الأمير للرحالة ابن خلدون يستدعيه للمجيء فتوجه ابن خلدون سنة (٧٦٦هـ/١٣٦٥م) وركب البحر للإقلاع من مدينة المرية[١١٢] ويقول نزلت في بجاية فاحتفل السلطان لقدومي، يقول ابن خلدون "اركب أهل دولته للقائي وتهافت أهل البلد عليّ من كل أوت يمسحون أعطافي

ويقبلون يدي وكان يوماً مشهوداً" فعندما وصل قام السلطان بالترحيب به وأعطاه منصب الخطابة بجامع القصبة[١١٣].

حال وصول ابن خلدون إلى بجاية كان الخلاف بين أبي العباس أحمد صاحب قسنطينة وابن عمه أبي عبد الله صاحب بجاية على أشده بسبب النزاعات حول الحدود وكان سبب هذه الفتنة العرب من الذواودة من بني رياح وأما ابن خلدون فقام بمساعدة سلطانه وجمع لذلك أموالاً كثيرة وخرج لقبائل البربر حول جبال بجاية لجمع الأموال لمساعدة السلطان[١١٤]، وأما صاحب بجاية عندما أدرك أنه لا يستطيع ولا أمل له بالانتصار على ابن عمه لذلك أخذ يبحث عن حليف يساعده وكان الحليف بني زيان فتقرب من صاحب تلمسان وكان الاتفاق بالتنازل عن تدلس[١١٥] وتزوج صاحب تلمسان من ابنة أبي عبد الله وتقرب منه[١١٦].

وعندما تولى الأمير أبو عبد الله مدينة بجاية أساء للرعية وكان أقل احتراماً وحظوة للرعية وتنكر لهم فحقد الناس عليه وأثناء ذلك تطلعت الناس للتخلص من هذه الأوضاع فتوجهوا إلى الأمير أبي العباس أحمد صاحب قسنطينة[١١٧]. فقام أبي العباس وتجهز في عساكره من مدينة بجاية وتراجع العرب من أولاد سباع بن يحيى[١١٨] وساندوا أبي العباس وتوجه فيهم وعسكر من زناته[١١٩] مواطنها في صحراء بلاد المغرب التي كانت الكثرة والرياسة فيهم ، وتم اللقاء بين الجيشين بناحية سطيف[١٢٠] فاضطرب أهل بجاية وانهزموا شر هزيمة فلاحقهم أبي العباس إلى تاكرارت[١٢١] فوحد نواحي وطنه ورجع إلى مدينته وأما الأمير أبو عبد الله فزادت المشاحنات بينه وبين أهل بجاية فطلبوا من أبي العباس بالقدوم اليهم في العام القادم[١٢٢].

وتقدّم الأمير أبي العباس في جيشه وهم الذواودة أولاد محمد[١٢٣] وعسكر صاحب بجاية أبو عبد الله في جيش قليل وراد من ابن عمه أبي العباس الصلح لكن تهيأ له الأمير أبي العباس بغارة فتفرق عنه جيشه وانهزم فأحيط به وانتهب المعسكر وهرب إلى بجاية وتم القبض عليه في الطريق فقتل بالرماح، وأخيراً صلى الأمير أبي العباس في مدينة بجاية في التاسع عشر من شعبان من سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٦م [١٢٤].

أما ابن خلدون؛ فلم يبقى مع سلطانه أبي عبد الله في ساحة القتال إذ ظل مقيماً في بجاية وانصرف إلى الأمور الإدارية وشؤونها العلمية، يقول ابن خلدون عن هزيمة سلطانه "وجاءني الخبر بذلك وأنا مقيم بقصبة السلطان وقصوره وطلب مني جماعة من أهل البلد القيام بالأمر والبيعة لبعض الصبيان من أبناء السلطان فتفاديت ذلك وخرجت إلى السلطان أبي العباس فأكرمني وحباني وأمكنته من بلده وأجرى أحوالها كلها على معهودها ثم كثرت السعاية في التحذير من مكاني فشعرت بذلك وطلبت الاذن بالانصراف بعهد كان فأذن لي ونزلت عند يعقوب بن علي[١٢٥][١٢٦].

أما تفكير ابن خلدون وحذره كان في محله فبعد خروجه من مدينة بجاية بدأ أبي العباس أحمد يشك في الأمر ولم تمضي أيام على خروج ابن خلدون حتى أمر باعتقال ابن أخيه يحيى[١٢٧] ورميه في السجن وعملوا على تفتيش بيوت آل خلدون كان أغلب الظن فيها أسلحة وأموال فأخفق ظنه ثم رحل ابن خلدون إلى بسكرة[١٢٨] ونزل عند أميرها أحمد بن يوسف بن مزني[١٢٩] فرحب به واستقبله إكراماً للصداقة التي كانت بينهما وبين والده يوسف سابقاً[١٣٠].

ثالثاً: صراع السلطان أبي العباس مع أبي حمو الزياني وعبد الواد حول بجايه ومن ثم استيلاءه على تدلس (٧٦٧هـ/ ١٣٦٦م):

كان بين أبو عبد الله صاحب بجايه الكثير من المشاحنات لبني عبد الواد لسيطرتهم على مدينة تدلس فهذا أدى إلى التنافر والعداوة بين الجانبين وقام أبي حمو الزياني بالتدخل في شؤون الغربية الحفصية وأيده صاحب بجاية للمصاهرة بينهم ليأخذ بثأر صهره والد زوجته وكان ذلك ذريعة للزياني لتوسيع نفوذه ولمطامعه الشخصية فجهز جيشه[١٣١]. توجه أبي حمو الزياني إلى مدينة بجاية وطوقها بالكامل واستعد أبي العباس الحفصي لمجابهة الزياني وعمل على وضع خطة ناجحة لتقريب أقارب الزياني هو أبي زيان بن عثمان[١٣٢] من خلال تمليكه على بني عبد الواد وكان هذا معتقلاً لدى أبي العباس أحمد في مدينة قسنطينة[١٣٣] ، وخرج من مدينة تلمسان وذلك نتيجة للفوضى والاضطرابات والتجأ إلى تونس عند الحاجب ابن تافراجين والسلطان أبو إسحاق إبراهيم[١٣٤] ولما أخذ أبو عبد الله

بجايه وتمكن من السيطرة على تدلس بعث اليه ليتولى مدينة تدلس ليكون له حليفاً ضد الزيانيين في استيلائهم على بجايه أو تدلس[١٣٥].اما استدعاء أبي زيان فهي كانت مناورة ومكيدة من صاحب بجاية لأن أبي العباس أحمد فكر في الموقف العدائي الذي كان بينه وبين ابن عمه، وفكرة صاحب بجاية لضم بني زيان ليكون ساعده وناصر له ضد ابن عمه أبي العباس أحمد، وحال وصول أبي زيان بن عثمان إلى مدينة بجاية اعتقله أبي العباس وذلك لاتخاذه لتحقيق أهدافه[١٣٦]. أما أبي العباس أحمد لم يستطع من تعبئة العسكر الذي يجابهه به جيش تلمسان القادم اليه لذلك قام أبي العباس احمد بالاختباء بأسوار مدينة بجاية المحاصرة من قبل أبي حمو الزياني وكان معتمداً على قبيلة زغبة الكثيرة العدد وأثناء ذلك أصدر أبي العباس أمراً بإطلاق سراح أبي زيان بن عثمان ووجهه مع مولاه بشير بأن يخرج ومعه العساكر والسلاح لمواجهة أبي حمو الزياني[١٣٧]، وتفكير أبي العباس أحمد في ذلك لاقى النجاح لأن أصبح لديه شخصية زيانية لها سمعتها وهيبتها عند القبائل أذ كان أبي حمو يعتمد عليه في أطماعه التوسعية وكذلك اقوى حليف له في حروبه وهم بني زغبة[١٣٨][١٣٩]. كان أبي حمو الزياني يهاب من أبي زيان بن عثمان وكان يخشاه كثيراً أثناء حروبه بسبب هزائمه أمامه[١٤٠]، وانفصلوا بنو زغبة عن السلطان أبي حمو الزياني وصافحوا وانضموا لأبي العباس أحمد الحفصي مما أدى إلى تقوية جيش أبي العباس واحدث اضطراب في معسكر ابي حمو، فأدى ذلك إلى هزيمة أبي حمو شر هزيمة وكادت المنية تذهب به الا انه نجا بفرسه وفر إلى مدينة تلمسان[١٤١] ، وهلك جنود السلطان أبي حمو وخلفوا الكثير من النساء والأطفال والأثقال والسلاح الكثير وصارت نهباً وبهذا تمكن أبي العباس أحمد الحفصي من القضاء على أبي حمو الزياني ورده على أعقابه وأعاد ملكه في غرب الدولة الحفصية كبجاية وقسنطينة ، وخرج السلطان أبي العباس على اثر ذلك واستولى على تدلس وافتتحها وانتظمت بذلك الثغور المغربية للدولة الحفصية كلها في أمر وملك السلطان أبي العباس احمد [١٤٢].

الخاتمة :

١-ينسب السلطان أبو العباس احمد الى قبيلة هنتانه من المصامدة ولد في مدينة قسنطينة سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م .

٢-عمل على استعادة البلاد من الغزاة واستطاع ان يبني دولة قوية ساعدت على الاستقرار.

٣-كان يتمتع بالشجاعة والحزم عارفاً بالمكائد والدسائس .

٤-كان لأولاده دور كبير في الدولة خاصة ابة فارس الذي عمل على تطوير البلاد وإقام العدل .

٥-تسلم منصب الامارة على كل من مدينتي قسنطينة ٧٦١هـ/١٣٦٠م وبجايه ٧٦٧هـ /١٣٦٦م وبقى في ذلك المنصب احد عشر سنة ، وقاوم أبو العباس الجيوش المرينية واحرز الانتصار عليهم .

٦-انتزع بجايه من ابن عمه ابي عبد الله وحالفه الذواودة وكان النصر حليفه.

هوامش البحث:

(١) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص١٠٥.

(٢) القلقشندي، نهاية الارب، ص٣٩٨؛ السيوطي، لب اللباب، ج٢، ص٣٣٠.

(٣) العسقلاني، انباء الغمر بأبناء العمر، ج١، ص٤٧٩.

(٤) المقريزي، درر العقود الفريدة، ج١، ص٢٤٤.

(٥) العسقلاني ، أنباء الغمر بأبناء العمر ، ج١،ص٤٧٩ ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص٥٩٠.

(٦) السخاوي ، وجيز الكلام ، ص٣١٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص٥٩٠.

(٧) المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج٥، ص٣٦٢.

(٨) ابن أبي دينار، المؤنس، ص١٧٢.

(٩) الجزائر: اسم علم لمدينة على ضفة البحر بين افريقية والمغرب كانت من خواص بني حماد بن زيري بن مناد الصنهاجي وتعرف بجزائر بني مزغناي وهي مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار عجيبة وأزاج محكمة تدل على أنها كانت دار ملك لسالف الأمم وفيها أسواق ومسجد جامع ومرساها مأمون له عين عذبة يقصدها أصحاب السفن من افريقية والأندلس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٣٢).

(١٠) الجمل، المغرب العربي الكبير، ص٢٨.

(١١) الدراجي، القبائل الامازيغية، ج١، ص٨٠٧.

(١٢) أبي زكريا : هو يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص الهنتاتي الحفصي، ولد سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤م وبويع سنة ٦٢٥ /١٢٢٧م ، اول من انفرد بالحكم ووطد اركانه وثبت قواعده من الملوك الحفصيين في بلاد تونس ، ويعد أبي زكريا المؤسس الحقيقي لدولة بني حفص وعمل على توحيد أطرافها توفي سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م . ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص١٥٥ ؛ الطواح ، سبك المقال لفك العقال ، ص٢٢

(١٣)الغنيمي، موسوعة المغرب، ج٥، ص٧٢.

(١٤) ابن قنفذ، الفارسية، ص١٧٧.

(١٥) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص١٠٦.

(١٦) برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ج١، ص٢١٨.

(١٧) حاجي خليفة، سلم الوصول الى طبقات الفحول، ص١٩٨.

(١٨)المحاميد: هم من ذباب من بهتة من سليم من العدنانيين وهم بنوا محمود بن طوب بن بقية بن وشاح بن عامر ورياستهم لبني رحاب بن محمود لاولاد سباع بن يعقوب بن عطية بن رحاب منازلهم بين طرابلس وقابس من بلاد المغرب. ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص١١١؛ السويدي، سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب، ص١٤٢؛ كحالة ، معجم قبائل العرب ، ج٣ ، ص١٠٤٦.

(١٩) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١١٤.

(٢٠) المعز بن باديس الصنهاجي: هو من أمراء افريقية تولى المهدية سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م وعمره ثلاث وعشرين سنة وقد استفحل أمر العرب الهلالية بعد خسارته وخربوا ودمروا القيروان وتم لهم ذلك، ولد المعز سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م وتولى امارة افريقية سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م وتوفي في سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م وله من العمر ٥٨ عاماً، وكانت فترة حكمه ٤٧ سنة ، كان أسمر جميل الوجه، جهير الصوت، حسن الخلق، بعيد الغَور في الأمور، كنيته أبو تميم ولقبه شرف الدولة بن أبي مناد باديس ونصير الدولة بن أبي الفتح المنصور وعدة العزيز بن أبي الفتوح بلقين وسيف العزيز بالله بن زيري ابن مناد بن منقوش الصنهاجي. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٣٢٣.

(٢١) محفوظ، تراجم المؤلفين، ج٢، ص٣٨٧.

([٢٢]) ابن أبي دينار، المؤنس، ص١٧٢-١٧٣؛ الغنيمي، موسوعة المغرب، ج٥، ص٧٢ ؛ القيسي ، الظهور السياسي لبني حفص على الساحة المغربية ، ص١٦٩.

([٢٣]) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص١٠٨.

([٢٤]) ابن مخلوف، شجرة النور الزكية،ج٢، ص١٤٨.

([٢٥]) ابن عامر، الدولة الحفصية، ص٥٢.

([٢٦]) المقريزي، درر العقود الفريدة، ج١، ص٢٤٥.

([٢٧]) ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص٨٨٢.

([٢٨]) ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص٨٨٢.

([٢٩]) القلقشندي، قلائد الجمان، ص١٧٠.

([٣٠]) ضيف، عصر الدول والامارات، ص١٣٤.

([٣١]) سالم، تاريخ المغرب، ص٧٩٢.

([٣٢])الركب الحجازي: هم الحجيج الذين يخرجون من تونس وبلاد المغرب الى مصر والشام ثم الى بيت الله الحرام لاداء فريضة الحج ، ومؤسسها صالح الماجري الموحدي ت:٦٣١هـ/١٤٣٤م وكانت هذه الفريضة أهم مسؤولياته الدينية المهمة ٠ المنوني ، الركب المغربي ، ص٧-٨؛ كاشف الغطاء، الرحلة الحجازية ، ص٢٠ ؛ فروخ ، تاريخ الادب العربي ، ج٦ ، ص١٠٣.

([٣٣]) ابن أبي دينار، المؤنس، ص١٧٥.

([٣٤]) عمر بن عبد العزيز : بن مروان بن الحكم بن العاص بن امية ، الخليفة الصالح أبو حفص ولد في حلوان بمصر سنة ٦١هـ/٦٨٠م ، امه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) جمع القران وهو صغير بعثه ابوه الى المدينة ليتأدب بويع للخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ/٧١٧م ، رد المظلم وسن السنن الحسنة وملآ الأرض عدلاً وله فقه وعلم وورع . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٥ ، ص١١٤-١١٥ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٨٢-١٨٣.

([٣٥]) المزاري، طلوع سعد السعود، ج١، ص١٥٨.

([٣٦])القبالة: هو مكان يُباع فيه الخمر للفرنج يتحصل منه الشيء الكثير في السنة وهي بخارج باب البحر من بلاد تونس وقد كانت فندقاً يستباح فيه كبائر المعاصي جهاراً من غير مغير ولا منكر والتزمه بعض النصارى باثني عشر ألف دينار ذهباً كل عام لبيع الخمر وغيرها من المنكرات وتجتمع عنده من عظيم المناكر ما يحزنون قلوب المؤمنين فألغاها السلطان أبو فارس وهدم الفندق وعوضه ببناء زاوية عظيمة البناء والنفع صارت معبداً لإقامة الصلاة والذكر والعبادات وإطعام الطعام وأوقف عليها

أوقافاً مفيدة من زرع وفدادين وزيتون ومعصرة وغير ذلك. الترجمان، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ص٨٥-٨٦؛ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٤، ص ٢١٤ ؛ وأبي دينار، المؤنس، ص١٧٦.

([٣٧]) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٤، ص٢١٤.

([٣٨]) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٤، ص٢١٤.

([٣٩])عرب ابو الليل : هم من الكعوب من بني سليم مساكنهم ما بين قابس وبلاد العناب من افريقية . ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص٩٤ ، ٩٦.

([٤٠])المهدية: هي مدينة بأفريقية تقع بجانب القيروان اختطها المهدي سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) المتغلب على هذه البلاد وسبب بناءها قيل أنه كان يرتاد موضعاً يبني فيه مدينة محصنة خوفاً من خارجي يخرج عليه حتى ظفر بهذا الموضع وكانت جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند سأل راهباً في مغارة فسأله عن اسم الموضع فقال تسمى جزيرة الخلفاء فأعجبه هذا الاسم فبنى بها بناءً وجعلها دار مملكته وحصنها بسور عالي وأبواب من حديد وبنى فيها قصراً عالياً. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٧٦.

([٤١])الافرنج : هم من ولد يافث بن نوح كثيري العدد ولهم مملكة كبيرة يحميها ملك واحد ، ومدينتهم يقال لها دريوه ، وهم نصارى ولهم اجناس مختلفة يحاربون الروم ، وهم شعب فرنسا ينسبون الى جدهم افرنجش. المسعودي ، اخبار الزمان وعجائب البلدان ، ص١٠٩ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٢٨ .

([٤٢]) عبد الحميد، عفاف عبد الجبار: الحياة السياسية والحضارية للدولة الحفصية في عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز (٧٩٦هـ/١٣٩٣م- ٨٣٧هـ/١٤٣٣م). مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع٩٥، ٢٠١١.

([٤٣]) قفصة: هي مدينة تتوسط القيراون وقابس محصنة بسور من حجارة وفيها عيون ماء وهي مفروشة بالبلاط وفيها ثمار موصوفة وهي مدينة عامرة مشهورة بالغلات: الحناء والكمون وفيها نخيل تمر وفيها عيون كثيرة وماؤها أطيب من ماء قسطيلية ولها أسواق عامرة ومتاجر وأهلها يتكلمون باللسان اللطيني الأفريقي. العمري ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ج٤، ص١٤٤.

([٤٤]) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص١١٠.

([٤٥]) مقديش، نزهة الأنظار، ج١، ص٥٩١.

([٤٦]) ابن قنفذ، الفارسية، ص١٩٠؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١١٨.

([٤٧]) إبراهيم بن الكماد: هو من أعيان قسنطينة وكتابها تولى الكتابة للسلطان أحمد بن محمد الحفصي أحد كبار ملوك بني حفص في تونس، قدم معه الى تونس من قسنطينة وكان من خواصه وصفه ابن قنفذ بالكاتب العاقل. ابن قنفذ، الفارسية، ص١٧٧-١٧٨؛ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص٣٦٨.

([٤٨])بونة: مدينة قديمة بافريقية بين مرسي الغزر وجزيرة بني مزغناي على ربوة مشرفة والبحر يضرب في سورها وحولها قبائل كثيرة من البربر وأوروبة ومصمودة وهي من مدن افريقية بينها وبين المدينة الحديثة ثلاثة أميال منيعة مطلة على مدينة سبوس وفيها مساجد وأسواق وحمام وهي ذات زروع وثمار وسورت بونة الحديثة بعد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، ويطلق عليها جبل زوغ وهو كثير الثلج والبرد ومن العجائب ان فيه مسجداً لا ينزل عليه بشيء من ذلك الثلج. (البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٧١٧ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥١٢).

([٤٩]) ابن قنفذ، الفارسية، ص١٩٠-١٩١؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١١٨.

([٥٠]) ابن قنفذ، الفارسية، ص١٩١؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١١٨؛ مقديش، نزهة الأنظار، ص١٩١.

([٥١]) ابن قنفذ، الفارسية، ص١٩١؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١١٨.

([٥٢]) توزر : هي مدينة باقصى افريقية من نواحي الزاب الكبير من بلاد الجريد معمورة وارضها سبخة فيها نخل كثير وعليها سور مبني بالحجارة ولها جامع واسواق وحولها ارباض واسعة وحصينة كثيرة البساتين واكثر بلاد افريقية تمراً . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٥٧-٥٨.

([٥٣]) ابن الشماع، الأدلة البينة، ص١١٠.

([٥٤]) الحامة: من كور قسطيلية من بلاد الجريد وتعرف بحامة بني بهلول وهم من بقايا الروم ولها حصن يسمى القصر وهي كثيرة التمر والزيتون والفواكه يوجد بها عين كبيرة شديدة الحرارة ولا يوجد بالبلاد أكثر منها عنباً ولا أطيب. مجهول، الاستبصار، ص١٥٧.

([٥٥]) بلاد الجريد: هي مقاطعة تقع في القسم الجنوبي من تونس ويطلق على واحات اربع هي توزر ونفطة ونفزاوه والحامه وبلاد الجريد هي أرض صخرية ممتدة وتعرف بجزائر التمر لأن فيها نخلاً كثيراً وتمراً غزيراً فيها المياه السائحة والعيون والانهار. العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٤٣ ؛ مجهول ، الاستبصار ، ص١٥٠.

([٥٦]) برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ج١، ص٢٤٤.

([٥٧]) نفطة: هي مدينة كبيرة يوجد فيها سور ولها غابات كثيرة النخل والبساتين لها نهر يسقي بساتينها وأهلها ذو يسار وهم من بقايا الروم وهي مدينة عامرة متحضرة بأهلها لها أسواق وتجارات ونخل

وغلات ومياه جارية. الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢٧٨؛ مجهول، الاستبصار، ص١٥٦.

([٥٨]) برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ج١، ص٢٢٥.

([٥٩]) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٢٢؛ برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ج١، ص٢٤٥.

([٦٠]) برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ج، ص٢٤١-٢٤٢.

([٦١]) قابس : هي مدينة جليلة عامرة حفت بها من نواحيها الغابات الملتفة والحدائق وبها من الزروع والتمر والضياع ما ليس بغيرها ، فيها زيتون وغلات وعليها سور منيع ، ولها اسواق وعمارات وتجارات . الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ج١ ، ص٢٧٩.

([٦٢]) يحيى بن عبد الملك بن مكي: هو من أمراء قابس وفي سنة (٧٨١هـ/ ١٣٧٩م) توجه لأداء فريضة الحج كانوا على عداء مع السلطان أبي العباس الحفصي. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٧٥.

([٦٣]) جربه : قرية من قرى المغرب واهلها مفسدون في البر والبحر وهم خوارج فيها بساتين كثيرة وزيتون بينها وبين البحر مجاز . البكري ، المسالك والممالك ، ج٢ ، ص٦٦٨.

([٦٤]) صفاقس: مدينة قديمة عامرة وعلى اسوارها محارس وعلى ابوابها صفائح حديد منيعة وأكثر محاصيلها الزيت والزيتون فيها منه الشيء الكثير ومن زيتها كان يمتار منه أهل المغرب وصقلية ومصر موقعها على ساحل البحر شرقي المهدية فيها سور ويشرب أهلها من الآبار بساتينها قليلة ومن بحرها يصطاد من السمك ما يعظم خطره المتخذ منه الثياب النفيسة. العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ج٤ ، ص١٤٣ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٦٥.

([٦٥]) المطوي، السلطنة الحفصية، ص٥٣١.

([٦٦])الذواودة : من قبائل رياح الهلالية وافرهم عدداً وهي احدى اقوى فروع بني هلال لهم تواجد في تونس والمغرب ، وابوهم رياح بن ربيعة من نهيك بن هلال بن عامر ، والرياسة لابناء داوود بن مرداس بن رياح والى داوود تنسب الذواودة يملكون نواحي قسنطينة وبجايه والتلول والزاب وريغ واوكلا وما ورائها من القفار . ابن خلدون العبر ، ج٦ ، ٤٣-٤٥.

([٦٧]) المطوي، السلطنة الحفصية، ص٥٣٤.

([٦٨]) الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص٥٠.

([٦٩]) ابن قنفذ ، الفارسية ، ص١٨٧.

([٧٠])ابن عرفة: أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي التونسي إمام وعالم وخطيب وشيخ الإسلام كان والده تقياً صالحاً متعبداً كان ابن عرفة ملازماً للشيوخ وأخذ وتعلم على يد الإمام ابن عبد السلام

القراءات والحديث ورافقه كثيراً وأخذ عنه العلم تولى إمامة الجامع الأعظم سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، وقدم لخطابته عام ٧٧٢هـ/١٣٧٠م وللفتوى عام (٧٧٣هـ١٣٧١م) كان ذكياً، صالحاً، عارفاً توفي في تونس عام (٨٠٣هـ/١٤٠٠م). ابن قنفذ، الوفيات، ص٣٧٩ ؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٤٦٣-٤٦٤.

(٧١) أبو مهدي الغبريني: هو الشيخ عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله الغبريني كان جده أبي العباس تولى منصب القضاء في مدينة بجاية وهو مؤلف عنوان الدراية وتوفي سنة (٧٠٤هـ/١٣٠٤م) ونشأ أبو مهدي في خدمة العلم وباشر منصبه القضاء بالنيابة عن البرشكي مدة مرضه ولما توفي البرشكي استقل هو بالقضاء وكان قاضي الانكحة على عهد عمر بن البراء واجتمع له خطة القضاء وخطبة جامع الزيتونة والافتاء به وتوفي سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م) ودفن بالزلاج. السنوسي، مسامرات الظريف بحسن التعريف، ج٣، ص٥٥.

(٧٢) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٥٢٥؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص٣٥٣.

(٧٣) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٥٢٥.

(٧٤) عبد الوهاب، العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، ج٢، ص٧٧٥.

(٧٥) البسيلي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن، ج١، ص٣٥.

(٧٦) أبي الحسن بن سمعت الأندلسي: علي بن محمد بن سمعت الأندلسي الغرناطي الإمام الفقيه النحوي الجليل صاحب اليد الكبرى في العلوم وكان لا ينطق بكلام فيه فحش واينما وجده في شعره أبدله وأخذ عنه وتعلم جماعة كالقاضي الإمام أبي يحيى بن أبي بكر بن عاصم. التنبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٣٣.

(٧٧) عبد الوهاب، العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، ج٢، ص٧٧٥.

(٧٨)أبو عنان: فارس بن أبي الحسن علي ولاه والده مدينة تلمسان ثم بويع بالملك سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م واستمر حتى سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م من أعماله أخضع بني زيان، توفي مخنوقاً على يد وزيره الحسن بن عمر الفودودي واشتهر بحبه للعلوم والآداب، كان يحب جمع الكتب وبناء المدارس توفي سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٧م. ابن الأحمر، اعلام المغرب والأندلس، ص٦٩.

(٧٩)محمد بن أبي عمرو: هو أبو عبد الله محمد بن ابي عمرو بن علي من بني تميم منازلهم في بلاد افريقية ، انتقل جده الى تونس باستدعاء من المستنصر كانت له منزلة رفيعة لدى السلطان أبو عنان المريني وولاه اسمى المراتب حيث نصبه على سائر وظائف الدولة فجعل له العلامة والحجابة والقيادة والسفارة وديوان الجند والحساب والقهرمة وخصوصيات داره ، فطال امره واستولى على السلطان وعقد

له على حرب قسنطينة واطلق يده في المال والجيش ، واحتل بجاية ، كان حميد السيرة بين الناس وفجعوا في مهلكه ، توفي سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م. ابن خلدون ، العبر ، ج٧ ، ص٣٨٦-٣٨٧ ؛ السلاوي ، الاستقصاء ، ج٣ ، ص١٨٦ .

(٨٠) أبو زيد الحفصي: هو عبد الرحمن بن ابي عبد الله محمد بن ابي يحيى زكريا الحفصي صاحب قسنطينة تولى الحكم بعد وفاة ولده ٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م في مدينة قسنطينة كان أبو زيد اكبر أولاده وكان على عداء مع بني مرين خلعه أبي العباس احمد واستبد بالأمر دونه . توفي سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٦م . ابن خلدون ، التعريف ، ص١٠٠ ، ١٠٢ ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين ، ص٩٨.

(٨١)أبي الحسن المريني: علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أكبر ملوك بني مرين وأعظمهم أبهة وأكثرهم آثاراً ولد سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م ويعرف بالسلطان الأكحل لأنه أسمر والعامة تسمى الأسمر بالأكحل بايعوه بعد وفاة والده (٧٣١هـ/١٣٣٠م) كان محباً للصالحين وتقياً وعادلاً لرعيته وكان طويل القامة ومعتدل اللحية، حسن الوجه حياته كانت حافلة بالاحداث العسكرية والسياسية ، توفي سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م. (ابن الاحمر ، اعلام المغرب والاندلس ، ص٦٧؛ السلاوي، الاستقصاء، ج٣، ص١١٨، ص١٧٤.

(٨٢) أبو عمر تاشفين: هو تاشفين بن أبي الحسن بن أبي سعيد بن يعقوب بن عبد الحق المريني، سلطان مغربي من بني مرين، كنيته أبا عمر بويع لسنة (٧٦٢هـ/١٣٦١م) استمرت ولايته ثلاثة أشهر ويومين، كان طويل القامة، فارساً، شجاعاً، قوي الساعد، ملك وله من العمر ستون عاماً، توفي سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م. المكناسي، جذوة الاقتباس، ص١٧١.

(٨٣) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٣٤؛ السلاوي، الاستقصاء، ج٣، ص١٨٥.

(٨٤) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٣٥؛ السلاوي، الاستقصاء ، ج٣، ص١٨٦.

(٨٥)عبد الله بن علي بن سعيد: هو الوزير والوالي الذي عينه أبو عنان على ثغور بجاية وما وراءها من بلاد افريقية وأطلق يده في الجباية والعطاء. ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٣٩٢.

(٨٦) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٣٥؛ المطوي، السلطنة الحفصية، ص٤٢٥.

(٨٧) خالد ابو الليل : هو خالد بن حمزة بن ابو الليل من الكعوب يرجعون الى بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ورياستهم لبني الشريد ابن رياح بن ثعلبة بن عطية بن خفاف بن امرو القيس بن بهنة بن سليم .ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص٩٤.

(٨٨) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٣٧؛ المطوي، السلطنة الحفصية، ص٤٢٥.

(٨٩)ابن قنفذ، الفارسية، ص١٨١ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٣٧-٥٣٨.

(٩٠)ابن قنفذ، الفارسية، ص١٨١ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٣٨.

(٩١)عنابة: مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط كانت تسمى قديماً أوربونه وكانت تحت سلطة القوط الى أن فتحها الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فخربها وتركها مهجورة بعد أن استحوذ على الغنائم ثم بنيت مدينة أخرى تبعد ميلين وشيدت بحجارة المدينة القديمة وتسمى بلد العناب لكثرة ثمار العنب يوجد فيها القليل من المنازل الجميلة ولا توجد فيها ينابيع بل خزانات تشتهر بزارعة القمح. الوزان، وصف افريقيا، ص٤٣٢-٤٣٣.

(٩٢) ابن قنفذ، الفارسية، ص١٨١ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٣٨.

(٩٣) ابن قنفذ، الفارسية، ص١٨١؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٣٩٢.

(٩٤) ابن قنفذ، الفارسية، ص١٨١-١٨٣؛ السلاوي، الاستقصاء، ج٣، ص٢٠١-٢٠٢؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ص٤٦.

(٩٥) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٣٩٣؛ السلاوي، الاستقصاء، ج٣، ص٢٠٢.

(٩٦) الكعوب: بطن من عوف بن بهتة من سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ورياستهم في الجاهلية للشريد بن الرياح بن ثعلبة بن عطية بن خفاف بن امرؤ القيس مساكنهم ما بين قابس وبلد العناب من بلاد افريقية، رئيسهم كان عند دخولهم افريقية رافع بن حماد ومن أعقابه بني كعب منهم أولاد مهلهل وأولاد أبي الليل وهم من اكابر ومشايخ العرب . ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٩٤ ، ٩٦؛ القلقشندي ، قلائد الجمان ، ص١٢٧ ؛ السويدي، سبائك الذهب، ص١٤١.

(٩٧) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٣٩٣؛ السلاوي، الاستقصاء، ج٣، ص٢٠٢؛ مقديش، نزهة الأنظار، ص٥٨٢.

(٩٨) أبو بكر السعيد: هو بن ابي عنان المريني من ملوك بني مرين يكنى أبا يحيى، يلقب السعيد بالله، بويع أثناء وفاة والده سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٨م كانت فتره سبعة اشهر وعشرين يوماً كان محجوباً بوزيره حسن بن عمر الفودودي لا يملك ضراً ولا نفعاً كان مستدير الوجه وحسن الأنف أجعد الشعر. توفي سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٩م .المكناسي ، جذورة الاقتباس ، ص١٠٤-١٠٥؛ السلاوي، الاستقصاء، ج٤، ص٣.

(٩٩) حسن بن عمر: الحسن بن عمر الفودودي هو من وزراء الدولة المرينية في بلاد المغرب وزير أبو عنان فارس بن علي والذي اصبح بعد توفي أبو عنان ٧٥٩هـ/١٣٥٨م المسؤول عن تولي ابنه ابي بكر السعيد للحكم واخذ البيعة له وكان هو الوصي عليه والحسن بن عمر المسؤول عن مقتل ابي

عنان خنقاً في فراشه توفي الحسن بن عمر ٧٦١هـ/١٣٦٠م . ابن قنفذ ، الفارسية ، ص١٨٣ ؛ السلاوي ، الاستقصاء ، ج٣ ، ص٢٠٥ .

(١٠٠) موسى بن يوسف الزياني : هو أبي حمو موسى بن ابي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن وهو من ملوك بني زيان ولد في مدينة غرناطة في الاندلس سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م وجاء به والده الى مدينة تلمسان بتوجيه من ابن تاشفين وتربى في تلمسان وعرف حياة الملوك والابهه والترف وتعلم على يد اشهر العلماء وتمكن من العلوم الدينية توفي سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م . ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج١ ، ص٤١ ؛ حاجيات ، ابو موسى الزياني ، ص٧١-٧٢ .

(١٠١) منصور بن سليمان: هو منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق المريني ، كان الناس يقولون ان ملك بلاد المغرب اليه بعد وفاة ابي عنان ٧٥٩هـ/١٣٥٨م ، وذاع صيت ذلك بين الناس وخشى على نفسه وشكى للوزير الحسن بن عمر الفودوي ونهاه عن الوسواس وزجره واستبد الامر له واجتمع بني مرين على كلمته في مدينة تلمسان قام بقتله السلطان أبو سالم المريني سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٩م .السلاوي ، الاستقصاء ، ج٤ ، ص٥ ، ٧ .

(١٠٢) أبو سالم: إبراهيم بن أبي الحسن المريني بن ابي سعيد بن يعقوب بن عبد الحق ، كان جواداً معروفاً بالوفاء كثير الحياء يكنى، أبو سالم، يلقب بالمستعين بالله استولى على ملك المغرب سنة (٧٦٠هـ/١٣٥٩م)، بايعه الحسن بن عمر وتوفي مقتولاً سنة ٧٦٢هـ/١٣٦١م،. ودفن بالقلة بجبل الزعفران وفترة حكمه سنتان وثلاثة اشهر. المكناسي ، جذورة الاقتباس ، ص٨٣؛ السلاوي، الاستقصاء، ج٤، ص٧،ص٣٩.

(١٠٣)غمارة: هي من بطون المصامدة من ولد غمار بن مصمود وقيل غمار بن مصطاف بن مليل بن مصمود ، ويقول البعض انهم من عرب غمروا أنفسهم في الجبال فعرفوا بغماره وهم من شعوب وقبائل كثيرة وأشهرهم بنو حميد وبنو فال. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٨٠-٢٨١.

(١٠٤)ابن قنفذ، الفارسية، ص١٨٣ ؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص٩٩؛ السلاوي، الاستقصاء، ج٤، ص٧-٨ .

(١٠٥) بشير: هو مولى وقائد الجيوش للسلطان أبي العباس احمد في مدينة قسنطينة وبعدها استقل بالبلد كان يمتاز بعقل ومعرفة واسعة وشجاعة وديانة بليغة ورئاسة وفصاحة وحياء دامت مدة رئاسته ٧ سنين اتصف بحسن السيرة بين الناس توفي بمرض أصابه سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م . ابن قنفذ ، الفارسية ، ص١٨٦.

([١٠٦])أبو عبد الله : هو ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا يحيى بن ابي بكر بن يحيى بن ابراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص الهنتاني كبير اولاد أبي زكريا تولى حكم مدينة بجاية من قبل جده ابو بكر بعد وفاة والده ابي زكريا سنة ٧٤٦هـ/١٢٤٥م وكان مستبداً بحكمه وسيء السيرة بين الناس قتله أبي العباس احمد . ابن خلدون ، التعريف ، ص٩٩-١٠٠ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج٢ ، ص١٠٧ .

([١٠٧]) ابن قنفذ، الفارسية، ص١٨٣-١٨٤؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٩٩-١٠٠.

([١٠٨]) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٠٠ ؛ السلاوي، الاستقصاء، ج٤، ص٣٣.

([١٠٩]) منصور بن مخلوف: هو منصور بن الحاج خلوف الباباني من مشيخة بني مرين وأهل الشورى بينهم عقد له السلطان أبو عنان المريني على مدينة قسنطينة سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م. ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص٥٣٩ .

([١١٠])ابن قنفذ، الفارسية، ص١٨٤ ؛ الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص١٠٠.

([١١١]) العبر، ج٦، ص٥٤٦.

([١١٢])المرية: هي مدينة كبيرة في الأندلس قام ببنائها عبد الرحمن الناصر وازدهرت في دولة المنصور بن عامر، فيها دار للصناعة تشمل معدن الحديد والرخام ومن أبوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر وفاكهة المرية تفوق في الوصف وساحلها من أفضل السواحل وبها قصور الملوك العجيبة القديمة، ولم يكن في بلاد الأندلس اكثر جمالاً وذخائراً ومتاجر منها وهي مسورة على حافة بحر الزقاق وهي باب الشرق ومفتاح الرزق اسوارها عالية وقلعتها منيعة هواؤها معتدل ويعمل بها من الحرير ما يفوق غيرها. أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢٠٢؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٤١.

([١١٣]) التعريف بابن خلدون، ص١٠٤ ؛ محمود ، وسمين ، مؤرخو المغرب الأدنى حتى نهاية الدولة الحفصية ، ص٣٧٥.

([١١٤]) ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص١٠٥ ؛ العزاوي، المغرب العربي في العصر الإسلامي، ص١٤٧.

([١١٥]) تدلس: هي مدينة بحرية بين بجايه والجزائر متحصنة لها سور حصين وديار ومتنزهات، وبها من أرخص الفواكه والأسعار والمشارب والمطاعم ما ليس يوجد بغيرها وبها الغنم والبقر وتباع بالأثمان الرخيصة. الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٢٥٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص١٣٢.

([١١٦]) الصفدي ، تاريخ دول الإسلام ، ج٣ ، ص٣٥.ابن عميرة، تاريخ بجاية، ص٢٧٠.

([١١٧]) الصفدي ، تاريخ دول الإسلام ، ج٣ ، ص٣٥.

([١١٨]) سباع بن يحيى: هو من أولاد عامر بن يحيى بن علي بن سباع كنيته أبو السباع ينسب الى الذواودة من بني رياح بن ابي ربيعة بن نهيك بن عامر وهو ابناء داود بن مرداس ملكوا ضواحي مدينتي قسنطينة وبجاية والتلول والزاب . ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص٤٣-٤٥.

([١١٩]) زناته: هم جيل قديم في بلاد المغرب وأخذوا من شعائر العرب مثل سكناهم بالخيام وركوبهم الخيل وشعارهم بين البربر هي اللغة التي يتراطنون بها وهي مختصة بنوعها عن سائر رطانات البربر وموطنهم في صحراء بلاد المغرب وكانت الكثرة والرياسة فيهم ، أما نسبهم انهم من ولد شانا وهو جانا بن يحيى بن صولات بن ورماك بن ضري بن رحيك بن مادغيس بن بربر، وبعضهم يقول انهم من حمير، ومن التبابعة وبعضهم من العمالقة ومن زناته بنو مرين وبنو عبد الواد ملوك تلمسان. (ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٥-٦؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ج١، ص١٧٦-١٧٧).

([١٢٠]) سطيف: هي مدينة أزلية قديمة عليها سور من صخر قديم وهي رخيصة الأسعار كثيرة الفواكه والثمار وغزيرة بالمياه والأنهار والبساتين والأشجار وهي مدينة في جبال كتامه بين مدينة تاهرت والقيروان من أرض البربر ببلاد المغرب ومنها خرج أبو عبد الله الشيعي داعية عبيد الله المهدي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٢٠هـ/ مجهول، الاستبصار في عجاب الأمصار، ص١٦٦.

([١٢١]) تاكرارت: هي مدينة محدثة في بلاد المغرب اختطها قديماً المرابطي يوسف بن تاشفين وتاكرارت تعني المعسكر بلسان البربر ، ومشرفة على بطاح وبقاع فيها من الثمار وأكثره هو الزيتون وهي مسورة وذات أبراج عظيمة وهي مدينة جليلة فيها أسواق وبحار عظيمة. (مجهول، الاستبصار، ص١٨٧؛ عزيز ، يوسف بن تاشفين ٤٠٠-٥٠٠هـ، ص٧٤١).

([١٢٢]) ابن عميرة، تاريخ بجاية، ص٢٦٩؛ غضبان ، والقيسي ، طلائع الدولة الفاطمية في البلاد المغربية ، ص٢٦٧.

([١٢٣]) أولاد محمد: هم من الذواودة أبناء داود بن مرداس بن رياح ورياستهم ليعقوب بن علي بن احمد كبير الذواودة ملكوا نواحي مدينة قسنطينة واقتطعوا كثير من ارياقها ونواحي الزاب . ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص٤٤ ، ٤٧.

([١٢٤]) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٥٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص١٣٢.

([١٢٥]) يعقوب بن علي: هو شيخ الذواودة كبير اولاد محمد من عرب بني رياح له مكانة ومنزلة كبيرة لسنه وشهرته وسيرته الحسنة له محل من السلطان متوارث وهو الذي اقام عنده الرحالة ابن خلدون توفي سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م . ابن خلدون ، التعريف ، ص١٠٦ ، ١٤١ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ص٤٧.

([١٢٦]) التعريف، ص١٠٦ ؛ ابن عميرة، تاريخ بجاية، ص٢٧٠.

([١٢٧]) يحيى بن خلدون، هو أبي زكريا يحيى بن أبي بكر بن محمد بن محمد بن الحسن ابن خلدون الحضرمي المغربي، استكتبه السلطان أبي حمو موسى الزياني، ولد في تونس سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م ، وقتل في تلمسان من اثاره بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد، حفظ الفقه والحديث وله معرفة بالتاريخ القديم والحديث الف لسلطانه أبي حمو الزياني كتاباً مدحه فيه .توفي سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م. يحيى ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج١ ، ص١٨؛ ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص٦٥؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج١٣، ص٢٢٨.

([١٢٨]) بسكرة: هي كورة فيها مدن كثيرة قاعدتها بسكرة وهي بلاد الزاب بالمغرب كثيرة النخل والزيتون عليها خندق وفيها جامع ومساجد كثيرة سكنها المولدون وحولها قبائل البربر وبنو مغراوة وبني خزر. البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٧١٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص١١٣.

([١٢٩]) أحمد بن يوسف بن مزني: هو أحمد بن يوسف بن منصور بن فضل بن علي بن أحمد بن حسن الفزاري البسكري المغربي كان من أمراء العرب صاحب ثروة ومعرفة من آل مزني، رفض طاعة الأمراء الحفصيين وامتنع عن أداء الخراج لهم واحتمى بالأعراب المجاورين أذعن للسلطان الحفصي أبي العباس احمد اثناء محاصرته بسكره ٧٨٦هـ/١٣٨٤م. كان مدة حكمه ٣٧ سنة. توفي سنة ٨٠٤هـ/١٤٠٢م . السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٢٥١؛ نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص٢٩٣-٢٩٤.

([١٣٠]) ابن خلدون، التعريف، ص١٠٦-١٠٧ ؛ ابن عميرة، تاريخ بجاية، ص٢٧٠.

([١٣١]) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٥١.

([١٣٢]) أبي زيان بن عثمان: هو أبي زيان محمد بن عثمان بن عبد الرحمن المعروف القبي ومعناه عظيم الرأس ، من ملوك تلمسان ورابع ملوك الدولة الزيانية في دورها الثاني ، أغار على أحواز ملويه ودخل البطحاء استخدمه أبي العباس احمد ضد خصمه أبي حمو الزياني سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٦م، واستولى على المرية ومليانه والجزائر. قتل سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م . الصدفي، تاريخ دولة الإسلام، ج٣، ص٣٦؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ١٧٠-١٧١.

([١٣٣]) ابن قنفذ، الفارسية، ص١٨٦.

([١٣٤]) أبو إسحاق إبراهيم: هو ابن المولى أبي يحيى بن عبد الرحمن بن ابي يحيى زكريا بن محمد المستنصر بن ابي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص الهنتاتي ، كانت فترته بين حرب وهدنة مع الاعراب وبني مرين توفي سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٩م . ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص١٧٠-١٧١.

([١٣٥]) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٥١-٥٥٢ .

([١٣٦]) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٥٢.

([١٣٧]) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٥٢؛ ابن عميرة، تاريخ بجاية، ص٢٧٠-٢٧١.

([١٣٨]) بني زغبة: هي قبيلة من اخوة بني رياح أبناء ابي ربيعة بن نهيك ابن هلال ابن عامر وكانت لهم عزة وكثرة عند دخولهم افريقية سيطروا على نواحي قابس وطرابلس. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٤.

([١٣٩]) المطوي ، السلطنة الحفصية ، ص٤٥٦-٤٥٧.

([١٤٠]) ابن قنفذ، الفارسية، ص١٨٦.

([١٤١]) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٥٢؛ ابن عميرة، تاريخ بجاية، ص٢٧١.

([١٤٢]) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٥٢؛ ابن عميرة، تاريخ بجاية، ص٢٧١.

المصادر والمراجع

١- **ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت: ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)**.الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط١، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٣م.

٢- **ابن الأحمر، أبي الوليد إسماعيل بن يوسف الغرناطي الأندلسي (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)**.مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تح: محمد التركي، المركز الجامعي للبحث، الرباط، ١٩٣٣م.

٣- **التنبكتي، احمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد الصنهاجي السوداني (١٠٣٦هـ)**. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله، ط٢، دار الكتب، طرابلس، ٢٠٠٠م.

٤- **ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (١١١٠هـ/ ١٦٩٨م)**.المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط٣، دار المسيرة، لبنان، ١٩٩٣م.

٥- **الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحموي الحسني (٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)**.نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١،عالم الكتب، بيروت، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

٦- **البسيلي، أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد (ت: ٨٣٠هـ/ ١٤٢٨م)**. نكت وتنبيهات في تفسير القرآن، تح: محمد الطبراني، ط١، منشورات وزارة الأوقاف، المغرب، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٧- **لسان الدين ابن الخطيب، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)**. الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٨- **ابن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٨٦٢هـ/ ١٤٧٧م)** الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، ت: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، بسكرة، ١٩٨٤م.

٩- **العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)**. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: مظفر مسلم وإبراهيم صالح، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

١٠- **ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي (١٠٨٩م)**. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الارناؤوط، ط١، دار ابن كثير، بيروت، (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

١١- **ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله (٨٨٤هـ/ ١٤٧٠م)**.المنهل الصافي والمستودع بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية، مصر، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٢- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الاشبيلي (٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)**.العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

١٣- **ابن عذاري، ابي العباس أحمد بن محمد (٧١٢هـ/ ١٣١٣م)**. البيان المغرب في اختصار ملوك الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب، تونس، (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م).

١٤- **ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)**. الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٨م.

١٥- **ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (١٣٦٠هـ)**. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

١٦- **أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).** تقويم البلدان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٧- **المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى (١٠٤١هـ).** نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ج١، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

١٨- **البكري، أبي عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).** المسالك والممالك، تح: اندري فيري، ط١، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٢م.

١٩- **حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسنطيني (١٠٦٧هـ).** سلم الوصول الى طبقات الفحول، تح: محمود عبد القادر، مكتبة ارسيكا، تركيا، ٢٠١٠م.

٢٠- **الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).**معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

٢١- **الحميري، أبا عبد الله محمد عبد المنعم (٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م).** الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: احسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٢- **الزركشي، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ (٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م).** تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، ط٢، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦م.

٢٣- **السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).** الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٢٤- **السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الأنصاري (١٣١٥هـ).** الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، المغرب، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٢٥- **السنوسي، أبي عبد الله محمد بن عثمان (ت: ١٣١٨هـ).** مسامرات الظريف بحسن التعريف، تح: محمد الشاذلي النيفر، ط١، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٦- **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان (٩١١هـ/ ١٥٠٥م).**لب اللباب في تحرير الأنساب، تح: محمد أحمد عبد العزيز، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٢٧- **الطواح، عبد الواحد محمد (القرن الثامن).**سبك المقال لفك العقال، تح: محمد مسعود جبران، ط٢، منشورات جمعية الدعوة، طرابلس، ٢٠٠٧م.

٢٨- **العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن الكناني (٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)**.انباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسين حبشي، لجنة إحياء التراث، القاهرة، (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

٢٩- **العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)**. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: مظفر مسلم وإبراهيم صالح، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

٣٠- **القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)**. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.

٣١- **القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)**. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الايباري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٣٢- **القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)**.نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد، (١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م).

٣٣- **مجهول، مؤلف (القرن السادس الهجري)**. الاستبصار في عجايب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.

٣٤- **المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)**. أخبار الزمان وعجاب البلدان، ط١، دار الأندلس للطباعة، بيروت، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

٣٥- **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)**. السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٣٦- **المكناسي، أحمد بن محمد بن أبي العافية (ت: ١٠٢٥هـ)**. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٣م.

٣٧- **الوزان، الحسن بن محمد (٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م)**. وصف افريقيا، ط١، مكتبة الأسدي، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٣٨- **يحيى بن خلدون، ابي زكريا يحيى بن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسين (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)**. بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الوأد، تح: عبد الحميد حاجيات، ط١، عالم المعرفة، الجزائر، ٢٠١١م.

المراجع :

١- **برنشفيك، روبار**. تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
٢- **ابن عميرة، محمد**. تاريخ بجاية، ط١، دار الفاروق، الجزائر، (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).
٣- **الترجمان، أبي محمد عبد الله الميورقي (٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م)**. تحفة الاريب في الرد على أهل الصليب، تح: عمر وفيق الداعوق، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
٤- **الجمل، شوقي عطا الله**. المغرب العربي الكبير، ط١، مكتبة الانجلو، القاهرة، ١٩٧٧م.
٥- **مقديش، محمود**. نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب، بيروت، ١٩٨٨م.
٦- **المنوني، محمد عبد الهادي**. الركب الحجازي، مطبعة المخزن، تطوان، ١٩٥٣م.
٧- **حاجيات، عبد الحميد**. أبو حمو موسى الزياني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
٨- **حركات، ابراهيم**. المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ١٩٧٨م.
٩- **الدراجي، بوزياني**. القبائل الامازيغية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج١، ٢٠٠٧م.
١٠- **سالم، عبد العزيز**. تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.
١١- **السويدي، أبي الفوز محمد أمين البغدادي**. سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
١٢- **الصدفي، رزق الله منقريوس (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م)**. تاريخ دول الاسلام، مطبعة الهلال، مصر، د.ت.
١٣- **ضيف، شوقي**. عصر الدول والامارات، دار المعارف، القاهرة، ١١١٩م.
١٤- **عبد الوهاب، حسن حسني**.العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، تح: محمد العروسي، ط١، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٠م.
١٥- **عبد الحميد، عفاف عبد الجبار**. الحياة السياسية والحضارية للدولة الحفصية في عهد السلطان ابو فارس عبد العزيز (٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م- ٨٣٧-١٤٣٣م)، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد٩٥، ٢٠١١م.
١٦- **العزاوي، عبد الرحمن حسين**. المغرب العربي في العصر الاسلامي، دار الخليج، عمان، ٢٠١٠م.

١٧- **الغنيمي، عبد الفتاح مقلد.** موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).
١٨- **فروخ، محمد.** تاريخ الأدب العربي، دار العلم، بيروت، ١٩٨٣م.
١٩- **كحاله، عمر رضا.** معجم المؤلفين، مطبعة الترقي، دمشق، (١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م).
٢٠- **محفوظ، محمد.** تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب، بيروت، ج٢، ١٩٨٢م.
٢١- **المزاري، الاغا بن عودة.** طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى أواخر القرن التاسع عشر، تح: يحيى بو عزيز دار الغرب، وهران، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

المجلات:

١- **عزيز، سناء خدا كرم.** يوسف بن تاشفين (٤٠٠-٥٠٠هـ)، مجلة الأستاذ، كلية اللغات، جامعة بغداد، مج١، العدد ٢١٢، ٢٠١٥م.
٢- **غضبان، علي حسن وبخيت، خليل جليل.** طلائع الدولة الفاطمية في البلاد المغربية، مجلة الأستاذ، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، مج٢، العدد٥، ٢٠١٦م.
٣- **القيسي، خليل جليل بخيت.** الظهور السياسي لبني حفص على الساحة المغربية، مجلة الأستاذ، كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، مج، العدد ١٨٦، ٢٠١١م.
٤- **محمود، ليث شاكر، سمين، وسن.** مؤرخو المغرب الأدنى حتى نهاية الدولة الحفصية، مجلة الأستاذ، كلية التربية – ابن رشد، جامعة بغداد، العدد ٩٣، ٢٠٠٩م.

التراجم من خلال كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م)

iographies were written through the book "Deaths of Notable People and News of the Sons of Time" by Ibn Khallikan (d. 681 AH/1282 AD).

حنين كامل جميل

Hanin Kamel Jameel

h6331990@gmail.com

أ. د عبد الستار مطلك درويش

Prof. Dr. Abdul Sattar Mutlaq Darwish

art.stvarwafh@uoanbar.edu.iq

كُتب التراجم من خلال كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م)

حنين كامل جميل

أ. د عبد الستار مطلك درويش

الملخص:

يُعد موضوع كُتب التراجم من خلال كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م)، من المواضيع المهمة إذ يركز على أهم كُتب التراجم التي ذكرها المؤلف عندما تناول ترجمة الشخصيات والأعيان في كتابه ولاهية كُتب التراجم في مسيرة الباحثين ولاسيما من يكتب في المواضيع التاريخية إذ أنه يحتاج كثيراً إلى كُتب التراجم من أجل ترجمة الشخصيات ومعرفة نسبهم وكناهم وتاريخ وفاتهم ومدنهم اخترت هذا الموضوع.

Abstract:

The subject of biographical books is the book "Deaths of Notable People and News of the Sons of Time" by Ibn Khallikan (d. 381 AH, 1282 AD). It is an important topic as it focuses on the most important biographical books mentioned by the author when he discussed the biography of personalities and notables in his book, "The Interesting Books of Biography in the Journey of Researchers." Especially those who write on historical topics, as they often need biographical books in order to translate personalities and know their lineage, nicknames, dates of death, and cities. I chose this topic.

المقدمة

لم تكن العرب قبل الاسلام تعرف الكتابة ولا التدوين وكانوا يتناقلون اخبارهم وانسابهم وتاريخهم نقلاً شفوياً، وبعد نزول الوحي على سيدنا محمد(ﷺ) اصبح هناك كُتاب من الصحابة يرافقون النبي محمد (ﷺ) لكتابة كل ما ينزل عليه من آيات القران الكريم، واصبح طلب العلم فريضة على كل مسلم، ولقد بدأت عملية التدوين في القرن الثاني للهجرة لكتب الانساب والتراجم فضلاً عن كتب السير والمغازي والتأليف في العلوم الاخرى، واصبحت الدولة العربية الاسلامية تهتم كثيراً بعملية التدوين والتأليف في مختلف العلوم حفظاً لها من الضياع، وان ابن خلكان احد المؤلفين الذين كتب في تراجم الاعيان فترجم لهم وذكر

انسابهم وسنة وفاتهم ومؤلفاتهم واعمالهم، وان موضوع البحث يسلط الضوء على اهم كتب التراجم التي كتبها المؤلفون السابقين والذين ترجم لهم ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان، والهدف من الدراسة معرفة هذه الكُتب والتحدث عن مضمونها ولمن ترجمت من الشخصيات والاعيان ومعرفة عصرهم واخذ نبذة مختصرة عن مؤلفها ولقد قسم البحث الى مبحثين تسبقهما مقدمة وتلحقهما خاتمة، كان المبحث الاول عن المؤلف شمس الدين ابن خلكان اسمه ونسبه وكنيته ونشأته العلمية، وجاء المبحث الثاني بعنوان كتب التراجم من خلال كتاب وفيات الأعيان، تناولنا فيه أهم كتب التراجم التي ذكرها المؤلف.

المبحث الاول – اسمه ونسبه وحياته ونشأته العلمية:

أولاً: اسمه ونسبه: هو شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان[١] بن باوك بن عبد الله بن شاكل بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي[٢] الإربلي الشافعي، ولد يوم الخميس ١١ شهر ربيع الآخر سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م)[٣].

في المدرسة المظفرية[٤]، قال ابن خلكان[٥] " ومولدي يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة بمدينة إربل بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين" وكان والده يدرس فيها[٦] بمدينة أربل[٧]، والأسرة تنتسب الى قبيلة الاكراد الزرزارية[٨].

ثانياً– القابه وكناه : لقب ابن خلكان بالبلخي لان والديه اصلهما من بلخ[٩] والدمشقي لأنه سكن دمشق وتولى القضاء فيها ودرس في مدارسها، ووافته المنية فيها[١٠] ولقب ايضاً بشمس الدين ابن خلكان[١١] ويقال: ان لفظ خلكان مكون من الفعلين خل أمراً، أي اترك اذ كان يكثر القول من كلمة كان فيقول كان والدي كذا وكان جدي كذا[١٢] وقيل ان خلكان اسم قرية من اعمال مدينة اربل[١٣]، وأن القرية سميت كذلك باسم جد الأسرة، ونسبت[١٤] ولقب بالاربلي نسبة الى مدينة اربل التي ولد فيها[١٥] وكان يكنى بأبو العباس[١٦].

ثالثاً– حياته واسرته:: كان من بيت علم، إذ تؤكد المصادر، أن بيت بني خلكان كان مشهوراً بالفقه بشكل خاص، والعلم بشكل عام، لاسيما ان جده أبا بكر بن خلكان (ت:٥٢٥هـ/١١٣٠م) قد اشتغل في الفقه على يد الشيخ الشيرازي [١٧] (ت: ٤٧٦هـ/١٠٨٣م)[١٨]، وأنه أول من اشتغل بالفقه من أهله بمدينة اربل، وكان أبو سعيد كوكبوري (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٦م)[١٩] صاحب مدينة أربل يرسله إلى مكة المكرمة لتوزيع

الصدقات على المحتاجين من الناس[٢٠]، وكان عمه، أبو عبد الله ركن الدين الاربلي (ت: ٦٢٣هـ/ ١٢٢٤م) عالماً بالفقه، وكانت له معرفة بالمذهب وله سمة حسن ووقار، و كان يدرس بعدة مدارس بمدينة أربل[٢١]، أما والده شهاب الدين محمد (ت:٦١٠هـ/١٢١٢م)[٢٢]، فكان له الفضل الأكبر في تكوينه كمؤرخ، إذ كان من كبار شيوخ مدينة أربل، إن لم يكن أكبرهم، وكان مشايخ مدينة أربل والموصل[٢٣] وما حولها من المدن يحملون لوالده الاحترام والتقدير وكان والده يدرس في المدرسة النظامية[٢٤]، في مدينة بغداد، وله مكانة عند صاحب مدينة أربل السلطان مظفر الدين أبو سعيد كوكبوري حاكم أربل، ثم اصبح والد ابن خلكان مدرساً بالمدرسة المظفرية[٢٥]، كذلك شقيقه الأكبر أبو عبد الله الملقب ببهاء الدين بن خلكان [٢٦]، كان عالماً بالفقه ولقد تولى قضاء مدينة بعلبك [٢٧]، حتى وفاته سنة(٦٨٣هـ/١٢٨٤م)[٢٨] قال اليونيني[٢٩] :" اشتغل بالفقه، وسمع الحديث النظير".

رابعاً- نشأته العلمية: على الرغم من أن والده توفي سنة(٦١٠هـ/١٢٣م) وهو في الثانية من عمره[٣٠]، إلا أنه كان حريصاً، على أن يسلك أبنه الطرق العلمية، فأخذ له الإجازات من العلماء المشهورين في عصره، فنال إجازة من زينب بنت الشعري (ت: ٦١٥هـ/١٢١٩م)[٣١]، وكان عمره في وقتها سنتين[٣٢]، فكان له حق الرواية لما روته عن أولئك الأعلام وأجاز له عبد المعز بن محمد الهروي ،(ت:٦١٨هـ/١٢٢٠م)[٣٣]، وكانت تلك الإجازات بداية له للانطلاق في ميدان العلوم فبعد وفاة والده خلفه في التدريس في المدرسة المظفرية، ابن منعة[٣٤] سنة(٦١٠هـ/١٢١٢م)[٣٥]،من أوائل الأساتذة الذين تلقى العلم منهم، إذ كان مواظبا على حضور دروسه منذ صغره[٣٦]، قال ابن خلكان[٣٧] : " كنت أحضر دروسه وأنا صغير، وما سمعت أحدا يلقي الدروس مثله "، وكان له دور كبير في تعليم ابن خلكان في صغره[٣٨] قال ابن خلكان[٣٩] " لقد كان من محاسن الوجود، وما أذكره إلا وتصغر الدنيا في عيني"، ولقد سمع وهو في سن الثالثة عشرة من عمره، صحيح البخاري من الشيخ ابن مكرم الصوفي(ت:٦٢١هـ/١٢٢٣م)[٤٠]، وعندما كبر ابن خلكان روى عنه[٤١] وكذلك حرص على حضور مجلس المؤرخ أبي البركات ابن المستوفي،(ت:٦٣٧هـ/١٢٣٩م)[٤٢]، وعد مجلسه أكبر مجال ثقافي في مدينة أربل ، إذ سمع بسماعه على المشايخ الواردين على مدينة أربل، ولم يقتصر اعتماده على هؤلاء فقط

بل اهتم على الالتقاء بالعلماء والأدباء الوافدين إلى مدينة أربيل ، وحرص على أن يأخذ منهم، فقد التقى سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٥م)، بالشاعر ابن عدين[٤٣]، وكذلك عاصر بالمؤرخ المشهور ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٣م)[٤٤]، والتقاء به وقال عنه : " كان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم"[٤٥]، والتقاء بالمؤرخ ابن شداد (ت: ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)[٤٦]، وذهب اليه واستقر عنده حتى وفاة ابن شداد وقد تنقل على دور العلم والمدارس التي كانت منتشرة في بلاد الشام، مثل المدرسة العزيزية[٤٧] والمدرسة العادلية[٤٨]، لطلب العلم[٤٩].

المبحث الثاني- كتب التراجم والانساب من خلال كتاب وفيات الاعيان:

اولاً- التعريف بعلم التراجم والانساب: هو علم يتناول سير وحياة الاعلام من الناس عبر العصور التاريخية المختلفة فصار لهم ذكر واثر، لهذا نقف في كتب التراجم على اصناف البشر، اذ يعد علم دقيق يبحث في احوال الشخصيات والافراد من الناس الذين كانت لهم اثاراً في المجتمع ، ويتناول هذا العلم جميع طبقات الناس من الانبياء والرسل والخلفاء والملوك والامراء والعلماء والفقهاء والادباء والشعراء، ويهتم بذكر انسابهم واثرهم في الحياة[٥٠].

ثانياً- كتب علم التراجم والانساب والطبقات:

١ - **أبو اسحاق الشيرازي** ، الإمام أبو إسحاق جمال الدين إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزأباذي، (ت: ٤٧٦هـ/١٠٨٤م)[٥١].

له كتاب طبقات الفقهاء: هو كتاب مختصر في ذكر اعلام الفقهاء وأنسابهم، وأعمارهم وذكر تاريخ وفاتهم ، وذكر علمهم ومن ثناء الفضلاء عليهم، وذكر من أخذ عنهم العلم من أتباعهم وأصحابهم وتلاميذهم، ولقد بداء المؤلف بذكر فقهاء الصحابة (رضي الله عنهم)، ثم التابعين وتابعي التابعين وذكر فقهاء الأمصار وبعدها ذكر فقهاء المذاهب الخمسة، ويعد كتابه مصدرا مهما للكثير من المراجع التي تنقل عنه وهومختصر في النسب [٥٢].

٢ - **أسعد ابن مماتي** ،أسعد بن الخطير أبي سعيد مهذب،(ت:٦٠٦هـ/١٢١٦م)[٥٣].

له كتاب لطائف الذخيرة و طرائف الجزيرة: ذكر فيه الوافدين الى جزيرة الاندلس وهو مختصر لكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، ولقد قسمه الى ثلاثة أجزاء:

الأول: في المختار من الأشعار على ولاء ما ألف ونسق ما صنف والثاني: فيما دلّ ابتسام نواجذه، على دقائق مآخذه، مما تشاكلت معانيه وتماثلت مبانيه، والثالث: في سحر عيون الأخبار، وما يستدل به على أن وجوه الآثار ألسنة الآثار، وسماه لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة [٥٤].

٣ – **السيرافي** ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان،(ت:٣٦٨هـ/٩٧٨م)[٥٥].

لـه كتـاب أخبـار النحـويين البصـريين: وهو من كتب التراجم ذكر فيه مشاهير النحويين وبعض أخبارهم وذكر أخذ بعضهم العلم عن بعض و يدخل الكتاب في دائرة اهتمام المتخصصين في علوم اللغة العربية و ادابها والمختصين بكتب الطبقات والتراجم[٥٦].

٤ – **ابن بشكوال** ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود،(ت:٥٧٨هـ/١١٨٣م)[٥٧].

له كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس[٥٨] : جمع فيه المؤلف ابن بشكوال تراجم اعيان وعلماء وفقهاء بلاد الاندلس مرتباً اسمائهم ترتيباً حسب الحروف الابجدية، ولقد فرغ من تأليف كتابه سنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م) ، ويعد الكتاب تكملة وذيل لكتاب، تاريخ علماء الاندلس، للمؤلف ابن الفرضي، ويمثل هذا الكتاب الجزء الثاني من سلسلة تراجم علماء الاندلس الذي الف جزئها الاول ابن الفرضي، ولقد جعل ابن بشكوال كتابه الصلة ذيلا له[٥٩]. قال ابن الابار[٦٠] " ألف خمسين تأليفا في أنواع مختلفة أجلها كتاب الصلة"، واتبع في كتابه نهج أستاذه ابن الفرضي من حيث تبويب الأسماء حسب حروف المعجم كل اسم في باب، وذكر ميلاد ووفاة ورحلته وشيوخه من العلماء، وهو أكثر اهتماماً بالأدباء والشعراء من ابن الفرضي، فلا يكاد يذكر شاعراً إلا ويورد له مختارات من شعره[٦١].

٥ – **خليفة بن خياط**، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني، (ت:٢٤٠هـ /٨٥٥م)[٦٢].

له كتاب الطبقات: ترجم المؤلف لعدد كبير من رجال الحديث الشريف خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى، ويضم كتابه تراجم ما يقارب ٣٣٧٥ من الصحابة (ﷺ) والتابعين وتابعيهم رجالًا ونساء, ولقد بدأ المؤلف كتابه بالتحدث عن سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم أخذ يترجم للصحابة، حتى إذا تحدث عن الأمصار ترجم لصحابة كل مصر ثم لتابعيها، وأما الصحابيات فوضع لهن بابًا خاصًّا في آخر كتابه[٦٣] وبدأ كتابه بترجمة الرسول (ﷺ)

ثم عمه العباس (ﷺ)، ثم الهاشميين من آل النبي (ﷺ) ثم ترجم للأمويين، ثم تناول سائر بطون قريش، ثم ترجم للقبائل[٦٤] .

٦ – **ابن عبد البر**، يوسف بن عبد الله بن محمد بن،(ت:٤٦٣هـ/ ١٠٧٤م) [٦٥].

له كتاب: الاستيعاب في معرفة الاصحاب: بدأ كتابه بذكر نسب النبي محمد (ﷺ) وتناول سيرته ، ثم تناول ترجمة اسماء الصحابة وروايتهم ومن روى عنهم ولقد رتبهم على حروف المعجم ، ويعد الكتاب من اوائل الكتب التي ألفت في ذكر وترجمة الصحابة (ﷺ) من الرجال والنساء[٦٦].

٧ – **الزبير بن بكار**، الزبير بن بكر بن بكار وكنيته أبو بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي الزبير، (ت:٢٥٦هـ/٨٧٠م)[٦٧].

له كتاب جمهرة نسب قريش واخبارها: الفه في نسب قبيلة قريش، اذ تناول نسبهم واخذ افرادها فردا فردا و بين ما امتازوا به، وقد اعتمد على كتاب عمه مصعب بن عبد الله الزبيري(ت: ٢٣٦هـ/٨٥١م): (نسب قريش)، ولقد زاد عليه في الأعلام والأخبار والاشعار[٦٨].

٨ – **أبو المعالي الحظيري** أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي الحظيري، الأديب، من أهل بغداد من قراها المعروف بدلال الكُتب (ت: ٥٦٨هـ/١١٧٢م)[٦٩].

له كتاب زينة الدهر وعصرة أهل العصر وذكر ألطاف شعراء العصر: الفه لترجمة لكثير من شعراء العصر العباسي(١٣٢-٦٥٦هـ / ٦٥٠ – ١٢٥٨م) ،وكان هذا الكتاب ذيله على كتاب دمية القصر الباخرزي (ت: ٤٦٧هـ/١٠٧٥م) [٧٠] وقيل" كانت لديه معارف وله نظم جيد وألف مجاميع ما قصر فيها منها : كتاب زينة الدهر وعصرة أهل العصر وذكر ألطاف شعر العصر الذي ذيله على : دمية القصر للباخرزي"[٧١] وجمع فيه لطبقة كبيرة من أهل عصره ومن تقدمهم من الشعراء، وأورد لكل واحد منهم ترجمة وبعض من أحواله وشيئاً من شعره،[٧٢] .

٩ – **ابن الفرضي**،عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأندلسي ، ،(ت: ٤٠٣هـ /١٠١٣م)[٧٣].

ومن ابرز كتابه تاريخ علماء الأندلس: ألفه في علماء وفقهاء بلاد الاندلس ورواة العلم والحديث الشريف، ولقد تناول فيه اعيان بلاد الاندلس و رتبهم حسب الحروف المعجم واختصر في ايراد ترجمتهم ولكن ذكر اسمائهم وكناهم وانسابهم، ثم ذكر من كان له منصب مرموقاً(٧٤).

١٠ – **الرشاطي**، أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف بن أحمد بن عمر اللخمي الأندلسي كان عالما بأسماء الرجال والرواة، (ت:٥٤٢هـ/١١٤٧م)(٧٥).

له كتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار: تناول فيه المؤلف عدداً من رواة الحديث النبوي من الصحابة، فذكر اسم البلد وموقعها ثم يذكر من انتسب اليها من الرواة(٧٦)، قال ابن كثير(٧٧):"هو من أحسن التصانيف الكبار"، ويعد من الكتب القديمة في الأنساب،(٧٨) ، قال لسان الدين ابن الخطيب(٧٩) : " كان كاتبا وافر الحظ من الأدب، يقرض شعرا لا بأس به". وان الكتاب له اهمية كبيرة لدى الباحثين وفيه فوائد كثيرة (٨٠) .

١١ –**ابن يونس** ، عبد الرحمن بن أبي الحسن أحمد بن أبي موسى ،(ت:٣٤٧هـ/ ٩٥٧م)(٨١).

له كتاب تاريخ ابن يونس: تناول اعيان مصر من الصحابة(رضي الله عنهم) والتابعين الذين دخلوا بلاد مصر، فضلا عن اصحاب المناصب العليا والعلماء والفقهاء والادباء، وقد بدأ المؤرخ ترجمته من الفتح الاسلامي لمصر سنة (٢٠هـ/٦٣٠م) الى وفاته سنة(٣٤٧هـ/٩٥٧م) ولقد قسم كتابه الى ابواب وجعل باباً خاص للنساء، فضم الكتاب تراجم الصحابة والتابعين ثم الولاة والقضاة والشهود والقواد والامراء كما ذكر القليل من الادباء والمؤرخين(٨٢) .

١٢ – **الثعالبي**، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ،(ت:٤٢٩هـ/١٠٣٧م)(٨٣).

له كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: يتخصص بتراجم شعراء عصر المؤلف الثعالبي، ولقد قسم كتابة الى اربع اقسام على حسب تقسيم الأقاليم،(٨٤)،ولقد اعتمد على المشافهة، فإن تعذر عليه ذلك فيأخذ ممن شافههم، فإن تعذر عليه ذلك فيأخذه من دواوين الشعراء(٨٥).

١٣ – **عماد الدين الكاتب الاصبهاني**،محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجا حامد بن محمد بن عبد الله بن علي، (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٩م)[٨٦].

له كتاب خريدة القصر وجريدة العصر: ترجم فيه لشعراءعصر والده وشعراء عصره اي القرن الخامس والقرن السادس للهجرة وهو ذيل لكتاب يتيمة الدهر للثعالبي، ودمية القصر للباخرزي، ولم يقتصر في كتابه على قطر من الأقطار[٨٧] قال عماد الدين الكاتب[٨٨] " وقد ذكرت أهل عصري، وأهل عصر آبائي وأعمامي، فالكتاب مشتمل على العصرين: السالف الماضي، والحاضر النامي " ،وتكمن قيمة الكتاب في كونه قد شمل المساحة المكانية الكبيرة من الأرض الإسلامية، وجعل المؤلف قسماً لكل بلد من هذه البلدان[٨٩].

١٤ – **السمعاني**، عبد الكريم بن أبي بكر محمد بن أبي المظفر،(ت:٥٦٢هـ/١١٧٣م)[٩٠].

له كتاب الأنساب: جمع فيه المؤلف عامة ما ظفر به من النسب وزاد عليه ثم استنبط منها واطلقها على جماعة وزاد جملة من الألقاب والأوصاف ولم يقتصر في كل نسبة على ذكر شخص واحد تطلق عليه وكان يزيد على ذلك كثيرا ولم يقتصر في ذكر الرجل في الترجمة بل يضع له ترجمة قد تطول احياناً [٩١]، قال السمعاني[٩٢]" فشرعت في جمعه بسمرقند في سنة خمسين وخمسمائة وكنت اكتب الحكايات والجرح والتعديل بأسانيدها ثم حذفت الأسانيد لكيلا يطول وملت الى الاختصار ليسهل " ولقد تناول نسب النبي محمد (ﷺ) ونسب بني هاشم ونسب قبيلة قريش ثم تناول نسب العرب واصلهم[٩٣].

١٥ – **الحافظ عبد الغني** ، سعيد بن علي سعيد بن بشر بن مروان،(ت:٤٠٩هـ/ ١٠١٩م)[٩٤]

له كتاب مشتبه النسبة: وهو من المصادر المهمة في الانساب اذ يتناول الاسماء المتشابه وانساب العرب وبطونها والالقاب منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع الهجري ولقد رتب عناوين التراجم على حروف المعجم[٩٥]، قال ابن خلكان[٩٦]: كان حافظ مصر في عصره، وله تواليف نافعة منها مشتبه النسبة".

١٦ – **الدارقطني** ،علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود ، (٣٨٥هـ/٩٩٤م)[٩٧].

له كتاب ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم: خصصه لطبقة التابعين ومن جاء بعدهم من اتباع التابعين وعن من صحت له

رواية عن الثقات الذين ذكرهم الامام البخاري في كتابه كتاب صحيح مسلم ولقد رتب اسماء التابعين والرواة الثقات في كتابه على حروف المعجم[٩٨].

١٧ – **ابن ماكولا** ، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن علي ،(ت:٤٧٨هـ/١٠٨٨م)[٩٩].

له كتاب الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب :ناول فيه المؤلف ما شذ او اسقط عن كتب من سبقه من المؤلفين السابقين وذكر ما تشابه من الاسماء والانساب والكنى والالقاب وما اختلف، وما تحتاجه من التوضيح والبيان ولقد رتبه على حروف المعجم وقدم الصحابة التابعين وتابعيهم ثم الأقدم فالأقدم[١٠٠].

١٨ –**أبو الفرج الأصبهاني**، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان الأموي،(ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)[١٠١].

ومن ابرز كتبه: كتاب مقاتل الطالبيين: ترجم لمقاتل الطالبيين ابناء عم النبي محمد (ﷺ) ولقد بدأ تأليف كتابه سنة (٣١٣هـ/ ٩٢٤م) وتناول فيه ترجمة الشهداء من ذرية ال ابي طالب منذ عصر الرسول (ﷺ) الى الوقت الذي بدأ فيه كتابه[١٠٢] ، وترجم فيه لأكثر من مائتين من شهداء الطالبيين، الذين استشهدوا في حرب أو كانوا صريع السم، أو هلكوا في سجن أو هرباً من السلطان، ورتب الكتاب على السياق الزمني التاريخي ، لا على قدر مراتبهم في الفضل الفساد، وجعل كتابه مختصراً فذكر اسمائهم وأخبارهم وسيرهم ومقتلهم، واول من ترجمه له في كتابه هو سيدنا جعفر بن ابي طالب (رضي الله عنه)[١٠٣].

١٩ –**ابن عساكر**، علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله ،(ت:٥٧١هـ/١١٨١م) [١٠٤].

له كتاب: تاريخ دمشق: يعد أنه أكبر التأليف وأكثرها شمولا وذيوعاً وله اهمية تاريخية عن تاريخ مدينة دمشق أحد أكبر معاقل الدولة العربية الاسلامية على مختلف العصور[١٠٥]،ويعد الكتاب موسوعة حديثية وانه من اكبر وأوسع المصادر في التراجم في سير وتراجم الرجال اذ يمكن استخلاص منه كتب وأسفار في مجالات وعلوم وفنون كثيرة لاسيما إن الكتاب مرجع لعلماء الحديث وذلك لاحتوائه على الكثير من الاحاديث النبوية الشريفة[١٠٦]، ولقد قيل عن الكتاب " ما أظن هذا الرجل إلا أنه عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع

الإنسان فيه مثل هذا الكتاب"[١٠٧] ، ذكر مروياتهم ويبين حالهم وما هم عليه من الضعف أو أو التوثيق ويصحح أسمائهم اذا اقتضى ذلك ويذكر سنة الوفاة عند التراجم للرجال وهو بهذا يحدد طبقة اسم المترجم له، وعندما يسرد الخبر يسرد جميع الروايات التاريخية بأسانيدها المتعلقة بالخبر، وانه جمع أكبر عدد من الاعيان والعلماء و والشخصيات ورجال الثقافة العربية الاسلامية لاسيما اصحاب الشأن منهم وكذلك ترجم لمن برز قبل ظهور الاسلام أيضاً [١٠٨].

٢٠ – **ابن الأثير**، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني،(ت٦٣٠هـ/١٢٤١م)[١٠٩].

ومن ابرز كتبه: اسد الغابة في معرفة الصحابة: يهدف الى تراجم الصحابة وذكر حياتهم وافعالهم، لما لهم من فضل في نصرة الاسلام ونشره ولقد كتب المؤلفون السابقون كتباً كثيرة، وتناولوا فيها الكثير من اسمائهم في كتب التراجم والأنساب والمغازي، إلا أنه الذي ذكروه، بعضهم من أسمائهم لم يذكرها البعض الاخر، فأراد المؤلف ان يجمع في كتابه كل من كانت له صحبة ولقد ابتداء المؤلف كتابه بوضع فصلاً لسيرة النبي محمد (ﷺ)، اما فصول الكتاب فكانت تخص تراجم الصحابة ولقد بلغ عددهم (٧٥٥٤) ترجمة للصحابة من الرجال والصحابيات من النساء ورتبهم على حروف المعجم، وخصص المجلد الاخير للنساء من الصحابيات[١١٠].

وله ايضاً كتاب : اللباب في تهذيب الانساب: يتناول الكتاب القبائل العربية وانتسابها وبطونها وتاريخها، ومكان تواجدها ولقد رتب المؤلف كتابه على حروف المعجم [١١١]، وان الكتاب مختصر لكتاب الانساب للسمعاني (رحمه الله) لكن المؤلف ابن الاثير زاد عليه وحرر منه مواضع قال ابن خلكان[١١٢] : " اختصر كتاب الأنساب لأبي سعد عبد الكريم بن السمعاني، واستدرك عليه فيه مواضع ونبه على أغلاط ".

٢١– **الباخرزي**، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي،(ت:٤٦٧هـ/ ١٠٦٨م)[١١٣].

له كتاب: دمية القصر وعصرة أهل العصر: تناول فيه(٥٣٠) ترجمة للشعراء المعاصرين له، وان الكتاب ذيلاً لكتاب الثعالبي (يتيمة الدهر)[١١٤]، وقسم كتابه إلى سبع طبقات، على عدد طباق السماء، قال ابن خلكان[١١٥] " صنف كتاب دمية القصر وعصرة أهل العصر

وهو ذيل يتيمة الدهر التي للثعالبي، وجمع فيها خلقاً كثيراً"، وقد بداء كتابته سنة (٤٣٤هـ/١٠٤٢م) وفرغ منه سنة(٤٦٤هـ/١٠٧١م)[١١٦].

٢٢ – أبو نعيم الاصبهاني، احمد بن عبد الله بن احمد (ت: ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)[١١٧].

ومن ابرز كتبه: تاريخ اصبهان : اختص بتاريخ اصبهان وذكر فيه تراجم اهلها ومن قدم اليها من العلماء والمحدثين من الرجال، والكتاب[١١٨] قال ابو نعيم الاصبهاني[١١٩]: " أما بعد فإن بعض الإخوان رعاهم الله سأل الاحتذاء بمن تقدمنا من السلف ورواة الحديث في نظم كتاب يشتمل على أسامي الرواة والمحدثين من أهل بلدنا بلد أصبهان ممن حدث بها ويضاف على ذكرهم من قدمها من القضاة والفقهاء" ،وقد سار المؤلف على المنهج الذي وصفه، اذ يبدأ الترجمة بذكر اسم المترجم له وكنيته ونسبه، وسنة قدومه الى أصبهان إن كان ويذكر شيوخه ومؤلفاته ورحلاته العلمية وتاريخ وفاته ثم يختم الترجمة بذكر مروياته[١٢٠].

وله ايضاً كتاب: معرفة الصحابة: اختص بمعرفة صفوة الصحابة، والمشهورين ممن حوت أساميهم وأذكارهم ديوان الرواة والمحدثين، وأسنانهم، ووفاتهم وتاريخ الحفاظ المتقنين ممن ثبتت له رواية عن الرسول محمد (ﷺ) أو صحت له صحبة وولاية[١٢١]، ولقد بداء كتابه بذكر العشرة المبشرين بالجنة ثم ذكر الصحابة حسب الحروف الابجدية، ثم ذكر من تكنى من الصحابة و رتبها على الحروف الابجدية ، ثم ذكر من عرف بأسم ابيه دون اسمه وذكر باباً للنساء فذكر بنات النبي (ﷺ) ثم ذكر زوجاته، ثم ذكر من كانت لها صحبة من النساء[١٢٢].

٢٣ – الخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ،(ت:٤٦٣هـ/١٠٦٩م)[١٢٣].

ومن ابرز كتبه تاريخ بغداد: يعد موسوعة لتراجم الرجال المشهورين الذين سكنوا مدينة بغداد او دخلوها وبدأ كتابه عن مدينة بغداد وتعريب اسمها وذكر نهريها، وارض السواد ثم ذكر بناء مدينة بغداد ونواحيها[١٢٤] ويضم (٧٨٣١) ترجمة للمحدثين وأرباب العلوم الأخرى ورجالات المجتمع والدولة من العلماء والفقهاء في المجتمع في مدينة بغداد[١٢٥] قال الخطيب البغدادي[١٢٦] " هذا كتاب تاريخ مدينة السلام، وخبر بنائها، وذكر كبراء نزالها وواردیها، وتسمية علمائها، ذكرت من ذلك ما بلغني علمه، وانتهت إلي معرفته"، ولقد كتبه

على طريقة المحدثين، جمع فيه رجالها المشهورين، ومن ورد اليها، وضم إليه فوائد جمة، فصار كتاباً عظيم الحجم، والنفع، وكان أربعة عشر مجلداً[١٢٧].

الخاتمة:

– يضم الكتاب(٨٥٥) ترجمة للاعيان والشخصيات الذين عاشوا خلال الحقبة الزمنية منذ القرن الأول للهجرة الى نهاية القرن السابع للهجرة، وهي الفترة التي توفي فيها المؤلف ابن خلكان(ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م).

– كان لتراجم الفقهاء النصيب الاكبر في كتاب وفيات الاعيان وذلك لكون ابن خلكان كان فقيهاً ومن بيت له شهرة بالفقه فترجم لهم وذكر كتبهم، و كان لتراجم الشعراء المرتبة الثانية من بعد تراجم الفقهاء.

– تميز كتابه بالشمولية اذ ان المؤلف ابن خلكان لم يكتفي بذكر تراجم الاعيان فقط، وانما ذكر اعمالهم ومناصبهم وبعض ما تميزوا به وذكر مؤلفاتهم.

– حرص ابن خلكان على ذكر سنة الميلاد ومكان الولادة لكل من ترجم له، كما ذكر سنة الوفاة ومكانها،.

– حرص ابن خلكان عند تدوين كتابه وفيات الاعيان على ذكر اسماء كتب المؤلفين وخاصة المتشابه منها للتميز بين كتاب واخر ولأجل التميز اهتم بتراجم هؤلاء لكي يقف على نسبة كل كتاب الى صاحبه دون ان يلتبس القارء.

الهوامش:

---

[١] خلكان: هو اسم قرية من اعمال أربل وأن القرية سميت كذلك باسم جد الأسرة، ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك الإربلي،(ت: ٦٣٧هـ/١٢٣٩م)،تاريخ أربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر،(بغداد، ١٩٨٠م)،ج٢،ص ٤٧٣؛ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن ،(ت:٨٥١هـ/١٤٤٧م)،طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم ،عالم الكتب،(بيروت،٢٠٠٠م)، ج٢، ص١٦٨.

[٢] نسبة إلى البرامكة، ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد الحلبي (ت: ه٦٦٠/١٢٦٢م) ، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: المهدي عبد الراضية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،(لندن، ٢٠١٦م)،ج١١ ،ص٥٢؛ اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد (ت: ٧٢٦هـ/١٣٢٧م) ذيل مرأة

الزمان، تحقيق: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي،(القاهرة،١٩٩٢م)،ج٤،ص١٥٣،١٤٩ .

(٣) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم،(ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس،دار صادر،(بيروت، ١٩٧٨م)،ج١،ص١؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان،ج٤،ص١٤٩؛الذهبي، محمد بن أحمد،(ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٦م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت، ٢٠٠٣م)، ج١٥، ص٤٤٤؛ ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله،(ت:٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)، المنهل الصافي، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية،(القاهرة،١٩٨٥م)، ج٢،ص٨٩.

(٤) المدرسة المظفرية: أنشأها الملك مظفر الدين بن زين الدين كوكبوري صاحب مدينة أربل، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج١ص١٠٨، ج٤،ص٩، ١١٣ – ١٢٠.

(٥) وفيات الاعيان،ج٢، ص٣٤٥،٣٤٤.

(٦) إذ كان المدرسون يسكنون في المدارس التي يعملون فيها، شميساني، حسن، أعلام مؤرخي العرب والإسلام شمس الدين ابن خلكان، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٠م)،ج٦، ص٣٣.

(٧) اربل: قلعة حصينة، على تل عال من أعمال الموصل، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله الرومي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط: ٢، دار صادر، بيروت، (١٩٩٥م)، ج١، ص١٣٧-١٤٠.

(٨) الزرزارية: اسم قبيلة كردية تسكن شمال غرب ايران،العمري، أحمد بن يحيى ،(ت:٧٤٩هـ/١٣٤٩م)،مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان ، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠١٠م)، ج٣،ص٢٦٦-١٦٧؛ القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد (ت:٨٢١هـ/١٤١٩م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية،(بيروت، ١٩٢٢م)، ج٤، ص٣٧٦.

(٩) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤، ص٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص٨٩.

(١٠) اليافعي، عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان،(ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٦م) مرأة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت ،١٩٩٧م)، ج٤، ص١٤٥.

(١١) ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج١، ص١؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي البصري،(ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ادار احياء التراث، بيروت،(١٩٨٨م)،ج١٣، ص٣٥٢.

(١٢) العيدروس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله،(ت: ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م)، النور السافر عن اخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٤م)، ج١، ص٣٤٧.

(١٣) الحازمي، زين الدين أبو بكر محمد بن موسى،(ت:٥٨٤هـ/١١٨٩م)، الأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة، (دمشق، ١٩٩٥م)، ج١، ص٦٨؛ ابن عبد الحق البغدادي، عبد المؤمن بن شمائل،(ت:٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل،(بيروت، ١٩٩٢م)، ج١، ص٥١.

(١٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٩؛ ابن المستوفي، تاريخ اربل، ج٢، ص٤٧٣.

(١٥) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك،(ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،دار إحياء التراث،(بيروت، ٢٠٠٠م)،ج٧، ص٢٠١؛ابن كثير ،البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٥٢.

(١٦) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٣،ص٧١؛ ابن كثير، البداية والنهاية ،ج١٣، ص٣٥٢.

(١٧) الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي،(٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م)، ابن خلكان وفيات الأعيان،ج١،ص ٢٩-٣٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة، بيروت،(١٩٨٥م):ج١٨، ص٤٥٢.

(١٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٩-١٠.

(١٩) كوكبري:مظفر الدين بن زين الدين علي بن بكتكين، تولى إمارة اربيل بعد وفاة والده سنة (٥٦٣هـ/١١٦٧م)،ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج٤، ص١١٣؛ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي،(ت: ١٠٨٩هـ/١٦٩١م)، شذرات الذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، (بيروت، ١٩٨٦م)، ج٧، ص٢٤٣؛ الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، دار العلم، ط١٥، (بيروت،٢٠٠٢م)، ج٥، ص٢٣٧.

(٢٠) ابن المستوفي، تاريخ أربل،ج١، ص٢٨٣.

(٢١) ابن المستوفي، تاريخ اربل،ج١،ص٣٣٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص١٩٦.

(٢٢) رحل والد ابن خلكان في طلب العلم إلى الشام ومصر والحجاز والعراق، وكان من أساتذته في الموصل عماد الدين بن يونس، وفي بغداد تعلم على يد ابن فضلان، وعين معيداً في المدرسة النظامية، ثم عاد إلى الموصل، وأقام فيها مدة أربعة عشرة عاماً، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧،ص٩٠.

(٢٣) الموصل: مدينة مشهورة عظيمة، وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ،ج٥،ص٢٢٣ – ٢٢٥.

(٢٤) المدرسة النظامية : أنشأها الوزير نظام الملك في زمن الخليفة العباسي أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله، سنة (٤٥٩هـ / ١٠٦٦م)، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج١،ص٢٩.

(٢٥) ابن شداد، يوسف بن رافع،(ت:٦٣٢هـ/١٢٣٥م)،النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي،(القاهرة، ١٩٩٤م)،ج١، ص١؛ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص١٣٩-٢١٨.

(٢٦) بهاء الدين:محمد بن محمد بن ابراهيم ابن أبي بكر بن خلكان القاضي بهاء الدين أبو عبد الله الأربلي، قاضي بعلبك أخو ابن خلكان، توفي سنة(٦٨٣هـ / ١٢٨٤م)،الصفدي، الوافي بالوفيات ،ج١،ص١٦٥ -١٦٤.

(٢٧) بعلبك: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور لا نظير لها في الدنيا بينها و بين دمشق ثلاثة أيام، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج١،ص ٤٠٣ – ٤٥٥.

(٢٨) ابن شاكر الكتبي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن،(ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٧م)،عيون التواريخ، تحقيق: نبيلة عبد المنعم، وزارة الثقافة،(بغداد، ١٩٨٤م)،ج٢١، ص٣٤٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ،ج١،ص١٦٤- ١٦٥.

(٢٩) ذيل مرآة الجنان، ج٤، ص٢٣٤ – ٢٣٥.

(٣٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج١،ص١٠٨؛ شميساني، أعلام مؤرخي العرب والإسلام،ج٦، ص٣٣.

(٣١) زينب بنت الشعري: هي زينب بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد بن سهل الجرجاني ، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٢،ص ٣٤٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج٢٢،ص٨٥.

(٣٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٤٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، ص٢٠١.

(٣٣) الهروي: حافظ الدين أبو روح عبد المعز بن محمد،(ت:٦١٨هـ/١٢٢٠م)،الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٥، ص١٤٤٤؛ سير أعلام النبلاء،ج٢٢،ص١١٤- ١١٥؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر،(بيروت، ١٩٧٣م)،ج١،ص١١١٠؛ابن العمادة، شذرات الذهب،ج٧،ص ١٠١.

(٣٤) ابن منعة : أبو الفضل أحمد بن كمال الدين أبي الفتح موسى ابن الشيخ رضي الدين،(ت:٦٢٢هـ/١٢٢٤م) بالموصل، ابن خلكان وفيات الأعيان،ج١،ص ١٠٨-١٠٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣،ص١٤٣.

(٣٥) العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى،(ت: ٨٥٥هـ/١٤٥٧م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمود رزق ، دار الكتب والوثائق القومية،(القاهرة،٢٠١٠م)،ج٤،ص١٣٠.

(٣٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج١،ص ١٠٨؛ شميساني، أعلام مؤرخي العرب والإسلام،ج٦،ص ٣٤.

(٣٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج١،ص١٠٨.

(٣٨) اليافعي، مرأة الجنان،ج٤،ص ٤١.

(٣٩) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،ج١،ص ١٠٩.

(٤٠) ابن مكرم: أبو جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم بن عبد الله البغدادي، الصوفي،(ت:٦٢١هـ/١٢٢٤م)، ابن المستوفي ، تاريخ اربل، ج١،ص٣٤٤؛الذهبي، سير اعلام النبلاء،ج١٦،ص١٩٤.

(٤١) الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج١٦،ص١٩٤.

(٤٢) ابن المستوفي: شرف الدين المبارك بن أحمد،(ت:٦٣٧هـ/١٢٣٩م)،ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤،ص ١٤٧؛ الحارثي، عبد الله ناصر بن سليمان، الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين (٦و٧هـ، /١٢و١٣م)، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار العربية للموسوعات،(بيروت، ٢٠٠٧م)،ج١،ص٣٥٨.

(٤٣) ابن عدين:شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن مكارم،(ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٢،ص٦٤٨؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر،ج٣،ص٢٤٦.

(٤٤) ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٣م)،ج١، ص٣٤٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٣،ص ٣٤٨-٣٥٠.

(٤٥) وفيات الاعيان، ج٣، ص ٣٤٨.

(٤٦) ابن شداد: يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، نشأ عند أخواله بني شداد ونسب اليهم، (ت:٦٣٢هـ/١٢٣٥م) ، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٤،ص٩٩-١٠٠.

(٤٧) المدرسة العزيزية :أنشأها الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٣، ص٢٩٤؛ النعيمي، عبد القادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت،١٩٩٠)، ج ،١ص٢٠٩.

(٤٨) المدرسة العادلية : أنشأها العادل أبو بكر شقيق صلاح الدين الأيوبي، سنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٣م)، ومات قبل إتمامها، فأدمها أبنه الملك المعظم عيسى، ووقفها على المذهب المالكي، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس،ج١،ص ٢٧١؛ بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ،(بيروت، ١٩٨٥م)، ص١٢٣، ١٢٤.

(٤٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٩٠-٩٢.

(٥٠) الريس، ابراهيم حماد، علم التراجم أهميته وفائدته، جامعة الملك سعود، (الرياض، ٢٠٠١م)، ج١، ص١٤.

(٥١) ابن المستوفي، تاريخ اربل،ج٢،ص٣٧، ابن الساعي، علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله ، (ت:٦٧٤هـ/١٢٧٦م)، الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق: أحمد شوقي، محمد سعيد حنشي، دار الغرب الاسلامي،(تونس، ٢٠٠٩م)،ج١،ص٢٤٩ ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج١،ص٢٩.بهاء الدين الجندي، محمد بن يوسف بن يعقوب، اليمني،(ت: ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد علي ، مكتبة الإرشاد،(صنعاء، ١٩٩٥م)، ج١،ص١٦٩؛ حاجي خليفة، كشف الظنون،ج٢،ص.١٩١٢

(٥٢) الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف،(ت:٤٧٦هـ/١٠٨٤)،طبقات الفقهاء، تحقيق: احسان عباس، دار الرائد العربي،(بيروت،١٩٧٠م)،ج١، ص١؛ البصيري، عبد الله بن محمد، معجم أهم مصنفات التراجم المطبوعة، (بيروت، ٢٠٠١م) ،ج١،ص٦٩.

(٥٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج١،ص٢١٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص١٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٦؛ الزركلي، الأعلام، ج٧،ص٣١٤.

(٥٤) ابن مماتي، الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير،(ت:٦٠٦هـ/١٢١٦م)، لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة، تحقيق: نسيم مجلى ،الهيئة المصرية، (القاهرة، ٢٠٠١م)، المقدمة، ص ١—٣.

(٥٥) ابو البركات الانباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله،(ت: ٥٧٧هـ/١١٨٢م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، (الزرقاء،١٩٨٥م) ،ج١،ص٢٢٧؛ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٧٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج١٦، ٢٤٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،ج١١،ص٢٨٥.

(٥٦) السيرافي، ابو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان،(ت:٣٦٨هـ/٩٧٨م)، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني، مصطفى البابي الحلبي، (بيروت ، ١٩٦٦م)، المقدمة، ص١ – ١٠.

(٥٧)ابن خلكان ،وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٤٠؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٧٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص٢٢٩؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر،ج٣، ص٦٦.

(٥٨)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٤٠.

(٥٩) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك،(ت:٥٧٨هـ/١١٨٣م)، الصلة في تاريخ أئمة الاندلس، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي،(بيروت،١٩٥٥م)،المقدمة ، ص ١ – ١٠.

(٦٠) التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٥م)،ج١، ص٢٤٩.

(٦١) ابن بشكوال، الصلة، المقدمة، ص٣.

(٦٢) السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٢٥٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٤٣.

(٦٣) خليفة بن خياط، ابو عمر بن خليفة الشيباني العصفري البصري،(ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٥م)، طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، (دمشق، ١٩٧٧م) ، مقدمة المحقق،ج١،ص١٢.

(٦٤) خليفة بن خياط ، طبقات خليفة بن خياط ، مقدمة المحقق، ج١، ص١٣.

(٦٥) السمعاني، الأنساب، ج١٠، ص٣٧٤؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج٣، ص٢٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٦٦؛ ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير،(ت: ٨١٠هـ/١٤٠٨م)، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، ١٩٨٣م)، ج١، ص٢٤٩.

(٦٦) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي(ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٤م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، علي محمد البجاوي، دار الجيل، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج١، ص١-٢.

(٦٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣١١؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج١، ص٣٦٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج١٩، ص١٣٧؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص١٢٤.

(٦٨) ابن بكار، الزبير بن بكار الزبيري (٢٥٦هـ/٨٧٠م)، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق: الدكتور عباس هاني الجراح، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠١٠م)، المقدمة، ج١، ص٢٢.

(٦٩) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٣، ص١٣٥٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٦٦.

(٧٠) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص٩٧٢؛ الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٨٦.

(٧١) القنوجي، صديق بن حسين، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية ،(بيروت ، ١٩٧٨م)،ج٣، ص١٠٢م.

(٧٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٦٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٥٨٠.

(٧٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٠٥؛الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج٢٨ ،ص٣٢١.

(٧٤) ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي،،(ت:٤٠٣هـ/١٠١٣م)، تاريخ علماء الاندلس، تحقيق: عزت العطار، مكتبة الخانجي،(القاهرة،١٩٨٨م)، ج١، ص ٨ – ١٠.

(٧٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٠٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص٢٣.

(٧٦) الرشاطي، عبد الله بن علي بن عبد الله ب،(ت:٥٤٢هـ/١١٤٧م) اقتباس الانوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٩م)، ج١، ص٣؛ حاجي خليفة، كشف الظنون ،ج ١، ص ٨١.

(٧٧) البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٧٨.

(٧٨) الضبي ، بغية الطلب، ج١، ص٣٤٩؛ حاجي خليفة ، كشف الظنون، ج١، ص٨١.

(٧٩) محمد بن عبد الله بن سعيد الأندلسي، (ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ج٣، ص١٣٤.

(٨٠) الضبي، بغية الطلب، ج١، ص٣٤٩.

(٨١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٣٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٥٧٨.

(٨٢) ابن يونس، أبو سعيد عبد الرحمن بن أبي الحسن أحمد بن أبي موسى،(ت:٣٤٧هـ/ ٩٥٧م)، تاريخ ابن يونس، تحقيق: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، (بيروت،٢٠٠٠م)، المقدمة، ج١، ص٥.

(٨٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٨٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٤٣٨.

(٨٤) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج١، ص٢٥ – ٣٠؛ الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٦٣.

(٨٥) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج١، ص٢٥ – ٣٠؛ الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٦٣.

(٨٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص١٤٧–١٤٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٣٤٥.

(٨٧) عماد الدين الكاتب الأصبهاني، محمد بن محمد صفي الدين،(ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٨م)، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي،(بغداد، ١٩٥٥م)، ج١، ص٥–٦؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص١٤٩؛ الشكعة، مناهج التأليف، ج٨، ص٣٧٩.

(٨٨) عماد الدين الكاتب الأصبهاني، جريدة القصر، ج١، ص٧.

(٨٩) عماد الدين الكاتب الاصبهاني، جريدة القصر، ج١، ص٧؛ الشكعة، مناهج التأليف، ج٨، ص٣٧٩.

(٩٠) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج١٨، ص١٧٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٣،ص٢٠٩.

(٩١) السمعاني، الأنساب، ج١، ص٥–٦.

(٩٢) الأنساب، المقدمة، ص٤.

(٩٣) السمعاني، الانساب، المقدمة، ص١– ١٢؛ الخطيب، محمد عجاج، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، ط١٩، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ٢٠٠١م)،ج١، ص٢١٦.

(٩٤) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٥،ص١٣٠؛ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٢٣.

(٩٥) الحافظ عبد الغني بن سعيد بن علي سعيد بن بشر بن مروان،(ت:٤٠٩هـ/ ١٠١٩م)، مشتبه النسبة، تحقيق: لجنة من المؤلفين، (القاهرة ، ٢٠٠١م)، المقدمة، ص١-٥.

(٩٦) وفيات الأعيان،ج٣، ص٢٢٣.

(٩٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٩٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٤٥٠.

(٩٨) الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود البغدادي،(٣٨٥هـ/٩٩٤م)، ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم، تحقيق: بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية،(بيروت ،١٩٨٥م)، المقدمة، ص٤٧.

(٩٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٠٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٥١.

(١٠٠) ابن ماكولا، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله،(ت:٤٧٨هـ/١٠٨٨م) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية،(بيروت،١٩٩٠م)، المقدمة، ص٢.

(١٠١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٣٠٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٢٠٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢١، ص١٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٢٩٨.

(١٠٢) ابو الفرج الاصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي، (ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، مقاتل الطالبيين، تحقيق: أحمد صقر، دار المعرفة،(بيروت، ١٩٨٩م)، ج١، ص٢٤ – ٢٥.

(١٠٣) ابو الفرج الاصبهاني، ، مقاتل الطالبيين، ج١، ص٢٤– ٢٥.

(١٠٤) ابن المستوفي ، تاريخ اربل ،ج٢،ص١٤٨؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٠٩.

(١٠٥) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١، ص٨.

(١٠٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١، ص٨.

(١٠٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان ،ج٣، ص٣١٠؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات، ج٢٠، ص٢١٧.

(١٠٨) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١، ص١-٢٥.

(١٠٩) ابن المستوفي، تاريخ اربل، ج٢، ص٢٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٤٨.

(١١٠) ابن الأثير ، أُسد الغابة، المقدمة، ص٩ – ١٣.

(١١١) ابن الأثير، اللباب في تهذيب الانساب، المقدمة، ص ١- ١٦.

(١١٢) وفيات الأعيان، ج٣،ص ٣٤٨.

(١١٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٦٨٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان ،ج٣،ص٣٨٧؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر؛ ج٢، ص٣٢٣؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص٧٣.

(١١٤) الباخرزي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب ، الشاعر المشهور، (ت:٤٦٧هـ/ ١٠٦٨م)، دمية القصر وعصرة أهل العصر، دار الجيل، (بيروت، ١٩٩٤م)،ج١، ص ٣٤- ٤٤.

(١١٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٨٧.

(١١٦) الباخرزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر،ج١، ص٣٥، ٤٣.

(١١٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢١،ص٣٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١،ص٩١؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء،ج١٣، ص١٥٥؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٤،ص١٨.

(١١٨) أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد،(ت: ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، تاريخ اصبهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٠م)،المقدمة، ص١.

(١١٩) تاريخ اصبهان، ج١، ص١٩.

(١٢٠) الأصبهاني، تاريخ اصبهان، ج١، ص٢٠.

(١٢١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٩١؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٤، ص١٨- ٢٢.

(١٢٢) الاصبهاني، معرفة الصحابة، المقدمة ، ص٥-٦.

(١٢٣) السمعاني، الأنساب، ج٥، ص١٦٦؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥، ص٣١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٩٢؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٤١.

(١٢٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، المقدمة، ص٣٣.

(١٢٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مقدمة المحقق، ص٤.

(١٢٦) تاريخ بغداد، المقدمة، ص٣٣.

(١٢٧) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٢٨٨.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٣م).

١- أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق:علي محمد،دار الكتب العلمية(بيروت، ١٩٩٤م).

- ابو البركات الانباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري،(ت: ٥٧٧هـ/١١٨٢م).

٢- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم ، مكتبة المنار، (الزرقاء،١٩٨٥م).

- الباخرزي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي، (ت:٤٦٧هـ/ ١٠٦٨م).

٣ – دمية القصر وعصرة اهل العصر، دار الجيل، (بيروت، ١٩٩٤م).

✿ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن يوسف (ت:٥٧٨هـ/١١٨٣م).

٤ – الصلة في تاريخ أئمة الاندلس،تحقيق: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، (بيروت،١٩٥٥م).

٥– التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٥م).

✿ ابن بكار، الزبير بن بكار الزبيري (٢٥٦هـ/٨٧٠م).

٦– جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق: عباس ، دار الكتب العلمية، (بيروت،٢٠١٠م).

✿ بهاء الدين الجندي، محمد بن يوسف بن يعقوب، اليمني،(ت: ٧٣٢هـ/١٣٣٢م).

٧–السلوك في طبقات العلماء والملوك،تحقيق:محمد علي، مكتبة الإرشاد،(صنعاء، ١٩٩٥م).

✿ ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله الظاهري،(ت:٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م).

٨– المنهل الصافي ، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية ،(القاهرة،١٩٨٥م).

✿ الحازمي، زين الدين أبو بكر محمد بن موسى،(ت:٥٨٤هـ/١١٨٩م).

٩– الأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه،تحقيق: حمد بن محمد،(دمشق، ١٩٩٥م).

✿ ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن،(ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م).

١٠–وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق: إحسان عباس،دار صادر،(بيروت، ١٩٧٨م).

✿ خليفة بن خياط، ابو عمر بن خليفة الشيباني البصري،(ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٥م).

١١– طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، (دمشق، ١٩٧٧م).

✿ الدار قطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود البغدادي،(٣٨٥هـ/٩٩٤م).

١٢– ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم، تحقيق: بوران الضناوي و كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية،(بيروت ،١٩٨٥م).

✿ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد،(ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٦م).

١٣– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت، ٢٠٠٣م).

١٤– سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٣،مؤسسة الرسالة،(بيروت، ١٩٨٥م).

✿ الرشاطي، عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن خلف،(ت:٥٤٢هـ/١١٤٧م).

١٥– اقتباس الانوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٩م).

✿ ابن شداد، يوسف بن رافع بن تميم الموصلي،(ت:٦٣٢هـ/١٢٣٥م).

١٦- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٩٤م).

✿ ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن،(ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٧م).

١٧- عيون التواريخ، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود، فيصل السامر، وزارة الثقافة والاعلام،(بغداد، ١٩٨٤م).

✿ ابن الساعي، علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله ،(ت:٦٧٤هـ/١٢٧٦م).

١٨- الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق: أحمد شوقي، دار الغرب الاسلامي، (تونس، ٢٠٠٩م).

✿ السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان،(ت:٣٦٨هـ/٩٧٨م).

١٩- أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني، مصطفى البابي الحلبي، (بيروت ، ١٩٦٦م).

✿ الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف،(ت:٤٧٦هـ/١٠٨٤).

٢٠- طبقات الفقهاء، تحقيق: احسان عباس، دار الرائد العربي،(بيروت،١٩٧٠م).

✿ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك،(ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

٢١- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث،(بيروت، ٢٠٠٠م).

✿ ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد الحلبي (ت: هـ٦٦٠/١٢٦٢م).

٢٢- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: المهدي عبد الراضية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،(لندن، ٢٠١٦م).

✿ العمري، أحمد بن يحيى ،(ت:٧٤٩هـ/١٣٤٩م).

٢٣- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان ، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠١٠م).

✿ العيدروس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله،(ت: ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م).

٢٤- النور السافر عن اخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٤م).

✿ عبد الحق البغدادي، عبد المؤمن بن شمائل،(ت:٧٣٩هـ/١٣٣٩م).

٢٥- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل،(بيروت، ١٩٩٢م).

✿ ابن العماد الحنبلي. شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي،(ت: ١٠٨٩هـ/١٦٩١م).

٢٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، (بيروت، ١٩٨٦م).

✿ العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى،(ت: ٨٥٥هـ/١٤٥٧م).

٢٧- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمود رزق ، دار الكتب والوثائق القومية،(القاهرة،٢٠١٠م).

✿ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي(ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٤م).

٢٨- الاستيعاب في معرفة الاصحاب، علي محمد البجاوي، دار الجيل، (بيروت، ١٩٩٢م).

✿ عماد الدين الكاتب الاصبهاني، محمد بن محمد صفي الدين،(ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٨م).

٢٩- خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي،(بغداد، ١٩٥٥م).

✿ الحافظ عبد الغني،بن سعيد بن علي سعيد بن بشر بن مروان،(ت:٤٠٩هـ/ ١٠١٩م).

٣٠- مشتبه النسبة، تحقيق: لجنة من المؤلفين، (القاهرة ، ٢٠٠١م).

✿ ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن ،(ت:٨٥١هـ/١٤٤٧م).

٣١- طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان، عالم الكتب،(بيروت،٢٠٠٠م).

✿ القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد (ت:٨٢١هـ/١٤١٩م).

٣٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية،(بيروت، ١٩٢٢م).

✿ ابن عبد الحق البغدادي، عبد المؤمن بن شمائل،(ت:٧٣٩هـ/١٣٣٩م).

٣٣- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل،(بيروت، ١٩٩٢م).

✿ ابن العماد الحنبلي. شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي،(ت: ١٠٨٩هـ/١٦٩١م).

٣٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، (بيروت، ١٩٨٦م).

✿ عماد الدين الكاتب الاصبهاني، محمد بن محمد صفي الدين،(ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٨م).

٣٥- خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: محمد بهجة الأثري ،(بغداد، ١٩٥٥م).

✿ ابو الفرج الاصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي، (ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م).

٣٦- مقاتل الطالبيين، تحقيق: أحمد صقر، دار المعرفة،(بيروت، ١٩٨٩م).

✿ ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي،،(ت:٤٠٣هـ/١٠١٣م).

٣٧- تاريخ علماء الاندلس، تحقيق: عزت العطار، مكتبة الخانجي،(القاهرة،١٩٨٨م).

✿ ابن قنفذ ، أبو العباس أحمد بن حسن بن الخطيب الشهير،(ت: ٨١٠هـ/١٤٠٨م).

٣٨- الوفيات ، تحقيق : عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، ١٩٨٣م).

✿ ابن كثير ، اسماعيل بن عمر القرشي البصري،(ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

٣٩- البداية و النهاية، تحقيق: علي شيري، ادار احياء التراث، بيروت،(١٩٨٨م).

✿ ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك الإربلي (ت: ٦٣٧هـ/١٢٣٩م).

٤٠- تاريخ أربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، (بغداد، ١٩٨٠م).

✿ لسان الدين ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد الأندلسي ، (ت: ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م).

٤١- الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣م).

✿ ابن مماتي، الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مهذب،(ت:٦٠٦هـ/١٢١٦م).

٤٢- لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة، تحقيق: نسيم مجلى ،الهيئة المصرية، (القاهرة، ٢٠٠١م).

✿ ابن ماكولا ، سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن علي،(ت:٤٧٨هـ/١٠٨٨م).

٤٣- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية،(بيروت،١٩٩٠م).

✿ ابو نعيم الاصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني،(ت: ٤٣٠هـ/١٠٣٨م).

٤٤- تاريخ اصبهان، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٠م).

✿ اليافعي، عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان،(ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٦م).

٤٥- مرأة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت ،١٩٩٧م).

✿ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله الرومي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٤٦- معجم البلدان، ط: ٢، دار صادر، بيروت، (١٩٩٥م).

✿ ابن يونس، أبو سعيد عبد الرحمن بن أبي الحسن أحمد بن أبي موسى،(ت:٣٤٧هـ/ ٩٥٧م).

٤٧- تاريخ ابن يونس، تحقيق: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، (بيروت،٢٠٠٠م).

✿ اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد (ت: ٧٢٦هـ/١٣٢٧م).

٤٨- ذيل مرأة الزمان، تحقيق: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي،(القاهرة،١٩٩٢م).

ثانياً: المراجع:

- بدران، عبد القادر.

٤٩- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ،(بيروت، ١٩٨٥م).

- البصيري، عبد الله بن محمد.

٥٠- معجم أهم مصنفات التراجم المطبوعة، (بيروت، ٢٠٠١م).

- الحارثي، عبد الله ناصر بن سليمان.

٥١- الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين (٦و٧هـ، /١٢و١٣م) تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار العربية للموسوعات،(بيروت، ٢٠٠٧م).

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي القسطنطيني.

٥٢- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، مكتبة المثنى،(بغداد ،١٩٤١م).

- الريس، ابراهيم حماد.

٥٣- علم التراجم أهميته وفائدته، جامعة الملك سعود، (الرياض، ٢٠٠١م).

- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي.

٥٤- الأعلام، دار العلم للملايين،ط١٥،(بيروت، ٢٠٠٢م).

- شميساني، حسن.

٥٥- أعلام مؤرخي العرب والإسلام شمس الدين ابن خلكان، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٠م).

- القنوجي، صديق بن حسين.

٥٦- أبجد العلوم الوشي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٧٨م).

- النعيمي، عبد القادر بن محمد.

٥٧- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت،١٩٩٠م).

الجانب الاقتصادي لجزيرة كريت خلال فترة الحكم المصري(١٨٣٠-١٨٤٠م)

م.م. بهاء جاسم عودة

جامعة بغداد/ قسم شؤون الاقسام الداخلية

Bahaa.j@uobaghdad.edu.iq

الجانب الاقتصادي لجزيرة كريت خلال فترة الحكم المصري(١٨٣٠-١٨٤٠م)

م.م. بهاء جاسم عودة

ملخص البحث:

تمتعت جزيرة كريت بموقعها الستراتيجي المميز في قلب البحر المتوسط، لذا توجهت انظار الدول الاستعمارية صوبها، فخضعت للسيطرة الرومانية، ثم بعد انتشار الاسلام وتوسعهُ سيطر العرب المسلمون عليها، ومن ثم وقعت تحت سيطرة البيزنطينيون ومن ثم البنادقة والعثمانيين.

وبعد تدهور اوضاع الدولة العثمانية وقيام ثورة الاستقلال اليونانية عام١٨٢٢ وجهت الدولة العثمانية محمد علي باشا لإخماد ثورة اليونان والذي نجح بإخمادها وتمكن من السيطرة على جزيرة كريت عام١٨٣٠. وبدأ يهتم بأمورها الادارية والاقتصادية والسياسية. الا انه ركز على الجانب الاقتصادي منها لكثرة خيراتها الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، كما انه قام بإدخال اصلاحات اقتصادية جديدة لها.

The Economic of Crete during Egyptian Rule (1830-1840 AD)

Lecturer Asst. Bahaa Jasim Odeh
University of Baghdad / Department of Student Accommodation Affairs

Abstract:

Crete enjoyed a unique strategic location in the heart of the Mediterranean, which attracted the attention of colonial powers. It fell under Roman control, and then, after the spread and expansion of Islam, was taken over by Arab Muslims. It then fell under the control of the Byzantines, the Venetians, and the Ottomans.

Following the deterioration of the Ottoman Empire's situation and the outbreak of the Greek Revolution of Independence in 1822, the Ottoman Empire directed Muhammad Ali Pasha to suppress the

Greek Revolution. He succeeded in suppressing it and gained control of the island of Crete in 1830. He began to take an interest in its administrative, economic, and political affairs. However, he focused on the economic aspect due to its abundant economic resources, including agriculture, industry, and trade, and he also introduced new economic reforms.

المقدمة:

كان لموقع كريت في قلب البحر المتوسط اثراً كبيراً لجذب انظار الدول الاستعمارية للسيطرة عليها وحماية مصالحهم، فقد وقعت تحت سيطرة الرومان ومن ثم سيطرة العرب عليها وجاء بعدهم البيزنطينيون والبنادقة والعثمانيين، فالعرب بعد ظهور الاسلام وانتشاره في البلاد الواقعة على سواحل البحر، سيطروا على كريت عام ٨٢٥ والتي استمرت حتى عام٩٦١، وبعد تدهور الامبراطورية البيزنطية وسع البنادقة نفوذهم تجاه الجزيرة وسيطرو عليها. وخلال القرن السابع عشر الميلادي وقعت كريت تحت الحكم العثماني عام١٦٦٩ واستمروا بحكمها حتى قيام ثورة الاستقلال اليونانية عام ١٨٢٢. وجهت حينها الدولة العثمانية والي مصر محمد علي باشا لإخماد ثورة اليونان من جهة، والسيطرة على جزيرة كريت من جهة اخرى، وتمكن من اخماد الثورة وسيطر على الجزيرة عام ١٨٣٠م.

سلط البحث الضوء حول عدة امور لعل في مقدمتها الاسباب التي دفعت الدولة العثمانية لاختيار محمد علي للسيطرة على الجزيرة دون غيره؟ وهل نجح والي مصر في السيطرة عليها وادارة شؤونها؟ وما هو موقف سكان الجزيرة من هذا الحكم؟

للإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا المنهج العلمي التاريخي لدراسة احوال الجزيرة خلال المدة الزمنية للحكم المصري فيها، والاجراءات المتخذة من قبلها في ادارة شؤونها الاقتصادية.

قسم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، درس المبحث الاول: نبذة تاريخية موجزة عن جزيرة كريت. وناقش المبحث الثاني: التنظيمات الاقتصادية للجزيرة خلال الاعوام(١٨٣٠-١٨٤٠م). واستعرضنا في الخاتمة اهم الاستنتاجات التي توصل لها البحث.

اعتمد الباحث على مجموعة من المصادر التاريخية المهمة، لعل في مقدمتها كتاب كريت تحت الحكم المصري ١٨٣٠-١٨٤٠ للمؤلف (زينب عصمت راشد) الذي رفد البحث

بمعلومات تاريخية قيمة، وذلك لاعتماد المؤلف على مجموعة كبيرة من الوثائق المهمة التي كتبت آنذاك، فضلاً عن كتاب الاتجاه السياسي لمصر في عهد محمد علي مؤسس مصر الحديثة للمؤلف(علي ابراهيم بكراكي) وغيرها من المصادر المهمة والتي يمكن الرجوع اليها في ثبت المصادر.

المبحث الاول: نبذة تاريخية موجزة عن جزيرة كريت

تقع كريت في قلب البحر المتوسط، وهي تتوسط القارات الثلاث اسيا وافريقيا واوربا، وسكانها من الترك واليونان. ويتكلم سكانها من المسلمين والمسيحيين اللغة اليونانية، اما الاعيان في المدن الرئيسة يتكلمون اللغة التركية. وذلك بسبب اقامتهم في تلك المدن واستعانة الحكام الاتراك بهم(راشد، ١٩٦٤، ص٨).

ونظراً لموقعها الجغرافي بدأت اطماع الغزاة تنظر اليها، فوقعت تحت سيطرة العرب خلال المدة(٨٢٥-٩٦١م) تميزت هذه المدة بالاستقرار النسبي، فقاموا ببناء المدارس فيها والمساجد والاثار الاسلامية، واعتنق غالبية سكانها الدين الاسلامي، وانخرطوا في مؤسساتها، بينما بقي القسم الآخر منهم على ديانته المسيحية، وفضلوا سكن الجبال والمناطق البعيدة عن النفوذ الاسلامي(بكراكي، ٢٠٠٤، ص٢٢). وخلال حكم البنادقة(١٢٠٤-١٦٦٩م) برز الاهتمام اليهودي بالتملك والهجرة الى كريت، وذلك لتوسيع نفوذهم في العالم، الا ان البنادقة رفضوا واعترضوا على ذلك واصدروا مجموعة من القوانين التعجيزية لمنع تملك اليهود فيها، كما رفضوا اي لجوء سياسي لليهود في الجزيرة، خوفاً من فقدان نفوذهم فيها(راشد، ١٩٦٤، ص٢٧).

وخلال حكم البنادقة لهذه الجزيرة ظهر التمييز الطبقي، إذ حرم الفقراء من دخول المدارس، وفرضت الضرائب الفادحة على السكان، واضطهدوا الكنيسة اليونانية ومنع الارثوذكسية وابدلوها بالقوانين اللاتينية، فلجأ الكريتيون إلى الهجرة لمصر والعمل مع الاساطيل العثمانية، وعملوا على مساعدة العثمانيين للتخلص من حكم البنادقة، لهذا دخلت الجزيرة مرحلة جديدة، وهي مرحلة السيطرة العثمانية عليها(بكراكي، ٢٠٠٤، ص٢٦).

اراد العثمانيون حماية مصالحهم في البحر المتوسط، فاتجهت انظارهم في النصف الثاني من القرن السابع عشر إلى جزيرة كريت واستطاعوا السيطرة عليها خلال

المدة(١٦٦٩-١٨٢١م). تميز تاريخ الجزيرة خلال هذه المدة بسوء الادارة وفساد الحكم واضطراب الأمن، فلجأ الكثير من سكان الجزيرة إلى الجبال للابتعاد عن السلطة والاعتصام فيها(راشد، ١٩٦٤، ص٥١). وخلال حرب الاستقلال اليونانية[١]١٨٢٢م قامت ثورة عارمة في الجزيرة قادها الوطنيين احتجاجاً على اوضاع البلاد المزرية خلال عهد الدولة العثمانية(Sonyle,1987, p.107)، والتي وجدت في والي مصر محمد علي باشا بانه الرجل القوي القادر على اخماد هذه الثورات، فأصدرت اليه امراً بإخماد ثورة الجزيرة، فارسل قوة عسكرية الى الجزيرة في ٢٦ ايلول ١٨٢٣ (فرج، ١٩٩٩، ص٥٨-ص٥٩؛ بك،١٩٣٤، ص١٥٠)، وتمكن من اخماد ثورتها. وبدأ يتطلع إلى حكم الجزيرة والسيطرة عليها، لأنه رأى فيها خير محطة بحرية تقع في شمال الاسكندرية، لتنمية قوته البحرية فيها(طقوش، ٢٠١٣، ص٣٥٠)، واصر على السلطان العثماني لتولي حكم الجزيرة التي استمرت الاضطرابات والفتن فيها حتى اصدر السلطان العثماني محمود الثاني[٢] عام ١٨٣٠م امراً بتولي محمد علي حكم الجزيرة(ياغي، ١٩٩٦، ص١٣٠؛ مصطفى، ١٩٩٣، ص١٨٨).

قام محمد علي باشا بعد توليه حكم الجزيرة بزيادة قواته العسكرية، للسيطرة على الفتن والاضطرابات الداخلية التي عمت في البلاد، كما عمد إلى تقوية حصون الجزيرة، وتجريد كافة سكانها من الاسلحة، وقد لاقت اجراءته هذه القبول من سكان الجزيرة، لأنه وعدهم بتوفير الأمن ورفع راية السلام وتوفير المأوى والاستقرار لهم والحفاظ على ارواحهم وممتلكاتهم حتى ينعموا بحياة افضل من المحن التي واجهوها من قبل، فاهتم بتنظيم كافة شؤونها الداخلية والخارجية(قايام، ٢٠١٤، ص٤٨- ص٤٩).

المبحث الثاني

الجانب الاقتصادي للجزيرة خلال الاعوام(١٨٣٠-١٨٤٠م)

لم يقتصر اهتمام محمد علي باشا بالجانب الاقتصادي على مصر فحسب، بل اهتم ايضاً بتحسين احوال جزيرة كريت الاقتصادية بعد سيطرته عليها، واراد الاستفادة منها من خلال تنمية اقتصادها والنهوض به من خلال الاهتمام بالزراعة والتجارة والصناعة(التميمي، ٢٠٢١، ص٤٧).

اولاً: الزراعة

كانت الزراعة في جزيرة كريت الشريان الحيوي الذي يعتمد عليه اقتصادها، لذا حرصت السلطات المصرية على تنميتها، والعناية بها واستغلال كل ما بوسعهم من اراضي الجزيرة الصالحة للزراعة، ففي عام ١٨٣٢م اصدرت الحكومة المصرية اوامر إلى الموظفين الزراعيين بضرورة تنظيم شؤون الجزيرة الزراعية والعناية بها، ومتابعة تطوراتها، وإبلاغ السلطات عن كل ما يجري من نشاط أو اهمال في استغلال الاراضي الزراعية، وتنمية محاصيلها. ووزعت السلطات المصرية منشوراتها على اصحاب المقاطعات تحثهم على الاهتمام بالأراضي الزراعية ورعايتها والعمل كل ما بوسعهم لزيادة غلاتها ومحاصيلها، وتحذرهم من الاهمال في ذلك. كما ذكرت الحكومة المصرية بأنها على استعداد تام لتقديم المساعدة لإصحاب المقاطعات من الناحية المادية والمعنوية، فزاد بذلك اهتمام اصحاب المقاطعات الزراعية، وتعهدوا للحكومة ببذل كل ما بوسعهم من جهود لإصلاح اراضيهم، والعمل على خدمتها ومضاعفة غلاتها واستغلال خيراتها. من جانب اخر، اصدرت السلطات المصرية قراراً تضمن اعفاء الطبقات العاملة في الزراعة من الضرائب التي اثقلت كاهلهم، وهذا القرار كان له اثراً كبيراً في تشجيع العمل بالزراعة وزيادة منتجاتها الزراعية(راشد، ١٩٦٤، ص١٠٩).

لقد شجع محمد علي الفلاحين على الزراعة مما ساهم في تحسين احوال الجزيرة الزراعية والعمل على احياء الزراعة بعد تدهورها، ومضاعفة محاصيلها، لاسيما زراعة الزيتون الذي يعد المحصول الرئيسِ في الجزيرة، والذي تراجعت زراعته بسبب الثورات المستمرة خلال مدة الفوضى التي حدثت في الجزيرة خلال الاعوام(١٨٢٢- ١٨٣٠)، واضحت اكثر اراضيها التي كانت مزدهرة بزراعة الزيتون شبه خالية(دودويل، ٢٠١٧، ص٢٣٤؛ Bowring,1840, P.150)، لذا اصدر محمد علي باشا عام ١٨٣٣ امراً إلى مجلس الجزيرة للنظر بأسباب التراجع في هذه الزراعة، وبعد دراسة الامر تبين ان سببها هو عدم توافر المعاصر اللازمة في بعض الاقاليم. فضلاً عن، وجود خلل في معاصر الاقاليم الاخرى، لهذا بادرت الحكومة بشراء المعاصر من اصحابها الذين يرغبون ببيعها، وفرضوا ضريبة على الفلاحين، لم يتم تحديد قيمة الضريبة في بادى الامر، وبعد اجتماع مجلس

الجزيرة للنظر في تحديد الضريبة استقر رأي المجلس على ان يكون تقدير الضريبة على الفلاح بعد عصر الثمار، لان بعض الثمار زيتها قليل والبعض الاخر منها زيتها كثير، كما اجازت الحكومة المصرية لأصحاب المعاصر حق ادارة معاصرهم شرط ان يؤدوا حق الحكومة ما عليهم من ضرائب(راشد، ١٩٦٤، ص١١٢).

قدمت الحكومة المصرية ما كان يحتاج إليه المزارعين من قروض ومواشي بناءً على طلبهم لزراعة اراضيهم من جديد، واصدر محمد علي أمراً إلى مجلس الجزيرة بالسماح للذين نزحوا من الجزيرة بالعودة إليها واستعادة اراضيهم الزراعية، شرط ان يدفعوا قيمتها لأصحابها الذين يملكونها في الوقت الحالي على ان يتم بيعها بالمبالغ نفسها التي اخذوها منهم قبل نزوحهم، لبى الكثيرون من نازحي الجزيرة قرار محمد علي وعادوا إلى بلادهم واستوطنوا في اراضيهم ومارسوا الزراعة فيها تحت حماية الحكومة المصرية على ان يدفعوا ما كان مترتب عليهم من ضرائب. كانت الحكومة المصرية حريصة كل الحرص على اصلاح الجزيرة والنهوض بها والافادة من محاصيلها الزراعية، لذا لم يقتصر اهتمامها على السماح للنازحين فحسب، بل سمحت للوافدين باللجوء إلى الجزيرة ممن يمتلكون خبرات وكفاءة في مجال الزراعة للاستفادة من خبراتهم والاستماع إلى آرائهم ونصائحهم لأنعاش الزراعة، فعندما وصل احد الخبراء اليونانيين إلى الجزيرة، كتب محمد علي إلى محافظها بمعاونته وتقديم له كل ما يحتاجه، وان يرسل إليه كل ما يتوصلون إليه من نتائج بعد القيام بالتجربة الحديثة لمعاصر الزيتون، بعد القيام بالتجربة الحديثة تبين ان المعاصر الحديثة انفع من المعاصر القديمة، فزاد الاهتمام بالمعاصر الحديثة وزاد انتاج زيت الزيتون في الجزيرة(دودويل، ٢٠١٧، ص٢٣٥).

كان لقرار محمد علي الذي اصدره إلى محافظ الجزيرة المتضمن منع رعي الاغنام في مناطق زراعة الزيتون، وابعاد الخنازير إلى المناطق الجبلية، الاثر الكبير في انعاش زراعة الزيتون في الجزيرة، وزيادة كمية الزيت فيها، ولم تسهم هذه الاجراءات وحدها بزيادة زيت الزيتون في الجزيرة، بل ان القرار الذي اصدره محمد علي الخاص بعقوبة كل من يقوم بحرق اشجار الزيتون، كان له دور كبير في زيادة الزيتون فيها(Bowring, 1840, P.155).

بعد ازدهار زراعة الزيتون في الجزيرة، بدأت الحكومة المصرية تستورد كميات كبيرة من زيت الجزيرة إلى مصر، لسد حاجاتها، الا انها لم تحتكر تجارة الزيت، لأنها تعلم ان دول اوربا وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا سوف تتدخل في حال احتكاره لهذه التجارة، وذلك لحاجتها لزيت الجزيرة، وكان محمد علي شديد الاهتمام بالزيت الكريتي، لجودته العالية، لهذا ارسل امراً إلى محافظها بأرسال فسائل اشجار الزيتون من اجل زراعتها في مصر، فقام محافظ الجزيرة بإرسال (٥٠) شتلة إلى مصر عام ١٨٣٩م وتم زراعتها في مصر(راشد، ١٩٦٤، ص١١٨).

اما الضرائب فكان سكان الجزيرة يدفعونها ولم يعترضوا عليها، واشاد بذلك القنصل الروسي بقوله " **ان الضرائب كانت تدفع بدون ابداء اي مقاومة او معارضة وان الهدوء العام كان مخيماً على الجزيرة، وان المجالس البلدية كانت على استعداد في كل وقت ان تعمل طبقاً لرغبات الحاكم مصطفى باشا**" (نقلاً عن: دودويل، ٢٠١٧، ص٢٣٧)، الا ان هذا الاستقرار والهدوء في دفع الضرائب لم يستمر طويلاً ففي عام ١٨٣٥م امتنع المسيحيين عن دفع الضرائب المفروضة عليهم، واهمها ضريبة الرأس التي كانت مفروضة عليهم التي تبلغ قيمتها اربعة قروش كحد ادنى، والمتوسطة منها ستة قروش، وكحد اعلى ثمانية قروش. يبدو ان الدولة العثمانية اعتمدت في تحديد قيمة هذه الضريبة على رأس المال الذي يمتلكه الفرد. فكتب محمد علي إلى محافظ الجزيرة قائلاً ان هذه الضريبة لم تكن مفروضة على مسيحي الجزيرة فحسب، بل مفروضة على كل المسيحيين الذي يقطنون في البلاد الخاضعة للدولة العثمانية(راشد، ١٩٦٤، ص١٢٣).

لم يكن محمد علي قادراً على اعفاء نصارى الجزيرة من الجزية المفروضة عليهم، لان كريت ضمن المخصصات السنوية المفروضة على مصر والبلاد التابعة لها التي تبعث للدولة العثمانية، لان كريت كانت جزيتها مخصصة للأنفاق على الاسطول العثماني، وان عملية تحصيل الضرائب بعد عام ١٨٣٥م اخذت تزداد واشتد عبؤها على المسيحيين لان الخراج والجزية المفروضة على كافة الرعايا المسيحيين التابعين للباب العالي كانت تؤخذ منهم بالقوة، واضطرت الدولة العثمانية على استخدام القوة في استحصالها(دودويل، ٢٠١٧، ص٢٣٥)، اما ضريبة العشر فقد كانت مفروضة على الزيت والحنطة وقيمتها السبع من

مجموعة مواردها واطلق عليها ضريبة العشر، الا ان هذه الضريبة لم تكن مقتصرة على الزيت والحبوب، بل شملت محاصيل اخرى كاللوز والجوز وغيرها من محاصيل الجزيرة(راشد، ٢٠١٧، ص١٢٥).

بدأ محمد علي يتبع السياسة التوسعية في فرض الضرائب ليتمكن من تحقيق طموحاته، ففرض ضريبة على المواد الاستهلاكية التي تستورد من القرى إلى المدن، وفرض ايضاً ضرائب على صادرات الزيوت وذبح الماشية والاصواف والحرير والشمع والخمور سواء كانت للتجارة او للاستهلاك الشخصي، حتى اثقلت هذه الضرائب كاهل اهالي الجزيرة، وارادوا الامتناع عن تأديتها، وهذا النوع من الضرائب يتم جمعها بانتظام وتحت المراقبة الدقيقة، وقد فرض على اهالي الجزيرة ضريبة جديدة اطلق عليها الضريبة الفردية وهي ضريبة فردية الغرض منها مورد دائم يتم استحصالها خلال الحرب، وكانت بنسبة ٥٠ قرش عن كل شخص، الا ان محمد علي خفضها واصبحت تتراوح (٣٠- ٥٠ قرش) وفقاً لثروة الفرد، وعلى هذا الاساس كان يُفرض مبلغ معين على كل اسرة مع ترك الحرية لأعضائها لتوزيع المبلغ فيما بينهم، في حين ان الفقراء في الجزيرة الذين لا يملكون المال معفيين من الضرائب. وفرضت ايضاً على الكتابين ضريبة اطلق عليها اسم (الخراج خطاً) التي كان يفرضها الباب العالي عن طريق فرماناً وبعد جمعها تُرسل إلى السلطان العثماني يستخدم هذه الاموال لشؤونه الشخصية، التي كانت تتراوح من ١٥- ٣٠ قرش حسب ثروة الشخص المفروضة عليه هذه الضريبة، الا ان الموظفين المكلفين بجمع هذا النوع من الضرائب استغلوا منصبهم وبدأوا يفرضون مبالغ اضافية على الكتابين، فوضعت الحكومة اجراءات صارمة عام ١٨٣٥م لمعاقبة كل موظف يستغل وظيفته(دودويل، ٢٠١٧، ص٢٤٢).

بدأ محمد علي يتطلع إلى امتلاك الجزيرة، وقد ظهر ذلك من خلال قراراته التي اصدرها، ان كل مالك للأرض ينبغي عليه دفع ضريبة السبع اي كانت غلاتها، ونص القرار الثاني ان المالك الذي يهمل ارضه الزراعية لمدة ثلاثة اعوام يعاقب بانتزاعها في السنة الرابعة، ويتم بيعها لشخص اخر، او تكون من املاك الحكومة، ولن يكون لمالكها من غلاتها غير الربع مما تغل، وهناك من يشير الى انها اصبحت غالبيتها ملكاً للحكومة(

راشد، ١٩٨٤، ص١٣١)، وقد مكنت القرارات السابقة الحكومة على وضع يدها على ما يقارب اربعة اخماس الجزيرة(Pashley, 1837, P.134).

ثانياً: التجارة

لم ينجح محمد علي في تطبيق سياسة الاحتكار في مجال الزراعة، وذلك بسبب مساندة الدول الاوربية لأهل الجزيرة، وعدم التزام سكان كريت بقرارات السلطات المصرية، لهذا وجه اهتمامه بالتجارة وتطبيق سياسة الاحتكار عليها، خاصةً بعد اعطاء بعض افرادها امتيازات خاصة باحتكار بعض السلع الاستهلاكية، منها وضع مزاد بيع التبغ على احد الافراد مقابل مبلغ مالي قدره ١٤٠,٠٠٠ قرش سنوياً، وبعض مصانع الخشب والفحم وغيرها، كما قام محمد علي بإدخال عدة اصلاحات على الموانىء في كريت، منها انشاء رصيف لميناء خانية، وتحسين ميناء سودا لتكون هذه الموانىء صالحة لتخزين التجارة الواردة من سوريا، ولتكون قاعدة تجارية للأسطول المصري في الجزيرة (دودويل، ٢٠١٧، ص٢٣٤).

كانت الرسوم الكمركية في الجزيرة عنصراً مهماً من عناصر ايراداتها التجارية، فقام محمد علي بتخفيض ما كان مفروضاً على مسيحي الجزيرة من ضرائب تجارية من ٤% إلى ٣% وقام بزيادة الضرائب التجارية على المسلمين من ٢% إلى ٣% وسبب ذلك يعود إلى ان محمد علي اراد ان يتخلص من ظاهرة التجار غير المسلمين الذين يتاجرون بأسم المسلمين، لأجل اعفاءهم من الرسوم المترتبة عليهم، ولان اليونانيين كان لهم نشاط تجاري واسع في الجزيرة، ولهم دور كبير في انعاش تجارة الجزيرة آنذاك(راشد، ١٩٦٤، ص١٣٦). اما صادرات الجزيرة فبلغ تصدير الزيت سنوياً ما يقارب ٢,٥٠٠,٠٠٠ أوقية، والصابون حوالي ٥٠,٠٠٠ قنطار سنوياً، كما بلغت الصادرات من البرتقال والليمون ٥,٠٠٠,٠٠٠ اوقية، والخرنوف ٤٠,٠٠٠ قنطار، ومن العسل ٩٠,٠٠٠ أوقية، ومن الشمع واللوز ١٠,٠٠٠ أوقية، والزبيب ٣,٠٠٠ قنطار، والجبن ٥٠,٠٠٠ أوقية، وكذلك الصوف ما يقارب ٤,٥٠٠ قنطار، والحرير ايضاً بلغت صادراته سنوياً ما يقارب ١,٠٠٠ اوقية.

كانت مصر من اكثر الدول التي تستورد التجارة من كريت، وكان اعتمادها بالدرجة الاساس على استيراد الزيتون والحرير، لم يقتصر استيرادها على الزيتون والحرير، بل كانت

مصر بأشد الحاجة إلى الجلود لذلك قامت باستيراد جلود الماعز، ومنها احتكر محمد علي تصدير هذه الجلود وجعل تصديرها قاصراً على مصر، لأنها كانت اجود انواع الجلود آنذاك، واصدر امراً إلى محافظ الجزيرة بمنع بيع هذه الجلود وتصديرها لغير مصر، كما اهتم بتجارة البلوط الذي كان يستخدم ثمره في الصباغة، لهذا جلب الخبراء من الشام، ثم بعث بهم إلى الجزيرة ليعلموا اهلها صنعة الجمع ثم يعودوا إلى الشام(راشد، ١٩٦٤، ص١٤٠-ص١٤١)، ففي عام ١٨٣٥م اصدر محمد علي امراً إلى محافظ الجزيرة بأن يبعث إلى مصر كل ما يجمع من ثمار البلوط أولاً بأول إلى مصر، حتى لا يتم تصدير الفائض منه إلى بريطانيا، فبلغ نصيب مصر من ثمار البلوط ما يسد حاجتها، ولم تعد مصر بحاجة إلى الاستيراد من الخارج، واثارت هذه السياسة سخط اهالي كريت، واخذوا يدربون رجالهم على صناعة الصبغة، حتى بلغ عدد من اتقنوا صناعة الصبغة ما يقارب ثمانية واربعين من اهالي قندية في الجزيرة، مما ادى إلى تهريب هذه الصبغة، تنبهت الادارة الحاكمة في الجزيرة إلى التهريب، فقرر مجلس قندية معاقبة من يقوم بتهريب التجارة بالضرب ثمانين جلدة، ثم مصادرة بضاعتهم وجعلها تابعة للحكومة، ثم فرض عقوبة على المهربين بدفع رسوم كمركية مضاعفة، الا ان هذا النوع من العقوبات لم يمنع المهربين من ممارسة عملهم، لذا اقترح قنصل بريطانيا(كامبل Campbell) في مصر قائلاً "**ان يكون من حق الحكومة المصرية في كريت جعل الرسوم ضعفين على من يضبط من المهربين البريطانيين مرتين، ومصادرة بضاعته إذا هو ضبط للمرة الثالثة**" (نقلاً عن: راشد، ١٩٦٤، ص١٤٧). لاقى هذا المقترح قبولاً من محمد علي وقرر تطبيقه، فارسل إلى محافظ الجزيرة بتطبيق هذه العقوبات على كافة المهربين من رعايا الدول الاخرى(Bowring, 1840, P.157).

ووفقاً إلى الجدول الذي اعده قنصل بريطانيا (كامبل) في تقريره الذي كتبه عن جزيرة كريت عندما زارها في ايلول عام ١٨٣٣م ان الحكومة المصرية خلال هذه الاعوام الثلاث من حكمها للجزيرة قد انفقت اكثر مما كسبت من موارد الجزيرة وسنبين ذلك من خلال الجدول الاتي(نقلاً عن: راشد، ١٩٦٤, ص١٤٨- ص١٤٩):

ايرادات الجزيرة عام ١٨٣٣	
المادة	قرشاً

ضريبة العشور	١,٩٠٥,٨٢١
عوائد السلع الاستهلاكية التي تمر بالكمارك	٦٦٣,١٦٢
ايراد الكمارك على الصادرات والواردات	٥٦٤,٠٠٠
الدخان	١٣٢,٠٠٠
الجلود	٩٨,٠٠٠
الملح	٤٣,٠٠٠
القهوة	٣٧,٠٠٠
مواد الصباغة	٢٠,٠٠٠
النشوق	٨,٠٠٠
السمك	٥,٠٠٠
المشروبات	١٣٢,٠٠٠
المواشي	٤٠,٠٠٠
مكوس بوابات المدن	٥٠,٠٠٠
ضرائب الزيت	٦,٥٠٠
عوائد الحمالين	١٤,٠٠٠
ضريبة الرأس	١٨٠,٠٠٠

ان مجموع ايرادات الجزيرة حسب الجدول الذي اعده كامبل عام ١٨٣٣م يصل إلى حوالي ٣,٨٩٨,٤٨٣ قرش. اما مجموع ما انفق عليها سنتطرق إليه فيما يلي.

مصروفات الجزيرة عام ١٨٣٣	
الوظيفة	مبالغها المالية بالقرش
المحافظ	٢,٥٠٠,٠٠٠
اعضاء مجلس قندية	٢٦٦,٠٤٠
اعضاء مجلس خانية	١٨٥,٧٠٠
اعضاء مجلس رسمو	٦٥,٨٠٠
اعضاء مجلس اسفاكية	١٨,٠٠٠
الخزانة العامة	١٢٠,٠٠٠
الكمارك	٤٩,٧٤٤
القضاة	١٨,٠٠٠

المفتين	٦,٠٠٠
تحرير الجريدة	٢٧,٣٣٥
الحامية النظامية	٦,١٩١,٥٤٠
الحامية غير النظامية	١,٧٦٠,٠٠٠

فأن مجموع ما انفق على الجزيرة وفق تقرير كامبل يصل حوالي ١١,٢٠٨,١٥٩ قرش، وهذا يعني ان الحكومة المصرية كانت تتحمل ما يقارب ٧,٣٠٩,٦٧٦ قرشاً لإدارة شؤون الجزيرة، وبذلك قدم القنصل البريطاني مقترحاً إلى محمد علي بضرورة تخفيض الرواتب لتحقيق التوازن، وان لا يُحمل خزانة مصر عبئاً ثقيلا، إلا ان محمد علي لم يُخفض الرواتب، واستمرت عملية زيادة الضرائب على السكان مما زاد سخطهم على سياسة الحكم المصري(Bowring, 2017, P.157).

ازدادت ايرادات الجزيرة التجارية خلال عام ١٨٣٨م بما يزيد عن ٣٠,٠٠٠ جنيهاً عن عام ١٨٣٧م حسب التقرير التجاري الذي كتبه "أونجلي" Ongley ممثل انكلترا في الجزيرة(نقلاً عن: راشد، ١٩٦٤، ص١٦٠). يرى الباحث بالرغم من سخط الاهالي من الضرائب التي اثقلت كواهلهم، الا ان جزيرة كريت طوال مدة الحكم المصري لها كانت تنعم بالأمن والاستقرار، كما استطاع محمد علي القضاء على الفتن والاضطرابات والفوضى التي كانت تسودها.

ثالثاً: الصناعة

اشتهرت كريت بمجموعة من الصناعات خلال الحكم المصري لها، واهمها صناعة الزيت الذي يستخرجونه من الزيتون، كانت الجزيرة تدخر ما يستوجب حاجتها، وتصدر ما بقي منه إلى مصر والدول الاوربية، كما اشتهرت الجزيرة بصناعة الصابون وخاصة اقليم قندية الذي اشتهر بصابونه الجيد، وصناعة (النبيذ)[٣] الذي بلغت حاجة مصر إليه، فارسل محمد علي إلى محافظ الجزيرة بضرورة إرسال حوالي خمسين قنطاراً إلى مصر(Bowring, 2017, P.160)، الا ان الجزيرة لم تستطيع انتاج هذا القدر المطلوب، لهذا اصدر محمد علي امراً إلى الجزيرة بتوفير اكبر قدر ممكن من نبيذ قندية لجودته العالية، واشتهرت الجزيرة بصناعة الصباغة التي تستخرج من شجر البلوط، لم تكن الجزيرة مقتصرة

على هذه الصناعات فحسب، بل تميزت ايضاً بصناعة الاكياس التي كانت تصنع من شعر الماعز، اظهرت الحكومة المصرية حاجتها الماسة لهذه الاكياس، فاصدر محمد علي الاوامر إلى مجلس قندية وغيرها من اقاليم الجزيرة بمنع تصدير شعر الماعز إلى الخارج.

برز الكريتيين ايضاً بصناعة النسيج، ونسج الصوف، وظهرت براعتهم في هذه الصناعة في اقليم (ميرابيللا) واقليم (لاشيد)، وكانت العباءات من اهم الصناعات التي اشتهرت بها هذه الاقاليم، وقد اعجب محمد علي بالعباءات التي صنعت من نسيج الجزيرة، لجودتها ونفعها في الوقاية من برد الشتاء والمطر، فأصدر إلى محافظ الجزيرة بإرسال مجموعة من نساجي هذه الاقاليم إلى مصر للاستفادة من خبراتهم، واقامة مناسج تضاهي تلك المناسج الموجودة في كريت، على ان يقوموا بنسج ما يكفي من القماش اللازم لسد حاجات الجنود، وبعد وصول النساجون إلى مصر، رأى محمد علي ان اجواء مصر غير مناسبة لصناعة النسيج، فإمر بإرسالهم إلى الشام ومعهم ازواجهم للقيام بما انيط لهم من واجبات، فزاد اهتمام مصر باستيراد ما تحتاج إليه من الصوف، فأصدرت الحكومة المصرية الاوامر إلى محافظ الجزيرة للاهتمام بالصوف لسد حاجتها، وتصدير اكبر قدر من الفائض منه إلى مصر.

كما شجع محمد علي اهالي الجزيرة على صناعة القرميد خاصةً بعد معرفة جودة هذه الصناعة في الجزيرة التي تضاهي القرميد الذي استورده من بريطانيا، وانه اقل ثمناً، واشد صلابة ومقاومة في بناء الافران، اراد محمد علي تجربة قرميد الجزيرة في البناء، وبعد القيام بالتجربة تبين ان اجود صناعة للقرميد في الجزيرة ما يصنع في قرية (جيراكي) فاستورد منه ٢٠٠ لبنة، وطلب من رئيس مجلس قندية ان يبعث له المزيد منها، فبعث رئيس المجلس التراب الذي يصنع منه القرميد إلى مصر(راشد، ١٩٦٤، ص١٥٥).

لم يقتصر اهتمام محمد علي بتنمية موارد الجزيرة واستغلال ثرواتها على البر فحسب، بل اهتم بالبحر ايضاً وشجع على صيد (الاسفنج)[٤] في مياه كريت، وتم فرض على من يعملون في البحر بكتابة تعهد لمجلس الجزيرة بتأدية ١٩% من ثمن ما يحصلون عليه من صيد الاسفنج وان يدفعوا رسوم كمركية قدرها ٣%. كما استغلت الحكومة المصرية وجود المرجان في مياه الجزيرة، فاصدر محمد علي باشا إلى ناظر خارجيته بوغوص بك[٥]

ان يرسل خبراء اوربيين من القاهرة والاسكندرية ليقوم بإرسالهم إلى الجزيرة، فوقع اختياره على الخبير الايطالي (قبودان) ليُعلم اهل الجزيرة طريقة استخراج المرجان من السواحل، ولما اتقنوا ذلك استغنت الادارة المصرية عن خدماته، كما كان لصناعة الفحم نصيب من اهتمام الحكومة المصرية، وبعد ارسال الخبراء للتنقيب عن الفحم تبين انه فحم حجري، وبدأت الادارة المصرية تبحث عن الفحم حتى اسفرت عن وجوده في قرية (لوطرا) و (بيري) و (ميرثيو)، بدأ مجلس الجزيرة يدفع تكاليف استخراج الفحم ويقوم بإرساله إلى الاسكندرية بناءً على طلب محمد علي باشا، وتبين فيما بعد ان فحم (ميرثيو) أجود من فحم (لوطرا) وانه يفي حاجة مصر، ويغنيها عن الفحم البريطاني(راشد، ١٩٦٤، ص١٥٩).

تبين لنا مما تقدم، ان الاوضاع على عهد حكم الادارة المصرية قد شهدت تطوراً كبيراً في جميع قطاعاتها الزراعية والصناعية والتجارية. وهذا يعود بالتأكيد إلى سياسة وحكمة والي مصر محمد علي باشا واجراءاته التي طبقها من اجل تنظيم اوضاع الجزيرة الاقتصادية.

الخاتمة واهم الاستنتاجات

توصل البحث إلى جملة من النتائج لعل في مقدمتها ما يلي:

- تمتعت كريت خلال العشر سنوات من الحكم المصري لها بالأمن والاستقرار بعد ان كانت تعاني من الفتن والاضطرابات التي كانت تسودها خلال السيطرة العثمانية عليها.
- ازدهرت زراعة كريت بشكل ملحوظ بعد ان قدمت السلطات المصرية القروض للمزارعين للنهوض بالزراعة، واعفاء الطبقات العاملة بالزراعة من الضرائب.
- شهدت موانئ كريت تطوراً كبيراً وذلك من خلال اهتمام الحكومة بها، والقيام بإنشاء ارصفة لتلك الموانئ لتُصبح صالحة للتخزين التجاري.
- بالرغم من الاستقرار والامن الذي شهدته الجزيرة خلال هذه المدة، الا ان الحكومة المصرية فرضت ضرائب كبيرة على السكان فأثقلت كواهلهم، فأزداد تذمرهم على الحكومة وكانوا ينتظرون اي فرصة للتخلص من الحكم المصري.

- تحملت مصر عبئاً ثقيلاً خلال حكمهم للجزيرة، لان ما انفق عليها اكثر من الايراد الذي حصلت عليه، مما اثر سلباً على اقتصاد مصر.

الهوامش:

[١] – حرب الاستقلال اليونانية: بدأت حرب الاستقلال اليونانية عام١٨٢١م بين العثمانيين واليونانيين الثائرين ضد الاحتلال العثماني لهم، وبعدها طلبت الدولة العثمانية المساعدة من محمد علي باشا، فأرسل الجيش المصري بقيادة ابنه إبراهيم باشا، انتهت هذه الحرب بتدخل الدول الأوربية عام ١٨٢٨م والتي اسفرت عن خروج العثمانيين والقوات المصرية من اليونان. للمزيد ينظر: جرجي زيدان، خلاصة تاريخ اليونان والرومان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص٣٠ ؛ صفي العظم، تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان، مطبعة الترقي، القاهرة، ١٩٠٢، ص١٠؛ Muraton Soy, Moderen Greek Enlightehment and 19th Century Greek Nationalism, Ankara, 2005, P. 107.

[٢] – محمود الثاني(1785– ١٨٣٩م): ولد السلطان محمود الثاني عام ١٧٨٥م، وتولى حكم الدولة العثمانية عام ١٨٠٨م، برز نجمه بحكم الاصلاحات التي قام بها في الدولة العثمانية التي مهدت لما عرف بحركة التنظيمات، وقام بالقضاء على الانكشارية بشكل نهائي عام ١٨٢٦م كما قام بإدخال الاصلاحات على الجيش العثماني. للمزيد ينظر: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية للنشر، بيروت، ١٩٨٨، ص٢٠٦– ص٢٠٧؛ يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، المجلد:٢، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مؤسسة فيصل للنشر، اسطنبول، ١٩٩٠، ص٢٠–ص٢١.

[٣] – النبيذ: وهو من المشروبات الكحولية الشائعة، الا انها غالباً ما تنتج دون مراقبة لدورة التصنيع من حيث التخمير والتقطير، مما يعرض متناوليها لخطر السم بمادة الميتانول، وهذا ما يؤكد ضرورة اخضاع انتاجها للمراقبة الشديدة. للمزيد ينظر: معروف الخير ومفيد ياسين، تحديد المحتوى من الميتانول في بعض المشروبات الكحولية (النبيذ والعرق) المحضرة بالطرق المحلية التقليدية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد:٣٨، العدد: ٣، ٢٠١٦، ص٢٣٣.

[٤] – الاسفنج: يعيش الاسفنج على شاطئ البحر تحت مستوى المد ويكون ملتصقاً بالحجارة والمواد الصلبة بواسطة اقراص لاصقة، عادة ما ينمو في مستعمرات متفرعة، وقد يكون بسيط او متفرع او متشابك. للمزيد ينظر: وسن علي عصيري، شعبة الاسفنجيات، السعودية، ٢٠١٦، ص٣.

[٥] – بوغوص بك: ولد بوغوص بك يوسفيان في ازمير عام١٧٦٨م وتثقف في مدارسها، ولما بلغ اشده عمل بالتجارة واكتسب مهارات تجارية من خلال ممارسة العمل مع والده واخواله من عائلة ابرويان

الذين كانوا يسيطرون على الحركة الاقتصادية في ازمير، جاء إلى مصر عام ١٧٩٠م بعد وفاة والده وتقلد العديدة من المناصب الادارية في مصر، وبعد تولي محمد علي باشا الحكم في مصر عام ١٨٠٥م اصبح بوغوص بك ناظراً للخارجية فيها، وكان من اشد الرجال الذين اعتمد عليهم محمد علي في ادارة شؤون مصر، استمر بعمله هذا حتى وفاته عام ١٨٤٤م. للمزيد ينظر: محمد رفعت الامام، تاريخ الجالية الارمنية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢٤٥؛ بشرى ناصر هاشم الساعدي، الادارة المصرية في بلاد الشام (١٨٣٠- ١٨٤٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٣، ٢٠٠٣، ص٤٣- ص٤٤.

المصادر

اولاً: الكتب العربية والمعربة

- ابراهيم بك حليم، ، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية للنشر، بيروت، ١٩٨٨.
- احمد عبد الرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، ط٤، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠.
- اسماعيل احمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٥.
- جرجي زيدان، خلاصة تاريخ اليونان والرومان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.
- زينب عصمت راشد، كريت تحت الحكم المصري(١٨٣٠- ١٨٤٠)، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ١٩٦٤.
- السيد فرج، حروب محمد علي، مطبعة التوكل، القاهرة، ١٩٩٩.
- صفي العظم، تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان، مطبعة الترقي، القاهرة، ١٩٠٢.
- علي إبراهيم بكراكي، تاريخ جزيرة كريت والمهاجرين، ط١، بيروت، ٢٠٠٤.
- محمد رفعت الامام، تاريخ الجالية الارمنية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.

- محمد رفعت بك، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، ج١، المطبعة الاميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٣٤.
- محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط٣، دار النفائس، بيروت، ٢٠١٣.
- هنري دودويل، الاتجاه السياسي لمصر في عهد محمد علي مؤسس مصر الحديثة، ترجمة: احمد محمد عبد الخالق وعلي احمد شكري، مؤسسة هنداوي للنشر، د.م، ٢٠١٧.
- وسن علي عصيري، شعبة الاسفنجيات، السعودية، ٢٠١٦.
- يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، المجلد:٢، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مؤسسة فيصل للنشر، اسطنبول، ١٩٩٠.

ثانياً: الكتب باللغة الانكليزية

- John Bowring, Egypt and Candia, London, 1840.
- Muraton Soy, Moderen Greek Enlightehment and 19th Century Greek Nationalism, Ankara, 2005.
- Robert Pashley, Travels in Grete, Cambridge, 1937.
- Salane Ramsdam Sonyel, The Ottoman Armenians, London, 1987.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

- بشرى ناصر هاشم الساعدي، الادارة المصرية في بلاد الشام (١٨٣٠- ١٨٤٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٣.
- بهاء جاسم عودة التميمي، الأرمن في مصر دراسة تاريخية في احوالهم العامة(١٨٠٥- ١٨٤٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٢١.

ثالثاً: البحوث المنشورة

- معروف الخير ومفيد ياسين، تحديد المحتوى من الميتانول في بعض المشروبات الكحولية (النبيذ والعرق) المحضرة بالطرق المحلية التقليدية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد:٣٨، العدد: ٣، ٢٠١٦.

رابعاً: المؤتمرات

- ملكة قايام، الصراع القومي في جزيرة كريت في القرن التاسع عشر، احداث مدينة قندية، والهجرة إلى سوريا ولبنان وشمال افريقيا، بحث منشور في وقائع المؤتمر التاريخي الاول: نهاية الحكم العثماني في جزيرة كريت وهجرة المسلمين، نظم من قبل جمعية أولي النهى، اعداد وترجمة: علي ابراهيم بكراكي ووسيم ابراهيم بكراكي، بيروت، ٢٠١٤.

المراتب العسكرية في عصر المماليك البحرية
(٦٤٨- ٧٨٤هـ/ ١٢٨٥ – ١٣٢٨م)

هيام سمير ناجي

أ.د شيماء فاضل عبد الحميد

جامعة بغداد

كلية التربية للبنات / قسم تاريخ الاسلامي

المراتب العسكرية في عصر المماليك البحرية (٦٤٨- ٧٨٤هـ/ ١٢٨٥ – ١٣٢٨م)

هيام سمير ناجي
أ.م. شيماء فاضل عبد الحميد

الملخص:

تناول هذا البحث اهمية المراتب العسكرية في عصر دولة المماليك الاولى البحرية في التصدي للاعتداءات الخارجية المتمثلة بالاخطار الصليبية ومدى اهمية الدور الذي لعبة اصحاب المراتب في وضع الخطط العسكرية وتنفيذها بطريقة محكمة وذكية للاطاحة بالاعداء الصلبيين وتحقيق النصر عليهم مع تسليط الضوء على ابرز انجازتهم العسكرية خلال تلك الحقبة

Abstract :

This research deals with the importance of military ranks in the era of the first Bahri Mamluk state in confronting external aggressions represented by the Crusader dangers and the extent of the importance of the role played by those In the ranks in developing military plans and implementing them in a precise and intelligent manner to overthrow the Crusader enemies and achieve victory over them, while shedding light on their most prominent military achievements during that era.

Keywords: State, military system, Bahri Mamluks, military ranks, Al-Zahir Baybar

المقدمة:

تشكل المراتب العسكرية على مر العصور التاريخية اهمية كبيرة في الحفاظ على امن البلد واستقراره من الاعتداءات الخارجية .

وكان الدور البارز للاصحاب المراتب العسكرية في العصر المملوكي الاول للدولة المماليك البحرية وذلك لانها دولة عسكرية نشهد اغلب قادتها اصحاب المراتب استلموا السلطة فيما بعد ويأتي في مقدمتهم صاحب المرتبة العسكرية ثم اصبح السلطان بيبرس

الذي له انجازات عسكرية مهمه ضد قوات الاحتلال الصليبي والانتصار عليهم وحفظ امن الدولة وسلامتها من الاخطار الخارجية

محاور الدراسة:

تناولت هذة الدراسة اربعة محاور رئيسيه:

١-التعريف باتابك العسكر

٢-مفهوم اهمية منصب امير مئة او تقدمة الف

٣-رؤية اهمية بقية المناصب العسكرية كمنصب امراء الطلبخانة وامراء العشرات وامراء الخمساوات وغيرها من المراتب

٤-توثيق اسهامات الحضارية للاصحاب المراتب العسكرية

المراتب العسكرية في عصر المماليك البحرية وأبرز متوليها وإسهاماتهم الحضارية:

عد السلطان أعلى المراتب العسكرية في العصر المملوكي الاول إذ هو رأس الجهاز العسكري والإداري المملوكي يساعده عدد من الأمراء، تولى كل منهم وظيفة لم تخرج من كونها بيت خدمة السلطان، وشكلت مجتمعة الجهاز الإداري الحاكم في القاهرة على أن يقدم المشورة للسلطان ويخطط سياسة الدولة العامة، وحاز أفرادها على الامتيازات وتمتعوا بنفوذ مهم لدى السلطان(١).

وقد تدرج الأمراء المماليك في المراتب العسكرية وفقًا لنظام الترقيات إذ من حق أي مملوك أن يحصل على أمرة أو مرتبة في الجيش المملوكي ويتدرج حتى يصبح السلطان نفسه(٢).

تكونت المراتب العسكرية في عصر المماليك البحرية من:

١. أتابك العسكر(٣):

وهي أعلى مرتبة عسكرية في الجيش المملوكي بعد السلطان؛ لكونه القائد العام للجيش المملوكي(٤).

وعد الأتابك الرجل الأول في الدولة بعد السلطان إذ كان يؤثر على سياسة الدولة الداخلية، مما ينال من وراء ذلك المكاسب والوصول إلى سدة الحكم، وكثيرًا ما كان وصيًا على العرش ثم يطيح بالسلطان الصغير ويتسلطن مكانه(٥).

وأول من نال هذه المرتبة العسكرية في عصر المماليك البحرية هو الأمير عز الدين أيبك في عهد سلطنة شجر الدر سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م[٦].

ونال هذه المرتبة أيضاً ركن الدين بيبرس المنصوري بعد أن تدرج في المراتب العسكرية منذ وصوله إلى مصر إذ في سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م حصل على ترقية ، ثم في سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م تولى نيابة القلعة في القاهرة إلى أن عُيّن في سنة ٧١١هـ/١٣١٢م في نيابة السلطنة الشريفة وهي أعلى ما تقلّده ركن الدين بيبرس المنصوري من المراتب[٧].

وكان الدور العسكري لبيبرس قد برز بشكل واضح داخل الدولة المملوكية في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٥م إذ صد جيش التتار، وتمكن المسلمون من تحقيق النصر في هذه المعركة بفضل جهوده إلى جانب الملك المظفر سيف الدين قطز[٨].

وكانت من أهم الفرص التي حصل عليها بيبرس بعد مقتل قطز ، إذ وجب اختياره للسلطنة على مصر بتأييد القادة العسكريين من الجند[٩]، وبهذا انتقل بيبرس من مجرد أتابك العسكر، اومقدم العساكر إلى السلطان على مصر، حينها بدأ بتعيين إدارة أركان دولته مباشرة بعد تسلمه المنصب، إذ عين بدر الدين بيسري الشمسي[١٠]، وسيف الدين قلاوون الألفي بمرتبة مقدمي ألف[١١]، وعيّن حسام الدين الايدمري[١٢]، بمرتبة أمير أخور[١٣].

كان السلطان بيبرس يقود جيوشه بنفسه في المعارك[١٤]، وجهز بيبرس حملة كبيرة لاستعادة انطاكية ٦٦٦هـ/١٢٦٨م فأرسل جيش يتقدمه القائد العسكري جمال الدين أيدغدي العزيزي[١٥]، وجيش آخر بقيادة القائد العسكري سيف الدين قلاوون الألفي للإغارة على مواقع انطاكيا وحققوا فيها نصرًا كبيرًا وفتحها في السنة نفسها[١٦]؛ بعد ان كانت رهينة الاسر الصليبي على مدى اكثر من مائة وخمسين عاماً وبهذا عُد فتح انطاكيه اكبر انتصار حققه المسلمون على الصليبيين منذ أيام حطين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م واسترداد بيت المقدس[١٧] وتمكن بيبرس مع قادته العسكريين من فتح طرابلس عام٦٦٨هـ/١٢٧٠م[١٨]؛ كما كان له صولات وجولات ضد التتار في موقعة ابلستين[١٩] سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م[٢٠].

وقد اهتم بإعمار بنايات مدينة صفد[٢١]، وإصلاح ما تهدم من أسوارها[٢٢]، واهتم بالبريد في سائر الطرقات لما له من أهمية في العمليات الحربية، فصار الخبر يصل من

قلعة الجبل إلى دمشق في أربعة أيام ويعود في مثلها، وكانت أخبار المماليك ترد إليه كل جمعة مرتين[٢٣].

وعمل على إحياء الخلافة العباسية في القاهرة سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م بعد أن قضى على حكمها التتار في بغداد، مما اكسبه سلطة شرعية مدعومة بموافقة الخليفة العباسي المتوكل على الله في سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م)، وقد شرع بيبرس نظام ولاية العهد في أسرته، إذ أخذ البيعة والتعيين لابنه بركة خان[٢٤] في حكم مصر[٢٥].

وإلى جانب الاهتمامات العسكرية التي أولاها أصحاب المراتب العليا في الجيش المملوكي، كان لهم اهتمامات أخرى على صعيد المجتمع خدمة للحياة العامة، اذ اولى السلاطين – كونهم من اعلى المراتب العسكرية– اهتماماً بإنشاء وإقامة المنشآت العمرانية المدنية فضلاً عن العسكرية، فهذا السلطان الظاهر بيبرس قام بتجديد بناء الحرم النبوي، وجدد بناء قبة الصخرة في القدس بعد أن تداعت أركانها[٢٦]، وبنى المسجد المعروف باسمه في ميدان الظاهر في القاهرة[٢٧]، هذا وقد اهتم بالجانب العلمي وقدم خدماته لتوفير أفضل السبل لإنجاح العملية التعليمية في مصر، فبنى المدرسة الظاهرة على أنقاض إحدى قاعات القصر الفاطمي[٢٨]، وعين فيها أكابر الأساتذة علمًا ومكانة وحكمة، فكان من بينهم الصاحب جمال الدين ابن العديم[٢٩]، هذا وقد خلد ذكرى موقعة عين جالوت بانتصار المماليك على المغول وذلك حينما أقام مشهد النصر في أرض الموقعة[٣٠].

وقد ولع أصحاب المراتب العسكرية وعلى رأسهم السلاطين بالعلم والعلماء، إذ أظهر السلطان الظاهر بيبرس حبًا وإقبالاً شديدًا تجاه التأليف والعناية بالعلماء والسعي لكسب ودهم[٣١]، فقد كان له مؤلفان مهمان لتأريخ الحوادث التاريخية التي عاصرها وكان أول مؤلف هو (زبدة الفكر في تاريخ الهجرة) والثاني (التحفة الملوكية في الدولة التركية تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة ٦٤٨-٧١١هـ)[٣٢].

٢- أمير مئة أو مقدم ألف:

وهي ثاني المراتب العسكرية العليا بعد أتابك العسكر في الجيش المملوكي ويشرف صاحبها على مائة مملوك ويحكم في الحرب على ألف فارس[٣٣]، وأبرز من حصل على هذه المرتبة في عهد السلطان بيبرس هو الأمير سيف الدين قلاوون[٣٤]، وامراء مئة وتقدمة

الف هم اعلى درجات الامراء ويشغلون المناصب الرئيسية في البلاد ومنهم ينتخب السلطان[٣٥]

وأمير مئة هو الاستدار[٣٦]، المسؤول عن ثلاثة دواوين مالية (الخاص، والمفرد، والأملاك) وله الحق المطلق في طلب كل ما يحتاجه من البيوت السلطانية من نفقات وكساوى وعليه توزع الجامكية على المماليك وصرف الأعلاف لدولتهم[٣٧]، ويعاونه أمراء الطبلخانة[٣٨].

أما أعداد الأمراء فلم تكن ثابتة طوال العصر المملوكي، فمن السلاطين من أنقص أعداد الأمراء ومنهم من زاده، تبعًا لمشيئة السلطان وشدة باسه ومدى حذره[٣٩].

وكانت رتب وأعداد الأمراء على وفق إحصاء الظاهري[٤٠] كالآتي: "**٢٤ أمير مئة، ٤٠ أمير طبلخانة، ٢٠ أمير عشرين، ١٥٠ أمير عشرة، ٣٠ أمير خمسة**".

وفي بداية الدولة المملوكية الأولى (البحرية) بلغ عدد أمراء المئة ٢٤ أميراً ونقص إلى عشرين ثم إلى ١٨ في آخرها[٤١].

ومن المناصب التي اندرجت تحت مرتبة مقدم ألف أو أمير مئة هم كل من، أمير السلاح[٤٢]، والاستدار، وأمير كبير[٤٣]، وأمير مجلس[٤٤]، وأمير أخور، وأمير جاندار[٤٥]، وأمير خازندار الكبير[٤٦]، وأمير دوادار الكبير[٤٧]، وأمير رأس النوبة[٤٨]، وأمير حاجب[٤٩].

وبرز الدور العسكري لأمير مئة قلاوون في مشاركته إلى جانب السلطان قطز وبيبرس في معركة عين جالوت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ولما عاد جيش المماليك إلى مصر، قتل بيبرس قطز بالاتفاق مع قلاوون ولثقة بيبرس الكاملة بالأخير، وضع تحت أمرته ألف مملوك[٥٠].

وبعد أن توفي الظاهر بيبرس بدمشق ٦٧٦هـ/١٢٧٧م تولى السلطنة لمدة قصيرة ابنه السعيد بركه، ثم انتقل الحكم إلى سيف الدين قلاوون سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م ولقب بالملك المنصور، سلطان دولة المماليك البحرية والقائد الأعلى للجيش المملوكي، وكان من الطبيعي أن يعمل السلطان قلاوون على تدعيم قوته بإسناد المناصب العسكرية الكبرى إلى (الخشداشية) فعين بعضهم في المناصب الكبرى[٥١] مثل نيابة السلطنة منهم الأمير أيبك

الأفرم الصالحي النجمي[٥٢]، وأمر جماعة منهم بمرتبة مقدم الألف ومنهم القائد حسام الدين لاجين[٥٣]، وأقوش الموصلي[٥٤]، وأيبك الخازندار وغيرهم.

قاد السلطان قلاوون حملة عسكرية على الصليبيين في سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م هاجم بها حصن المرقب الاسبتارية[٥٥]، واستولى عليه[٥٦].

وأرسل السلطان قلاوون حملة عسكرية بقيادة الأمير حسام الدين طرنطاي[٥٧].

مقدم العساكر واستولى فيها على اللاذقية في سنة ٦٦٦هـ/١٢٨٧م وكانت آخر ما تبقى من إمارة انطاكية الصليبية[٥٨].

وبعد هدنة قصيرة حاصر قلاوون طرابلس، ونصب عليها تسع عشرة منجنيقاً فسقطت المدينة في سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م، ثم أمر السلطان بهدم المدينة القديمة وأسوارها، وبناء مدينة جديدة على بعد ميل من المدينة المهدمة بعيدًا عن شاطئ البحر؛ وذلك خوفًا من تهديد الأساطيل الصليبية للمدينة الجديدة[٥٩].

وأهتم السلطان قلاوون بتجديد القلاع الشامية وبناء بعض المدن التي تعرضت للحرق والتدمير والهدم من قَبل؛ لأنها كانت مسرحًا للكثير من الحروب والمعارك[٦٠].

عني السلطان قلاوون اهتماماً بالجوانب العمرانية فكان مهتمًا بعمارة القبة السلطانية[٦١]، باتجاه المدرسة الظاهرية[٦٢]، وذلك سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، كما أنشأ القبه المنصورية في القاهرة[٦٣].

وكذلك السلطان الأشرف خليل[٦٤] الذي تميزت العمارة في عصره بنوع من التطور والإبداع الفني المعماري، إذ أقام قصر في قلعة الجبل وسمي باسمه قصر الأشرفية[٦٥]، كذلك أقام المدرسة الأشرفية في مصر، وأقام القبة الزرقاء السلطانية في الشام وارتبط اسمها باسمه فعرفت بالقبة الأشرفية، وقام بتوسيع الميدان في دمشق[٦٦].

وازداد التطور في الجانب العمراني في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون متزامنًا مع الانتعاش الاقتصادي الذي شهدته الدولة والبلاد في أثناء حكمه، وانعكس ذلك على عمارة الأبنية من جوامع ومساجد ومدارس وغيرها من المنشآت العمرانية التي لا زالت مشاهدها قائمة في مصر والشام إلى اليوم[٦٧]، إذ شيد وعمر تسعة وثمانين جامعًا، وثلاث

وسبعين مدرسة، وثلاثة وثلاثين مسجدًا، وخمس وعشرين زاوية، واثنين وعشرون خانقاه، واثنين وعشرين رباطًا، وخمس بيمارستانات(٦٨).

٩وكان الاهتمام كبيرًا في إنشاء المساجد والجوامع لما تطلبه النشاط الديني والعلمي لإقامة تلك الأماكن الدينية، إذ جدد الناصر محمد بن قلاوون في دمشق ثلاثة جوامع(٦٩) وأهمهم هو جامع القلعة في مصر الذي أنشأه سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م(٧٠).

وقد أشار ابن بطوطة(٧١) إلى النهضة العمرانية التي وصلت إليها مصر في ظل دولة المماليك بعصريها الأول والثاني وسباق الأمراء من أصحاب المراتب العليا في إقامة المنشآت العمرانية الخدمية للعامة... بقوله: "**أما المدارس فهي كثيرة فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها، أما المارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون فيعجز الواصف عن محاسنه وقد أعد فيها المرافق والأدوية ما لا يحصر... والزوايا كثيرة وهم يسمونها الخوانق والأمراء في مصر يتنافسون في بناء الزاويا....**".

كما عني السلاطين والأمراء المماليك بإقامة الجسور السلطانية والبلدية، فالجسور السلطانية جارية مجرى سور المدينة(٧٢)، يشرف السلطان إشرافًا مباشرًا على عمارتها، وقيل بلغ مصروف هذه الجسور زمن السلطان محمد بن قلاوون ربع خراج الإقطاعات(٧٣)، إذ من واجب السلطان الاهتمام بعمارتها والنظر في مصلحتها وكفاية العامة أمر التفكير فيها(٧٤)، أما الجسور البلدية، فهي من أولويات عناية واهتمام أصحاب الاقطاعات العسكرية إذ يصرف على عمارتها من أموال إقطاعاتهم(٧٥).

٣. أمراء الطبلخانة:

وهي المرتبة العسكرية الثالثة في الجيش المملوكي، ويكون نصيب كل أمير أربعين فارسًا من جيش السلطان يشرف على أعدادهم وتدريبهم وقيادتهم، وبعض منهم يزداد العدد لديه إلى سبعين فارسًا أو ثمانين وفقًا لإقطاعه ولكن في كل الأحوال العدد لا يقل عن أربعين، وليس لأمراء الطبلخانة عدد معين إذ يجوز أن ينقص عددهم بتفريق أمرة الطبلخانة(٧٦).

وأبرز من تولى هذه المرتبة العسكرية هو الأمير يلبان الرومي الظاهري، حصل أمرة ستين في عهد السعيد بركة خان بيبرس(٧٧).

وعدد أمراء الطبلخانة يختلف من عهد إلى آخر اذ كانت عدتهم في أول الأمر أربعين أميرًا، كل واحد منهم بخدمته أربعون مملوكًا، ثم زاد عددهم في عهد السلطان الناصر محمد فبلغ (١٠١٦) ما بين خاصكي وخارجي وقسم العدد كالاتي: ٤٥ اميراً خاصكياً و١٤٦ اميراً خارجياً فضلاً عن مماليكهم بلغوا ٨٢٥ فارساً[٧٨].

ومن ضمن أمراء الطبلخانة كل من الكشاف[٧٩]، وأميرشكار[٨٠]، والاسفهسلار[٨١]، وأمير أخور ثاني[٨٢]، وأمير خازندار ثاني[٨٣].

٤. أمراء العشرات:

وهي المرتبة العسكرية الرابعة تأتي بعد أمراء الطبلخانة في مدرج المراتب العسكرية ويوجد فيهم من له عشرون فارسًا أو مملوكًا، ومن هذه المرتبة العسكرية يعين صغار الولاة ونحوهم من أرباب الوظائف[٨٤]، وتندرج مرتبة استادار الصحبة[٨٥] وأمير علم[٨٦] ضمن هذه المرتبة[٨٧].

٥. أمراء الخمساوات:

تأتي في المرتبة الأخيرة في تدرج المراتب العسكرية المملوكية، وعدد أمراء الخمساوات ثلاثون أميرًا، بخدمة كل واحد منهم خمسة مماليك[٨٨].

وتندرج مرتبة أمير منزل[٨٩]، وأمير مشوي[٩٠]، ضمن هذه المرتبة[٩١]، وتكون هذه المرتبة من نصيب أولاد الأمراء الذين توفى آباؤهم وذلك رعاية لسلفهم، وهم في مرتبة أكابر الجند[٩٢]، ومنهم صاحب وظيفة كغيره من الأمراء ومنهم من لا وظيفة له[٩٣].

الخاتمة:

تعد دراسة المراتب العسكرية في عصر المماليك البحرية من الدراسات المهمة في التاريخ الاسلامي لانها بينت العديد من المحاور الرئسية التي كانت موجودة في ذلك العصر اهمها تحيز المماليك لابناء جنسهم بشكل عنصري في اسناد المراتب العسكرية لهم دون غيرهم، والاغداق عليهم بالعطايا من حلي واراضي وممتلكات والجانب الاهم الاهتمام الواضح في البنية العسكرية داخل الدولة المملوكية حيث ان المماليك اهتموا بافراد الجند منذ نعومة

أظفارهم من حيث تعليمهم وتدريبهم وتثقيفهم وهذا مالم يكن موجود في العصر السابقة للدولة المماليك البحرية.

الهوامش:

(١) ضومط، أنطوان خليل، الدولة المملوكية (التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري)، ط١، دار الحداثة، بيروت- لبنان، ١٩٨٠م.، ص٦٧-٦٨.

(٢) المنصوري، التحفة الملوكية، المنصوري بيبرس بن عبد الله الدوادار الخطابي (ت٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، التحفة المملوكية، : الدار المصرية- اللبنانية، ١٩٨٧م.، ص١٦.

(٣) أتابك العسكر: لفظ تركي مركب من مقطعين (أتا) بمعنى أب (بك) بمعنى الأمير وتعني مربي الأمير ثم تطور استخدامها لتطلق على الملك أو الوزير وعلى إمارة العسكر في العصر المملوكي. ينظر: دهمان، معجم الألفاظ، ص١١؛ العمايرة، المعجم العسكري، ص١٤؛ حلاق، صباغ، المعجم الجامع، ص١٤.

(٤) قاسم، قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، : عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠م، ص١٦٧.

(٥) ضومط، الدولة المملوكية، ص٦٨-٦٩.

(٦) الأشقر، محمد عبد الغني، أتابك العساكر في القاهرة عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)، : مكتبة مدبولي، القاهرة- مصر، ٢٠٠٣م، ص٢٥.

(٧) المنصوري، التحفة الملوكية، مقدمة المؤلف، ص٧-٨.

(٨) المقريزي، السلوك، ج١، ص٥١٥-٥١٦.

(٩) المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٢٠.

(١٠) بدر الدين بيسري الشمسي: هو الأمير شمس الدين الصالحي النجمي أحد مماليك الصالح نجم الدين أيوب نقل من الخدم حتى صار من أجل الأمراء في أيام الملك الظاهر بيبرس، توفي في العاشر من ذي القعدة سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م بالحبس بقلعة القاهرة ودفن بتربته وعمل عزاءه في جامع دمشق حضره نائب السلطنة والخطيب والقضاة وأعيان الأمراء. ينظر: البرزالي، علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف (ت٧٣٩هـ/ ١٣٤٣م) ، المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي ، تح: عمر عبدالسلام تدمري ،ط١، : المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦م، ج٢، ص٦٩٦، المقريزي، الخطط، ج١، ص٦٩.

(١١)ابن أياس، زين العابدين محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، : مكتبة دار اليار، مكة المكرمة، ١٥٢٥م.، ج١، ص٩٩.

(١٢) حسام الدين لاجين الأيدمري الدوادار الملقب بالدرفيل، لأنه كان مفرط الذكاء، كثير المعرفة والخبرة بالأمور محبًا للعلماء والفقراء حسن الظن يقبل عليهم ويقضي حوائجهم ويبالغ في إكرامهم وتعظيمهم ويكتب بخط جيد جيداً، توفي في ١٤ رمضان سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٢م ولم يكمل الأربعين. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص١١٩.

(١٣) أمير أخور: هو المشرف على اسطبل السلطان وخيوله ويسكن بنفس الأسطبل. ينظر: دهمان، معجم الألفاظ، ص٢٠؛ العمايرة، المعجم العسكري، ص٣٩.

(١٤) المنصوري، التحفة الملوكية، مقدمة المؤلف، ص١٦.

(١٥) الأمير جمال الدين ايدغدي بن عبد الله العزيزي من أكابر الأمراء وأحظاهم عند السلطان الملك الظاهر بيبرس لا يكاد يخرج عن رأيه، كان متواضعاً لا يلبس محرمًا، كريمًا، وقورًا، أصابته جراح في حصار صفد ولم يزل ضعيفًا منها حتى مات من سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م ودفن بالرباط الناصري بفتحة جبل قاسيون. ينظر: العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج١، ص١١١.

(١٦) قاسم، قاسم ، عبدة، ماهية الحروب الصليبية، : عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠م.، ص١٦٧.

(١٧) المقريزي السلوك ، ج٢، ص٥٠ – ٥٣؛ قاسم ، ماهية الحروب الصليبية، ص١٦٧.

(١٨) سالم، السيد عبد العزيز، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، : مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية– مصر، ١٩٦٦م، ص٤٦٩.

(١٩) ابلستين: مدينة مشهورة تقع في بلاد الروم حدثت فيها معارك عسكرية بين المسلمين والتتار. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٧٣.

(٢٠)الصفدي: الحسن بن أبي محمد عبدالله الهاشمي العباسي (ت٧١٧هـ/١٣١٧م)، نزهة المالك والمملوك في مختصر سير من ولي مصر من الملوك يؤرخ في عصر الفراعنة والانبياء حتى سنة ٧١٧هـ، تح: عمر عبد السلام تدمري، : المكتبة العصرية، لبنان– بيروت، ٢٠٠٣م، ص١٥٦؛ أبي الفداء، المختصر، ج٤، ص١٧.

(٢١) صفد: مدينة جبلية تطل على حمص بالشام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٤١٢.

(٢٢) المنصوري، التحفة الملوكية، ص٦٠.

(٢٣) المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٢٧.

(٢٤) بركة خان، السعيد ابن بيبرس الملك السعيد ناصر الدين أبو السعد ابن الظاهر، تسلطن سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م، وخلع سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م، ينظر: الملطي، نزهة الاساطين ، ص٧٧.

(٢٥) المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٣٠-٥٣١؛ المنصوري، التحفة الملوكية، ص٥١.

(٢٦) ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تناول الحقبة ما بين سنتي ٦٧٨-٦٨٩هـ، تح: مراد كامل، مراجعة محمد على النجار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ١٩٦١م، ص٨٩-٩٣.

(٢٧) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص٨٩-٩٣.

(٢٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٠؛ الخطط، ج٤، ص٩٥.

(٢٩) جمال الدين ابن العديم إبراهيم بن محمد بن عمر بن أبي بركات عبد العزيز بن أبي الفضل هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى، قاضي القضاة جمال الدين بن قاضي القضات ناصر الدين بن قاضي القضاة كمال الدين الشهير بابن جرادة ابن العديم الحلبي الحنفي قاضي قضاة حلب، وهو من بيت رئاسة وعلم وفضل، ويأتي ذكر جماعة من أقاربه في محالهم، توفي بحلب سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م وكان مشكور السيرة عفيفًا. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص١٧١.

(٣٠) ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تناول الحقبة بين سنتي ٦٧٨-٦٨٩هـ، تح: مراد كامل، مراجعة: محمد علي النجار، : وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة الثقافية، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ١٩٦١م.، ص٨٩-٩٣.

(٣١) غانم، عماد الدين، الملك الظاهر بيبرس، : الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، ٢٠١١م، ص٩٤-٩٦.

(٣٢) المنصوري، التحفة الملوكية، ص٩.

(٣٣) القلقشندي، أبي العباس شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، : المطبعة الأميرية، القاهرة- مصر، ١٩١٤م. ، ج٤، ص١٤.

(٣٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص١١٩.

(٣٥) الظاهري، زبدة، ص١١٣؛ بولياك، الاقطاعية، ص٣٥.

(٣٦) الاستدار: هو لفظ فارسي مركب من مقطعين الأول (استد) ومعناه الأخذ والثاني (دار) ومعناه (مسكن او ممسك) وتعني (دار الاخذ) وأيضاً هو لقب أطلق على من يتولى قبض المال السلطاني وصرفة وتمثيل أوامر السلطان فيه. ينظر: دهمان، معجم الألفاظ، ص١٥؛ العمايرة، المعجم العسكري، ص٢١.

(٣٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص٥٨٠؛ ضومط، الدولة المملوكية، ص٧١-٧٢.

(٣٨) ضومط، الدولة المملوكية، ص٦٧.

(٣٩) ضومط، الدولة المملوكية، ص٦٢.

(٤٠) زبدة كشف الممالك، ص١١٣.

(٤١) بولياك، أ.ن، الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان، ترجمة: عاطف كرم ، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ، مطابع نصار ، بيروت – لبنان، ١٩٤٩م، ص٣٥.

(٤٢) أمير السلاح: وهو لقب أطلق على الذي يكون مسؤولاً عن سلاح السلطان والمماليك السلطانية. ينظر: الملطي، محمد بن إبراهيم بن علي (ت٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م) الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم ، تح: عمر عبد السلام تدمري،ط١، : المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ٢٠١٤م، ج٣، ص٣٠٣؛ دهمان، معجم الألفاظ، ص٢٠؛ العمايرة، المعجم العسكري، ص٤٥.

(٤٣) أمير كبير: يتولى نيابة السلطنة أو أتابك العسكر ويلي أتابك العسكر في المرتبة. ينظر: دهمان، معجم الألفاظ، ص٢٢.

(٤٤) أمير مجلس: من المراتب المهمة التي استندت إلى أمراء المئات في الجيش المملوكي تتلخص في إشراف صاحبها على مجلس السلطان والأطباء والكحالين. ينظر: العمايرة، المعجم العسكري، ص٤٩.

(٤٥) أمير جاندار: مصطلح تركي فارسي مركب جاء بمعنى (روح دار) وتعني الحفاظ على السلطان من الأذى والإشراف على تنفيذ عقوبة القتل التي يأمر بها السلطان بحق بعض الأمراء وهو يستأذن السلطان بدخول الأمراء للخدمة. ينظر: دهمان، معجم الألفاظ، ص٤١.

(٤٦) أمير خازندار الكبير: مهمته الإشراف على خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وأسلحة وغيرها. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١١٤؛ العمايرة، المعجم العسكري، ص٤٢.

(٤٧) أمير الدوادار الكبير: مهمة صاحبها تبليغ الرسائل عن السلطان وإخراج التواقيع والمراسيم بالمكاتبات والإقطاعات وهو حامل دواة السلطان ويحفظ أسراره السلطان وبالتالي أسرار الدولة كلها. ينظر: العمايرة، المعجم العسكري، ص٤٣.

(٤٨) أمير رأس النوبة: مهمته يحكم في أمر المماليك السلطانية وينفذ الأمر فيهم. ينظر: دهمان، معجم الألفاظ، ص٨١.

(٤٩) أمير حجاب: هي من مراتب أرباب السيوف، وضع في الثامنة بين المراتب العسكرية لأمراء المئة في الجيش. ينظر: العمايرة، المعجم العسكري، ص٩٩.

(٥٠)المنصوري، التحفة الملوكية، ص٥١؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٣٠-٥٣١.

(٥١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٣٤٨.

(٥٢) أيبك الأفرم الصالحي النجمي من كبار قادة المماليك البحرية له أموال كثيرة واملاك عظيمة وكان يتميز بالشجاعة والخبرة وهو من أبرز الأمراء في عهد السلطان الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون ، ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٨٨-٣٨٩.

(٥٣) حسام الدين بن عبد الله المنصوري: من ملوك دولة المماليك البحرية لمصر والشام وهو الحادي عشر من ملوك الترك كان مملوكًا للمنصور قلاوون ، حصل على نيابة السلطنة أيام العادل كتبغا، ثم خلع العادل وولي السلطنة بدلاً عنه سنة ٦٩٠هـ/١٢٩٠م، ولقب بالملك المنصور. للمزيد من المعلومات ينظر: الصفدي، نزهة المالك ، ص١٧٤-١٧٥؛ الزركلي، الأعلام، ص٢٣٨.

(٥٤) أقوش الموصلي: الأمير جمال الدين الموصلي المشهور بقتال السبع، أحد مماليك الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل قدم إلى مصر بعد واقعة هولاكو في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، ترقى في الخدم حتى جعله الملك المنصور قلاوون أمير على الجند فترقى بعدها وصار من أكابر الأمراء إلى أن مات سنة ٧١٠هـ/١٣٨٠م. ينظر: المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص١٣٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٣١٦.

(٥٥) الاسبتارية: طائفة من الفرسان نسبه إلى الاسبتار وهي منظمة دينية عسكرية انشئت في بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي، وهي لفظة أجنبية معروفة بـ (Hospitallers). وتعني فرسان المشفى أسسها بعض تجار المدينة عام ٤٦٢هـ/١٠٧١م أصبحت جمعية خيرية في بيمارستان قرب كنيسة القيامة في بيت المقدس للعناية بالفقراء والحجاج الأوربيين، ثم دخل هؤلاء تحت نظام البندكتي المعروف في غرب أوربا وصاروا يتبعون البابا في روما مباشرة، وحينما وصل الصليبيون إلى بيت المقدس وحاصروها، قدم فرسان الاسبتارية مساعدات مهمة لهم. ينظر: سميث، جوناثان رايلي، الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص١٠٥٠هـ-١٣١٠م، ترجمة: صبحي الجابي، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق- سوريا، ١٩٨٦م، المقدمة، ص٧.

(٥٦) سالم، السيد عبد العزيز، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، : مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية- مصر، ١٩٦٦م، ، ص٢٨٤-٢٨٥.

(٥٧) حسام الدين طرنطاي المنصوري السيفي: كان نائب السلطنة بالديار المصرية ترك أموالاً كثيرة ولم يكن له نظير في معرفته وذكائه وفطنته وشجاعته وحسن تدبيره، بنى مدرسته بالقاهرة توفي سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م ولم يبلغ الخمسين من عمره. ينظر: البرزالي، تاريخ ، ج٣، ص٢١٣.

(٥٨) عاشور، سعيد عبدالفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام، ط٢، : دار النهضة العربية، القاهرة – مصر، ١٩٧٦م، ، ص٧٠.

(٥٩) عاشور، العصر المماليكي، ص٧٠-٧١.

(٦٠) الحداد، محمد حمزة إسماعيل، السلطان المنصور قلاوون (تاريخ أحوال مصر في عهده – منشأته العمرانية)، ط٢، : مكتبة مدبولي، القاهرة– مصر، ١٩٩٨م، ص٧٧.

(٦١) القبة السلطانية: هي المظلة الخماسية وكانت القبة خاصة بالسلاطين لا يحق لأحد استعمالها في المواكب غيرهم. ينظر: دهمان، معجم الألفاظ، ص١٢١؛ العمايرة، المعجم العسكري، ص٢٣٢.

(٦٢) المدرسة الظاهرية: انشأها الملك الظاهر بيبرس البندقداري شرع في بنائها سنة ٦٦١هـ/١٥٦٢م، وأكملت سنة٦٦٢هـ/١٢٦٣م، كان يدرس فيها المذهب الشافعي وعلم الحديث ووقف بها خزانة كتب. ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٦٤.

(٦٣) العمايرة، المعجم العسكري، ص٢٣٣-٣٥٩.

(٦٤) الأشرف خليل بن قلاوون: الملك الأشرف صلاح الدين أبو الفتح تسلطن في يوم الأحد سابع ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ/١٢٩١م وقتل سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م. ينظر: الملطي، نزهة الأساطين، ص٨١-٨٢.

(٦٥) مغاري، اياد احمد عبدالعزيز، عوامل النصر والتمكين للدولة المملوكية في عهد اسرة المنصور قلاوون (٦٧٨-٧٨٣هـ/ ١٢٧٩ – ١٣٨٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ، الجامعة الإسلامية ، غزة – فلسطين، ٢٠١٨م، ص١١٦.

(٦٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص١٣٦.

(٦٧) عاشور، العصر المماليكي، ص١٢٤.

(٦٨) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٤٤-٣٣١.

(٦٩) مغاري، اياد احمد عبدالعزيز، عوامل النصر والتمكين للدولة المملوكية في عهد اسرة المنصور قلاوون (٦٧٨-٧٨٣هـ/ ١٢٧٩ – ١٣٨٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ، الجامعة الإسلامية ، غزة – فلسطين، ٢٠١٨م، ، ص١١٦.

(٧٠) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٣٢٥.

(٧١) الرحلة ، ج١، ص٢٢-٥٦.

(٧٢) ابن مماتي، كتاب قوانين الدواوين، ص٢٣٢.

(٧٣) مغاري، عوامل النصر، رسالة ماجستير غير منشورة، ص١٧٢.

(٧٤) ابن مماتي، كتاب قوانين الدواوين، ص٢٣٢.

(٧٥) ابن مماتي، كتاب قوانين الدواوين، ص٢٣٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٤٩.

(٧٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥.

(٧٧) العسقلاني، الفضل المأثور، ص٤٩؛ طرخان، النظم الاقطاعية، ص١٦٠.

(٧٨) الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت٨٧٤هـ/١١٦٨م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تح: بولس راويس، المطبعة الجمهورية ، مدينة باريس المحروسة، ١٨٩٤م، ج١ ، ص١١٣.

(٧٩) الكشاف: مفردها كاشف وهم أرباب السيوف وتعني والي إقليم معين في مرتبة معينة يتولى أمور الإقليم والحكم وفيه الإشراف على أمنه كولاة اعمال الأقاليم المصرية ونواب الشام . ينظر: العمايرة: المعجم العسكري، ص٢٤٧.

(٨٠) أمير شكار: مصطلح مركب من مقطعين الأول عربي (أمير) والثاني فارسي (شكار) يعني (الصيد) فيكون المعنى (أمير الصيد) وهو من أمراء الجيش المملوكي. ينظر: العمايرة، المعجم العسكري، ص٤٥.

(٨١) الاسفهسلار: مرتبة عسكرية تندرج ضمن مراتب أرباب السيوف ويرجح إلى صاحبها أمير الأجناد المعني بشأنهم وامورهم. ينظر: دهمان، معجم الألفاظ، ص١٦؛ العمايرة، المعجم العسكري، ص٢٥؛ حسان، صباغ، المعجم الجامع، ص١٨.

(٨٢) أميراخور ثاني: من مراتب أرباب السيوف الخاصة باسطبلات السلطانية يكلف بالإشراف المباشر على ما يتوفر في الاستطبلات من الخيول السلطانية يتولها أحد أمراء الطبلخانة. ينظر: العمايرة، المعجم العسكري، ص٣٨.

(٨٣) أمير خازندار ثاني: من مراتب أرباب السيوف يتولى الإشراف على خزائن الأموال السلطانية ويندرج تحت رتبة أمراء الطبلخانة. ينظر: العمايرة، المعجم العسكري، ص٤٢.

(٨٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥.

(٨٥) أستادار الصحبة، هي مرتبة عسكرية تندرج ضمن أمرة أمراء العشرات مكلف صاحبها بالإشراف على المطبخ السلطاني ومن مهامه أيضاً المشي أمام السلطان والإشراف على السماط السلطاني. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٢٨١؛ العمايرة، المعجم العسكري، ص٢٢.

(٨٦) أمير علم: مهمته الإشراف على الأعلام والطبول السلطانية وباقي آلات الموسيقى (الطبلخانة) التي تدق في المواكب السلطانية وترافق العسكر (موسيقى الجيش) ومتابعة جميع المستخدمين لهذه الآلات

ويشترط فيه أن يكون طويل القامة وحسن الشكل. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٥٦؛ العمايرة، المعجم العسكري، ص٤٨.

(٨٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٨١؛ العمايرة، المعجم العسكري، ص٢٢-٤٨.

(٨٨) الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١١٣؛ العمايرة، المعجم العسكري، ص٤٢-٤٣.

(٨٩) أمير منزل: تندرج ضمن مرتبة أمراء الخمساوات في الجيش المملوكي، كان مكلفاً بالإشراف على فئة الفراشين في القصر السلطاني. ينظر :الظاهري، زبدة، ١١٥؛ العمايرة، المعجم العسكري، ص٥٠.

(٩٠) أمير مشوي: مهمته الإشراف على ما يشوي للسلطان من أصناف اللحوم والطيور. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٣٣٢؛ العمايرة، المعجم العسكري، ص٥٠.

(٩١) العمايرة، المعجم العسكري، ص٥٠.

(٩٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥.

(٩٣) الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت٨٧٤هـ/١١٦٨م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تح: بولس راويس، المطبعة الجمهورية ، مدينة باريس المحروسة، ١٨٩٤م، ج١ ، ص١١٣.

موارد ومنهج الامام محمد علي القلعي في كتابة تهذيب الرياسة وترتيب السياسة

The Sources and Methodology of Imam Muhammad Ali al-Qala‘i in His Book Tahdhib Al-Riyasa wa Tartib Al-Siyasa

م. د. سعاد سليم عبدالله

Dr. SUAAD SALEEM ABDLLAH

وزارة التربية / تربية الرصافة الثانية/ الاشراف التربوي

soadsalem809@gmail.com

٠٧٧١٩٧٥٤٤٦٣

موارد ومنهج الامام محمد علي القلعي في كتابة تهذيب الرياسة وترتيب السياسة

م. د. سعاد سليم عبدالله

الملخص

تُعَدُّ دراسة "موارد ومنهج الإمام محمد علي القلعي في كتابة تهذيب الرياسة وترتيب السياسة" من البحوث التي تُلقي الضوء على أحد أوجه الفكر السياسي والأخلاقي الإسلامي في مرحلة دقيقة من تاريخ الحضارة الإسلامية، حيث تشكلت فيه رؤى العلماء حول علاقة الحاكم بالمحكوم، ومفاهيم القيادة الرشيدة القائمة على العدل والعقل والقيم.الإمام محمد علي القلعي لم يكن مجرد مؤلف، بل كان عالمًا موسوعيًّا جمع بين الفقه والسياسة والتاريخ، وكان كتابه "تهذيب الرياسة وترتيب السياسة" شاهدًا على مدى عمق إدراكه لحاجة الأمة إلى إعادة تنظيم مفهوم السلطة، ليس فقط باعتبارها أداة حكم، بل مسؤولية أخلاقية ودينية تجاه الأمة تستعرض هذه الدراسة الموارد التي اعتمد عليها القلعي، والتي شملت مصادر دينية كأحاديث النبي ، والقرآن الكريم، فضلًا عن كتب التراث السياسي الإسلامي مثل "سِيَر الملوك"،و"الآداب السلطانية"، وأعمال المفكرين الإسلاميين كالفارابي والماوردي وابن المقفع. ويظهر من خلال ذلك سعي القلعي إلى المزج بين الإرث الفقهي والقيم الأخلاقية مع رؤى عملية لإدارة الدولة، مما يعكس روح التجديد والإصلاح.

أما على مستوى المنهج، فقد اعتمد القلعي أسلوبًا تحليليًا وتركيبيًا، جمع فيه بين الاستقراء والتأمل في التجربة الإسلامية من جهة، والمقارنة بين النماذج التاريخية للسلطة من جهة أخرى. كما برزت في كتابه نزعة تعليمية واضحة، موجهة إلى الأمراء والساسة، تدعوهم إلى تهذيب النفس وتصفية النية قبل مباشرة الحكم، وتأكيدًا على أن السياسة لا تنفصل عن الدين، وأن الملك لا يستقيم إلا بالعدل والحكمة.إن هذا الكتاب لا يُعد مرجعًا في السياسة فحسب، بل وثيقة فكرية تُبرز مدى التداخل بين العلوم في المشروع الحضاري الإسلامي، وتقدم قراءة متقدمة لمفهوم السلطة باعتبارها تكليفًا لا تشريفًا، ورسالة لا مجرد وسيلة:

الكلمات المفتاحية: (الإمام محمد علي القلعي، تهذيب الرياسة، السياسة الشرعية، الفكر السياسي الإسلامي، مصادر التاليف، المنهج التاليفي، اداب الحكم والسلطة)

Abstract

The study titled "Sources and Methodology of Imam Muhammad Ali al-Qala'i in his Book Tahdhib al-Riyasa wa Tartib al-Siyasa" explores a significant intellectual contribution to Islamic political and ethical thought during a pivotal period in the Islamic civilization. This work sheds light on the perspectives of scholars regarding the relationship between rulers and subjects, and the foundations of righteous leadership based on justice, reason, and moral values.

Imam Muhammad Ali al-Qala'i was not merely a writer; he was a polymath scholar whose work integrated jurisprudence, politics, and history. His book Tahdhib al-Riyasa wa Tartib al-Siyasa reflects his deep understanding of the need to reformulate the concept of authority—not merely as…

Keywords: (Imam, Muhammad Ali al-Qala'al-Riyasa, Tahdhib, Islamic political thought, Legitimate governance, authorship, Sources of Ethical leadership, Scholarly methodology)

المنهجية

اعتمد هذا البحث منهجًا تاريخيًّا تحليليًّا تأصيليًّا، يجمع بين استقراء المعطيات النصية القديمة، وتحليلها في ضوء السياقات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي عايشها الإمام محمد علي القلعي. وقد جرى اختيار هذا المنهج لكون طبيعة الموضوع تجمع بين الجانبين النصي (التحقيق في الكتاب) والفكري (تحليل رؤى المؤلف ومقاصده)، وهو ما يستدعي تعددية في أدوات القراءة والبحث.

١. المنهج التاريخي:

أُفْرِد هذا المنهج لفهم السياق الزمني الذي عاش فيه الإمام القلعي، بما في ذلك الأحوال السياسية، والظروف الاجتماعية، وطبيعة الثقافة الإسلامية في عصره. كما تم استخدامه لتحديد مصادره وتأثيرات الموروث السياسي الإسلامي عليه، وتحليل خطابه ضمن بيئته المعرفية وتاريخ التأليف في أدب السياسة.

٢. المنهج التحليلي:

استُخدِم هذا المنهج في تحليل محتوى كتاب تهذيب الرياسة وترتيب السياسة من حيث بنيته الموضوعية، وتسلسل أفكاره، وأساليبه البلاغية والتعليمية، ونظرته إلى الحكم والسلطة. وتم التركيز على تحليل المفاهيم المركزية مثل "الرياسة"، "العدل"، "تهذيب النفس"، و"ترتيب السياسة"، لاكتشاف البنية القيمية والمرجعية التي ينطلق منها القلعي.

٣. المنهج التأصيلي المقارن:

اعتمد البحث على تأصيل فكر القلعي من خلال مقارنة أطروحاته مع من سبقه من المفكرين السياسيين الإسلاميين كالفارابي، والماوردي، وابن المقفع، ومن عاصره أو جاء بعده. وقد ساعد هذا المنهج على إبراز تفرّده، واستقلال نظره، ومواضع التقاطع والتباين بينه وبين غيره من أعلام الفكر السياسي الإسلامي.

٤. المنهج النصي النقدي:

لأن مادة الدراسة هي نص تراثي، فقد جرى اعتماد منهج نقد النصوص التراثية، مع مراعاة قواعد التحقيق والتمييز بين الآراء الشخصية للمؤلف والاقتباسات من مصادر سابقة. كما تم الانتباه إلى البنية اللغوية للنص، ونوع الخطاب المستخدم، والأثر النفسي والتربوي المقصود من توجيه النص إلى الساسة والولاة.

المقدمة

شهدت الحضارة الإسلامية عبر قرونها الزاهية تفاعلاً خلاقًا بين الفكر الديني والسياسي، تجلّى في نتاجات علمية وفكرية غزيرة عبّر من خلالها العلماء عن رؤيتهم لمكانة الحاكم، وشروط الحكم الراشد، وأسس العلاقة بين السلطان والرعية. ومن بين تلك النتاجات تبرز مصنفات تُعنى بآداب السياسة، وتعمل على تهذيب مفهوم الرياسة، وتقويم سلوك أولي الأمر، ومن أبرز هذه المؤلفات كتاب "تهذيب الرياسة وترتيب السياسة" للإمام محمد علي القلعي.

ينتمي الإمام القلعي إلى زمرة العلماء الذين أدركوا خطورة الانحراف السياسي، وأثره في فساد المجتمع والأمة، فسعى عبر كتابه إلى تأسيس رؤية متكاملة تجمع بين الأخلاق السياسية والمبادئ الدينية، لتقويم سلوك الحاكم وتوجيهه نحو قيم العدل والعقل والتواضع.

ويعكس هذا الكتاب حيوية العقل الإسلامي في تأصيل مفاهيم السلطة لا بوصفها غاية في ذاتها، بل مسؤولية عظيمة...

يتناول هذا البحث منهج الامام ابي عبد الله القلعي في كتابة تهذيب الرياسة وترتيب السياسية , وتشمل البحث سيرة حياته ابتدأ بأسمه ولقبه ثم مولدة ونشأته وشيوخه واشهر تلاميذه ومؤلفاته , كما تضمن الحاله السياسية والعلمية والاقتصادية, كما ضم دوافع القلعي في التاليف كتابة ومحتواه الذي اشتمل على قسمين القسم الاول تضمن عده ابواب وفصول, اما القسم الثاني فكان ذكر لبعض الخلفاء الامويين والعباسيين ثم تناول موارد القلعي والتي كانت متعددة

تم الاعتماد في كتابة البحث على عدة مصادر, وأن كان تهذيب الرياسة وترتيب السياسة هو المتبع بالدرجة الاساس, فضلا عن مصادر اخرى منها كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك وكتاب طبقات الشافعية وغيرها من كتب التراجم التي افادت في دراسة حياته, ومن المصادر الجغرافية معجم البلدان وكتاب اثار البلاد واخبار العباد, اذ افادت في دراسة المناطق التي توجد بها الامام ابي عبد الله القلعي, كذلك تمت الاستعانة ببعض كتب الاحاديث ومنها كتاب الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله صلى الله علية وسلم للبخاري وغيرها من كتب الصحاح.

المطلب الاول السيرة الذاتية:-

اسمه:

أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن على بن آبي القلعي (محمد بن علي الاكوع، ١٩٩٥م، صفحة ٤٥٤) الشافعي (احمد بن يحيى البلاذري، ١٩٩٦، صفحة ٣٩٣) مذهباً وآلزبيدي (عبد الكريم بن محمد السمعاني، ١٩٦٢، صفحة ٢٦٢) منشآ والمرباطي (ياقوت الحموي، د.ت، صفحة ٩٧) موطناً.

لقبة:

جاء لقب القلعي نسبة إلى قلعة اختلف المؤرخون في تحديدها ومن هذه الاراء

١-رآي القاضي الخزرجي (نسبة إلى قلعة جلب بالشام ويتوضيح آنها نسبة إلى قلعة بلدة بالمغرب) (علي بن الحسن الخزرجي، ١٩٨٣، صفحة ٢٠٣)

٢-رآي ياقوت الحموي (يتوضيح آنها موضع باليمن ينسب إليها الفقيه القلعي) (معجم البلدان، د.ت، صفحة ٣٨٩)

٣-اما ابن قاضي (القلعي منسوب إلى قلعه بلدة بالقرب من ظفار) (طبقات الشافعية، د.ت، صفحة ٣٩)

٤-ابن الاثير (القلعي نسبة إلى بلدة يقال له القلعه لكنة لم يتوضيح مكآنها في آلبلاد) (اللباب في تهذيب الانساب ، د.ت، صفحة ٥١)

الارجح ان لقبة جاء من قلعة حلب لعدة آسباب منها ان القلعي شافعي المذهب انما اهل المغرب على مذهب المالكي ولو انه من اهل اليمن لما تفاجئ بها هل مرباط والح عليهِ في البقاء فيها (محمد بن سالم المهري، ٢٠١٥، صفحة ١٥)

ومن المرجح ان الآمام يرجع إلى ثلاث اوطان وطن الآجداد وهو حلب ووطن المنشأ اليمن ووطن المهجر مدينة مرباط (المهري، د.ت، صفحة ١٦)

مولدة ونشأتة:

ان كتب التاريخ والتراجم لم تبين شيء عن مولد القلعي وطفولته وتلقيه العلم فلا نجد شيء عن آبوية وآسرتة ولاعن آساتذتة الذين تتلمذ على ايديهم في طفولتة حتى آن جميع الذين ترجموا للقلعي رددوآ ما توضيحه الجندي في كتاب السلوك في الطبقات آلعلماء والملوك تكون اختصاراً لما ورد دون زيادة (محمد بن علي القلعي، ١٩٨٥، صفحة ٤٠).

وفاتة:

تشير كتب التراجم إلى ان القلعي عمر طويلآ حيث شارفَ آلتسعين وبانةَ بذلك آلجندي في آلتصرف وآلخزرجي في العقود اللؤلوءيه ولاحقهم في ذلك آلزركلي حيث اطبقوا علي آن وفاتهُ بمرباط في سنه (٦٣٠) الا آن التاريخ الوفاه المنقوش على قبرهِ يشير إلى سنه ٥٧٧هـ (الزركلي، د.ت، صفحة ٣١٧)

شيوخه:

لم تتوضح كتب التراجم شي عن شيوخ الامام القلعي الذي تتلمذ على ايديهم واخذ منهم الفقه والدين والتاريخ والحساب فانة كانكان ضليعا بكل هذه العلوم متمرسآ بها وسبب ذلك ان القلعي تتلمذ على يد شيوخ بلده ثم رحل منها عالما وفقيها مصنفا فعرفة الناس هكذا

ولم يعرفوا شيوخة، كما انه لم يتوضيح في مؤلفاتة اسماء شيوخه الذين اخذ العلم منهم (القلعي، د.ت، صفحة ٤٦)

تلاميذة:

بالرغم من شهرة آبي عبد الله القلعي قي تاريخ الفكر الآسلامي واسهاماتة الفقهية والسياسية إلا ان كتب التراجم لم تتوضيح الا القليل من تلاميذه مع انهم كثرة والدليل على ذلك رواية الجندي منافع الناس إلى حضر موت فقصدوه واخذواعنه الفقة وغيرها آي لم ينشر آلعُلمِ عن احد بتلك الفترة آي آنتشر عنهُ واعيانة فقهاءها اصحابة واصحاب اصحابة :-

١-الفقيه محمد بن احمد السبتي، يعود نسبة إلى اوس بن خمعجي الصاحبي وكان فقيهآ فاضلآ مبارك آلتدريس وهو الذي اوجبَ مجلس التدريس بعدَ القلعى (الجندي، د.ت، صفحة ٤٦٩)

٢-يحيى بن آبي قصير الظفاري، كان فاضلآ اخذ عن الامام القلعي (الجندي، د.ت، صفحة ٤٢)٠

٣-يُعدّ أبو مروان علي بن أحمد بن سالم من أبرز أعلام حضرموت؛ فقد كان فقيهًا صالحًا، مشهودًا له بالخير والبركة، وقد أسهم بشكل فاعل في نشر العلم في حضرموت، حيث شهدت البلاد في عصره توسعًا ملحوظًا في الحركة العلمية. وكان من أصحاب المصنفات العديدة، ويُعدّ أول من انتسب إلى التصوف من بيت "آل أبي علوي"، بعد أن كان هذا البيت معروفًا بالفقه خاصة.(القلعي،د٠ت،صفحة٤٩)٠

٤-الفقية ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حاتم العطار بمكة اخذ عن الآمام القلعي في مكة (المهري، د.ت، صفحة ١١٢)

مؤلفاتة:

وضع الآمام محمد بن على القلعي عدة مصنفات في علوم الشريعة والفقة وصل منها الينا كتب بأيدي الفقهاء من مصر واليمن وغيرها ومنها:

١-تثقيف الرياسه وتنضيم السياسه، تنفيذ ابراهيم يوسف عجو، مكتبة المنار، الطبعه الآولى ١٩٨٥،الاردن.

٢-اللفظ المستغرب من شواهد المهذب، تحقيق خالد اسماعيل حسان ورمضان عبد التواب، الطبعة الاولى، مكتبة الاداب، القاهره، ٢٠٠٩

٣-ايضاح الغوامض في علم الفرائض، مخطوط في فقه المواريث، تم العثور على نسخة منه في المكتبة الوطنية بتونس

٤-احكام العصاة والمرتكبين الكبائر من اهل الآسلام وجاء اسمه في بعض مصادر باحكام القضاة وهو خطا من النساخين وقد توضيح الزركلي وجود اوراق منه في دار الكتب في دمشق.

٥-قواعد المهذب توضيحة الجندي والخزرجي مفقود

٦-احترازات المذاهب توضيحة الجندي وهو مفقود

٧-كنز آلحفاظ في غرائب الالفاظ توضيحة الجندي والخزرجي والزركلي مفقود

٨-لطائف الانوار في الصحابة الآبرار توضيحة الجندي والخزرجي مفقود

٩-احكام المختصر توضيحه الجندي مفقود.

بعض المصنفات تظهر في اقتباسات منها في كتب الفقهاء الشافعيه عند آلتطرق إلى بعض المسائل التي افتى بها الامام القلعي او شرحها او آدلى فيها بقول او رآي (القلعي، د.ت، صفحة ١٨)

المطلب الثاني عصره:-

اوضاع زبيد:

كانت زبيد قد شهدت في القرن آلخامس آلخامس الهجري ظهور دولة جديده ففي سنه ٤١٢ ظهرت دولة بني نجاح التي قامت على انقاض دولة بني زياد في تهامة وقد شجع نجاح مذهب آهل السنه وكان نجاح نفسة شافعي المذهب وانتهت هذة الدوله في حدود سنه ٤٥٤هـ وظهرت الدوله الصليحية برئاسة على بن مهدي بن محمد الصليحي واستمرت حتى سنه ٥٣٢ وفي سنة ٥٥٤هـ قصد على بن مهدي الرعيني زبيد وعاث فيها فسادآ وتحت وطأة هذة الفتنة خرج الآمام القلعي من زبيد.

ومن ناحية اخرى فقد عرفت حضر موت في بدايات القرن آلخامس الهجري آلكثير من الدول فهناك دولة آل راشد ومكآنها مدينة تريم ودولة ال دغار ومكآنها شبام ودولة ال

اقبال ومكآنها الشحر ودولة المنجوى ومكآنها مرباط لقد عرفت زبيد بكونها مركزا للعلوم وخاصه المذهب الشافعي الذي رسوخا لسببين احدهما تبني الدولة النجاحية له وثانيهما آلعلماء الدين ما فتئوا يحررون اصولة ويقررون فروعة حتى اقبل الناس علىه من سائر آلبلاد خاصة بعد دخول المذهب الشيرازي إليها ومن علماء الشافعيه الذين كانت تعج بهم زبيد القاسم بن محمد الجحمي الذي اخذ عنه علماء لحج وآبين والفقية زيد بن عبد الله اليافعي اخذ عنه جلة الفقهاء من آبين وحضر موت وكان الامر كذلك في حضر موت فقد اختار علماء حضر موت الفقة الشافعي اما انتشاره في حضر موت فانما كان على يد الامام القلعي الذي القى رحله بمرباط سنه ٥٥٤هـ.

الحالة السياسية:

عرفت حضر موت في بدايات القرن آلخامس الهجري آلكثير من الدول فهناك دولة ال راشد ومكآنها مدينة تريم، ودولة آل دغار ومكآنها شبام،ودوله آل اقبال ومكآنها الشحر ودولة منجوي ومكآنها مرباط وكانت اسرة علم وادب وكرم قبل ان تكون اسرة حكم وسياسة ومن اشهر سلاطينها احمد بن منجوه وابنة محمد بن احمد وصل القلعي مرباط في عهده والسلطان محمد بن محمد بن احمد الملقب بالآكحل (المهري، د.ت، صفحة ١١٣)

احتلت مرباط مكانة كونها بوابة اليمن على بلاد الهند والسند اضافة إلى الآستقرار والعدل الذي ارست دعائمة الدوله المنجويه.

الحالة العلمية:

عرفت زبيد بكونها مركزآ للعلوم لاسيما المذهب الشافعي فقد اقبل الناس إليها بعد دخول المذهب الشيرازي إليها ومن علماء الشافعيه في زبيد القاسم بن محمد الجحمي (ت: ٤٣٧ هـ) والفقيهِ زيد بن عبد الله اليفاعي (ت:٥١٤ هـ) اختار علماء حضر موت الفقه الشافعيه وعند وصول الامام القلعي إلى مرباط سنه (٥٥٤ هـ) واستقبلة آلكثير من آلعلماء بعد سفرة من زبيد قاصدآ بغداد فقد ساوم السلطان محمد بن احمد المنجوى الآمام القلعي بمكتبتة الحافلة بالكتب النافعه شرط ان يبقى بمرباط، وهكذا آصبحت مرباط قبلة للعلم لاسيما بعد استقرار الا ماماً لقلعي بها وتصدرة للتدريس فوفد إليها الكثير من طلبة العلم من

حضر موت واستعاضو بها زبيد وبذلك انتشر المذهب الشافعي بمرباط على يد الامام القلعي (القلعي، د.ت، صفحة ٢٧)

الحالة الاقتصادية:

كانت التجارة من آهم موارد الدولة لاسيما تجارة البحر فقد كانت صادرات الهند تصل إلى اليمن من خلال البحر وآهم ما تستوردهُ اليمن السفن والبهارات والبضائع وتوضيح المقدسيان اليمن من اشهر بلاد المسلمين بالتجارة لموقعه الجغرافي ومن آهم منتجاته هي العقيق والزعفران، كما كان للثروة الحيوانية آهمية في مرباط ونواحيها بعهد المنجويين اذ وجهوا عنايتهم إلى الزراعة إلى جانب التجاره، واعتمد ملوك اليمن على عمال وصناع يستقدمونهم من مصر والشام ويجزلون عطاياهم ويحسنون اليهم ويمنحوهم ما يعوضهم عن ترك اوطانهم كان كل ذلك سبب في استقرار الحالة الاقتصادية في اليمن (القلعي، د.ت، صفحة ٦٦)

المطلب الثالث: كتابة

اهمية الكتاب:

سلك منهج يهدف إلى وعظ الملوك والحكام والولاة من خلال توضيح آلمشورات والاخبار والحكم والامثال في مكارم الاخلاق التي يتصف بها الملك ويصلح بها حالِ الرعية ويبين خطر الاخلاق المذمومه واثرها في زوال الملك وصفه وبين في كتابة ماهي الصفات التي يتصف بها اعوان السلطان من الوزراءوالقادة والجند وكيف يحسن إلى الجند وفرص الارزاق لهم وكيفية ادارة الحروب ومكايدها كذلك كان موجها إلى الجكام والسلاطين والامراء ليكون لهم دليلا فيما يقومون به من امور دينية ودنيوية كذلك موجه للذين قريبون من الحكام والوزراء ودعا إلى التحلي بالصفات الحميدة الفاضلة وموجه إلى عامة الشعب بالسمع والطاعة للحكام واكد في كتابة بالسير والافعال والاقوال التي تدل على الحكمة والحنكة السياسية والاخلاق الحميدة.

دوافع تأليف الكتاب:

الف الامام القلعي كتابة في تهذيب الرياسة وترتيب السياسية، له دوافعه واضحة اذ انه اراد ان يكون موجها إلى الحكام والسلاطين والآمراء لكي يستنيروا فيما يضطلعون به

من مهام دينيه ودنيوية بكتاب الله الكريم الجامع في اياته لما فيه سعادة الدنيا والاخره، فنجده يدعوا الخلفاء والولاة إلى العدل الذي به قوام الدنيا والآخره، وان يختاروا الآصلح لامر الامة ودعاهم إلى قبول النصيحة المخلصة وان يختاروا لمجالستهم اهل الديانة والامانة وآلعلماء والصلحاء، كما دعاهم ان يكونوا قريبين من مشاكل الناس حتى يصل المظلوم اليهم فينصفوه (القلعي، د.ت، صفحة ٦٧) ومن دوافع ايضآ هو دعوة عامة للشعب إلى السمع والطاعة في الحق وعدم الخروج على الائمة واعتبر ان طاعة الرعية للآمام فرضا من الفروض (القلعي، د.ت، صفحة ٦٨)

ومن ذلك يتضح انه اراد معالجة الحياة السياسية والادارية للدولة الآسلاميه بوصف الحلول لها ومعالجة الامور الاجتماعية والادارية فنرى انه وضع اسسآ واضحه يستنير بها الحكام وهي في اغلبها تنبع من القران الكريم وسنه الرسول صلى الله علىه وسلم واعمال الخلفاء وما توصل اليه العقل السليم بالخبرة الطويلة ومن هنا تبرز دوافع تأليف الكتاب انه آراد معالجة هذا الجانب الحيوى الحساس من امر الامه (القلعي، د.ت، صفحة ٧٢)

محتوى الكتاب:

اشتمل الكتاب في تأليفة إلى قسمين، فالقسم الاول منة تضمن عدة ابواب تناول فيها غرور من حديث الحكماء ودرر من نظام الفصحاء مما ينسبك في قالب الامثال الشاردة وينتظم في سلك الحكم الواردة ويتضمن محاسن الاوصاف المحموده من ذوي الامر وذم اضدادها وما يجب استعمالها او تركه من الامور التي يحمد متبعها عاقبة اصدارها وايرادها حيث يرى من ذلك انه اتبع نظام الابواب كما هو موجود في اكثر المؤلفات العربية الآسلامية فحتوى خمس عشر باب وثمانية فصول فكان الباب الاول في وجوب طاعة الامام والاحتجاج إلى السلطان (القلعي، د.ت، صفحة ٧٤) وباب في توضيح الوالي العادل ومالة من الاجر والوالي الجائر وما عليه من الوزر (القلعي، د.ت، صفحة ٩٨)، وباب في توضيح ما يجب على الرعية للولاة من طاعة (القلعي، د.ت، صفحة ١٠٦)، وباب ما يجب ان يتصف بها لمللك من الطرائف الجميلة (القلعي، د.ت، صفحة ١١٩)، وباب مايجب على السلطان من حسن السياسه وما يلزم من الصيانة للرعية والحراسة (القلعي، د.ت، صفحة ١٢٨)، وباب في اختيار الوزراء والعمال وتوضيح مايجب ان يتصفوا به (القلعي،

د.ت، صفحة ١٣٤)، وباب توضيح الولاية والعمل وما يتصل بهما من المدح والذم وما يتعلق بهما من العز والذل في حالتي الولاية والعزل (القلعي، د.ت، صفحة ١٤٤)، وباب في مصاحبة الملوك ومخالطتهم وكيفية التحرز منهم في حال محاسبتهم (القلعي، د.ت، صفحة ١٥١)، وباب في اختيار الاجناد والحماة ووصف الابطال منهم والكماة (القلعي، د.ت، صفحة ١٧٠)، وباب في مدح الاستشارة وذم الاستبداد بالرآي (القلعي، د.ت، صفحة ١٧٥)، وباب في مدح العدل وايثاره وذم الجور واثاره (القلعي، د.ت، صفحة ١٨٩)، وباب في توضيح العفو ومدح مستعملة والانتقام ومحل استعمالة (القلعي، د.ت، صفحة ٢٠١)، وباب في توضيح الاناة وذم العجلة في الامور (القلعي، د.ت، صفحة ٢٢٠)، وباب في ايثار السلم والموادعة على الحرب والمنازعة وكيفية آلدخول في الحرب عند الحمل عليها والآضطرار إليها (القلعي، د.ت، صفحة ٢٢٥)، وباب في ذم الحجاب بين الرعية وسلطآنها (القلعي، د.ت، صفحة ١٩٩)؛ أما الفصول التي توضيحنا ان عددها ثمانية فهي فصل في توضيح البغي (القلعي، د.ت، صفحة ١٩٩)، وفصل في اسباب الآنتقام وتعجيل العقوبة (القلعي، د.ت، صفحة ٢١٠)، وفصل في الانتقام ممن يجوبه العفو على اقتحام الجرائم والاثام (القلعي، د.ت، صفحة ٢١٤)، وفصل المقصود من الآناه هو الاستظهار والاستبصار والنضر في المخاطر (القلعي، د.ت، صفحة ٢٢٣)؛ فصل في من آبتلى بعدو كيف يعمل (القلعي، د.ت، صفحة ٢٢٩)؛ فصل في العدو الذي لايرجى صلاحه وكيفية العمل معه (القلعي، د.ت، صفحة ٢٣٣)؛ فصل في آهمية الحزم والنظر في المخاطر (القلعي، د.ت، صفحة ٢٣٦)، وفصل آنتهاز الفرصة من العدو (القلعي، د.ت، صفحة ٢٤٠) تختلف الابواب والفصول طولا وقصرا حسب الموضوع الذي تعالجة والهدف الذي ترمي الية فجاء كل باب وفصل من الكتاب يخدم جانبا سياسيا هاماً.

اما القسم الثاني من الكتاب فكان مخصص لحكايات من الخلفاء ووزرائهم وعمالهم وامرائهم مما يدل على نبلهم وغزآره فضلهم وحسن سيرتهم وكمال مرؤتهم وما اشتملت عليهِ طرائفهم وخلائقهم من العدل والآنصاف والبذل والاسعاف والعفو عند الآقتدار ومعرفة حقوق ذوي الاقدار من الناجحين وسماع المواعظة من الصالحين مع ما اتصفوا به من وقار فمن اخذ ذلك اماما ارتفع وانتفع ومن عمل بما شاكلة رشد وحمد (القلعي، د.ت، صفحة ٧٢).

موارده:

اعتمد الامام محمد على القلعي في كتابة تهذيب الرياسة وترتيب السياسه على مجموعة من المصادر آولها القران الكريم فقد استشهد بالاية الكريمة " يايها الذين امنو واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم" وقولة تعإلى ﴿من يشفع شفاعة حسنه يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها﴾ (سورة النساء، آية٨٥)، قولة تعإلى: ﴿شاورهم في الامر﴾ (سورة آل عمران، آية١٥٩).

والحديث النبوي الشريف حصة مما قاله القلعي في كتابة فقد كان له توضيح واسع في اغلب القسم الاول حيث اراد ان يسند ارائه في الكتاب كقولة (صلى الله عليهِ وسلم) (سبعة يظلهم الله عز وجل تحت ظل عرشه يوم لاظل الا ظله،امام عادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجل توضيح الله خاليا ففاضت عيناه ورجلان تحابا في الله عز وجل اجتمعا على ذلك ثم تفرقا ورجل دعته امراة ذات حسن وجمال إلى نفسها فقال اني اخاف الله عز وجل ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه) (محمد فؤاد عبد الباقي، ٢٠٠٣، صفحة ٩٣) وقوله (صلى الله عليهِ وسلم) (من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع الامير فقد طاعني ومن عصى الامير فقد عصاني) (محمد بن إسماعيل البخاري، ١٤٢٢ هـ، صفحة ٥٠) ومن موارده انه اورد اسماء كثير من المصادر التي اخذ المعلومات منها مثل كتاب المبهج للثعالبي اذ توضيحه في اكثر من مكان منها (اذا تصفح الملك وجوه عماله وفحص عن الاصلح لاعماله فلا يقعن اختيار الاعلى من سبق له اختياره ولا يتوجهن اعتماده الا إلى من تقدم اجتهاده ولا يكونن من ثقاته الا من يتقي الله حق تقاته) (القلعي، د.ت، صفحة ١٤٢)؛ فقد توضيح بعض الاعلام ممن اعتمد آقوالهم ومنهم الآصمعي (قصدت في بعض الآيام رجلاً كنت اغشاه لكرمه فوجدت على بابه بوابا فمنعني من آلدخول عليهِ فقال والله ما اوقفني على بابه لامنع مثلك آلدخول عليهِ لرقة حاله وقصور يده (القلعي، د.ت، صفحة ٣٣٧)، كذلك اعتمد الخطب التي يلقيها الولاة كخطبة عتبة بن آبي سفيان (يوسف بن ثغري بردي، د.ت، صفحة ١٢٢) في مصر عند كثرة الاخبار السيئة واختلاف الاقوال الكاذبة حتى يضطرب الناس فجاه بها (ياهل مصر قد طالت معاتبتنا آياكم

بظبات السيوف واطراف الاسنه حتى صرنا شجى في حلوقكم ... فأصلحوا لنا ماظهر نكلكم إلى الله فيما بطن ... فأنكم حاصدون وما أنتم زارعون) وغيرها من الخطب الآخرى (القلعي، د.ت، صفحة ١٣٢)، ومن مواردة الشعر من خلال ايرادة في بعض الاحداث والروايات كتوضيح شعر الخنساء وغيرها من الاشعار ومنها:

وان الصخر لأتم الهداة به كأنة علم في رأسة نار (القلعي، د.ت، صفحة ٥٥٩)

ويفصح القلعي في كتابة عن بعض مواردة عند كتابة رواياته او الاحداث ومن هذه الموارد الاشخاص مثل الزهري والشافعي والواقدي وكعب الاحبار وغيرهم فنجد ينقل بعض الروايات والاحداث التاريخية المختلفة واحيانا اخرى نجدة يتوضيح الرواية او اي حادثة دون توضيح مصدرها الصريح كقولة روي ان قيل قال بعض الكتاب اي انه يتوضيح بعض النصوص والاقوال مجردة من سندها ويقدم لها بقيل او قال الاخر وهذه الطريقة لايمكن معرفتها لان الكلام اذا عرف قائلة امكن البحث عنه (القلعي، د.ت، صفحة ٦٥) ٠

منهجه:

ومن هذا المنطلق، جاء الكتاب منسجمًا مع مختلف أطياف المجتمع، مستوعبًا حاجاتهم الفكرية والاجتماعية، ومتميزًا بوضوح معالمه، مما جعله قريبًا من فهم الرعية ومقبولًا لديهم

والكتاب يخص العوام والخواص لا يتمدد بفئة معينة من الناس اختار مادة الكتاب بعناية وابداع بطريقة عرضها وهذا دليل على عقلية المؤلف وفهمه لكتابه وكيفية شرحه وفهمه لمفردات اللغه واساليبها وتمكن من توظيف الشواهد وقد حرص ان يكون كتابة واضحا لاغموض فية ومن خصائص المنهج العنايه بتوضيح مصادر كتابة وحسن معاملتهاوتوظيفها في البحث كذلك كانت الرواية الشفوية مصدر اساسي لنقل المعارف والعلوم واسناد كل خبر إلى رواية وكل قول إلى قائلة وآستمر إلى عصر مابعد التدوين والتآكد من توضيح المصدر وايراد السند وتحري الدقة ومن تلك الخصائص آهتمامة بعلم الحديث عندما يتوضيح قول يستدل علىه في الكتاب والسنه كان منهجة مؤسسا على الثوابت علمية واضحة تمثلت بالترتيب الواضح والتوثيق العلمي وتميز بعده امور منها استخدام الاسهاب في بعض المواضيع فنجده يسهب ويطيل فيها حتى يصل الموضوع إلى صفحات عده ومثال على ذلك اخبار خلفاء الامويين والعباسيين فيتوضيح احوالهم واحوال عمالهم

وينقل صورة واضحة لكل منهم ويلاحظ على منهجه الاهتمام بتوضيح السير والآفعال والآقوال

إضافه إلى عدم توضيحه لتاريخ الاحداث وانما سردها فقط دون الاشاره إلى حدوثها وتميز في عرض الخطب للخفاء والولاه والآمراء منها خطبة سليمان بن على فقال: اياكم ان يتكلم الرجل في مالا يعنيه ويدعي ما لا يستر عليه (القلعي، د.ت، صفحة ٣١٥)، ومن منهجه ايضا توضيح بعض الشخصيات التاريخية امثال ابو الفتح البستي عند حديثة في باب مصاحبه الملوك ومخالطتهم وكيفيه التحرز منهم في حال مجالستهم لهم اذ اشار إلى قوله (اجعل الناس من كان على السلطان مدلا وللاخوان مذلآ) (القلعي، د.ت، صفحة ١٥٥)، ومن منهجه اشارته إلى اسماء البلدان والمناطق التي جرت فيها الحوادث التاريخية والتي وردت في طيات الكتاب وحسب الحاجه إليها اذ توضيح البصره والكوفة ودمشق كما اعتنى القلعي بشرح المفردات التي تأتي في الروايات او الاحداث او الاقوال فلا يتوضيح رآي او قول الا أستدل عليهِ بقول من الكتاب والسنه ويلاحظ ذلك لاسيما في القسم الاول من الكتاب ومن منهجه ايضا توضيحه للفرق التي ظهرت مثل الخوارج وتميز بعدم تكرار النصوص او الروايات او الاحداث منها اشارته إلى حادثة مقتل مصعب بن الزبير ويلاحظ في بعض الاحيان اختصاره للاحداث وعدم الاطالة في توضيح التفاصيل يبين القلعي في منهجه عدم تطرقه إلى الخلافات آلفقهية وان وجد يشير اليه اشارة مقتضبة كما هو الحال في باب وجوب نصب الامام (القلعي، د.ت، صفحة ٧٤) لم يوحد القلعي مواضيع الكتاب بل كانت مواضيعه مختلفه ومتنوعة منها توضيحه وجوب الامامة والاحتجاج إلى السلطان ومدح الاستشارة وذم الاستبداد بالرآي كذلك الكلام عن بعض الخلفاء الامويين وآعمالهم والكلام عن الدوله العلوية في طبرستان (القلعي، د.ت، صفحة ٣٩١)

وخلاصة القول ان كتابة شمل عدة جوانب منها تقديم النصح للعامة والحكام في كيفية آعطاء كل ذي حق حقه، فأراد القلعي تيسير الفائده منه وجعلها تعم وتنتشر وتشمل جميع الفئات من خلال الاحاديث والحوادث التاريخية والخطب وعرضها بطريقه يمكن فهمها وآستعياب مفرداتها وحسن معاملتها (المهري، د.ت، صفحة ١١٠)

الاستنتاجات

١-يمثل كتاب "تهذيب الرياسة وترتيب السياسة" نموذجًا فريدًا من الفكر السياسي الإسلامي الذي يوازن بين الدين والسياسة، ويؤكد على أولوية الأخلاق في ممارسة الحكم.

٢-منهج الإمام القلعي في التأليف كان متكاملاً، إذ دمج بين المصادر الشرعية والتراث الفلسفي والسياسي، مما يبرز ثقافته الواسعة ورؤيته المتجددة.

٣-أهمية هذا البحث تكمن في إعادة تقييم نص تراثي مهم، ومنحه بعدًا فكريًا وإنسانيًا يعزز فهمنا لتاريخ الفكر السياسي الإسلامي، ويُلهِم القراء والباحثين في مواجهة تحديات السلطة اليوم.

٤-الكتاب يقدم رسالة تعليمية عميقة للقادة والساسة بأن الحكم مسؤولية أخلاقية قبل أن يكون سلطة إدارية، وأن نجاح الحكم مرتبط بتهذيب النفس والعدل.

٥-التأصيل المقارن مع فكر المفكرين السابقين واللاحقين أظهر تميز القلعي في صياغة رؤية سياسية متماسكة تواكب روح عصره، مع حفاظه على الأصول الإسلامية0

الخاتمة:

في ختام هذا البحث، يتضح لنا أن الإمام محمد علي القلعي قد أسهم بإبداع فذ في ترسيخ أسس الفكر السياسي الإسلامي، من خلال كتابه "تهذيب الرياسة وترتيب السياسة". فقد جسد في مؤلفه رؤية متكاملة تدمج بين القيم الأخلاقية العميقة والمتطلبات العملية للحكم، مؤكدًا أن السلطة ليست مجرد نفوذ بل هي أمانة عظيمة تتطلب تهذيب النفس وصدق النيّة.

إن الدراسة التي قدمناها حول الموارد والمنهج الذي اتبعه القلعي في تأليفه، تؤكد أن نبوغه لا يكمن فقط في استدعائه للمصادر الدينية والتاريخية، بل في منهجه النقدي والتأصيلي الذي جمع بين التراث الإسلامي والفكر السياسي، بطريقة تخدم الإصلاح السياسي والاجتماعي.

هذه الرؤية الإنسانية التي رسّخها القلعي، تظل حاضرة وملهمة في عالم اليوم، حيث تُعيد التأكيد على أن العدالة والحكمة والتواضع هي القواعد الذهبية لأي حكم ناجح ومستدام. وبالتالي، فإن قيام المجتمعات على هذه المبادئ يضمن استقرارها وازدهارها، ويعزز من دور القادة في تحقيق مصالح الرعية وصون كرامتهم، مما يجعل منهج القلعي نموذجًا يُحتذى به في الفكر السياسي والاجتماعي عبر العصور

قائمة المصادر

البلاذري، احمد بن يحيى. (١٩٩٦). *جمل من انساب الاشراف, تح سهيل زكار و رياض الزركلي.* بيلاوت لبنان: دار الفكر، ج٩.

الجندي. (د.ت). *السلوك في طبقات العلماء .*

الزركلي. (د.ت). ج١.

القلعي. (د.ت). *تهذيب الرياسة.*

اللباب في تهذيب الانساب . (د.ت). ج٣.

المهري. (د.ت). *الامام القلعي.*

بردي، يوسف بن ثغري. (د.ت). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.* القاهرة – مصر: دار الكتب,ج١.

طبقات الشافعية. (د.ت). ج٢.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد. (١٩٦٢). *الانساب , تح عبد الرحمن بن يحيى.* بيروت–لبنان: دائرة المعارف الاسلامية، ج٦.

علي بن الحسن الخزرجي. (١٩٨٣). *العقود اللؤلؤيه في تاريخ الدولة الرسولية, تح محمد بن علي الاكوع.* بيروت – لبنان: الاعلام ,ج٥.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٢ هـ). *الجامع المسند الصحيح من امور رسول الله صلى الله علية وسلم وسننه وايامه , تح محمد زهير.* طوق النجاة، ج٤.

المهري، محمد بن سالم. (٢٠١٥). *الامام القلعي.* مطبعة بيت القشام للنشر والترجمة.

الحموي، ياقوت. (د.ت). *معجم البلدان، .* ج٥.

الاكوع، محمد بن علي. (١٩٩٥م). *السلوك في طبقات العلماء والملوك.* مصر: مكتبة ارشاد, صنعاء، ط٢ .

القلعي، محمد بن علي. (١٩٨٥). *تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ,تح ابراهيم يوسف*. الاردن: مكتبة المنار.

الباقي، محمد فؤاد عبد. (٢٠٠٣). *البيهقي , احمد بن الحسين (ت ٤٥٨) السنن الكبرى , تح محمد عبد القادر عطا*. دار الكتب العلمية: دار احياء التراث العربي، ج٢.

معجم البلدان. (د.ت). ج٤.

Bibliography

Al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya. (1996). Un recueil de généalogies des nobles, édité par Suhayl Zakar et Riyad al-Zarkali. Beyout Liban : Dar al-Fikr, vol. 9.

Al-Jundi. (s.d.). Conduite dans les classes d'érudits.

Al-Zarkali. (s.d.). Vol. 1.

Al-Qala'i. (s.d.). Tahdhib al-Riyasa.

Al-Lubab fi Tahdhib al-Ansab. (s.d.). Vol. 3.

Al-Mahri. (s.d.). Imam al-Qala'i.

Bardi, Yusuf ibn Thaghri. (s.d.). Les étoiles brillantes chez les rois d'Égypte et du Caire. Le Caire, Égypte : Dar al-Kutub, vol. 1.

Tabaqat al-Shafi'iyyah. (s.d.). Vol. 2.

Al-Sam'ani, Abd al-Karim ibn Muhammad. (1962). Généalogies, édité par Abd al-Rahman ibn Yahya. Beyrouth-Liban : Encyclopédie de l'Islam, vol. 6.

Ali ibn al-Hasan al-Khazraji. (1983). Les colliers de perles dans l'histoire de l'État rassoulide, trad. Muhammad ibn Ali al-Akwa'. Beyrouth, Liban : Al-A'lam, vol. 5.

Bukhari, Muhammad ibn Ismail (1422 AH). Le recueil authentique des affaires, des sunnahs et des jours du Messager de Dieu (paix et bénédictions d'Allah sur lui), trad. Muhammad Zuhair. La Bouée de sauvetage, vol. 4.

Al-Mahri, Muhammad ibn Salim (2015). Imam al-Qala'i. Bait al-Qasham Press pour l'édition et la traduction.

Al-Hamawi, Yaqut (s.d.). Mu'jam al-Buldan, vol. 5.

Al-Akwa', Muhammad ibn Ali (1995). Conduite dans les classes des savants et des rois. Égypte : Bibliothèque Irshad, Sana'a, 2e éd.

Al-Qala'i, Muhammad ibn Ali (1985). Le raffinement du leadership et l'arrangement de la politique, trad. Ibrahim Yusuf. Jordanie : Bibliothèque Al-Manar.

Al-Baqi, Muhammad Fu'ad Abd (2003). Al-Bayhaqi, Ahmad ibn al-Husayn (mort en 458 AH) Al-Sunan al-Kubra, édité par Muhammad Abd al-Qadir Atta. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah : Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, vol. 2.

Mu'jam al-Buldan. (s.d.), vol. 4.

الأوضاع الاجتماعية في إمارة شرق الأردن خلال سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩-١٩٣٣)

انوار سليم جاسم كامل الزبيدي

أ . م . د أنس يونس عبد

جامعة بغداد

كلية التربية للبنات

الأوضاع الاجتماعية في إمارة شرق الأردن خلال سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩-١٩٣٣)

انوار سليم جاسم كامل الزبيدي
أ . م . د أنس يونس عبد

الملخص

تناول هذا البحث الاوضاع الاجتماعية في إمارة شرق الأردن خلال سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩-١٩٣٣) التي ظهرت في الاولايات المتحدة الاميركية وطالت تاثيرتها اغلب دول العالم عدا الاتحاد السوفيتي ومن تلك الدول إمارة شرق الأردن , التي كانت تعاني من أزمة اقتصادية محلية خانقة تمثلت بقلة الأمطار والجفاف وغزو أسراب الجراد والآفات التي اصابت المزروعات , تزامنت مع الأزمة الاقتصادية العالمية التي ضرب أطانبها كافة القطاعات الاقتصادية في الإمارة وأبرزها القطاع الزراعي الذي كان يشكل المصدر الرئيسي للدخل القومي للبلاد , وعليه أصاب الشلل باقي القطاعات كالتجارة والصناعة , فضلاً عن افتقارها لموارد مالية أُخرى , سوى المعونة المالية التي كانت تمّن عليها بريطانيا بصفتها الدولة المنتدبة للإمارة بسبب تأثر الاخيرة بالأزمة الاقتصادية العالمية وتوقف عجلة اقتصادها , وحيث بقيت مكتوفة الايدي , إتجاه تلك الأوضاع في الإمارة وترجح ذلك أنها إرادة رب العالمين في تغير الظروف المناخية التي تسببت بسنين عجاف وعانى سكان الأمارة الفقر والمجاعات وتفشي الأمراض والهجرة وترك اراضيهم.

Abstract :

This research examines the social conditions in the Emirate of Transjordan during the years of the global economic crisis (1929-1933), which originated in the United States of America and impacted most countries worldwide except the Soviet Union. Among these affected countries was the Emirate of Transjordan, which was already suffering from a severe local economic crisis characterized by low rainfall, drought, invasions of locust swarms, and pests that damaged

crops. This local crisis coincided with the global economic downturn, which struck all economic sectors in the Emirate, most notably the agricultural sector, the primary source of national income. Consequently, other sectors like trade and industry also stagnated. Furthermore, the Emirate lacked other financial resources except for the financial aid provided by Britain, the mandate power over the Emirate, which was itself affected by the global economic crisis and experienced economic stagnation. The Emirate remained helpless in the face of these conditions, believing that it was the will of the Almighty to change the climatic conditions, resulting in years of famine. The residents of the Emirate suffered from poverty, famines, disease outbreaks, and migration, leading to the abandonment of their lands.

المقدمة

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه والصلاة والسلام على سيد الاوليّن والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

تُعد دراسة الأوضاع الاجتماعية من الموضوعات التي نالت اهتمام الباحثين والاكاديميين على حد سواء , وأن دراسة الاوضاع الاجتماعية لإمارة شرق الأردن خلال سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩-١٩٣٣) لها اهمية خاصة , ولاسيما أن الإمارة كانت في عقودها الاولى من مرحلة تكوينها المعاصر , وعلى الرغم من أهمية هذه الحقبة من تاريخها إلا ان الدراسات الاكاديمية السابقة التي كانت مثار إهتمام الدراسة , تناولتها بشكل عام ، فعلى الرغم من وجود العشرات وان لم نقل المئات منها الا ان مجملها كان معنيا بالدرجة الاساس بتطورات تشكيل الإمارة , وطبيعة سياسة بريطانية إتجاه الإمارة بصفتها الدولة الوصية والمنتدبة عليها , ما عدا عدد محدد للغاية صبت فيه الجهود على دارسة الأوضاع الاجتماعية , واغفلت عن دراسة وضع الامارة في تلك الاعوام بشكل تفصيلي . شكلت هذه الحقيقة اولا حافزا في اختيار الباحثة موضوعا لبحثها في محاولة منها ما امكن التوفيق فيما كتبه الباحثين في تأريخ هذه المنطقة للخروج بدراسة تأريخية علمية

تبرز الاوضاع الاجتماعية في إمارة شرق الاردن خلال سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية, والتي كانت من أبرز احداث التأريخ الانساني في فترة ما بين الحربين العالميتين.

الأوضاع الاجتماعية في إمارة شرق الأردن خلال سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩-١٩٣٣

اولاً: الأوضاع التعليمية:

لقد اهملت السلطات البريطانية خلال مدة انتدابها على شرق الأردن مواطنيها في ادارة شؤون بلادهم, بل اعتمدت على مواطنين عرب من الدول المجاورة في ادارة البلاد , ويلاحظ أن جميع الحكومات التي حكمت شرق الأردن في عهد الإمارة كان يرأسها رجال من خارجها , ولم يشترك من اهلها في الحقائب الوزارية خلال المدة١٩٢١-١٩٣١ , التي بلغ مجموع وزرائها اثنان وستون وزيرا لم يكن منهم إلّا وزيرا واحدا وهو علي خلقي الشرايري[١], الذي شغل منصب مدير المعارف لدورتين , وكانت سلطة الإنتداب هي المتنفذة والمسيرة للأُمور , ويبدو ان لها هدفا في ذلك يتمثل في السيطرة على مقدرات البلد وتجهيل أبنائه , وقد تبين ذلك عن طريق نهجها الاستعماري واستعانتها بالغرباء لتولي المناصب وإدارة شؤون البلاد[٢].

وشهد التعليم نموا بطيئا في الإمارة , بسبب قلة التخصيصات المالية للمعارف , وأن نسبة ما تنفقه الدولة على الفرد من اجل التعليم سنويا قليل جدا , وكان التمويل يتم عن طريق الميزانية العامة للدولة دون أن يشكل التعليم اولوية عند الحكومة لأن القضايا السياسية والأمنية تتطلب اموالاً كثيرة يثقل كاهل الميزانية العامة للبلاد[٣] , وأن قلة الأموال المخصصة للتعليم لم تساعد على احراز تقدم معقول في هذا المجال واكد هذه الحقيقة التقرير الذي رفعه وزير المعارف[٤]، في شرق الأردن الى المندوب السامي البريطاني في القدس ، قال فيه ان الاقبال على التعليم في البلاد كان ضعيفا حتى عام ١٩٣٠ "**حتى أن بعض المدارس كانت تلجأ في الكثير من الأحيان الى تغريم اولياء أمور بعض الطلاب لتخلفهم عن ارسال أولادهم اليها**"[٥] , وورد في التقرير أن المدارس في عمان قد قبلت في عام ١٩٣١ نصف الطلاب الذين تقدموا للإلتحاق بالصف الأول الابتدائي فقط وعددهم مئة

طالب , ولم يقتصر الأمر على عمان وحدها بل حدث مثل ذلك في مختلف مدن وقرى الإمارة , وسبب رفض طلباتهم هو عدم توفر مقاعد دراسية لكل المتقدمين في الامارة وكان مجموعهم (٦٠٠) طالب ، ولم يقتصر هذا الأمر على المرحلة الابتدائية فحسب وإنما شمل جميع المراحل[٦]، فضلا عن انخفاض عدد المدارس في ذلك العام الى (١٥٤) مدرسة بدلا من (٢٠٨) مدرسة لعام ١٩٣٠، ونقص عدد المعلمين الى (٢٦) معلما ليصبح (٣١٢) معلما مقارنة ب (٣٣٨) معلما في عام ١٩٣٠ , ولذلك انخفض عدد طلبة المدارس الى (٩٣٣٤) طالبا أي بنقص قدره (٤١٩) طالبا عن عام ١٩٣٠ , وقد يعزى هذا النقص الى الظروف الاقتصادية الصعبة التي عانت منها إمارة شرق الأردن , التي لم تكن تسمح للطلبة بمتباعة دراستهم وانما مساعدة أهاليهم في العمل[٧] . والجدول الآتي يبين واردات ونفقات إمارة شرق الأردن للمدة ١٩٢٨-١٩٣٣[٨] :

جدول رقم (١)[٩]

السنة المالية	مجموع الواردات السنوية	مجموع المعونات المالية البريطانية	مجموع النفقات السنوية	نفقات المعتمد البريطاني السنوية	نفقات الجيش العربي السنوية
١٩٢٨-١٩٢٩	٢٨٠٩١٦	٩٨٦٥٣	٣٠١٢٢٠	٦٦٨٠	١٢١٣١٥
١٩٢٩-١٩٣٠	٣١٦١٤٧	١٠٢٤٨٤	٣٣٨٤٦١	٦٨٩٧	١٢٨١٣٧
١٩٣٠-١٩٣١	٣٦٧٥١٦	١٤٨٤٦١	٣٥٠٥٣٢	٧٠٠٣	١٣٥٣٣١
١٩٣١-١٩٣٢	٣٣٨٠٤٦	١٤٦١٥٣	٣٤٤٩٨٣	٦٤٥٠	١٤٤٥٦٩
١٩٣٢-١٩٣٣	٣٥٤٨٨٨	١٣٢١٤٨	٣٤٠٨٨٣	٦٥٠٠	١٤١٦٨٣

الجدول أعلاه يبين مجموع الورادات المحلية والمعونة البريطانية السنوية ومقدار النفقات العامة ونفقات الجيش والمعتمد البريطاني .

وبأستقراء الميزانية اعلاه يتضح مايلي :

إن المعونة المالية البريطانية للإمارة ارتفعت , في السنة المالية (١٩٢٩-١٩٣٠), عن التي سبقتها , واستمرت بالإرتفاع في السنة المالية(١٩٣٠-١٩٣١), إلاّ أنها انخفضت في السنة المالية , ١٩٣٢-١٩٣٣ , وهذا يدل على تأثر الإمارة بالأزمة الاقتصادية العالمية , وأن أغلب المعونات البريطانية كانت تصرف على نفقات المعتمد

البريطاني , ونفقات الجيش العربي دون الإهتمام بالمجالات الاقتصادية والاجتماعية التي تخدم الشعب الأردني .

ثانيا : الاوضاع الصحية :

كان لضعف الإمكانات والموارد في إمارة شرق الأردن , قد ادى الى سوء الخدمات الصحية المقدمة للمواطنين في السنوات الأولى من تاسيس الإمارة , وهو ما ساهم في تفشي الأمراض السارية والمعدية , إذ لم يكن لها موازنة خاصة , وفي عام ١٩٢٦ صدر لأول مرة تقرير سنوي لدائرة الصحة لكنه لم يرد فيه أي ذكر لموازنة الدائرة[١٠]. لذلك استمرت الأمراض السارية والمعدية ، وكان التبليغ عنها أمرا اجبارياً على الطبيب المعالج , أو المريض نفسه , إذا كان بالغاً ومن قبل رب العائلة أو مختار القرية او المحلة , أو رئيس العشيرة , وامام المسجد , أو اصحاب الفنادق , ويحق لطبيب الصحة ان يأمر بنقل أي شخص مصاب بمرض ساري ولم يتوفر لديه واسطة النقل اللازمة لأي مستشفى , او مكان لمعالجة الأمراض السارية , , أن يعهد الأمر الى الدرك والشرطة [١١] , إذ كانت المستشفيات الحكومية قليلة جداً كما وضحنا سابقاً , وكان بعض الأهالي يعتمدون على القطاع الخاص الذي يدير المستشفيات الأجنبية التابعة للجمعيات الخيرية والإرساليات التبشيرية[١٢] .ومع ذلك يمنع أي طبيب , أو جراح , أو طبيب اسنان , أو قابلة . أو صيدلي , أو تاجر عقاقير من ممارسة مهنته مالم يستحصل على رخصة رسمية من مديرية الصحة العامة , وإذا وجد شخص يشغل مؤسسة عمومية , ويمارس مهنة مضرة بالصحة , أو صناعة خطيرة بدون ان يحصل في ذلك على الرخصة , فيحق لقائد الدرك بطلب خطي من طبيب الصحة , أن يغلق تلك المؤسسة أو المكان الذي تمارس فيه تلك المهنة بسبب عدم حصوله على رخصة ممارستها[١٣] , ورغم ذلك القانون مارست العديد من القابلات غير القانونيات هذه المهنة في عام ١٩٣٠، ومن اشهرهن في مدينة عمّان (انيسة شقير) في ذلك العام , ولقبت (أُم العمّانيين) وبادرت القابلة بتسجيل المواليد التي اشرفت على ولادتهم , الذين بلغوا (١٦الاف) ولادة من مختلف عائلات المدينة[١٤] ، وكان لطلبة المدارس الحكومية وغير الحكومية نصيب من العناية التي أولتها دائرة الصحة لهم من حيث التفتيش المستمر

للمدارس والقيام بكل ما يجب القيام به من رعاية صحية وطبية خاصة تقدمها لهم , إلاّ أن الاصابات كانت في ازدياد مستمر , وذلك بسبب تدني الوعي الصحي عند الأهالي وعدم التزامهم بقواعد الصحة العامة , وكثرة الغبار , والذباب , وسوء شبكة الصرف الصحي[١٥]، وقد ورد في التقرير السنوي لدائرة الصحة عام ١٩٣١ , ولأول مرة عن العمليات الجراحية للعيون التي كانت تجرى في المستشفى الحكومي بعمّان , ومع أن هذه العمليات كانت تجرى بامكانات متواضعة , إلّا أنها تدل على مدى حرص دائرة الصحة على مكافحة وباء التراخوما وسائر أمراض العين الأُخرى[١٦], وفي عام ١٩٣٣، وبسبب الأزمة الاقتصادية العالمية والضائقة المالية التي واجهتها جمعية المراسلين الكنسية في لندن ، فقد اغلقت المستشفى الانكليزي في السلط في الحادي والثلاثين من كانون الأول عام ١٩٣٣ , ولكن سرعان ما قدمت حكومة الإمارة المساعدات المالية للمستشفى , كما قدم مطران القدس مساعدة تتكفل بدفع مصاريف المستشفى إثنا عشر شهرا[١٧] .

ثالثا: النظام الضريبي :

استمرت حكومات شرق الأردن المتعاقبة في جباية الرسوم الضريبية وفقاً للقوانين العثمانية[١٨] حتى عام ١٩٣٢, ليكون قانون الضرائب الجديد كالآتي:

اولاً : الضرائب المباشرة وتشمل :

١. ضريبة الأراضي تحل محل الويركو[١٩]، والعشر , تجبى بمعدل (٦%) من دخل الأراضي السنوية[٢٠].
٢. ضريبة الأبنية والأراضي ضمن حدود البلديات وتحل محل ضريبة المسقفات في القانون العثماني وتستوفى بنسبة (٦%) من الريع المقدر للبناء اذا كان جزء من البناء اتخذ مسكنا، و(٤)% إذا كان البناء سكن لصاحبه[٢١].
٣. ضريبة المواشي : تفرض هذه الضريبة على المواشي بعد اجراء التعداد السنوي لها[٢٢].
٤. ضريبة الدخل حلت محل ضريبة التمتع وتفرض على الموظفين بنسبة (١,٥-٣) % مع اعفاء ستين جنيها من الدخل السنوي.

ثانياً : الضرائب غير المباشرة :

رسوم الكمارك والمكوس التي كان لها اهمية كبيرة عند حكومات الإمارة , إذ كانت كلما شعرت بالحاجة الى المال رفعتها بسبب ضعف موارد البلد الاقتصادية , وتحكم بريطانيا بالمعونة المالية التي كانت تمنّ عليهم بها[٢٣].

رابعاً : المواصلات والاتصالات

١.المواصلات : (الطرق البرية):

على الرغم من الأهمية البالغة لامارة شرق الأردن كمعبر قديم للتجارة , ورغم أنها كانت عقدة مواصلات قديمة فأنها كانت في مطلع القرن العشرين وحتى بعد العالمية الأولى مفتقدة الى شبكة مواصلات حديثة وفعّالة ما عدا سكة حديد الحجاز التي كان لها اثر كبير على منطقة شرق الأردن التي كانت اهميتها تكمن في أنها فتحت الباب على مصراعيه لأعداد أكبر من حجاج بيت الله الحرام الذين كانوا يعانون المشقات الكبيرة عند ذهابهم للحج , وكان هذا المشروع من أهم المشاريع التي نفذت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٠, وتم انجازه عام ١٩٠٨ , وهذا الخط ازعج القبائل السورية والأردنية المتواجدة على جانبيه لأنه لم تعد جمالهم تؤجر لنقل الحجاج وحمل امتعتهم فضلا عن انقطاع الهبات السنوية التي اعتادت الحكومة أن تهديها لهم , فاخذوا يغيرون على القطار والمحطات وقطع اسلاك التلغراف وتعطيل الخطوط الحديدية والقيام بسرقة ما بحوزة المسافرين من اموال وأمتعة[٢٤]، وكان مشروع السكة الحديد يعد أول واسطة نقل آلية تشهدها البلاد , واصبح بامكان المواطنين من ابناء شرق الأردن أن ينقلوا بضائعهم فيه ويتنقلوا بواسطته الى الحجاز جنوباً والى سوريا شمالاً ، واصيب خط سكة الحديد اثناء الحرب العالمية الأولى باعمال تخريب أخرجته من الخدمة وبتعاون حكومة الحجاز وحكومة سوريا في عهد الأمير فيصل تم اصلاحه وعاد للعمل في عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ , وفي أواخر عام ١٩٢٠ جاء الأمير عبدالله بالقطار من المدينة المنورة الى معان ، وفي اوائل عام ١٩٢٤ جاء الامير علي بن الحسين من المدينة المنورة الى عمّان بنفس القطار , وفي عام ١٩٢٤ أخذت القطارات تسير بين عمّان بانتظام وتقوم بنقل الحجاج القادمين من ومصر وسوريا[٢٥].

كانت جميع القرى والبلدان عام ١٩٢٩, حتى مستوى قضاء مرتبطة بعمّان بطرق مفتوحة مثلما تحقق من إنشاء المكاتب والمدارس والمخافر , وتتطلب مثل هذه المشاريع عدد كبير من العمال فأنها ساهمت في خفض البطالة وشاهد المواطنين أن الحكومة تقدم خدمات لم يعهدها الاردنيون من أي حكومة سابقة , فضلا عن أن حركة النقل على هذه الطرق وفرت وقتاً أسرع وحمولات اكبر لنقل المواد , والاتصال بين المجتمعات والمنطاق المختلفة في الامارة , كما وفرت الحركة للجيش للتجاوب السريع مع أي من الاحداث[٢٦].

أولت حكومات شرق الأردن المتعاقبة أهمية بالغة لفتح طرق برية , ففي المدة ما بين عامي ١٩٢١ و١٩٣٢ قامت بتعبيد عدة طرق برية لتنشيط الحركة التجارية ونقل المواطنين بين مدن وقرى الإمارة , فعبدت الطريق من عمّان , السلط , الثونة الجنوبية، وجسر اللنبي بالحجارة والرمل فصار يمكن السير عليها في كل الفصول الى أن تطورت لتوصل الإمارة بفلسطين[٢٧].

وافتتح في صيف عام ١٩٣٢ طريق حيفا – بغداد عبر أراضي شرق الأردن بعد أن ساد العلاقات الاردنية العراقية جو من التفاهم والتعاون بين البلدين في مختلف المجالات وتوقيع معاهدة الصداقة بين الحكومتين في السادس والعشرين من آذار عام١٩٣٢ [٢٨].

٢.الاتصالات : (البريد والتلغراف والهاتف):

رافق مّد خط سكة الحديد مّد خط للتغراف يوازيه , وانشأت محطات رئيسية في درعا ومعان والمدينة , فضلاً عن انشاء مركز للهاتف في كل محطة من محطات التلغراف التي كان اتصالها لاسلكياً , وفي عهد الحكومات المحلية في شرق الأردن قامت حكومة السلط مع حكومة فلسطين بمّد خط هاتف الى جسر اللنبي , حيث تم توصيله من هناك بخط الهاتف القادم من القدس , ليصبح بذلك ولاول مرة خط اتصال هاتفي بين شرق الاردن وفلسطين عام ١٩٢٠[٢٩].

وكانت الخدمات البريدية داخل إمارة شرق الأردن تؤمن بواسطة العربات التي تجرها الدواب, وبما أن اغلب الطرق كان يتعذر استخدامها شتاءاً الأمر الذي أثر على مستوى الخدمة البريدية في الإمارة , أما البريد الخارجي فقد كان يؤمن بواسطة القطار بارسالها الى

حيفا ومن هناك الى العالم , وأُقيم تبادل بريدي مباشر مع سوريا عام ١٩٢٦ , ثم تلاه تبادل بريدي مباشر مع العراق ، واقامة شبكة اتصالات هاتفية بين البلدين عام ١٩٣٢[٣٠].

ومن خلال الاطلاع على المصادر المتوفرة لدينا لاتوجد معلومات وافية عن المواصلات وبالأخص سكة الحديد اثناء الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩-١٩٣٣) على الإمارة , وعلى ما يبدو أن تلك الأحداث انعكست على الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها بسبب توقف التجارة بين اغلب دول العالم والاعتماد على الانتاج الوطني , عدا ما جاء بالوثائق الهاشمية [٣١] خط حيفا-بغداد المجلد الثالث عشر, التي جاء فيها بعض المخاطبات الرسمية بين حكومة شرق الأردن والمعتمد البريطاني , التي تخص ادارة سكة الحديد واستخدام برك المياه على جانبي السكة.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة الاوضاع الاجتماعية في إمارة شرق الاردن خلال سنوات الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩-١٩٣٣) وخلصت الى تقديم صورة واضحة عن الاوضاع الاجتماعية في الامارة , نستنتج منها الاتي :

١. شهد التعليم نموا بطيئا في الإمارة , بسبب قلة التخصيصات المالية للمعارف , وأن نسبة ما تنفقه الدولة على الفرد من اجل التعليم سنويا قليل جدا , وكان التمويل يتم عن طريق الميزانية العامة للدولة دون يشكل التعليم اولوية عند الحكومة لأن القضايا السياسية والأمنية تتطلب اموالاً كثيرة يثقل كاهل الميزانية العامة للبلاد فضلا عن عدم اهتمام بريطانيا الدولة المنتدبة بقطاع التعليم

٢. يرجع سوء الخدمات الصحية المقدمة للمواطنين الى ضعف الامكانات وقلة المستشفيات الحكومية الأمر الذي أدى الى تفشي الأمراض والأوبئة بين الأهالي

٣. إن قلة موارد إمارة شرق الأردن الاقتصادية جعلها تتخذ من جباية الضرائب رافداً لميزانية الدولة والسير على قانون الضرائب العثماني مع إجراء بعض التعديلات عليه .

٥. بالنظر لما يشكله موقع إمارة شرق الأردن من معبر تجاري بين الدول المجاورة جعل القائمين على البلاد يولون إهتماماً كبيراً بالطرق والمواصلات من خلال خط سكة الحديد وفتح طرق برية رغم تأثر البلاد بالأزمة الاقتصادية العالمية

٦. الاهتمام بالاتصالات من خلال انشاء خط تلغراف يوازي خط سكة الحديد وانشاء شبكة اتصالات هاتفية فضلا عن الاهتمام بالبريد الداخلي والخارجي ووسائط نقل .

الهوامش :

(١) علي خلقي الشرايري (١٨٧٨-١٩٦٠): ولد في اربد عام ١٨٧٨ ,عمل بالزراعة مع والده ذهب التحق بالمدرسة وتخرج منها ومن ثم ذهب الى اسطنبول نظرا لتفوقه التحق بالكلية الحربية وتخرج منها عام ١٩٠٢ , برتبة ملازم ثم التحق بكلية القانون وتخرج منها برتبة رئيس (نقيب) ,خدم في الجيش العثماني في سلاح المدفعية , وشغل مناصب عدة منها حاكما عسكريا لمكة المكرمة عام, ثم التحق بجيش الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٨ , وعينه رشيد طليع مسؤولا عن الامن عام ١٩٢٢، وتسلم ادارة المعارف عام ١٩٢٣ , توفي ودفن في اربد في الخامس والعشرون من حزيران عام ١٩٦٠ ,للمزيد ينظر : سعد ابو دية , قراءة في اوراق علي خلقي الشرايري , دراسات جامعة اليرموك المجلد ١٤ العدد العاشر ,١٩٨٧ و ص ص ٢٨٥ -٢٩٧.

(٢) احمد خالد محمود المزيد , الأزمات المالية في شرق الأردن (١٩٢١-١٩٤٦) , رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية الاداب , جامعة اليرموك , ٢٠١٤, ص ص ٥٨-٥٩ .

(٣) ديانا فارس محمد الرفيق الحياة الاقتصادية والاجتماعية في شرق الأردن ١٩٢١ – ١٩٤٦، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسيَّة ٢٠١٥، ص ص ٩٠-٩١ .

(٤) مذكرة اعدها وزير المعارف عام ١٩٤٣ عن وضع التعليم في الامارة عام ١٩٣٠ , انظر : سليمان موسى , إمارة شرقي الأردن نشأتها و تطورها في ربع قرن ، ١٩٢١-١٩٤٦, ص ٢٥٦ .

(٥) المصدر نفسه , ص ٣٥٦ .

(٦) عادل زيادات , الخدمات الطبية للمدارس في عهد الإمارة للفترة ١٩٢١ – ١٩٤٠ ,مجلة ابحاث اليرموك للعلوم الانسانية , ص ٩٦ .

(٧) ديانا فارس محمد الرفيق , المصدر السابق , ص ١٢٩ .

(٨) علي محافظة ,العلاقات الاردنية – البريطانية منذ تاسيس الامارة حتى الغاء المعاهدة ١٩٢١-١٩٥٧, دار النهار للنشر, ١٩٧٣, ص ٩٤ .

(٩) الجدول من اعداد الباحثة , بالاستناد على مصدر : علي محافظة , المصدر نفسه , ص ٩٤.

(١٠) علي محافظة . العلاقات الاردنية – البريطانية من تاسيس الامارة حتى الغاء المعاهدة ١٩٢١-١٩٥٧ , ص ٩٢ .

(١١) عادل زيادات , المصدر السابق , ص ٩٦ .

(١٢) ديانا فارس محمد الرفيق , المصدر السابق , ١٢٩ .

(١٣) محمد توفيق سنو , مجموعة القوانين والانظمة من ١٩١٨-١٩٣١ , (المطبعة الوطنية , عمان , ١٩٣٣) , ص ٦٠١ .

(١٤) ديانا فارس محمد الرفيق , المصدر السابق , ص ١٢١ .

(١٥) محمد توفيق سنو , مجموعة القوانين والانظمة من ١٩١٨-١٩٣١ , (المطبعة الوطنية , عمان , ١٩٣٣) ص ص ٦٠٢-٦٠٥ .

(١٦) انس عاطف الصبيحات , مدينة عمان بين عامي ١٩٤٦-١٩٦٦ , دراسة تاريخية في تطوير الحياة العامة , وزارة الثقافة , عمان , الاردن , ٢٠٢١, ص ٣١ .

(١٧) عادل زيادات , المصدر السابق , ص ٩٦ .

(١٨)عادل زيادات ، المصدرالسابق , ص ٩٩ .

(١٩) ديانا فارس محمد الرفيق , المصدر السابق , ص ١٢٩ .

(٢٠) قانون الضرائب العثماني : ويقسم الى قسمين : ضرائب مباشرة وتشمل ضريبة الويركو وتستوفى بمعدل اربعة بالالف من القيمة الاساسية للاراضي الاميرية , وضريبة العشر وتجبى بمعدل ١٢,٥% من مجموع غلة الارض , وضريبة الحيوانات وتشمل الابل والابقار والاغنام وتكون نقدية تفرض على كل راس من الماشية , وضريبة البيوت والاراضي وتستوفى من سكان المدن بمعدل اربعة بالالف من قيمتها الاساسية , وضريبة التمتع وتفرض على التجار والصناع الساكنين في المدن وقد الغيت عام ١٩٣٣ وحل محلها ضريبة الدخل , والضرائب غير المباشرة وهي الرسوم الكمركية و تجبى بمعدل ٨% من قيمه المستورد مع رسم اضافي قدره ٣% يخصص لمصلحة الديون العمومية العثمانية وقد الغيت عام ١٩٢٦, , ورسوم المكوس على الخمور والمسكرات , ورسوم التمغة الطوابع على المعاملات الرسمية ورخص الصيد وحمل السلاح , انظر : ديانا فارس محمد الرفيق , المصدر السابق , ص ص ٥٥-٥٦ .

(٢١) الويركو : كلمة تركية بمعنى الجزية او الخراج , وهي مبالغ مقطوعة فرضت في عهد السلطان بايزيد الثاني مسجلة في المحاكم الشرغية وفق القانون العثماني ١٨٨٦ , انظر : سليمان موسى

ومنيب الماضي , تاريخ الأردن في القرن العشرين ١٩٠٠-١٩٥٩, مكتب المحتسب , عمان , ١٩٨٩ .,ص ١٢.

(٢٢) الجريدة الرسمية لامارة شرق الاردن , العدد ٣٨٤ , ١٩٣٣/٤/١ .

(٢٣) علي الدجاني , محاضرات في اقتصاديات الأردن ,مطبعة لجنة التاليف والترجمة , ١٩٥٤, ص ١٥ .

(٢٤) هاني الحوراني , المصدر السابق , ص ١١٦ .

(٢٥) المصدر نفسه, ص١٦ .

(٢٦) رؤوف أبو جابر , تاريخ شرقي الأردن و إقتصاده : خلال القرن التاسع عشر و منتصف العشرين, دار ورد للنشر ,عمان ,٢٠٠٩., ١١٨ .

(٢٧)سليمان موسى , إمارة شرقي الأردن نشأتها و تطورها في ربع قرن١٩٢١-١٩٤٦, منشورات لجنة تاريخ الأردن , عمان , ١٩٩٠ ص ص ٣٢٦-٣٢٧ .

(٢٨) معن ابو نوار , تاريخ المملكة الأردنية الهاشمية ج١ قيام وتطور إمارة شرق الأردن ١٠٢٠-١٩٢٩, ص ٢٧٣

(٢٩) ديانا فارس محمد الرفيق , المصدر السابق , ١٣٩ .

(٣٠) علي محافظة , تاريخ الاردن المعاصر عهد الامارة , الجامعة الاردنية , عمان , ١٩٧٢،ص ١٢١ .

(٣١)سليمان موسى , إمارة شرقي الأردن نشأتها و تطورها في ربع قرن١٩٢١-١٩٤٦, ص ٣٢٦ .

(٣٢) هاني حوراني , المصدر السابق , ١٢٦ .

(٣٣) محمد عدنان البخيت , الوثائق الهاشمية اوراق عبد الله بن الحسين خط حيفا –بغداد ١٩٣١-١٩٥٠، مج١٣، القسم الاول , المكتبة الوطنية عمان ، ١٩٩٩ ، ص ص ٣٣-٥٥.

قائمة المصادر :

اولا: الكتب العربية والمعربة :

١. سعد ابو دية , قراءة في اوراق علي خلقي الشرايري , دراسات جامعة اليرموك المجلد ١٤ العدد العاشر ,١٩٨٧

٢. سليمان موسى , إمارة شرقي الأردن نشأتها و تطورها في ربع قرن ، ١٩٢١-١٩٤٦

٣. علي محافظة ,العلاقات الاردنية – البريطانية منذ تاسيس الامارة حتى الغاء المعاهدة ١٩٢١-١٩٥٧, دار النهار للنشر, ١٩٧٣

٤. محمد توفيق سنو , مجموعة القوانين والانظمة من ١٩١٨-١٩٣١ , (المطبعة الوطنية , عمان , ١٩٣٣)

٥. انس عاطف الصبيحات , مدينة عمان بين عامي ١٩٤٦-١٩٦٦ , دراسة تاريخية في تطوير الحياة العامة , وزارة الثقافة , عمان , الاردن , ٢٠٢١

٦. سليمان موسى ومنيب الماضي , تاريخ الأردن في القرن العشرين ١٩٠٠-١٩٥٩, مكتب المحتسب , عمان , ١٩٨٩

٧. علي الدجاني , محاضرات في اقتصاديات الأردن ,مطبعة لجنة التاليف والترجمة , ١٩٥٤

٨.) رؤوف أبو جابر , تاريخ شرقي الأردن و إقتصاده : خلال القرن التاسع عشر و منتصف العشرين, دار ورد للنشر ,عمان ,٢٠٠٩

٩. معن ابو نوار , تاريخ المملكة الأردنية الهاشمية ج١ قيام وتطور إمارة شرق الأردن ١٩٢٠-١٩٢٩

١٠. علي محافظة , تاريخ الاردن المعاصر عهد الامارة , الجامعة الاردنية , عمان , ١٩٧٢

١١. محمد عدنان البخيت , الوثائق الهاشمية اوراق عبد الله بن الحسين خط حيفا –بغداد ١٩٣١-١٩٥٠، مج١٣، القسم الاول , المكتبة الوطنية عمان ، ١٩٩٩

١٢. هاني الحوراني

ثانياً : الرسائل والأطاريح

١.) احمد خالد محمود المزيد , الأزمات المالية في شرق الأردن (١٩٢١-١٩٤٦) , رسالة ماجستير غير منشورة ,كلية الاداب , جامعة اليرموك , ٢٠١٤

٢. ديانا فارس محمد الرفيق الحياة الاقتصادية والاجتماعية في شرق الأردن ١٩٢١ – ١٩٤٦، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسيَّة ٢٠١٥

ثالثاً : البحوث المنشورة :

١. عادل زيادات , الخدمات الطبية للمدارس في عهد الإمارة للفترة ١٩٢١ – ١٩٤٠ ,مجلة ابحاث اليرموك للعلوم الانسانية

واقع النشاط السياسي الجماهيري للاتحاد العام للعمال الجزائريين عام ١٩٥٦م.

سحر سلام نايف جواد

أ.م شعوب كامل نصيف

جامعة بغداد

كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

واقع النشاط السياسي الجماهيري للاتحاد العام للعمال الجزائريين عام ١٩٥٦م.

سحر سلام نايف جواد
أ.م شعوب كامل نصيف

الملخص:

تهدف الدراسة الى ابراز دور الاتحاد العام للعمال الجزائريين عام ١٩٥٦ م, في مساندة جبهة التحرير الوطني في حربها ضد الاستعمار الفرنسي ,واقتضت الدراسة استخدام المنهج التاريخي الوصفي التحليلي , اذ احتوت الدراسة على تمهيد وتسع محاور وخاتمة , تضمن التمهيد البدايات الاولى لتأسيس النقابات الفرنسية في الجزائر وانضمام العمال الجزائريين فيها, واكتساب التجربة النقابية لتأسيس نقابات مستقلة عام ١٩٥٦, اما المحور الاول: دوافع تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين, اما المحور الثاني : البدايات الاولى لتأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين ,والمحور الثالث : ردود افعال النقابات من تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين ,وتضمن المحور الرابع : سياسة القمع الاستعمارية ضد عمل النقابيين, اما المحور الخامس : النشاط الاضرابي الاول للاتحاد العام للعمال الجزائريين تموز ١٩٥٦ , وتناول المحور السادس : انضمام الاتحاد العام للعمال الجزائريين الى المنظمات الدولية , واختتم البحث بخاتمة تضمنت جملة من النتائج المتعلقة بالموضوع ابرزها نجاح الاتحاد في تجنيد العمال لصالح الثورة التحررية للحصول على الاستقلال .

الكلمات المفتاحية: النقابات الجزائرية , الاتحاد , الاستعمار, الاضرابات , القضية الجزائرية.

Abstract

The study aims to highlight the role of the General Union of Algerian Workers in 1956 in supporting the National Liberation Front in its war against French colonialism, and the study required the use of the historical, descriptive, and analytical method. The study included an introduction, nine axes, and a conclusion. The introduction included the early beginnings of the establishment of French trade unions in Algeria and the joining of Algerian workers in them and the

acquisition of union experience to establish independent unions in 1956. As for the first axis: the motives for the establishment of the General Union of Algerian Workers. The second axis: the early beginnings of the establishment of the General Union of Algerian Workers. The third axis: the reactions of the trade unions to the establishment of the General Union of Algerian Workers. The fourth axis: the colonial repression policy against the work of unionists. The fifth axis: the first strike activity of the General Union of Algerian Workers in July 1956. The sixth axis: the accession of the General Union of Algerian Workers to international organizations, the most prominent of which was the success of the union in mobilizing workers in support of the liberation revolution to achieve independence.

Keywords: The union, Colonialism, Strikes, The Algerian cause

المقدمة

عُد هذا البحث محاولة لفهم الحركة النقابية العمالية في الجزائر , اذ يعد الخوض في هذا الموضوع من الابحاث المهمة في التاريخ الجزائري , لتوضيح ابعاد الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للجزائر الذي فرضه الاستعمار الفرنسي ومحاولة النقابات العمالية تغيير تلك الاوضاع التي تمثلت في السيطرة على موارد البلاد وتسخيرها لخدمة الاستعمار الفرنسي , الامر الذي انعكس على اوضاع العمال الجزائريين الذين انظموا الى النقابات الفرنسية في بداية الامر للمطالبة بحقوقهم , الا ان ذلك لم يستمر طويلاً فسرعان ما بدأت النقابات الجزائرية تستقل وتأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين في الرابع والعشرين من شباط عام ١٩٥٦ , برئاسة النقابي عيسات ايدير الذي تعرض مع زملائه الى الاعتقال والقتل وغلق مقرات الاتحاد ومصادرة صحيفته , الا ان تلك السياسة لم تثني عمل الاتحاد في مساندة اخوانهم الجزائريين في حربهم ضد الاستعمار الفرنسي , اذ نظموا الاضرابات واقاموا المظاهرات واقاموا المؤتمرات لمساندة القضية الجزائرية .

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة , ان الحركة النقابية العمالية الجزائرية المتمثلة بالاتحاد العام للعمال الجزائريين لم تلقَ الاهتمام الكافي من قبل الدراسات السابقة , مقارنة بالجوانب

السياسية والعسكرية , فاردنا التعرف على نشاط الطبقات العاملة ونقاباتها التي تحملت عبئا لا يستهان به في الكفاح التحرري لإنجاح الثورة الجزائرية واسترجاع سيادة الجزائر واستقلالها.

اهمية الدراسة :

تكمن اهمية الدراسة بأنها اضافة نوعية مهمة لتاريخ الحركة النقابية في الجزائر ودورها الاجتماعي الاقتصادي والسياسي في تاريخ الجزائر الحديث , ورفد المكتبة بدراسة جديدة تناولت مساهمة العامل الجزائري من خلال نقابته الاتحاد العام للعمال الجزائريين في تغيير مسار الثورة الجزائرية للحصول على الاستقلال .

اهداف الدراسة :

تهدف الدراسة الى تسليط الضوء على دور النقابات العمالية ودورها في تحقيق الاستقلال الجزائري .

- التعرف على الدوافع وراء تأسيس النقابات الجزائرية.
- دراسة تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين .
- التعرف على ردود الافعال الدولية من تأسيس الاتحاد .
- دراسة نشاط الاتحاد خلال الثورة ضد الاحتلال الفرنسي .

منهج الدراسة:

اقتضت الدراسة استخدام الباحثة المنهج التاريخي الوصفي الوصف الوقائع التاريخية حسب التسلسل الزمني مع الحفاظ على وحدة الموضوع , وتحليل الوقائع قدر الامكان, وتتبع المسار التاريخي لنشاط الاتحاد العام للعمال الجزائريين خلال فترة الثور التحررية .

محاور الدراسة :

تضمنت الدراسة المحاور التالية :

- المقدمة وتحتوي على مشكلة الدراسة واهدافها واهميتها.
- تمهيد تضمن البدايات الاولى لنشأة العمل النقابي في الجزائر.
- المحور الاول : دوافع تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين .
- المحور الثاني : البدايات الاولى لتأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين .

- المحور الثالث : ردود افعال النقابات من تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين .
- المحور الرابع : سياسة القمع الاستعمارية ضد عمل النقابيين .
- المحور الخامس : النشاط الاضرابي الاول للاتحاد العام للعمال الجزائريين تموز ١٩٥٦.
- المحور السادس : انضمام الاتحاد العام للعمال الجزائريين الى المنظمات الدولية .
- الخاتمة : تتضمن نتائج ما توصلت اليه الدراسة .

تمهيد:

انتزع الاحتلال الفرنسي في الجزائر ومنذ بداية وجوده في الخامس من تموز١٨٣٠م ، الاراضي التابعة للأهالي وفرض عليهم قوانين جائرة ، فضلا عن ترحيل السكان من المناطق الخصبة الى الاراضي القاحلة و سيطر على جميع المنافذ الاقتصادية , مما ادى بدوره الى حدوث تمايز طبقي داخل المجتمع الجزائري.(١)

وعلى الرغم تلك الظروف التي عاشها المواطن الجزائري ،الا انهم لم ينظموا ضمن تنظيمات عمل نقابي مطلبي ، لتحسين احوالهم او ايجاد فرص عمل جيدة و المساواة مع الاوربيين الاجور، و ذلك لعدم وجود قاعدة صناعية عمالية حقيقية قادرة على ادارة الحراك المطلبي العمالي النقابي(٢) , فضلا عن ، عامل الهجرة الى الدول العربية للعمل الموسمي و البحث عن فرص عمل, (٣) وتمركز العمال الجزائريين في القطاع الزراعي الذي اخر لديهم الوعي النقابي,(٤) و الاهم من ذلك كله السياسة الاستعمارية الفرنسية التي منعت الجزائريين من الانضمام الى النقابات ، والتجمعات الفرنسية الموجودة في الجزائر و المقتصرة على الفرنسيين حصراً.(٥)

وبعد ذلك حدثت تغيرات وصدر قانون (فالدك روسو) في فرنسا عام ١٨٨٤وباعتبار ان الجزائر مستعمرة فرنسية، فان ما يصدر في الاخيرة يطبق في مستعمراتها , ونتيجة لذلك ، سمح للجزائريين الانضمام الى النقابات الفرنسية , على ان يكونوا مؤسسيها من الفرنسيين , فتزايد عدد النقابات الفرنسية في الكثير من مدن الجزائر منها وهران وكان فيها (٥) نقابات ،وقسنطينة فيها (٩) نقابة , و(١٠) في الجزائر , وبالتالي بلغ عدد النقابات في ربوع الجزائر (٢٤) نقابة.(٦)

وكان لتأسيس نجم شمال افريقيا تأثير كبير , كون ان ابرز اهدافه الاعتراف بالحق النقابي الذي ساعد على انشاء الحركة العمالية النقابية ذات الطابع الوطني ,[٧] وعند حل النجم من قبل فرنسا انشأ مصالي الحاج حزب الشعب الجزائري بدلا عنه والتفت الطبقة العاملة حوله اذ اعطى للحركة المطلبية الطابع الثوري , الا انه استمر بالعمل السري خوفاً من مطاردة السلطات الفرنسية , ونظم اول اضراب عام ١٩٣٧ محتجاً على القمع الذي تعرض له ,ففي تلك المرحلة كان العمال ينتمون نقابياً الى الكونفدرالية العامة للعمل , اما سياسياً تحت توجيه حزب الشعب الجزائري الذي يستمد توصياته من جمعية العلماء المسلمين.[٨]

وبعد حل حزب الشعب من قبل السلطات الفرنسية ونفي مصالي الحاج الى (برزافيل) ,اطلق سراحه بعد اشهر عدة في سنة ١٩٤٦[٩], ليؤسس حركة انتصار الحريات الديمقراطية في الثالث عشر من تشرين الاول ١٩٤٦ الذي كان مجرد غطاء لحزب الشعب كونه ابقى البرنامج نفسه الذي اتبعه الحزب مع اضفاء بعض التغييرات البسيطة.[١٠]

وعند انعقاد المؤتمر الاول لحركة انتصار الحريات الديمقراطية في الخامس عشر والسادس عشر من شباط ١٩٤٧,[١١] تم انشاء اللجنة المركزية للشؤون الاجتماعية والنقابية ودليلاً على اهتمام الحركة بالعمال ومدى ادراكها للدور الذي قد تلعبه في العمل النضالي, والمتمثل بأنشاء خلايا عمالية داخل الكونفدرالية من اجل استغلالها لصالح الحركة وليس لصالح الحزب الشيوعي من خلال تيسير تلك الخلايا العمالية وتحديد السياسة المتبعة.[١٢]

ونتيجة الخلافات داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية, انقسم الحزب الى قسمين : الاول كتلة مصالي الحاج ذو القيادة الفردية , والثاني كتلة اللجنة المركزية ذو القيادة الجماعية,[١٣] واثرت تلك الخلافات في تأخير الاستقلال النقابي , وبالتالي استغل الحزبين الشيوعيين الجزائري والفرنسي تلك الاوضاع ,[١٤] وسارعوا الى عقد الندوة الخامسة في الرابع والعشرين الى السابع والعشرين من ايار ١٩٥٤ ,و التي نظمتها الكونفدرالية العامة للشغل وخلالها تم التصويت بالإجماع على انشاء (الاتحاد العام للنقابات الجزائرية).[١٥]

وفي الاول من تشرين الثاني ١٩٥٤ تم تفجير الثورة الجزائرية من قبل اللجنة الثورية للوحدة والعمل والتي تعد منعطفا تاريخيا في الحياة السياسية والنضال الثوري ,[١٦] وفي الخامس من تشرين الثاني ١٩٥٤, تم حل حركة انتصار الحريات الديمقراطية من قبل

السلطات الفرنسية ,[١٧] وعد المصاليون الثورة الجزائرية مخاطرة كبيرة , ولكن بعد اسابيع حاولوا انساب الثورة اليهم من خلال تشكيل فرق عسكرية ونشر الدعايات , وعلى ذلك الاساس , تم انشاء الحركة الوطنية الجزائرية في كانون الاول ١٩٥٤ لتكون بديلاً عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية المنحلة من قبل السلطات الفرنسية. [١٨]

وفي ضوء ذلك , سعت الحركة الوطنية الى زيادة قاعدتها الشعبية واستقطاب الطبقة العاملة الى جانبها لتحقيق اهدافها في حزب جبهة التحرير الوطني ,[١٩] وبدأت مساعيها عند اطلاق سراح المناضلين المعتقلين في ١٩٥٥ فقدمت لجنة الشؤون النقابية والاجتماعية ,الموالية لمصالي الحاج اقتراحاً قضى بأنشاء مركزية نقابية جزائرية , وتم ذلك بتأسيس مركزية نقابية "اتحاد نقابات العمال الجزائريين". [٢٠]

المحور الاول : دوافع تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين

سعت فرنسا عند احتلال الجزائر طمس الهوية والثقافة الجزائرية وجعله شعباً امياً , لسهولة السيطرة عليه والتحكم فيه , لذلك كانت من اولى المهمات التي قامت بها جبهة التحرير الوطني القضاء على تلك الاثار, وتوعية الناس من خلال تنظيم حملات في القرى والارياف لمحو الامية ورفع مستوى الوعي بين العمال والفلاحين ,و لأدراكها ان العمال والفلاحين هم الجانب المهم في الثورة الجزائرية , وصلت الى نتيجة ضرورة تأسيس تنظيم نقابي لجمع تشتت العمال الجزائريين بين النقابات الفرنسية ,وتوحيد القوى العاملة في خدمة المصلحة الوطنية .[٢١]

أنَّ لكل فعل ردة فعل , فعندما قامت الحركة الوطنية الجزائرية (المصالية) ,اعادة احياء اللجنة العمالية التابعة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية واسست تنظيم نقابي , وصل الخبر الى بن يوسف بن حذة عن طريق اتصال تلقاه من قبل بوعلام بوريبة , والذي اقنعه في التخلي عن الحركة المصالية والانضمام الى جبهة التحرير الوطني والتعاون بينهم لأنشاء نقابة تابعة لجبهة التحرير الوطني , لتكون اساس في التنظيم والتجنيد.[٢٢]

أوعز قادة جبهة التحرير الوطني بن يوسف بن حذة ,وعبان رمضان, الى النقابيين المناضلين عيسات ايدير, وبوعلام بوريبة , ورابح جرمان , لدراسة مدى امكانية انشاء تنظيم نقابي عمالي وطني , وعلى ذلك الاساس ارسلت جبهة التحرير الوطني النقابيين المذكورين

انفاً الى باريس[٢٣], واستقبلهم صالح الوانشي مسؤول فيدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا , والذي عمل على ترتيب لقاء للوفد مع الممثل الدائم للاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة في أوربا السيد ايرفينغ براون (Irving Brown) في كانون الاول ١٩٥٥[٢٤], وارسلت الحركة الوطنية الجزائرية من جانبها النقابيين التابعيين لها وتوجهوا الى بروكسل في كانون الثاني١٩٥٦ , وعقدوا اجتماع مشترك لكلا الجانبين في مقر الاتحاد الدولي للنقابات الحرة, لإيجاد الحلول حول الانقسام الحاصل بين العمال الجزائريين وتوحيد صفوفهم في اتحاد نقابي واحد, والوقوف بوجه الاتحاد العام للنقابات الجزائرية (التابع الى الحزب الشيوعي الفرنسي)[٢٥], الا ان تلك المجموعة لم تحقق ما سعت اليه في انشاء مركز نقابي يضم جميع الجزائريين , ويبدو ذلك لأسباب سياسية كامنة بين الحركة الوطنية الجزائرية (المصالين) وجبهة التحرير الوطني.[٢٦]

بعد عودة الوفد الى الجزائر بمدة وجيزة, اسس مصالي الحاج تنظيم نقابي اطلق عليه اتحاد نقابات العمال الجزائريين , وذلك في الحادي عشر من شباط ١٩٥٦, لكسب الطبقة العاملة الى جانبه وسحب البساط من تحت اقدام جبهة التحرير الوطني[٢٧], وفي الرابع عشر من الشهر ذاته ارسل المصاليون برقيتين الى الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة, اعلنوا في الاولى عن انشاء اتحاد نقابات العمال الجزائريين وقدموا في الثانية طلب الانضمام اليه [٢٨].

كما اعلنوا في الصحف عن انشاء نقابتهم في السادس عشر من التاريخ ذاته , باسم الامين العام للاتحاد محمد رمضاني,[٢٩] ونتيجة لذلك الامر, كلفت جبهة التحرير الوطني محمد درارني , تهيئة تقرير حول امكانية انشاء نقابة وطنية مستقلة , وفي اليوم التالي اجتمع كل من يوسف بن خدة , وعبان رمضان , وعيسات ايدير, وعطاالله بن عيسى في منزل بوعلام بوريبة , للتحضير لأنشاء نقابة عمالية مركزية , كونهم يعلمون بالدور الذي تلعبه الطبقة العاملة في تغيير مسار الثورة ولتضيع الفرصة على مصالي الحاج في كسب العمال الى جانبه وبالتالي خسارة جبهة التحرير الوطني.[٣٠]

المحور الثاني : البدايات الاولى لتأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين

أتفق في الاجتماع الذي عقد في السابع عشر من شباط ١٩٥٦ على تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين , واختاروا قيادته وتوفير الاموال اللازمة لأنشائه ,وكان من ابرز القرارات التي اتخذوها ما يلي:-

١. اطلاق تسمية (الاتحاد العام للعمال الجزائريين) على التنظيم .
٢. تأسست صحيفة ناطقة عن لسانه سميت (العامل الجزائري).
٣. اعطاء مبلغ قيمتهُ (١٠٠٠٠٠٠) فرنك الى الاتحاد من قبل جبهة التحرير .
٤. تتكون امانة الاتحاد من (٥) اعضاء ولجنة من (٢١) عضواً.
٥. الغاية من تأسيسه مساعدة العمال ورعاية مصالحهم ومساندة الثورة بالمال والسلاح والثوار. [٣١]

تم التواصل مع لجنة القيادة الثورية في القاهرة , في الواحد والعشرين من شباط ١٩٥٦, واخذ رأيها بكيفية التعامل مع النقابة المصالية المؤسسة حديثاً , واوعزت اللجنة تعليماتها الى العمال بعدم الانضمام الى النقابة المصالية, والانخراط في صفوف النقابة المؤسسة حديثاً.[٣٢]

انعقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للعمال الجزائريين في الرابع والعشرين من شباط ١٩٥٦, [٣٣]ومقرهُ في مقر الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في العاصمة الجزائر بالقرب من (جامع كتشاوة), ووزع بيان التأسيس سراً خشية من بطش السلطات الفرنسية[٣٤], حظر مؤتمر التأسيس (١٢) نقابة جزائرية من قطاعات مختلفة منها عمال السكك الحديدية, وعمال ميناء الجزائر, وعمال مؤسسة النقل , وعمال الغاز والكهرباء , وعمال المستشفيات , وعمال مكاتب التجارة وهيئات الضمان الاجتماعي , فضلاً عن عمال التبغ , وعمال الحديد ونقل الجزائر والبلديات , وعمال المواد الكيميائية والمخابز.[٣٥]

تم انشاء مجلس وطني مكون من (١٣) عضواً في الاجتماع, اغلبهم كانوا اعضاءً سابقين في نجم شمال افريقيا, والحزب الشيوعي الجزائري ,والكونفدرالية العامة للعمل الاتحادية ,واكتسبوا خبرة العمل النقابي واصبحوا مدركين ان انتمائاتهم الحزبية مقيدة مالم تكن مسنودة بنشاط نقابي حر يتيح لهم حرية العمل الوطني بغطاء نقابي عمالي[٣٦], وابرز اعضاء المجلس الوطني هم عيسات ايدير ,و بوعلام بوريبة ,و رابح جرمان ,وعلي يحيى

عبدالمجيد , وعطاالله بن عيسى ,وعبدالقادر عمراني ,ومحمد مادة ,ومحمد عقاب ,وعمار لمين ,و مسعود حدادي , واحمد زيتوني , ومحمد عياشي ,وحسن بوريبة.[٣٧]

وبدورهم , قام اعضاء المجلس الوطني بأختيار خمسة اعضاء للأمانة الوطنية وهم:[٣٨]

جدول (١) اعضاء الامانة الوطنية للاتحاد العام للعمال الجزائريين

اسم العضو	مهنتهُ	منصبه
عيسات ايدير	عامل بمصنع للطيران	اميناً عاماً
بن عيسى عطاالله	عامل في القطاع الاستشفائي	امين عام مساعد
رابح جرمان	عامل في ميناء الجزائر	امين وطني
بوعلام بوريبة	عامل في السكك الحديدية	امين وطني
علي يحي عبدالمجيد	عامل في ميناء الجزائر	امين وطني مكلف بالمالية

كما كان هناك عضو سادس لم يذكر في قائمة الامانة الوطنية وهو قايد طاهر, المكلف من قبل عبان رمضان للقيام بتلك المسؤولية, وعد احد الاعضاء البارزين والمناضلين في جبهة التحرير الوطني و الفدائيين, فتجنبوا ذكر اسمه في قائمة الامناء لملاحقته من قبل السلطات الفرنسية.[٣٩]

ارتكز برنامج الاتحاد الاساسي على امرين مهمين الاول النضال من اجل الاستقلال الوطني ومساندة الثورة بالمال والسلاح والعتاد , والثاني تنظيم العمال والحفاظ على مصالحهم وحقوقهم وبالأخص العمال الزراعيين الذين عدو مهملين من ناحية التنظيم والحقوق.[٤٠]

وتألفت الهيئات والهياكل الافقية والعامودية للاتحاد العام للعمال الجزائريين من الاتي:-

اولاً – الهيئات والهياكل الافقية والتي تضمنت :-

أ – اللجنة التنفيذية المحلية . ب – اللجنة التنفيذية الولائية. [٤١]

ابرز مهماتها التنظيم والمراقبة وتعبئة العمال لتوسيع القاعدة النقابية بين العمال الجزائريين وتضمنت اتحادان هما:-

١. الاتحاد المحلي :- مثّل الهيئة القيادية في النقابة وضم (١٥٤١) اتحاد للمنضمين في بلديات الجزائر.
٢. الاتحاد الولائي :- ضم الاتحادات المحلية كافة في الولاية , وشمل(٤٢) اتحاد في الولايات.[٤٢]

ابرز مهماتها ضمان الصلاحيات النقابية للاتحاد العام للعمال الجزائريين .

ثانياً – الهيئات والهياكل العامودية والتي ضمت :-

أ- مجلس نقابة المؤسسة ب- مجلس النقابة الوطنية. ج- اللجنة التنفيذية. [٤٣] الاتحادية.

تركزت مهماتها على حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بالعمال , وتطبيق الوثائق الخاصة بأمور العمل ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي وضمت:-

١. الاتحاد الوطني. ٢. النقابة الوطنية. ٣. نقابة المؤسسة. [٤٤]

تمثلت ابرز الاهداف التي انشئ من اجلها الاتحاد العام للعمال الجزائريين تتلخص بما يلي:-

١. استقلال النقابات الجزائرية عن النقابات الفرنسية.
٢. حماية حقوق العمال المادية والاجتماعية.
٣. المساواة بين الطبقات العمالية والقضاء وضد اي نوع من التمييز.
٤. السعي من اجل الاستقلال الاقتصادي الجزائري عن الفرنسي.
٥. زيادة الوعي والثقافة النقابية لدى العمال.
٦. المشاركة في العمل الثوري من اجل تحقيق الاستقلال التام.
٧. تنشيط وتطوير المجال الاعلامي النقابي.
٨. الحفاظ على مكتبات العمال الاجتماعية والسعي للحصول على المزيد منها.
٩. زيادة القدرة الشرائية للعمال من خلال تحسين الدخل الوطني وحماية مناصب العمل.
١٠. تقوية العلاقات بين عمال الداخل وعمال المهجر والتعاون فيما بينهم.
١١. خلق تنسيق نقابي للمحافظة على حقوق العمال القانونية والدفاع عنهما. [٤٥]

المحور الثالث : ردود افعال النقابات من تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين

تلقى العمال الجزائريين خبر اعلان تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين في الصحف الجزائرية والفرنسية بكل ترحيب , وذلك لميلاد نقابة جزائرية وطنية مستقلة تدافع عن حقوقهم , والتي بدورها وجهت دعوة لكل العمال القانطين في الجزائر بغض النظر عن اعراقهم او طوائفهم للانضمام الى الاتحاد , فضلاً عن دعوتها الى النقابات الاخرى سواءً الفرنسية او الجزائرية في حل نفسها والانضمام الى الاتحاد وبشكل فردي, ورفض اي ائتلاف او تحالف مع اي نقابة , مما جعل الساحة الجزائرية محل صراع بين النقابات الموجودة , وسعى كل واحدة منها الى استقطاب الطبقة العاملة الى صفها مما خلق ردود افعال معادية تجاه الاتحاد العام للعمال الجزائريين.(٤٦)

كانت اول ردود الافعال من قبل الكونفدرالية العامة للشغل, المتمثلة في نقابتها الاتحاد العام للنقابات الجزائرية, والتي عدت تأسيس الاتحاد سيؤدي الى انقسام العمال الجزائريين , وبالتالي يؤدي الى التصادم بين العمال الجزائريين والفرنسيين في وقت محنة الشعب الجزائري في ظل الثورة التحررية وحاجته الى التلاحم والتأزر , ولم تجد الكونفدرالية اي مبرر في الانفصال عنها, كونها كانت وحسب زعمها مساندة للشعوب في حركات التحرر والكفاح ضد الاستعمار (٤٧), الا انها كانت مجرد اسباب واهية اذ يرجع السبب الحقيقي لتلك المخاوف الى فقدانها اعضائها الجزائريين, وبالتالي قل نشاطها وتأثيرها في الجزائر مثلما ضعف تأثيرها في تونس والمغرب من قبل وعدم تمكنها من صنع اي قرار.(٤٨)

لم يرحب اتحاد نقابات العمال الجزائريين بأمر انشاء مركزية نقابية تابعة الى جبهة التحرير الوطني , والتي على الرغم من قلة اعضائها وضعف تأثيرها الا انها حاولت بكل الطرق الى تجزئة الحركة النقابية المتمثلة بالاتحاد العام للعمال الجزائريين.(٤٩) اذ وصل الامر بينهم الى حد التصفيات الجسدية والاقتتال, كما عبرت عنه صحيفة صدى الجزائر في مقال "**حرب النقابات الوطنية في الجزائر**" والذي جاء فيه "**ان جبهة التحرير التي هددت بموت كل الذين ينخرطون في هذه النقابة (الاتحاد النقابي للعمال الجزائريين) قامت يوم الاربعاء الماضي بأنشاء تنظيم نقابي جديد وهو الاتحاد العام للعمال الجزائريين**".(٥٠)

اما بخصوص الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة , فقد انكر ارسال الاتحاد العمالي اي طلب للأنضمام فور تأسيسه, الا انه علم بخبر التأسيس من خلال الصحافة الفرنسية في الرابع والعشرين من شباط ١٩٥٦ , ويذكر بانه بعد فشل النقابيين في ايجاد مركزية نقابية توحدهم , اعلن كل اتجاه عن نقابته الخاصة , فالحركة الوطنية الجزائرية اعلنت (اتحاد نقابات العمال الجزائريين) في السادس عشر من الشهر ذاته , وبعدها بمدة اعلنوا تأسيس (الاتحاد العام للعمال الجزائريين) من قبل مجموعة من النقابيين , ويبدوا ان ذلك الانقسام يعود الى اسباب سياسية بين جبهة التحرير الوطني التي دعمت الاخير وبين الحركة الوطنية الجزائرية التي دعمت اتحاد نقابات العمال الجزائريين , في حين اعرب الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة بان هاتان المنظمتان تتمتعان بروح نقابية قوية وان الاعتبارات السياسية ليست بالضرورة تتدخل في عملها.[٥١]

وصل عدد الاعضاء بعد شهرين من تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين الى (١١٠,٠٠٠) منخرط موزعين على (٧٢) فرع نقابي وكان هناك في العاصمة وحدها ثلاث اتحادات هما الجزائر, ووهران ,و البليدة ,و التي اثرت في النقابات الفرنسية وانخفض عدد اعضائها من (٦٠,٠٠٠) الى (١٥٠٠٠).[٥٢]

المحور الرابع : سياسة القمع الاستعمارية ضد عمل النقابيين

انشأت صحيفة خاصة بالاتحاد العام للعمال الجزائريين بهدف ايصال اهدافهم واهتماماتهم الى الطبقة العاملة , اطلق عليها اسم (العامل الجزائري) , وصدر العدد الاول منها في نيسان ١٩٥٦[٥٣],ذات العنوان السابق للصحيفة التابعة للاتحاد العام للنقابات الجزائرية التابعة للشيوعيين[٥٤], وقد حظي العدد الاول بنجاح كبير وتأثير قوي بين الاوساط العمالية , الامر الذي ازعج السلطات الاستعمارية وصادرت العدد الثاني بأكمله من المطبعة , وعند صدور العدد الثالث وجهت احتجاج قوي ضد السلطات الفرنسية وسياستها القمعية , وبرغم تلك الاساليب المتبعة من قبل الفرنسيين الا انها اصبحت تضم الكثير من المتعاونين منذ الاشهر الاولى , وكانت ابرز المواضيع التي تناولتها الصحيفة الاعلانات والمنشورات الموجهة الى الوزير الفرنسي المقيم في الجزائر لاكوست(Lacoste) , فضلا عن التحريض على الاضرابات , ونشر زيارات المسؤولين النقابين للمؤسسات المختلفة , والتحضير الى

قيام مظاهرات , مما ادى الى قيام لاكوست بأعطاء اوامره بفرض الاعتقالات على العديد من النقابيين , واستخدام سياسة اكثر صرامة ضد الاتحاد العام للعمال الجزائريين[٥٥], كون ان السلطات الفرنسية ادركت ارتكاز العمل النقابي للاتحاد العام للعمال الجزائريين على جبهة التحرير الوطني , رغم ان ذلك الامر ليس بغريب او منافي للقوانين النقابية كما جاء في المؤتمر الدولي للشغل في سنة ١٩٥٢مؤكداً "**ان الهدف الاساسي والدائم للحركات النقابية هو العمل على تحسين الحالة الاقتصادية والاجتماعية للعمال , واذا قررت نقابة من النقابات التحالف مع حزب سياسي لتعزيز نشاطها وتحقيق اهدافها مع الالتزام بمسايرة قوانين البلاد فأن ذلك التحالف مسموح به على شرط ان لا يضر بمهام الحركة النقابية** ".[٥٦]

أنَّ سبب ارتباط العمل النقابي في الكفاح التحرري , ادراكهم لعدم امكانية تحقيق اهداف الطبقة العاملة , وتخليص المجتمع الجزائري من الظلم والفقر, وتحسين المستوى المعيشي دون حصول الجزائر على استقلالها , لذلك حملوا مسؤولية الكفاح الى جانب جبهة التحرير الوطني مما ادى الى وضع العراقيل في وجه الاتحاد العام للعمال الجزائريين[٥٧], وفي ذكرى عيد العمال المصادف الاول من ايار ١٩٥٦, حدثت مظاهرة كبيرة طافت شوارع العاصمة , مطالبة بالعدل , وايقاف الاستغلال والقمع ضد العمال الجزائريين , وتحسين اوضاعهم , الا ان القوات الفرنسية قابلت المتظاهرون بالضرب والاعتقال , وتعرض الكثير منهم الى الطرد من عمله[٥٨].

داهمت القوات الفرنسية في صباح يوم الرابع والعشرين من الشهر ذاته المنازل , والقت القبض على بعض القادة النقابيين الجزائريين[٥٩] , منهم عيسات ايدير واعضاء اللجنة التنفيذية وزجوا بهم في سجن البرواقية[٦٠] , وابرزهم الاتي :-

١. عيسات ايدير – الامين العام.
٢. عطاالله بن عيسى – سكرتير اللجنة التنفيذية.
٣. بوعلام بوريبة – سكرتير اللجنة التنفيذية.
٤. رابح جرمان – عضو اللجنة التنفيذية.
٥. علي يحيى عبدالمجيد – عضو اللجنة التنفيذية والامانة العامة.

٦. مهند رمضاني – عضو سري عام.
٧. احمد جمعي – مساعد سري.
٨. عاشور اهلوش – مساعد الخزانة.
٩. سعيد بوزرار – امين الصندوق العام.
١٠. اريزكي جيرمان – كاتب السجلات.
١١. عبدالعزيز حدادي – عضو اللجنة التنفيذية.
١٢. عبدالقادر عمراني – سكرتير مجلس التجارة. [٦١]

وصل العدد الى (١٥٠) نقابي بين اعضاء الامانة العامة واللجنة التنفيذية , وتمكنت السلطات الفرنسية من الحصول على اسماء واماكن مراكز الفروع النقابية من خلال ملف الاعتماد الخاص بالنقابة الموجود في البلدية , والرجوع الى العدد الاول من صحيفة العامل الجزائري تضمنت اسماء اعضاء الامانة العامة واللجنة التنفيذية.[٦٢]

ألف النقابيون تجمعاً في سجن البرواقية, ووجهوا رسالة احتجاج الى رئيس الحكومة الفرنسية , موقعة من قبل النقابيون عيسات ايدير , ومبارك جيلاني , وبن خليل واخرون[٦٣], ونشرت تلك الرسالة في صحيفة العامل الجزائري في العدد الثالث في الثامن من حزيران ١٩٥٦ , متضمنة احوال المعتقلات وسوء اوضاع المسجونين الصحية اذ جاء فيها "**نحن المرغمين على الاقامة المحروسة في البرواقية وعددنا ما يقارب(٧٠٠) شخص نلفت نظركم بكل تقدير الى الحالة غير القانونية والأأنسانية. على خلاف النصوص الرسمية لا يعتبر هذا الاجراء احتشادياً يتمثل في الحجز في معتقل محاط بألأسلاك الشائكة ومحروسين من قبل عناصر مسلحة ... اكتظاظ الحجرات ووجود مرضى في وضعية جداً خطيرة كمرضى السكري والقلب ... وقلة المياه الصالحة للشرب والتجهيزات الصحية. يوجد (٨) مراحيض من بينها (٤) غير قابلة للاستعمال وطبيب واحد يقوم بالفحوصات لمدة (٤) ساعات في الاسبوع في حصتين وعدم كفاية مخزون الادوية وعدم قدرة بعض المرضى على الحصول على ادويتهم الخاصة ووجبات غذائية غير كافية ... ومنع الصحف والكتب والمجلات والالغاء الفجائي للزيارات العائلية واجبار العائلات الاتية من مناطق جداً بعيدة وتكاليف باهظة العودة ادراجها دون التمكن من رؤية ذويها ... نطلب**

منكم وضع حد لكل ما ورد في الاعلى"[٦٤] , الا انهم لم يحصلوا على رد لتلك الرسالة بل على العكس زاد الاضطهاد على المعتقلين.[٦٥]

لم يكن قادة الاتحاد العام للعمال الجزائريين مهيئين لمثل تلك الظروف , حتى ان اعضاء الامانة العامة لم يتركوا تعليمات مكتوبة حول من يخلفهم لو تعرضوا للاعتقال[٦٦], الا انهم تمكنوا من انشاء امانة عامة جديدة انذاك , ضمت كل من محمد فليسي الامين العام, ولعسل مصطفى , ومولود قايد ,وعاكب محمد, وخلال الاجتماع في مقر الاتحاد العام للعمال الجزائريين الواقع في شارع الكاردينال لافيجيري مقر حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري , تم التحضير لتنظيم اضراب في الخامس من تموز ١٩٥٦ في ذكرى الاحتلال الفرنسي للجزائر , وتشكيل لجنة من المحامين للدفاع عن المعتقلين النقابيين لأطلاق سراحهم , فضلاً عن تحرير بيان لفضح السياسة الاستعمارية الفرنسية ضد الجزائريين , واطلاع الرأي العام على الاساليب القمعية التي تعرض لها النقابيون[٦٧], وفي اثناء قيام الاجتماع, القيت قنبلة بلاستيكية على مقر الاتحاد وتفجيره , من قبل فرقة فرنسية تدعى (اليد الحمراء), مما ادى الى جرح (٣٠) نقابي فضلاً عن اعتقال (١٥) اخر بعد مداهمة المقر من قبل الشرطة[٦٨], وتم حجز وثائق الاتحاد واغلق المقر لمدة (٢٠ يوم), ووصل عدد المعتقلين الى (١٠٠) مناضل تعرضوا لأشد انواع التعذيب في سجن البرواقية.[٦٩]

تبين في الرسالة المرسلة من القنصلية العامة الى وزارة الخارجية الفرنسية في القسم الافريقي, خلالها ان الانفجار في مقر حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري , الذي سمع صوت الدوي العنيف في مساء الثلاثين من حزيران من العام ذاته يرجع سببه الى عمل تخريبي من قبل منظمة وطنية منافسة للحزب , ولكن بعد دخول الشرطة الى المبنى وجدت ان سبب الانفجار تسرب الغاز ,ووجدوا في الطابق الثاني ثمانية رجال مصابين بجروح مختلفة , ومن خلال الوثائق التي عثروا عليها تحت الانقاض تبين انهم اعضاء في الاتحاد العام للعمال الجزائريين , والتي تضمنت معلومات حول اضراب تموز ١٩٥٦ , في ذكرى الاحتلال الفرنسي للجزائر, فضلاً عن منشورات مكتوبة باللغة الفرنسية دعت العمال الى الاضراب , وكشفت الوثائق ايضاً زيف الذين يدعون ان الاضراب سلمي وخاص بالاصلاح

الاقتصادي والزراعي , الا انه ذو طابع سياسي صرف ويحث على النضال ضد الاستعمار وموقع من قبل جبهة التحرير الوطني , كما اشارت المنشورات بأن الاضراب شمل وسائل النقل بشكل كامل , وعلى افراد جيش التحرير الوطني اطلاق النار على اي مركبة تخاطر في الخروج الى الشارع , وحملت تلك المنشورات ايضاً توقيع جبهة التحرير الوطني ,وبعد الانفجار تم اعتقال(١٧) شخص عند خروجهم من المبنى , فضلاً عن اعتقال السلطات الفرنسية لأشخاص اخرين بعد الاطلاع على الوثائق الاخرى , وقد وجهت تلك السلطات برقية الى الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة محذرة في حال قبول عضوية انضمام الاتحاد العام للعمال الجزائريين اليه بأنه سوف يتعرض الى انتقاد عنيف ,كما اعطت السلطات الفرنسية تعليماتها الى الجيش والشرطة للاستعداد للأضراب المعهود بدرجة التأهب القصوى .[٧٠]

جاء في البيان الخاص بجبهة التحرير الوطني الى العمال الجزائريين , الذي وجدته السلطات الفرنسية في مكان الانفجار ما يلي :-

"يقوم مستغليكم بألقاء القبض على قادتكم على امل الامتناع عن رغبتكم في تحقيق تطلعاتكم الاكثر مشروعية وانهم يقومون بترحيلهم الى معسكرات الايواء على امل كسر شعاركم الرائع وقطع رأس الاتحاد العام للعمال الجزائريين , حاملين لواء مطالبكم النقابية , انهم يستولون على صحيفتك العامل الجزائري ويرفضون حقك في التعبير عن رأيك حول مشاكل اليوم من اجل تشويهها بشكل افضل للأجانب , انهم يخنقون صوتك لاستغلالك بشكل افضل , انت هدف يومي لعمليات التفتيش والتنمر والاذلال والشتائم .... من اجل اصلاح زراعي حقيقي من اجل ضمان الحد الادنى من الاجور والضمان الاجتماعي الوطني والخدمة المدنية الجزائرية قم بالتضامن النشيط مع الشعب الجزائري في وطنه لاستعادة الحريات الديمقراطية واطلاق سراح قادتك وكل الوطنيين سوف نقوم بالأضراب يوم الخميس الخامس من تموز ١٩٥٦ جميعاً متحدون اخوياً وسنجعل من هذا اليوم يوماً للمجد والنضال في الهدوء والكرم والانضباط , ستساهم في نجاحه , من خلال تجنب اي تجمعات وهجر الشوارع ومواقع البناء والمكاتب والشركات والمصانع , الق نظرة على الماضي , واحكم على الحاضر وبفضل نجاح هذا الاضراب ستساهم في بناء الجزائر

التي نريدها .... جبهة التحرير الوطني يدعوا جميع العمال الجزائريين (عمال السكك الحديدية . عمال الموانئ . عمال المستشفيات . عمال المعادن . عمال الترام . عمال البناء .الخ) الى الاضراب العام يوم الخامس من تموز ١٩٥٦ الاضراب التمردي الكبير الذي سيخلصنا الى الابد من القمع الاستعماري , لن تكون هناك سيارات على الطريق جميع مجموعات جيش التحرير الوطني امروا بأطلاق النار دون سابق انذار على المركبات المدنية والعسكرية."(٧١)

ان السلطات الفرنسية حاولت ابعاد الشبهة عنها في تفجير مقر الاتحاد , وأوعزتهُ الى اسباب واهية بانه نتيجة تصفيات حزبية او تسرب في الغاز ,و لكن يبادر الى الذهن سؤال من كان المستهدف في التفجير؟ هل مقر حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري , ام مقر الاتحاد العام للعمال الجزائريين , الا انه يبدو ان السلطات الفرنسية قد علمت من خلال منظمتها الجاسوسية (اليد الحمراء) ,بتخطيط جبهة التحرير الوطني الى الاضراب الكبير في ذكرى الاحتلال الفرنسي للجزائر وارادت احباط ذلك من جانب , ومن جانب اخر, للتخلص من الامانة العامة الجديدة للاتحاد العام للعمال الجزائريين , وقطع دابر الحركة النقابية في الجزائر قبل نشاطها لتكون سلاحاً بيد جبهة التحرير الوطني في ثورته ضد الوجود الفرنسي في الجزائر بهدف الحصول على الاستقلال.

أن العمل النقابي على ارتباط مباشر بالكفاح الوطني في الجزائر وذلك لعدة اعتبارات:-

١. ان الجانب الوطني مطلق الحرية في الدفاع عن حقوق العمال كونها في تلاحم مع مصالح الشعب الجزائري بأكمله.
٢. ان اعضاء النقابات الجزائرية هم من عامة الشعب الذين تعرضوا للاضطهاد والتعسف الفرنسي , وليس من اقلية اجنبية او معمرين اوربيون لذلك نمت لديهم روح الكفاح الوطني والاجتماعي معاً.
٣. تألف اعضاء النقابات من عمال الموانئ والمناجم والمزارعين الذين تعرضوا لأشد انواع الاذلال والظلم وليس من عوائل ارستقراطية , فنمت لديهم الروح الثورية والجو النقابي المنبثق من التعصب الوطني.

٤. كانت الحركة النقابية مقتصرة على الجانب الاقتصادي والاجتماعي الا انها نشطت واصبح بإمكانها تجاوز العقبات التي اهلتها للكفاح الوطني.
٥. عند تأسيس النقابات الجزائرية اتت لها الفرصة في ان تكون نقابات ذات نشاط عالمي وليس مجرد توابع للنقابات الفرنسية في حركاتها الاجتماعية.[٧٢]

أنَّ العمل النقابي في الجزائر تألف من شقين , الاول سياسي تمثل في المطالب الوطنية والاضطرابات لأطلاق سراح المعتقلين والاستقلال والتحرر من الاستعمار , والثاني اجتماعي للحصول على حقوق العمال والمساواة ورفع الاجور والضمان الاجتماعي وتحسين المستوى المعيشي للعمال وعوائلهم.[٧٣]

المحور الخامس : النشاط الاضرابي الاول للاتحاد العام للعمال الجزائريين في تموز ١٩٥٦

واصل الاتحاد العام للعمال الجزائريين نشاطه بعد تفجير المقر واعتقال الامانة الوطنية الثانية, وشكل امانة وطنية ثالثة , متألفة من احمد زيتوني ,ومحي الدين بوريبة ,وعبدالقادر علال ,ومحفوظ زفوني ,و عبدالنور علي يحيى ,و رحمون دكار,وجيلاني مبارك, اخذت تلك اللجنة على عاتقها اكمال مسيرة الاتحاد والتحضير للأضراب المقرر قيامه في الخامس من تموز ١٩٥٦ , وباشرت في العمل السري وغيرت مكان مقر الاتحاد العام للعمال الجزائريين تجنباً للاعتقال.[٧٤]

اطلق الاتحاد العام للعمال الجزائريين في الخامس من تموز شعار الاضراب العام[٧٥], لمؤازرة جيش التحرير الوطني من خلال الاضرابات لتخريب العمل الفرنسي وتعطيل الاقتصاد وشل حركة العمل[٧٦], وعد ذلك الاضراب بمثابة الحدث التاريخي المهم في نشاط العمل النقابي , كونه عد الاضراب الاول الذي نظمه الاتحاد , وتمكن من توحيد الطبقة العاملة للمطالبة بحقوقها , لاسيما تقليل ساعات العمل والاصلاح الزراعي , ورفع الاجور وغيرها من المطاليب.[٧٧]

عززت السلطات الفرنسية الجيش والشرطة تحسباً للأضراب, وضمان حرية السفر والعمل في مساء الرابع من تموز ١٩٥٦[٧٨], واصدر الوزير المفوض في الجزائر السيد لاكوست بياناً شديد اللهجة , لضمان حرية السفر وعدم التدخل في حرية الاخرين, ومهدداً

بأتخاذ العقوبات القانونية ضد اي صاحب عمل ,او صاحب محل متضامن مع الاضراب.[٧٩]

بدأ الاضراب في صباح اليوم الخامس من تموز١٩٥٦,و اغلقت الاسواق في العاصمة الجزائر بأستثناء التابعة للأوربيين, اما خدمات النقل والسكك الحديد والكهرباء والمياه وحركة الميناء , فكانت ضعيفة ولم تتوقف بالكامل , لأدارتها من قبل الموظفين الاوربيين[٨٠], في حين كان الاضراب بين الجزائريين شاملاً من خلال اغلاق المتاجر والاسواق التابعة لهم , ولم يتم رؤية اي امرأة في الشارع , عقب التهديد الذي تلقاه المواطنون من قبل جبهة التحرير الوطني بأطلاق النار على اي مركبة تسير في المدينة , وتم قمع الجيش والشرطة وعززت بقوة مقدارها (٥٣٠) دورية مسلحة في جميع انحاء مدينة الجزائر , ولكن لم تحدث اي اضطرابات ففي النهار خلت الشوارع من المواطنين الجزائريين , بأستثناء بعض الموظفين ومنهم المعلمين الذين كانوا يحاولون البقاء ضمن القانون خشية من خسارتهم لعملهم وفي نفس الوقت لحماية انفسهم وعوائلهم من تهديد جبهة التحرير الوطني , فطلبوا يوم عمل بأجر بمساعدة بعض اصحاب العمل الاوربيين باعفائهم من العمل في يوم الاضراب مع احتساب لهم اجرة يوم.[٨١]

أنَّ الحركة والخدمات لم تتوقف بشكل كامل والاسواق لم تغلق تماماً, لوجود الموظفين الاوربيين الذين باشروا عملهم بشكل طبيعي , الا ان فرنسا عدت ذلك الاضراب انتصاراً لصالح جبهة التحرير الوطني , كونها فرضت اوامرها على الجزائريين كافة , وتمكنت من ايقاف حياة المدينة بأكملها مما عد امراً خطيراً بالنسبة للفرنسيين رغم نجاح أجرائاتهم الامنية خلال الاضراب[٨٢], اذ بلغ نسبة تأثيره في العاصمة الجزائر (١٠٠%) [٨٣], اما بقية المدن الجزائرية كان متفاوتاً , ففي قسنطينة كان الوضع طبيعي والمتاجر والاسواق مفتوحة سواء عائدة للجزائريين او الاوربيين باستثناء عدد قليل جداً من الموظفين واصحاب المكاتب , لكن في سطيف غرب قسنطينة تضامن الجزائريون مع الاضراب بنسبته (١٠٠%), في حين كان الأضراب شاملاً في اورال لاسيما في الميناء وثلث الاسواق مغلقة مع بقاء عمل وسائل النقل بشكل طبيعي , اما في بقية المدن الجزائرية فلم يكن للأضراب اي تأثير.[٨٤]

عدت السلطات الفرنسية ان الانفجار الذي حدث في مقر الاتحاد عناية إلهية , كونها حصلت من خلاله على الوثائق والبيان الخاص بالأضراب وعليه , اتخذت التدابير اللازمة , وتمكنت من احتوائه ومعرفة الهدف السياسي منه وما تسعى جبهة التحرير الوطني الى تحقيقه, من خلال عمل الطبقة العاملة في ثورتها التحررية[٨٥], وعند امتناع الجزائريين عن العمل خلال الاضراب ادرك الفرنسيون امراً, متعلق بالاختيار ما بين الطاعة للسلطات القانونية وما بين الخضوع لحزب جبهة التحرير الوطني ,اذ ان الاختيار سيكون من جانب الاخير, الا انهم برروا استجابة الجزائريين للأضراب ليس فقط لأعتبارات مذهبية او قومية , وانما خوفاً على ارواحهم في حال عدم الاستجابة لأوامر جبهة التحرير الوطني ,كونها هددت بالعواقب الوخيمة لكل من يخالف اوامرها , ولكن في الواقع انهم سيطروا على حياة الجزائريين من خلال قدرتهم على شل حركة البلاد بأكملها ببيان واحد صادر منهم,[٨٦] بدليل ان السيد لاكوست قد هدد ببيان في مساء الرابع من تموز ١٩٥٦ متضمناً الحرمان من العمل لكل من يغلق متجره او يتخلف عن العمل , الا ان الجزائريين انصاعوا الى اوامر جبهة التحرير الوطني, لرغبتهم في مساندة الثوار الذين يضحون بأرواحهم من اجل القضية الجزائرية , بحسب ما جاء في احدى المنشورات المناهضة للأستعمار "**ان الاضراب بمثابة مظاهرة تضامن مع اولئك الذين يقاتلون ويموتون حتى يعيش الجزائري**".[٨٧]

قررت السلطات الفرنسية تأديب المضربين الجزائريين نتيجة للضغوط التي تعرض لها الوزير المقيم لاكوست من قبل الفرنسيين من اجل معاقبة الوطنيين , لذلك اغلقت(١٨٠) محل تجاري (٥٠) منها مملوكة للأوربيين , كونها اغلقت خلال الاضراب , فضلاً عن تعرض الموظفين المتغيبين الى لجنة تأديبية , واغلاق جميع المقاهي ليلا الى الساعة العاشرة صباحاً والى اشعاراً اخر , الا ان جبهة التحرير الوطني هددت شفهياً بالدعوة الى اضراب اخرفي حالة استمرار اغلاق المقاهي , الا ان الحكومة الفرنسية لم تتخذ اي اجراء حول ذلك .[٨٨]

عد ذلك الاضراب بمثابة تجربة عملية لنشاط الاتحاد العام للعمال الجزائريين , لمعرفة مدى استجابة الطبقة العاملة للنشاط النقابي ,و التي حققت نجاحاً كبيراً في مساندة الثورة التحررية والكفاح الوطني لنيل الاستقلال[٨٩], ومن جانب اخر فأن جبهة التحرير الوطني لم

تهمل الاتحاد العام للعمال الجزائريين وعملت على تقويته ومساندته , اذ اضحى النقابيين المناضلين المنتمين الى جبهة التحرير الوطني اكثر الناس اخلاصاً واحتراماً للقواعد النقابية.(٩٠)

المحور السادس : انضمام الاتحاد العام للعمال الجزائريين الى المنظمات الدولية

منذ تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين , والنقابيون الوطنيون يسعون للأنضمام الى الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة , لتحقيق العديد من الاهداف اهمها تدويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية ,و للحصول على الدعم العالمي والاعتراف بحقوق العمال الجزائريين في الحرية والاستقلال من قبل النقابات الدولية.(٩١)

أنّ الاتحاد العام للعمال الجزائريين قد توجه نحو الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة المنبثقة من المعسكر الغربي , والابتعاد عن المعسكر الشرقي لأسباب عدة اهمها أهمها:-

١. ابعاد التهم الموجهة اليه والى جبهة التحرير الوطني المتمثلة بموالاتهم الى المعسكر الشرقي.
٢. الحصول على الدعم من المعسكر الغربي على الرغم من وجود فرنسا وبلجيكيا اعضاءً في الاتحاد الدولي للنقابات الحرة.
٣. لكشف زيف السياسة الفرنسية وهي تحاول اقناعهم بضرورة وجودها في الجزائر.
٤. ضرورة انضمام الاتحاد العام للعمال الجزائريين في الاتحاد الدولي للنقابات الحرة , لتواجد فيدرالية القوة العمالية المدعومة من قبل حكومة غي موليه الفرنسية , والمعادية للاتحاد العام للعمال الجزائريين وتزيف الحقائق وتشويه صورة الاتحاد.
٥. للاتحاد الدولي للنقابات تأثير كبير كونه ضم العديد من النقابات ومنها النقابات الامريكية.
٦. انضمام الاتحاد العام للعمال الجزائريين الى النقابات الشيوعية لن يغير شيئاً , كونها تريد استمالة الدول المعادية لاستقلال الجزائر الى جانبها.
٧. تأخر النقابات الشيوعية في قبول طلب الانضمام مثلما حصل مع الاتحاد التونسي الذي وافقوا على طلبه بعد سنتين بينما الاتحاد الدولي للنقابات الحرة وافق بصورة سريعة , لذلك اتخذ من التجربة التونسية نموذجاً.

٨. محاولات القوة النقابية الفرنسية ضم النقابة المصالية الى الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة, وعرقلة انضمام الاتحاد العام للعمال الجزائريين بحجة انه ذات توجه شيوعي.

٩. كان الاتحاد العام للعمال الجزائريين في اشد الحاجة الى الدخول للساحة الدولية وعرض القضية الجزائرية والحصول على الدعم فوجد ضالته في الاتحاد الدولي للنقابات الحرة. (٩٢)

قدم الاتحاد العام للعمال الجزائريين طلب الانضمام الى الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة في بداية شهر ايار١٩٥٦(٩٣), والذي حاول جاهداً ارسال بعثة بشأن التحقيق حول النقابات التي انشأت حديثاً , والوقوف على ابرز انشطتها لقبول عضويتها ومنها اتحاد نقابات العمال الجزائريين والاتحاد العام للعمال الجزائريين , وكان على رأس البعثة ايرفينغ براون ممثل الاتحاد الامريكي وممثل الاتحاد الدولي لدى الامم المتحدة , الا ان الحكومة الفرنسية لم تعطيه اذن بالموافقة للدخول الى الجزائر, ولذلك , اجلت ارسال اللجنة في الثالث عشر من ايار ١٩٥٦(٩٤), بحجة تواطؤ السيد براون وتقديمه المساعدات للمنظمات والنقابات المعادية لفرنسا في شمال افريقيا.(٩٥)

بعد مدة من طلب الانضمام , وبالتحديد في الرابع والعشرين من الشهر ذاته, حدثت موجة من الاعتقالات بحق النقابيين الجزائريين وارسالهم الى المحتشدات في البرواقية , الامر الذي احدث ردود افعال قوية في الاتحاد الدولي , والذي طالب بدوره بأطلاق سراح المعتقلين النقابيين , وقدم قائمة بأسمائهم الى السيد هنري هوك (Henery Hawk) الوزير المفوض لفرنسا والعضو البديل في مجلس ادارة منظمة العمل الدولية , لانتهاك الحرية النقابية , يهدف لاكوست القضاء على الحركة النقابية في الجزائر , ولم يكن بوسع الاتحاد الدولي في تلك الحالة ارسال وفد الى الجزائر للقاء مع النقابيين , الا انه ارسل برقيات لاستقبال وفدين ممثلين من النقابين عن الاتحاد العام للعمال الجزائريين, واتحاد نقابات العمال الجزائريين في جنيف , و لسوء الحظ لم يتم تسليم البرقيات الى الاتحادين المذكورين لأرسال وفد يمثلهم , كما ان المسؤولين النقابين الجزائريين الرئيسيين في الاعتقال , ومن

ينوب عنهم لم يتمكنوا من مغادرة الجزائر , لذلك تم الاتفاق ان يكون الاجتماع المقبل في بروكسل.[٩٦]

انضم الاتحاد العام للعمال الجزائريين الى الاتحاد الدولي للنقابات الحرة في تموز ١٩٥٦[٩٧], وذلك بمساندة احمد بن صالح الكاتب العام للاتحاد العام التونسي للشغل , الذي التقي بـ مولود قايد, رئيس البعثة الخاصة بالاتحاد العام للعمال الجزائريين , ومن خلال الحوار الذي دار بين اعضاء الاخير وبين احمد بن صالح حول مساعدتهم للأنضمام الى الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة[٩٨] , خلال اجتماع لجنتها التنفيذية للمدة (٢ – ٧) تموز ١٩٥٦ في بروكسل بشأن التطورات والاحداث في الجزائر[٩٩], وبما ان المصاليين ايضاً قدموا طلب الانضمام الى الاتحاد الدولي , فطلب منهم احمد بن صالح الاتحاد بينهم, وتشكيل نقابة واحدة اطلق عليها (الاتحاد الوطني للعمال الجزائريين) لمساعدتهم في الانضمام للأتحاد الدولي , الا انه لم يكن يعلم بالخلافات بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية , ورغم ذلك وافق المصاليين على الاتحاد وتكوين نقابة واحدة , الا ان اعضاء الاتحاد العام للعمال الجزائريين لم يتمكنوا من الاتصال في رفاقهم بالجزائر لمشورتهم , واتخذوا قرارهم بعدم قبول الاتحاد مع المصاليين في نقابة واحدة , وبعد اجراء اتصالات عديدة مع الاتحاد العام التونسي للشغل تراجع احمد بن صالح عن مقترحه , وعرض على المصاليين حل نقابتهم والانضمام الى الاتحاد العام للعمال الجزائريين , ونتيجة التأثير الكبير من قبل الاخير على احمد بن صالح تمكن من اقناع اللجنة التنفيذية بقبول الاتحاد بعد مناقشات طويلة , اهمها ان النقابة التابعة للمصاليين مركزها في فرنسا فهي لا تحقق طموحات العامل الجزائري , فضلا عن ان العامل الاجنبي في فرنسا لا يَنضم الى نقابة جزائرية [١٠٠], وفي السادس من تموز ١٩٥٦ تم قبول الاتحاد العام للعمال الجزائريين بوصفه عضواً في الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة[١٠١], لأيصال صوته الى النقابات العالمية والحصول على المساندة في الحرية والاستقلال.[١٠٢] وجاء ايضاً في اجتماع اللجنة التنفيذية للاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة , المنعقد في بروكسل للمدة بين (٢ – ٧) تموز ١٩٥٦ قرارات عدة بشأن الاحداث المأساوية في الجزائر اهمها :-

١. الاحتجاج ضد السياسة الاستعمارية القمعية الموجهة ضد الحركة النقابية الجزائرية والاعتقالات المتواصلة ضد النقابيين.
٢. المطالبة بأطلاق سراح النقابيين المعتقلين , وفي حالة عدم اطلاق سراحهم يقدم شكوى الى منظمة العمل الدولية ضد الحكومة الفرنسية وسياستها التعسفية تجاه العمل النقابي.
٣. تقديم احتجاج ضد السياسة التي اتبعها الوزير المقيم لاكوست ومنع اعضاء وفد الاتحاد الدولي للنقابات الحرة من الدخول الى الجزائر.
٤. ان النزاع والقتال في الجزائر لا يمكن حله بالقوة ويجب فتح باب المفاوضات مع الممثلين الحقيقين عن الشعب الجزائري لأنهاء القتال.
٥. ان يكون للشعب الجزائري حقه في تقرير المصير , والاعتراف المتبادل في تحديد الوضع المستقبلي للجزائر , ووضع دستور للبلاد يضمن حقوق متساوية لجميع سكان الجزائر.
٦. كلف المجلس التنفيذي الامين العام لأبلاغ رئيس الوزراء الفرنسي بشأن القرارات التي اتخذت بشأن الانتهاكات ضد الحركة النقابية الجزائرية. (١٠٣)
٧. ارسال وفد يكون احد اعضاءه ايرفينغ براون الى الجزائر للتحقيق في الاحداث الحاصلة.(١٠٤)
٨. مساعدة عوائل المعتقلين النقابيين عن طريق صندوق التضامن الدولي.(١٠٥)
٩. يكون انعقاد المؤتمر القادم في تونس في تموز ١٩٥٧.(١٠٦)

تم التباحث في مؤتمر بروكسل بين اعضاء الاتحاد العام للعمال الجزائريين و مركزي تونس والمغرب , لأنشاء اتحاد شمال افريقيا , لتوطيد الصداقة والتعاون بين النقابات , وتوحيد نضالهم لأجل الحرية والدفاع عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية , ووضع اسس للتهذيب النقابي في ضمن النقابات الثلاث , وسهولة تبادل الاخبار سواء اقتصادية او اجتماعية , وتوحيد مساعيهم للنهوض الاقتصادي للأقطار الثلاثة , فضلاً عن تبادل الوفود فيما بينهم ,وتوسيع النقابات الحرة في شمال افريقيا وتطورها , وتغيير الانظمة الاقتصادية والاجتماعية بما يصب في مصلحة اليد العاملة , ووقع على ذلك الاتفاق احمد بن صالح

ممثل عن الاتحاد العام التونسي للشغل , والطيب بو عزة عن الاتحاد المغربي للشغل , و رحمون دكار عن الاتحاد العام للعمال الجزائريين.(١٠٧)

نشر ما جاء في مؤتمر بروكسل في الصحف الجزائرية ,وقد تعرض الاتحاد الدولي للانتقاد من قبل الحكومة الفرنسية لمساندتها دول شمال افريقيا , وقبول الاتحاد العام للعمال الجزائريين عضوا فيها ,وجاء في صحيفة المقاومة الجزائرية في العدد السادس عشر لعام ١٩٥٦, "**ان الاتحادية الدولية للنقابات الحرة قد كانت هدفاً للأنتقاد في بعض المناسبات بسبب تأييدها لحركات التحرير الوطني. وقد قالت على الخصوص ان خلق الحركات النقابية الوطنية يجب ان ينظر اقرار الحكم الذاتي**".(١٠٨)

ان تلك الاجراءات التي اتخذها الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة ضمن المؤتمر , ادت الى استفزاز الحكومة الفرنسية والى توتر العلاقات بين الطرفين , اذ عبرت القوة النقابية الفرنسية عن رفضها لأنضمام اي اتحاد جزائري الى الاتحاد الدولي , معربة بأن الامر ليس ضرورياً باعتبار الجزائر جزء من فرنسا.(١٠٩)

أنّ ردة الفعل الفرنسية تجاه الاتحاد الدولي متوقعة , بل زاد السيد لاكوست العداء تجاه الاتحاد الدولي , وكان تبرير الاخير بخصوص قبوله انضمام الاتحاد العام للعمال الجزائريين اليه بأن فرنسا في حال غيرت سياستها تجاه الجزائر , واضطرت الدخول في مفاوضات مع الثوار للتوصل الى حل سياسي, سيكون الاتحاد العام للعمال الجزائريين جسر العبور بين الطرفيين, وبما ان الاتحاد الدولي له تأثير في قرارات الاتحاد العام للعمال الجزائريين , فيمكن التوصل الى حل مرضي لجميع الاطراف.(١١٠)

كان اول عمل قامت به اللجنة التنفيذية في التاسع من تموز ١٩٥٦, تشكيل وفد لأرساله الى الجزائر للتحقيق في اوراق اعتماد الاتحاد العام للعمال الجزائريين , لان (١٨) عضو في الاتحاد الدولي عدوا الاتحاد العام للعمال الجزائريين مؤيداً وتابعاً لجبهة التحرير الوطني , وتكونت اللجنة من اربعة اعضاء هم ايرفنغ براون , وعمر بيكو(Omer Becu) رئيس الاتحاد الدولي للنقابات الحرة في بلجيكا, و جي اتش اولدنبروك (Jy Awldinburuk Atish) الامين العام للاتحاد الدولي, و غي ديس (Guy des) ممثل عن اتحاد نقابات العمال قدموا طلب الدخول الى الجزائر (١١١) , الا ان لاكوست رفض دخول ايرفينغ براون

الى الجزائر,[١١٢] بذريعة عدم وجود قادة نقابيون كفوئين للألتقاء بهم بعد اعتقال معظم القادة النقابيين , فقرروا التوجه الى رئيس الوزراء الفرنسي لتقديم طلب الدخول الى الجزائر , وقدم المجلس التنفيذي احتجاج على السياسة الفرنسية في الجزائر.[١١٣]

رد الاتحاد الدولي للنقابات الحرة على قرار لاكوست برفض الدخول , كون أن الاتحاد متفهم لموقف فرنسا حول رفضها للتدخل الخارجي بشؤون الجزائر ودخول ايرفنغ براون , الا ان شكوكها حول معاداة الاتحاد الدولي للفرنسيين ليس صائباً , وان الاتحاد الدولي بوصفه منظمة دولية مساندة لحركات التحرر في الاراضي المستعمرة امر طبيعي , وان تلك السياسة تتبعها حتى مع المستعمرات البريطانية , ونبهت الحكومة الفرنسية على امر مهم ,وهو ان الحركات النقابية اذا لم تحصل المساندة من مصدر أمن , فأنها سوف تتجه الى الشيوعية او منظمة التجارة العالمية , او الاتحاد العربي الجديد , وان الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة بعيداً بالأساس عن السياسة المعادية لفرنسا.[١١٤]

أن الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة , مؤمناً بالقضية الجزائرية ومدافعاً عنها , فقدم الكثير من العرائض والاحتجاجات الى الحكومة الفرنسية على سياستها الاستعمارية في الجزائر , وللدفاع عن حقوق الطبقة العاملة ونقابتها واعضائها المعتقلين بتوكيل محاميين للدفاع عنهم ومساعدتهم بالأموال لعوائلهم بمبلغ قدره (١٢ مليون) فرنك , فضلاً عن حصوله الدعم من الصندوق الدولي.[١١٥]

الخاتمة :

- أنَّ اندلاع الثورة التحررية من جانب , وتشكيل مصالي الحاج نقابة خاصة به من جانب اخر , شجع جبهة التحرير الوطني على تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين في الرابع والعشرين من شباط ١٩٥٦, بقيادة عيسات ايدير لاستقطاب الطبقة العاملة الى جانب الثورة وتضييع الفرصة على مصالي الحاج من السيطرة على العمال واستمالتهم الى جانبه .
- جبهة التحرير الوطني كانت على دراية تامة ان الاستقلال لا يمكن تحقيقه دون الدعم الجماهيري والطبقة العاملة التي تمثل عصب الاقتصاد الجزائري والفرنسي , وبأمكانها قلب كفة القوى لصالح الثورة ونيل الاستقلال .

- سمح المستعمر الفرنسي اقامة تنظيمات نقابية مستقلة في الجزائر في بداية الامر لغرض تشتيت الطبقة العاملة وانضمامها الى الجمعيات ذات التوجه الاجتماعي والاقتصادي والابتعاد عن العمل العسكري والانضمام الى الثورة , لكن ما كان يجهله الاستعمار ان الاتحاد العام للعمال الجزائريين تابع الى جبهة التحرير الوطني ومساند للثورة الجزائرية منذ بداية نشوئهُ .
- نجح الاتحاد في تجنيد العمال لصالح الثورة , اذ قاموا بالاحتجاجات والاضرابات والمؤتمرات , فضلا عن طرح القضية الجزائرية في المحافل الدولية , وبالتالي لعبت الطبقة العاملة دوراً بارزاً في نيل الاستقلال الجزائري .
- انحسر دور العمال ونقابتهم المتمثلة بالاتحاد العام للعمال الجزائريين في فترة الاحتلال على الجانب السياسي دون العمل التقليدي للنقابات العمالية , لأدراكهم بعدم استحصالهم حقوقهم الا في حالة التخلص من الاستعمار الفرنسي .

قائمة المصادر والمراجع :

1. Benjamin stora , , Messali Hadj pionnjer Du nationalism ALgerien(1898-1974) , Editionc L'Harmattan ,Paris ,1982 .P.247.
2. Los Angeles Times Archives ,Irving Brown ;Longtime AFL-CIO Representative ,Feb 13 1989. Iatimes.com على الرابط التالي , تاريخ الزيارة ١٥ نيسان ٢٠٢٥ .
3. New yorkTime ,UNIONS DEFER INQUIRY , proquest Historical newspapers ,new york, May 13 1956 , P.38.
4. par Amar Benamrouche ,Rene Gallissot ,ALI YAHIA Abdelmadjid , على , maitron.fr. ٢٠٢٥ نيسان ٨ تاريخ الزيارة , الرابط التالي
5. The Editors of Encyclopaedia Britannica ,Guy Mollet premier of France ,Mars 27 2024, على الرابط التالي , http://www.britannica.com.
6. The Manchester Guardian ,More Troops for French Expel Diehard ,London,10 May 1956 .
7. TNA , FO 371 \ 119444 \ JF 2181 \ 17,strike in Algiers , from the Rt. Hon. Selwyh Lloyd C.B.E to Algiers , London , July 7 1956.
8. TNA , FO 371 \ 119444 \ JF 2181 \14, The strkeri , from Algierstoforeignoffice,London,July41956.
9. TNA , FO 371 \ 119444 \ JF 2181 \16, ,General strike , from Algiers to foreign office ,London ,July 6 1956.
10. TNA , FO 371 \ 119444 \ JF2181 \ 15,strikes , from Algiers telegram No.88 to Foreigh office , London , July5 1956.

11. TNA , Fo371 / 119444/JF2181/10, Discusses aposition I. C.T.F.U.S lw Algerial , From R.Brash African De part ment to H.M. consul -General , London, 30 Jun 1956 .
12. TNA , FO371 \ 119444 \ JF2181 \ 13 ,explosion in the Algiers premises of the Union Democratique du Manifeste Algerien , from African Department foreign office to s.w Algiers , London , July 2 1956.
13. TNA , FO371 \ 119444 \ JF2181 \ 21,Algerais membership I.C.F.T.U. , from African Depar tment foreigh office London S.W.1. to British Embassy paris , London , July 9 1956.
14. TNA , FO371 \ 119444 \ JF2181 \ 22 , Resolution on Algeris , from A-croenhough Esq.Ob.s.Milistry of Labour and National service to British Em Bass y Brnssels , London , 16th July 1956.
15. TNA ,FO371 \ 119444 \ JF2181 \ 23, ,confidentia l report prepared I.C.F.T.U., from mr . Blumer A frican Dept western Dept to mihuli mr . Brash , London , 1August 1956.
16. TNA, FO371/119444 / JF2181/20, from African Department foreign office to Briti Embassy Paris, London, July 9 , 1956 .
17. TNA, FO371\119444\17EB\5(a),Interntionl confederation of free trade Unions Executive Board Brussels , 2-7 July 1956 , London , 2-7 July 1956 .

١٨. ايمان النمس , دور النقابات العمالية في صنع سياسات الحماية الاجتماعية في الجزائر دراسة مرحلة التعددية النقابية , دار ناشري للنشر الالكتروني , ٢٠١٤.

١٩. بابا فتيحة وبن يوسف زينب , النقابات ودورها في صناعة السياسات العامة – الاتحاد العام للعمال الجزائريين نموذج , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم السياسية , كلية الحقوق والعلوم السياسية , جامعة احمد دراية ادرار , الجزائر , ٢٠١٩ – ٢٠٢٠ .

٢٠. براهيمة روميساء ونواورية رحمة , تطور حزب حركة الانتصار الحريات الديمقراطية ١٩٤٦ – ١٩٥٤ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة , ٢٠٢١-٢٠٢٢.

٢١. براهيمي سعاد وموقاس سميرة , المؤسسات المدنية ودورها في دعم الثورة التحررية ١٩٥٦ – ١٩٦٢ , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم الانسانية , معهد العلوم الانسانية والاجتماعية , المركز الجامعي الشهيد – سي الحواس – بريكة , الجزائر , ٢٠٢١ – ٢٠٢٢.

٢٢. بزاله اسية , الاتحاد العام للعمال الجزائريين ودوره في دعم مسيرة الثورة التحررية ١٩٥٦– ١٩٦٢ , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة , الجزائر , ٢٠١٨– ٢٠١٩.

٢٣. ـــــ, الاتحاد العام للعمال الجزائريين ودوره في دعم مسيرة الثورة التحررية ١٩٥٦ -١٩٦٢ , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ وعلم الاثار , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة باتنة -١ , الجزائر ,٢٠٢١ -٢٠٢٢.

٢٤. بسام العسلي , جبهة التحرير الوطني الجزائري , ط٣ , دار النفائس , بيروت , ١٩٩٠.

٢٥. بلباح ياسمينة وسلمى نور الهدى , دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في دعم الثورة الجزائرية (١٩٥٤- ١٩٦٢) ,رسالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة ٨ ماي ١٩٤٥قالمة , الجزائر , ٢٠١٨-٢٠١٩.

٢٦. بن زينو خلود وسالمي ياسمينة , البعد التحرري في نشاط الحركات العمالية المغاربية ١٩٤٥-١٩٥٨, رسالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة , الجزائر, ٢٠١٩-٢٠٢٠.

٢٧. بنة فاطمة , بن يوسف بن حذة ومسيرته النضالية ١٩٢٠ – ٢٠٠٣ , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم الانسانية , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة ابن خلدون – تيارت , الجزائر , ٢٠١٥ – ٢٠١٦.

٢٨. بوشيخي شيخ , الحركة الوطنية والثورة الجزائرية ١٩٥٤ – ١٩٦٢ , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر , ٢٠١٨ , ص٢٧٣.

تاريخ الزيارة ١٦ نيسان ٢٠٢٥ .

٢٩. تامة يونس , جمال عبد الناصر وجماعة الاخوان المسلمين ١٩٥٢ – ١٩٧٠ , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم الانسانية , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية – قطب شتمة , جامعة محمد خضير بسكرة , الجزائر , ٢٠١٤ – ٢٠١.

٣٠. جمعة عبد اللطيف ومنال تواتي , المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية ٤-٥-٦ افريل ١٩٥٣ قراءة تاريخية في قراراته وتوصياته السياسية , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ والاثار , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة العربي التبسي – تبسة , الجزائر , ٢٠١٩ .

٣١. جيلالي تكران , الحركة العمالية الجزائرية في الجزائر وفرنسا ودورها في التحرير الوطني بين ١٩٤٥ – ١٩٦٢ , اطروحة دكتوراه غير منشورة , قسم التاريخ , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة الجزائر1 , الجزائر,٢٠١٢-٢٠١٣.

٣٢. خالفة معمري , ترجمة زينب زخروف , عبان رمضان , ط٢ , وزارة المجاهدين , الجزائر , ٢٠٠٨.

٣٣. خدوسي محمد شريف و حاند نور الدين , واقع الحرية النقابية في الجزائر ١٩٩٠ – ٢٠١٦ دراسة حالة المجلس الوطني لاساتذة التعليم العالي و البحث العلمي(CNES) , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم السياسية , كلية الحقوق و العلوم السياسية , جامعة مولود معمري – تيزي وزو ,الجزائر , ٢٠١٦ – ٢٠١٧.

٣٤. خديجة الليلي ومباركة بوكني , احمد بن بلة ودوره في الحركة الوطنية وبناء الدولة الجزائرية ١٩١٦ – ٢٠١٢ , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم الانسانية , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية , جامعة احمد دراية ادرار , الجزائر , ٢٠١٣.

٣٥. خلوفي بغداد , الاعلام النقابي الجزائري ودوره اثناء الثورة التحررية , مجلة الانسان والمجال دورية علمية محكمة ,معهد العلوم الانسانية والاجتماعية , المركز الجامعي نور البشير – البيض , السنة الاولى , العدد ١, الجزائر , ٢٠١٥.

٣٦. ـــــ,الحركة العمالية الجزائرية ونشاطها اثناء الثورة التحررية ١٩٥٤.١٩٦٢ , اطروحة دكتوراه غير منشورة , قسم التاريخ وعلم الاثار , كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية , جامعة وهران , ٢٠١٤– ٢٠١٥.

٣٧. دبيش فاتح ,مقياس سوسيولوجيا الحركات العمالية , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم علم الاجتماع , كلية العلوم الانسانيو والاجتماعية , جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ – قالمة الجزائر , ٢٠٢١– ٢٠٢٢.

٣٨. ذوادي مريم وحمايدية ميرة , النشاط النقابي للثورة الجزائرية في اوربا وانعكاساته على الثورة , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة العربي التبسي – تبسة , الجزائر , ٢٠٢٠.

٣٩. رحيم امال وخيراني امينة , الصحف الجزائرية الصادرة ابان الثورة التحررية ١٩٥٤ – ١٩٦٢ دراسة استطلاعية توثيقية , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم علوم الاعلام والاتصالات , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة قاصدي مرباح ورقلة , الجزائر , ٢٠١٤ – ٢٠١٥ .

٤٠. ريمة دريدي , دور منظمة اليد الحمراء في اغتيال اصدقاء الثورة الجزائرية , مجلة الدراسات التاريخية العسكرية , المجلد١ , العدد٢ , الجزائر , ٢٠١٩.

٤١. صحيفة المقاومة الجزائرية , العدد ١٥ , الجزائر,١٠ كانون الاول , ١٩٥٦ .

٤٢. ـــــ, العدد ١٦ , الجزائر , ٢٠ كانون الاول ١٩٥٦ .

٤٣. ـــــ, العدد ٣ , الجزائر , اب ١٩٥٦ .

٤٤. صحيفة المجاهد , العدد١١ , تونس , ١ تشرين الثاني ١٩٥٧.

٤٥. ـــ , العدد١٣ , تونس , ١كانون الاول ١٩٥٧.

٤٦. ـــــ, العدد٦٣ , تونس , ٧ اذار ١٩٦٠.
٤٧. طرفاية محمد وعوف نوال وفرح رشيدة , الودادية العامة للعمال الجزائريين ودورها في الثورة التحررية ١٩٥٧-١٩٦٢ , لرسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم الانسانية , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة ابن خلدون – تيارت , ٢٠٢١- ٢٠٢٢ .
٤٨. الطيب بو عزة مؤسس الاتحاد المغربي للشغل , العرائش نيوز ,على الرابط التالي larachenews.com ,٢٧ كانون الثاني ٢٠١٥, تاريخ الزيارة ٢٥ اذار ٢٠٢٥ .
٤٩. عبد القادر فكاير , مكاتب جبهة التحرير الوطني في الخارج ودورها في التعريف بالقضية الجزائرية (١٩٥٤ – ١٩٦٢) ,مجلة مصداقية , المجلد ٣ , العدد ٣ , الجزائر ,٢٠٢١.
٥٠. عبدالاله بن شرقي , الحركة النقابية ودورها في التعبئة الاجتماعية خلال الثورة الجزائرية , مجلة الرواق , المركز الجامعي غليزان , المجلد ٣ ,العدد ٩, الجزائر , ٢٠١٧.
٥١. عبدالقادر جغلول , ترجمة : فيصل عباس , تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسيولوجية ,ط٢, دار الحداثة , بيروت , ١٩٨٢ .
٥٢. عبدالعزيز راجعي , المسيرة النضالية للعمال الجزائريين ١٩٢٤ – ١٩٦٢ , اطروحة دكتوراه غير منشورة , قسم التاريخ , كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية , جامعة قسنطينة – عبد الحميد مهري , الجزائر , ٢٠١٧ – ٢٠١٨ .
٥٣. عيسى بوزغينة , نشأة وتطور التنظيم النقابي الى غاية الاستقلال , مجلة المربي , المجلد ١ , العدد ١٦, الجزائر , ٢٠٠٨. فاتح زياني , مساهمة فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا في الثورة التحررية (١٩٥٤ – ١٩٦٢) سالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ والاثار , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة باتنة , الجزائر, ٢٠١٥- ٢٠١٦ .
٥٤. فتيحة عفور وفاطمة حساني , الاتحاد العام للعمال الجزائريين ودوره في الثورة التحررية ١٩٥٦ – ١٩٦٢ , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم الانسانية , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية , جامعة احمد دراية – ادرار , الجزائر , ٢٠١٨ – ٢٠١٩ .
٥٥. كوثر هاشم , دور العمل النقابي المغاربي خلال الحقبة الاستعمارية (تونس – المغرب – الجزائر ١٩٢٠ -١٩٦٢), مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية , المجلد ٢ , العدد ١ , الجزائر , ٢٠١٨ .
٥٦. لصواني عبدالقادر , تطور العمل النقابي في الجزائر , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم علوم السياسية , كلية الحقوق والعلوم السياسية , جامعة قاصدي مرباح ورقلة , الجزائر , ٢٠١٣-٢٠١٤.

٥٧. لهلالي شعيب , دور المنظمات غير الحكومية في صنع السياسة العامة في الجزائر – الاتحاد العام للعمال الجزائريين نموذجا , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم السياسية , كلية الحقوق والعلوم السياسية – قطب شتمة , جامعة محمد خضير – بسكرة , الجزائر , ٢٠١٦ – ٢٠١٧.

٥٨. محمد قنانش , الحركة النقابية الجزائرية على نهيج الثورة التحررية ١٩٥١ – ١٩٥٧م من التبعية والولاء الى الحرية والفداء , مجلة عصور الجديدة , العدد ٦ عدد خاص بخمسينية الاستقلال , ٢٠١٢.

٥٩. محمد قدور , نشاط الاتحاد العام للعمال الجزائريين ضمن النقابات الدولية (الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة وفيدرالية النقابات العالمية) , مجلة الدراسات التاريخية العسكرية , المجلد ٦ , العدد ٢ , الجزائر , ٢٠٢٤.

٦٠. محمود ايت مدور , الحركة العمالية في الجزائر من بداياتها الاولى الى غاية ١٩٥٤ بين النضال النقابي والكفاح التحرري , اطروحة دكتوراه غير منشورة , قسم التاريخ , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة الجزائر – بوزريعة ,٢٠١٣ –٢٠١٤.

٦١. ـــــ, عيسات ايدير مسار ومصير , مجلة التواصل في العلوم الانسانية والاجتماعية , المجلد ٢١ , العدد ٤٤ , الجزائر ,٢٠١٥.

٦٢. ـــــ, حرب المركزيات النقابية في الجزائر بين سنتي ١٩١٩ –١٩٥٤ , مجلة الحكمة للدراسات التاريخية , المجلد ٢ العدد ٤ , الجزائر , ٢٠١٤ .

٦٣. مديرية السياحة والصناعة التقليدية في الجزائر , جامع كتشاوة , على الرابط التالي http:// alger.mta.gov.dz , تاريخ الزيارة ٨ نيسان ٢٠٢٥ .

٦٤. مريم مباركية ولميس عون الله , قيادات الحركة النقابية في المغرب العربي عيسات ايدير وفرحات حشاد – دراسة مقارنة , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ والاثار , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة العربي التبسي – تبسة , ٢٠١٨ – ٢٠١٩.

٦٥. مصطفى بطراوي , النشاط النقابي التحرري ورد فعل الاستعمار الفرنسي منذ مطلع القرن العشرين وحتى الاستقلال , مجلة قضايا تاريخية , المجلد ٢ , العدد ٧ , الجزائر , ٢٠١٧.

٦٦. مناصرية سميحة , الحرية النقابية في الجزائر , رسالة ماجستير غير منشورة, قسم الحقوق , كلية الحقوق والعلوم السياسية , جامعة الحاج لخضير – باتنة ,الجزائر , ٢٠١١–٢٠١٢ .

٦٧. موساوي فاطمة وجيلاني كوبيبي معاشو , العمل النقابي في الجزائر الاتحاد العام للعمال الجزائريين انموذجاً , مجلة متون , المجلد ١٠ , العدد٢ , الجزائر , ٢٠١٧ .

٦٨. ناصري زواوي , سوسيولوجيا العمل النقابي في الجزائر ,البدر الساطع للطباعة والنشر , الجزائر, ٢٠٢٢ .

٦٩. نبيل زواوي , دور المنظمات الشعبية في خدمة الثورة التحررية ١٩٥٤- ١٩٦٢ (الاتحاد العام للعمال الجزائريين نموذجاً), مجلة الدراسات التاريخية العسكرية, المجلد٤ , العدد ٢ , الجزائر, ٢٠٢٢.

٧٠. وردة بوعلاق , فرحات حشاد وعيسات ايدير حياتهما ونضالهما النقابي (١٩١٤- ١٩٥٩) دراسة مقارنة , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ ,كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة ٨ ماي ١٩٤٥- قالمة , الجزائر ,٢٠١٨- ٢٠١٩.

الهوامش

(١) خدوسي محمد شريف و حاند نور الدين , واقع الحرية النقابية في الجزائر ١٩٩٠ – ٢٠١٦ دراسة حالة المجلس الوطني لاساتذة التعليم العالي و البحث العلمي(CNES) , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم السياسية , كلية الحقوق و العلوم السياسية , جامعة مولود معمري – تيزي وزو ,الجزائر , ٢٠١٦ – ٢٠١٧ , ص٣٩.

(٢) ناصري زواوي , سوسيولوجيا العمل النقابي في الجزائر ,البدر الساطع للطباعة والنشر , الجزائر, ٢٠٢٢, ص٢٦ .

(٣) دبيش فاتح , مقياس سوسيولوجيا الحركات العمالية , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم علم الاجتماع , كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية , جامعة 8 ماي ١٩٤٥ قالمة , الجزائر , ٢٠٢١ – ٢٠٢٢ , ص٢٥.

(٤) معمري محمد الامين و عامري حناوية , الممارسات النقابية و دورها في تحقيق مطاليب العمال الاجتماعية دراسة ميدانية كنموذج لنقابة كناباست تيارت لثانويتي عفان الطاهر بتيارت و شبايكي عبدالقادر بقصر الشلالة , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم الاجتماعية , كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية , جامعة ابن خلدون – تيارت ,الجزائر , ٢٠٢١ – ٢٠٢٢ , ص٢٧

(٥) ناصري زواوي , المصدر السابق , ص٢٦ .

(٦) محمود ايت مدور , الحركة العمالية في الجزائر من بداياتها الاولى الى غاية ١٩٥٤ بين النضال النقابي والكفاح التحرري , اطروحة دكتوراه غير منشورة , قسم التاريخ , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة الجزائر – بوزريعة ,٢٠١٣ -٢٠١٤ , ص٤٠ .

(٧) لصواني عبد القادر , تطور العمل النقابي في الجزائر , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم علوم سياسية , كلية الحقوق والعلوم السياسية , جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر , ٢٠١٣ -٢٠١٤ , ص١٨ .

(٨) ناصري زواوي , سوسيولوجيا العمل النقابي في الجزائر , المصدر السابق , ص٤٣ .

(٩) فاتح زياني ,مساهمة فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا في الثورة التحررية (١٩٥٤ – ١٩٦٢) , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ والاثار , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة باتنة , الجزائر , ٢٠١٥ – ٢٠١٦ , ص٢٠ .

(١٠) براهيمة روميساء ونواورية رحمة , تطور حزب حركة الانتصار الحريات الديمقراطية ١٩٤٦ – ١٩٥٤ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة , ٢٠٢١-٢٠٢٢ , ص٦ .

(١١) بن يوسف بن حذة , ترجمة : مسعود حاج مسعود , جذور اول نوفمبر ١٩٥٤ , ط٢ , دار الشاطبية , الجزائر , ٢٠١٢ , ص١٧٧ .

(١٢) محمود ايت مدور , حرب المركزيات النقابية في الجزائر بين سنتي ١٩١٩ – ١٩٥٤ , مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ,المجلد ٢ , العدد ٤ , الجزائر ,٢٠١٤ , ص٢١.

(١٣) جمعة عبد اللطيف ومنال تواتي , جمعة عبد اللطيف ومنال تواتي , المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية ٤-٥-٦ افريل ١٩٥٣ قراءة تاريخية في قراراته وتوصياته السياسية , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ والاثار , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة العربي التبسي – تبسة , الجزائر , ٢٠١٩, ص٩٧.

(١٤) عيسى بو زغينة , نشأة وتطور التنظيم النقابي الى غاية الاستقلال , مجلة المربي , المجلد ١ , العدد ١٦, الجزائر , ٢٠٠٨ , , ص١٠٦.

(١٥) خلوفي بغداد , الاعلام النقابي الجزائري ودوره اثناء الثورة التحررية , مجلة الانسان والمجال , معهد العلوم الانسانية والاجتماعية , المركز الجامعي نور البشير – البيض , الجزائر , السنة الاولى , العدد١ , ٢٠١٥ , ص٥٥.

(١٦) ناصري زواوي , سوسيولوجيا العمل النقابي في الجزائر , المصدر السابق , ص٧٠.

(١٧) خلوفي بغداد , الحركة العمالية الجزائرية ونشاطها اثناء الثورة التحررية ١٩٥٤ – ١٩٦٢ , اطروحة دكتوراه غير منشورة , قسم التاريخ وعلم الاثار , كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية , جامعة وهران , الجزائر , ٢٠١٤ – ٢٠١٥ , ص ١٠٥.

(١٨) عبد العزيز راجعي , المسيرة النضالية للعمال الجزائريين ١٩٢٤ – ١٩٦٢ , اطروحة دكتوراه غير منشورة , قسم التاريخ , كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية , جامعة قسنطينة – عبد الحميد مهري , الجزائر , ٢٠١٧ – ٢٠١٨ , ص٣٤٧.

(١٩) خلوفي بغداد , الاعلام النقابي الجزائري ودوره اثناء الثورة التحررية , المصدر السابق , ص٥٨.

(٢٠) محمود ايت مدور , عيسات ايدير مسار ومصير , مجلة التواصل في العلوم الانسانية والاجتماعية , المجلد ٢١ , العدد ٤٤ , الجزائر ,٢٠١٥. , ص ٥٨ .

(٢١) ناصري زواوي , المصدر السابق , ص٧٨.

(٢٢) فاتح زياني , مساهمة فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا في الثورة التحررية (١٩٥٤ – ١٩٦٢) سالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ والاثار , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة باتنة , الجزائر ٢٠١٥– ٢٠١٦ , ص١٢٧.

(٢٣) وردة بوعلاق , فرحات حشاد وعيسات ايدير حياتهما ونضالهما النقابي (١٩١٤– ١٩٥٩) دراسة مقارنة , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ ,كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة ٨ ماي ١٩٤٥– قالمة , الجزائر ,٢٠١٨– ٢٠١٩, ص٦٧.

(٢٤) فاتح زياني , المصدر السابق , ص١٢٧.

(٢٥) مريم مباركية ولميس عون الله , قيادات الحركة النقابية في المغرب العربي عيسات ايدير وفرحات حشاد – دراسة مقارنة , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ والاثار , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة العربي التبسي – تبسة , ٢٠١٨ – ٢٠١٩ , ص٦٨.

(26) TNA, FO371\119444\17EB\5(a) , Interntionl confederation of free trade Unions Executive Board Brussels , 2–7 July 1956 , London , 2–7 July 1956.

(٢٧) نبيل زواوي , دور المنظمات الشعبية في خدمة الثورة التحررية ١٩٥٤– ١٩٦٢ (الاتحاد العام للعمال الجزائريين نموذجاً), مجلة الدراسات التاريخية العسكرية, المجلد٤ , العدد ٢ , الجزائر, ٢٠٢٢ , ص٣٩.

(28) TNA, FO371\119444\17EB\5(a) , Interntionl confederation of free trade Uhions Executive Board Brussels 2–7 July 1956 , London , 2–7 July 1956.

(٢٩) جيلالي تكران , الحركة العمالية الجزائرية في الجزائر وفرنسا ودورها في التحرير الوطني بين ١٩٤٥ – ١٩٦٢ , اطروحة دكتوراه غير منشورة , قسم التاريخ , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة الجزائر 1 , الجزائر,٢٠١٢–٢٠١٣ , ص١٨٦.

(٣٠) فتيحة عفور وفاطمة حساني , الاتحاد العام للعمال الجزائريين ودوره في الثورة التحررية ١٩٥٦ – ١٩٦٢ , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم الانسانية , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية , جامعة احمد دراية – ادرار , الجزائر , ٢٠١٨ – ٢٠١٩ , ص ٢٩.

(٣١) لهلالي شعيب , دور المنظمات غير الحكومية في صنع السياسة العامة في الجزائر – الاتحاد العام للعمال الجزائريين نموذجا , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم السياسية , كلية الحقوق والعلوم السياسية – قطب شتمة , جامعة محمد خضير – بسكرة , الجزائر , ٢٠١٦ –٢٠١٧ , ص٧٢ – ٧٣.

(٣٢) نبيل زواوي , المصدر السابق , ص٣٩.

(٣٣) بوشيخي شيخ , الحركة الوطنية والثورة الجزائرية ١٩٥٤ – ١٩٦٢ , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر , ٢٠١٨ , ص٢٧٣.

(٣٤) عبدالاله بن شرقي , الحركة النقابية ودورها في التعبئة الاجتماعية خلال الثورة الجزائرية , مجلة الرواق , المركز الجامعي غليزان , المجلد ٣ ,العدد ٩, الجزائر , ٢٠١٧, ص١٩٠.

(٣٥) خلوفي بغداد , الاعلام النقابي الجزائري ودوره اثناء الثورة التحررية , المصدر السابق , ص٥٩.

(٣٦) طرفاية محمد وعوف نوال وفرح رشيدة , الوداية العامة للعمال الجزائريين ودورها في الثورة التحررية ١٩٥٧–١٩٦٢ , لرسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم الانسانية , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة ابن خلدون – تيارت , ٢٠٢١– ٢٠٢٢ , ص١٥.

(٣٧) مريم مباركية ولميس عون الله , المصدر السابق , ص٧٠.

(٣٨) الجدول من عمل الباحثة , بالاعتماد على كتاب خالفة معمري , المصدر السابق , ص ٢٩٢ .

(٣٩) ناصري زواوي , المصدر السابق , ص٨٤.

(٤٠) عبدالقادر جغلول , ترجمة : فيصل عباس , تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسيولوجية ,ط٢, دار الحداثة , بيروت , ١٩٨٢ , ص١٦٢ – ١٦٣.

(٤١) بابا فتيحة وبن يوسف زينب , النقابات ودورها في صناعة السياسات العامة – الاتحاد العام للعمال الجزائريين نموذج , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم السياسية , كلية الحقوق والعلوم السياسية , جامعة احمد دراية ادرار , الجزائر , ٢٠١٩ – ٢٠٢٠ , ص٣٦ .

(٤٢) موساوي فاطمة وجيلاني كوبيبي معاشو , العمل النقابي في الجزائر الاتحاد العام للعمال الجزائريين انموذجاً , مجلة متون , المجلد ١٠ , العدد٢ , الجزائر , ٢٠١٧ , ص٢٠٢ .

(٤٣) المصدر نفسه ,ص٢٠٢.

(٤٤) المصدر نفسه , ص٢٠٢.

(٤٥) طرفاية محمد وعوف نوال وفرح رشيدة , المصدر السابق , ص١٦ ؛ بابا فتحية وبن يوسف زينب , المصدر السابق , ص٣٤.

(٤٦) جيلالي تكران , المصدر السابق , ص١٩١.

(٤٧) موساوي فاطمة وجيلاني كوبيبي معاشو , المصدر السابق , ص٢٠٣.

(٤٨) ناصري زواوي , المصدر السابق , ص٨٦.

(٤٩) عبدالقادر جغلول , المصدر السابق , ص١٦٣.

(٥٠) بن زينو خلود وسالمي ياسمينة , البعد التحرري في نشاط الحركات العمالية المغاربية ١٩٤٥-١٩٥٨, رسالة ماجستير غير منشورة , قسم التاريخ , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة , الجزائر, ٢٠١٩-٢٠٢٠, ص٦٧.

(51) TNA, Fo371\119444\17EB\5(a) , Interntionl confederation of free trade Unions Executive Board Brussels , 2-7 July 1956 , London , 2-7 July 1956.

(٥٢) عيسى بوزغينة , , ص١٠٨.

(٥٣) خلوفي بغداد , الاعلام النقابي الجزائري ودوره اثناء الثورة التحررية , المصدر السابق , ص٦٠.

(٥٤) رحيم امال وخيراني امينة , الصحف الجزائرية الصادرة ابان الثورة التحررية ١٩٥٤ – ١٩٦٢ دراسة استطلاعية توثيقية , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم علوم الاعلام والاتصالات , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , جامعة قاصدي مرباح ورقلة , الجزائر , ٢٠١٤ – ٢٠١٥ , ص٣٣.

(٥٥) محمود ايت مدور , عيسات ايدير مسار ومصير , المصدر السابق , ص٢٢٥.

(٥٦) صحيفة المجاهد , العدد١٣ , تونس , ١كانون الاول ١٩٥٧.

(٥٧) صحيفة المجاهد , العدد١١ , تونس , ١ تشرين الثاني ١٩٥٧.

(٥٨) طرفاية محمد وعوف نوال وفرح رشيدة , المصدر السابق , ص٢١.

(٥٩) ناصري زواوي , المصدر السابق , ص٨٨.

(٦٠) صحيفة المجاهد , العدد٦٣ , تونس , ٧ اذار ١٩٦٠.

(61) TNA, FO371\119444\17EB\5(a) , Interntionl confederation of free trade Unions Executive Board Brussels , 2-7 July 1956 , London , 2-7 July 1956 .

(٦٢) جيلالي تكران , المصدر السابق , ص٢١٨.

(٦٣) المصدر نفسه , ص٢٢٢.

(٦٤) محمود ايت مدور , عيسات ايدير مسار ومصير , المصدر السابق , ص٢٢٥.

(٦٥) المصدر نفسه , ص٢٢٥.

(٦٦) ناصري زواوي , المصدر السابق , ص٨٨.

(٦٧) جيلالي تكران , المصدر السابق.

(٦٨) ناصري زواوي , المصدر السابق , ص٨٩.

(٦٩) جيلالي تكران , المصدر السابق , ص٢١٩.

(70) TNA , FO371 \ 119444 \ JF2181 \ 13 ,explosion in the Algiers premises of the Union Democratique du Manifeste Algerien , from African Department foreign office to s.w Algiers , London , July 2 , 1956.

(71) Ibid.

(٧٢) بسام العسلي , جبهة التحرير الوطني الجزائري , ط٣ , دار النفائس , بيروت , ١٩٩٠, ص٥٩ – ٦١.

(٧٣) ايمان النمس , دور النقابات العمالية في صنع سياسات الحماية الاجتماعية في الجزائر دراسة مرحلة التعددية النقابية , دار ناشري للنشر الالكتروني , ٢٠١٤ , ص٥٤.

(٧٤) المصدر نفسه , ص٢٢٠.

(٧٥) عبدالقادر جغلول , المصدر السابق , ص١٦٤.

(٧٦) محمد قنانش , الحركة النقابية الجزائرية على نهيج الثورة التحررية ١٩٥١ – ١٩٥٧م من التبعية والولاء الى الحرية والفداء , مجلة عصور الجديدة , العدد ٦ عدد خاص بخمسينية الاستقلال , ٢٠١٢, ص٢٢١.

(٧٧) طرفاية محمد وعوف نوال وفرح رشيدة , المصدر السابق , ص٢١.

(78)TNA , FO 371 \ 119444 \ JF 2181 \14, The strkeri , from Algiers to foreign office , London , July 4 1956.

(79)TNA , FO 371 \ 119444 \ JF 2181 \ 17,strike in Algiers , from the Rt. Hon. Selwyh Lloyd C.B.E to Algiers , London , July 7 1956.

(80)TNA , FO 371 \ 119444 \ JF 2181 \14,The strike ,from Algiers to foreign office , London , July 4 1956.

(81)TNA , FO 371 \ 119444 \ JF 2181 \ 17,strkeri in Algiers , from the Rt. Hon. Selwyh Lloyd , C.B.E to Algiers , London , July 7 1956.

(82)TNA , FO 371 \ 119444 \ JF2181 \ 15,strikes , from Algiers telegram No.88 to Foreigh office , London , July5 1956.

(83)TNA , FO 371 \ 119444 \ JF 2181 \16, ,General strike , from Algiers to foreign office , London , July 6 1956.

(84) TNA , FO 371 \ 119444 \ JF 2181 \ 17,c,strkeri in Algiers, from the Rt. Hon. Selwyh Lloyd , C.B.E to Algiers , London , July 7 1956.

(85) I bid.

(86) I bid.

(87)Ibid.

(88) Ibid.

(٨٩) براهيمي سعاد وموقاس سميرة , المؤسسات المدنية ودورها في دعم الثورة التحررية ١٩٥٦ – ١٩٦٢ , رسالة ماجستير غير منشورة , قسم العلوم الانسانية , معهد العلوم الانسانية والاجتماعية , المركز الجامعي الشهيد – سي الحواس – بريكة , الجزائر , ٢٠٢١ – ٢٠٢٢ , ص٣٧.

(٩٠) بسام العسلي , المصدر السابق , ص٦١.

(٩١) مناصرية سميحة , الحرية النقابية في الجزائر , رسالة ماجستير غير منشورة, قسم الحقوق , كلية الحقوق والعلوم السياسية , جامعة الحاج لخضير – باتنة ,الجزائر , ٢٠١١–٢٠١٢ , ص٣٤.

(٩٢) محمد قدور , نشاط الاتحاد العام للعمال الجزائريين ضمن النقابات الدولية (الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة وفيدرالية النقابات العالمية) , مجلة الدراسات التاريخية العسكرية , المجلد ٦ , العدد٢ ,الجزائر, ٢٠٢٤ , ص ١٠٤– ١٠٥ .

(93) TNA ,FO371 \ 119444 \ JF2181 \ 23, ,confidentia l report prepared I.C.F.T.U., from mr . Blumer A frican Dept western Dept to mihuli mr . Brash , London , 1August 1956 .

(94) New york Time ,UNIONS DEFER INQUIRY , proquest Historical newspapers ,new york, May 13 1956 , P.38.

(95) TNA ,FO371 \ 119444 \ JF2181 \ 23,confidential report prepared for the I.C.F.T.U. , from mr . Blumer A frican Dept western Dept to mihuli mr . Brash , London , 1August 1956 .

(96) TNA , FO371 \ 119444 \ 17EB\ 5(a) , Interntiohl confederation of free trade unions Executive Board Brussels , 2-7 July 1956 , London , 2-7 July 1956.

(٩٧) لصواني عبدالقادر , المصدر السابق , ص١٩.

(٩٨) جيلالي تكران , المصدر السابق , ص٢٠١.

(99) TNA , FO371 \ 119444 \ JF2181 \ 22 , Resolution on Algeris , from A-croenhough Esq.Ob.s.Milistry of Labour and National service to British Em Bass y Brnssels , London , 16th July 1956.

(١٠٠) جيلالي تكران , نفس المصدر السابق ,ص٢٠٢.

(101) TNA , FO371 \ 119444 \ JF2181 \ 21,Algerais membership I.C.F.T.U. , from African Depar tment foreigh office London S.W.1. to British Embassy paris , London , July 9 1956.

(١٠٢) مناصرية سميحة , المصدر السابق , ص٣٤.

(103) TNA,FO371\119444\ JF2181\22 ,Resolution on Algeris ,from A-croenhough Esq.ob.s.Milistry of Labour and National service to British Embassey Brnssels , London ,july 16 1956.

(104) TNA, FO371/119444/Jf2181/21,Algerais membership I.C.F.T.U. ,from African Depar tment foreigh office London S.W.1. to Britissh Embassy paris ,London ,July 9 1956.

(١٠٥) صحيفة المقاومة الجزائرية , العدد ١٦, الجزائر ,٢٠ كانون الاول ١٩٥٦.

(106)TNA,FO371/119444/Jf2181/21,Algerais membership I.C.F.T. ,from African

De Partment fargn office London s. w.1 to British Embassy Paris, London,9 July 1956 .

(١٠٧) صحيفة المقاومة الجزائرية , العدد ٣ , الجزائر , اب ١٩٥٦ .

(١٠٨) صحيفة المقاومة الجزائرية , العدد ١٦ , الجزائر , ٢٠ كانون الاول ١٩٥٦ .

(109) TNA, fO371/119444/Jf2181/21 ,Algerais membership I.C.F.T.U. ,from/ Africa

De Part ment foreign office London s. w.1 to British Embassy Paris, London,9 July 1956.

(110) TNA. Fo371/119444,Jf2181/22, Resolution on Algeris, from A. Croenhough Esq O.B.S. milistry of Labour and National Service to Pa British Embassy, London,16 July 1956.

(111)TNA, FO371/119444 / JF2181/20, from African Department foreign office to British Embassy Paris, London, July 9 , 1956.

(112) The Manchester Guardian ,More Troops for French Expel Diehard ,London,10 May 1956.

(113)TNA, FO 371/ 119444/Jf2181/23, from .Blumer African Depfwestern Depet to mihuli mr Brush, London, 1 August 1956.

(114)TNA , Fo371 / 119444/JF2181/10, Discusses aposition I. C.T.F.U.S lw Algerial , From R.Brash African De part ment to H.M. consul -General , London, 30 Jun 1956.

(١١٥) محمد قدور , نشاط الاتحاد العام للعمال الجزائريين ضمن النقابات الدولية (الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة وفيدرالية النقابات العالمية) , مجلة الدراسات التاريخية العسكرية , المجلد ٦ , العدد ٢ , الجزائر , ٢٠٢٤, ص١٠٦.

مرويات السيوطي في معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم)

سارة مثنى عبدالوهاب عبدالرزاق

أ.م.د رشيد أحمد مختار فريد

كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ الاسلامي

مرويات السيوطي في معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم)

سارة مثنى عبد الوهاب عبدالرزاق

أ.م.د رشيد أحمد مختار فريد

الملخص:

الإمام السيوطي، وهو من أعلام المحبة النبوية، يكتب وكأن قلبه ينبض بكل حرف. فتراه يربط بين المعجزة وبين أثرها في الصحابة، وكيف كانت سببًا في تثبيت الإيمان، أو في هداية القلوب، أو في كشف الغطاء عن عظمة هذا النبي الذي ما نطق عن الهوى. وفي كل صفحة من الخصائص الكبرى، تشعر أن المعجزة ليست مجرد قصة، بل هي تجلٍّ من تجليات النور المحمدي، الذي لا ينطفئ، ولعل أجمل ما في هذا الطرح، أنه يُشعر القارئ بأن المعجزات ليست بعيدة، بل هي حاضرة في الوجدان، تُروى لتُحيي القلوب، وتُذكر لتُلهب المحبة، وتُكتب لتُخلّد في ذاكرة الأمة.

الإمام السيوطي، في كتابه الدر المنثور، قدّم عرضًا موسّعًا لمعجزات النبي محمد ﷺ، جامعًا بين الروايات الصحيحة والمشهورة، وبين ما ورد في كتب السيرة والحديث من غرائب وكرامات. لم يقتصر على المعجزات الحسية فقط، بل تناول أيضًا المعجزات الغيبية، والخصائص النبوية التي اختص الله بها نبيه دون سائر الخلق.

الكتاب يعكس مكانة النبي ﷺ في قلب الأمة، ويُظهر كيف أن المعجزات كانت جزءًا من حياته اليومية، تأكيدًا لرسالته، وتثبيتًا لقلوب المؤمنين. السيوطي لم يكتب مجرد سرد، بل حاول أن يُبرز البُعد الروحي والعقائدي لهذه المعجزات، لتكون مصدر إيمان ومحبة وتعظيم.

وفي تناوله لمعجزات النبي ﷺ، لا يكتفي بمجرد سرد الوقائع، بل ينسج منها لوحة روحانية تُشعّ بالإجلال والتعظيم. فهو لا يرى المعجزة حدثًا خارقًا فحسب، بل نافذة تُطل منها الأمة على رحمة الله، ودليلًا حيًّا على صدق الرسالة، وعلامة على أن هذا النبي ليس كبقية البشر، بل هو مصطفى، مختار، مؤيد من السماء.

Abstract:

Imam al-Suyuti, a towering figure in the tradition of prophetic love، writes as though his heart pulses through every word. He weaves each miracle into its impact on the Prophet's companions—how it strengthened their faith, guided their hearts، and unveiled the majesty of a Messenger who spoke not from whim. In every page of *Al-Dur Al manthour*, the miracle is never just a tale; it is a radiant manifestation of the Muhammadan light that never fades.

What makes his approach so compelling is how it brings the reader close to these miracles—not as distant wonders، but as living truths embedded in the soul of the ummah. They are told to revive hearts، remembered to ignite love، and recorded to be eternally etched in the collective memory of the believers.

In *Al-Khasa'is al-Kubra*، Imam al-Suyuti offers a sweeping presentation of the miracles of Prophet Muhammad, ﷺ blending authentic and well-known narrations with rare accounts and extraordinary signs found in the books of biography and hadith. He does not limit himself to physical miracles، but also explores the unseen wonders and divine privileges uniquely granted to the Prophet above all creation.

The book reflects the Prophet's central place in the heart of the Muslim nation، showing how miracles were woven into the fabric of his daily life—affirming his message and anchoring the faith of his followers. Al-Suyuti's writing is not mere narration; it is a spiritual and theological unveiling، meant to inspire reverence، love، and belief.

In his treatment of the Prophet's miracles، al-Suyuti does more than recount events—he paints a spiritual canvas glowing with awe and veneration. He sees each miracle not just as a supernatural occurrence، but as a window through which the ummah glimpses divine mercy، a living proof of the truth of the message، and a sign that this Prophet is unlike any other—chosen، elevated، and divinely supported.

المقدمة

الحمد لله الذي انشأ وبرى، وخلقَ الماءَ والثرى، الرحمنُ على العرشِ استوى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله و أصحابهِ أجمعين.

أما بعد...

فأنهُ لا يخفى على أي مسلم مدى أهمية سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حياة المسلمين، ولا تزال سيرتهُ (صلى الله عليه وسلم) مطلباً ذات أهمية للمسلمين ولاسيما طلبة العلم، لان التعرف على سيرتهُ (صلى الله عليه وسلم) والاقتداء بنهجهِ تعد من أسمى الغايات والمقاصد، وتعد حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بما اشتملت عليه من تفاصيل كثيرة ابتداءً من ولادتهِ وحتى وفاته أصدق وأصح سيرة لتاريخ نبي مرسل عرفتها البشرية ، فقد شغلت سيرتهُ (صلى الله عليه وسلم) اهتمام الباحثين والمؤرخين، فعمدوا على توثيق جوانبها الدينية و الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والحضارية ، ومن بين هؤلاء المؤرخين الامام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ – ١٥٠٥م)، الذي اخترتُ أن يكون بحثي في نصوص كتابه (الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والذي جاء تحت عنوان "مرويات السيوطي في معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم)".

أولاً: الاسراء والمعراج (١١ للبعثة/٦٢١م)

تعد رحلة الأسراء والمعراج تسرية للرسول(صلى الله عليه وسلم) عما لاقاه من استهزاء المشركين و إيذائهم ، فقد أراد الله عز وجل أن يخفف عنه عناء ما لاقاه و أن يسري به ويطمئنه.

وتعد رحلة الإسراء والمعراج من أشهر وأعظم المحطات المسجلة في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فضلاً عن كونها تجربة روحانية تحولية إذ أكرم الله تعالى نبينا (صلى الله عليه وسلم) أن أسري به الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات السبع العلى ، فرأى بذلك قدرة الله عز وجل، و لقد كانت حادثة الأسراء والمعراج من المعجزات الكبرى التي خرقت قوانين الكون، ومن الأحداث البارزة في الدعوة الإسلامية[١] .

وقد جاءت هذه الحادثة تثبيتاً للرسول (صلى الله عليه وسلم) وتكريماً له، في أعقاب السنين الطويلة من الدعوة، والصبر على إذى المشركين ، واضطهادهم، ونكرانهم ، وجفائهم[٢] .

وقد ذكرت هذه الحادثة في سورتين مختلفتين في القران الكريم، إذ ذكرت قصة الاسراء في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾[٣]؛ أما قصة المعراج فقد ذكرت في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾[٤]، وقد جاءت هذه الحادثة بعد أن فقد الرسول (صلى الله عليه وسلم) السندين والحبيبين هما: عمه أبو طالب، وزوجته السيدة أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) ليبين له في هذه الرحلة أن الله هو الحبيب الأعظم، وهو الحامي له من كل كيد، وافتراء قام به المشركون[٥].

وقد روى السيوطي[٦] هذه الحادثة إذ نقل عن ابن أبي شيبة[٧] عن طريق ثابت[٨] عن أنس[٩](رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:" **أتيت بالبراق وهو دابة بيضاء طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيت**

بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين، ثم خرجت ، فجاءني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل: (اخترت الفطرة)، ثم عرج بنا إلى سماء الدنيا فاستفتح جبريل، فقيل:(من أنت ؟)، قال:(جبريل)، قيل:(ومن معك؟)، قال:(محمد) ، قيل:(وقد بعث إليه ؟)، قال:(قد بعث إليه)،ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل:(من أنت؟)، قال:(جبريل)، قيل:(ومن معك؟)،قال:(محمد)،قيل: (وقد بعث إليه؟)، قال:(قد بعث إليه)، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا فرحبا بي ، ودعوا إلي بخير ،ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل، فقيل:(من أنت؟)، قال:(جبريل) قيل :(ومن معك؟)،قال:(محمد)، قيل:(وقد بعث إليه؟)، قال :(قد بعث إليه)، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ، وإذا هو قد أعطي شطر[١٠] الحسن، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل، فقيل:(من هذا؟)، قال:(جبريل)، قيل:(ومن معك؟)،قال:(محمد) ، قيل:(وقد بعث إليه؟)، قال:(قد بعث إليه)، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل، فقيل:(من هذا؟)، قال:(جبريل)، قيل:(ومن معك؟)، قال:(محمد)، قيل:(وقد بعث إليه ؟)، قال:(قد بعث إليه)، ففتح لنا فإذا أنا بهارون، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل:(من هذ؟)، قال:(جبريل)،قيل:(ومن معك؟)، قال: (محمد)، قيل: (وقد بعث إليه؟)، قال: (قد بعث إليه)، ففتح لنا فإذا أنا بموسى، فرحب بي، ودعا لي بخير ،ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح فقيل:(من هذا؟)،قال:(جبريل)، قيل:(ومن معك؟)، قال:(محمد) ،قيل :(وقد بعث إليه؟)، قال:(قد بعث إليه)، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم، مسند ظهره إلى البيت المعمور[١١]، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، فإذا ورقها فيها كإذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشى، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى إلي ما أوحى، وفرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فقال :(ما فرض ربك على أمتك ؟)، قلت:(خمسين صلاة)، قال:(ارجع إلى ربك فاسأله

التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم) ، فرجعت إلى ربي، فقلت:(يا رب خفف عن أمتي) ، فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى، فقلت:(حط عني خمسا)، فقال:(إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف)،قال:(فلم أزل أرجع بين ربي وموسى)، حتى قال:(يا محمد إنهن خمس صلوات لكل يوم وليلة بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال:(ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف)، فقلت:(قد رجعت إلى ربي حتى استحيت منه)".

إن رحلة الاسراء والمعراج كانت مواساه للنبي (صلى الله عليه وسلم) إلا أنها كانت فتنه للكافرين، الذين زاد عنادهم ، وكفرهم، ولبعض ضعفاء الايمان، الذين كانوا حديثي العهد بالإسلام، إذ زلزلت هذه الحادثة ايمانهم فكفروا ولم يعودوا إلى الايمان[١٢]" .

يتبين لنا مما سبق ان سبب حادثة الاسراء والمعراج ،جاءت لتسري عن النبي (صلى الله عليه وسلم) همه ، وحزنه بعد وفاه زوجته أم المؤمنين السيدة خديجة (رضي الله عنها) التي كانت خير معين له في مسكنه ، تنصره وتواسيه وتصبره ، وعمه أبو طالب الذي حماه من كيد المشركين ، فكان له خير معين له خارج مسكنه، وايضا كانت تسلية له بعد أن رده أهل الطائف ، فقد كذبوه وعابوه وإذوه،_فجاءت هذه الحادثة لتزيل عنه كل تلك الاحزان والاشجان[١٣].

وقد خُلدت هذه الحادثة في القران[١٤] ،وفي كتب السير[١٥] .

و أختُلف في وقت وقوع الإسراء والمعراج ، فقيل: قبل الهجرة بسنة[١٦]،وقيل انه كان ليلة السابع عشر من شهر ربيع الأول[١٧]، وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه ، وهو مردود فإن في ذلك اختلافا كثيرا يزيد على عشرة أقوال[١٨] ،نستنتج من ذلك ان العلماء اختلفوا في تحديد في أي زمان وقع الإسراء والمعراج ، والاتفاق أنه كان بعد البعثة وقبل الهجرة ، وجزم جمع من المؤرخين بأنه كان قبل الهجرة بسنة ، ورجح النووي[١٩] أنه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة.

ثانياً: انشقاق القمر (١٢ للبعثة/٦٢٢م)

تعد معجزة انشقاق القمر من الآيات العظيمة التي أيد الله سبحانه وتعالى بها رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم)، قال تعالى: سمحٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ٣سجى[٢٠] ، وهو امر عظيم لا يقع إلا بتقدير الله عز وجل، وكان وقوع هذه المعجزة قبل الهجرة الى المدينة وكانت بطلب من كفار قريش إذ أرادوا من الرسول(صلى الله عليه وسلم) أية تدل على صدق نبوته ، وتعد هذه المعجزة من علامات الساعة، فقد ذكر البخاري في صحيحه[٢١]عَنْ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنه) قَالَ :"خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ: اللِّزَامُ[٢٢] ، وَالرُّومُ ، وَالْبَطْشَةُ ، وَالْقَمَرُ، وَالدُّخَانُ".

وقد ذكر السيوطي[٢٣] نقلاً عن ابن جرير[٢٤]وأبي نعيم[٢٥] ، والبيهقي[٢٦] عن طريق مسروق[٢٧] عن ابن مسعود(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: " **انشق القمر على عهد النبي(صلى الله عليه وسلم)، فقالت قريش: (هذا سحر ابن أبي كبشة[٢٨]، فقالوا :(انتظروا ما يأتيكم به السفار(٢٩) فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم)، فجاء السفار فسألوهم، فقالوا:(نعم قد رأيناه)، فأنزل الله: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)**[٣٠] " .

تختلف معجزة انشقاق القمر عن بقية معجزات الرسول (صلى الله عليه وسلم) التي غالبا ما تقتصر رؤيتها على أصحابه، ولذلك فقد أجمع أصحاب العقول السليمة والفطرة السوية على أنها معجزة لا يقدر عليها إلا الذي خلق الشمس والقمر، وهو الله عز وجل[٣١] .

قال الشيخ السعدي[٣٢] : فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم)، أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على صحة ما جاء به وصدقه، أشار (صلى الله عليه وسلم) إلى القمر بإذن الله تعالى، فانشق فلقتين، فلقة على جبل أبي قبيس[٣٣]، وفلقة على جبل قعيقعان[٣٤]، والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى الكائنة في العالم العلوي، التي لا يقدر الخلق على التمويه بها والتخييل.

فشاهدوا أمرا ما رأوا مثله، بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره، فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم يرد الله بهم خيرا، ففزعوا إلى بهتهم وطغيانهم،

وقالوا:(سحرنا محمد)، ولكن علامة ذلك أنكم تسألون من قدم إليكم من السفر، فإنه وإن قدر على سحركم، لا يقدر أن يسحر من ليس مشاهدا مثلكم، فسألوا كل من قدم، فأخبرهم بوقوع ذلك، فقالوا: (سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) سحرنا محمد وسحر غيرنا، وهذا من البهت، الذي لا يروج إلا على أسفه الخلق وأضلهم عن الهدى والعقل، وهذا ليس إنكارا منهم لهذه الآية وحدها، بل كل آية تأتيهم، فإنهم مستعدون لمقابلتها بالباطل والرد لها" .

أما عند البخاري[٣٥] ومسلم[٣٦] فقد ذكروا في صحيحيهما عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال:" **أن أهل مكة سألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما**".

وروى الشيخان في صحيحيهما[٣٧] عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال:" **انشق القمر ونحن مع النبي (صلى الله عليه وسلم) بمنى ، فقال: (اشهدوا)، وذهبت فرقة نحو الجبل**".

و قال الحافظ ابن كثير[٣٨]:" **وقد شوهد ذلك –أي انشقاق القمر– في كثير من بقاع الأرض، ويقال أنه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند**".

وقال الحافظ في الفتح[٣٩] قال بعضهم:" **لو وقع انشقاق القمر لجاء متواترا واشترك أهل الأرض في معرفته ولما اختص بها أهل مكة**".

وجوابه: أن ذلك وقع ليلا، وأكثر الناس نيام، والأبواب مغلقة، وقل من يرصد السماء إلا النادر، وقد يقع بالمشاهدة في العادة أن ينكسف القمر، وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل، ولا يشاهدها إلا الآحاد، فكذلك الانشقاق كان آية وقعت في الليل لقوم سألوا، واقترحوا فلم يتأهب غيرهم لها، ويحتمل أن يكون القمر ليلتئذ كان في بعض المنازل التي يظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يظهر الكسوف لقوم دون قوم، ومع ذلك لم يؤمنوا، لأنهم إنما طلبوا ذلك استكبارا وعنادا[٤٠].

نستنتج مما سبق ان المسلمين أجمعوا على وقوع انشقاق القمر في زمانه (صلى الله عليه وسلم).

الخاتمة

وبعد هذا العرض والتحليل لمرويات الإمام جلال الدين السيوطي في معجزات النبي محمد ﷺ، يتضح أن السيوطي قدّم جهداً علمياً مميزاً في جمع وتوثيق الروايات التي تُظهر الجوانب الإعجازية في حياة الرسول الكريم، سواء كانت معجزات حسية أو معنوية، فردية أو جماعية، وقعت في السلم أو الحرب، وشهد بها الصحابة رضوان الله عليهم.

وقد أظهر البحث أن السيوطي لم يكن مجرد ناقل للروايات، بل مارس دوراً نقدياً في الانتقاء والتصنيف، مستنداً إلى منهج أهل الحديث في التوثيق، مع مراعاة السياق التاريخي والديني لكل رواية. كما أن مروياته تعكس اهتماماً بالغاً بإبراز مكانة النبي ﷺ وكراماته التي تؤكد صدق نبوته وتعضد الرسالة الإسلامية.

ومن خلال هذا البحث، يتأكد أن دراسة المعجزات النبوية ليست مجرد سرد تاريخي، بل هي مدخل لفهم أبعاد الرسالة المحمدية، وتعزيز الإيمان، وربط الأمة بسيرة نبيها الكريم. ويوصي الباحث بضرورة استكمال الدراسات في هذا المجال، من خلال مقارنة مرويات السيوطي بمصادر أخرى، وتحقيقها وفق مناهج النقد الحديث، لتقديم صورة أكثر تكاملاً وعمقاً عن المعجزات النبوية.

المصادر والمراجع:

[١] الشعراوي، محمد متولي (ت: ١٤١٨هـ) ، تفسير الشعراوي – الخواطر، ن: مطابع اخبار اليوم، ج ١٣ ، ص ٨٣١٤ .

[٢] العازمي موسى بن راشد، اللؤلؤ المكنون، تقريظ: الدكتور محمد رواس قلعه جي، الشيخ عثمان الخميس، ن: المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م، ج١، ص ٤٥٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية ١.

(٤) سورة النجم، الآية ١٣– ١٨.

(٥) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكارآ، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، ص ٢٩٥ ؛ أبو زهرة، محمد بن احمد بن مصطفى بن احمد، خاتم النبيين (صلى الله عليه وسلم)، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠٤م)، ج١، ص ٣٩٠.

[٦] الدر المنثور، ج ٥، ص ١٨٤ .

[٧]أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي العبسي (ت ٢٣٥ هـ/ ٨٤٩م)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، (دار التاج، بيروت ، ١٩٨٩م)، ج٧ ، ص ٣٣٣.

[٨] ثابت بن اسلم البناني، ابو محمد البصري ، وبناني هم بنو معد بن لؤي بن غالب، ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج٤، ص ٣٤٢ .

[٩] انس بن مالك بن النضر بن ضمضم، وهو خادم الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وامه ام سليم بنت ملحان الأنصارية، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص ١٠٩.

[١٠] شطر كل شيء أي نصفه ؛ ينظر: الفراهيدي، العين، ج ٦، ص٣٣ .

[١١] عَنْ عَلِيٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: (الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ بَيْتٌ فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ الضُّرَاحُ ، وَهُوَ بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ مِنْ فَوْقِهَا حُرْمَتُهُ فِي السَّمَاءِ كَحُرْمَةِ الْبَيْتِ فِي الْأَرْضِ ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَعُودُونَ فِيهِ أَبَدًا) ؛ ينظر: الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هـ / ١٢١٠م) ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، ط٣ ، (دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٩٩٩م)، ج٤ ، ص٤٦ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٧ ، ص٦٢٨ .

[١٢] العمري، أكرم ضياء ، السيرة النبوية الصحيحة، ط ٦، (مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، ١٩٩٤م) ، ج١، ص ١٩٢.

[١٣] زواوي أحمد بن عبد الفتاح، شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ن: دار القمة – الإسكندرية، ج١، ص ٩٧.

[١٤] الإسراء ، الآية ١، النجم، الآية ١٣– ١٨ .

(١٥) ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣ هـ)، السيرة النبوية، ج١، ص ٣٩٦، تحقيق: مصطفى السقا [ت ١٣٨٩ هـ]- إبراهيم الأبياري [ت ١٤١٤ هـ]- عبد الحفيظ شلبي، ن: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.

الأندلسي ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، جوامع السيرة النبوية، ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ص ٥٤.

ابن عبد البر ، الدرر ، ص ٦٥ ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ج٣ ، ص ٢٥١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم، ج ٣ ، ص ٢٥؛ ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج١، ص ١٦٨؛ المقريزي، امتاع الاسماع، ج٨ ، ص ٢١٤ .

(١٦) ابن سعد ، الطبقات ، ج١، ص ٢١٤ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج١، ص٢٤١ ؛ المقريزي، أمتاع الاسماع ، ج١، ص ٤٧ .

(١٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص ٢٦ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الاثر ، ج١ ، ص ١٦٧؛ ج١، ص ١٧٢ .

(١٨) ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٧ ، ص ٢٠٣.

(١٩) المنهاج ، ج٢ ، ص ٢٠٩ .

(٢٠) سورة القمر، الآية ١- ٣ .

(٢١) ج٤ ، ص ١٨٢٥.

(٢٢)الموتُ والحسابُ ، ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص ٥٤٢.

(٢٣) الدر المنثور، ج ٧ ، ص ٦٧٠ .

(٢٤)جامع البيان، ج ٢٢ ، ص ١٠٦ .

(٢٥)دلائل النبوة، ص ٢٨٠ .

(٢٦)دلائل النبوة، ج ٢ ، ص٢٦٦ .

(٢٧) مسروق بن الاجدع بن مالك ابن امية بن عبد الله الهمداني، الامام القدوة ، أبو عائشة الوداعي الكوفي؛ ينظر: الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج ٤ ، ص ٦٣ .

(٢٨)اختلف في السبب الذي كانت كفار قريش من اجله تقول للرسول(صلى الله عليه وسلم) ابن ابي كبشة، فقيل نسبة الى ابي كبشة وهو احد اجداد الرسول(صلى الله عليه وسلم) الذي كان يخالف العرب في عبادتهم ، وقيل نسبة الى الحارث بن عبد العزى بن رفاعة الساعدي، وهو زوج حليمة السعدية، لانه يعد اب للرسول(صلى الله عليه وسلم) من الرضاعة وكان يدعى ابي كبشة ، ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، ج١، ص ٩١.

(٢٩) وهم القوم المسافرون، كراكب والركاب ، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص ١٤٨.

(٣٠) سورة القمر ، الآية ١ .

(٣١)زواوي، شمائل الرسول، ج١ ، ص ١١٥ .

(٣٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٠ م) ، ص ٨٢٣ .

(٣٣) جبل مستدير كالقبة شرقي مكة ؛ ينظر : ناصر خسرو، أبو معين الدين الحكيم القبادياني المروزي (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م)، سفر نامة ، تح : د. يحيى الخشاب، ط٣ ، (دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م)، ص ١٢١ ؛ البكري، : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) ، المسالك والممالك ، (دار الغرب الإسلامي ، بلا .د، ١٩٩٢ م) ، ج١ ، ص ٤٠١ .

(٣٤) جبل بأعلى مكّة نزل به مضاض بن عمرو ، وسمي قعيقعان لأن مضاض بن عمرو لما سار إلى السميدع معه كتيبة فيها عدتها من الرماح والدرق والسيوف تقعقع بذلك فسمي بذلك قعيقعان ؛ ينظر: الحِميري : محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠ هـ / ١٤٩٥) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح: احسان عباس، ط٢ ، (مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠ م)، ص ٤٧٧.

(٣٥) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ن: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، ط٥، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م: ج٣، ص ١٤٠٤ .

(٣٦) صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)
المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، ن: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ–١٩٥٥م: ج٤ ، ص ٢١٥٩ .

(٣٧) البخاري، صحيح البخاري ، ج٣، ص ١٤٠٤ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج ٤، ص ٢١٥٨.

(٣٨) البداية والنهاية، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١ – ٧٧٤ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ن: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، (١٤١٧ – ١٤٢٠ هـ): ج٤، ص ٢٩٩.

(٣٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ)، حقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، مجدي بن عبد الخالق الشافعي، إبراهيم بن إسماعيل القاضي، السيد عزت المرسي، محمد بن عوض المنقوش، صلاح بن سالم المصراتي، علاء بن مصطفى بن همام، صبري بن عبد الخالق الشافعي، ن: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م ج٧، ص ١٨٥.

(٤٠) فتح الباري ، ج٧، ص ١٨٥ ؛ العازمي ، اللؤلؤ المكنون ، ج١، ص ٥٢٧.

الحركة الفكرية في مدينة ارجان في العصر العباسي

(١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩- ١٢٥٨م)

Intellectual movement in the city of Arjan in the Abbasid era

(A1258-749/ H 656- 132)

أ. د. علي حسن غضبان

أ. د. زينب مهدي رؤوف

Professer .Dr.Ali Hassan Ghadhban

Professer .Dr.Zaynab Mahdy Raaowf

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية

الحركة الفكرية في مدينة ارجان في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/-٧٤٩ ١٢٥٨م)

أ. د. علي حسن غضبان
أ. د. زينب مهدي رؤوف

الملخص:

يُعد المشرق الأسلامي أحد أقاليم الدولة الأسلامية المهمة كونهِ متاخم لها من الناحية الشرقية إذ شهد أهتماماً بالغاً من قبل الحكام المسلمين ، ومدينة أرجان التي توسطت مابين الأحواز وأقليم فارس من جهة الشرق ، قد شملها الفتح الأسلامي كغيرها من مدن المشرق ونالت مكانة وأهتمام من قبل الفاتحين في مختلف المجالات ضمنها الجانب الفكري حتى غدت احدى مراكز العلم والتي يشد اليها الرحال من جميع انحاء العالم .

شمل البحث التسمية والموقع والحدود ، والفتح الأسلامي وعوامل أزدهار الحركة الفكرية للمدينة ، وأبرز علماء المدينة في مجالات العلوم الأنسانية ، والعلمية ، والوافدين اليها . إذ زخِرت المدينة بعوامل عدة لإزدهارها مما شجع على ظهور عدد من المفكرين والعلماء الذين آثروا الجانب الفكري للمدينة ، وظهور عدد من المؤسسات العلمية والمؤلفات.

الكلمات المفتاحية : ارجان ؛ الحياة ؛ مدينة ؛ العباسي ؛ العصر ؛ الفكرية .

Abstract

The Islamic East is one of the important regions of the Islamic state, as it is adjacent to it from the eastern side, as it witnessed great interest from the Muslim rulers, and the city of Arjan, which was located between Ahwaz and the Fars region from the east, was included in the Islamic conquest like other cities of the Islamic East, and gained status and interest from the conquerors in various fields, including the intellectual aspect, until it became one of the centers of science to which travelers from all over the world flock. The research included the name, location, borders, the Islamic conquest, and factors for the prosperity of the intellectual movement of the city, and the most prominent scholars of the city in the fields of humanities and

sciences, and those who came to it. The city was rich in several factors for its prosperity, which encouraged the emergence of a number of thinkers and scholars who influenced the intellectual aspect of the city, and the emergence of a number of scientific institutions and publications.

Key Words : Arjan ; Life ; City ؛ Al-Abbassi ; Era; Intellectual

المقدمة

تسعى الجماعات والأفراد لمجتمع ما وراء فهم المعرفة والأفكار، والفكر الفلسفي داخل المجتمع ، وتتألف من المناقشات ، والمناظرات ، والكتابات ، التي تكون الفهم الثقافي والعلمي ، لتعكس قيم ومعتقدات ذلك العصر .

أذ شهد العصر العباسي أتساع رقعة الدولة الأسلامية من جهة ، وزيادة ثرواتها ، وازدهار ورواج تجارتها بما انعكس إيجاباً على نشاطها وازدهارها المعرفي عموماً نظراً لأهتمام الخلفاء العباسيين في الحياة الفكرية ، كون الأسلام رفع من قيمة واهمية العلم والمعرفة في نفوس العرب ، فلم يمضِ قرن من الزمان حتى اخذت العلوم الدينية واللغوية تمضِ قدماً نحو الأمام .

الى جانب الأهتمام بثقافات الأمم المفتوحة ونقلها عن طريق الترجمة وغيرها .

فأصبح المناخ الفكري أكثر ملائمة لتفعيل المعارف ، والعلوم ، وفلسفات الشعوب الأخرى مما أدى الى ثراء الجانب الفكري تحديداً.

فلا عجب ان نجد المشرق الأسلامي تزخر مدنهِ وكورهِ بظهور عدد من المفكرين في شتى العلوم والمعارف .

أقتضى البحث الى اتباع المنهج التحليلي في دراسة وتحليل النصوص التأريخية للوصول الى المبتغى ، فضلاً عما يتخلل هذا المنهج من وصف الحوادث التأريخية دون الحكم لها او عليها .

قسم البحث الى مقدمة وأربع محاور وخاتمة تضمن المحور الأول: التسمية والموقع والحدود ، المحور الثاني : الفتح الأسلامي لمدينة أرجان وعوامل ازدهار الحركة الفكرية فيها

، المحور الثالث : أبرز علماء مدينة أرجان ، المحور الرابع : علماء مدينة أرجان في العلوم التطبيقية وأبرز من وفد اليها .

المحور الأول: التسمية والموقع والحدود .

أ- التسمية :

أَرَجَانُ بفتح اوله وتشديد الراء، وجيم ، والف ، ونون، وعامة العجم يسمونها أَرَغان .[١] تعددت الآراء حول معنى اسم(أَرجَان) الرأي الأول يُرجع الأسم الى اللغة العربية والفارسية معاً .

ففي اللغة العربية (أَرَجُ) تعني نفحة الريح الطيبة .[٢] والأَريجُ والأريجَةُ جمعها الأَرائجُ كان ريحاً من خزامى عالج ، او ريحُ مسكٍ طيب الأَرائج وألأَرَج وألأَريجُ توهج ريح الطيب .[٣] ويُذكر ان اصل الاسم عربي ويعني الوردة العطرة التي يصدر منها أجمل الروائح ويدل على الأنطلاق من مكان ما معين .[٤]

ذُكر الرازي[5] اصل الأسم (رَجُ) وجذرها (رجج) وجذعها (رج) وتحليلها ارجان.

اما الراي الثاني ذكر ان كلمة أرجان فارسي معرب إذ أشار الجواليقي[٦] بقولهِ هي اسم البلد وزنه فَعَلاَنُ ، ولا يجعل أَفعلاَنَ لئلا تكون الفاء والعين من موضع واحد ، وهذا لا ينبغي ان يحمل عليه لقلتهِ.

اما ادي شير[٧] أشار ان الأَرجان شجر يشبه ثمرة اللوز ويسمى بلوز البربر فارسيته رجان او ارْجُن وهو الفستق البري ، وقيل اللوز المر وأسمه بالتركية بادم كوهى أي لوز الجبل.

وفي اللغة البربرية معناه الشجرة التي تكون في المغرب وتسميه العامة بالبربرية لوز البربر، يستخرج منه زيت يسمى زيت السودان .[٨]

وهنالك رأي آخر يذهب الى ان اسم ارجان يجمع بين الرائحة العطرة واللون الأحمر مما يضفي عليه نوع من الخصوصية .[٩]

ب - الموقع والحدود .

أَرَجَانُ هي كورة تقع بين الأحواز[١٠] وإقليم فارس [١١]، يذكر انها احد مناطق الكور الخمسة التي يتألف منها أقليم فارس تقع في اقصى الحد الغربي لهذا الأقليم وقاعدة المنطقة

تسمى باسمها وهي مدينة (ارجان) والتي تقع على نهر(طاب)[١٢] .[١٣] وقد جعل المقدسي[١٤] أقليم فارس ست كور أولها من قبل خوزستان أرجان . وهي تلي دارابجرد [١٥] في الكبر ومدينتها العظمى أرجان وليس بهذه الكورة مدينة اكبر من أرجان .[١٦] إذ تلي سيراف [١٧] في الكبر .[١٨]

مدينة قديمة يرجع تأريخ بنائها الى قباذ بن فيروز من أعظم ملوك الساسانيين (٤٨٨- ٤٩٦م) ، إذ انه لما أفتتح قباذ من ديار بكر[١٩] مدينتي ميافارقين [٢٠] وآمد [٢١] وكانتا في ايدي الروم وامر فبنى فيما بين فارس والأحواز مدينة سماها أبْزقُباذ وهي التي تدعى أرجان ، واسكن فيها سبي هاتين المدينتين أي من سكان ميافارقين وآمد ، وجعلها ادارياً كورة ، وضم اليها رساتيق من رامهرمز[٢٢]، وكورة سابور[٢٣]، وكورة أردشير خرة[٢٤] ، وكورة أصبهان[٢٥]، وبعضها الى أصطخر [٢٦] وبعضها الى رامهرمز فصيرت في الأسلام كورة واحدة من كور إقليم فارس.[٢٧]

وهي مدينة كبيرة كثيرة العمارة والخيرات والنخيل ، والزيتون ، وفاكهة الجروم والصرود[٢٨] وهي برية بحرية سهلية جبلية ، ماؤها سيح وبينها وبين البحر مرحلة[٢٩] .[٣٠] وصفت بأنها مدينة طيبة ، نزهة ، كثيرة الخصوبة والمياه ، والكروم ، والجوز ، والأترج ، والعنب ، والليمون ، والتين ، أهلها في غاية اليسار ، ولكن ماؤها غير مرىء وطعمه ليس طيباً ، ماء النهر يكون مالحاً من وقت العنب الى وقت المطر؛ وجدت فيها صناعات عدة كالدبس ، والصابون ، والخبز، سوقها على عمل سوق سجستان [٣١]عليه أبواب تغلق كل ليلة والأبواب من الأربعة جوانب يقابل بعضها بعضاً وأحسن أسواقها سوق الحنطة ، آبارها نظيفة حلوة ، جامعها حسن يقع على طرف الأسواق فيه منارة طويلة ، ولا ترى النساء في بلد اغنَّ منهنَّ بها ، لها ستة دروب درب الاحواز، درب ريشَهْر ، درب شيراز ، درب الرصافة ، درب الميدان ، درب الكيالين.[٣٢] ومن أبرز عجائب مدينة أرجان كهف ينبع منه ماء شبيه بالعرق يترشح هذا من حجارتهِ فيتكون منه الموميا[٣٣] الأبيض الجيد ... وخاصيته ان الانسان الذي ينكسر من أعضائهِ شيء ويشرب منه مقدار صغير فأنه يصلح الكسر والهشم .[٣٤] فضلاً عن قنطرتها العجيبة على النهر المذكور أعلاه والتي تكون على شكل

قوس سعة مابين القائمتين ثمانون خطوة ، وأرتفاعها مقدار مايخرج منها راكب الجمل وبيده أطول الاعلام ، الى جانب بئرها الذي لايقف عليه بقرار ماؤه غزير طوال الوقت .[٣٥]

وفي نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي أصبحت أرجان على بضعة اميال من شمال مدينة بهبهان الحالية التي انتقل اليها أهلها وأصبحت من اهم مدن هذه الكورة.[٣٦]

المحور الثاني : الفتح الأسلامي لمدينة أرجان وعوامل ازدهار الحركة الفكرية فيها.

شملت الفتوحات الأسلامية بلاد المشرق الإسلامي ، ومنها كورة ارجان وما حولها إذ افتتحت زمن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رض) (١٣- ٢٣هـ/ 632- ٦٤٤م) على يد القائد العربي أبي موسى الأشعري [٣٧] وعثمان بن ابي العاص [٣٨] عنوة .[٣٩] سنة (٢٣هـ/٦٤٤م) على ان يدفع أهلها الفي الف ومائتي الف .[٤٠] وذكر ان ابي موسى وعثمان صالح أهلها على الجزية والخراج .[٤١]

وعلى عهد الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥-٩٥ هـ/ ٦٩٤-٧١٤م) وليً على مدينة أرجان الحكم بن نهيك فبنى مسجد أرجان ودار امارتها .[٤٢]

تعددت المؤسسات التعليمية التي أسهمت في تطور الحياة الفكرية بسبب عوامل عديدة ساعدت على ذلك التطور والأزدهار يأتي في مقدمتها المساجد التي كانت تؤدي اكثر من عمل كونها دار للعبادة والصلاة ، والذكر، والأعتكاف ، والزهد والتصوف أولاً ، فضلاً عن كونها دار العلم ، والمساهمة في مجالات الحياة كافة كالاقتصادية، والأجتماعية، وغيرها ثانياً. [٤٣]

اما بالنسبة لأرجان فقد وقف البحث على عنصرين مهمين ساهما في تطور الحياة الفكرية وهي

اولاً : المؤسسات التعليمية

وثانياً : دور الأسُر العلمية آنذاك.

اولاً : المؤسسات التعليمية .

أ: المساجد :

مارست المساجد دوراً مهماً في عملية التعليم ونشر العلم ، وهذا ما اكد عليه الدين الأسلامي منذ ان اتخذ الرسول (ص) المسجد صرحاً تعليمياً في المدينة المنورة نشر عن طريقه الشريعة الأسلامية ، لذلك كان اول الأعمال التي يقوم بها الفاتحين المسلمين بعد الفتح لأي مدينة او إقليم هو بناء مسجد يكون وسط المدينة وقريب من الأسواق ولم تختلف أرجان عن باقي هذه المدن المفتوحة فقد انشأ المسلمون في وسطها مسجداً جامعاً ناحية جنابة " **ان أهالي هذهِ الناحية كانوا طوال أيام الأسبوع يترددون على هذا الجامع** " [٤٤] وهناك جامع آخر تميز بحسن عمارتهِ وزين بمنارة طويلة بنيت من الحجر.[٤٥]

فضلاً عن المسجد الجامع في مهرويان الذي يقع في احد النواحي من كورة أرجان في إقليم فارس وكان بناء هذا المسجد فيه غرابة لأنه بنيً على ضفة النهر يأتيه العديد من الوافدين لأغراض مختلفة سواء طلاب العلم او لتنزه او التجارة . [٤٦] عدت ارجان من الأماكن المكتظة بالسكان بسبب مناخها الجميل ولطافة جوها وطيبة هوائها ، وكثرة الغابات والأشجار لاسيما أشجار اللوز فيها فضلاً عن وفود طلاب العلم لتلقي العلم في مساجد هذه المدينة ومنها مسجد الجامع مهرويان لتلقي العلوم الدينية كالفقه ، والتفسير ، وتعليم اللغة العربية .[٤٧]

ب: دور الأسر العلمية :

مما شجع التعليم وساعد على انتشاره الدور الذي ادتهُ بعض الأسر العلمية التي أمتازت بوعيها الثقافي والعلمي حتى أسهمت في الحياة الفكرية عن طريق التصدي للتعليم وتأليف الكتب وأقتنائها ، فضلاً عن فتح بيوتهم لمن يرغب بالتعليم ، الى جانب وجودهم في المساجد ومن هذهِ الأسر :

١- اسرة أبو إسحاق إبراهيم بن احمد بن يزيد الأرجاني (ت ٥٤٠هـ/١١٤٥م) :

من الأسر التي عرفت بعلم الحديث النبوي الشريف والسعي لجمعه هم أبو إسحاق المشهور بالانتساب الى أرجان فقد سمع من مشايخ عبد الله بن محمد بن عبدان العسكري وفي مكة المكرمة أبا محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يزيد المقري ومن مشايخ الجزيرة أبا علي محمد بن سعيد الحراني وغيرهم ، ثم .... بالحديث في أرجان وشيراز ، وكان له تلاميذ فقد روىً عنه جماعة من اهل فارس لغاية وفاته في أرجان .[٤٨]

٢-أسرة أبو بكر احمد بن محمد بن الحسين الأرجاني القاضي (ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م):

من أفاضل عصرهِ ، وكان مليح الشعر رقيق الطبع سار ديوان شعره في الافاق ، وسمع الحديث بأصبهان من ابي بكر محمد بن احمد بن الحسين بن ماجة الأبهري ، كتب الأجازة بجميع مسموعاته ومقولاته ، توفي في مدينة تستر[٤٩] ، وجده من قبل أمه أبو عبد الله بن احمد بن إبراهيم بن ماسك الأرجاني أحد المشايخ المشهورين بالزهد، والورع ، ودقائق الحقائق ، سمع أبا بكر محمد بن الحسن البغدادي ، رويً عنه أبو الفضل عبد الرحمن بن احمد بن الحسن الرازي وغيره ، توفى بعد سنة اربعمائة او في حدودها .[٥٠]

٣-أسرة أبو الفتح الفارسي (ت ٥٨٧هـ/١١٩٣م) :

وهو أبو شهاب الدين يحيى بن زكريا بن إسحاق بن إسماعيل الفارسي موطنه الأصلي في كورة أرجان .[٥١] أشتهرت هذه الأسرة بالتصوف في أقليم فارس ، فضلاً عن انها اسرة مؤرخين أباً عن جد .[٥٢] صنفوا العشرات من الكتب عن تاريخ المنطقة والفت جميعها باللغة الفارسية منها كتاب (رسالة أرجان) و(ميدان شاخان) وصنفوا كتب عن التصرف منها (رسالة عشق) و(مؤانس عشق) و(روز تجمهرات صوفية) وكانت للأسرة ربط بجانب المسجد يتجمعون فيها أيام الخميس والجمعة لألقاء المحاضرات وللذكر وحفظ القرآن الكريم ، وأيواء الكثير من الفقراء والمساكين والأيتام في ربطهم بغية تقديم المعونة لهم تقرباً الى الله سبحانه وتعالى ، ولاسيما في هذه المدة من التاريخ الأسلامي في بناء الربط وأوقفت لإيواء اكبر عدد من الفقراء ووفرت حياة معيشية مناسبة لهم .[٥٣]

٤-أسرة أبو همام وابنه القاضي :

تعد هذه الأسرة من اهم الاسر الصوفية في أرجان ، والتي نشرت الصوفية فيها ، فقد كان أبو همام وهو أسرائيل بن محمد أحد المشايخ الصوفية ، تسلم منصب القاضي في أرجان ، وقد خلفه ابنه همام في هذا المنصب وبقيً فيه حتي أختلت صحته وفقد عقله .[٥٤]

ج : المجالس العلمية :

تعد المجالس العلمية من اهم المؤسسات التي ساهمت بشكل فعال في تطور الحياة الفكرية في المشرق الإسلامي لاسيما في أقليم فارس ، وعلى رأسها المجالس التي يعقدها الحكام والأمراء والوزراء لما يتمتعون به من ثقافة ودراية واسعة وازدهرت مجالسهم بمختلف العلوم ، فضلاً عن تردد اهل العلم والفكر على هذه المجالس .[٥٥] وكان للحاكم دور مهما في هذه المجالس فكلما كانت ميول الأمير الثقافية قوية واحتضانه للعلماء والأدباء متواصلاً ، أزدهرت الحياة الفكرية وتطورت في مجلسه وفي إمارته .[٥٦] فكان معظم الشعراء والوعاظ يترددون على مجالس الأمراء في أقليم فارس والكثير من قصائد المدح حظيً بها رجال الدولة في إقليم فارس والمشرق الأسلامي .[٥٧]

المحور الثالث : أبرز علماء مدينة أرجان .

بعد الفتح الأسلامي لمدينة أرجان كان لزاماً على أهلها التبحر في العلوم عامةً والفكرية خاصةً لذلك فقد برز عدد غير قليل من العلماء في مدينة أرجان أضطلعوا في مختلف العلوم منها الفكرية كالفقه ، والتصوف ، والفلسفة وعلم الكلام وقد أسهموا في أثراء الدراسات عامةً ومن هذه العلوم :

أولاً : علوم القرآن : هو العلم الذي يتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله ، وترتيبه ، وجمعه ، وكتابته ، وقراءاته ، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه ، وإعجازه ، وأساليبه ودفع الشبه .[٥٨] وقد برز في أرجان عدد منهم :

أبو تغلب الفارسي (ت ٤٨٣هـ/١٠٩٠م):

هو عبد الوهاب احمد بن إبراهيم بن محمد بن زيد بن إسحاق الفارسي من أهل إقليم فارس سكن مدينة أرجان ، وكان من القراء الذين امتازوا في مجالسهم الدائمية في داره ويتميز بكثرة تلاميذه الذين كانوا يترددون عليه.[٥٩] وقصده الكثير من المناطق المجاورة من المشرق الأسلامي وخاصة من نيسابور[٦٠] ، والري[٦١] للاستفادة من علمه وتدوين محاضراتهِ .[٦٢] رحل الى بغداد ، والشام ، والحجاز وأقام مجالسه فترة من الزمن في بغداد وأجتمع الكثير حوله .[٦٣]

علم الحديث :

هو احد فروع العلوم الشرعية الذي يهتم بدراسة كل ماورد عن الرسول (ص) من أفعال واقوال وتقرير كما يتناول سير الرسول (ص) قبل البعثة وبعدها ، ويهتم بحفظ ، وتدوين احاديث الرسول (ص) ، كما يبحث في مصادر الأحاديث ودراسة أسانيدها ومتونها.[٦٤] وقد أعتنى علماء ارجان بعلم الحديث من ابرزهم :

١. أبو موسى الفارسي (ت٤٦٠هـ/١٠٧٠م):

هو أبو موسى منصور بن ناصر بن إبراهيم المحدث الفارسي أصله من كورة أرجان وسكن مدينة مرو[٦٥] ، وقدم بغداد وحدث فيها .[٦٦] ورجع الى بلده وحدث فيها الى اخر يوم من حياته ، توفي ودفنه بداره فأصبح قبره مزاراً بعد فترة من وفاته ويقال كان مستجاب الدعوة عند قبره .[٦٧]

٢. أبو هدبة الفارسي (ت ٤٧٣هـ/١٠٨٠) :

محمد بن إبراهيم بن هدبة من كورة أرجان خرجه في صباه الى أصفهان ، وحدثه في مجالسهم ، وهو من علماء بلاد فارس الذين اشتهروا بعلم الحديث .[٦٨]

٣. ابن ابي زيد الفارسي (ت٥٠٧هـ/ ١١١٣م) .

هو خالد بن زيد المحدث الفارسي من كورة أرجان وروي عن إسماعيل بن عباس وعن حماد بن زيد وعن حازم بن الحسين بن إسحاق الخميس ، وعن سلام الطويل ، وعن احمد بن سعيد الجمال وعباس بن محمد الفارسي ومحمد بن حسين البرجيلاني ومحمد بن عبد الله بن ربي الثلج ومحمد بن علي بن محرز وآخرين كتب عن يحيى بن معين وقال عنه (لم يكن بهِ بأس ، وكان ثقة وأميناً وصادقاً) .[٦٩]

علم الفقه :

الفقه في اللغة : هو العلم بالشيء وفهمه ومعرفته معرفة جيدة ، وقد أرتبط هذا المصطلح بعلم الدين الأسلامي لشرفه وأهمية فهمه .[٧٠]

الفقه في الأصطلاح : هو العلم الذي يعنى بفهم أحكام الشريعة الأسلامية وأستنباطها من أدلتها التفصيلية في القرآن الكريم والسنة النبوية في كل مناحي حياة المسلم بما عليه من

أفعال وعبادات مكلف بها ، وهو العلم الذي يقرر حكم الشيء بحلاله وحرامه ووجوبه وندبه وكراهيته .[٧١] وقد برز عدد من علماء الفقه في مدينة أرجان منهم :

١-أبو حكيم الفارسي (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م) :

هو عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن حكيم الفقيه الفارسي من كورة أرجان وهو أمام الفرضين العلامة أبو حكيم الشافعي ، برع في الفرائض والحساب وله فيها المصنفات الفائقة ، وهو من فقهاء الشافعية في أقليم فارس ، سمع الحديث من ابي محمد الجوهري ، وحدث باليسير وروي ان بساطتهِ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي الحافظ ، وكان مرضي الطريقة خيراً ، ديناً ، صدوقاً ، انتهت اليه الأمامة في الفرائض ، والآداب ، ونسخ القرآن الى ان توفي في ذي الحجة سنة (٤٧٦ هـ/١٠٨٣م).[٧٢]

٢-ناصح الدين الأرجاني (ت ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩م) :

هو ناصح الدين أبو بكر احمد بن محمد بن الحسين الأرجاني الفقيه والقاضي ولد في أرجان سنة (٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م) ، تلقى العلم في اصبهان وكرمان درَّس الفقه في نظامية اصبهان كذلك دَرس في نظامية بغداد ، تولى قضاء تُسْتَرَ ، وعسكر مُكرم ثم قضاء مدينتهِ أرجان ، وقد تولى منصب نائب قاضي القضاة في خوزستان .[٧٣] وقد وصف نفسهِ قائلاً:

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع

في العصر ، او أنا أفقه الشعراء . [٧٤]

توفى عن عمر اربع وثمانين عام .[٧٥]

الشعر:

هو كلام ذو معنى موزون على قافية محددة ، ومن الممكن تعريفه على انه مجموعة من الالفاظ مرتبة بطريقة على قواعد الوزن والقافية .[٧٦] وقد برع العديد من الشعراء في مدينة أرجان أبرزهم :

- **ناصح الدين الأرجاني (ت ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩م) :**

يُعد من ابرز شعراء مدينة أرجان حامل لواء الشعر في المشرق الإسلامي عامة سبقت الأشارة اليه كونهِ من ابرز فقهاء أرجان ، أشتغل بالأدب فبلغ فيه المبلغ المشهور

ذكر بأن له شعر رائق في غاية الحسن .[٧٧] وجل شعره في موضوعات المديح ، والوصف ، والشكوى ، والحكم ، والأمثال ، والفخر ، ولهُ " ديوان كبير " [٧٨] من شعرهِ قائلاً:

ومن النوائب أنني في مثل هذا الأمر نائب

ومن العجائب أنَ لي صبراً على هذي العجائب . [٧٩]

التصوف :

ذكُر الطوسي[٨٠] بأنه " **علم الفتوح بفتح الله تعالى على قلوب أوليائه في فهم كلامه ومستنبطات** خطابه **ماشاء كيف شاء** "

وورد علم التصوف عند ابن خلدون[٨١] " **هو علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تنزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، طريقة الحق والهداية ، واصلها العكوف على العبادة والأنقطاع الى الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد في مايقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والأنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة** " . وقد ظهر هذا العلم جليا في مدينة أرجان وممن كان من الصوفية هم :

- **أبو منصور الصوفي (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م)** : هو عمر بن احمد بن محمد بن موسى الصوفي الحنفي ، فاضل، ثقة، حافظ ، زاهد لازم طريق السلف . [٨٢] فلم يخالط الناس وكان متعبداً منعزلاً على طريق السلف من أحدى القرى في كورة أرجان من أقليم فارس.[٨٣] ويذكر القرشي[٨٤] أنه من مدينة جور نسبة الى الجور بلدة من بلاد فارس .

علم الكلام :

ذكره ابن خلدون[٨٥] " **بانه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية ، بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الأعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة** ".

١-**أبو البركات الفارسي (ت٤٦٥هـ/١٠٧٢م)** : هو عبد الرحمن بن موفق بن يوشي الفارسي من كورة ولد ونشأ في ارجان ، انتقل الى دمشق ودرس على ايدي فلاسفتهم ثم انتقل الى الديار المصرية وكان يعد من افضل الفلاسفة في مصر ، خدمه في عمله أهالي مصر ومشهورة بالجود والمعرفة في عمله توفي ودفن في مصر.[٨٦]

٢-**الحكم الفارسي (ت٥٤٧هـ/ ١٠٥٢م)** : هو عمرو بن احمد بن علي الفارسي كان من كورة أرجان عاش حياة صعبة في طفولتهِ بسبب فقر والديه وتتجه منذ الصبا الى العلم واخيراً استقر الى علم الكلام الذي كان مزدهراً في عصره وأنتقل الى المغرب وخاصة الى قرطبة وتعلم الكثير من العلوم وانتقل الى الاندلس وتوفي فيها .[٨٧]

المحور الرابع : علماء مدينة أرجان في العلوم التطبيقية وأبرز من وفد اليها .

اولاً : الطب والصيدلة :

١-ابن العباس الفارسي (ت٤٥٧هـ/١٠٦٥م):

علي بن العباس الفارسي كان طبيباً مجيداً متميزاً في صناعة الطب مولده في إقليم فارس في كورة أرجان وانتقل وعائلته الى الأحواز وأستقر فيها ، صنف الكتاب المشهور الذي يعرف بالملكي وصنف كتاباً آخر في الطب قبل ابن العباس وسميً بالملكي أيضاً والذي كان مكملاً لكتابهِ الأول .[٨٨]

٢-أبو منصور الفارسي (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) :

الحسن بن نوح الفارسي ، كان مولده ومنشأ في أحدى القرى من كورة أرجان في إقليم فارس ، كان سيد وقته وأوحد زمانه مشهور بالجود في صناعة الطب محمود الطريق في أعمالها وأصولها ، وفروعها ، وكان يشخص المرضى ويهيأ لهم الأدوية وعُرف عنه حسن المعالجة ، جيد المداواة ، متميزاً بين أقرانهِ ، كثيري الأحترام له .[٨٩]

ثانياً : علم الحساب :

وهو العلم الذي من خلاله نتوصل الى استخراج المجهولات العددية ، فموضوعه الاعداد من جهة خواصها ولوازمها ، وهو من العلوم الرياضية ، والتعليمية المهمة ، إذ يبحث فيه عن عوارضه الذاتية .[٩٠]

١-سعد الدين الفارسي (٥٠٠هـ/١١٠٦م):

هو إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الجبار المعروف بسعد الفارسي ولد ونشأ في كورة أرجان ، عرف كثير من العلوم منها العلوم العددية ، والحساب ، وسافر الى الشام مدة ثم رجع الى إقليم فارس واصبح شيخاً ومعلماً في علم الحساب .[٩١]

ثالثاً : أبرز من وفد اليها :

- **أبو الطيب المتنبي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) :**

ممن وفد الى مدينة ارجان الشاعر أبو الطيب المتنبي إذ فارق بغداد متوجهاً الى حضرة ابي الفضل ابن العميد مراغماً للمهلبي الوزير فدخل ارجان ، يذكر ان الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان وأجرائهِ مجرى مقصودية من رؤساء الزمان وكتب اليه يلاطفه في أستدعائهِ ويضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المتنبي ... ولم يجبه عن **كتابه** ولا الى مراده وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز[٩٢] وهو يدل على ان الصاحب كاتبه الى ارجان فلم يعرج عليه وسافر من ارجان الى شيراز.[٩٣] وفي السنة ذاتها خرج المتنبي منها **الى** ارجان فحسن موقعه من ابن العميد ومدحه في قصيدة أولها :

باد هواك صبرت ام لم تصبرا وباد ان لم يجر دمعك او جرى
كم غر صبرك وأبتسامتك صاحباً لما رآه وفي الحشى ما لايرى[٩٤]

وذكر في أرجان قائلاً :

أرجان أيتها الجياد فأنه عزمي الذي يذر الوشيج مكسرا [٩٥]

الخلاصة:

بعد البحث والدراسة عن الحركة الفكرية في مدينة أرجان توصلنا الى نتائج عدة منها مايأتي .

١- مدينة أرجان عريقة في تكوينها يمتد ظهورها الى ماقبل الإسلام ، شجع موقعها الجغرافي المميز ، وتضاريسها المتنوعة ، على أزدهارها في مختلف الجوانب .
٢- ساعد الفتح الأسلامي لأرجان ، وأنتشار الإسلام فيها على بحث ودراسة مختلف العلوم والآداب عامةً .
٣- شجع أزدهار عوامل الحركة الفكرية في مدينة أرجان على تقدم الحركة الفكرية تحديداً ، والثقافية عامةً بما في ذلك دور المؤسسات التعليمية كالمساجد والمجالس العلمية .

٤- ساهم ظهور أسر أرجانية على نشر العلوم الدينية والصوفية مما ساعد على أنتشار الصوفية بين أبنائها ولأسباب معينة حتماً والذين وضعوا لهذا المذهب كتاباً قيماً في العقيدة ، والمبادئ الصوفية ، فضلاً عن تخرج العديد من العلماء من مدارسها ممن عرفوا بلقب (الأرجاني) .

٥- لم يقتصر ازدهارها على العلوم الفكرية فحسب بل شمل مختلف العلوم الأخرى ، بل ضلع علمائها في بحث ودراسة العلوم التطبيقية .

الهوامش :

١- السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م)، الأنساب ، تح : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، الناشر : محمد امين ، ط١، بيروت ، (د.مط ، ١٣٩٦-١٤٠٥هـ/ ١٩٧٦- ١٩٨٤م) ، ج١، ص١٧٣؛ ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، بيروت ، (دار احياء التراث العربي ، د. ت)، مج١ ، ص١٢٠.

٢- مجموعة من المؤلفين ، المعجم الوسيط ، القاهرة ، (مجمع اللغة العربية ،١٩٧٢م/ ١٣٩٢هـ)، ج1، ص13.

٣- الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح: جماعة من المختصين ، الكويت ، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،١٣٨٥-١٤٢٢هـ/١٩٦٥-٢٠٠١م)، ج٥ ، ص٤٠٢.

٤- https://asmaa.net/arjan-name-meaning

٥- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ/١٢٧٧م) ، مختار الصحاح ، الكويت ،(دار الكتاب الحديث، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص١٣.

٦- أبن منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر(ت٣٤٠ هـ/ ٩٥١ م) ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر ، ط٢ ، د.م ،(مطبعة دار الكتب ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ص٧٨ .

٧- شير ، ادي ، الالفاظ الفارسية المعربة ، بيروت، (المطبعة الكاثوليكية، ١٤٠١هـ/١٩٠٨م)، ص٨.

٨- ابن البيطار ، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن احمد المالقي (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الادوية ، موقع الوراق ، ج١، ص٢٢٧.

٩- https://njjm.xyz

١٠-**الاحواز**: وهي سبع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم ويجمعهن الأهواز . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج١، ص٢٢٧.

١١-**إقليم فارس** : ولاية واسعة وأقليم فسيح أول حدوده من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران ، سميت بفارس بن عَلَم بن نوح (عليه السلام) ، وقيل سميت نسبة الى فارس بن ماسور بن سام بن نوح ، وقيل بل سميت بفارس بن طهمورث وأليه ينسب الفرس لأنهم من ولده وكان ملكاً عادلاً قريب العهد من الطوفان وكان لهُ عشرة بنين وهم جم ، شيراز، أصطخر، وفسا، وخبابة ، وكسكر، وكلواذا ، وقرقيسيا ، وعقرقوف فأقطع كل واحد منهم البلد الذي سميً بهِ ، كورها المشهورة خمس فأوسعها كورة أصطخر ثم أردشير خُرَة ثم كورة دارابجرد ثم كورة سابور ثم كورة قباذخُرَة . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٣ ، ص٤٠٧ -٤٠٨ .

١٢- **نهر طاب** : وهو أحد انهار إقليم فارس يخرج من جبال أصبهان بقرب البُرْج فيصب الى نهر مسَن والأخير نهر يخرج من حدود أصبهان فيظهر بناحية السَرْدن فيجتمعان عند قرية تدعى مسَن ثم يجري الى باب أرَجان تحت قنطرة تكان وهي قنطرة بين فارس وخوزستان أي أنه يفصل بين أقليمي فارس وخوزستان (الأحواز)، فيسقي رستاق ريشهر ثم يقع في البحر عند حدً تسُتْر، ويعد من الأنهار الكبرى في إقليم فارس التي تجري فيها السفن .الأصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مسالك الممالك ، ليدن، (مطبعة بريل، ١٩٢٧م) ، ص٩٩ و ص١١٩؛ ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، صورة الارض، ط٢، ليدن، (مطبعة بريل، ١٩٣٨م) ، ق٢، ص٢٦٥ وص٢٧٤؛ ليسترينج ، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة وتعليق: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، (مطبعة الرابطة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، ص ٢٨٤ وص٣٤٠.

١٣- ابن الفقيه، أبو عبد الله احمد بن محمد بن إسحاق الهمداني(ت٣٦٥هـ/ ٩٧٥م) ، البلدان، تح : يوسف الهادي ، ط١، بيروت ، (عالم الكتب ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ص٤٠٦؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج١، ص١٤٣.

١٤- المقدسي، شمس الدين ابي عبيد الله محمد بن احمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، أحسن التقاسيم ، وضع مقدمته وحواشيه: محمد مخزوم، بيروت، (دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص٣٢٣.

١٥- **دارابجرد** : ولاية بفارس وهي قرية من كورة أصطخر ، وفيها معدن الزئبق ودارابجرد كذلك موضع في نيسابور. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٢، ص ٢٧٢.

١٦- الأصطخري ، مسالك الممالك ، ص٩٧؛ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ق٢ ، ص٢٦٤.

١٧- **سِيرافُ:** بكسر اوله وآخره فاء ، في الإقليم الثالث ، يذكر في سبب تسميتها أن كيكاوس لما حدَّث نفسه بصعود السماء صعد فلما نزل غاب عن عيون الناس أمر الله الريح بخذلانهِ فقط بسيراف فسمِّي بذلك لأن الشير هو اللبن وآب هو الماء ، ثم عربت فقلبت الشين الى سين والباء الى الفاء فقيل سيراف ، وهي مدينة جليلة على ساحل بحر فارس كانت قديماً فرضة الهند ، وذكر بأنها قصبة كورة اردشير خرَه من اعمال فارس . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٣ ، ص١٠٣.

١٨- الأصطخري ، مسالك الممالك ،ص١٢٨.

١٩- **ديار بكر** : وهي احدى الديارات التي يتألف منها إقليم الجزيرة ، بلاد كبيرة واسعة ، تنسب الى بكر بن وائل ، تقع غرب دجلة الى بلاد الجبل المطل على نصيبين ومنه حصن كيفا وقاعدتها مدينة آمد من مدنها ميافارقين . لمزيد من التفاصيل ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٢، ص ٣٣٠؛ ابن كثير ، تعريف بالاماكن الواردة في البداية والنهاية ، د. م،(د. مط ، د.ت)،ج٢ ، ص١.

٢٠- **ميافارقين** : وهي بلدة من بلاد الجزيرة قريبة من آمد الاسم مكون من مقطعين ميا لأن ميا بنت أُدهي التي بنت المدينة وفارقين هو خندق المدينة وبالاعجمية يقال لها باركين ، وان مابنيً منه بالصخر هو من بناء آنو شروان ومابنيً بالآجر فهو بناء أبرويز . السمعاني ، الانساب ، ج٩، ص٢١٨.

٢١- **آمد** : بالرومية (أميد) بلد حصين قديم على نهر دجلة يقع في منطقة ديار بكر بالجزيرة قرب ميافارقين ، ويطلق عليها ديار بكر باسم المنطقة التي توجد فيها ، نُسب اليها عدد كثير من العلماء يسميها الترك (قره آمد) أي آمد السوداء لسواد حجارتها ، وهي من الحصون القديمة . ابن كثير، تعريف بالاماكن الواردة في البداية والنهاية ، ج١، ص٦٤.

٢٢- **رامهرمز:** وهي مدينة مشهورة بنواحي خوزستان والعامة يسمونها رامز كسلا ، ومعنى رام بالفارسية المراد والمقصود وهرمز أحد الأكاسرة فكأن هذه اللفظة مركبة معناها مقصود هرمز او مراد هرمز ، وهي من مدن خوزستان . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٢، ص٣٨٢.

٢٣- **كورة سابور:** وهي أحد كور إقليم فارس ، كورة حسنة ومدنها كثيرة ابرزها النوبندجان ، ودشت ، والشاهجان ، وماهان ، وجنجان وغيرها . الادريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في أختراق الافاق، ط١، بيروت،(عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩)، ج١، ص ٤٠٥.

٢٤- **كورة أَرْدَ شِيرْ خُرَّة** : اسم مركب معناها بهاء أردشير وأردشير ملك من ملوك الفرس ، وهي من أجل كور فارس ومنها مدينة شيراز وجور وخَبْر وميمند والصيمكان والبُرْجان والخُوَار وسيراف وكام وفيروز وكازرون وغير ذلك من اعيان مدن فارس ، وهي كورة قديمة ، قصبتها سيراف . ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص١٢٢.

٢٥- **وكورة أصبهان** : مدينة عظيمة، وهي اسم لأقليم كانت مدينتها تسمى أولاً جيا، ثم صارت اليهودية، وهي من نواحي الجبل، وهي مدينة جليلة وواسعة. لمزيد من التفاصيل ينظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م) ، البلدان، وضع حواشيه : محمد أمين ضناوي ، ط١ ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م)، ص٨٥-٨٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص١٦٧-١٦٩.

٢٦- **أصطخر**: بلدة بفارس من الأقليم الثالث وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها أول من أنشأها أصطخر بن طهمورث . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج١ ، ص١٧١ ؛ رؤوف ، زينب مهدي ، المظاهر العمرانية لمدينة اصطخر من الفتح حتى سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م ، مجلة فصلية محكمة تصدر عن قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة – بغداد ، العدد (٣٦) ، ٢٠١٣م ، ص٥٩- ص٦٥.

٢٧- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج١، ص١٢٠؛ القزويني ، زكريا محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، آثار البلاد واخبار العباد، بيروت، (دار صادر، ١٩٦٠م) ، ص١٤١.

٢٨- **الجروم والصرود**: الجروم وهي الأماكن التي تبلغ من شدة الحر في الصيف لدرجة لاينبت عندهم شيء مثل رستاق الاغرستان ، اما الصرود هي أماكن تبلغ من شدة البرد ان لاينبت عندهم شيء من أنواع البقول والفاكهة سوى الزرع كالارد ... فالجروم الغالب عليها فساد الهواء والصرود تكون صحيحة الهواء . ابن حوقل ، صورة الأرض ، ق٢ ، ص ٢٨٩.

٢٩- **المرحلة** : وتساوي ست فراسخ . ينظر : المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٧١ .

٣٠- الأصطخري ، مسالك الممالك ، ص١٢٨؛ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ق٢ ، ص٢٦٩ وص٢٨٢.

٣١- **سجستان** : بلد جليل، وكورة متصلة المساكن، قليلة المدن، قصبتها العظمى زرنج وبست، ومن اهم مدنها كوين زنبوك، درهند، قرنين، وغيرها، ولها انهار تسقى المدن والضياع منها نهر الهلمند ونهر هيرميد، اسواقها عامرة، وهي بلاد حارة وبها نخيل ارضها سهلة. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ج٢، ص٤١١ وص٤٢٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٢٣-٢٤.

٣٢- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ق٢ ، ص٢٦٩؛ المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٥.

٣٣- **المومیا** : شيء ينحدر من رؤوس الجبال مع المياه ، ثم يجمد كالقار ويفوح منه رائحة زفت مخلوط بمر ، يذكر بان المومیا يخرج من العيون كالقار والنفط ، وهو صنف من القار ويسمى حيض الجبال ، ابن نقطة ، عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي موفق الدين (

ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م م) ، الأفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، ط١، القاهرة ، (مطبعة وادي النيل ، ١٢٨٦هـ) ، ص٣٦.

٣٤- القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص١٤١.

٣٥- القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص١٤١.

٣٦- ليسترينج ، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٨٤ وص٣٤٠.

٣٧- **أبي موسى الأشعري:** عبد الله بن قيس بن سليم بن مضار ، قدم مكة مع سعيد بن العاص بن امية واسلم في مكة ، وهاجر الى ارض الحبشة ثم قدم الى ارض الحبشة . ابن سعد ، محمد بن منيع أبو عبد الله البصري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) ، الطبقات الكبرى ، ط١، بيروت ، (دار صادر ، د.ت) ، ج٤، ص١٩.

٣٨- **عثمان بن ابي العاص الثقفي:** ابن بِشْرِ بن عبد دُهْمان بن أبان بن بُشتار بن مالك بن حُطيط أسلم في ثقيف استعمله النبي (ص) على الطائف فبقيً في عمله أيام خلافة عمر بن الحطاب (رض) توفى سنة (٥١هـ/ ٦٧١م) وله فتوح في بلاد الهند وبلاد فارس . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٤٠ ؛ خليفة بن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن ابي هبيرة الليثي العصفري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) ، تاريخ خليفة ، مراجعة ووضع حواشي : مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز ، بيروت ،(دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ) ، ج١ ، ص١٥٩ ؛ ابن قانع ، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي البغدادي (ت٣٥١هـ/٩٦٢ م) ، معجم الصحابة ، تح: صلاح بن سالم المصراتي ، المدينة المنورة (مكتبة الغرباء الأثرية ، ١٤١٨هـ) ، ج٢، ص٢٥٦.

٣٩- ابن الفقيه ، البلدان ، ص٤٠٦.

٤٠- ابن خياط ، تاريخ خليفة ، ج١، ص١١٥.

٤١- البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود(ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، فتوح البلدان ، بيروت ، (دار ومكتبة الهلال ، ١٩٨٨م) ، ص٣٧٦.

٤٢- البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٨٠.

٤٣- الحميدي ، عبد العزيز عبد الله ، عمارة المساجد المعنوية وفضلها ، (المملكة العربية السعودية ، وزارة الشؤن الأسلامية والأوقاف ، ١٩٩٨م) ، ص ١٤.

٤٤- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤، ص٣٦٢؛ الطبري ،محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك ، بيروت ،(دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ) ،ج٣، ص٩٢.

٤٥- ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٤٠٦.

٤٦- المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٥.

٤٧- ليسترينج ، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٣٤٠.

٤٨- السمعاني ، الانساب ، ج١، ص ١٧٤.

٤٩- **تُستَر**: بظم ثم السكون وفتح التاء الأخرى وراء ، وهي تعريب شُوشتر أعظم مدينة بخوزستان ، ذكر بأنها سميت بهذا الاسم نسبة الى تُستْر بن نون وهو رجل من بني عجل أفتتحها فسميت بهِ ، المعنى الاخر انها شوشتر بإعجام الشينين تعني النزه والحسن والطيب ، وهي على مكان مرتفع من الأرض . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج١ ، ص٤٤٣.

٥٠- السمعاني ، الانساب ، ج١، ص ١٧٤.

٥١- السمعاني ، أدب الأملاء والأستملاء ، تح : ماكس فايسفايلر ، ط١ ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ، ص١٧٩.

٥٢- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن ابي بكر(ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان ، تح: احسان عباس ، بيروت ، (دار صادر، د.ت) ، ج٦ ، ص٢٦٨ .

٥٣- شفق ، رضا زادة، تاريخ الادب الفارسي ،القاهرة ، (دار الفكر العربي ، ١٩٤٧م) ، ص ١١١؛ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، عني بتصحيحه وطبعه : محمد شرف الدين ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م) ، ج٦، ص١١٨٢.

٥٤- ابن حبيب النيسابوري ، أبو القاسم الحسن بن محمد (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، عقلاء المجانين ، تح: محمد السعيد ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م) ، ص٩٦.

٥٥- منيمنة ، حسن ، تاريخ الدولة البويهية السياسي والأقتصادي والأجتماعي والثقافي (٣٣٤- ٤٤٧هـ/ ٩٤٥- ١٠٥٥م)، د. م،(الدار الجامعية ، ١٤٠٧هـ) ، ص٣٢٠.

٥٦- منيمنة ، حسن ، تاريخ الدولة البويهية ، ص٣٢١.

٥٧- علي ، وفاء محمد ، الخلافة العباسية في عهد التسلط البويهي ، الأسكندرية ، (المكتب الجامعي الحديث ، د.ت) ، ص١٢٨.

٥٨- القرطبي ، أبو عبد الله بن احمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ/١٢٧٣م) ،الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ،(د. مط ، ١٩٣٥م)، ج١ ، ص ٣٩.

٥٩- السمعاني ، ادب الاملاء والاستملاء ، ص١٧٩؛ ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، بيروت ، (مكتبة المعارف ، د. ت) ، ج١١ ، ص١١٤.

٦٠- **نيسابور** : وتعرف بابرشهر، ذات حدود واسعة، ورساتيق عامرة ولها قهندز وربض ومسجد وجامعها في ربضها وليس لها ماء جار إلاَّ نهر يخرج اليهم في السنة، ولا يدوم ماؤه . لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن حوقل ، صورة الارض، ق٢، ص٤٣١-٤٣٤؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٤ ، ص٤٢٣وص٤٢٤.

٦١- **الري** : اسم مدينة الري هو المحمدية، وسميت بذلك لان الخليفة العباسي المهدي قد نزل فيها عندما كان واليا في عهد الخليفة العباسي المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م)، افتتحت على يد القائد قرظة بن كعب الانصاري في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رض) سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م، شرب اهلها من عيون كثيرة واودية عظام، للمدينة رساتيق واقاليم عدة، وهي مدينة عامرة كبيرة، لها ابواب عدة منها باب الطاق وباب هشام وغيرها، ولها حصن وفيها مسجد جامع. لمزيد من التفاصيل ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٣١٣؛ اليعقوبي احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)، البلدان، وضع حواشيه؛ محمد امين ضناوي، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٨٩-٩٠؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج٤ ، ص٤٧١.

٦٢- البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٩٢هـ/ ١٠٣٧م) ، الفرق بين الفِرق ، ط٢ ، بيروت ، (دار الكتب العالمية ، ١٤٦٢م) ، ص٢٤.

٦٣- حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج٦، ص١١٨٢.

٦٤- طاش كبرى زادة ، احمد بن مصطفى (ت٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، مراجعة وتحقيق : كامل كامل بكري ، عبد الوهاب أبو النور ، القاهرة ، (دار الكتب الحديثة)، مج١، ص٤٣٧.

٦٥- **مرو** : وهي اشهر مدن خراسان وقصبتها، وسميت بـ – مرو الشاهجان – لأن الشاهجان فارسية معناها – نفس السلطان – لأن – الجان – هي النفس أو الروح و –الشاه – هو السلطان سميت بذلك لجلالتها. لمزيد من التفاصيل ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ٩٨-١٠٠؛ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٥٣.

٦٦- أبو نعيم الاصبهاني ، أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط٤، بيروت ، (دار الكتب العربية ، ١٩٨٥م) ، ج٨، ص ٢٨١.

٦٧- ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت٥١٧هـ/ ١١٧٥م) ، تاريخ مدينة دمشق ، تح: علي شيري ، بيروت ،(دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م) ،ج٧، ص ٢٨٥.

٦٨- السبكي ، أبو ناصر عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ/ ١٣٥٩م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تح: عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢، القاهرة ، (هجر لطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت) ، ج٤ ، ص٣٠٥.

٦٩- العيني ، بدر الدين ابي محمد محمود بن احمد بن العيني الحنفي (ت٨٥٥هـ/ ١٤٢١م) ، الاخبار في شرح رجال معاني الآثار ، تح: محمد حسن أسماعيل ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٩٧١م) ، ج١، ص٢٧٦.

٧٠- الجرجاني ، التعريفات ، ص١٤٧.

٧١- موسى ، محمد يوسف ، الفقه الإسلامي ، بيروت ، (دار صادر ، ١٩٨٤) ، ص١١.

٧٢- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تح: مصطفى عبد القادر ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م) ، ج٩ ، ص ٢٢٤؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢، ص١٥٣ ؛ ابن شهبة ، أبو بكر احمد بن محمد بن عمر (ت٨١٥هـ/١٤٤٧م) ، طبقات الشافعية ، تح: الحافظ عبد العليم خان ، بيروت ، (عالم الكتب ، ١٤١٧هـ) ، ج٢، ص٢٤٧.

٧٣- السمعاني ، الانساب ، ج١، ص ١٧٤؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج١ ، ص١٥١ وص١٥٢ ؛ الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) ، العبر في خبر من غبر، تح : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، د.ت) ، ج٢ ، ص ٤٦٦؛ الأسنوي ،عبد الرحيم جمال الدين (ت٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م) ، طبقات الشافعية ، تح : كمال يوسف الحوت ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) ، مج١، ص٦٣ وص٦٤؛ مجموعة مؤلفين ، معجم الشعراء العرب ، د. م(د. مط ، د.ت) ، ص٢٢١٩

٧٤- الأسنوي ، طبقات الشافعية ، مج١، ص٦٣.

٧٥- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١، ص١٥٢؛ الأسنوي ، طبقات الشافعية ، مج١، ص٦٣ وص٦٤؛ مجموعة مؤلفين ، معجم الشعراء العرب ، ص٢٢١٩.

٧٦- التهانوي ، محمد بن علي الفاروقي ، كشاف أصطلاحات الفنون ، وضع حواشي : احمد حسن صبيح ، ط١، بيروت ،(دار الكتب العلمية ١٩٩٨)، مج٣، ص٤٧٩.

٧٧- السمعاني ، الانساب ، ج١، ص ١٧٤؛ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص١٥١ وص١٥٢ ؛ الذهبي ، العبر ، ج٢ ، ص ٤٦٦؛ الأسنوي ، طبقات الشافعية ، مج١، ص٦٣ وص٦٤؛ مجموعة مؤلفين ، معجم الشعراء العرب ، ص٢٢١٩.

٧٨- ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ، ص١٥١ وص١٥٢ ؛ مجموعة مؤلفين ، معجم الشعراء العرب ، ص٢٢١٩.

٧٩- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١، ص١٥٢؛الأسنوي ، طبقات الشافعية ، مج١، ص٦٣.

٨٠ - أبو نصر السراج ، عبد الله بن علي (ت٣٧٨هـ/ ٩٨٨م) ، اللمع في التصوف ، تح: عبد الحليم محمود وطه الباقي السرور ، بغداد ، (مكتبة المتنبي ، ١٩٦٠م) ، ص٣٧ .

٨١- عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) ، المقدمة ، بيروت ، (دار العلوم ، ١٩٨٤م) ، ص٤٦٢.

٨٢- السمعاني ، التحبير في المعجم الكبير، تح : منيرة ناجي سالم ، ط١، بغداد ، (رئاسة ديوان الأوقاف ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ج٢، ص٣٣١.

٨٣- القرشي ، عبد القادر بن ابي الوفا محمد بن ابي الوفاء (ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م) ، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، كراتشي ، (دار نشر مير محمد ، د.ت) ، ص٢٥٠.

٨٤- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، ص٢٥٠.

٨٥- المقدمة ، ص٤٨٥.

٨٦- ابن ابي أصيبعة ، احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس(ت٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) ،عيون الانباء في طبقات الأطباء ، تح: نزار رضا ، بيروت ، (دار مكتبة الحياة ، د.ت) ، ص٥٣٧.

٨٧- ابن ابي أصيبعة ، عيون الانباء، ص٤٤٥وص٤٤٦.

٨٨- ابن ابي أصيبعة ، عيون الانباء، ص٢٩٤وص٢٩٥.

٨٩- ابن ابي أصيبعة ، عيون الانباء، ص٣٩٩ وص٤٠٠.

٩٠- حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج١ ، ص٦٦٣.

٩١- شلبي ، احمد ، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط٢، القاهرة ،(مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩م) ، ص ٤٠٤.

٩٢- **شيراز**: بالكسر واخره زاي وهي قصبة بلاد فارس تقع في الاقليم الثالث، ذهب بعض النحويين ان اصلها شراز وجمعها شراريز، وهي مما استجد عمارتها، واقتطاعها في الاسلام، وقد شبهت بجوف الاسد لانه لا يحمل منها شيء الى جهة من الجهات بل يحمل اليها ولذلك سميت بشيراز. لمزيد من التفاصيل ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص٢٠٣؛ المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٣٢٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص١٦٩ ؛ رؤوف ، زينب مهدي ، التخطيط العام لمدينة شيراز حتى نهاية القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي ، بحث منشور في مجلة كلية الأداب ، جامعة بغداد ، العدد (٩١) ، ٢٠٠٨م ، ص٨١ ومابعدها .

٩٣- الأمين ، محسن ، اعيان الشيعة ، تح: حسن الأمين ، بيروت ،(دار المتعارف للمطبوعات ، د.ت) ، ج٢، ص٥٣٥ .

٩٤- الأمين ، محسن ، اعيان الشيعة ، ج٢، ص٥٣٥ .

٩٥- الأمين ، محسن ، اعيان الشيعة ، ج٢، ص٥٣٥ .

المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر الأصيلة .

- **ابن ابي أصيبعة ، احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين أبو العباس(ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) .**

١- عيون الانباء في طبقات الأطباء ، تح: نزار رضا ، بيروت ، (دار مكتبة الحياة ، د.ت).

- **الأسنوي ،عبد الرحيم جمال الدين (ت٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م) .**

٢- طبقات الشافعية ، تح : كمال يوسف الحوت ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

- **الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م).**

٣- مسالك الممالك ، ليدن، (مطبعة بريل، ١٩٢٧م).

- **الاصبهاني ، أبو نعيم احمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م).**

٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط٤، بيروت ، (دار الكتب العربية ، ١٩٨٥م).

- **الادريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م).**

٥- نزهة المشتاق في أختراق الافاق، ط١، بيروت،(عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩).

- **ابن البيطار ، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن احمد المالقي (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م).**

٦- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، موقع الوراق .

- **البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٩٢هـ/ ١٠٣٧م) .**

٧- الفرق بين الفِرق ، ط٢ ، بيروت ، (دار الكتب العالمية ، ١٤٦٢م).

- **البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) .**

٨- فتوح البلدان ، بيروت ، (دار ومكتبة الهلال ، ١٩٨٨م).

- **ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).**

٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تح: مصطفى عبد القادر ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م).

- **الجرجاني ، أبن منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر(ت٤٠٣هـ/ ٩٥١م).**

١٠- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر ، ط٢ ، د.م ،(مطبعة دار الكتب ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

- **ابن حبيب النيسابوري ،أبو القاسم الحسن بن محمد (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) .**

١١- عقلاء المجانين ، تح: محمد السعيد ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م) .

- **ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م).**

١٢- صورة الارض، ط٢، ليدن، (مطبعة بريل، ١٩٣٨م).

- **ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن ابي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).**

١٣- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح: احسان عباس ، بيروت ، (دار صادر ، د.ت) .

- **ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).**

١٤- المقدمة ، بيروت ، (دار العلوم ، ١٩٨٤م).

- **ابن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن ابي هبيرة الليثي العصفري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م).**

١٥- تاريخ خليفة ، مراجعة ووضع حواشي : مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز ، بيروت ،(دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ).

- **الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) .**

١٦- العبر في خبر من غبر، تح : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، د.ت) .

- **الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ/١٢٧٧م).**

١٧- مختار الصحاح ، الكويت ،(دار الكتاب الحديث، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

- **السبكي ، أبو ناصر عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ/ ١٣٥٩م).**

١٨-طبقات الشافعية الكبرى ، تح: عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢، القاهرة ، (هجر لطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت).

- **السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م).**

١٩-الأنساب ، تح : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، الناشر : محمد امين ، ط١، بيروت ، (د.مط ، ١٣٩٦- ١٤٠٥هـ/ ١٩٧٦- ١٩٨٤م).

٢٠-أدب الأملاء والأستملاء ، تح : ماكس فايسفايلر ، ط١ ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٢١-التحبير في المعجم الكبير، تح : منيرة ناجي سالم ، ط١، بغداد ، (رئاسة ديوان الأوقاف ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

- **ابن سعد ، محمد بن منيع أبو عبد الله البصري (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) .**

٢٢-الطبقات الكبرى ، ط١، بيروت ، (دار صادر ، د.ت).

- **ابن شهبة ، أبو بكر احمد بن محمد بن عمر (ت٨١٥هـ/١٤٤٧م).**

٢٣-طبقات الشافعية ، تح: الحافظ عبد العليم خان ، بيروت ، (عالم الكتب ، ١٤١٧هـ).

- **طاش كبرى زاده ، احمد بن مصطفى (ت٩٦٨هـ/ ١٥٦١م).**

٢٤- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، مراجعة وتحقيق : كامل كامل بكري ، عبد الوهاب أبو النور ، القاهرة ، (دار الكتب الحديثة).

- **الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م).**

٢٥- تاريخ الرسل والملوك ، بيروت ،(دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ).

- **ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت٥١٧هـ/ ١١٧٥م).**

٢٦- تاريخ مدينة دمشق ، تح: علي شيري ، بيروت ، (دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٩٥م).

- **العيني ، بدر الدين ابي محمد محمود بن احمد بن العيني الحنفي (ت٨٥٥هـ/ ١٤٢١م).**

٢٧- الاخبار في شرح رجال معاني الآثار ، تح: محمد حسن أسماعيل ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٩٧١م).

- **ابن الفقيه ، أبو عبد الله احمد بن محمد بن إسحاق الهمداني(ت٣٦٥هـ/ ٩٧٥م).**

٢٨- البلدان، تح : يوسف الهادي ، ط١، بيروت ، (عالم الكتب ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

- **ابن قانع ، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي البغدادي (ت٣٥١هـ/ /٩٦٢ م) .**

٢٩- معجم الصحابة ، تح: صلاح بن سالم المصراتي ، المدينة المنورة (مكتبة الغرباء الأثرية ، ١٤١٨هـ).

- **القرشي ، عبد القادر بن ابي الوفا محمد بن ابي الوفاء (ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م).**

٣٠- الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، كراتشي ، (دار نشر مير محمد ، د.ت).

- **القرطبي ، أبو عبد الله بن احمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ/١٢٧٣م).**

٣١- الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ،(د. م ، ١٩٣٥م).

- **القزويني ، زكريا محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م).**

٣٢- آثار البلاد واخبار العباد، بيروت، (دار صادر، ١٩٦٠م).

- **ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).**

٣٣- البداية والنهاية ، بيروت ، (مكتبة المعارف ، د. ت).

- **المقدسي ، شمس الدين ابي عبيد الله محمد بن احمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م).**

٣٤- أحسن التقاسيم ، وضع مقدمته وحواشيه: محمد مخزوم، بيروت، (دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

- **أبو نصر السراج ، عبد الله بن علي (ت٣٧٨هـ/ ٩٨٨م).**

٣٥- اللمع في التصوف، تح: عبد الحليم محمود وطه الباقي السرو، بغداد،(مكتبة المتنبي، ١٩٦٠م).

- **ابن نقطة ، عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي موفق الدين (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م).**

٣٦- الأفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، ط١، القاهرة ، (مطبعة وادي النيل ، ١٢٨٦هـ).

- **ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .**

٣٧ – معجم البلدان ، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، بيروت ، (دار احياء التراث العربي ، د. ت).

- **اليعقوبي ، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م).**

٣٨-البلدان، وضع حواشيه؛ محمد امين ضناوي، ط١، بيروت، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

ثانياً : المراجع الحديثة .

- **التهانوي ، محمد بن علي الفاروقي .**

١- كشاف أصطلاحات الفنون ، وضع حواشي : احمد حسن صبيح ، ط١، بيروت ،(دار الكتب العلمية ١٩٩٨)،

- **الأمين ، محسن.**

٢- اعيان الشيعة ، تح: حسن الأمين ، بيروت ،(دار المتعارف للمطبوعات ، د.ت) .

- **حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله .**

٣- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، عني بتصحيحه وطبعه : محمد شرف الدين ، بيروت ، (دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م) .

- **الحميدي ،عبد العزيز عبد الله .**

٤- عمارة المساجد المعنوية وفضلها ، (المملكة العربية السعودية ، وزارة الشؤن الأسلامية والأوقاف ، ١٩٩٨م).

- **الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني .**

٥- تاج العروس من جواهر القاموس ، تح: جماعة من المختصين ، الكويت ، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،١٣٨٥-١٤٢٢هـ/١٩٦٥-٢٠٠١م)

- **شفق ، رضا زادة .**

٦- تاريخ الأدب الفارسي ، القاهرة ، (دار الفكر العربي ، ١٩٤٧م) .

- **شلبي ، احمد .**

٧- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط٢، القاهرة ، (مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩م) .

- **شير ، أدي .**

٨- الالفاظ الفارسية المعربة ، بيروت، (المطبعة الكاثوليكية، ١٤٠١هـ/١٩٠٨م).

- **علي ، وفاء محمد .**

٩- الخلافة العباسية في عهد التسلط البويهي ، الأسكندرية ، (المكتب الجامعي الحديث ، د.ت).

- **ليسترينج ، كي .**

١٠- بلدان الخلافة الشرقية ، نقله الى العربية : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ، (مطبعة الرباط ، ١٩٥٤م) .

- **منيمنة ، حسن .**

١١- تاريخ الدولة البويهية السياسي والأقتصادي والأجتماعي والثقافي (٣٣٤- ٤٤٧هـ/ ٩٤٥-١٠٥٥م)، د. م،(الدار الجامعية ، ١٤٠٧هـ) .

- **مجموعة مؤلفين ،**

١٢- المعجم الوسيط ، القاهرة ، (مجمع اللغة العربية ،١٩٧٢م/ ١٣٩٢هـ).

- **مجموعة مؤلفين .**

١٣-معجم شعراء العرب ، ، د. م(د. مط ، د.ت).

- **موسى ، محمد يوسف .**

١٤- الفقه الأسلامي ، بيروت ، (دار صادر ، ١٩٨٤).

ثالثاً : البحوث المنشورة في المجلات والدوريات .

- **رؤوف ، زينب مهدي .**

١- التخطيط العام لمدينة شيراز حتى نهاية القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي ، بحث منشور في مجلة كلية الأداب ، جامعة بغداد ، العدد (٩١) ، ٢٠٠٨م .

٢- المظاهر العمرانية لمدينة اصطخر من الفتح حتى سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م ، مجلة فصلية محكمة تصدر عن قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة – بغداد ، العدد (٣٦) ، ٢٠١٣م.

رابعاً : المقالات على الانترنت .

١- https://asmaa.net/arjan-name-meaning

٢- https://njjm.xyz

الاحتلال الفرنسي لتونس

م.م. عمر لطيف جاسم

وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد الكرخ الثالثة

الاحتلال الفرنسي لتونس

م. م . عمر لطيف جاسم

المستخلص

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عام ١٨٣٠ أولت فرنسا اهتماماً خاصاً لتونس التي عدتها امتداد للجزائر من الجهة الشرقية وهذا ما نراه واضحاً في مؤتمر برلين المنعقد عام ١٨٧٨ الذي عقدته الدول الاستعمارية الأوربية لتقاسم مناطق النفوذ في شمال أفريقيا والذي أعطى الحق لفرنسا في احتلال تونس وأخذت فرنسا تختلق الذرائع لاحتلالها فكانت المشاكل على الحدود الجزائرية ـ التونسية ودخول قبائل بنو خمير الأرض الجزائرية والتي بدأت تضايق القوات الفرنسية وتشن غارات عليها هي التي أعطت الحجة لفرنسا في حشد قواتها العسكرية للدخول إلى الأراضي التونسية والتوجه إلى العاصمة تونس وفرض معاهدة ١٢آيار ١٨٨١والتي سلبت تونس كل مقومات الدولة واستمرت باحتلال باقي المدن التونسية وبذلك استطاعت فرنسا من تحقيق أطماعها الاستعمارية باحتلال تونس، إلا إن الاحتلال قوبل برفض شعبي من القبائل التونسية مما أدى إلى قيام حركة المقاومة الشعبية التونسية التي امتد لهيبها إلى جميع أرجاء تونس.

الكلمات المفتاحية : الاحتلال الفرنسي ، تونس ، المقاومة .

Abstract

After the French occupation of Algeria in 1830, France paid special attention to Tunisia, which it considered an extension of Algeria from the eastern side. This is what we see clearly in the Berlin Conference held in 1878, which was held by the European colonial countries to divide the areas of influence in North Africa, which gave France the right to occupy Tunisia. France began to invent pretexts to occupy it. The problems on the Algerian-Tunisian border and the entry of the BanuKhemir tribes into Algerian territory, which began to harass the French forces and launch raids on them, were what gave France the pretext to mobilize its military forces to enter Tunisian territory and head to the capital, Tunis, and impose the Treaty of May

12, 1881, which robbed Tunisia of all the components of the state. It continued to occupy the rest of the Tunisian cities. Thus, France was able to achieve its colonial ambitions by occupying Tunisia. However, the occupation was met with popular rejection from the Tunisian tribes, which led to the rise of the Tunisian popular resistance movement, the flames of which spread to all parts of Tunisia.

Keywords: French occupation, Tunisia , resistance

المقدمة

شهد القرن التاسع عشر تسابق الدول الأوربية على مناطق النفوذ في شمال أفريقيا وذلك لتصفية ممتلكات الدولة العثمانية وبالأخص تونس التي كانت محط تنافس إيطاليا وإنكلترا وفرنسا وذلك بفعل موقعها الجغرافي المميز وتعد البوابة الشرقية للقارة الأفريقية ومنذ أن وطأت أقدام فرنسا أرض الجزائر عام ١٨٣٠م أخذت تخطط من أجل احتلال تونس وتتحين الفرص والمناسبات للانقضاض عليها ، ، وبفضل سياستها الخارجية الاستعمارية تمكنت من وضع يدها على تونس وذلك من خلال مؤتمر برلين المنعقد في عام ١٨٧٨ الذي أعطى فرنسا الحق في احتلال تونس وبذلك استطاعت فرنسا وضع يدها على تونس وتذرعت بحجج واهية لاحتلالها ومن ثم فرض معاهدة باردو التي جردت تونس من سيادتها في مجالات الدفاع والسياسة الخارجية لتدخل تونس مرحلة جديدة من إيالة عثمانية ثم إلى محمية ثم إلى مستعمرة فرنسية وحكم البلاد حكماً غير مباشر بواسطة السلطة التقليدية بإبقائها في وظائفها ولكن بمراقبتها عن كثب .

خطة البحث :-

منهجية البحث: اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بغية تسليط الضوء على ما حصل من تطورات والكشف عن حقيقة السياسة الاستعمارية الفرنسية ومقاومة الشعب التونسي للاحتلال الفرنسي .

مشكلة البحث : تتضمن مشكلة البحث عن عدة تساؤلات سيتم الإجابة عليها في ثنايا البحث وهذه التساؤلات هي : ما هي الأسباب التي دفعت فرنسا إلى احتلال تونس ؟ وما هي الآثار التي ترتبت على هذا الاحتلال ؟ وما هي الأساليب المعتمدة من قبل الشعب التونسي في مقاومة الاحتلال الفرنسي ؟ وغيرها من التساؤلات .

أهمية البحث : تكمن أهمية البحث في فهم الأطماع التوسعية للدول الاستعمارية وسلب خيرات البلدان المستعمرة بحجج واهية وكذلك تكمن أهمية البحث في دور المقاومة الشعبية للدول المستعمرة وترسيخ روح المقاومة والتمرد على الاستعمار وأهدافه التوسعية .

هيكلية البحث

اعتمدنا في هذه الدراسة على خطة تتكون من مقدمة تطرقنا فيها إلى تسابق الدول الاستعمارية وخاصةً فرنسا من فرض هيمنتها على تونس ، وثلاث مباحث .

المبحث الأول تضمن دوافع الاحتلال الفرنسي لتونس أهمها هو دافع الاحتلال والهيمنة الاستعمارية والدافع الديني وهو إرجاع العرب إلى الديانة المسيحية ، ودافع البحث عن الأسواق وكذلك موقع تونس القريب من الجزائر وخوف فرنسا من شن القبائل التونسية الهجمات على القوات الفرنسية ومؤتمر برلين عام ١٨٧٨ الذي فرضت فيه الدول الأوربية تقسيم الدولة العثمانية والتي أعطت فرنسا حق احتلال تونس .

المبحث الثاني تضمن الاحتلال الفرنسي لتونس وبدأنا بمقدمة وتطرقنا إلى دخول القوات الفرنسية إلى الأراضي التونسية وموقف الباي محمد الصادق والدولة العثمانية من دخول القوات الفرنسية إلى البلاد التونسية وفرض معاهدة الحماية وكذلك اسلوب الإدارة الفرنسية بعد توقيع معاهدة باردو وتقدم الجيش الفرنسي واحتلال المدن التونسية .

المبحث الثالث تضمن المقاومة التونسية للتدخل الفرنسي في تونس شمل المقاومة في الشمال فقد تطرق إلى بداية المقاومة التونسية عند دخول القوات الفرنسية إلى تونس وفرض معاهدة الحماية على تونس و المقاومة في الجنوب التونسي وشملت المقاومة في الجنوب مدينة صفاقس ومدينة قابس والمقاومة في الساحل والوسط وكانت أهم معاقل المقاومة فيها في مدينة الحمامات وبنو حفيص ومنطقة الأربعين وزغوان ومن ثم الدفاع عن مدينة القيروان .

ثم أتممناها بخاتمة فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة .

المبحث الأول

دوافع الاحتلال الفرنسي لتونس

١-دافع الاحتلال والهيمنة الاستعمارية

فتحت الثورة الفرنسية التي قامت عام ١٧٨٩ أبواب النصر للفرنسيين وجعلتهم سادة أوربا حتى أصبحوا يملون أرادتهم على من يشاءون ولكنهم مع مرور الوقت خسروا كل ما بنته الثورة وبدأوا يتطلعون إلى إمبراطورية جديدة ليعوضوا ما خسروه لذلك بدأوا بالبحث عن سيطرة جديدة [١].

كانت الحملة الفرنسية على تونس عام ١٨٨١ بدافع التوسع الاستعماري الأوربي في وقت كانت فيه أوربا تتقدم نحو الازدهار والقوة والسيطرة ، حيث أصبحت تونس أمام أنظار الدول الأوربية محل تتنافس تلك القوى وخاصةَ فرنسا [٢] .

ومنذ أن تولى جول فيري [٣] رئاسة الحكومة الفرنسية أدرك أن الظروف مهيأة لاحتلال تونس وكانت رغبته في ذلك بتوقف النفوذ الإيطالي في تونس والسيطرة على الموانئ الإستراتيجية المهمة في بنزرت التي تعد أكبر الموانئ في البحر المتوسط ملاحة حيث كان يمثل قاعدة بحرية من الصنف الأول في البحر الأبيض المتوسط وهمزة وصل بين الشرق والغرب [٤].

٢-الدافع الديني :-

كان التوجه الفرنسي إلى القارة الأفريقية متمسكاً بالدافع الديني حيث كان ذلك كرد فعل على التوسع الإسلامي في أوربا [٥]، كانت تسمية الصراع بين الشرق والغرب وبين الإسلام والمسيحية قد نشأ منذ العصور الوسطى وما إن استطاعت أوربا إخراج المسلمين من بلاد الأندلس (اسبانيا والبرتغال) عام ١٤٩٢ كانت تتطلع لشن حملات ضد المسلمين انتقاماً منهم وتأمين عدم تكرار تقدم المسلمين إلى أوربا مرة أخرى[٦]، ساعدت الاستكشافات البحرية على اكتشاف سواحل أفريقيا وبذلك انطلقت البعثات التبشيرية إلى القارة الإفريقية تدعو إلى اعتناق الديانة المسيحية [٧].

كانت مطالبة رجال الدين الفرنسيين على إرجاع الشعب العربي إلى الديانة المسيحية حيث كانوا يعتقدون بأن الديانة المسيحية هي دين أغلبية أجدادهم وإن الدين الإسلامي قد

انتزع منهم المسيحية بالقوة ، وبذلك فقد اتفق جميع المبشرون والساسة على إن الدين الإسلامي في القرن الأفريقي هو العدو للكنيسة ولفرنسا [٨] .

بعد الانتصارات العسكرية الفرنسية في الجزائر عمد رجال الدين والساسة الفرنسيون على التطلع إلى تونس والاستثمار فيها وإقامة الكنائس حيث نشطت حركة نشر الديانة المسيحية بعد مطالبة الحكومة التونسية بالموافقة بشكل مبدئي بإقامة كنيسة في تونس في مدينة قرطاج تحمل اسم (سان لوي) [٩] .

٣-البحث عن الأسواق

مرت فرنسا بمرحلة كساد اقتصادي حيث تميزت فترة ما قبل احتلال فرنسا لتونس بانخفاض الأسعار والعائدات وسجلت فرنسا فوائض في بضاعتها وفي رؤوس أموالها . وفقدت الصناعة الميكانيكية أهم دعائمها وأدى ذلك إلى تسجيل فائضاً في المنتجات الفرنسية مما اضطر

الحكومة الفرنسية إلى تقليص طلبات الفولاذ ، وتوقفت عملية النمو في القطاعات الصناعية مما أضطر إلى طرد عدد كبير من اليد العاملة فيها [١٠] .

دفعت الشركات المالية الفرنسية التي كانت تهدف إلى تصدير جزء من بضاعتها التي تكدست في الأسواق الداخلية الحكومة الفرنسية للتوجه إلى تونس حيث كانت بأمس الحاجة إلى أسواق جديدة ومواطن للاستثمار [١١] .

كان لتطلع فرنسا إلى تونس واستثمار أموالها فيها وخاصة في الميدان الفلاحي الذي كان يوفر لهم أرباحاً كبيرة واستغلال أموالهم في البحث عن المواد الأولية ورخص اليد العاملة كل ذلك كان من شأنه أن ينشط كل أنواع الصناعات الثقيلة كالمناجم وصناعة الصلب والمنشآت الميكانيكية وصناعة وسائل النقل ويمكنها استرجاع مستوى إنتاجها إلى وضعه الطبيعي ، واستيعاب عدد كبير من العاطلين ، فتتسع بذلك السوق الداخلية الفرنسية وتنتعش الصناعات الخفيفة والصناعات الفلاحية ، فتستوعب بعض العمال وتساهم بدورها في حل مشكلة الشغل وهكذا تجد الحكومة الفرنسية من تصدير رؤوس الأموال حلاً لأزمتها الاقتصادية [١٢].

٤- موقع تونس القريب من الجزائر والخوف من الثورات التونسية :

كانت تونس تتمتع بموقع استراتيجي في القارة الأفريقية وعلى مقربة من القارات الثلاث وليس ببعيد من مضيق جبل طارق والبحر المتوسط والمحيط الأطلسي [١٣] .

وبعد أن تمكنت فرنسا من احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ حتى أصبحت القوات الفرنسية المحتلة للجزائر جارة لتونس حيث لم يكن يفصلها إلا حدود مرسومة ، وخوف فرنسا من أن تصبح تونس قاعدة لانطلاق حركات ثورية مؤيدة للشعب الجزائري من داخل الأراضي التونسية وتهديد وجودها في الجزائر [١٤] .

وتذرعت الحكومة الفرنسية بضرورة حماية الحدود الجزائرية لتدخل القوات الفرنسية لتونس متذرعة إن القوات الفرنسية تتعرض باستمرار لهجمات القبائل التونسية وخصوصاً قبائل بنو خمير [١٥] التي كانت تسكن على الحدود التونسية الجزائرية ، ومن ذلك بدأت فرنسا تخطط لاحتلال تونس وتنظم حملة عسكرية لمعاقبة القبائل التونسية المتواجدة على الحدود التونسية الجزائرية وتكوين إمبراطورية استعمارية في شمال أفريقيا [١٦] .

إن المناوشات على الحدود بين القبائل التونسية والجزائرية لم تكن وليدة شهر آذار ١٨٨١ بل تعود إلى زمن بعيد حيث سجلت السلطة الجزائرية ما لا يقل عن ٢٣٨٠ حادثة فيها بين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٨١ أي بمعدل ٢٠٠ حادثة في السنة وهذه الأحداث على حد تعبير هذه السلطات نفسها لا تمثل في نهاية الأمر سوى فرصة انتهزناها بسرعة للخروج من وضعية مزرية لتحقيق أهداف سياسة استعمارية وأكثر أهمية فلم تكن قضية قبائل بنو خمير إذن سوى تعلة واهية اتخذتها حكومة فرنسا لتشرع في شهر آذار ١٨٨١ في احتلال البلاد التونسية [١٧] .

٥- مؤتمر برلين وأثره في احتلال تونس

عقد مؤتمر برلين الذي دعت إليه النمسا في برلين في١٣حزيران عام١٨٧٨م برئاسة بسمارك [١٨]،حيث جرى في هذا المؤتمر تعديل معاهدة سان ستيفانو[١٩] ، حضر المؤتمر الدول الكبرى بريطانيا وروسيا وألمانيا والنمسا وممثلين عن بعض الدول الأخرى واشترطت فرنسا في قبولها حضور مؤتمر برلين عدم تعرض المؤتمر لمسائل لم تنص عليها معاهدة سان ستيفانو[٢٠].

عرض بسمارك في برلين تقسيم الدولة العثمانية فعرض على روسيا البوغازين (البسفور والدردنيل) وعلى بريطانيا مصر وعلى النمسا البوسنة والهرسك وإعطاء فرنسا تونس والشام ، كان عرض بسمارك إعطاء فرنسا لتونس هو إبعاد فرنسا عن المطالبة بماقطعتي (الألزاس واللورين) اللتان احتلتهما ألمانيا عام ١٨٧٠ وكذلك خلق عداء بين فرنسا وإيطاليا خصوصاً إن إيطاليا كانت أكثر دول العالم اهتماماً بتونس [٢١] .

وما كان من إيطاليا لتتخلى بالطبع عن مطامعها في تونس إلا إنها لم تلق دعماً فعلياً يُمكنها من تحقيق غاياتها ، بل عارضت انكلترا على العكس من ذلك هيمنة الإيطاليين على الإيالة التونسية لأن هذه الهيمنة تخول لهم مراقبة حوض مضيق صقلية وتمكنهم في نهاية الأمر من قطع طريق الهند الذي أصبح يمر بالبحر المتوسط منذ فتح قناة السويس ١٨٦٩[٢٢] .

بعد أن تخلت بريطانيا وألمانيا عن تونس في مؤتمر برلين وإعطائها تونس كهدية لها خرجت فرنسا بنجاح سياسي لتسويق مشروع الحماية الفرنسية على تونس دون الحاجة إلى خلق جبهة معارضة داخلية وخارجية محاولة تجنب الدخول بطرق عسكرية مباشرة حتى لا تدفع الكثير من أرواح جنودها إلا إذا دعت الضرورة لذلك [٢٣].

المبحث الثاني

الاحتلال الفرنسي لتونس

قررت الحكومة الفرنسية برئاسة جول فري في آذار ١٨٨١ احتلال البلاد التونسية وتم إعداد تخطيط متكامل بمراحله العسكرية والدبلوماسية وتبريراته ، وتتمثل الخطوة الأولى في احتلال شمال البلاد وفرض معاهدة الحماية على الباي محمد الصادق [٢٤] ، ثم تستكمل الخطوة الثانية وهي السيطرة على كامل البلاد التونسية واستند تبرير الحملة العسكرية إلى تعلة تدخل محدد لتأمين الحدود الفرنسية بالجزائر من غارات قبائل الشمال التونسي وخاصةً قبائل بنو خمير [٢٥] .

بعد الاستعدادات العسكرية مهدت فرنسا لحمايتها على تونس بإثارة مشكلة القبائل على الحدود التونسية الجزائرية وتضخيم هذه المشكلة بحيث أظهرت إن أمر هذه القبائل قد أفلت من يد حكومة الباي التونسية وإنها منذ زمن طويل تشق عصا الطاعة على حكومته ولا

تخضع لسلطاتها وأنها تشن غارات باستمرار على القرى والمدن الجزائرية ثم تفر إلى أوكارها في الجبال التونسية مما يكبد الفرنسيين خسائر جسيمة [٢٦] .

استغلت الحكومة الفرنسية المناوشات الحدودية ليومي ٣٠-٣١ آذار عام ١٨٨١ بين جنود فرنسيين وبعض التونسيين من قبائل بنو خمير للحصول على مصادقة البرلمان الفرنسي في ٧ نيسان ١٨٨١ على اعتمادات لعملية عسكرية قدمها جون فري على أنها مجرد تدخل أمني على الحدود التونسية الجزائرية ، وشنت حملة صحفية لتبرير التدخل الأمني المزعوم لدى الرأي العام الفرنسي ، على حين رفض الباي محمد الصادق طلب الحكومة الفرنسية تتبع القبائل المعنية داخل التراب التونسي [٢٧] .

دخول القوات الفرنسية إلى الأراضي التونسية

في يوم ٢٤ أبريل ١٨٨١ تسربت كتيبة فرنسية تضم ٣٥٠٠٠ ألف مقاتل من الجزائر إلى البلاد التونسية بقيادة الجنرال لوجيرو[٢٨] لمحاصرة قبائل بنو خمير وانقسمت باتجاهين الأول قام باحتلال مدينة الكاف[٢٩] في ٢٦أبريل وسوق الأربعاء وعين دراهم في ٢٩ أبريل أما الاتجاه الآخر قام باحتلال طبرقة [٣٠] يوم ٢٦ ابريل بقيادة وحدة المشرق البحرية بعد أن قصفتها بالقنابل[٣١].

قامت القوات الفرنسية بإنزال قواتها في ميناء بنزرت وبعد احتلال بنزرت تقدموا إلى العاصمة تونس في ١٢ أيار كانوا يعسكرون على بعد ٢٠ كيلو متر من قصر باردو[٣٢] .

موقف الباي محمد الصادق والدولة العثمانية من دخول القوات الفرنسية إلى البلاد التونسية

أما من جانب موقف باي تونس من الاحتلال الفرنسي قام بالاحتجاج لدى الدول الأوربية مطالباً توقف التدخل الفرنسي وإنقاذ البلاد كما طلب تدخل الدولة العثمانية باعتبارها راعية للدول الإسلامية لم يكتفي بهذا الحد حيث قام بإرسال جيش لصد الاحتلال الفرنسي إلا إن هذا الجيش عاد بسرعة ولم يكن له أي موقف أمام الاحتلال الفرنسي [٣٣] .

أما موقف الدولة العثمانية فما إن وصل نبأ تقدم القوات الفرنسية إلى تونس حتى اجتمع مجلس الوزراء العثماني وقرر التفاوض مع فرنسا أو تحكيم الدول الكبرى في قضية تونس إذ كانت

الدولة العثمانية تأمل أن لا تباشر فرنسا أي ضغط على حكومة باي تونس لقبول الحماية[٣٤].

لكن الدولة العثمانية قد وصلت إلى درجة كبيرة من الضعف حيث عجزوا عن تقديم العون والدعم للشعب التونسي الذين كانوا يتطلعون للدولة العثمانية لممارسة واجبها في هذه البلاد الإسلامية التي كانت تابعة للسلطة العثمانية [٣٥] .

فرض معاهدة باردو على الباي محمد الصادق

في ذلك اليوم أي في ١٢ آيار ١٨٨١ قدم القنصل الفرنسي(روستان)[٣٦] ، إلى الباي محمد الصادق نسخة المعاهدة المطلوب التوقيع عليها والتي كان قد وضعها جول فيري ، وأرسلت مع القائد الفرنسي بريار[٣٧] ، وأعطى الباي مهلة حتى الساعة التاسعة لقبول المعاهدة أو رفضها ، من جانب آخر قام الباي بالاجتماع بمجلس الدولة التونسي لعرض الأمر عليه وارتفعت أصوات بعض المعارضين من أعضاء المجلس وطلبوا المقاومة ودعوة الشعب إلى الجهاد [٣٨] . إلا إن الباي محمد الصادق كان مضطراً إلى قبول وتوقيع المعاهدة خاصةً وإنه في حال رفض المعاهدة فإن أخوه الطيب باي مستعداً لتوقيع معاهدة الحماية بعد الجلوس على العرش مكانه [٣٩]

في تلك الأثناء دخل القنصل الفرنسي روستان مع حاميه إلى قصر باردو بعد أن أعلم الباي رسمياً بهذه المقابلة وما كان من الباي إلا إن يخضع ويوقع على معاهدة باردو في ١٢ أيار ١٨٨١ والتي تكرس الهيمنة الفرنسية على البلاد التونسية [٤٠] .

نص معاهدة باردو أو (قصر السعيد)

إن دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس، لما كان من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتي حصلت أخيراً على حدود الدولتين وبسواحل المملكة التونسية وأن يحكما علاقات ودادهما القديم وروابط حسن الجوار، فقد اتفقنا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين الساميين المتعاقدين وبناءاً على ذلك فإن فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عين العماد بريار نائباً مفوضاً من طرفه فاتفق جنابه مع سمو الباي المعظم على البنود الآتية:-

البند الأول:- إن معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها.

البند الثاني:- لأجل تسهيل القيام بالإجراءات التي يتحتم على دولة الجمهورية الفرنسية اتخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بأن تحتل القوات العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تتفق السلطتان الحربيتان الفرنسية والتونسية ، وتقرران معاً بأن الإدارة المحلية قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العام.

البند الثالث:- تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كل خطر يمكن أن يهدد ذاته أو عائلته أو يعبث بأمن مملكته.

البند الرابع:- تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين السلطات التونسية ومختلف الدول الأوربية.

البند الخامس:- يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية في جميع القضايا التي تهم الجانبين.

البند السادس:- يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الأجنبية بحماية رعايا المملكة التونسية ومصالحها وفي مقابل ذلك يلتزم سمو الباي بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دولية من دون إعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدماً .

البند السابع:- تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها بحق الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسية من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة.

البند الثامن:- تفرض غرامة حربية على القبائل العاصية بالحدود والسواحل وتحدد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق.

البند التاسع:- لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الأسلحة والذخائر فإن دولة سمو الباي تتعهد بأن تمنع قطعاً إدخال السلاح والذخائر الحربية الأخرى بالمملكة التونسية.

البند العاشر:-يقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها وتسلم وثيقة التصديق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس في أقرب وقت ممكن

وكتب بالقصر السعيد في ١٢ ماي ١٨٨١

الإمضاء : محمد الصادق باي ـ العماد "بريار" (٤١).

اسلوب الإدارة الفرنسية بعد توقيع معاهدة باردو

توخت الحكومة الفرنسية الحذر في التعريف بسيادتها على البلاد التونسية مراعاة لمصالح الدول التوسعية الأوربية ولاسيما إيطاليا وتجنباً لإزعاج السلطة العثمانية وحرصاً على تيسير احتلال البلاد وإدارتها بأقل التكاليف الممكنة عسكرياً ومالياً وذلك بالحفاظ الشكلي على دولة البايات واستخدامها للسيطرة الفرنسية (٤٢) .

كان فرض فرنسا لصيغة الحماية بحثاً عن شكل آخر مغاير لتجربة ضم الجزائر إليها وكانت تلك التجربة قد كبدتها خسائر باهظة في المال والرجال ، فكانت الصيغة جديدة تتمثل في حكم البلاد حكم غير مباشر بواسطة السلطة التقليدية بإبقائها في وظائفها ولكن مراقبتها عن كثب ، وهكذا فإن دولة البايات وإدارتها ضلتا كما هما ولكن قام إلى جانبهما مراقبون فرنسيون من مقيم عام إلى جانب الباي ، وكاتب عام لدى الإدارة المركزية والوزراء التونسيين ، ومراقبين مدنيين في الولايات يشرفون على القياد وممثلي السلطة فيها ، أما شؤون الدفاع والعلاقات الخارجية فهي وحدها التي انتقلت بتمامها وكمالها إلى سلطة الحماية بمقتضى إبرام المعاهدات (٤٣)

من الملاحظ إن معاهدة باردو قد سلبت تونس كل مقومات الدولة المستقلة فهي تعطي القوات الفرنسية حق احتلال المراكز التي تراها صالحة لاستتباب الأمن وتضع الباي تحت حماية فرنسا التي تتعهد بحمايته هو وعائلته من أي خطر في مقابل ذلك على ألا يعقد الباي أي اتفاقية دولية مع دولة أجنبية دون علم فرنسا وبموافقتها مقدماً (٤٤) .

تقدم الجيش الفرنسي واحتلال المدن التونسية

ما إن وقعت معاهدة باردو اعتقدت السلطات الفرنسية بأن ملف القضية التونسية قد طوى الشيء الذي جعلها تشرع منذ١٠حزيران ١٨٨١في التخفيف من قواتها العسكرية والاقتصار على فرقتين تابعتين للجيش تعدادها ٦٠٠٠جندي،هذا التخفيف في عدد جنود جيش الاحتلال الفرنسي من٤٠٠٠٠إلى ٦٠٠٠ قد ساعد في تنامي حركة المقاومة التي امتدت ألسنة لهيبها بكامل أرجاء البلاد في صيف١٨٨١وهذا ما دفع بالحكومة الفرنسية إلى تعزيز جيوشها لمواجهة المواقف فأرسلت إلى البلاد التونسية ٨٤ كتيبة برية بغض النظر عن القوات البحرية [٤٥].

قام الجيش الفرنسي بالتوجه إلى صفاقس[٤٦] ، بعد نشوب المقاومة الوطنية فيها وظهور حركات داعمة للمقاومة المسلحة ، شرع الاسطول الفرنسي بقصف المدينة بالمدفعية لتكبيد المقاومة الشرسة فيها الكثير من الخسائر وما أن رأى الجيش الفرنسي قوة المقاومة حتى جاءت تعزيزات جديدة من الجيش الفرنسي وتمكنت من إنزال الجنود وتحت ضغط قذائف المدفعية الفرنسية إلا إن المقاومة تخلت عن المدينة بعد أن دكت بالمدفعية من طرف الأسطول الحربي الفرنسي الذي ضم ١٧ سفينة و ٦٠٠٠ آلاف جندي والتي أسفرت عن حوالي ألف شهيد [٤٧] .

بعد سقوط مدينة صفاقس توجه الجيش الفرنسي إلى خليج قابس [٤٨] في ٢٤ تموز ١٨٨١ وذلك لإسقاط مدينة قابس بعد ظهور المقاومة فيها وتكبيد قوات الاحتلال الفرنسي الخسائر الكبيرة وصمد الثوار أكثر من أربعة أشهر ولكن الجيش الفرنسي استطاع دخول المدينة في ٣٠ تشرين الثاني ١٨٨١ بعد أن جاءت تعزيزات عسكرية جديدة مكنته من احتلال مدينة قابس [٤٩].

توجه الجيش الفرنسي إلى مدينة القيروان وحرصت فرنسا على غزوها واحتلالها باعتبارها المدينة الثانية الكبرى بالإيالة التونسية ومركزها الروحي ، وقصد تهدئة الرأي العام بفرنسا ومجلس نوابها فشرعت بالسيطرة على الطرق المؤدية لها [٥٠] ، وانطلقت نحوها ثلاث جيوش جرارة في منتصف شهر أكتوبر ١٨٨١ :

الجيش الأول انطلق من مدينة تبسة الجزائرية على الحدود التونسية يوم ١٦ اكتوبر ١٨٨١.

الجيش الثاني انطلق من مدينة حمام الأنف يوم ١٧ أكتوبر .
الجيش الثاني انطلق من مدينة سوسة غرة أكتوبر [٥١] .

وما إن وصلت تلك الجيوش التي كان يقودها الجنرال أبيان إلى مدينة القيروان في ٢٦ أكتوبر حتى غادر ما بقى من المقاومين ودخل الجيش الفرنسي القيروان ، وباحتلال مدينة القيروان اختتمت سلسلة المعارك الكبرى بين الجيش الفرنسي والمقاومة التونسية [٥٢] .

توجه بعض المقاومين إلى الجنوب التونسي ومواصلة الكفاح والتي كانت موجهة لها حملة فرنسية استطاعت من السيطرة على مناطق الجنوب بقيادة الجنرال فليبر مع جيشه البالغ عدده ٥٠٠٠ آلاف مقاتل واستطاعت بذلك القوات الفرنسية من سيطرتها على كامل البلاد التونسية [٥٣].

وفي نهاية اكتوبر ١٨٨١ تم احتلال العاصمة تونس دون مقاومة كما حدث في القيروان ودخل الجنرال (maurand) المدينة لأن الجيش الفرنسي لم يدخلها يوم عقد معاهدة الحماية في ١٢ ايار ١٨٨١ تجنباً لما عسى أن يحدث من اضطرابات وقلاقل ومراعاة لاستسلام الباي محمد الصادق الذي طلب عدم اكتساح العاصمة [٥٤] .

المبحث الثالث

المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي

ما كادت الجيوش الفرنسية أن تضع قدمها على الأراضي التونسية حتى أعلنت القبائل التونسية رفضها للاحتلال فاندلعت الثورة في جميع أنحاء البلاد التونسية كل ساهم حسب إمكانياته حتى لا يحس المحتل بالاستقرار والهدوء [٥٥] ، والشعب التونسي كغيره من الشعوب التي تعرضت للاحتلال لم يستسلموا لسياسة الأمر الواقع واجتهدوا بما لديهم من وعي ونضوج سياسي وحس وطني من أن يوصلوا رسالة للمستعمر إن هذا الشعب ليس من اليسير احتلاله وإن كان الفارق في الإمكانيات وإنه لن يرضى بالعبودية والاستغلال [٥٦] .

المقاومة في الشمال

ما إن دخلت القوات الفرنسية الأراضي التونسية في ٢٤ أبريل ١٨٨١ حتى هبت القبائل لمقاومتها كانت قبائل بنو خمير وسكان الجبال عموماً في طليعة حركة المقاومة شمال البلاد ، فما أن سرى نبأ وصول السفن البحرية إلى ميناء طبرقة حتى هب متطوعون

من أولاد سعيد والحوامدة بقيادة شيوخهم للمقاومة ومواجهة الأعداء ولم تتمكن قوات الاحتلال الفرنسي من الاستيلاء على الكاف وطبرقة حتى ٢٦ أبريل ١٨٨١ بعد أن قصفتها بالمدفعية [٥٧] .

أما الفرع الآخر من قبائل بنو خمير فلم تغادر مواقعها بل بقيت لقطع الطريق على القوات القادمة من الجزائر واشتبكت معها في معارك كثيرة منها معركة بن بشير في ٣٠ابريل التي استشهد فيها حوالي ١٥٠ من التونسيين وظهر فيها التفوق المطلق لقوى النار الفرنسية أمام شجاعة المقاتلين التونسيين [٥٨]، في تلك الأثناء قامت القوات الفرنسية بإنزال قواتها في ميناء بنزرت وقامت باحتلال بنزرت في ماي ثم توجهت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال بريار إلى مدينة تونس بوحدة عسكرية تعدادها ٨٠٠٠ جندي [٥٩] .

اجتمع الباي محمد الصادق مع مستشاريه وذلك قبل يوم واحد من دخول القوات الفرنسية إلى قصر باردو يناقشهم في أوضاع تونس ومقاومة القوات الفرنسية التي تتقدم نحو تونس وأكد المجتمعون من رجال الشرطة والقضاء وأهل الفتوى إذا كان الباي يعلم أنه لا قوة ولا قدرة له على المقاومة وإن الشرع لا يرى مانعاً من الاستسلام لكن العربي زروق [٦٠] ، انتفض في وجه هؤلاء الذين لا يعبرون عن شرع أو شعب وإنما يعبرون عن مصالحهم واقترح على الباي مقاومة القوات الفرنسية المتوجهة إلى قصر باردو [٦١].

في ١٢ ايار ١٨٨١ دخلت القوات الفرنسية إلى قصر باردو بمعية القنصل الفرنسي روستان بعد أن أعلم الباي رسمياً بالمقابلة وما كان من الباي إلا أن يخضع ويوقع معاهدة باردو التي تكرس الهيمنة الفرنسية على البلاد التونسية[٦٢] .

بعدها أصدر الباي محمد الصادق أمره بعزل العربي زروق من جميع وظائفه وكان مصير العربي زروق معروفاً أما القتل بواسطة الباي أو الفرنسيين أو الهرب إلا إنه آثر الهرب بعد أن أشعل موقفه شرارة الجهاد [٦٣] .

اعتقدت القوات الفرنسية أنه بمجرد احتلال المناطق الإستراتيجية في الشمال وتوقيع الباي على معاهدة الحماية يمكنها أن تطمئن لوضعها دون أن تتكلف جيشاً جراراً ، لذلك سحبت عدداً كبيراً من قواتها[٦٤] . قامت القوات الفرنسية بتخفيض عدد جنودها من ٤٠٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ [٦٥] .

أدى توقيع معاهدة باردو في ١٢ ايار ١٨٨١ إلى انتشار الثورة الشعبية في جميع أنحاء البلاد وحمل الشعب التونسي السلاح للدفاع عن حريته واستقلاله ضد الاحتلال الفرنسي[٦٦].

هذا ما دفع الحكومة الفرنسية إلى تعزيز جيوشها لمواجهة الموقف ، فأرسلت إلى البلاد التونسية ٨٤ كتيبة برية بغض النظر عن القوات البحرية [٦٧].

بدأت الاتصالات الحقيقية للمقاومة بعد انعقاد الاجتماع العام للقبائل الرافضة للاحتلال في جامع عقبة بن نافع بالقيروان في ١٥ حزيران١٨٨١ ، وقبلت هذه القبائل تزعم علي بن خليفة [٦٨] قائد نفات ، وقد عبر الذين حضروا الاجتماع عن مواصلة الكفاح إلى النهاية وضرورة التنسيق بين عناصر المقاومة ، وقد عرفت الحركة انتشاراً واسعاً حتى إن فرنسا قدرت ما يكفيها لمقاومتها ٥٠ ألف جندي [٦٩] .

كانت إستراتيجية المقاومة ترمي إلى منع جيش الاحتلال من محاصرة صفاقس من جهة البحر والوقوف في وجهه حتى لا يتوغل داخل البلاد وقطع كل السبل المؤدية إلى القيروان[٧٠] .

المقاومة في الجنوب

المقاومة في مدينة صفاقس

يوم ٢٥ حزيران ١٨٨١ أعلنت صفاقس الثورة وحصنت المدينة وأغلقت الأبواب ووزعت الأسلحة على المقاتلين [٧١] ، كانت مدينة صفاقس إحدى قلاع المقاومة الصلبة تأسست فيها لجنة دفاع عن المدينة تضم ٥٠ عضواً تحت زعامة محمد الشريف قائد المدفعية في صفاقس وبرزت عمليات المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي حيث هوجمت قنصلية فرنسا وأطاح المقاومون بالعلم الفرنسي وضربوا نائب القنصلية [٧٢] ، وصل علي بن خليفة إلى ضواحي مدينة صفاقس وأصبح هو القائد الفعلي لمدينة صفاقس وأعترف سكان المدينة بنفوذه وسلطته وطرحت عليه لجنة الدفاع عن المدينة كل المسائل الدقيقة التي يمليها الموقف [٧٣] .

قامت القوات الفرنسية بقذف المدينة بالقنابل من البوارج الحربية وتجددت الاشتباكات بين الثوار والجيش الفرنسي ، ثم وصلت تعزيزات أخرى في ١٤ تموز تضم ١٧ سفينة و٦٠٠٠

الآف جندي ودكت المدينة بالمدفعية أياماً عديدة وتساقطت أسوار المدينة ونزل الجيش الفرنسي ودخلوا المدينة واستشهد حول أسوار المدينة عدد كبير من الثوار [٧٤] .

وبذلك سقطت صفاقس في ١٦ تموز ١٨٨١ رغم ما أبداه رجال المقاومة من بسالة وشجاعة والتي أسفرت عن استشهاد حوالي ألف شهيد [٧٥] .

المقاومة في مدينة قابس

بعد احتلال القوات الفرنسية مدينة صفاقس انسحبت قوات المقاومة التونسية بزعامة الحاج صالح بن خليفة شقيق علي بن خليفة نحو مدينة قابس لمحاولة الدفاع عنها ، في يوم ٢١ تموز ١٨٨١ بعث قائد بارجة فرنسية راسية بالمياه الإقليمية لقابس برسالة إلى السلطة الجهوية يطلب التعرف على رأي سكان مدينة قابس تجاه تواجد الجيش الفرنسي [٧٦] .

لذلك عقد اجتماع في بيت خليفة قرية المنزل بقابس بحضور القاضي والمفتي وهو ما يشير للدعم الديني للمقاومة ، وأصروا في ذلك الاجتماع رفض التواجد الفرنسي ومواصلة المقاومة ، في يوم ٢٤ تموز ١٨٨١ وصل الاسطول الفرنسي إلى قابس ، كان عدد الثوار نحو ٢٠٠٠ مقاتل و٥٠٠ فارس ، وبدأ الأسطول الفرنسي بقصف قرية المنزل ، واستقبل أعيان قرية جارة في مدخل القرية الجيش الفرنسي والذين انتصبوا ببرج هذه البلدة ليطلقوا النار على الثوار المجتمعين في قرية المنزل ، إلا إن ذلك لم يمنع الثوار من أن يفرضوا على قرية جارة والفرنسيين معركة بسوق جارة جعلت القوات الفرنسية تعود إلى الشاطئ ليحتموا بسفنهم [٧٧] .

في ٢٦ تموز هجمت القوات الفرنسية مرة أخرى واحتلوا قرية جارة ، إلا إن ذلك لم يحد من عزيمة المقاومة التي تواصلت مع بقية قرى قابس مكبدة القوات الفرنسية خسائر في العتاد والأرواح ، وصمدت المقاومة في مدينة قابس لمدة تزيد عن الأربعة أشهر واصلوا فيها مناوشات ضد القوات الفرنسية التي لم تتمكن من السيطرة الفعلية على مدينة قابس إلا في نهاية شهر نوفمبر ١٨٨١ [٧٨] .

المقاومة بالساحل والوسط

شملت المقاومة قبائل جلاص والهمامة وسكان قرى الساحل الذين هبوا في غمرة الحماس لمقاومة الاحتلال بعد إن انظم إليها عدد كبير من الجنود النظاميين الذين هربوا من جيش الباي للدفاع عن بلادهم [٧٩] .

شرع الجيش الفرنسي في احتلال داخل البلاد ولكن رجال المقاومة منعوهم من الوصول إليها واعترضوا المقاومون الجيوش الفرنسية قرب مداخل مدينة الحمامات ورغم تفوق القوات الفرنسية في العتاد والأعداد إلا إنهم هزموا شر هزيمة وانسحبوا إلى حمام الأنف في معارك دارت سجالاً أيام ٢٦ إلى ٢٩ آب ١٨٨١ وتكبد فيها القوات الفرنسية عشرات بين قتلى وجرحى [٨٠] .

في ٢٦ آب ١٨٨١ بدأ رجال المقاومة بالانقضاض على المعسكرات التابعة لكتيبة المقدم كورياز(correor) المرابطة في بئر حفيص قرب قرمبالية ، ولم يكتف المقاومون بذلك بل التحقوا في الليلة الفاصلة بين ٢٨ و٢٩ آب ١٨٨١ بالقوات الفرنسية وردوها على أعقابها في منطقة الأربعين بعد معركة ضارية تواصلت من منتصف الليل حتى الرابعة صباحاً[٨١] .

اضطر المقاومون إلى تغيير طريقتهم في القتال وذلك لعدم قدرتهم على مواجهة القوات الفرنسية التي تفوقهم عدداً وعدة ونظراً للإجراءات التعسفية التي اتخذتها القوات الفرنسية ضد مدينة زغوان تخلت المقاومة عن طريقة الهجوم المباشر واكتفت بمراقبة المسالك التي تؤدي إلى مدينة القيروان لكي يمنعوا قوات الاحتلال الفرنسي من التقدم نحو القيروان المدينة المقدسة [٨٢] .

عملت السلطات الفرنسية على تحقيق الهدف الذي رسمته لنفسها والمتمثل في إتمام احتلال تونس وذلك بغزوها للقيروان التي تعتبر رمز للمقاومة وموطناً فعليا لها ، ومركز تجمع القبائل التي تعاهدت على الاستمرار في الثورة والمقاومة[٨٣].

كانت خطة القوات الفرنسية تقضي بدخول مدينة القيروان من ثلاث جهات الأولى اشتبكت في طريقها إلى القيروان مع ثوار القصرين والثانية اشتبكت مع ثوار جلاص والثالثة اشتبكت مع ثوار قبائل الوسط في وادي لاية[٨٤] .

كانت خطة القوات الفرنسية تعكس دون شك تخوفات القوات الفرنسية من المقاومة في القيروان مما جعلهم يعتقدون إن استلامها لن يكون سهلاً، ثم إن هذا يمكن أن يعتبر دلالة واضحة على أن فرنسا لمست خلال صراعها مع المقاومة الطابع الجهادي بشكل فعلي وإلا ما كنت تضع هذا الاعتبار للمدينة بعد أن احتلت أماكن عديدة هامة قبلها [٨٥] .

اضطرت قوات المقاومة المكلفة بحماية الطريق الرابط بين زغوان والقيروان إلى التقهقر نحو القيروان والساحل بعد محاولات بائسة إيقاف زحف القوات الفرنسية التي تفوقها تقنياً وعدداً [٨٦] .

ثم بدأت القوات الفرنسية هجومها على القلعة الكبرى التي تمثل أهم معاقل المقاومة في الساحل وكذلك قربها من القيروان واستبسل رجال المقاومة للدفاع عن المدينة وخاصة في معركة الأربعين إلا إنهم لم يستطيعوا الصمود تحت ضغط قوى النار الفرنسية ، تقدمت القوات الفرنسية بقيادة المقدم مولان إلى بلدة جمال للسيطرة على المعقل الأخير من معاقل المقاومة إذ اعترض طريقها حوالي ٣٠٠٠ مقاوم ينتمون إلى عروش وجلاص والسوس والمثاليث وأولاد سعيد إلا إن هذه المعركة أضعفت المقاومة وأوهنت سكان الساحل [٨٧] .

وتقهقر المقاومون وتغلبت القوات الفرنسية عليهم وفتح طريق القيروان في ٢٦ أكتوبر ١٨٨١ وقد غادرها ما تبقى من المقاومين في الخامس والعشرين من نفس الشهر وحاصر المقدم مولان القيروان وأحاطها بعدد من جنود الخيالة فطاف الفرسان بالمدينة دون مقاومة داخل المدينة وهكذا تمكنت القوات الفرنسية من احتلال مدينة القيروان [٨٨].

ما إن تمت السيطرة على القيروان حتى تفرق رجال المقاومة وتشتتوا فخضع بعضهم لقوات الاحتلال، أما البعض الآخر من المقاومين فقد فضل الهجرة إلى طرابلس أملاً في الدعم العثماني للعودة إلى الوطن وتحريره في ظروف حربية متكافئة واستطاعت بذلك القوات الفرنسية من سيطرتها على كامل البلاد التونسية [٨٩] .

هكذا ساهمت مختلف الجماعات والشرائح والجهاد التونسية في المقاومة قدر طاقتها وحسب ظروفها المتفاوتة وفي جميع الأحوال كان ميزان القوى العسكري غير متكافئ بدرجة مطلقة بين قوى عظمى معتدية ومقاومة منفردة قليلة العدد والعدة نسبياً حتى وإن عظمت إقداماً واستبسالاً ، فقد كانت الغلبة مضمونة للطرف الاستعماري حتى ولو كانت البلاد في

وضع مزدهر ، أما وهي تعاني من واقع الصعوبات المحتدة تحت الضغط الخارجي خلال القرن التاسع عشر فهي غير قادرة بمفردها على الوقوف في وجه العدوان ، هذا بالإضافة إلى دهاء المستعمر المتمثل في الحفاظ على دولة البايات لتيسير التدخل والهيمنة [٩٠] .

الخاتمة

أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة هي :-

١-أخذت فرنسا تخطط من أجل احتلال تونس وذلك منذ أن وطأت أقدامها أرض الجزائر عام ١٨٣٠ وذلك رغبة في تحقيق إمبراطورية فرنسية في المغرب العربي .

٢-شكل مؤتمر برلين ١٨٧٨ ملتقى الدول الأوربية للاتفاق حول تقسيم الحصص فيما بينها وكانت تونس من نصيب فرنسا دون معارضة وهذا ما خططت له من البداية .

٣-دخلت القوات الفرنسية الأراضي التونسية بذريعة هجمات القبائل التونسية وخاصةً قبائل بنو خمير التي كانت تسكن على الحدود التونسية الجزائرية .

٤-كان الباي محمد الصادق ضعيفاً ولم يستطيع رد الاحتلال الفرنسي ولا الدفاع عن تونس .

٥-استطاعت القوات الفرنسية من فرض معاهدة باردو وإعلان وفرض الحماية الفرنسية .

٧-عملت فرنسا على تطبيق سياسة من شأنها تغيير الجهاز الإداري وذلك بإقامة جهاز إداري فرنسي كان على رأس هذا الجهاز المقيم العام الذي تمتع بسلطات وصلاحيات واسعة .

٨-لقد كان رد فعل الشعب التونسي من الاحتلال الفرنسي في مرحلته الأولى بظهور مقاومة شعبية مسلحة أعلن سكانها رفضهم للاحتلال الفرنسي وعدم الرضوخ للسياسة الفرنسية والتي نجحت في عرقلة تقدم القوات الفرنسية ولو لفترة مؤقتة لكنها لم تستطع إنهاء الوجود الفرنسي بعد أن استنفذت جميع وسائل كفاحها المادي والمعنوي .

٩-لم تستطع المقاومة من إنهاء الوجود الفرنسي وذلك لحاجة رجال المقاومة إلى السلاح الحديث إذ لم تستطع أسلحتهم القديمة أن تحقق النصر أمام المدفعية الفرنسية وقوة الأسلحة الحديثة ، وكذلك عدم وجود خطة موحدة للمقاومة نتيجة اختلاف الآراء لدى

قيادات المدن إذ أن زعيم كل مدينة أراد أن يتولى الأمر بنفسه فاستطاعت القوات الفرنسية أن تحتل المدن الواحدة بعد الأخرى.

المصادر

١. أحمد القصاب ، تاريخ تونس المعاصر ١٨٥٦ –١٨٨١ تعريب حمادي الساحلي ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٨٦ .

٢. إحسان حقي ، تونس العربية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٣. آمنة إبراهيم أبو حجر ، موسوعة المدن العربية، دار أُسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٢م.

٤. الحبيب ثامر ، هذه تونس ، مطبعة الرسالة ، تونس، د/ت .

٥. خليفة الشاطر وآخرون ، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، ٢٠٠٥ .

٦. شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس ، الجزائر) ، ط١ ، مكتبة الأنكلومصرية ، القاهرة ،١٩٧٧ .

٧. الشيباني بنبلغيث ، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي ١٨٥٩–١٨٨٢ ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي ، صفاقس ،١٩٩٥ .

٨. الطاهر عبدالله ، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ١٨٣٠–١٩٥٦ ، دار المعارف للنشر ، تونس ، د / ت .

٩. عاطف عبد ، قصة وتأريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم (تونس – الجزائز) ، تونس ، ١٩٩٩ .

١٠. عبدالجليل التميمي ، المسألة التونسية والسياسة العثمانية ١٨٨١ –١٩١٣ ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٢ .

١١. عبدالكريم عزيز ، نضال شعب أبي ١٨٨١–١٩٥٦ ، مركز النشر الجامعي ،٢٠٠١ .

١٢. علي البلهوان ، تونس الثائرة ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٥٤.

١٣. علي المحجوبي ، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، سراس للنشر ، تونس ، ١٩٨٦ .

١٤. فيصل محمد موسى، موجز تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، منشورات الجامعة المفتوحة ، سبها ، ١٩٩٧ .
١٥. لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفة البستاني ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧١ .
١٦. محمد المرزوقي ، صراع مع الحماية ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٣ .
١٧. محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، ط٣ ، دار سراس للنشر ، ١٩٩٧ .
١٨. محمد علي داهش ، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، ٢٠٠٤.
١٩. نقولا زيادة ، تونس في عهد الحماية من ١٨٨١-١٩٣٤ ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ .

الهوامش:

(١)إحسان حقي ، تونس العربية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص١٣٣ .

(٢)خليفة الشاطر وآخرون ، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، ٢٠٠٥ ، ص١٧ .

(٣)جول فيري : وهو زعيم الحزب الجمهوري تولى رئاسة الوزراء الفرنسية قبل فرض الحماية على تونس ولد عام ١٨٢٥عمل في الجزائر وبدأ يتطلع لاحتلال تونس منذ عام ١٨٧٤ وهو من أنصار الحركة التوسعية الفرنسية ويعد مهندس الحملة الفرنسية على تونس . ينظر: الحبيب ثامر ، هذه تونس ، مطبعة الرسالة ، تونس، د/ت ، ص٢٦-٢٧.

(٤)علي المحجوبي ، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، سراس للنشر ، تونس ، ١٩٨٦ ، ص٢٦ .

(٥)عاطف عبد ،قصة وتأريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم (تونس– الجزائر)، تونس،١٩٩٩، ص٥٧ .

(٦) فيصل محمد موسى، موجز تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، منشورات الجامعة المفتوحة ، سبها ، ١٩٩٧ ، ص٦٥ .

[٧]محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، ط٣ ، دار سراس للنشر ، ١٩٩٧ ، ص٩٨ .

[٨]عبدالجليل التميمي ، المسألة التونسية والسياسة العثمانية ١٨٨١ –١٩١٣، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٢ ، ص٦ .

[٩]فيصل محمد موسى ، المصدر السابق ، ص٩٨ .

[١٠]فيصل محمد موسى ، المصدر السابق ، ص٩٨ .

[١١]محمد الهادي الشريف ، المصدر السابق ، ص٩٦ .

[١٢]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٢٩.

[١٣]عاطف عبد ، المصدر السابق ، ص٥٨ .

[١٤]إحسان حقي ، المصدر السابق ، ص١٣٥–١٣٦.

[١٥]بنو خمير : وهي قبائل تونسية تقطن المنطقة الجبلية الخميرية الغابية في الشمال التونسي على الحدود التونسية الجزائرية يطلق على سكانها اسم بنو خمير اتخذت القوات الفرنسية من هذه القبائل ذريعة لاحتلال تونس بعد إن ادعت إن هذه القبائل تشن هجمات على القوات الفرنسية في الجزائر . ينظر: علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

[١٦]محمد الهادي الشريف ، المصدر ، ص٩٨ .

[١٧]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٠ .

[١٨]بسمارك : وهو رئيس مملكة بروسيا كان له الفضل في تأسيس الامبراطورية الألمانية وبعد تأسيس هذه الإمبراطورية أصبح أول مستشار لها عام ١٨٧١ ترأس مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ وفي حديث له في ذلك المؤتمر (إني أعتقد إن الإجاصة التونسية قد نضجت وآن لكم أن تقطفوها) . ينظر : خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق، ص١٧ .

[١٩]معاهدة سان ستيفانو : وهي المعاهدة التي فرضتها روسيا على الدولة العثمانية بقرية (ستيفانو) بالقرب من اسطنبول بتاريخ ٣ مارس ١٨٧٨، بعد أن شن الروس الهجوم على الدولة العثمانية وحقق الانتصارات عليها واحتلال بعض أجزاء البلقان العثمانية مما أضطر الدولة العثمانية للدخول في هدنة مع روسيا وكان طلب = =الدولة العثمانية الأول هو تصحيح حدود الدولة العلية والجبل الأسود وكانت المعاهدة تحتوي على بنود مجحفة للدولة العثمانية ووقعها عن الدولة العثمانية صفوت باشا . ينظر : نقولا زيادة ، تونس في عهد الحماية من ١٨٨١–١٩٣٤ ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ ، ص٨٤ .

[٢٠]خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص١٧ .

(٢١)الحبيب ثامر ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٢٢)المصدر نفسه ، ص٣٦ .

(٢٣)عاطف عبد ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(٢٤)محمد الصادق : وهو من بايات الأسرة الحسينية في تونس ولد في ٧ شباط ١٨١٣ نصب على عرش تونس في ٧ فيفري ١٨٥٩ تم في عهده معاهدة الحماية الفرنسية في ١٢ أيار ١٨٨١ توفي في ٢٩ تشرين الأول ١٨٨٢ . ينظر : نقولا زيادة ، المصدر السابق ، ص ١٠١ .

(٢٥)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٠-٢١ .

(٢٦)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٠ .

(٢٧)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٣ .

(٢٨)لوجيرو : وهو جنرال فرنسي استطاع من احتلال بعض مدن تونس أثناء التوغل الفرنسي في تونس وحيث استطاع احتلال مدينة الكاف وسوق الأربعاء وعين دراهم . ينظر : علي المحجوبي ، المصدر السابق ،ص٤٤.

(٢٩)الكاف : وهي مدينة تونسية تقع على بعد مسافة ٣٠ كيلومتر على الحدود الجزائرية تقع ضمن منطقة التل العالي في تونس وهي تربط غرب البلاد التونسية بالشرق الجزائري .ينظر آمنة إبراهيم أبو حجر ، موسوعة المدن العربية ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ٢٠٠٢ ، ص١٠٤ .

(٣٠)طبرقة: وهي أحدى مدن الشمال العربي لبلاد تونس تقع على السواحل الشمالية لجوار الحدود التونسية الجزائرية تشتهر هذه المدينة بمينائها التجاري العام.ينظر : المصدر نفسه ،ص٩٥ -٩٦ .

(٣١)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٤.

(٣٢)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٣ .

(٣٣)لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفة البستاني، دار التقدم ، موسكو ،١٩٧١ ، ص٢٣٠ .

(٣٤)نقولا زيادة ، المصدر السابق ، ص١٣٣-١٣٤ .

(٣٥)شوقي عطاالله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس–الجزائر) ، ط١، مطبعة الانكلومصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٣١١.

(٣٦)روستان : هو قنصل فرنسا في تونس قبل فرض الحماية على تونس وهو أول مقيم عام في تونس في ظل الحماية الفرنسية وله الدور الكبير في التمهيد للحماية الفرنسية وتكريس النفوذ الفرنسي في تونس والتأثير على باي تونس محمد الصادق في فرض معاهدة الحماية . ينظر : علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٧٦ .

(٣٧)بريار : وهو جنرال فرنسي وقائد الحملة الفرنسية على تونس وفرض الحصار على قصر باردو وإمضاء معاهدة باردو مع الباي محمد الصادق . ينظر : نقولا زيادة ، المصدر السابق ، ص١٠١ .

(٣٨)شوقي عطا الله الجمل ، المصدر السابق، ص٣٠٨ .

(٣٩)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٣ .

(٤٠)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٦٠ .

(٤١)خليفة الشاطر وآخرون، المصدر السابق، ص٢١.

(٤٢)المصدر نفسه ، ص٢٣ .

(٤٣)محمد الهادي الشريف ، المصدر السابق ، ٩٩-١٠٠ .

(٤٤)شوقي عطا الله الجمل ، المصدر السابق ، ص٣٠٨ -٣٠٩ . أحمد القصاب ، تاريخ تونس المعاصر ١٨٥٦ -١٨٨١ تعريب حمادي الساحلي ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٨٦ ، ص١٢-١٣.

(٤٥)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٤-٤٥ .

(٤٦)صفاقس :وهي عاصمة الجنوب التونسي تأسست سنة ٨٤٩م وهي مرفأ تجاري كبير ومن أبرز مدنها سوسة . ينظر: الحبيب ثامر ، المصدر السابق ، ص٣ .

(٤٧)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٤٨)قابس : وهي أحدى مدن بلاد تونس تقع على مسافة ٤٠٤ كيلومتر جنوب مدينة تونس وتتكون من بلدين هما منزل وجاره . ينظر : الحبيب ثامر ، المصدر السابق ، ص٤ .

(٤٩)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٥٠ .

(٥٠)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٥١)أحمد القصاب ، المصدر السابق ، ص٣٨ .

(٥٢)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

(٥٣)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٥٤)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٥٥

(٥٥)الشيباني بنبلغيث ، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي ١٨٥٩-١٨٨٢ ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي ، صفاقس ،١٩٩٥، ص٢١٦ .

(٥٦)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

(٥٧)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٦ . أحمد القصاب ، المصدر السابق ، ص٢٥ .

(٥٨)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٣ .

[٥٩]علي البلهوان ، تونس الثائرة ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٥٤، ص١٠٤ .

[٦٠]العربي زروق: ولد عام١٨٢٣وهورئيس بلدية تونس، تعلم بالمدرسة الحربية بباردو وتخرج برتبة ملازم وأصبح لواء واختارته الحكومة ليكون مديراً للمدرسة الصادقية، اعترض على إمضاء الباي محمد الصادق وثيقة الحماية فجرده الباي من وظائفه وفرض عليه الإقامة الجبرية ثم التجأ إلى السفارة البريطانية ثم تحول إلى الاستانة توفى عام١٩٠٢بالمدينة المنورة. ينظر: عبدالكريم عزيز، نضال شعب أبي١٨٨١-١٩٥٦ ، مركز النشر الجامعي ،٢٠٠١ ، ص١٠٧ .

[٦١]الطاهر عبدالله ، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ١٨٣٠-١٩٥٦ ، دار المعارف للنشر ، تونس ، د / ت ، ص٢٥ -٢٦ .

[٦٢]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٤ .

[٦٣]الطاهر عبدالله ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

[٦٤]الشيباني بنبلغيث ، المصدر السابق ، ص٢١٥ .

[٦٥]علي الحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٤ – ٤٥ .

[٦٦]محمد علي داهش ، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، ٢٠٠٤ ، ص٤٤ .

[٦٧]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٥ .

[٦٨]علي بن خليفة : ولد في قابس كان عاملاً في عدة مناطق كنفات والهمامة وجلاص والقيروان والمثاليث ، أعلن الثورة على الباي محمد الصادق مع العديد من المقاومين وهو الذي نظم مقاومة الاحتلال في مدينة صفاقس وقابس وبعد سقوط القيروان ذهب من نوفمبر ١٨٨١الى طرابلس توفي سنه ١٨٨٥ ينظر : الطاهر عبدالله ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

[٦٩]الشيباني بنبلغيث ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

[٧٠]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

[٧١]عبدالكريم عزيز ، المصدر السابق ، ص٧٥ .

[٧٢]الشيباني بنبلغيث ، المصدر السابق ، ص٢١٩ . علي البلهوان ، المصدر السابق ، ص١٠٤ .

[٧٣]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٩ .

[٧٤]عبدالكريم عزيز ، المصدر السابق ، ص٧٦ .

[٧٥]خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦.

[٧٦]عبدالكريم عزيز ، المصدر السابق ، ص٧٨ .

[٧٧]خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦ . أحمد القصاب ، المصدر السابق ، ص٣٥ .

[٧٨]الشيباني بنبلغيث ، المصدر السابق ، ص٢٢٠ .

[٧٩]المصدر نفسه ، ص٢٢١ .

[٨٠]محمد المرزوقي ، صراع مع الحماية ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٣ ، ص٥٨ .

[٨١]عبدالكريم عزيز ، المصدر السابق ، ص٨٦ .

[٨٢]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

[٨٣] الشيباني بنبلغيث ، المصدر السابق ، ص٢٢٢ .

[٨٤]عبدالكريم عزيز ، المصدر السابق ، ص٨٧ .

[٨٥]الشيباني بنبلغيث ، المصدر السابق ، ص٢٢٢ . أحمد القصاب ، المصدر السابق ، ص٣٧ .

[٨٦]خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

[٨٧]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٥٣ .

[٨٨]أحمد القصاب ، المصدر السابق ، ص٣٩ .

[٨٩]خليفة الشاطر آخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

[٩٠] المصدر نفسه ، ص٢٧ .

الاثر العلمي للحافظ شرف الدين الدمياطي (ت ٧٠٥ هـ/ ١٣٠٦م)

The scientific impact of Al-Hafiz Sharaf Al-Din Al-Damiati (d. 705 A.H / 1306 A.D)

م . م نورس فلاح حسن

assistant lecturer : Nawras Falah Hassan

nawras.f@coart.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد / كلية الاداب / قسم التاريخ

الاثر العلمي للحافظ شرف الدين الدمياطي (ت ٧٠٥ هـ/ ١٣٠٦م)

م . م نورس فلاح حسن

الملخص :

يدرس هذا البحث الأثر العلمي للحافظ شرف الدين الدمياطي ، المنحدر من اسرة علمية شهيرة عرفت باسم (الدمياطي) نسبة الى مدينة دمياط في مصر ، وتميزت هذه الاسرة بأنجاب العلماء والادباء خلال العصرين الايوبي والمملوكي أبرزهم شرف الدين وقد سبقه عالم لا يقل شأناً في المكانة العلمية وهو (شمس الدين الدمياطي ت ٦٩٣هـ) الذي اشتهر بعلم القراءات ، اما شرف الدين الدمياطي فقد أشتهر ببراعته في علم الحديث والانساب ، اما الحالة السياسية التي سادت في عصره تمثلت في احتلال مدينة بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م وانتهاء فترة الخلافة العباسية في بغداد والغزو المغولي للعالم الإسلامي وموجهة خطره من جهة والحروب الصليبية ومحاولات السيطرة على مدينة دمياط من جهة أخرى ، ورغم ذلك شهدت الحركة العلمية في هذا العصر ازدهاراً للحركة العلمية وأنتشار المدارس وتشجيع الحكام للعلماء وكسب تأييدهم .

وكانت اهم اثاره العلمية مؤلفاته المكتوبة في علم الحديث وعلومه وفي السيرة والانساب والفقه والعبادات وفي الرقائق والوعظ بالإضافة الى حواشيه وتعليقاته على المؤلفات السابقة ، وأيضا تعكس رحلاته العلمية الواسعة همته في طلب العلم ونشره ، لذلك يعد أحد ابرز الحفاظ والمحدثين في عصره وقد ترك ارثاً علمياً غنياً .

Abstract

This research examines the scientific impact of Al-Hafiz Sharaf al-Din al-Damiati, who descended from a famous scholarly family known as (Al-Damiati) in reference to the city of Damietta in Egypt. This family was distinguished by producing scholars and writers during the Ayyubid and Mamluk eras, the most prominent of whom was Sharaf al-Din. He was preceded by a scholar of no lesser scientific stature, Shams al-Din al-Damiati (d. 693 AH), who was

famous for his knowledge of the science of readings. Sharaf al-Din al-Damiati was famous for his mastery of the science of hadith and genealogy. The political situation that prevailed during his era was represented by the occupation of the city of Baghdad in 656 AH/1258 AD, the end of the Abbasid Caliphate in Baghdad, the Mongol and Tatar invasion of the Islamic world and its threat on the one hand, and the Crusades and attempts to control the city of Damietta on the other hand. Despite this, the scientific movement in this era witnessed a flourishing of the scientific movement, the spread of schools, and the encouragement of scholars by rulers and their support. His most important scientific works were his written works on the science of Hadith and its sciences, on biography, genealogies, jurisprudence, worship, spirituality and preaching, in addition to his marginal notes and commentaries on previous works. His extensive scientific journeys also reflect his ambition to seek and disseminate knowledge. Therefore, he is considered one of the most prominent memorizers and hadith scholars of his time, and he left behind a rich scientific legacy.

الكلمات المفتاحية : (دمياط ، شرف الدين ، الأثر العلمي)

Keywords: (Dimat, Sharaf al-Din, scientific impact)

المـقدمـــــة :

إن أسرة الدمياطي كانت واحدة من الأسر العلمية المشهورة في مصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، وكانت الأسرة تتألف من عدد كبير من العلماء والأدباء، والذين كانوا يحظون بتقدير كبير في الوسط العلمي ، كانت الأسرة تتألف من العديد من الشخصيات المؤثرة، بما في ذلك شمس الدين الدمياطي(ت ٦٩٣هـ) والذي يعد أحد العلماء المشهورين في العصر المملوكي ، وكان له تأثير كبير في الحياة الدينية والفكرية في مصر، لقد برع شمس الدين الدمياطي في علم القراءات وكان حافظا مجودا وقد انتقل الى اكثر من مدينة من مدن العالم الاسلامي ، وقد كانت للدمياطي حلقة علم بالجامع الاموي بدمشق ويدرس بها الطلبة القراءات السبعة .

وأشتهر ايضا من ضمن الاسر العلمية في مدينة دمياط العالم الحافظ شرف الدين الدمياطي (ت٧٠٥هـ) ،و كان الحافظ شيخ زمانه وأستاذ الأستاذين في معرفة الأنساب وإمام أهل الحديث المجمع على جلالته الجامع بين الدراية والرواية بالسند العالي للقدر الكثير وله المعرفة بالفقه ,وهو صاحب التصانيف ، وتفقه بدمياط وبرع ثم طلب الحديث فارتحل إلى الإسكندرية وكتب العالي والنازل وجمع فأوعى، وسكن دمشق، وكان صادقًا حافظًا متقنًا جيد للعربية غزير اللغة واسع الفقه رأساً في علم النسب ديناً كيساً متواضعاً بساماً محبباً إلى الطلبة مليح الصورة نقي الشيبة كبير القدر ، وكان اماما محدثا ، أوحد زمانه وحافظ أوانه.

وقد بذل الحافظ الدمياطي بذل جهداً عظيماً في تتبع علماء ونبلاء زمانه وعصره، حتى تحصل له هذا الكم الغزير من الشيوخ والمرويات وكانت حصيلة المدن التي دخلها قد بلغت إحدى وعشرين مدينة، وذلك من غير اعتبار المدن التي تكررت زيارة الدمياطي إليها، وهي كثيرة، وكان من المكثرين في التصنيف، وكانت مصنفاته موصوفة بالجودة والإتقان والتحرير، وقد بلغت مؤلفاته (٦٠) مؤلفاً، فكانت للدمياطي مكانة علمية مرموقة، وقد أجمع العلماء بتفوقه في عدة فنون، وكان من أبرز تلك الفنون علم الحديث، والتاريخ، والأنساب، واللغة.

- اولا / الحالة السياسية للفترة من (٦٠٠- ٧٠٠ هـ) :

تعد هذه الفترة من أخطر فترات التاريخ الإسلامي، حيث إنها اشتملت على كثير من الأحداث الكبيرة ، مثل : الوضع السياسي في دولة الخلافة العباسية، ومحاولات الخليفة الناصر ٦٢٢ هـ لتقوية سلطانه في بغداد والعراق، والاستعداد لمجابهة أي خطر يهدد عاصمة الخلافة، ومن تلك الأحداث المهمة محاولات بعض السلاطين الزحف للاستيلاء على بغداد كما فعل خوارزم شاه في سنة ٦١٤ هـ، ومن الاحداث المهمة التي أصيب بها المسلمون والعالم الإسلامي الزحف المغولي ففي سنة ٦١٦ هـ تحركت التتار، فخارت قوى السلطان خوارزم شاه، وتقهقر بين أيديهم ببلاد ما وراء النهر، ومن ثم دخول المغول بغداد سنة ٦٥٦هـ وسقوط الخلافة العباسية[١] .

ومن الأحداث العظيمة في هذه الفترة التاريخية الحروب الصليبية واجتياحهم للبلاد الإسلامية عام ٤٩١ هـ ، وسيطرتهم على كثير من مدن وقرى الشام، وتهديدهم لمصر، وفي

سنة ٦١٥ هـ نزل الصليبيون دمياط ، فجهز الملك العادل جيشاً نجدة لولده الكامل، كما كسر الملك الأشرف موسى ملك الروم كيكاوس ثم أخذ عسكره وعسكر حلب، ودخل بلاد الفرنج ليشغلهم بأنفسهم عن دمياط، فأقبل صاحب الروم إلى أعمال حلب، فكسبوا الروم وهزموهم [٢]

ونظرا لأهمية دمياط من الناحية الاستراتيجية واعتبارها ذات موقع مهم فقد استمر الصليبيون في محاولاتهم للاستيلاء عليها ، وتمكنوا بالفعل من احتلال برج السلسلة من دمياط ، لذلك كانت دمياط اهم معاقل الصليبين في تلك الفترة ، ومن أهم الملامح السياسية في هذه الفترة الصراع والتنافس بين الملوك والأمراء، والتنازل عن بعض المدن والحصون للنصارى، وسوء معاملة العلماء والدعاة والمجاهدين والاستنجاد بالنصارى أحياناً ضد خصومهم [٣] .

- ثانيا/ علماء اسرة الدمياطي ، شمس الدين الدمياطي (٦٢١- ٦٩٣هـ) انموذجًا:

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن أبي عبد الله بن صدقة الدمياطي [٤] .

ولد شمس الدين الدمياطي سنة (٦٢١هـ) أو (٦٢٢هـ) [٥] بمدينة دمياط [٦] ، وهو مقرئ ، عارف، ثقة، حسن الأخلاق، وكان رجلاً حسناً من أهل القرآن [٧] ، وقد وصفه الذهبي (٧٤٨هـ) : بأنه " وكان ذاكرا للقراءات ذكرا جيدا، طويل الروح، حسن الأخلاق، مطبوع العشرة، وكان لطيف القد مليح البزة " [٨] .

اما عن صفاته الجسمانية فقد وصف بأنه : " وكان شيخا لطيف القدّ، قصيرا، أسمر، صغير اللّحية، حَسَن البِزّة، له مِلْك ودراهم " [٩] .

لقد برع شمس الدين الدمياطي في علم القراءات [١٠]، وقد قرأ القراءات مفردا في عشر ختمات وجامعا في ختمة على العالم الشيخ علم الدين أبي الحسن السخاوي(ت ٦٤٣هـ)[١١] الذي انتمت إليه رياسة الإقراء في زمانه وجمع عليه القراءات السبع وتصدر للإقراء [١٢] .

واختص شمس الدين الدمياطي بعلم القراءات كما وسمع منه عبد الملك بن الحنبلي[١٣] وتاج الدين بن أبي جعفر القرطبي[١٤] .

كما وسمع الحديث من السخاوي ومن عتيق السلماني[١٥]، وعز الدين ابن عساكر [١٦] ، وقد حدثنا الذهبي بأنه اكمل علم القراءات على يد شمس الدين الدمياطي : " أكملت عليه القراءات أنا، وابن غدير، والشيخ بدر الدين " [١٧] ، وقد بلغ الذهبي مكانة عالية عند الدمياطي لدرجة ان أجلسه مكانه في حلقته بالجامع الأموي اواخر سنة ٦٩٢هـ حينما أصابه المرض[١٨] .

لقد كان شمس الدين الدمياطي عالما بالقراءات وتتلمذ على يد الشيخ السخاوي احد اكبر القراء في دمشق وعندما توفي السخاوي انبرأ الدمياطي للقراءة في الجامع الاموي بدمشق ، وذكر الذهبي بأنه حين توفي السخاوي ارادوا ان يبحثوا على اصحابه ممن عرف عنه : " ذاكرا للقراءات ذكرا جيدا "[١٩] فوجدوا شمس الدين الدمياطي وسألوه ان يجلس لهم للقراءة فوجدوه : " ذاكرا للقراءات، ذكرا جيدا قريب العهد بالخلافة، فبلغني أنه كان يتلو القرآن كل ختمة لراو، فلهذا لم ينس الفن "[٢٠] ، لذلك فأن أهم ما يميز الدمياطي هو علمه الواسع بعلم القراءات بعد شيخه السخاوي بشهادة تلميذه الذهبي .

وقد كانت للدمياطي حلقة علم بالجامع الاموي بدمشق ويدرس بها الطلبة القراءات السبعة [٢١] ، فكان من تلامذته الذين اخذوا من علمه الامام الذهبي وشمس الدين ابن غدير (٦٧٠ – ٧٣٩هـ) [٢٢] ، وقد كانت من ضمن الدروس التي يلقيها شمس الدين الدمياطي دروس في الشاطبية[٢٣] والرائية [٢٤] ، فقد حفظها عرضها على تلاميذه شرحا [٢٥] .

وكان ومن ضمن تلاميذ الدمياطي الذي سمع الشاطبية ابو بكر الدمشقي [٢٦] ، اما القراءة فمن تلاميذه الذين سمع منه كل من ابن الخباز[٢٧]، والبرزالي، وابن سامة [٢٨]، وسليمان بن حمزة الجامي المقرئ[٢٩] الذي اكمل مسيرة شيخه الدمياطي فبعد ان قرأ عليه، فكمل الجامع الكبير ، ونزل للمصنف حين يأس من الحياة عن وظيفة التصدير للإقراء فحل مكانه[٣٠] ، فيقول الذهبي عن اخر ايام حياة شمس الدين الدمياطي: " ولما أيس من نفسه، نزل لي عن حلقته، ولسليمان بن حمزة عن السبع المجاهدي، فالله يرحمه ويسامحه "[٣١] ، لذلك كان الدمياطي شغوف بالقراءة وتتلمذ على يد احد كبار القراء الا وهو السخاوي

فأصبح شيخا في القراءات السبع والعشر وتتلمذ في حلقته العلمية الكثير من القراء المشهورين في دمشق .

توفي شمس الدين الدمياطي في الحادي والعشرين من صفر، سنة ثلاث وتسعين وستمائة ودفن بمقابر الصوفية بدمشق [٣٢] ، وقد توفي بسبب مرض الم به وجعله ينقطع انقطاعا جزئيا عن حلقاته العلمية في الجامع الاموي بسبب مرض عسر البول وذلك في سنة (٦٩٣هـ) [٣٣] ، وكان من ولده المشهورين علي بن محمد الدمياطي صاحب الخط المنسوب[٣٤] .

ثالثا / شرف الدين الدمياطي (٦١٣-٧٠٥هـ/ ١٢١٧- ١٣٠٦م) واثره العلمي:

– اسمه : هو الإمام العالم الحافظ العلامة النسابة شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي [٣٥] .

– ولادته :

ولد شرف الدين الدمياطي في آخر ذي الحجة سنة ثلاث عشرة وست مئة وذلك ما ذهب اليه معظم المؤرخين [٣٦] بتونة قرية من عمل تنيس[٣٧] احد اعمال مدينة دمياط[٣٨] .

– القابه :

هو الشيخ ،الإمام، البارع، الحافظ، النسابة، المجود، الحجة، علم المحدثين ،عمدة النقاد، صاحب التصانيف [٣٩] .

– اوصافه :

رزق الحافظ الدمياطي هيئة حسنة، وصورة جميلة، فقد وصفه تلميذه الرحالة العبدري(ت٧٠٠هـ) فقال: "هو شيخ وسيم، أبيض، ذو صورة مقبولة، وهيئة حسنة، وركانة ، وحُسْنِ الخُلُق"[٤٠] ، ووصفه تلميذه الذهبي(٧٤٨هـ) فقال: "كان الدمياطي مليح الصورة نقي الشيبة " [٤١]

وقال الصفدي(ت٧٦٤هـ) : "وكان مليح الهيئة حسن الأخلاق بساما فصيحا نحويا لغويا مقرئا سريع القراءة جيد العبارة كثير التفنن صحيح الكتب مكثرا مفيدا حلو المذاكرة حسن العقيدة كافا عن الدخول في الكلام" [٤٢] ، وقال ابن حجر(ت ٨٥٢هـ) : " وكان يعرف بابن

الجامد وكان جميل الصورة جدا حتى كان أهل دمياط إذا بالغوا في وصف العروس قالوا كأنها ابن الجامد "[٤٣] .

وقد اجتمعت في الإمام شرف الدين الدمياطي محاسن ،جمة، مناقب عديدة، وشمائل حميدة، فقد كان حسن المعاشرة، لطيف المعاملة، طلق المحيا، متواضعاً، محبباً إلى تلامذته، سخياً عليهم، باراً بهم، قريباً منهم، وكان صادقًا حافظا متقناً دينا متواضعا بساما محببا إلى الطلبة، ويقول تلميذه الرحالة العبدري: "لم أر بهذه المدينة – على كثرة الخلق بها – أمثل وأقرب إلى الإنسانية وأجمل معاملة من الشيخ.. شرف الدين الدمياطي" [٤٤] ، كما كان ظريفاً خفيف الروح، طيب المعشر قال تلميذه ابن سيد الناس: دخل الدمياطي على جماعة يقرؤن الحديث فمر عبد الله ابن سلام فشددوا لامه فقال " سَلام عَلَيْكُم سَلام سَلام"[٤٥]، وهو يريد بذلك من دون تشديد اللام، فكان حسن تمثيله للفائده حتى لا تشرد عن الذهن، وعذوبة أسلوبه مع تلامذته في تصويب خطئهم، وتوصيل الفائدة إليهم.

وذكر النويري (ت ٧٣٣هـ) أن ابنة شيخه فاطمة بنت كمال الدين الغماري أُحضرت إلى مجلس شرف الدين الدمياطي لتسمع عليه جزءاً من مسموعاته، فامتنع أن يكتب اسمها إلا حضوراً، وقال: هذه صغيرة السن عن السماع، فلقنها معلمها سري الدين أبو القاسم الزيدي الحديث الذي كانت تريد أن تسمعه، فحفظته بسنده، وأحضرها إلى الدمياطي فجلست بين يديه، وعمرها يوم ذاك أربع سنين أو نحوها، فقالت مخاطبة الشيخ: حدثك – رضي الله عنك – الشيخ فلان، وسردت السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحديث إلى آخره من حفظها، فبهت الشيخ من ذلك، واستعظمه منها، وكساها فوطة حرير، وكتب اسمها سماعاً [٤٦].

وقال تلميذه العبدري : "وكان يسألني عن أشياء ويباسطني، ولما وردت مصر راجعاً من الحجاز – وكنت مريضاً – أنزلني عنده في المدرسة وكان عنده طبيب ماهر يحضر مواعيده فأمره أن يتفقدني بالغدوة فكان يفعل ذلك ولم يقصر في العلاج حتى استقللت " [٤٧]

– حياته :

عاش الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطى حياته الطويلة الحافلة في الفترة من أوائل القرن السابع الهجرى إلى أوائل القرن الثامن وهي

فترة حفلت بأحداث جد خطيرة شغلت العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، كان من أبرزها خطراً وأعمقها أثراً سقوط الخلافة الاسلامية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وما صاحب ذلك من موجات الغزو المتتالية على البلاد الإسلامية من المغول والصليبيين، وقد تميزت هذه الفترة ببروز طائفة من العلماء والفقهاء الذين عاصروا الحافظ الدمياطي ، ومن أمثال هؤلاء العلماء ، سلطان العلماء العز بن عبد السلام (٥٧٦ – ٦٦٠هـ) [٤٨]، والحافظ زكي الدين المنذري(٥٨١-٦٥٦هـ) [٤٩]

وابن دقيق العيد(٦٢٥-٧٠٢هـ) [٥٠]، ونصير الدين الطوسى(٥٩٧- ٦٧٢هـ)[٥١] ، وطائفة أخرى أدركت هؤلاء وأخذت عنهم ، ولحقت بعصرهم، منهم الحفاظ المشاهير كالذهبي والبرزالي وغيرهم، وكان لهؤلاء العلماء أثر كبير في مجرى الأحداث السياسية والأحوال العامة ، التي زخر بها ذلك العصر، بما قدموه من الفتاوى الفقهية والآراء الاجتهادية والمؤلفات الهامة ، وبما أبدوه من المشاركة الفعالة في جميع ما شغل أولى الأمر والحكم في العالم الاسلامي ، مما حفظ على المسلمين كلمتهم، ووحد صفوفهم وجمع شملهم.

كانت نشأة شرف الدين الدمياطي بمدينة دمياط أحد ثغور البلاد المصرية الهامة ، وفيها تفقه فى مذهبه وقرأ القراءات على الأخوين الامامين أبي المكارم الله وأبي عبد الله الحسين ابنى منصور السعدى وسمع بها الحديث منهما ، ومن الشيخ أبي عبد الله محمد بن موسى بن النعمان وهو الذي أرشده لطلب الحديث ، بعد أن كان مقتصرا على الفقه وأصوله على مذهب الامام الشافعي ، وكانت سنه عندما طلب الحديث ثلاث وعشرون سنة ، ثم انتقل إلى الاسكندرية [٥٢]، فسمع بها في سنة (٦٣٠هـ) على الجم الغفير والعدد الكثير من علمائها وبخاصة من أصحاب الحافظ أبي طاهر السلفي [٥٣]، ثم قدم القاهرة وعنى بهذا الشأن رواية ودراية ، ولازم الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري ، فسمع عليه وأخذ عنه، حتى صار معيده [٥٤] .

وفى سنة (٦٤٣هـ) حج إلى الحرمين الشريفين، وارتحل إلى الشام سنة (٦٤٥هـ) ، وإلى الجزيرة وإلى العراق مرتين ، وفي هذه البلاد أخذ عن شيوخها وسمع عليهم وانتفع منهم، كما أنه سمع على شيوخ دمشق وحماة وحلب التي لازم فيها الحافظ أبا الحجاج يوسف ابن

خليل وماردين وبغداد [٥٥]، وفيها خرَّج أربعين حديثاً لأمير المؤمنين المستعصم بالله أبي أحمد عبد الله بن المستنصر بالله العباسي آخر الخلفاء العباسيين ببغداد[٥٦] .

- مكانته العلمية :

كانت أكثر إقامة شرف الدين الدمياطي فى دمشق والقاهرة، وفيها نشر علمه وانتفع به الطلاب وأخذ عنه الفقهاء والعلماء، وبلغ في العلم مكانة مرموقة حدت بالامام تاج الدين السبكي(ت ٧٧١هـ) أن يصفه في طبقات الشافعية الكبرى بـ : " كان الحافظ زمانه وأستاذ الأستاذين في معرفة الأنساب وإمام أهل الحديث المجمع على جلالته الجامع بين الدراية والرواية بالسند العالي للقدر الكثير وله المعرفة بالفقه

وكان يلقب شرف الدين وله كنيتان أبو محمد وأبو أحمد "[٥٧].

كما جعلت المؤرخ صلاح الدين بن شاكر الكتبى ان يصفه بـ : " الامام البارع الحافظ النابة المجود علم المحدثين عمدة النقاد" ، كما قال عنه الحافظ المزى: " ما رأيت أحفظ منه" ، وكما قال البرزالي فيه :

" كان أخر من بقى من الحفاظ وأهل الحديث أصحاب الرواية العالية والدراية الوافرة "

وكما يقول الذهبي: " شيخنا الإمام العلامة الحافظ الحجة الفقيه النسابة شيخ المحدثين, شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني الدمياطي الشافعي, صاحب التصانيف ، وتفقه بدمياط وبرع ثم طلب الحديث فارتحل إلى الإسكندرية ... وكتب العالي والنازل وجمع فأوعى، وسكن دمشق... وكان صادقًا حافظًا متقنًا جيد العربية غزير اللغة واسع الفقه رأسًا في علم النسب دينًا كيسًا متواضعًا بسامًا محببًا إلى الطلبة مليح الصورة نقي الشيبة كبير القدر "[٥٨]

وكما وصفه الامام أبو حيان الأندلسي بـ : " شيخنا الإمام المحدث، أوحد زمانه وحافظ أوانه" [٥٩]

- عقيدته ومذهبه :

كان الحافظ الدمياطي على مذهب أهل السنة ، وقال العبدري:

" والله در شيخنا شرف الدين الدمياطي فإنه مباين لهم في ذلك – أي المناطقة – منزه لنفسه عن تلك المسالك "[٦٠] ، اي ان الحافظ الدمياطي كان بعيدا الدخول في مذاهب أهل الكلام كالمعتزلة والمرجئة وغيرهم وقد أنشد من نظمه في المناطِقَةِ، فقال:

وما العلم إلا في كتاب وسنة وما الجهل إلا في كلام ومنطق

وما الخير إلا في سكوت بحِسْبَة وما الشر إلا في كلام ومنطق [٦١]

وقال الصفدي في ذلك : " كان حسن العقيدة كافاً منزه عن الدخول في الكلام "[٦٢]

واما مذهبه في الفروع الفقهية فهو كان على مذهب الامام الشافعي .

– شيوخه :

لا شك أن ما ذكره هؤلاء العلماء عنه يعبر بصدق وحق عن قيمة هذا الامام الجليل الذي بلغ فى علوم عصره، وخلَّف من المصنفات الجليلة ما يشهد بعلو كعبه ورفعة منزلته بين معاصريه كما يوضح مكانة من أخذ عنهم وسمع عليهم من العلماء الكبار في العلم الاسلامي من أمثال زكي الدين المنذري وغيرهم

– بن المقير(ت ٦٤٣هـ) : الشيخ المسند الصالح رحلة الوقت أبو الحسن علي ابن أبي عبيد الله الحسين بن علي بن منصور، ابن المقير البغدادي، الأزجي، المقرئ، الحنبلي، النجار، نزيل مصر، مات في خامس عشر ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بالقاهرة ومولده ليلة عيد الفطر سنة خمس وأربعين وخمسمائة ،وحدث ببغداد، ثم قدم دمشق في سنة اثنتين وثلاثين، فحدث، وأقام بها نحوا من سنتين، ثم حج، وحدث بخيبر، وبالحرم، وجاور، ثم سار إلى مصر، وروى بها الكثير ، وكان شيخا صالحا، كثير التجهد والعبادة والتلاوة، صابرا على أهل الحديث[٦٣].

– ابن المخيلي (٦٤٢هـ) : الشيخ الجليل، الصدر، الإمام، الفقيه، جمال الدين، أبو الفضل يوسف بن عبد المعطي بن منصور بن نجا بن منصور الغساني الإسكندراني، ابن المخيلي المالكي، من كبراء أهل الثغر، ومخيل من بلاد برقة[٦٤] ، وقد ذكر الدمياطي بأن الشيخ حدثه بحديث :" أخبرنا يوسف بن عبد المعطي ... أحب الكلام إلى الله – عز وجل – أن يقول العبد وهو ساجد: رب إني ظلمت، ربي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " [٦٥].

– ابن العليق(ت٦٤٩هـ) : الشيخ، العالم، الصالح، المعمر، أبو نصر أعز بن فضائل بن أبي نصر بن عباسوه، ابن العليق البغدادي، البابصري. ويعرف أيضا بابن بندقة ، سمع من شهدة الكاتبة (موطأ القعنبي) و (القناعة) لابن أبي الدنيا، و (الكرامات) للخلال، و (مجابي الدعوة) والرابع من (حديث الصفار) ، وسمع من عبد الحق بن يوسف، وأبي المظفر بن حمدي، وعبد الرحمن بن يعيش القواريري، والمبارك بن الزبيدي ، وكتب إليه بالإجازة: أبو طاهر السلفي ، وكان دينا، خيرا، فاضلا، يقظا، كثير التلاوة، عالي الرواية ، حدث عنه الدمياطي عند اقامته ببغداد،وتوفي في سادس عشر رجب، سنة تسع وأربعين وست مائة[٦٦].

– تلامذته :

ومع جلالة قدر هؤلاء الشيوخ ورفعة منزلتهم كانت للحافظ الدمياطى مكانة رفيعة أتاحت له أن يُملى ويُحَدِّث فى حياتهم ، ويحتل بينهم مركزاً مرموقاً جعل كثيراً من رفقائه وقرنائه يأخذون عنه ويسمعون منه ويكتبون أماليه ومن مشاهير العلماء الذين تتلمذوا على يد الحافظ الدمياطي وأخذوا عنه.

– أبو الحسين اليونينى(ت٧٠١هـ) : شيخ العلماء أبو الحسين بن اليونيني البعلبكي الحنبلي ، ولد سنة إحدى وعشرين وست مائة ، ارتحل سنة ٦٤١هـ فسمع من ابن رواج , وابن الجميزي وطائفة، وقرأ على الشيوخ وكتب بخطه ولزم الحافظ المنذري، ثم قدم واستنسخ صحيح البخاري وعني به وقابله بضع عشرة مرة في سنة وكان ذا عناية بالغريب والأسماء وضبطها مديما للمطالعة، كثير المحاسن منور الشيبة عظيم الهيبة، دخل عليه مجنون فضربه بسكين في رأسه فمات منها بعد أيام يسيرة في رمضان سنة ٧٠١هـ [٦٧] .

– القاضي علم الدين الأختائي : محمد بن أبي بكر بن عيسى السعدي، قاضي القضاة علم الدين المصري الشافعي ابن الأخنائي ، من نبلاء العلماء وقضاة السداد، ولد سنة (٦٦٤هـ) ، وقد برع في تفسير القرآن، وكان أحد الأذكياء، ولي قضاء الشام في سنة ثلاثين وسبع مائة، وكان يبالغ في الاحتجاب عن الحاجات فتعطلت أمور كثيرة , ودائرة علمه ضيقة ولكنه وقور قليل الشر[٦٨].

–الشيخ أثير الدين أبو حيان النحوي(ت ٧٤٥هـ) : العلامة شيخ النحاة، أثير الدين، أبو حيان محمد بن يوسف ابن حيان النفزي النحوي الظاهري ، وصنف كتبا كثيرة مفيدة، منها:

(تفسير القرآن)، و (شرح التسهيل)، و (ارتشاف الضرب) ، ودرس بدرس التفسير بجامع ابن طولون، ودرس التفسير بالمنصورية، وبجماعة المحدثين بالمنصورية أيضا[٦٩].

بالاضافة الى تلاميذ نجباء امثال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس ، والعلم البرزالي ، والزكى المِزَّى ، والعمر النويري ، ومحى الدين النواوى ، وتقى الدين السبكى الذى كان أكثرهم ملازمة له واخصهم بصحبته ، وهو آخر خلق الله من المحدثين به عهداً ، لقد كانت للحافظ الدمياطى فى حياته وجاهة وحرمة وجلالة ، فقد كان موسعاً عليه في الرزق ، وتولى مناصب علمية هامة كمشيخة الظاهرية والمنصورية فدرس بالقاهرة لطائفة المحدثين بالمدرسة المنصورية وهو أول من درس فيها لهم[٧٠] ، وكان جميل الصورة جدا ، مليح الهيئة ، حسن الخلق ، بساما ، نقى الشَّيْبة ، فصيحاً لغويا ، مقرناً سريع القراءة ، جيد العبارة كبير النفس كثير التفنن حسن المذاكرة ، حسن العقيدة ، وتلك صفات إذا اجتمعت لأحد ، حفظت عليه حرمته ورفعت درجته وصانت كرامته فما بالك إذا اقترنت بهذه الصفات المنزلة العالية فى العلم والمعرفة وجودة التصنيف[٧١] .

- رحلاته في طلب العلم :

للرحلة في طلب العلم أهمية بالغة في تكوين شخصية الطالب، وبناء توجهاته العلمية، وإثراء حصيلة

العالم مع تحمل المزيد من العلم وآفاق المعرفة، فبلقاء العلماء الحفاظ والأخذ مشافهة – طلباً لعلو الإسناد وقدم السماع – ومذاكرتهم، والتأثر بأخلاقهم وآدابهم، والاطلاع على ما استجد العلمية؛ أمر له أهميته ومكانته في بناء الطالب واستزادة العالم.

ولم يكن الحافظ الدمياطي بمنأى عن تلك الفوائد القيمة التي تُجنى من الرحلة في طلب العلم، فبعد أن نشأ في مدينته دمياط ولازم علمائها وأخذ العلم عنهم وتخرج بهم، رغب في الرحلة وعزم عليها، ليظفر بكل هذه الثمار العلمية وما انطوت عليها من فوائد تربوية وثقافية.

وقد بالغ الحافظ الدمياطي في رحلاته وتنقلاته حرصاً منه على تتبع أكابر شيوخ تلك البلاد والأخذ عن علمائها الأعلام، حتى تحصل له هذا الكم الوافر من الشيوخ والمرويات ومعجم شيوخه الكبير يشهد له على ذلك تلميذه التجيبي(ت٧٣٠هـ) : " كان الحافظ الدمياطي قد

أدرك بقايا الناس، وتتبع شيوخ عصر تلك البلاد، واستكثر من الرواية عنهم والإسناد، فعلا بذلك قدره، وبعد صيته، واشتهر أمره، فكان آخر المجتهدين من الرحالين في هذا الشأن إلى أقاصي البلدان " [٧٢] ، وقال ابن كثير: "رحل وطاف وحصل وجمع فأوعى"[٧٣] .

وبدأ الدمياطي رحلاته بعد أن بلغ الثالثة والعشرين من عمره، وانطلق من مدينته دمياط إلى ما جاورها من المدن، ثم اتسعت رحلاته فيما بعد فشملت بلداناً عدة كالشام، ومكة، والمدينة، والعراق، والجزيرة،

وغيرها .

- مدينة الإسكندرية :

وهي أول بلدة ارتحل إليها الحافظ الدمياطي، وقد دخلها مرتين، المرة الأولى في سنة ٦٣٦هـ ، والثانية سنة ٦٣٩ هـ [٧٤]، وسمع فيها من أصحاب أبي طاهر السلفي وغيرهم، وقد سمع الحافظ الدمياطي فيها من الفقيه النظام أبي علي الحسين بن يوسف بن الحسن الشاطبي المالكي (ت٦٣٧هـ) في رحلته الأولى، سنة ست وثلاثين وستمائة، وهو أقدم شيخ للدمياطي موتاً ، ومن الفقيه المحدث القرطبي أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبي العباس الأنصاري (ت ٦٥٦هـ) وأجاز للدمياطي رواية مروياته ومصنفاته عنه فيقول الدمياطي عنه : " أخذت عنه، وأجاز لي مصنفاته وله كتاب (كشف القناع عن الوجه والسماع) أجاد فيه وأحسن" [٧٥]والفقيه الأصولي الحسن بن علي بن محمد، أبي علي، الأمدي، سمع عليه الدمياطي مؤلفاً له في "الكلالة " ، ومن الأخوين التوأمين ابنا النحاس منصور، وأحمد ابن عبد الله محمد، قرأ عليهما الدمياطي مجتمعين جميع "السداسيات" للرازي ، ومن ابن الجباب أبي عبد الله عبد الرحمن السعدي(ت ٦٤٣هـ) في الرحلة الثانية ، وسمع من عيسى بن عبد الباقي المؤدب الكاتب (ت ٦٤١هـ) وقد أجاز للدمياطي جميع مروياته [٧٦]، ومن أبي المنصور يحيى بن أسعد بن يحيى الإسكندراني (ت ٦٥٥هـ) قرأ عليه الدمياطي روى عنه الدمياطي،وقال: كان موقّع الحُكْم[٧٧].

- مدينة القاهرة :

رحل الحافظ الدمياطي إلى القاهرة وغني فيها بطلب علم الحديث رواية ودراية، وأخذ الكثير عن علمائها سواءاً القاطنين بها أو الذين وفدوا إليها، فقد كانت القاهرة تزخر بالعلم والعلماء

كما كانت من أهم الحواضر الإسلامية في ذاك الوقت، فطاب للدمياطي المقام فيها، واتخذها مستقراً ومنطلقاً لرحلاته إلى المدن الأخرى، وقد سمع بالقاهرة من الإمام الحافظ زكي الدين المنذري عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ) [٧٨] ، وقال الدمياطي فيه : " هو شيخي ومخرجي، أتيته مبتدئا، وفارقته معيدا له في الحديث" [٧٩] ، ومن كمال الدين المقرئ علي بن شجاع بن سالم الضرير تلميذ الإمام الشاطبي (ت ٦٦١هـ) مسند الأفاق في القراءات قال الدمياطي: قرأت عليه القرآن بالروايات السبع وأجازنيها، وهي عندي في مجلدة مفردة [٨٠] .

ومن شيخ الديار المصرية الجميزي أبي الحسن علي بن هبة الله بن سلامة، اللخمي،(ت٦٤٩هـ) سمع منه الدمياطي وشيخه في الثمانين من عمره [٨١] .

- مكة المكرمة :

دخلها الحافظ الدمياطي حاجاً، وذلك في سنة ٦٤٣هـ، وسمع فيها من إمام الحنابلة بمكة أبي عمرو عثمان بن موسى (ت ٦٧٤هـ)[٨٢]، ومن إمام المالكية بالحرم الشريف، محمد بن عمر بن محمد أبي الله التوزري، الفقيه، ضياء الدين (ت ٦٦٣هـ)[٨٣] .

- المدينة المنورة :

دخلها الحافظ الدمياطي بعد حجته سنة ٦٤٤هـ ، وسمع فيها من الفقيه الحنفي أبي بكر عبد الله بن المبارك الهذلي المسعودي (ت ٦٥٨هـ) ومن المعلم أبي الحسن علي بن سالم بن سعد الحسني، ومن التوزري الفقيه عبد الرحمن بن مسلم بن عبد الوهاب المنعوب بالسراج الإسكندري ، ومن أبي بكر محمد ال وأبي مدين الزعفراني أيضاً [٨٤].

- مدينة دمشق :

رحل إليها الحافظ الدمياطي ثلاث مرات، وحضي فيها بقبول كبير، وأقام فيها مدة، وأكثر بها السماع وأفاد أهلها سنوات عديدة [٨٥]، ودرس فيها في دار أبي الطاهر القوصي (ت ٦٥٣هـ) التي وقفها لطلبة الحديث، وفيها كان مسكن الدمياطي وقتذاك [٨٦]، وقد دخل الدمياطي في رحلته الأولى مدينة دمشق وهو في الثانية والثلاثين من عمره، وذلك سنة ٦٤٥هـ[٨٧] ، فسمع من ابن سني الدولة أحمد بن يحيي (ت٦٥٨هـ)وقال: "وقد خرجت له

معجماً شاملاً.. وقرأته عليه بدمشق.. فأجازني بملبوس نفيس ثم بملبوس حسن لما عدلت وكان تعاهدني بصلته وعطيته وكرامته "[٨٨] .

- مدينة حلب :

دخلها الحافظ الدمياطي وسمع فيها من محدّث الشام أبي الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي (ت ٦٤٨هـ) وقد أفاد منه إسناداً عالياً [٨٩]

- مدينة حماة :

دخلها الحافظ الدمياطي سنة ٦٤٦هـ أو قبلها بقليل، وسمع فيها من أبي إسحاق إبراهيم بن الله بن إبراهيم التنوخي (ت ٦٤٩هـ)[٩٠]،ومن الشيخة الجليلة صفية بنت عبد الوهاب القرشية(ت ٦٤٦هـ) وأفاد منها إسناداً عالياً [٩١]

- مدينة بغداد :

دخلها الحافظ الدمياطي مرتين، المرّة الأولى كانت في حدود سنة ٦٤٨هـ ، والمرة الثانية كانت قبل سقوط الخلافة العباسية بست سنوات تقريباً، فقد ذكر الدمياطي أنه صلى بها على شيخه الصاغاني وعلى المقربة فاطمة بنت طنطاش سنة ٦٥٠ هـ ، ثم غادرها في نفس السنة ٦٥٠هـ [٩٢]، ولا شك أن رحلة الحافظ الدمياطي إلى بغداد كان لها الأثر البالغ في إثراء حصيلته بمادة علمية واسعة، وتكوينه تكويناً علمياً متيناً، ففي بغداد كان أماثل العلماء وأعلامهم، فأفاد منهم الدمياطي إفادة عظيمة، حتى إنه نقض بعض مؤلفاته وزاد فيها لما دخل بغداد، إذ يقول في مقدمة كتابه كشف المغطى: " وقد كنت ألفت هذا الكتاب وأنا إذ ذاك بحلب، وكتبت منه غير نسخة لثلة من ذوي العلم والأدب، بيد أني لما قدمت دار السلام واجتمعت بأماثل علمائها الأعلام، تجدد لي فيه ما اقتضى تغييره، فنقضت منه وزدته، وحررت تقريره " [٩٣] ، فقد سمع فيها من مسند بغداد ابن الخير إبراهيم بن محمود بن سالم، الفقيه، المحدث، المقرئ (ت ٦٤٨هـ) وهو أول شيخ قرأ عليه الدمياطي ببغداد في رحلته الأولى،وأفاد منه إسناداً إسناداً عالياً[٩٤] ، وقال الدمياطي:" قرأت عليه "صحيح مسلم" مرتين، وكان محسنا إلي، بارا بي"[٩٥] ، ومن أستاذ دار الخلافة المستعصمية الإمام نجل ابن الجوزي يوسف بن عبد الرحمن بن علي، أبي المحاسن (ت ٦٥٦هـ) قال الدمياطي عنه :"

قرأت عليه كتاب " الوفا في فضائل المصطفي " لأبيه وغيره من الأجزاء. وانشدني لنفسه، وأجازني بجائزة جليلة من الذهب"[٩٦]

ومن الإمام الصَّاغاني أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن، إمام اللغة (ت ٦٥٠هـ) قال الدمياطي: "كان شيخا صالحا صدوقا صموتا إماما في اللغة والفقه والحديث، قرأت عليه الكثير"[٩٧] .

- مدينة تكريت :

رحل إليها الحافظ الدمياطي مرتين، وسمع فيها في الرحلة الثانية من الخطيب القاضي أبي محمد عبد الخالق بن يونس بن القاسم ومن أخته فاطمة بنت يونس التغلبية، ومن ابنة عمها خديجة بنت يحيى بن أبي القاسم، أم عثمان ، ومن ابن أبي الزهد أبي الحسن علي بن شجاع بن مبارك المقرئ ومن أبي أبي عثمان طريف بن مبارك بن أسد [٩٨].

- مدينة حران :

ارتحل إليها الحافظ الدمياطي أكثر من مرة، وسمع فيها من الفقيه العالم أبي البركات عبد السلام بن عبد الله (ت ٦٥٢هـ) وأخيه عبد القادر ابن تيمية ، والشيخ المُعمر أبي العزائم عيسى بن سلامه بن سالم الخياط (ت ٦٥٢هـ) ومن ابن الزيات أبي طاهر إبراهيم بن أبي الحسن بن محمد، في القدمة الأولى له ، وأبي الثناء حمدان بن شبيب بن حيدر العطار (ت ٦٤٩هـ) وأبي عبد الله محمد بن عبدان بن غريب الصيدلاني في القدمة الأولى (ت ٦٥١هـ) ومن الشيخة الصالحة، الأصيلة أم البدر، بدرة بنت محمد بن الخضر ابن تيمية (ت ٦٥٢هـ) [٩٩]

- مدينة سر من رأى :

دخلها الحافظ الدمياطي بعد خروجه من بغداد في رحلته الثانية سنة ٦٥٠هـ ، وقرأ فيها على المحدث المؤرخ ابن العديم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ) صاحب كتاب "بغية الطلب في تاريخ حلب"[١٠٠].

ومن خلال البحث تبين لنا أن الحافظ الدمياطي ارتحل شمالاً، وجنوباً، وشرقاً وغرباً، وكانت حصيلة المدن التي دخلها قد بلغت إحدى وعشرين مدينة، وذلك من غير اعتبار المدن التي تكررت زيارة الدمياطي إليها، وهي كثيرة كالإسكندرية، وبغداد، والموصل، وغيرها من المدن،

ومعظم هذه المدن كانت هي المراكز العلمية التي يشد لها الرحال، ويتجه إلى وجهتها الرجال من أهل العلم وطلابه.

كما رأينا استيعاب الحافظ الدمياطي لأعيان أهل العلم وفرسانه في كل بلد ارتحل إليه من هذه البلدان، وكتابه الجليل "المعجم" هو خير شاهد على الجم الغفير من أهل العلم الذين سمع منهم في كل قطر من هذه الأقطار، وفي كل مدينة من هذه المدن؛ لذلك تجمعت لديه ثمار ما أنتجته هذه الأقطار، وصفوة علمائها الأبرار.

- اثاره العلمية المكتوبة :

صنف الإمام الدمياطي الكثير من الكتب منها :

١ - كتاب الصلاة الوسطى مجلد لطيف[١٠١].

٢- كتاب فضل الخيل مجلد[١٠٢].

٣ - قبائل الخزرج ، و وقبائل الأوس مجلد[١٠٣].

٤- العقد المثمن فيمن اسمه عبد المؤمن مجلد[١٠٤].

٥- الأربعون المتباينة الإسناد في حديث أهل بغداد مجلد[١٠٥].

٦ - مختصر السيرة النبوية [١٠٦].

٧- معجم شيوخه وهو مجلدا[١٠٧]

٨ - الذكر والتسبيح عقب الصلوات[١٠٨] .

٩- التسلي والإعتباط بثواب من تقدم من الأفراط [١٠٩] .

١٠- مصنف في صيام ستة أيام من شوال[١١٠].

١١- كتاب المتجر الربح في ثواب العمل الصالح [١١١].

١٢- الحواشي او التعليقات : أن الحافظ الدمياطي وضع بعض التعليقات والحواشي على بعض كتب الحديث، وخاصة كتاب (صحيح البخاري)، وقد وردت هذه التعليقات في عدة مواضع ،مما يدل على أهميتها من ناحية، ونجد هذه التعليقات في فتح الباري للعسقلاني وقد نص على أنها من خط الدمياطي[١١٢]، وقد استفاد ابن حجر من الدمياطي في حواشيه وتعقيباته وتصحيحاته على كثير من الاحاديث الواردة عند البخاري كما استفاد من تصويباته والتعقيب عليها ومن ذلك ما ورد في قصة الهجرة من حديث عائشة وفيه (عبد الله بن

الطفيل) قال الحافظ : " فيه نظر، وكأنه مقلوب، والصواب كما قال الدمياطي : الطفيل بن عبد الله " [١١٣] .

- وفاته :

بقي الحافظ الدمياطي في عمل متواصل دؤوب، وهمة عالية متصاعدة، فقد أوقف نفسه لنشر العلم وتبليغه حتى آخر يوم من حياته المباركة، قال تلميذه النويري: " توفي من غير مرض، وذلك أنه حضر الميعاد بالقبة المنصورية على عادته ثم قام بعد الميعاد ومشى إلى منزله بالمدرسة الظاهرية فمات من ساعته "[١١٤] ، وقال تلميذه الذهبي: " توفي بعد فرغوا من مجلس الإملاء فغشي عليه وحمل إلى منزله، فمات ساعته " [١١٥]، وقد أجمع المؤرخون على أنه توفي في يوم الأحد، الخامس عشرة من ذي القعدة سنة ٧٠٥هـ بالقاهرة[١١٦] ، وكانت جنازته حافلة جداً ومشهودة، وصلى عليه قاضي القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة (ت٧٣٣هـ) كما صلّي عليه صلاة الغائب بدمشق في يوم الجمعة ودفن من الجمعة، ودفن من الغد بمقابر باب النصر بالقاهرة، وكان قد عُمّر عمراً مباركاً طويلاً فعاش ٩٢ سنة.

الـخلاصـة :

يمكن اجمال ما توصلنا اليه من خلال البحث في موضوع (أسرة الدمياطي) الى عدة نتائج يمكن تلخيصها بما يأتي :

- أن الحالة السياسية كانت مضطربة ،ومفككة، وغير مستقرة إلى درجة كبيرة ، أضطر السلاطين إلى التقرب إلى العلماء ورفع شأنهم، واحترامهم، وتوليتهم كثيرا من المناصب والوظائف الدينية، كسباً للرأي العام الإسلامي، وقد كثرت المدارس في هذا العصر في كل من مصر والشام حتى بلغت المئات، وانتشرت في كثير من مدن القطرين جميعاً، كالقاهرة والإسكندرية وأسيوط ، والفيوم، ودمياط التي نبغ منها الشيخان شمس الدين الدمياطي وشرف الدين الدمياطي فضلا عن مدارس الحرمين الشريفين وكانت يدرس فيها العلوم الدينية، كالتفسير، والحديث والفقه بمذاهبه الاربعة.

- يعد الشيخ شمس الدين الدمياطي احد كبار العلماء المشهورين في العالم الاسلامي ممن برع في علم القراءات بالاضافة الى انه كان حافظا مجودا للقران الكريم ، كما وسمع الحديث من علماء اجلاء امثال السخاوي وعتيق السلماني وعز الدين ابن عساكر ، وقد

حدثنا الذهبي بأنه اكمل علم القراءات على يد شمس الدين الدمياطي وقد بلغ الذهبي مكانة عالية عند الدمياطي لدرجة ان أجلسه مكانه في حلقته بالجامع الأموي اواخر سنة ٦٩٢هـ حينما أصابه المرض .

– سعى شرف الدين الدمياطي في طلب العلم، فلم يقنع بفنٍ واحدٍ منه، وإنما بذل جهده ووسعه، حتى

صار إماماً في فنون متعددة، وعلوم شتى؛ فكان إماماً بالقراءات ، كما كان محدثا مبرراً في علم الدراية والرواية، مقدماً فيهما، خبيراً بفنونهما، وكان فقيهاً شافعياً عارفاً بالمذهب، ومؤرخاً كبيراً مفيداً، وكان رأساً في علم الأنساب بارعاً متقناً فيه، ولغوياً بصيراً بألفاظ اللغة العربية وغريبها، ملماً بآدابها، ناظماً لشعرها ، وقد أطنب الأئمة الأعلام أيما إطناب في الثناء على الحافظ الدمياطي والتدليل على مكانته العلمية المرموقة.

– برع شرف الدين الدمياطي في علم الحديث وتميز به وقد فاقت مؤلفاته في هذا الفن الأربعين مؤلفاً، منها ما هو في مجلدات، ومنها ما هو دون ذلك، ، أما شيوخه في الحديث وعلومه فهم جم غفير، وحشد كبير، امتلأت أعلام العصر وحفاظه في صناعة علم الحديث في ذلك الزمان، فكانت له مكانة مهمة من بين أقرانه المحدثين، وقوة صناعته فيه، فهماً، ونقداً، وفحصاً، ورواية، فقد كان عمدة المحدثين والنقاد، وحامل لواء هذا الفن في ذلك العصر.

قائمة المصادر والمراجع :

١– ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تح : عمر عبد السلام تدمري،(بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٧م)

٢– ابن الساعي ، تاج الدين علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب(ت ٦٧٤هـ)، الدر الثمين في أسماء المصنفين ، تح : أحمد شوقي بنبين و محمد سعيد حنشي،(تونس ، دار الغرب الاسلامي ، ٢٠٠٩م).

٣- ابن عبد الهادي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (ت ٧٤٤ هـ)، طبقات علماء الحديث، تح : أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق ،(بيروت ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٦م) .
٤- الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر (ت٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تح : إحسان عباس، (بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٤م).
٥- ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ)
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تح : محمد عبد المعيد ضان ، (حيدراباد ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٧٢م).
- فتح الباري ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ) .
٦- ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن عبد الله (ت٦٥٤ هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ،(دمشق ، دار الرسالة العالمية ، ٢٠١٣م)
٧- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : احسان عباس ،(بيروت ، دار صادر ، ١٩٠٠م) .
٨- ابن الفوطي ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت ٧٢٣ هـ) ، مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تح : محمد الكاظم ، (طهران ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٧هـ) .
٩- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، تح : علي شيري ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٨م) .
١٠- ابن مجاهد ، احمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) في كتاب السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف،(بيروت ، دار المعارف ، ١٤٠٠هـ).
١١- ابن ناصر الدين ، شمس الدين محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي (ت ٨٤٢هـ)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء

الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تح : محمد نعيم العرقسوسي ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م).

١٢- ابو حيان ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، البحر المحيط في التفسير ، تح : صدقي محمد جميل ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٢٠هـ) .

١٣- البرزالي ، أبو محمد عَلَم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد ابن أبي يدّاس البرزالي الإِشبيلي الدمشقيّ (ت ٧٣٩هـ) ، المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٦م) .

١٤- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧م).
- معجم الشيوخ الكبير ، تح : محمد الحبيب الهيلة ، (الطائف ، مكتبة الصديق ، ١٩٨٨م) .
- تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير وَالأعلام ، تح : عمر عبد السلام التدمري (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٣م) .
- تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تح : غنيم عباس غنيم ومجدي السيد أمين ، (القاهرة ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م) .
- المعين في طبقات المحدثين، تح : همام عبد الرحيم سعيد، (عمان ، دار الفرقان ، ١٤٠٤هـ) .
- الذهبي ، تذكرة الحفاظ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨م).
- التمسك بالسنن والتحذير من البدع ، تح : محمد باكريم محمد باعبد الله ، (المدينة المنورة ، الجامعة الاسلامية ، ١٩٩٧م) .
- المعجم المختص بالمحدثين ، تح : محمد الحبيب الهيلة، (الطائف ، مكتبة الصديق، ١٩٨٨م).

– سير اعلام النبلاء ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م).
١٥– ابن السلار ، عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم الشافعي (ت ٧٨٢هـ) ، طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، تح : أحمد محمد عزوز، (بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٣م).
١٦– بن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم ، تح : عبد الحميد هنداوي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م) .
منظور ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) ، لسان العرب ، (بيروت ، دار صادر ، ١٤١٤هـ).
١٧– الجعبريّ ، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل (ت ٧٣٢ هـ)، تح : حسن الأهدل ، (بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٩٨٨م).
١٨– الدمياطي ، شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن (٧٠٥هـ)
– التسلي والاغتباط بثواب من تقدم من الأفراط ، تح : مجدي السيد إبراهيم ، (القاهرة ، مكتبة القران ، ١٩٨٨م).
– المتجر الربح في ثواب العمل الصالح ، تح : محمد بن ابراهيم بن عبد الله ، (القاهرة ، دار البيان العربي ، ٢٠٠٦م).
– السيرة النبوية ، تح : اسعد محمد الطيب ،(حلب ، دار الصابوني ، ١٩٩٦م) .
– كشف المغطى في تبين الصلاة الوسطى ، تح : مجدي فتحي السيد ، (طنطا ، دار الصحابة للتراث ، ١٩٨٩م) .
١٩– العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت ٧٤٩هـ) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (ابو ظبي، المجمع الثقافي ، ١٤٢٣هـ) .
٢٠– السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح : محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، (القاهرة ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ).

٢١- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي(ت ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م).

٢٢- السخاوي ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت ٩٠٢هـ) ، الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، تح: أبو عائش عبد المنعم إبراهيم،(القاهرة ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث،٢٠٠١م).

٢٣- السخاوي ، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين (المتوفى: ٦٤٣هـ) ، جمال القراء وكمال الإقراء ، تح : عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي ، (بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٩٩٩م) .

٢٤- السلامي ، تقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ)، الوفيات ، تح : صالح مهدي عباس وبشار عواد معروف ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ) .

٢٥- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري (ت ٩١١هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تح : حمدي الدمرداش، (مكة المكرمة ، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٤م).

٢٦- الشاطبي ، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني (ت ٥٩٠هـ) ، متن الشاطبية ، تح : محمد تميم الزعبي، (بيروت ، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية ، ٢٠٠٥م) .

٢٧- الصفدي ،صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تح : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت ، دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م).

٢٨- الصفدي ، الحسن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم (ت ٧١٧ هـ) ، نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، (بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣م)

٢٩- العبدري ، ابي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن احمد بن سعود (ت٧٠٠هـ)، رحلة العبدري ، تح : علي ابراهيم كردي ، (دمشق ، دار سعد الدين ، ٢٠٠٥م).

٣٠- العراقي ، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦ هـ)، الذيل على ذيل العبر، تح: أحمد عبد الستار، (القاهرة ، دار الذخائر، ٢٠١٩م).
٣١- التجيبي ، القاسم بن يوسف بن محمد بن علي البلنسي السبتي (ت ٧٣٠هـ) ، برنامج التجيبي ، تح : عبد الحفيظ منصور ، (تونس ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨١م).
٣٢- الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي المكي الحسني الفاسي (ت ٨٣٢هـ)
- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، تح : كمال يوسف الحوت ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠م).
-العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، تح : محمد عبد القادر عطا، (بيروت ، دار الكتب العلمية)
٣٣- الفاكهاني ، تاج الدين أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي (المتوفى: ٧٣٤هـ) ، رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام ، تح : نور الدين طالب ،(دمشق ، دار النوادر ، ٢٠١٠م) .
٣٤- المقريزي ، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (٨٤٥هـ) ، المقفى الكبير ، تح : محمد اليعلاوي ، (بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ٢٠٠٦م).
٣٥- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت ٧٣٣هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، (القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية،١٤٢٣هـ).
٣٦- اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ)، البلدان ،(بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ).

المراجع :

١- الاتروشي ، شوكت ، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي ، (عمان ، دار دجلة ناشرون وموزعون ، ٢٠٠٧م).

٢- الزبيري ، وليد واخرون ، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم ، (مانشستر ، مجلة الحكمة ، ٢٠٠٣م).

الرسائل الجامعية :

١- عبد الرحمن ، ابراهيم نجم ، معجم شيوخ الحافظ الدمياطي من بداية الكتاب الى نهاية الجزء الخامس : دراسة وتحقيق وتهذيب ، رسالة ماجستير ، جامعة ملايا ، كوالالمبور ، اكاديمية الدراسات القرانية ، ٢٠١٢م .

الهوامش:

[١] الصفدي ، الحسن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم (ت ٧١٧ هـ) ، نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، (بيروت ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ٢٠٠٣م) ، ص ١٤٨ .

[٢] ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تح : عمر عبد السلام تدمري،(بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٧م) ،ج١٠ ، ص ٣٢٠ .

[٣] ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن عبد الله (ت٦٥٤ هـ)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ،(دمشق ، دار الرسالة العالمية ، ٢٠١٣م) ، ج٢٢ ، ص ٢٢٨ .

[٤] البرزالي ، أبو محمد عَلَم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد ابن أبي يدّاس البرزالي الإشبيلي الدمشقيّ (ت ٧٣٩هـ) ، المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، (بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٦م) ، ج١ ، القسم الثاني ، ص ٣٥١ ؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧م)، ص ٣٧٩ ؛ الذهبي ، معجم الشيوخ الكبير ، تح : محمد الحبيب الهيلة ، (الطائف ، مكتبة الصديق ، ١٩٨٨م) ، ج٢ ، ص ٢١٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير وَالأعلام ، تح : عمر عبد السلام التدمري (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٣م) ، ج٥٢ ،ص ١٩٧ ؛ الذهبي ، تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تح : غنيم عباس غنيم ومجدي السيد أمين ، (القاهرة ، الفاروق الحديثة للطباعة

والنشر، ٢٠٠٤م) ، مقدمة المحقق ، ص ٢٣ ؛ ابن السلار ، عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم الشافعي (ت ٧٨٢هـ) ، طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، تح : أحمد محمد عزوز، (بيروت ، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٣م) ،ص ٢٠٦ .

[٥] البرزالي ، المقتفي ، ج١ ، ق ٢ ، ص ٣٥٢ ؛ الذهبي ، تأريخ الاسلام ، ج ٥٢ ، ص ١٩٨ الزبيري ، وليد واخرون ، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم ، (مانشستر ، مجلة الحكمة ، ٢٠٠٣م) ، ج٣، ص ٢١٥٨ .

[٦] دمياط: هي على ساحل البحر وإليها ينتهي ماء النيل، ثم يفترق من دمياط فيخرج بعضه إلى بحيرة تنيس وهي بحيرة تجري فيها السفن والمراكب العظام ويجري باقي ماء النيل إلى البحر المالح وتعمل بدمياط الثياب الصفاق الدبيقية والثياب الشروب والقصب ؛ اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ)، البلدان ،(بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ) ، ص ١٧٦ .

[٧] السخاوي ، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين (المتوفى: ٦٤٣هـ) ، جمال القراء وكمال الإقراء ، تح : عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي ، (بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٩٩٩م) ، مقدمة المحقق ، ص ٣٥ ؛ البرزالي ، المقتفي ، ج١ ، ق ٢ ، ص ٣٥١ .

[٨] الذهبي ، معرفة القراء ، ص ٣٧٩ .

[٩] الذهبي ، تأريخ الاسلام ، ج ٥٢ ، ص١٩٨ .

[١٠] علم القراءات : القراءة في اللغة مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرأت، وفي الاصطلاح: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، وعلم القراءات هو علم يكفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها باختلاف ناقليها. خرج النحو واللغة والتفسير وما أشبه ذلك، والمقرئ العالم بها ورواها مشافهة.. لأن في القراءات اشياء لا تحكم الا بالسماع والمشافهة وروي عن رسول الله (ص) على طرائق مختلفة في بعض الفاظه وكيفيات الحروف في ادائها، وتناقل ذلك واشتهر الى ان استقر منها سبع طرائق معينة، تواتر ايضاً بادائها واختصت بالأنساب الى من اشتهر برواتها من الجم الغفير، فصارت هذه القراءات السبعة ؛ بن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم ، تح : عبد الحميد هنداوي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م) ، ج٦ ، ص ٤٧٠ ؛ ابن منظور

، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) ، لسان العرب ، (بيروت ، دار صادر ، ١٤١٤هـ) ، ج١ ، ص ١٢٩ .

[١١] علم الدين السخاوي : الإمام العلامة شيخ القراء، علم الدين علي بن مُحَمَّد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غطاس أبو الحسن الهمداني السَّخاوي المقرئ النحوي الشافعي المفسر، نزيل دمشق.، والسخاوي: بفتح السين المهملة والخاء المعجمة وبعدها ألف، هذه النسبة إلى سخا ، وهي بليدة بالغربية من أعمال مصر، وقياسه سخوي؛ لكن الناس أطبقوا على النسبة الأولى ، رحل إلى الإسكندرية وسمع بها من السلفي وأبي طاهر بن عوف، وبمصر من عساكر بن علي والبوصيري وابن ياسين وغيرهم ، وقرأ القرآن العزيز بمصر على أبي القاسم بن فيّره الشاطبي المقرئ المشهور ولازمه مدة طويلة واستفاد منه وقرأ النحو على نحاة زمانه من الشاطبي وغيره، وخرج عن مصر واستوطن دمشق وتصدّر بجامعها للإقراء والإفادة فاستفاد الناس منه وأخذوا عنه، وشرح قصيدة شيخه في القراءات شرحاً كافياً ونقل عنه، وشرح المفصل للزمخشري شرحاً حسناً أراد به وجه الله تعالى فالنفوس تقبله، إذ لم يعتمد فيه القعقعة الأعجمية ولا التقاسيم المنطقية، وهو مقيم على حالته في الإفادة بدمشق حتى سنة (٦٣٢هـ) ، وتوفي بدمشق ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وأربعين وستمائة، وقد نيف على تسعين سنة؛ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : احسان عباس ،(بيروت ، دار صادر ، ١٩٠٠م) ، ج٣ ، ص ٣٤٠ ؛ ابن الفوطي ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت ٧٢٣ هـ) ، مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تح : محمد الكاظم ، (طهران ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٧هـ) ، ج١ ، ص ٥٣٩ ؛ الذهبي ، معرفة القراء ، ص ٣٤٠ .

[١٢] الذهبي ، معرفة القراء ، مقدمة المحقق ، ص ٤ .

[١٣] عبد الملك الحنبلي : هو محمد بن عبد الملك بن عبد الحق بن عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج، أبو عبد الله بن أبي الوفاء ابن الحنبلي، الدمشقي المتوفي سنة ٦٩٣هـ ، وروى عن أبيه " الأربعين السلفية " وكان له دكان بالحريريين ، توفي يوم عيد النحر؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٥٢ ، ص ١٩٨ .

[١٤] تاج الدين القرطبي : الإمام، المحدث، الجليل، العدل، تاج الدين، أبو الحسن محمد ابن العلامة أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي، ثم الدمشقي، إمام الكلاسة، وابن إمامها ، وسمع من عبد المنعم

الفراوي، ومن عبد الوهاب بن سكينة، وزهير شعرانة، ومحمد بن المطهر الفاطمي، وسمع بدمشق من: ابن أبي عصرون، وأحمد بن الموازيني؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م) ط٣ ، ج٢٣ ، ص ٢١٧ .

[١٥] عتيق السلماني : هو عتيق بن أبي الفضل بن سلامة، أبو بكر السلماني العدل، أبو بكر السلماني، من كبار شهود دمشق ، وبلغ التسعين من عمره ، وحدث عن: الحافظ ابن عساكر، وكان ملازما للجماعة، كثير التلاوة، عنده دعابة ، وتوفي في ذي القعدة سنة (٦٤٣هـ) ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٢٣ ، ص ٢٢١ .

[١٦] عز الدين بن عساكر : هو الإمام، الفاضل، النسابة، عز الدين، أبو عبد الله محمد ابن تاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، ابن عساكر ، سمع من عم أبيه؛ الحافظ أبي القاسم، وأبي المعالي بن صابر، وعبد الصمد النسوي، وأبي الفهم العجائزي، وجماعة ، وروى عنه الشيخ تاج الدين، وأخوه؛ الخطيب، ورشيد الدين ابن المعلم، والفخر ابن عساكر، وابن عمه البهاء، والزين ابن الشيرازي، وآخرون؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٢٣ ، ص ٢١٦ .

[١٧] الذهبي ، معجم الشيوخ الكبير ، ج٢ ، ص ٢١٨ .

[١٨] الذهبي ، التمسك بالسنن والتحذير من البدع ، تح : محمد باكريم محمد باعبد الله ، (المدينة المنورة ، الجامعة الاسلامية ، ١٩٩٧م) ، مقدمة المحقق ، ص ٦٣ .

[١٩] الذهبي ، معرفة القراء ، ص ٣٧٩ .

[٢٠] الذهبي ،معرفة القراء ، ص ٣٧٩ – ٣٨٠ .

[٢١] القراءات السبعة : وهي سبع قراءات للقرآن الكريم اشتهرت في الأمصار الاسلامية بعد ان رحل الصحابة الى الناس لتعليمهم قراءة القرآن الكريم فصار الناس في المدينة المنورة على قراءة نافع وبمكة على قراءة ابن كثير، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم، وبالبصرة على قراءة ابي عمرو يعقوب وبالشام على قراءة ابن عامر ؛ : ابن مجاهد ، احمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) في كتاب السبعة في القراءات، تح: شوقي ضيف،(بيروت ، دار المعارف ، ١٤٠٠هـ) ، ص٤٥ .

[٢٢] شمس الدين ابن غدير : محمد بن أحمد بن عليّ بن غدير، شمس الدين، أبو عبد الله، الواسطيّ، المقرئ، المجوّد ، ولد في حدود سنة ٦٧٠هـ ، وحجّ وجاور بالمدينة النبويّة في صحبة عزّ الدين

أحمد بن إبراهيم الفاروثيّ فقرأ عليه القراءات العشر. وقدم معه دمشق فقرأ بها القراءات على الجمال إبراهيم بن داود الفاضليّ، فلم يكملها فأكملها على شمس الدين محمد بن عبد العزيز الدمياطيّ ؛ المقريزي ، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (٨٤٥هـ) ، المقفى الكبير ، تح : محمد اليعلاوي ، (بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ٢٠٠٦م) ، ج٥ ، ص ١٢٩.

[٢٣] الشاطبية : هي مجموعة من المؤلفات الاسلامية ، تتحدث عن القراءات العشر للأئمة وهي منظومات شعرية ليسهل على كلّ طالب استحضار قواعد هذا الفن ، ومتن الشاطبية او حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع هي منظومة شعرية للإمام القاسم بن وفيرة بن خلف الشاطبي الاندلسي، واسم المنظومة الشعرية الأصلية هي حرز الأماني ووجه التهاني ولقبت بالشاطبية نسبة لكاتبها الشاطبي الرعيني، بلغ عدد أبيات هذه المنظومة الشعرية ألف ومئة وثلاث وسبعون بيتاً شعرياً، نظم الشاطبي القراءات السبع المتواترة عن الأئمة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي.، والشاطبية أيضاً كانت من أوائل القصائد التي تم نظمها في علم القراءات أي أنها لم تكن أولها على الإطلاق، ومع إنها حوت على القراءات السبع المتواترة، فقد اعتبرت عين من عيون الشعر بسبب عذوبة الألفاظ ورصانة الأسلوب وجودة السبك وحسن الديباجة وجمال المطلع والمقطع وروعة المعنى وسمو التوجيه وبديع الحكم وحسن الإرشاد ؛ الشاطبي ، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني (ت ٥٩٠هـ) ، متن الشاطبية ، تح : محمد تميم الزعبي، (بيروت ، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية ، ٢٠٠٥م) ، مقدمة المحقق ، ص ٤ .

[٢٤] الرائية : وهي مجموعة من القصائد المسماة عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد للامام القاسم بن وفيرة بن خلف الشاطبي الاندلسي ، هي في رسم المصحف وذلك في معرض رده على القائلين بالصَّرْفَةِ في القرآن الكريم فردهم الشاطبي في الرائية ، وحظيت الرائية باهتمام العلماء، فأقبلوا عليها حفظا ودراسة وتوالت عليها الشروح ما بين مختصر ومطول وما بينهما. وأول من شرحها تلميذ الشاطبي علم الدين السخاوي(ت ٦٤٣هـ) ، وسماها الوسيلة في شرح العقيلة ؛ الجعبريّ ، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل (ت ٧٣٢ هـ)، تح : حسن الأهدل ، (بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٩٨٨م) ، ص ٥٤ .

[٢٥] الذهبي ، معرفة القراء ، ص ٣٧٩ .

[٢٦] ابو بكر الدمشقي : أبو بكر بن موسى بن أبي بكر بن المجبر الدمشقي الفراء ولد في نصف رمضان سنة ٦٦٦هـ وسمع من الفاروثي وأيوب النحاس وغيرهما وذكر أنه سمع من الفخر ابن البخاري وكان جيدا خيرا كتب بخطه كثيرا لكن خطه كان رديا وكان يؤم بالصدرية بدمشق نيابة مات في تاسع صفر سنة ٧٤٢ هـ ؛ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تح : محمد عبد المعيد ضان ، (حيدراباد ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٧٢م) ، ج١ ، ص ٥٥٨ .

[٢٧] ابن الخباز : محمد بن عبد العزيز بن صالح، أبو عبد الله، الكنانيّ، المصريّ، الخيّاط، المعروف بابن الخبّاز، أخو تقيّ الدين صالح المقرئ، سمع من الصائن محمد بن الأنجب، وعبد الله ابن علّاق، وحدّث عنهما بمصر، وكان خيّرا، توفّي بمصر ليلة السابع من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، وقد جاوز التسعين؛ المقريزي المقفى الكبير ، ج٦ ، ص ٤٦ .

[٢٨] ابن سامة : محمد بن عبد الرحمن بن سامة بن كوكب الطائي السوادي، وكان مشهورا بقراءة الحديث والاشتغال به والرحلة إليه ومولده فى سنة ٦٦٢هـ وتوفي في سنة ٧٠٨هـ وصلي عليه بجامع عمرو بن العاص بالقرافة بالقرب من تربة الإمام الشافعى؛ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت ٧٣٣هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، (القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية،١٤٢٣هـ)، ج٣٢،ص١٤٤ .

[٢٩] سلبمان بن حمزة : هو سليمان بن حمزة بن يوسف الجامي المغربي، قرأ على الدمياطي أبو عبد الله محمد ابن عبد العزيز صاحب السخاوي، سمع من أبي الفضل أحمد بن هبة ابن عساكر ، ، وتوفي في صفر سنة ٦٩٣هـ ؛ ابن ناصر الدين ، شمس الدين محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي (ت ٨٤٢هـ)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تح : محمد نعيم العرقسوسي ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م) ، ج٢ ، ص ١٣٢ .

[٣٠] الذهبي ، معرفة القراء ، ص ٣٨٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٥٢ ، ص ١٩٧ ؛ السلامي ، تقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ)، الوفيات ، تح : صالح مهدي عباس وبشار عواد معروف ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ) ، ج١ ، ص ٣٩٥ .

[٣١] الذهبي ، معرفة القراء ، ص ٣٨٠ .

[٣٢] الذهبي ، معرفة القراء ، ص ٣٨٠ .

[٣٣] الذهبي ، معجم الشيزخ الكبير ،ج٢ ، ص ٢١٨ .

[٣٤] الذهبي ، معرفة القراء ، ص ٣٨٠ .

[٣٥] ابن الساعي ، تاج الدين علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب(ت ٦٧٤هـ)، الدر الثمين في أسماء المصنفين ، تح : أحمد شوقي بنبين و محمد سعيد حنشي،(تونس ، دار الغرب الاسلامي ، ٢٠٠٩م)، ص ٢٦ ؛ ابن عبد الهادي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (ت ٧٤٤ هـ)، طبقات علماء الحديث، تح : أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق ،(بيروت ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٦م)، ج٤ ، ص ٢٦٢ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨م)،ج٤،ص١٧٩ ؛الذهبي ، المعين في طبقات المحدثين، تح : همام عبد الرحيم سعيد، (عمان ، دار الفرقان ، ١٤٠٤هـ) ، ص ٢٢٧ ؛ الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر (ت٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تح : إحسان عباس، (بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٤م) ، ج٢ ، ص ٤٠٩ .

[٣٦] ابن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ، ج٤ ، ص ٢٦٢ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٧٩ .

[٣٧] الذهبي ، المعجم المختص بالمحدثين ، تح : محمد الحبيب الهيلة، (الطائف ، مكتبة الصديق، ١٩٨٨م) ، ص ٩٥ ؛ العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت ٧٤٩هـ) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (ابو ظبي، المجمع الثقافي ، ١٤٢٣هـ) ، ج٥ ، ٥٩٥ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٢ ، ص٤٠٩ .

[٣٨] دمياط : مدينة مشهورة بالديار المصرية وثغر من ثغور الاسلام ، واليها ينسب العديد من العلماء ومنهم الدمياطي الذي ضبط تسميتها بخط يده فقال : بدال مكسورة وبعدها ميم ساكنة وباء بأثنتين تحتها بعدها الف وطاء وياء والدال والطاء مهملتان ودافع ابن بطوطة عن الدمياطي فقال : الدمياطي اعرف بضبط اسم بلده ؛

[٣٩] ابن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ، ج٤ ، ص ٢٦٢ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٢ ، ص٤٠٩- ٤١٠ .

[٤٠] العبدري ، ابي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن احمد بن سعود (ت٧٠٠هـ)، رحلة العبدري ، تح : علي ابراهيم كردي ، (دمشق ، دار سعد الدين ، ٢٠٠٥م) ، ص ٢٨٩ .

[٤١] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٧٩ .

[٤٢] الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٩ ، ص ١٥٩ .

[٤٣] العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٢٢١ .

[٤٤] العبدري ، رحلة العبدي ، ص ٢٨٩ .

[٤٥] العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج٣ ، ص ٢٢٢ .

[٤٦] النويري ، نهاية الارب ، ج٣٣ ، ص ٢٧٥ .

[٤٧] العبدري ، رحلة العبدري ، ص ٢٩٩ .

[٤٨] العز بن عبد السلام: عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام وبقية الأعلام الشيخ عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي؛ ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة وتوفي سنة ستين وستمائة، سمع من الخشوعي وعبد اللطيف بن إسماعيل الصوفي والقاسم ابن عساكر وابن طبرزد وحنبل وابن الحرستاني وغيرهم، وخرج له الدمياطي أربعين حديثاً عوالي. روى عنه الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد والدمياطي وأبو الحسين اليونيني وغيرهم. وتفقه على الإمام فخر الدين ابن عساكر، وقرأ الأصول والعربية، ودرس وأفتى وصنف، وبرع في المذهب، وبلغ رتبة الاجتهاد، وقصده الطلبة من البلاد، وتخرج به أئمة، وله الفتاوى السديدة ، وكان ناسكاً ورعاً، أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم؛ ولي خطابة دمشق ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٢، ص ٣٥٠ .

[٤٩] زكي الدين المنذري : ابن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد، الإمام، الحافظ الكبير، الحجة، زكي الدين، أبو محمد، المنذري، الشامي، ثم المصري ، ولد في شعبان سنة إحدى وثمانين وخمس مئة، وقرأ القرآن بالسبع، وتفقه، وعني بهذا الشان، وبرع فيه، وكان من بحور العلم، وأول سماعه في سنة إحدى وتسعين، وعمل "المعجم"، واختصر "صحيح مسلم"، و"سنن أبي داود"، وحدث عنه: الدمياطي، = وابن الظاهري، وابن دقيق العيد، وأبو الحسين اليونيني، وإسحاق بن الوزيري، درس بالجامع الظافري بالقاهرة، ثم ولي مشيخة الكاملية، وانقطع بها ينشر العلم عشرين سنة ، وتوفي في رابع ذي القعدة سنة ست وخمسين وست مئة ؛ ابن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ،ج٤ ، ص ٢٢١؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٥٣ .

[٥٠] ابن دقيق العيد : الإمام، الفقيه، الحافظ، العلامة الأوحد، الشيخ تقي الدين، أبو الفتح، محمد بن علي بن وهب بن مطيع، القشيري، المنفلوطي، الصعيدي، المالكي والشافعي، صاحب التصانيف ، ولد في شعبان سنة خمس وعشرين وست مئة، وكان من أذكياء زمانه، واسع العلم، كثير الكتب، مديما للاشتغال، وممن فاق بالعلم والزهد على أقرانه، عارفا بالمذهبين، إماما في الأصلين، حافظا، متقنا في الحديث وعلومه، يضرب به المثل في ذلك، وكان آية في الحفظ والإتقان والتحري، توفي في صفر سنة اثنتين وسبع مئة؛ ابن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ،ج٤ ، ص٢٦٥- ٢٦٦ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص١٨١ .

[٥١] نصير الدين الطوسى: محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين أبو عبد الله الطوسي الفيلسوف صاحب علوم الرياضي والرصد كان رأسا في علم الأوائل لا سيما في الأرصاد والمجسطي فأنه فاق الكبار ،وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكو وكان يطيعه فيما يشير به عليه والأموال في تصريفه فابتنى بمدينة مراغة قبة ورصدا عظيما واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة ، وكان حسن الصورة سمحا كريما جوادا حليما = حسن العشرة غزير الفضائل جليل القدر داهية ، ومولد النصير بطوس سنة سبع وتسعين وخمس مائة توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وست مائة ببغداد ودفن في مشهد الامام الكاظم(ع) ؛ الصفدي ،صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تح : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت ، دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م)،ج١، ص ١٤٧- ١٥١ .

[٥٢] ابن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ،ج٤ ، ص٢٦٢ ؛ الذهبي ، المعجم المختص بالمحدثين، ص ٩٥ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٩ ، ص ١٥٩ .

[٥٣] الذهبي ، سير اعلام ، مقدمة المحقق ، ص ٢٩ ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٢ ، ص ٤٠٩ .

[٥٤] الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٩ ، ص ١٥٩ .

[٥٥] السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح : محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، (القاهرة ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ)، ج١٠، ص ١٠٢ ؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي(ت ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م)، ج٧ ، ص ٣٦٧ .

[٥٦] السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري (ت ٩١١هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تح : حمدي الدمرداش، (مكة المكرمة ، مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠٤م) ، ص٣٢٨ .

[٥٧] السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج١٠ ، ص ١٠٢ .

[٥٨] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٧٩ .

[٥٩] ابو حيان ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، البحر المحيط في التفسير ، تح : صدقي محمد جميل ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٢٠هـ) ، ج٢ ، ص ٥٤٦ .

[٦٠] العبدري ، رحلة العبدري ، ص ٢٨٦ .

[٦١] العبدري ، رحلة العبدري ، ص ٢٨٦ .

[٦٢] الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٩ ، ص ١٥٩ .

[٦٣] الذهبي ، سير اعلام ، ج٢٣ ، ص ١١٩ .

[٦٤] الذهبي ، سير اعلام ، ج٢٣ ، ص١١٦- ١١٧ .

[٦٥] الذهبي ، سير اعلام ، ج٢٣ ، ص ١١٧- ١١٨ .

[٦٦] الذهبي ، سير اعلام ، ج٢٣ ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

[٦٧] الذهبي ، المعجم المختص ، ص ١٦٩ .

[٦٨] الذهبي ، معجم الشيوخ الكبير ، ج٢ ، ص ٣٢٠- ٣٢١ .

[٦٩] العراقي ، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦ هـ)، الذيل على ذيل العبر، تح: أحمد عبد الستار، (القاهرة ، دار الذخائر، ٢٠١٩م)، ص ٦١ .

[٧٠] السبكي ، طبقات الشافعية ، ج١٠ ، ص ١٠٤ .

[٧١] العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .

[٧٢] التجيبي ، القاسم بن يوسف بن محمد بن علي البلنسي السبتي (ت ٧٣٠هـ) ، برنامج التجيبي ، تح : عبد الحفيظ منصور ، (تونس ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨١م) ، ص ١٢٩ .

[٧٣] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ٤٥ .

[٧٤] ابن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ، ج٤ ، ص ٢٦٢ ؛الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٤٥ ، ص ١٧٩ ؛ العمري ، مسالك الابصار ، ج٥، ص ٥٩٥ .

[٧٥] الذهبي تاريخ الاسلام ، ج٤٨ ، ص ٢٢٥ .

[٧٦] عبد الرحمن ، معجم شيوخ ، ص ٢٥ .

[٧٧] الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٤٨ ، ص ٢٢١ .

[٧٨] الذهبي ، سير اعلام ، ج٢٣ ، ص ٣٠٧ .

[٧٩] ابن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ، ج٤ ، ص ٢٢٢ .

[٨٠] الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٤٩ ، ص ٨١ .

[٨١] الذهبي ، المعجم ،ص ٨٣ .

[٨٢] الذهبي ، معجم الشيوخ ، ج١ ، ص ٤٣٩ .

[٨٣] الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي المكي الحسني الفاسي (ت ٨٣٢هـ)، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، تح : كمال يوسف الحوت ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٠م) ، ج١ ، ص ٢٠٢ .

[٨٤] عبد الرحمن ، معجم شيوخ ، ص٣٢ .

[٨٥] ابن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ، ج٤ ، ص ٢٦٢ ؛ الكتبي ، الوافي بالوفيات ، ج٢ ، ص ٤١١ .

[٨٦] الذهبي ، سير اعلام ، ج١٦ ، ٤٤٤ .

[٨٧]الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج١٩ ، ص ١٥٩ .

[٨٨] الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٤٨ ، ص ٣٣٤ .

[٨٩] الفاسي ، ذيل التقييد ، ج٢ ، ص١٦٤ .

[٩٠] اليونيني ، ذيل مراة الزمان ، ج٣ ، ص ٣٩ .

[٩١] ابن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ، ج٤، ص ٢٦٢ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٧٩ .

[٩٢] الفاسي ، العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، تح : محمد عبد القادر عطا، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج٦ ، ص ٤٣٣ .

[٩٣] الدمياطي ، كشف المغطى في تبين الصلاة الوسطى ، تح : مجدي فتحي السيد ، (طنطا ، دار الصحابة للتراث ، ١٩٨٩م) ،ص ١٣ .

[٩٤] ابن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ، ج٤ ، ص ٢٦٢ .

[٩٥] الذهبي ، سير اعلام ، ج١٦ ، ص ٤١٣ .

[٩٦] الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٤٨ ، ص ٣٠٧ .

[٩٧] الذهبي ، سير اعلام ، ج٢٣ ، ص ٢٨٢ .

[٩٨] عبد الرحمن ، معجم شيوخ ، ص٤٣ .

[٩٩] الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٤٨ ، ص ١٢٠ .

[١٠٠] الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٣ ، ص ١٢٦ .

[١٠١] الصلاة الوسطى : مؤلف لشرف الدين الدمياطي واسمه الكامل (كشف المغطَّى في تبيين الصلاة الوسطى) ، أجاد فيه وأحسن، وأوضح فيه وبيَّن مذهب الشافعية في صلاة العصر ؛ الفاكهاني ، تاج الدين أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي =الإسكندري المالكي (المتوفى: ٧٣٤هـ) ، رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام ، تح : نور الدين طالب ،(دمشق ، دار النوادر ، ٢٠١٠م) ، ج١ ،ص ٥٥٨ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٧٩ .

[١٠٢] فضل الخيل : كتاب فضل الخيل الفه الدمياطي في شعبان خمس وتسعين وستمائة بالمدرسة الظاهرية من القاهرة وفيه ذكر ما يستحب وما يكره من ألوانها وشياتها، وما جاء في كراهية أكل لحومها وإباحتها وما ورد في سباقها وسهامها وصدقاتها ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج١٠ ، ص ١٢٧.

[١٠٣] وهو مصنف في " قبائل الخزرج وبطونها وأفخاذها " وفي قبائل الأوس وبطونها وأفخاذها وفي " أخبار بنى المطلب " وأخبار بنى نوفل، و " الأخوة والأخوات " ؛ السخاوي ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت ٩٠٢هـ) ، الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، تح: أبو عائش عبد المنعم إبراهيم،(القاهرة ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث،٢٠٠١م) ، ص ٣٣٧ .

واستعمل فيه التلفيق، ووقع رقمه فى نسختين هذا بهاء بدل الدال المهملة والألف، وحينئذ فالألف فى هذا للإشباع، لكنها ملبسها.

[١٠٤] وهو مجلد للمحدث شرف الدين الدمياطي ، وهو عبارة عن تراجم لعلماء سبقوا عصر الدمياطي المتوفي سنة ٧٠٥هـ ، وهؤلاء العلماء هم فقط من يبدأ اسمه بـ (عبد المؤمن) وربما ما دفعه لتأليف هذا الكتاب هو ارضاء نزعة الطموح في نفسه فقد كان اسمه يبدأ بـ(عبد المؤمن) ؛ الكتبي ، فوات الوفيات ، ج٢ ، ص ٤١١ ؛ العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٢١ ؛ الاتروشي ، شوكت ، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي ، (عمان ، دار دجلة ناشرون وموزعون ، ٢٠٠٧م)،٢٣٦ .

[١٠٥] ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، تح : علي شيري ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٨م) ، ج١٤ ، ص ٤٥ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، ج٧ ، ص ٣٧١.

[١٠٦] مؤلف مطبوع للدمياطي ، ويختص به بسيرة الرسول الاكرم (ص) ونسبه واولاده وزوجاته ومغازيه ، وتوجد الان ثلاث نسخ ، تقع النسخة (أ) في ١٤٠ ورقة وعدد الأسطر في كل صفحة ٢١ سطراً خطها نسخ حسن، وناسخها: محمد بن محمد الإمام وتاريخ نسخها ١٠٠٨ هـ وهي مصورة عن مكتبة الأحقاف باليمن برقم ١٥٥ مجموعة ابن سهل وتوجد من هذه المخطوط صورة مكروفيلمية بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة اما النسخة (ب) تقع في ٧٤ ورقة وعدد الأسطر في كل صفحة ٢٧ سطراً، خطها نسخ معتاد، لم يذكر اسم الناسخ، وهي مصورة عن مكتبة حذا بخش بالهند برقم ٣٣٧١، اما النسخة (ج) تقع في ١١٣ ورقة وعدد الأسطر ٢٥ سطراً وناسخها أحمد بن موسى النجدي، وتاريخ نسخها ١٠٦٧هـ وهي مصورة عن الخزانة العامة بالرباط ، وحقق الكتاب سنة ١٩٩٦م من قبل اسعد الطيب في حلب ؛ الدمياطي ، شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن (٧٠٥هـ) ، السيرة النبوية ، تح : اسعد محمد الطيب ،(حلب ، دار الصابوني ، ١٩٩٦م) ، مقدمة المحقق ، ص ١٤ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج ١٦ ، ص ٢٧٧ .

[١٠٧] مؤلف مطبوع للدمياطي، وهو في غاية الضبط والإتقان إذ عليها تصحيحات المؤلف وتعديلاته ومقابلاته، وقد تضمن هذا المعجم جملة مباركة من رجال القرن السابع الهجري وأعلامه الذين يمثلون في ذلك القرن المتميز، نبلاء الأمة وأشرافها وفضلائها. كما حوى الكثير من المرويات والفوائد الحديثية، والأخبار التاريخية، والمقاطيع الشعرية، وجمع الدمياطي معجما لشيوخه وبلغ عددهم اكثر من ألف =شيخا ؛ الذهبي ،تاريخ الاسلام ، ج٤٨ ، ص ٣٩٨ ؛ عبد الرحمن ، ابراهيم نجم ، معجم

شيوخ الحافظ الدمياطي من بداية الكتاب الى نهاية الجزء الخامس : دراسة وتحقيق وتهذيب ، رسالة ماجستير ، جامعة ملايا ، كوالالمبور ، اكاديمية الدراسات القرانية ، ٢٠١٢م ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

[١٠٨] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ٤٥ .

[١٠٩] مؤلف مطبوع للدمياطي ، وبه جمع احاديث الرسول الاكرم محمد (ص) في الاحتساب عند فقدان الاولاد ، وفى بداية الكتاب نحيا مع بشارات الصابرين على فقد الأولاد في القرآن الكريم ، وما أعده الله لهم من جزيل الثواب ، ويأتى لنا في خاتمة الكتاب ببعض الحكايات التي تسلى الحزين ، وتفرح القلب المغموم ، وإذا كان من يتقدم القوم فى طلب الدلاء والأرشاء ليهيء لهم الحصول على الماء هو فرَطُهم ، فإن من يلقى ربه من الأولاد يتقدم قافلة الأمهات والآباء ويصبح لهم أجرا متقدما ونعم الفرط ؛ الدمياطي ، التسلي والاغتباط بثواب من تقدم من الأفراط ، تح : مجدي السيد إبراهيم ، (القاهرة ، مكتبة القران ، ١٩٨٨م) ، مقدمة المحقق ص ٨ –٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٤٥ .

[١١٠] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٤٥ ؛

[١١١] مؤلف مطبوع للدمياطي ، غرض الإمام الدمياطي من تأليفه لهذا الكتاب هو جمع أكبر قدر من الأحاديث والآثار المتعلقه بثواب الأعمال وفضائلها ، فالكتاب يشتمل على ذكر ايات من الكتاب المبين ، وجملا من كتاب سيد المرسلين ، في ثواب العمال ، وعلي فواضل الأعمال ، ليكون ذلك باعثا لأولي الهمم العلية ، علي نيل تلك الرتب السنيه ، وسائقا للمتقين ، إلي جوار رب العالمين ،وموضوع هذا الكتاب هو تناول الأحاديث والاثار التي وردت عن الثواب و فواضل الأعمال وفضائلها ؛ الدمياطي ، المتجر الربح في ثواب العمل الصالح ، تح : محمد بن ابراهيم بن عبد الله ، (القاهرة ، دار البيان العربي ، ٢٠٠٦م) ، مقدمة المحقق ، ص ٣ .

[١١٢] العسقلاني ، فتح الباري ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ) ، ج٢ ، ص ١٠٥ .

[١١٣] العسقلاني ، فتح الباري ، ج٧ ،ص ٣٩٠ .

[١١٤] النويري ، نهاية الارب ، ج٣٢ ، ص ١٢١ .

[١١٥] الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٧٩ .

[١١٦] النويري ، نهاية الارب ، ج٣٢ ، ص١٢١ ؛ ابن عبد الهادي ، طبقات علماء الحديث ، ج٤ ، ص٢٦٣ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٧٩ ؛ الذهبي ، المعجم ، ص ٩٦ .

تركيا ومنظمة المؤتمر الاسلامي واحتواء المشكلات السورية (٢٠٠٣-٢٠١٠)

ايلاف صلاح رشيد

elaf.salah2205p@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.د. علي محمد كريم

ali.m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Türkiye, the Organization of the Islamic Conference, and Containing Syrian Problems (2003–2010)

Elaf Salah Rashid

elaf.salah2205p@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Prof. Dr. Ali Mohammed Karim

ali.m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

تركيا ومنظمة المؤتمر الاسلامي واحتواء المشكلات السورية (٢٠٠٣-٢٠١٠)

ايلاف صلاح رشيد

أ.د. علي محمد كريم

الخلاصة :

شهدت العلاقات التركية-السورية بين عامي (٢٠٠٣-٢٠١٠) تحولًا لافتًا ،بعد عقود من الخلافات السياسية والحدودية بين البلدين، اذ دخل البلدين مرحلة جديدة اتسمت بالانفتاح والحوار والتفاهم في سياق إقليمي ودولي متأثراً بسياسة حزب العدالة والتنمية الجديدة بعد تبنيها سياسة "صفر مشاكل مع الجيران" وسعي تركيا لتعميق علاقاتها مع البلاد العربية والاسلامية في منظمة المؤتمر الاسلامي ودعمها لسوريا في جميع قرارات المنظمة ، في الوقت الذي وجدت سوريا فرصة في هذا الانفتاح لكسر العزلة الإقليمية التي فرضت عليها بعد اغتيال الرئيس اللبناني رفيق الحريري عام ٢٠٠٥، ولتوسيع التعاون الاقتصادي والأمني مع تركيا.

الكلمات المفتاحية : تركيا ، سوريا ، منظمة المؤتمر الاسلامي .

Abstract

Turkish-Syrian relations between 2003 and 2010 witnessed a remarkable transformation, after decades of political and border disputes between the two countries. The two countries entered a new phase characterized by openness, dialogue, and understanding within a regional and international context, influenced by the new policy of the Justice and Development Party after adopting the policy of "zero problems with neighbors." Turkey sought to deepen its relations with Arab and Islamic countries in the Organization of the Islamic Conference and its support for Syria in all the organization's decisions. At the same time, Syria found an opportunity in this openness to break the regional isolation imposed on it after the assassination of Lebanese Prime Minister Rafik Hariri in 2005, and to expand economic and security cooperation with Türkiye.

المقدمة:

تعد تركيا واحدة من اهم دول الجوار الجغرافي لسوريا، وثاني اكبر دولة اسلامية وهو مايؤهلها للعب دوراً مهما في الاحداث السياسية على الساحة السورية ، استهدف موضوع البحث متابعة الدور التركي في احتواء المشكلات السورية ضمن اطار مؤتمرات القمم الاسلامية ومؤتمرات وزراء خارجية الدول الاسلامية الاعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي اثناء المدة(٢٠٠٣-٢٠١٠) ،وانطلقت فرضية البحث من امتلاك تركيا للمقومات التي تهيئ لها الفرصة لتكون عضواً فاعلاً في احتواء المشكلات السورية في المدة موضع الدراسة ، ووفقاً لذلك تعزز الفرضية بسياق الأسئلة الآتية:-

- هل تمكنت تركيا من ممارست الدور القيادي الموجه لنشاطات منظمة المؤتمر الإسلامي خلال مدة الدراسة (٢٠٠٣-٢٠١٠) ؟
- ما هي قوة التأثير التركي على الدول اعضاء مُنظَّمة المؤتمر الإسلامي فيما يخص مشكلة مشكلات سوريا ٢٠٠٣-٢٠١٠؟ .
- مساحة الدور التركي في احتواء مشكلات السورية ؟

تطلب منهجية البحث تقسيمه الى مقدمة ومحورين ، اذ درس المحور الاول بدايات حرب الخليج الثانية والموقف التركي منها ، ودرس المحور الثاني الدور التركي في مؤتمرات منظمة المؤتمر الاسلامي في احتواء ازمة الخليج الثانية، وخاتمة .

استمد البحث مادته من وثائق منظمة المؤتمر الاسلامي والكتب الاجنبية والعربية والمعربة ، فضلاً عن الاطاريح الاكاديمية والبحوث والصحف العربية والاجنبية .

المحور الاول : العلاقات التركية السورية (٢٠٠٣-٢٠٠٥):

أثيرت القضية السورية التركية بشدة عام ١٩٩٨ ،عندما نشبت الأزمة بين تركيا وسوريا حول قضايا ومنها: الاكراد والمياه ، ولكن تم احتواء الأزمة بوساطة إقليمية، لتشهد العلاقة بين الدولتين هدوء نسبي حتى العام ٢٠٠٤ [١].

شهدت العلاقات التركية – السورية نقلة نوعية مع وصول حزب العدالة والتنمية للحكم في تركيا ،سيما بين عامي (٢٠٠٣-٢٠١٠)[٢]، على خلفية حضور الوفد التركي الى

مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي المنعقد في دورته الثلاثين في العاصمة الايرانية طهران للمدة بين الثامن والعشرين والثلاثين من آيار عام ٢٠٠٣،ومناقشة المؤتمرون البند المعنون الجولان السوري المحتل وقرار إسرائيل الصادر في الرابع عشر من كانون الثاني عام ١٩٨١ بفرض قوانينها وولايتها وإدارتها على الجولان السوري المحتل ،وتصويت الوفد التركي الى جانب القرار المرقم (٣/٣٠ – س) بشأن الجولان السوري المحتل الذي اشاد بصمود المواطنين العرب السوريين القاطنين في الجولان السوري ضد الاحتلال الصهيوني وتصديهم الباسل لإجراءات الكيان الصهيوني القمعية[٣].

ادان المؤتمر في قراره الكيان الصهيوني لعدم امتثاله لقرار مجلس الأمن رقم ٤٩٧ لعام (١٩٨١)والذي عد جميع قرارات الكيان الصهيوني واجراءاته في الجولان السوري باطله وغير شرعية ، فضلاً عن تنديده تهديدات الكيان الصهيوني المتكررة الموجهة ضد سوريا واتهم الكيان الصهيوني بانه يسعى من خلال سياسته هذه في تدمير عملية السلام وتصعيد التوتر في منطقتي المشرق العربي خاصة والشرق الاوسط عامة[٤].

قام الرئيس السوري بشار الاسد[٥] ،بزيارة للعاصمة التركية أنقرة في السادس من كانون الثاني عام ٢٠٠٤ ، والتي تعتبر الأولى لرئيس سوري منذ استقلال سوريا في عام ١٩٤٦ ، والتقى مع رئيس الوزراء التركي رجب الطيب اردوغان و الرئيس التركي أحمد نجدت سيزر ، وتعتبر هذه الزيارة بمثابة محطة تأريخية في العلاقات بين البلدين الشقيقين بعد زيارات متبادلة لمسؤولين من البلدين ، اذ كانت قد أبرمت دمشق وأنقرة في كانون الاول عام ٢٠٠٣ ، اتفاقاً أمنياً يهدف إلى مكافحة الجريمة والإرهاب،عقب تسليم دمشق لاثنين وعشرين مشتبها فيهم تلاحقهم الحكومة التركية لتورطهم في هجمات بإسطنبول في تشرين الثاني عام ٢٠٠٣[٦].

ومن خلال دراستنا للموقف التركي والسوري يمكننا ان نعتبر ذلك جزءًا من سياسة تركيا لتقوية الروابط الإقليمية، اذ كانت سوريا تعتبر تهديدًا للأمن التركي بسبب وجود مقاتلين من حزب العمال الكردستاني (PKK) على أراضيها،من ناحية أخرى، كانت تركيا تتفهم القلق السوري من وجود جماعات إسلامية متطرفة في تركيا.

اتخذت الحكومة التركية مواقف حاكت تطلعات الحكومة السورية ومنها أدانته لاغتيال قائد حركة حماس الشيخ احمد ياسين [٧] في الثاني والعشرين من اذار عام ٢٠٠٤، وهو ما تسبب برفض استقبال الحكومة التركية لرئيس وزراء الكيان الصهيوني ارئيل شارون[٨] ،ووصفته بانه يمارس ارهاب دولة [٩].

عقد مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي المنعقد في دورته الحادية والثلاثين في اسطنبول في تركيا للمدة بين الرابع عشر والسادس عشر من حزيران عام ٢٠٠٤، **بشأن رفض العقوبات الأمريكية أحادية الجانب المفروضة على الجمهورية العربية السورية** ، اذ استذكر اهداف و مبادئ ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي ،سيما تلك التي تدعو إلى توطيد التضامن بين الدول الإسلامية والعمل على تعزيز قدرتها على حماية سيادتها وأمنها واستقلالتها وواشار الى قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة المرقمة (رقم ٥١/٢٢)و(٥١/١٧) بشأن العقوبات الاقتصادية التي يتم فرضها من قبل دول أعضاء بالأمم المتحدة بصورة فردية ضد دول أخرى أعضاء[١٠].

اعلن المؤتمر في قراره عن رفضهم لجميع القرارات الامريكية الداعية لفرض عقوبات على سوريا وما اسمته بقانون "محاسبة سوريا" وعده قراراً مجحفاً بحق سوريا ومنحازا انحيازاً تاماً للكيان الصهيوني ،ودعا الادارة الامريكية الى الالتزام مبادئ القانون الدولي و بقرارات الامم المتحدة وبنود مواثيقها وعدت قرار الادارة الامريكية مخالفة صريحة لهما وتغليباً للقوانين الأمريكية على القانون الدولي، في الوقت الذي اعلن المؤتمرون عن تضامنهم مع سوريا ودعمهم التام لسياسة الحكومة السورية في تغليب لغة الحوار والدبلوماسية في ادارة الامور السياسية للتفاهم وحل الخلافات ، ودعا الادارة الامريكية الى التحلي بحسن النية في حوارها مع الحكومة السورية لتسوية المسائل التي تعيق تحسين العلاقات بين البلدين [١١].

المحور الثاني : الدور التركي في منظمة المؤتمر الاسلامي في احتواء لمشكلات السورية (٢٠٠٥-٢٠١٠) :

أثمر سعي الحكومتين التركية والسورية للارتقاء بالعلاقات الاقتصادية بين البلدين الى مستوى متميز الى تحقيق نمو مطرد فى حجم التبادل التجارى والاستثمارت المشتركة والمتبادلة بين البلدين ، اذ اتخذت العلاقات الاقتصادية مسارات جديدة ومختلفة سيما بعد

دخول منطقة التجارة الحرة السورية التركية حيز التنفيذ وصدور المرسوم رقم (٩) المتضمن اعفاء شهادات المنشأ والفواتير التجارية العائدة للبضائع السورية المنشأ فى تركيا والمصدرة الى سوريا من رسوم التصديق القنصلى والتى يتوقع ان ترفع حجم التبادل التجارى من حوالى (٨٥٠) مليون دولار في عام ٢٠٠٥ الى ما بين (٣-٥) مليارات دولار فى الحد الادنى نهاية ٢٠٠٧ [١٢].

عملت الحكومة التركية على تبديد المخاطر و التهديدات المتبادله بين البلدين الشقيقين من أجل أرساء العلاقات الثنائية على أسس سليمة ، من خلال البدء بعهد جديد لتعزيز الثقة لدى الحكومة السورية وذلك بأسقاط المشكلة التي كانت تمثل التهديد الاكبر للعلاقات بين البلدين وهي مشكلة دعم حزب العمال الكردستاني من أجندة المباحثات بين البلدين، فضلاً عن مشكلة المياه اذ شرعت كلتا الدولتين باتخاذ كافة الخطوات اللازمة لتجاوز هذه المسألة وذلك بالاتفاق على انشاء سد مشترك على نهر العاص، كما سمحت الحكومة التركية لسوريا بالري فوق مساحة قدرها كيلو متر على حدود دجلة[١٣] .

أبدت حكومة الولايات المتحدة الامريكية تحفضات في شأن التقارب التركي – السوري ، والذي كان يخالف أستراتيجيتها الهادفة لعزل سوريا ،الا أن التزام الحكومة التركية المتزايد عبر زيارات متبادلة المسؤلين رفيعي المستوى و بناء علاقات شخصية قوية بين عائلتي رئيس الوزراء التركي أردوغان والرئيس بشار الاسد و تكثيف العلاقات التجارية، كان بعيداً عن أي أعتراض امريكي، حتى وقوع جريمة اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط عام٢٠٠٥[١٤].

بذلت الحكومة التركية جهوداً كبيرة للحفاظ على سياسة الألتزام تجاه الحكومة السورية ، لاسيما خلال الأشهر التي تلت أغتيال رفيق الحريري، عندما ظهر أن حكومة انقره هي تميل إلى الاكتفاء بعلاقات عمل عادية مع حكومة سوريا في خل الشكوك حول تورط الحكومة السورية في أغتيال رفيق الحريري والشعور بالخسارة لغياب شخصية استثنائية مثل شخصية رفيق الحريري عن المسرح الاقليمي [١٥].

عقد المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في دورته الثانية والثلاثين في العاصمة اليمنية صنعاء للمدة بين الثامن والعشرين والثلاثين من حزيران عام ٢٠٠٥، وادان المؤتمر في قراره

بشأن الجولان السوري بقوة محاولات الكيان الصهيوني لفرض الجنسية الصهيونية على المواطنين العرب السوريين في الجولان ، واشار الى ان هذا يعد خرقاً صارخاً للإعلان العالمي لحقوق الإنسان و لاتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩، واكد المؤتمرون في قرارهم على حق سوريا في استرجاع كامل سيادتها على الجولان السوري المحتل، كما طالب المؤتمرون الكيان الصهيوني بالالتزام بقرارات مجلس الامن والانسحاب الكامل والفوري من كل الجولان السوري المحتل إلى خط الرابع من حزيران عام ١٩٦٧ (١٦).

ان التقارب التركي السوري ترافق مع توتر العلاقات التركية مع الكيان الصهيوني ، رغم أن العلاقات التركية الصهيونية عميقة في مضامينها ، الا ان قيام وزير الخارجية التركي انذاك بزيارة سوريا والاتفاق على تطوير العلاقات الثنائية بين البلدين ادى الى خلق نوع من التوتر في العلاقات بين تركيا والكيان الصهيوني في آب عام ٢٠٠٦ (١٧)

حضر الوفد التركي مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي المنعقد في دورته الثالثة والثلاثين في باكو في جمهورية أذربيجان للمدة بين التاسع عشر والحادي والعشرين من حزيران عام ٢٠٠٦ ، واستذكر مبادئ ومقاصد ميثاق الأمم المتحدة، واكد المؤتمرون في قرارهم **بشأن" رفض العقوبات الأمريكية أحادية الجانب المفروضة على الجمهورية العربية السورية "**، واعرب المؤتمرون عن استغرابهم وقلقهم إزاء قرار الكونغرس الأمريكي بما يسمى "المحاسبة سورية"، وتوقيع الرئيس الأمريكي للامر التنفيذي في الحادي عشر من آيار عام ٢٠٠٤ والذي يقضي بفرض عقوبات أحادية الجانب خارج إطار الشرعية الدولية، واعلن المؤتمرون في قرارهم رفضهم لقرار الكونكرس الامريكي الموجه ضد بلد عربي ومسلم على درجة عالية من الاهمية في امن واستقرار المنطقة (١٨).

اعلن المؤتمرون في قرارهم تضامنهم التام مع الحكومة السورية وابدى تقديره لموقفها الداعي الى تغليب لغة الحوار والدبلوماسية أسلوباً للتفاهم بين الدول محل النزاع وحل الخلافات فيما بينها، ودعا الإدارة الأمريكية إلى الدخول بحسن نية في حوار بناء مع الحكومة السورية لإيجاد ابسط السبل وانجحها لتسوية المسائل التي تعيق تحسين العلاقات بين البلدين، وطالب الادارة الامريكية التراجع هذا القانون الذي يعتبر انحيازاً سافراً للكيان الصهيوني (١٩).

جاءت قرارات مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد في دورته الرابعه والثلاثين في اسلام اباد في باكستان للمدة بين الخامس عشر والسابع عشر من آيار عام ٢٠٠٧ ، مؤيدة لقرارات المؤتمرات السابقة المنعقدة في اسطنبول ٢٠٠٤،وصنعاء٢٠٠٥، وباكو ٢٠٠٦ ، بخصوص الشأن السوري وفرض العقوبات الاقتصادية من قبل الادارة الامريكية على سوريا وطالبت المجتمع الدولي بالضغط المتزايد على الادارة الامريكية لتغيير موقفها، فضلاً عن ان المؤتمر اشاد في قراره **بشأن انشاء مناطق خالية من الاسلحة النووية في الشرق الاوسط وافريقيا واسيا الوسطى وجنوب شرق اسيا** ، بالمبادرة التي قدمتها الحكومة السورية ونيابة عن المجموعة العربية لمجلس الامن الدولي لشهري نيسان وكاون الاول عام ٢٠٠٣ لجعل منطقة الشرق الاوسط منطقة خالية من اسلحة الدمار الشامل، سيما الاسلحة النووية[٢٠] .

سعت الحكومة التركية لاطلاق المفاوضات باربع جولات مفاوضة غير مباشرة بين سوريا والكيان الصهيوني ، وكان اخرها جولة مفاوضات بين اردوغان واليهود اولمرت، في الثالث والعشرين من كانون الأول عام ٢٠٠٨، ووصل الطرفان إلى خطوات عملية للتسوية بين سوريا والكيان الصهيوني، مبين استعداد الكيان الصهيوني إلى الانسحاب من الجولان السوري المحتل مقابل تطبيع العلاقات بين الدولتين، وانهاء الدعم السوري الحركات والأحزاب المقاومة للوجود الصهيوني في فلسطين، الا ان قيام الكيان الصهيوني بقصف قطاع غزة بعد اربع ايام تسببت بانهيار المباحثات نهاية عام ٢٠٠٨ [٢١].

وصف أردوغان الهجوم الصهيوني على غزه بأنه تعبير عن عدم احترام البلاد التي استقبلت أولمرت من أجل بحث وساطة تركية في محادثات غير مباشرة مع سوريا، والمعروف أن حركة حماس وأحزاب أخرى ترتبط مع سوريا بعلاقات مصيرية في الصراع العربي الصهيوني [٢٢].

كان لانعقاد مجلس وزراء الخارجية الاسلامي في دورته السادسة والثلاثين في دمشق في الجمهورية العربية السورية للمدة بين الثالث والعشرين والخامس والعشرين من آيار عام ٢٠٠٩، الاثر في رفع المعنويات لدى الحكومة السورية سيما بعد العقوبات التي فرضتها الادارة الامريكية متمثلة بما يسمى قانون" محاسبة سوريا" إذ استذكر مبادئ ومقاصد ميثاق

الأمم المتحدة والأهداف والمبادئ المنصوص عليها في ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي، وبعد أن اطلع على البيانات والقرارات الصادرة عن مختلف المحافل الحكومية الدولية والهيئات غير الحكومية، والتي تؤكد رفض المجتمع الدولي التام لتغليب دولة لتشريعاتها الوطنية على قواعد القانون الدولي وتشريعاته بهدف المساس بمصالح وسيادة الدول وشعوبها، فضلاً عن ان فرض القوانين الانفرادية التعسفية تجاه احدى الدول الاعضاء في الامم المتحدة يتعارض مع أحكام وتوجهات منظمة التجارة العالمية التي تعارض اي إجراءات من شأنها إعاقة حرية التجارة والملاحة الدوليتين (٢٣).

اعلن المؤتمر في قراره على تاييده الكامل للحكومة السورية وطالب الادراة الامريكية التخلي عن سياستها تجاه سوريا واظهار حسن النية في الحوار بين البلدين كما وطالب المؤتمرون الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي بمتابعة تنفيذ هذا القرار ورفع تقريره الى المؤتمر السابع والثلاثين لوزراء خارجية المنظمة (٢٤).

تدعيماً للعلاقات بين تركيا وسوريا بدأت مفاوضات بين البلدين وفي منتصف تشرين الأول ٢٠٠٩، وافق البلدان على فتح الحدود بين الدولتين امام حركة السياحة والتجارة ،لتعكس اتجاه كل من تركيا وسوريا لعدم اعطاء اهتمام لتأثيرات الحدود على علاقات البلدين.

بذلت الحكومة التركية جهودًا للجمع بين سوريا والكيان الصهيوني، اذ ان في هذه المرحلة كان من المهم بالنسبة لتركيا أن تبدأ محادثات سلام غير مباشرة بين سوريا والكيان الصهيوني، وكما ذكر أيتورك رأى رئيس الوزراء أردوغان أن استضافة السلام السوري مع الكيان الصهيوني هي مبادرة يمكن أن تثبت مدى فعالية تركيا في المنطقة بأستخدام القوة الناعمة ومن شأنها أن تزيد من نفوذ تركيا في المنطقة(٢٥).

كانت الأهمية التي أولتها تركيا لهذه المحادثات كبيرة، وكان انقطاع المحادثات بعد الهجمات الإسرائيلية على غزة سبباً في رد فعل تركيا القوي على الكيان الصهيوني ،فضلاً عن دعوة سوريا في عام ٢٠١٠ إلى التدريبات العسكرية التي تجريها مع الكيان الصهيوني منذ عام ١٩٩٨، وتكثيف الاتصالات رفيعة المستوى والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية مع إيران، وتوجه تركيا نحو سياسة "صفر مشاكل مع جيرانها"، والكيان الصهيوني والولايات

المتحدة في الشرق الأوسط وقد دفع ذلك البلاد إلى وضع علاقاتها مع حلفائها الغربيين في الخلفي .

الخاتمة :

من خلال دراستنا يمكننا ان نستنتج ان قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي المتعلقة بالشأن السوري اثناء المدة موضع الدراسة ، اتسمت بطابع داعم سياسيًا وسياديًا للحكومة السورية ، وارتبطت القرارات بشكل كبير بمسألتين أساسيتين هما: تعزيز التضامن العربي الإسلامي في وجه الضغوط الغربية فضلا عن الاحتلال الإسرائيلي لهضبة الجولانو التأكيد على سيادة سوريا عليها، وجاءت مشاركات الجانب التركي في قرارت المنظمة وخارجها من خلال بذل الحكومة التركية جهودًا للجمع بين سوريا والكيان الصهيوني اكثر من مره ومحاولة ايجاد الحلول المناسبة بين الطرفين بشأن الجولان المحتل حتى اعتداء الكين الصهيوني على غزه وانقطاع المباحثات الا اننا نجد ان قرارات المنظمة لم تخرج عن كونها قرارت تدعيم وتضامن ودعوه للمجتمع الدولي للضغط على الكيان الصهيوني للتخلي عن احتلاله للجولان السوري اي انها تفتقر للاليات القوية التي تجعلها نافذه لدى جميع الاطراف.

الهوامش:

(١) عباس سعدون رفعت، السياسة التركية تجاه سوريا بعد ٢٠٠٢، اطروحة دكتوراه ، كلية العلوم السياسية ،جامعة النهرين ، ٢٠١٥، ص ٢٥٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل ،ينظر: عقيل سعيد محفوض، سوريا وتركيا: الواقع الراهن و احتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،٢٠٠٩.

(٣) وثائق منظمة المؤتمر الاسلامي ، المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية ، القرار السياسي رقم (٣/ ٣٠ –س) ، طهران، الجمهورية الاسلامية الايرانية ، ٢٠٠٣.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ولد في دمشق في الحادي عشر من ايلول عام ١٩٦٥ ، من عائلة علوية ، اكمل تعليمه الابتدائي والثانوي في مدرسة الحرية العربية الفرنسية بدمشق في الثمانينيات درس الطب، وفي أوائل التسعينيات كان يدرس في بريطانيا طب العيون ، دخل الأكاديمية العسكرية ١٩٩٤، وفي عام ١٩٩٨ وجهت اليه مهمة الاحتلال السوري للبنان الذي كان فد بدأه والده ،وفي السابع عشر من

تموز عام ٢٠٠٠، أصبح رئيسًا للجمهورية العربية السورية خلفا لوالده المتوفي في حزيران من العام نفسه ، وقد تحطمت الآمال في انه سيحقق الإصلاح في سوريا ويخفف احتلال لبنان ،لاسيما بعد استخدامه كافة الاساليب القمعية في عامي(٢٠٠١ -٢٠٠٢) ليصبح حكمه اكثر دكتاتورية حتى الإطاحة بحكومته في عام ٢٠٢٤ ، اي بعد ١٣ عامًا من الحرب الأهلية. ابراهيم وطفي ، الابن والأب والأخ الأكبر: اقتباسات من كتابات عن الثورة السورية ٢٠١١ – ٢٠١٢،E-Kutub Ltd ، ٢٠٢٥ ، ص ص ٢١١-٢١٤؛ هيثم مالح ، اضاءات سياسية ، al-Khawārizmī، ٢٠٢١، ص ٢٢٥ .

(٦) مازن يوسف واخرون ،دمشق-أنقرة/اسطنبول-حلب: لقاء حضاري وتفاعل بين الثقافة والتاريخ والاقتصاد، دار مي للنشر وشركة كنامة، ٢٠٠٥، ص ٦٥.

(٧) ولد في في قرية الجورة التابعة لقضاء المجدل جنوبي عسقلان في حزيران عام ١٩٣٦ ، لجأ مع عائلته إلى قطاع غزة بعد قيام حرب عام ١٩٤٨،عمل مدرساً للغة العربية كما درس التربية الإسلامية ثم اصبح خطيباً في مساجد غزة، أصبح في ظل الاحتلال االصهيوني أشهر خطيب عرفه قطاع غزة لقوة حجّته وجسارته في الحق ، ومؤسس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وزعيمها حتى وفاتهفي الثاني والعشرين من اذار عام ٢٠٠٤. ولمزيد من التفاصيل ، ينظر: أحمد أبو فروة، إستشهاد الشيخ أحمد ياسين الدكتور عبد العزيز الرنتيسي : في عيون أردنية، دار البيت العتيق الإسلامية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤ .

(٨) ولد السادس والعشرين من شباط عام ١٩٢٨م، ويعتبر احد مجرمي الحروب في العالم، حيث قام بمجزرة فلسطين راح ضحيتها (٤٢٦) ،كما قام بمذبحة قتيبة سنة ١٩٥٣م، التي راح ضحيتها (١٧٠) من المدنيين الأردنيين، فضلا عن تعذيب وقتل الأسرى المصريين عام ١٩٦٧ ، فضلاً عن قيامه باستفزاز مشاعر المسلمين بزيارته إلى المسجد الأقصى المبارك عام ٢٠٠٢، والتي اندلعت الانتفاضة الفلسطينية على اثرها ، شغل منصب رئيس وزراء الكيان الصهيوني بين عامي (٢٠٠١-٢٠٠٦)، توفي في الحادي عشر م كانون الثاني عام ٢٠١٤. للمزيد من التفاصيل ، ينظر: رئيل شارون مذكرات شارون ، تر: انطوان كبير، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٤٣؛ شخصيات صهيونية (١١) مذكرات اسحق رابين، تر: دار جليل ، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ٢٠١٥ .

(٩) محمد عبد القادر، "تحولات السياسة الخارجية التركية في عهد حزب العدالة والتنمية"، في محمد نور الدين القديم، العرب والأتراك: تحديات الحاضر ورهانات المستقبل،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت ، ٢٠١٢.

(١٠) وثائق منظمة المؤتمر الاسلامي ، المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية ، القرار السياسي رقم (٣١/١١ -س) ، اسطنبول ، تركيا ، ٢٠٠٤.

(١١) المصدر نفسه .

(12) İLKER SALİH EBREM, SURİYE İÇ SAVAŞI'NIN TÜRK DIŞ POLİTİKASINA VE TÜRKİYE'NİN GÜVENLİĞİNE ETKİLERİ , DOKTORA TEZİ, BURSA ULUDAĞ ÜNİVERSİTESİ, SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ ,ULUSLARARASI İLİŞKİLER ANABİLİM DALI,2019,S.74-78.

(١٣) لمزيد من التفاصيل ، ينظر: وليد رضوان، العلاقات العربية التركية ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،٢٠٠٥.

(14) Altuğ Günal , BÜYÜK ORTADOĞU PROJESİ VE TÜRKİYE, Ege Akademik Bakış Dergisi, Cilt: 4 Sayı: 1,2004,s.156-160.

(15) A.e.

(١٦) وثائق منظمة المؤتمر الاسلامي ، المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية ، القرار السياسي رقم (٣٢/٤ -س) صنعاء ، اليمن ، ٢٠٠٥

(17) Ofra Bengio, Türkiye İsrail Hayalet İttifaktan Stratejik İşbirliğine, 1. Baskı, Erguvan Yayınevi ,İstanbul, 2009,s.213.

(١٨) وثائق منظمة المؤتمر الاسلامي ، المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية ، القرار السياسي رقم (٣٣/٤ -س)، اذربيجان ، ٢٠٠٦.

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) وثائق منظمة المؤتمر الاسلامي ، المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية ، القرار السياسي رقم (٣٤/١٩ -س) باكستان ، ٢٠٠٧.

(٢١) على صالح ابو سكر، تنامي الموقف العربي والاسلامي والدولي ضد الحصار على غزة ،(ندوة) ،"تركيا والكيان الصهيوني وحصار غزة "، مركز دراسات الشرق االوسط، عمان، ٢١، حزيران 2010؛ على البياتي، الحرب على غزة وقيادة تركيا للشرق الاوسط، مجلة الرائد، السنة الرابعة، العدد٣٨ ،ص ص ٢٩-٣٠.

(٢٢) على صالح ابو سكر، المصدر السابق ، ص ٣٠.

([٢٣]) وثائق منظمة المؤتمر الاسلامي ، المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية ، القرار السياسي رقم (٣٦/١٦ –س) ، دمشق ، الجمهورية العربية السورية ، ٢٠٠٩ .

([٢٤]) المصدر نفسه.

([25]) İlker Aytürk, "Türkiye–İsrail İlişkileri", Faruk Sönmezoğlu ve Diğerleri (Ed.), 21, Yüzyılda Türk Dış Politikasının Analizi, içinde, Der Yayınları, İstanbul ,2012,s. 623.

المصادر :

- **الوثائق :**

١- وثائق منظمة المؤتمر الاسلامي ، المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية ، القرار السياسي رقم (٣/ ٣٠ –س) ، طهران، الجمهورية الاسلامية الايرانية ، ٢٠٠٣.

٢- وثائق منظمة المؤتمر الاسلامي ، المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية ، القرار السياسي رقم (٣١/١١ –س) ، اسطنبول ، تركيا ، ٢٠٠٤.

٣- وثائق منظمة المؤتمر الاسلامي ، المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية ، القرار السياسي رقم (٣٢/٤ –س) صنعاء ، اليمن ، ٢٠٠٥.

٤- وثائق منظمة المؤتمر الاسلامي ، المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية ، القرار السياسي رقم (٣٣/٤ –س)، اذربيجان ، ٢٠٠٦.

٥- وثائق منظمة المؤتمر الاسلامي ، المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية ، القرار السياسي رقم (٣٤/١٩ –س) باكستان ، ٢٠٠٧.

٦- وثائق منظمة المؤتمر الاسلامي ، المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية ، القرار السياسي رقم (٣٦/١٦ –س) ، دمشق ، الجمهورية العربية السورية ، ٢٠٠٩ .

- **الاطاريح العربية**

١- عباس سعدون رفعت، السياسة التركية تجاه سوريا بعد ٢٠٠٢، اطروحة دكتوراه ، كلية العلوم السياسية ،جامعة النهرين ، ٢٠١٥.

- **الكتب العربية والمعربة :**

١- عقيل سعيد محفوض، سوريا وتركيا: الواقع الراهن و احتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،٢٠٠٩.

٢- ابراهيم وطفي ، الابن والأب والأخ الأكبر: اقتباسات من كتابات عن الثورة السورية ٢٠١١ – ٢٠١٢، E-Kutub Ltd، ٢٠٢٥ .

٣- هيثم مالح ، اضاءات سياسية ، al-Khawārizmī، ٢٠٢١.

٤- مازن يوسف واخرون ،دمشق-أنقرة/اسطنبول-حلب: لقاء حضاري وتفاعل بين الثقافة والتاريخ والاقتصاد، دار مي للنشر وشركة كنامة، ٢٠٠٥.

٥- أحمد أبو فروة، إستشهاد الشيخ أحمد ياسين الدكتور عبد العزيز الرنتيسي : في عيون أردنية، دار البيت العتيق الإسلامية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.

٦- رئيل شارون مذكرات شارون ، تر: انطوان كبير، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢.

٧- شخصيات صهيونية (١١) مذكرات اسحق رابين، تر: دار جليل ، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ٢٠١٥ .

٨- محمد عبد القادر، "تحولات السياسة الخارجية التركية في عهد حزب العدالة والتنمية"، في محمد نور الدين القديم، العرب والأتراك: تحديات الحاضر ورهانات المستقبل،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت ، ٢٠١٢.

٩- وليد رضوان، العلاقات العربية التركية ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،٢٠٠٥.

- **الكتب التركية :**

1- Ofra Bengio, Türkiye İsrail Hayalet İttifaktan Stratejik İşbirliğine, 1. Baskı, Erguvan Yayınevi ,İstanbul, 2009.

2- İlker Aytürk, "Türkiye-İsrail İlişkileri", Faruk Sönmezoğlu ve Diğerleri (Ed.), 21, Yüzyılda Türk Dış Politikasının Analizi, içinde, Der Yayınları, İstanbul ,2012.

- **الندوات :**

١- على صالح ابو سكر، تنامي الموقف العربي والاسلامي والدولي ضد الحصار على غزة ،(ندوة) ،"تركيا والكيان الصهيوني وحصار غزة "، مركز دراسات الشرق الاوسط، عمان،٢١ حزيران ٢٠١٠.

المجلات :

- **المجلات باللغة العربية :**

١- على البياتي، الحرب على غزة وقيادة تركيا للشرق الاوسط، مجلة الرائد، السنة الرابعة، العدد(٣٨) .

- **المجلات باللغة التركية :**

1- Altuğ Günal , BÜYÜK ORTADOĞU PROJESİ VE TÜRKİYE, Ege Akademik Bakış Dergisi, Cilt: 4 Sayı: 1,2004.

دور اميل لحود في اقصاء رفيق الحريري من الحكومة عام ١٩٩٨

أ.م فيان حسين احمد

vian@uobaghdad.edu.iq

رئاسة جامعة بغداد/ مكتب المساعد العلمي

أ.د. عبد الله حميد مرزوك

dr.abedalla@rashc.uobaghdad.edu.iq

كلية التربية للبنات/قسم تاريخ

دور اميل لحود في اقصاء رفيق الحريري من الحكومة عام ١٩٩٨

أ.م فيان حسين احمد
أ.د. عبد الله حميد مرزوك

خلال السنوات الأخيرة لحكم الرئيس الهراوي، جرت إدارة البلاد بالتوافق بين الرؤساء الثلاثة [رئيس الجمهورية، رئيس الحكومة، ورئيس مجلس النواب] مجردين بذلك مجلس النواب ومجلس الوزراء من سلطتهما الفعلية، وبدا ان تلك الشخصيات الثلاث هي التي تتحكم في زمام الدولة، وبمساعدة من بعض الشخصيات الأخرى القوية، كوليد جنبلاط وميشال المر (نائب رئيس مجلس الوزراء دون انقطاع ابتداء من عام ١٩٩٢ وحتى عام ٢٠٠٠) تقاسموا جميعا ادارة الجمهورية المشلولة، وعلى الأرجح إنه " **نظام الترويكا** " [١] الذي عارضه بقوة بعض اعضاء مجلس النواب، ومن بينهم الرئيس سليم الحص[٢].

ووفقا لأحكام قانون الدفاع، فأصبح اميل لحود قائد الجيش في تشرين الثاني ١٩٩٥ على مقربة من احالته للتقاعد وبسبب توافر الشروط الوطنية فيه نتيجة للسياسة التي انتهجها على رأس المؤسسة العسكرية منذ بداية عهد الياس الهراوي بدءاً بالإطاحة بتمرد ميشال عون وصولاً الى بناء العقيدة الوطنية للجيش اللبناني وابعاده عن الطائفية[٣]، وعليه، تم التمديد له ثلاث سنوات اضافية على رأس المؤسسة العسكرية ، وتبنت حكومة رفيق الحريري مشروع القانون المتعلق بالتمديد لقائد الجيش على اعتبار أن المصلحة الوطنية العليا تقضي الأخذ بالحسبان دقة المرحلة على الصعيد الاقليمي وضروري تدعيم ركائز الدولة لمواجهة التحديات المستقبلية[٤] فجاء التمديد في الجلسة التشريعية التي عقدت في ٢٨ تشرين الثاني١٩٩٥ [٥].

مع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية وتأكيد الرئيس إلياس الهراوي على رفضه القاطع لأي تمديد لولايته، برزت ضرورة تحديد الرئيس المقبل للبلاد، وفي خضم هذه الأجواء، جرى استطلاع للرأي حول الشخصية التي ستخلف الهراوي، حيث أظهرت مؤسسات لبنانية مختلفة

أن قائد الجيش العماد إميل لحود يحظى بتأييد واسع على المستويين السياسي والشعبي[٦]، وذلك لدوره الكبير والمحوري في تثبيت الأمن في مطلع عهد الهراوي[٧] ، لم يقتصر الأمر على الرأي العام اللبناني؛ إذ جاء التأكيد الحاسم خلال القمة التي انعقدت في دمشق بين الرئيس الهراوي والرئيس السوري حافظ الأسد وكبار معاونيه[٨] ، وخلال هذه القمة، أشار الأسد صراحةً إلى " أن غالبية الشعب اللبناني تؤيد العماد لحود رئيساً، مؤكداً على واجب احترام هذه الإرادة الشعبية والاستجابة لها، وأعلن الأسد دعم سوريا لهذا التوافق، مشيراً إلى استعدادهم للمساعدة والدعم، حتى لو استدعى الأمر تعديل المادة ٤٩ من الدستور لهذا الغرض" ، وقد تعزز هذا الدعم بالتوافق المطلق الذي حصده لحود خلال زيارة رئيس مجلس النواب نبيه بري إلى دمشق ومباحثاته مع القيادة السورية ، وبذلك، بدأ لبنان يتهيأ لانتخاب الرئيس في ظروف مختلفة، مع تأكيد بري نفسه على رفضه استمرار الهراوي وضرورة تعديل المادة ٤٩ لتمكين القضاة وموظفي الفئة الأولى من الترشح، مما فتح الطريق أمام ترشيح قائد الجيش[٩] .

بدأ لبنان يتهيأ لانتخاب رئيس الجمهورية وفي ظروف تختلف عن سابقتها في وسط اجواء مؤيدة لهذا الاستحقاق وبعد ما تبين انه لا تمديد للهراوي، وتأكيد ذلك من قبل رئيس مجلس النواب نبيه بري، ورفضه ان يكون الهراوي رئيساً للمرحلة القادمة، كما اكد على تعديل المادة (٤٩) من الدستور بما يسمح للقضاة وموظفي الفئة الاولى من الترشيح للرئاسة[١٠].

وانطلاقاً من المصلحة الوطنية العليا في هذه المرحلة من تاريخ البلاد، وبغية الاستفادة من كل الكفاءات والطاقات لخدمة الدولة والوطن في ممارسة الشأن العام، وعليه، قدمت الحكومة الى المجلس النيابي مشروع القانون الدستوري لإضافة فقرة الى المادة (٤٩) من الدستور، وبعد عقد لجنة الادارة والعدل الجلسة في١٢ تشرين الاول١٩٩٨، لدرس مشروع القانون الوارد بالمرسوم رقم (١٣١٨٢)، وبعد المناقشة اقرت اللجنة مشروع القانون الدستوري، واحالته الى المجلس النيابي لإقراره، وبدوره اقر المجلس النيابي القانون بصيغته النهائية وصدق التعديل في الثالث عشر من تشرين الاول١٩٩٨ [١١].

وعلى صعيد ذي صلة ، ذكـر حسين الحسيني في الجلسة نفسها قائلاً : " **بغية الاستفادة من كـل الكـفاءات والطاقات ، هناك واقع هو ان إرادة وطنية تجمعت حول وجوب انتخاب العماد اميل لحود لرئاسة الجمهورية، فلماذا نخبئ مثل هذه الإرادة الوطنية ونستعيض عنها بعبارات لا تعبر عن معناها على طريق الاستفادة من الطاقات والكفاءات، وكأن في الغير لا يوجد كفاءات وطاقات** " ، في حين علقّ النائب ايلي الفرزلي قائلاً : " **انا شخصياً تلقفت خبر الرجل تلقفاً ايجابياً ، لكن ما يهمني هو النظام ، ولا تعنينا مسألة الرجل الا بمقدار ما تخدم النظام وتوجهات النظام السياسي في لبنان** " [١٢].

عقد مجلس النواب جلسته الخاصة لانتخاب رئيس الجمهورية والمنعقدة في الخامس عشر من تشرين الاول ١٩٩٨ برئاسة نبيه بري، وتمت المباشرة بعملية الاقتراع وبعده الانتهاء منها بدأت عمليه فرز الاصوات، وقد تولى هذه المهمة عدد من النواب، وفور الانتهاء من عملية فرز الاصوات تبينَّ ان عدد المقترعين (١١٨) وعدد الاوراق (١١٨) وبهذا فقد نال اميل لحود (١١٨) صوتاً [١٣]، فأعلن نبيه بري رئيس مجلس النواب فوز اميل لحود رئيسا للجمهورية [١٤].

لاقى الرئيس امين لحود تأييد الشعب والمجلس النيابي بالإجماع، الا ان النواب استكانوا إلى الخيار الصعب وتقبلوا الامر بتوجس وقلق بسبب فرضه من حكومة سوريا وخوفا من عسكرته للنظام وما يترتب عليه من تهميش لدور السياسيين التقليديين، والخوف المتبادل بينهم لاسيما أن الرئيس يُحمل الطبقة السياسية مسؤولية ما الت اليه الاوضاع الاقتصادية والمالية من تدهور [١٥] .

في اليوم الاول لتسليم اميل لحود مهام الرئاسة أصدر بياناً أعرب فيه عن شكره لرئيس الحكومة رفيق الحريري والوزراء، واعتبر الحكومة مستقيلة عملاً بالمادة (٦٩) من الدستور، وطلب اليها بالاستمرار في تصريف الاعمال ريثما يتم تشكيل حكومة جديدة [١٦].

وبعد اداء الرئيس اميل لحود القسم الدستوري لبى دعوة الرئيس حافظ الاسد فزار دمشق، وخلال اللقاء سأل حافظ الاسد الرئيس اميل لحود من برأيك تفضل رئيساً للوزراء فيرد اميل لحود قائلاً: " **انا افكر بسليم الحص لأنه معروف عنه رجل دولة، اضافة الى خبرته وكفاءته كخبير اقتصادي ومالي**" ، ثم سأل حافظ الاسد ما هو رايك برفيق الحريري؟

فأجابه لحود " **انني صريح لقد اتى ليأخذ اموال لبنان، وفي نفس الوقت يريد ان يسير لبنان على الخط السعودي–الأمريكي**" ، فضحك الاسد ثم اخبره " **انك جديد على الرئاسة وهو يعرف القصر ويستطيع مساعدتك دوليا**" ، فرد عليه اميل لحود " **صحيح، لكن في كل الحالات هناك استشارات والنواب هم الذين يختارون رئيس الحكومة** " (١٧).

وفي سياق متصل، اكد نبيه بري على " **ان الاجواء كانت تؤكد انه سيتم تكليف الحريري بتشكيل الحكومة** " (١٨)، وفي هذه الاثناء كان رفيق الحريري يقوم بجولة خارجية الى فرنسا، مصر، ايران، السعودية، وسوريا، وكله ثقة بانه اصبح ضرورة لبنانية واقليمية، وسيتم اختياره رئيساً للحكومة حتماً، وصرح مسبقا في مقابلة تلفزيونية بانه " **باقٍ في رئاسة الحكومة أيا يكن اسم الرئيس الجديد**" (١٩).

كان الصدام بين الرئيس إميل لحود ورفيق الحريري أمراً حتمياً ومرسوماً سلفاً، إذ لم يخفِ لحود عدم تعاطفه مع الحريري واصفاً إياه بـ "**المقاول الجيد**" ، ففي بداية عهده عام ١٩٩٨، أوضح للحريري صراحةً أن أي عودة له إلى رئاسة الوزراء يجب أن تكون مشروطة بقبوله بسلطة تنفيذية أقل مما كان يتمتع به سابقاً ، هذا الموقف رسّخ مبكراً مسار المواجهة بين قطبي السلطة (٢٠).

وتزامنت تلك المدة مع صعود بشار الاسد، الذي كلفه والده بإدارة الملف اللبناني بدلاً من عبد الحليم خدام الذي كان مسؤولاً عن الملف اللبناني ، علماً أن خدام وحكمت الشهابي كانا مقربين من الحريري، عمل بشار والموالين له في مجلس النواب اللبناني للعمل على ابعاد الحريري عن رئاسة الحكومة، فيما تصاعدت النداءات لبدء حملة ضد الفساد الذي استشرى في الدولة اللبنانية في المرحلة السابقة وكان الفريق الجديد الذي مثله بشار ومحيطه يرتاب لعلاقات الحريري الوثيقة جداً مع السعودية والولايات المتحدة (٢١) .

أجرى رئيس الجمهورية اميل لحود في٢٦ تشرين الثاني١٩٩٨ الاستشارات النيابية لتشكيل حكومته الاولى، فأعترض رفيق الحريري بشكل عنيف على ترك بعض النواب الحرية لرئيس الجمهورية في اختيار رئيس حكومته، وعلى الرغم من ان رفيق الحريري يتمتع بغالبيه مؤيدة له من النواب(٢٢)، فقد صوت الى جانبه (٨٣) نائبا وفوض (٣١) نائبا الرئيس لحود ان يختار من يشاء(٢٣)، وطالب الحريري بإعادة الاستشارات النيابية معتبراً ان عدد

الاصوات التي نالها قليلة وليتمكن من الحصول على عدد اكبر من الاصوات(٢٤)، وبعد يومين من الاستشارات تم تكليف الحريري بتشكيل الوزارة مرة اخرى[٢٥].

اعتذر الحريري من تشكيل الحكومة، لأنه رأى ان الاستشارات التي تشكلت بالصورة التي جرت تعد مخالفة دستورية بعدما فوض (٣١) نائباً رئيس الجمهورية اختيار من يشاء لرئاسة الحكومة[٢٦]، فأعلنت حركة امل ان رفيق الحريري هو من اخرج نفسه من الحكم ولم يخرجه أحد ، إذ لا نية لاحد في لبنان اخراجه ولا قرار لسوريا بذلك أيضا ، وفي٣٠ تشرين الثاني١٩٩٨ اصدر رئيس الجمهورية بياناً بقبول اعتذار رفيق الحريري وبدأ بالاستشارات الجديدة لاختيار رئيس للوزراء خلفا للحريري، فأجرى رئيس حركة امل نبيه بري اتصالاً مع سليم الحص وابلغه انه وكتلته تعتزم ترشيحه لرئاسة مجلس الوزراء[٢٧]، وبعد انتهاء الاستشارات تم اقصاء رفيق الحريري وكلف رئيس الجمهورية سليم الحص بتشكيل الحكومة[٢٨].

شكّل عهد الرئيس إميل لحود حالة من التنافر الحتمي مع رفيق الحريري. وقد برز هذا التناقض بين القطبين سريعًا منذ اللحظات الأولى، فقد كان الحريري الذي شغل منصب رئيس الوزراء بشكل شبه متواصل طوال ولاية الرئيس إلياس الهراوي (١٩٩٢–١٩٩٨)، يتوقع أن يواصل مهامه في تشكيل أول حكومة للعهد الجديد، إلا أن الرئيس لحود اختار مسارًا مغايرًا؛ فقد استند إلى أن غالبية النواب، خلال الاستشارات النيابية الملزمة، تركوا له حرية تسمية رئيس الحكومة المقبل، وبناءً على ذلك، قام لحود بتكليف الرئيس سليم الحص بتشكيل الحكومة، متجاوزًا بذلك التوقعات بتجديد ولاية الحريري [٢٩] .

عقدَّ مجلس النواب برئاسة نبيه بري في ١٤ كانون الأول ١٩٩٨ جلسته " لتلاوة ومناقشة البيان الوزاري والتصويت على الثقة بالحكومة" ، وتم تسمية سليم الحص بمرسوم رقم (٣) في الرابع عشر من كانون الاول ١٩٩٨ رئيسا لمجلس الوزراء، واكد في بيانه الوزاري الذي القاه في مجلس النواب" **اننا في حكومة الانقاذ والتغيير**" ، اولها تعزيز التحالف القومي مع سوريا بتفعيل معاهدة الاخوة والتعاون والتنسيق معها، ودعم المقاومة الناشطة ضد الاحتلال (الإسرائيلي) لغايه تنفيذ القرار(٤٢٥) دون قيد أو شرط كما دعا الى الاصلاح وبناء دولة القانون والمؤسسات وتعاون الحكومة مع مجلس النواب الى اقصى

الحدود في اطار الدستور والالتزام بمبدأ الفصل والتوازن والتعاون بين السلطات، خاصة وقد اصبحت الترويكا ذكرى من الماضي، ودعا إلى حماية الحقوق والحريات العامة والخاصة التي كفلها الدستور والمواثيق الدولية، وتعزيز استقلالية القضاء ضماناً للحريات العامة وحقوق المواطنين وايلاء ملف المهجرين اهتماماً استثنائياً وتامين جميع المقتضيات لأنهائه في اطار برنامج زمني، والاسراع في وضع مشروع قانون جديد للانتخابات يكفل صحة التمثيل الشعبي وعدالة ونزاهة العملية الانتخابية، والالتزام بوثيقة الوفاق الوطني نصاً وروحاً والعمل على استكمال تنفيذ ما تبقى من بنودها، ووضع خطه إنمائية مرحلية متكاملة ومتوازنة ذات اولويات محددة تقدم الأهم على المهم ، وتراعي امكانات الدولة المالية، وتقليص عبء الدين العام على الاقتصاد الوطني، والعمل على تأمين مستلزمات تطبيق الزامية التعليم الابتدائي المجاني، وتعزيز المدرسة الرسمية، وايلاء الجامعة اللبنانية اهتماماً خاصاً للاستفادة من الطاقات العلمية فيها كما دعا الى الغاء الطائفية السياسية[٣٠] .

وعليه، فقد صرح الحص قائلا: " **إن الحكومة الجديدة تتألف من سياسيين ورجال اقتصاد واعمال، وليس في الحكومة تمثيل حزبي على الاطلاق وهي مختلطة بين وزراء ونواب، وقد راعينا بطبيعة الحال التوزيع المناطقي والطائفي، وقد اثرنا عدم ادخال الاحزاب في التشكيلة الوزارية خوفاً من ان يؤدي اشراكها الى العودة لأجواء المحاصصة في مختلف شؤون الحكم**" [٣١] ، وبهذا فقد نالت الحكومة استحسان الرأي العام ورضاه، فارتاح لها اللبنانيون عامة ونظر اليها المسيحيون خاصة على أنها خطوة متقدمة لطريق اعادة التوازن المفقود الذي افتقرت اليه الحكومات السابقة[٣٢] .

تميزت العلاقة بين الرئيس إميل لحود ورئيس الحكومة سليم الحص بانسجام وتفاهم تامين[٣٣]، وعمل لحود على تعزيز هذا التفاهم، من خلال عدم حضوره في جلسات مجلس الوزراء، تاركاً رئاستها للحص، كما سعى الى ترسيخ استقلالية مجلس الوزراء عن رئاسة الجمهورية من خلال الإصرار على نقل مكان انعقاد الجلسات من القصر الرئاسي إلى مركز خاص في قلب بيروت، خلافاً لما كان معتاداً ، في المقابل، لم يتوانَ رفيق الحريري عن استخدام وسائله الإعلامية لتصوير خصمه سليم الحص بصورة الرجل الضعيف والمستسلم أمام رئيس الجمهورية ، وقد ركز الحريري على اتهام الحص بالتخلي عن الامتيازات التي

منحها اتفاق الطائف للطائفة السنية (أي صلاحيات رئاسة الوزراء) [٣٤] ، الهدف من ذلك هو تقويض موقفه السياسي والشعبي .

ونرى مما سبق، ان ميزان القوى انقلب على رفيق الحريري، لان الرئيس سليم الحص نال تأييداً وتعاطفاً شعبياً كبيراً والذي بدوره أثر سلباً على موقف الحريري، فضلاً عن الدعم السوري التي كانت تبدو وكأنها تبحث عن تغيير في لبنان واعطاء الضوء الاخضر لرئيس الجمهورية اميل لحود لإجراء اللازم، فتم اقصاء رفيق الحريري وكلف سليم الحص لرئاسة الحكومة .

الهوامش

١) أطلقت الكلمة على صيغة الحكم الثلاثي في لبنان الذي مارسه كل من رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب ورئيس الحكومة بعد اتفاق الطائف فكانت ظاهرة جديدة في الحياة السياسية ، فالترويكا هي صيغة حكم تتعارض والديمقراطية ومفهوم المؤسسات لأنها تقيم دولة الأشخاص بديلاً منها ، وتتناقض مع مبادئ النظام البرلماني القائم على فصل السلطات وتوازنها وتعاونها لأنها تطعن مبدأ فصل السلطات في الصميم فينحو الحكم منحى لا ديمقراطي، وابرز سمات الترويكا تدخل رئيس المجلس النيابي في شؤون السلطة التنفيذية. عصام سليمان، الجمهورية الثانية بين النصوص والممارسة ، د. ن، بيروت ،ط١، ١٩٩٨، ص ٢٣ ؛ حيدر المولى، التضامن الوزاري والحكومات الائتلافية– دراسة مقارنه، منشورات زين الحقوقية، بيروت ،٢٠١١، ص ٥٩٦.

٢) جورج قرم، لبنان المعاصر (تاريخ ومجتمع) ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، ٢٠٠٤، ص ٢٦٨.

٣) نبيل هيثم ، نبيه بري اسكن هذا الكتاب ، دار بلال ، بيروت ، ٢٠٠٤، ص ٣٥٤ .

٤) عبد القادر احمد عبد الفهداوي، المصدر السابق، ص١٢٢ .

٥) م.م.ن.ل، الدور التشريعي الثامن عشر، العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الثالثة، المنعقدة في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٩٥ .

٦) منار الهدى الحسيني، الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٩٨ في لبنان ، مجلة الاسبوع العربي، العدد٢٠٣٤ ، في تشرين الاول١٩٩٨، بيروت، ص١٢.

٧) فيليب ابي عقل، الاستحقاق الرئاسي صراع المواقف، مجلة الاسبوع العربي، العدد٢٠٣٤، تشرين الاول١٩٩٨، بيروت، ص٧٨.

٨) لمزيد من التفاصيل: ينظر جان عزيز، حكمت الشهابي وثوار الأرز، جريدة الاخبار، بيروت ،٧ اذار ٢٠٢٣ ؛ صبحي حديدي ، حكمت الشهابي العائد ، جريدة القدس العربي ، لندن ، ٤ أيلول ٢٠٠٤ .

٩) كريم بقرادوني، المصدر السابق، ص٣١.

١٠) خليل الهندي وانطوان الناشف، الدستور اللبناني قبل الطائف وبعده، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان،٢٠٠٠، ص٤٧٨؛ غسان شربل، لعنة القصر، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت،٢٠٠٨، ص ١٦٢ .

١١) المادة الاولى: اضيفت الى المادة (٤٩) من الدستور الفقرة التالي نصها : ((لمرة واحدة، وبصورة استثنائية، يجوز انتخاب رئيس الجمهورية من القضاة او موظفي الفئه الاولى، وما يعادلها في جميع الادارات العامة والمؤسسات العامة وسائر الاشخاص المعنويين في القانون العام)) ، المادة الثانية: ((يعمل بهذا القانون فور نشره في الجريدة الرسمية)) . م.م.ن.ل، الدور التشريعي التاسع عشر، العقد الاستثنائي الثاني لسنة ١٩٩٨، محضر الجلسة الأولى، المنعقدة في١٣ تشرين الاول ١٩٩٨.

١٢) المصدر نفسه .

١٣) م.م.ن.ل، الدور التشريعي التاسع عشر، محضر الجلسة المخصصة لانتخاب رئيس الجمهورية، المنعقدة في١٥ تشرين الاول ١٩٩٨.

١٤) سليم الحص، للحقيقة والتاريخ، تجارب الحكم ما بين١٩٩٨-٢٠٠٠ ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١، ص٦٦.

١٥) موسوعة ميشال عون، الجنرال الذي تسعى اليه الرئاسة، ج١، دار الرافدين، ٢٠٠٧, ص١٥٠.

١٦) كريم بقرادوني، صدمة وصمود، المصدر السابق، ص٤١.

١٧) فؤاد خلف حسين، المصدر السابق، ص٣١٦.

١٨) نبيل هيثم، المصدر السابق، ص٤٥٨.

١٩) عبد القادر احمد عبد الفهداوي، المصدر السابق، ص١٢٩.

٢٠) حسين علي كردي حمود الجبوري، المصدر السابق، ص١٣١.

٢١) Georges corm, le Liban contcmporai – Historire et societe,Paris,lapecouverte,2003, p267.

٢٢) جورج قرم، المصدر السابق، ص٢٦٠.

٢٣) عبد القادر احمد عبد الفهداوي، المصدر السابق، ص١٣٠.

٢٤) محسن مدلول، رفيق الحريري رجال في رجل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩، ص٧٦.
٢٥) جريدة الحياة، العدد (١٣٠٥١)، ٢٧ تشرين الثاني١٩٩٨
٢٦) سليم الحص، للحقيقة والتاريخ، المصدر السابق، ص٦٦.
٢٧) احمد خماط صابر العسافي، المصدر السابق، ص١٤٢.
٢٨) نزيه كامل خداج، لبنان والبرلمان، الدار التقدمية ، بيروت ، ٢٠٠٩، ص٥٠١.
٢٩) شارل رزق ، بين الفوضى اللبنانية والتفكك السوري ، دار النهار ، بيروت ، ٢٠١٤ ، ص ١٣٣-١٣٤.
٣٠) م.م.ن.ل، الدور التشريعي التاسع عشر، العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الثانية المنعقد في١٦،١٤، ١٧ كانون الاول ١٩٩٨.
٣١) وكالة الانباء الكويتية كونا ، سليم الحص يعلن عن تشكيل حكومة لبنانية جديدة ، ١٩٩٨/١٢/٤.
٣٢) جان ملحة، حكومات لبنان ٦٥ حكومة في٦٠ سنة- البيانات الوزارية والوزراء ١٩٤٣ - ٢٠٠٣، الاصدار الرابع، مكتبه لبنان ناشرون، بيروت،٢٠٠٣ ، ص٤٨٩.
٣٣) جريدة النهار، العدد (٢٠٢٢٣)، ١١ كانون الاول ١٩٩٨.
٣٤) جورج قرم ، المصدر السابق ، ص ٢٨٦.

المصادر

الوثائق المنشورة :

١ - م.م.ن.ل، الدور التشريعي الثامن عشر، العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الثالثة، المنعقدة في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٩٥ .
٢- م.م.ن.ل، الدور التشريعي التاسع عشر، العقد الاستثنائي الثاني لسنة ١٩٩٨، محضر الجلسة الأولى، المنعقدة في١٣ تشرين الاول ١٩٩٨.
٣- م.م.ن.ل، الدور التشريعي التاسع عشر، محضر الجلسة المخصصة لانتخاب رئيس الجمهورية، المنعقدة في١٥ تشرين الاول ١٩٩٨.
٤- م.م.ن.ل، الدور التشريعي التاسع عشر، العقد العادي الثاني، محضر الجلسة الثانية المنعقد في١٦،١٤، ١٧ كانون الاول ١٩٩٨.

الموسوعات :

١- موسوعة ميشال عون، الجنرال الذي تسعى اليه الرئاسة، ج١، دار الرافدين، ٢٠٠٧

الرسائل والاطاريح:

١- احمد خماط صابر العسافي، حركة امل ودورها السياسي في لبنان ١٩٨٩-٢٠٠٦دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٢١.

٢- حسين علي كردي حمود الجبوري، رفيق الحريري ودوره الاقتصادي والسياسي في لبنان ١٩٤٤ _ ٢٠٠٥، رساله ماجستير (غير منشوره) كليه التربية، جامعة تكريت، ٢٠١١.

٣- عبد القادر احمد عبد الفهداوي ، الحياة النيابية في لبنان١٩٩٢-٢٠٠٥ - دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه (غير منشوره) كلية التربية، جامعة الانبار،٢٠١٩.

٤- فؤاد خلف حسين، التطورات السياسية في لبنان ١٩٨٩-٢٠٠٥، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الاداب ، جامعة الانبار ، ٢٠١٨.

الكتب العربية والمعربة :

١- جان ملحة، حكومات لبنان ٦٥ حكومة في٦٠ سنة- البيانات الوزارية والوزراء ١٩٤٣ -٢٠٠٣، الاصدار الرابع، مكتبه لبنان ناشرون، بيروت،٢٠٠٣ .

٢- جورج قرم، لبنان المعاصر (تاريخ ومجتمع) ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، ٢٠٠٤.

٣- حيدر المولى، التضامن الوزاري والحكومات الائتلافية- دراسة مقارنه، منشورات زين الحقوقية، بيروت ،٢٠١١.

٤- خليل الهندي وانطوان الناشف، الدستور اللبناني قبل الطائف وبعده، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان،٢٠٠٠.

٥- سليم الحص، للحقيقة والتاريخ، تجارب الحكم ما بين١٩٩٨-٢٠٠٠ ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١ .
٦- شارل رزق ، بين الفوضى اللبنانية والتفكك السوري ، دار النهار ، بيروت ، ٢٠١٤.
٧- عصام سليمان، الجمهورية الثانية بين النصوص والممارسة ، د. ن، بيروت ،ط١، ١٩٩٨.
٨- غسان شربل، لعنة القصر، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت،٢٠٠٨ .
٩- كريم بقرادوني، ، صدمة وصمود – عهد اميل لحود ١٩٩٨-٢٠٠٧، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.
١٠- محسن مدلول، رفيق الحريري رجال في رجل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩ .
١١- نبيل هيثم ، نبيه بري اسكن هذا الكتاب ، دار بلال ، بيروت ، ٢٠٠٤.
١٢- نزيه كامل خداج، لبنان والبرلمان، الدار التقدمية ، بيروت ، ٢٠٠٩ .

البحوث المنشورة :

١- فيليب ابي عقل، الاستحقاق الرئاسي صراع المواقف، مجلة الاسبوع العربي، العدد٢٠٣٤، تشرين الاول١٩٩٨، بيروت.
٢- منار الهدى الحسيني، الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٩٨ في لبنان ، مجلة الاسبوع العربي، العدد٢٠٣٤ ، في تشرين الاول١٩٩٨، بيروت.

الكتب الأجنبية :

1- Georges corm, le Liban contcmporai – Historire et societe,Paris,lapecouverte,2003.

الصحف :

١- جريدة الحياة، العدد (١٣٠٥١)، ٢٧ تشرين الثاني١٩٩٨.

٢- جريدة الاخبار، بيروت ،٧ اذار ٢٠٢٣ .

٣- جريدة القدس العربي ، لندن ، ٤ أيلول ٢٠٠٤.

٤- جريدة النهار، العدد (٢٠٢٢٣)، ١١ كانون الاول ١٩٩٨ .

الموقع الالكتروني :

١- وكالة الانباء الكويتية كونا ، سليم الحص يعلن عن تشكيل حكومة لبنانية جديدة ، ١٩٩٨/١٢/٤.

المعالم الحضارية في مدينة سامراء
لفترة حكم الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨ -٢٢٧ هـ /٨٣٣ -٨٤٢ م)

م.م. عبد الناصر عبد الرحمن عاكف القاضي
وزارة التربية / المديرية العامة لتربية بغداد / الكرخ الأولى
abdulnasserr1972@gmail.com
رقم الهاتف : 07903558330

المعالم الحضارية في مدينة سامراء
لفترة حكم الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨ -٢٢٧ هـ /٨٣٣ -٨٤٢ م)

م.م. عبد الناصر عبد الرحمن عاكف القاضي

Cultural landmarks in the city of Samarra during the reign of the Abbasid Caliph al-Mu'tasim (218-227 AH / 833-842 AD)

By
M.M. Abd Al-Nasser Abd Al-Rahman Akef Al-Qadi

Islamic History
Ministry of Education

Abstract :

Research on the ((Cultural landmarks in the city of Samarra during the reign of the Abbasid Caliph al-Mu'tasim (218-227 AH / 833-842 AD))) and the series of political , economic , and social developments that Samaraa' went through since Al-Mu'tasim came to rule and how he contributed to drawing the foundations of political developments in Samaraa' including general reforms , and what Samaraa' includes in terms of general basic features , including archaeological ones , and how Al-Mu'tasim chose it and moved to it , and it was the capital after Baghdad , and the exclusive of the Turks over rule and their influential role in the history of Samaraa' politically , economically , and socially .

المقدمة :

بحثنا حول الخليفة العباسي المعتصم وعاصمته سامراء وما مرت به سامراء بجملة من التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية منذ مجيء المعتصم إلى الحكم ، وإذا كان هذا الأخير قد أسهم بدور كبير في رسم أسس التطورات السياسية في سامراء ، فانه قد رسخ جملة من الإصلاحات العامة .

إما مادة البحث فأنها تألفت من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة ، تناول المبحث الأول الخليفة المعتصم وسيرته وصفاته .

المبحث الثاني : ظهور العنصر التركي وأثره في تأسيس سامراء ، لما كان العنصر التركي يشكل أهمية كبيرة في الخروج من بغداد واتخاذ المعتصم عاصمة جديدة له هي سامراء .

المبحث الثالث : تخطيط سامراء ونستطيع القول ان اختيار المعتصم لسامراء كان لعوامل عديدة ، منها موقع سامراء الجغرافي المتميز حيث أنها تشكل سورا دفاعيا يحيط المدينة ، فنهر دجلة يلازمها من جهتها الغربية ، حيث يجعل المدينة في مأمن من خطر الفيضانات إضافة إلى ضيق العاصمة بغداد لجند الأتراك لكثرتهم ولتخلفهم الحضاري .

المبحث الرابع : فقد تناول المنشاءت العامة في سامراء ، شيد المعتصم العديد من القصور الكثيرة التي لا زالت قائمة حتى يومنا هذا ، ولم يقتصر على بناء القصور وإنما بنى المسجد الجامع أو جامع الملوية وبنى دار للخلافة ، واهتم المعتصم بالناحية الاقتصادية حيث اهتم بالزراعة والتجارة والصناعة .

إما سبب اختيارنا لهذا الموضوع فيعود إلى المظاهر التي اشرنا إليها فهي تشمل السمات الأساسية العامة لمدينة سامراء الأثرية وكيف انتقل المعتصم إليها وكانت العاصمة بعد بغداد .

وفي الختام أرجو ان أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث المتواضع عن الخليفة المعتصم وعاصمته سامراء .

المبحث الأول : المعتصم سيرته وحياته

هو أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن أبي جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ولد سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م ، وهو ابن جارية تركية اسمها ماردة[١] .

وتصفه المصادر ب (المثمن) لأنه ثامن ولد العباس ، وثامن الخلفاء ، وانه فتح ثماني فتوحات ، وأيضا أقام في الخلافة ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وانه توفي وله من العمر ثماني وأربعون سنة ، وله ثمانية بنين وثماني بنات [٢]

وتصفه أيضا انه " كان ابيض أصهب اللحية طويلها مربوعا مشرب اللون حمرة"[٣] ، وقالوا عنه : انه كان أميا لا يحسن الكتابة ، وذكر ابن كثير : " وقيل بل كان يكتب كتابة ضعيفة "[٤] . وكان مع المأمون أخيه عندما توفي في طَرَسُوس[٥] ، وكانت البيعة بالخلافة إلى العباس بن المأمون لكنه سلم الأمر إلى عمه المعتصم بالله ، فتوجه إلى بغداد في شهر رمضان سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م ، فواجه صعوبات كثيرة ، ومنها ما يذكره اليعقوبي :" وامتنع بعض القواد من البيعة لمكان العباس من المأمون ، فخرج إليهم العباس من مضربه ، فكلمهم بكلام استحمقوه فيه ، وبايعوا لأبي إسحاق ... "[٦] وقد أقام فيها سنتين ومن ثم اختار سامراء (سُرَّ مَن رأى)[٧] التي اتخذها دارا وعاصمة له ، فكان نقش خاتمه ((الحمد لله الذي ليس كمثله شيء))[٨]، فسلك ما كان المأمون عليه ، وكان أول خليفة ادخل الأتراك إلى بغداد[٩].

المبحث الثاني : ظهور العنصر التركي وأثره في تأسيس سامراء

كان موطن الأتراك بلاد ما وراء النهر وقد فتحت هذه البلاد في عهد الوليد بن عبد الملك على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي ، وفي عهد العباسيين دخلت العلاقات العربية تتدرج العنصر التركي في الظهور في الدولة العباسية ، وهناك عوامل حملت المعتصم على استقدام واستخدام الأتراك .

١-طموح العنصر التركي والفارسي إلى السلطة ، فقد اعتبر هذا العنصر في قضاء العرب على دولتهم تحديا لعظمتهم ، فانتهزوا فرصة قيام العباسيين ومن ثم وجدوا الفرصة سانحة لاستعادة نفوذهم[١٠] .

٢-بالإضافة إلى كون أم المعتصم تركية فلا غرابة ان نجد في المعتصم مزايا وراثية من القوة والشجاعة والتي يذكرها المؤرخون ومنهم المسعودي[١١] ، فكان حكم المعتصم حكما استبداديا مقترن بشيء من العطف وحسن التدبير [١٢].

٣-بالإضافة ان الأتراك كانوا يعيشون حياة بدوية فلم تشغلهم الحضارة التي كانت لدى جيرانهم الفرس ، ولم يكن همهم غير الغزو والصيد وركوب الخيل .

استكثر المعتصم بعد ان ولي الخلافة من الأتراك حتى بلغ عددهم سبعين الف ، اهتم المعتصم بجنده فقد ألبسهم أنواع من الديباج ، ولكنهم ما لبثوا ان ثاروا شعور أهل بغداد فسارعوا في شوارعها راكبين خيولهم دون ان يعبؤا بالمارة ، ومن الطبيعي ان وجود فرقة عسكرية جديدة في عنصرها متميزة في مظهرها في وسط بغداد لابد ان يثير التذمر[١٣] .

ففكر المعتصم في الخروج من بغداد ، ونستطيع القول ان المعتصم لم يكن أول خليفة يعتني بالأتراك منذ ان كان وليا للعهد حيث صار له حوالي أربعة ألاف منهم ، وقد سبق المتعصم الولاة الأمويون الذين جلبوا عددا من الأتراك[١٤] .

المبحث الثالث : تخطيط سامراء

المعروف ان بغداد هي عاصمة الخلافة العباسية منذ ان بناها الخليفة أبو جعفر المنصور عام ١٤٥هـ/٧٦٢م ، وعندما تولى المتعصم الخلافة وقرب الأتراك إليه ، وجد ان بغداد غير ملائمة له ولجنده من الأتراك وكان لتزايد نفوذ الأتراك في أيامه هذا مما دعى المعتصم إلى التفكير في أيجاد عاصمة جديدة له ولجنده من الأتراك [١٥] .

ويذكر ياقوت الحموي كيف اختار المعتصم موضعا لبناء قصره وهو الموضع المعروف بالوزيرية بـ "سرى من رأى" ، وأيضا يذكر عن سامراء حيث كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة [١٦].

ويذكر البعض من المؤرخين عن موقع سامراء أنها تقع على نهر دجلة الأيسر شمال مدينة بغداد العاصمة على بعد (١٣٠) كيلومتر بالطريق البري ، أسست مدينة سامراء في عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م ، ليجعلها عاصمة جديدة لملكه ثم وسعها من بعده ابنه الخليفة الواثق بالله وأوصلها إلى أوج عظمتها ، وأقصى اتساعها في عهد الخليفة المتوكل على الله[١٧] .

وكان اختيار المعتصم لموقع سامراء أسباب عديدة أهمها :

الموقع الجغرافي المتميز : ان سامراء محاطة بالمياه من جميع أطرافها بحيث أنها تشكل سورا دفاعيا يحيط بالمدينة فنهر دجلة يلازمها من جبهتها الغربية ويسير بمحاذاتها من أقصى شمالها حتى أقصى جنوبها ، فضلا عن أراضي سامراء مرتفعة عن مستوى النهر عدة أمتار مما يجعل المدينة في مأمن من خطر الفيضان الذي كانت بغداد مهددة به .

وهناك إلى جانب موقعها الجغرافي عوامل سياسية واجتماعية دفعت المعتصم للخروج إلى سامراء ، منها :

لا ريب في ان ضيق العاصمة بغداد لجند المعتصم الأتراك لكثرتهم وتخلفهم الحضاري عن سكان المدينة وما ترتب عليه من أثار سيئة ، ويروي لنا ابن الطقطقي عن السبب بالشكل الأتي : ان المعتصم خاف من ببغداد من العسكر ولم يثق بهم فقال " اطلبوا لي موضعا اخرج إليه وابني فيه مدينة أعسكر به "[١٨]، مما يستدل على خوفه من وجود فئات أخرى في الجيش تنقم على المعتصم .

وهناك سبب أخر يتعلق بشخصية المعتصم فقد كان المعتصم ذو نزعة عسكرية يعتز كثيرا بجيشه ، وقد أراد ان تكون له عاصمة خاصة به ، وأنها مقابلة لرهبان الدير الذي كان في موقع سامراء قبل بنائها ، وما دار بينهم من حديث يؤكد رغبته في ان تبنى عاصمة خاصة به ، ويذكر المؤرخ عبد العزيز الدوري ان من أسباب نقل العاصمة إلى سامراء اصطناع المعتصم للأتراك ، فمن جهة ضاقت ببغداد بالجند فيقول " ان المساكن والطرق ضاقت على الناس في بغداد لكثرة العساكر التي تجمعت مع المعتصم "[١٩] .

ويروي السيوطي " ان المعتصم كان قد فرغ من بناء قصره في الميدان ببغداد فجلس للناس فيه ، واستأذن إسحاق الموصلي في الإنشاد فانشد فكانت أولى الأبيات[٢٠] :

يا دارُ غيرك البلى ومحاك يا ليت شعري ما الذي أبلاك

فيقال ان المعتصم تشأم من ذلك ، ولكن يبدو السبب غير منطقي[٢١] .

المبحث الرابع : المنشاءت العامة في سامراء

- **القصور في أيام المعتصم وخلفائه :**
- **قصور سامراء** : اهتم المعتصم بإنشاء القصور له ولكبار قواده ، فبعد ان اختار الموضع واشترى أرضه ، احضر المهندسين فقال " اختاروا أصلح هذه المواضيع " فاختاروا عدة مواضيع للقصور . وصير كل رجل من أصحابه بناء قصر إلى الفتح بن خاقان بناء الجوسق الخاقاني . والى عمر بن فرح بناء قصر المعروف بالعمري . ويبدو من الآثار الباقية ان هذه القصور كانت مبنية بالطين والجص ، وقد تابع الخلفاء العباسيون في سامراء اهتمامهم ببناء القصور ، فبنى الواثق قصر الهاروني الذي نقصه المتوكل عند بناء الجعفري وإذ دانت سر من رأى بالأبنية الجليلة مثل بناء المتوكل ، ومن القصور التي بناها المتوكل القصر بالمتوكلية وهو الذي يقال له " الماحوزة " وقد كلف خمسين مليون درهم . ومن المساجد التي بنيت في سامراء المسجد الجامع " و " البرج" و " قصر البستان الايتاخية" ، وكل منهم كلف عشرة ملايين درهم ، وقصر " المختار" و "الحلم " و "التل" و " اللؤلؤة" .
- **القصور العباسية في سامراء** : لما تعاقب على كرسي الخلافة والحكم خلفاء بني العباس أشادوا القصور الضخمة العظيمة في شوارع مدينة سر من رأى ، ولما كانت هذه القصور شأن كبير يذكر في التاريخ .

ومن بين تلك القصور : قصر الأحمر ، قصر اشناس ، قصر الأحمدي ، قصر الافشين ، قصر البديع ، قصر الجعفري ، قصر الايتاخية ، قصر يلكورا ، قصر البهو ، قصر التل ، قصر الجوسق ، قصر عدان ، قصر الدكة ، قصر الغريب ، قصر العاشق ، قصر العمراي ، قصر العروس ، قصر القلائد ، قصر اللؤلؤة ، قصر المتوكل .

إما ما يخص القصور في عهد الخليفة المعتصم والمتوكل سنذكر البعض منها :

- **قصر اشناس :** من الآثار التي لا تزال تحتفظ باسمها القديم هذا القصر العظيم ، ويمكن مشاهدته من الآثار القريبة منه وهو يقع على بعد حوالي عشرة كيلومترات شمال مدينة سامراء الحالية ، حيث لا يزال سور فخم من اللبن يعلو نحو خمسة

أمتار ، ويعرف باسم " سور اشناس " . وقال اليعقوبي في ذكر اشناس : "كان مملوكا لنعيم بن خازم أبي هارون بن نعيم "[٢٢] ، وذكر ياقوت الحموي :"وأصبح فيما بعد من موالي المعتصم بالله ووهبه قصرا عند نهر القاطول "[٢٣] .

- **قصر الجعفري :** ذكر الدكتور احمد سوسه في كتاب (ري سامراء) وكان المتوكل قد بني في مواضع الماحوزة[٢٤] بالمتوكلية قصرا فخما سماه " القصر الجعفري" وانتقل إليه وقد اشتهر القصر الجعفري بفخامته وبنائه فكان مصدر وحي للشعراء والكتّاب .
- **قصر العاشق** : أطلال قصر العاشق يقع على بعد خمسة عشرة كيلومتر في شمال مدينة سامراء بالجانب الغربي منها كما يقع على بعد حوالي تسعة كيلومترات من جنوبي الحويصلات وهو بقايا قصر ضخم على الضفة اليمنى من نهر الاسحاقي القديم وكان قد سماه المؤرخون باسم المعشوق ، إلا ان اسمه هذا تحول بين الناس إلى العاشق .

يتكون القصر من طابقين الطابق الأول قد تحول الآن إلى سراديب ، إما شكل القصر فهو مستطيل يبلغ طوله ١٣١ مترا ، وعرضه ٩٦ مترا وقد حوط بمساحة مسودة .

دار الخليفة :

من الآثار العباسية التي لا تزال ماثلة للعيان دار الخليفة أو دار العامة ، وخير من يضيف لنا الدكتور احمد سوسه في كتابه سرى من رأى حيث يقول :" وتقع هذه الدار شمال مدينة سامراء الحالية بقليل فتمتد في الأراضي المرتفعة وعلى طول ضفة نهر دجلة اليسرى إلى مسافة سبعمائة متر تقريبا .

واهم ما يمعن النظر في بقايا هذه الدار الاواوين القائمة في المداخل المطل على السهل الغربي الذي يتصل بشاطئ دجلة ، فمن جملة الحوادث التي وضعت عنده صلب الافشين أمامه في سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠ م ، حيث بقي معلقا هناك ليراه الناس ثم طرح مع خشبة فاحرق ، كذلك نصب رأس أبي الحسين يحيى بن عمر أمامه بعد ان لقي حتفه في سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤ م . ويوجد في الجهة الشرقية الخلفية من القصر في اتجاه محور الإيوان

الكبير سرداب يسميه الناس بـ (هاوية السباع) ، كما يوجد في الشمال الشرقي من دار العامة البركة[٢٥] .

المسجد الجامع الكبير (جامع الملوية) :

شيده المعتصم بالله سنة ٢٢١هـ/٨٣٦ م في سامراء جامعا انفق عليه خمسمائة ألف دينار ، وبنى المنارة (الملوية) ، ثم ضاق المسجد بالمصلين فهدمه المتوكل وشيد عوضا عنه المسجد المنسوب إليه بين عامي ٢٣٤-٢٣٧هـ/٨٤٩-٨٥٢ م .

وقد ذكر ياقوت الحموي : ان المتوكل " قطع الناس في ظهر سر من رأى في الحير الذي كان احتجزه المعتصم واتسع الناس بذلك وبنى مسجدا جامعا "[٢٦] .

وذكر المستوفي في منارة الجامع فقال :" ان المنارة القائمة في المسجد الجامع يؤمئذ تبلغ طولها مئة وسبعين ذراعا "[٢٧] . وذكر الدكتور مصطفى جواد في احد جلساته نقلا عن خلاصة الذهب المسبوك : ان المسجد هذا من أبنية المعتصم فقال :" سامراء" مدينة عظمية كانت على طرفي شرقي دجلة بين بغداد وتكريت بناها المعتصم بالله سنة إحدى وعشرين ومائتي "[٢٨] .

ويشاهد المرء آثار المسجد الجامع هذا مع مئذنته المعروفة باسم (الملوية) شمالي شرقي مدينة سامراء الحديثة . ويمتاز هذا الجامع مع مئذنته عن بقية الجوامع بضخامته وبمئذنته الغريبة . إما المحراب فهو مستطيل إذا يبلغ عرضه ٢,٥٩ م وعمقه ١,٧٥م . وكان يحف به من الجانبين زوجان من أعمدة الرخام وردية اللعون ذات قواعد وتيجان على شكل ساعة ، وكان في وسط صحن المسجد فوارة عظمية ، وهي التي ذكرها اليعقوبي وجعل فيه أي المسجد ، وقد عزا المستوفي بناء المنارة والفوارة إلى المعتصم كما عزا صاحب خلاصة الذهب المسبوك بناء الفوارة والمئذنة إلى المعتصم[٢٩] .

عناية المعتصم بعمران البلد الاقتصادي :

اهتم المعتصم بالزراعة فقد اهتم بزراعة القسم الغربي من دجلة تجاه المدينة ، فحفر الترع وشق هناك نهر الاسحاقي (الذي كان يروي في الوقت نفسه منطقة الاصطبلات . وحمل إليه الفروس من كافة البلدان ، وشجع قواده ورجاله على المساهمة في الزرع .

فأعطى كل قائد عمارة ناحية ، وعمل على استخدام المهرة ، في الزرع والنخيل والغرس وهندسة المياه) .

إما في الصناعة فقد حرص على ان تكون عاصمته مجمعا للصناعات المعروفة ، فاستقدم حسب رواية اليعقوبي من كل بلد من يعمل عملا من الأعمال .

إما في التجارة : فوسع صفوف الأسواق ، وجعل كل تجارة منفردة وكل قوم على حدتهم ، على مثل ما رسمت عليه أسواق بغداد ، وعمل شارعا على دجلة (شارع الخليج) جعله رصيفا ومرسى لسفن التجارة ، أي التي ترد من بغداد وواسط وسائر السواد والبصرة والابلة والأهواز وما يتصل بذلك .

عني الخليفة المعتصم بتخطيط المدينة وتقسيمها تقسيما عسكريا اجتماعيا معا ، تتناسب مع كونها معسكرا أولا ومركزا حضريا ثانيا . فجاء مخططها ممتدا على ضفة نهر دجلة الغربية زهاء أربعة فراسخ (١٩) كم ، ويدل التخطيط على براعة فائقة في الهندسة ، وعلى كثير من الابتكار يتجلى في شقه عدة شوارع متوازية ، على طول النهر يتصل بعضها ببعض بدروب عدة عن يمين ويسار ، وفي توزيع الأبنية العامة والأسواق والمتاجر والمساجد والمساكن والأرصفة وغيرها . واهم شوارع المدينة بعد شارع الخليج ، الذي على نهر دجلة ، ذلك الشارع الآخر الموازي له ، والذي عرف أولا بشارع السرعة ، ثم سمي الشارع الأعظم . فكان يمتد في عهد المعتصم (١٩) كم من الجنوب إلى الشمال بعرض (٢٠٠) ذراع . ان هذه القصور كانت نموذجا للقصور التي شيدت فيما بعد في البلاد الواقعة بين بخارى شرقا ، وقرطبة غربا [٣٠].

الحياة السياسية في سامراء من عهد المعتصم حتى نهاية عهد الواثق .

ازدياد نفوذ الأتراك في عهد المعتصم والمتوكل ، تولى المعتصم الخلافة سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م ، وكان مع أخيه المأمون حين توفي في طرسوس ، فجمع القواد ودعاهم إلى بيعته فبايعوه وامتنع البعض للمبايعة إلى العباس بن المأمون ، فخرج إليهم العباس وكلمهم فبايعوا لأبي إسحاق المعتصم ، رجع المعتصم من طرسوس إلى بغداد ومعه العباس فواجه

صعوبات كثيرة قضى عليها بمعاونة جنده الأتراك ، ظل المعتصم في بغداد سنتين انتقل بعدها إلى سامراء ومعه القادة الأتراك ومنهم[٣١] :

الافشين في عهد المعتصم استبدله قيادة منطقة الجبال سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م ، وتوجه لمحاربة بابك الخرمي فقاتله وأوقع به هزيمة .

اشناس التركي كان مملوكا اشتراه المعتصم في عهد المأمون .

ايتاخ كان غلاما خزريا اشتراه المعتصم سنة ١٩٩هـ/٨١٤م وارتفعت منزلته فتولى أعمالا هامة ، ومنها معونة سامراء ثم ولاه اليمن ، بعد عزل جعفر بن دينار عنها ، واشترك ايتاخ في حرب بابك الخرمي وفتح عمورية[٣٢] .

بغا الكبير من الأتراك الذين اشتهروا في عهد المعتصم فوجهه إلى الافشين ، أدى ازدياد نفوذ الأتراك إلى تدمير العرب وبخاصة قوادهم كالقائد العربي عجيف بن عنبسة ، فانه حين اشترك في غزو الروم مع المعتصم لاحظ مع بعض العناصر العربية سيطرة الأتراك وتفضيلهم من قبل المعتصم .

أتيحت الفرصة للافشين لكي يتدخل في أمور الدولة ، وظهرت مطامعه في ثورة المازيار الذي ولاه المأمون جبال صغيان ، ولما خرج على طاعة المعتصم كتب إلى عبد الله بن طاهر يأمره بمحاربته فاستطاع إلقاءه في السجن وبقي هناك حتى توفي سنة ٢٢٦هـ/٨٧٩م[٣٣] ، وعندما توفي المعتصم جاء ابنه الواثق الذي سار على نهج أبيه في الاعتماد على الأتراك فاسند إلى اشناس التركي جميع الولايات الغربية من الجزيرة إلى المغرب ، وكان ايتاخ من المقربين إلى الواثق فولاه الحجابة . إما في عهد المتوكل ازداد نفوذ ايتاخ عما كان عليه في زمن المعتصم والواثق ، لكن الواثق شعر في وطأة الأتراك وبخاصة ايتاخ ففكر في الخلاص منه ، فوجه إليه جماعة ترغبه في الحج وفي سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م عقد المتوكل البيعة لأبنائه الثلاثة ، إلا ان استياء ايتاخ كان كبيرا[٣٤] .

الخاتمة

استنادا لعرض المادة العلمية المرتبطة بموضوع البحث العلمي تم استنتاج الأتي :-

- الهدف الاساسي من بناء مدينة سامراء تمثل توسع نفوذ الأتراك ورغبتهم في السيطرة على الخلافة العباسية فضلا عن اعمال الشغب والتعدي الصارم ضد افراد المجتمع مما حذى بالخليفة من السعي لأنشاء مدينة تحمل طابع عسكري في الوهلة الاولى .
- شهدت مدينة سامراء تطورا واسعا في ظل الخلافة العباسية وعلى وجه التحديد في فترة خلافة المعتصم بالله (٢١٨ -٢٢٧ هـ /٨٣٣ -٨٤٢ م) .
- شهدت المدينة تطورا متعدد الجوانب وعلى وجه التحديد الجانب الحضاري .
- رغبة الخليفة المعتصم في تشيد المعالم العمرانية في سامراء التي لايزال أثرها باقي الى يومنا هذا وتمثل الامتداد الطبيعي لرغبة الجنس البشري في التطور .
- تنوعت المعالم الحضارية في مدينة سامراء منها العمرانية المتمثلة بتشيد (المساجد ، والقصور وغيرها من المعالم) .
- الاهتمام بالجوانب الاقتصادية المتمثلة بـ (بالجوانب الزراعية والصناعية والتجارية) .

قائمة المصادر

- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) .
١- مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) .
٢- تاريخ الخلفاء ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، منشورات الشريف الرضي ،(د.م)،(د.ت) .
- الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) .
٣- تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، راجعه وقدم له واعد فهارسه : نواف الجراح ، ط٣ ، دار صادر، بيروت ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، م٥ .
ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا .

٤- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٢٣م .
- ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) .
٥- مختصر التاريخ ، حققه : د. مصطفى جواد ، وضع فهارسه واشرف على طبعه : سالم الآلوسي ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، مطبعة الحكومة ، بغداد ،١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
- ابن كثير ، أبو الفداء عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) .
٦- البداية والنهاية ، تحقيق : عماد زكي البارودي ، وخيري سعيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر ، (د.ت) ، ج٧ .
- المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) .
٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، شرح وضبط : د. عفيف نايف حاطوم ، ط١، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ج٣ .
- المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) .
٨- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، علق عليه ووضع حواشيه : محمد أمين الضناوي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .
- ابن الوردي ، أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .
٩- تاريخ ابن الوردي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ج١.
- ياقوت الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .
١٠- معجم البلدان ،دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م ، ج٣ ، ج٤.
- اليعقوبي ، احمد بن إسحاق بن جعفر البغدادي (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م) .
١١- البلدان ، وضع حواشيه : محمد أمين ضناوي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

المراجع

حسن ، د.حسن إبراهيم .
١٢- تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) ، ط١٥، دار الجيل ، بيروت ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ،ج٢ .
- الدوري ، عبد العزيز .
١٣- العصر العباسي الأول (دراسة في التاريخ السياسي والمالي) ، مطبعة التفيض الأهلية ، بغداد ، ١٣٦٣هـ/١٩٤٥م .
- السامرائي ، يونس الشيخ إبراهيم .
١٤- تاريخ مدينة سامراء ، (د.م) ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ج١ .
١٥- دليل سامراء ، ط١ ،(د.م) ، (د.ت) .
- عبد الباقي ، احمد .
١٦- سامراء عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين ، (د.م) ، ١٩٨٩م ، ج١ .
- القره غولي ، جهادية .
١٧- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في سامراء ، مطبعة البصري ، ١٩٦٩م .
- نخبة من الباحثين .
١٨- العراق في التاريخ ، (د.م) ، ١٩٨٣م ، ج١ .

الهوامش:

[١] ينظر ترجمته في : الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، راجعه وقدم له واعد فهارسه : نواف الجراح ، ط٣ ، دار صادر، بيروت ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، م٥ ، ص ١٨٩٨ ؛ المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، شرح وضبط : د. عفيف نايف حاطوم ، ط١، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ج٣ ، ص ٢٣٥ ؛ ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) ، مختصر التاريخ ، حققه : د. مصطفى جواد ، وضع فهارسه واشرف على طبعه : سالم الآلوسي ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، مطبعة الحكومة ،

بغداد ،١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ،ص ١٣٨-١٤١ ؛ ابن كثير ، أبو الفداء عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، تحقيق : عماد زكي البارودي ، وخيري سعيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر ، (د.ت) ، ج٧ ، ص ٢٥٧-٢٥٩؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، منشورات الشريف الرضي ، (د.م) ، (د.ت) ، ص٣٣٣-٣٤٠ . وقيل : ولد سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م .

[٢] م.ن ، ج٧ ، ص ٢٥٧ ؛

[٣] ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ١٣٨ .

[٤] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧ ، ص ٢٥٧ ؛ عبد الباقي ، احمد ، سامراء عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين ، (د.م) ، ١٩٨٩م ، ج١ ، ص٢٤٤ .

[٥] طَرَسُوس : بفتح أوله وثانيه ، وضم ثالثه ، كلمة أعجمية رومية ، قالوا : سميت بطرسوس بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح (عليه السلام) ، وقيل : ان مدينة طرسوس أحدثها سليمان ، وكان خادما لهارون الرشيد في سنة تسعين ومائة ونيف ، وهي مدينة بثغور الشام بين إنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وبها قبر المأمون جاءها غازيا فأدركته منيته فمات ودفن فيها . انظر : ياقوت الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت البغدادي (ت٦٢٦هـ /١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م ، ج٤ ، ص ٣١ .

[٦] اليعقوبي ، احمد بن إسحاق بن جعفر البغدادي (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م) ، تاريخ اليعقوبي ، علق عليه ووضع حواشيه : خليل المنصور ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، ج٢ ، ص٣٣١ .

[٧] سُرَّ مَن رأى : مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة ، وفيها ست لغات: سامراء ممدودة ، وسامرا مقصورة ، وسر من رأ مهموزة الأخر ، وسر من را مقصورة الأخر ، وبها السرداب المعروف في جامعها إذ يخرج منه الإمام المهدي (عليه السلام) ، وقيل : أنها مدينة بنيت لسام فنسبت إليه بالفارسية سام رآه ، وقيل : كانت سامراء مدينة عتيقة من مدن الفرس تحمل إليها الإتاوة التي كانت موظَّفة لملك الفرس على ملك الروم بناها المعتصم في سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م ، ونزل بها سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م . انظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ١٥٩ ؛ اليعقوبي، البلدان ، وضع حواشيه : محمد أمين ضناوي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، ص ٥٢ ، ٥٤-٥٥ ؛ المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) ،

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، علق عليه ووضع حواشيه : محمد أمين الضناوي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص ٥٠-٥١ ، ١١٣ .

[٨] ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ١٣٨

[٩] ابن الوردي ، أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) ، تاريخ ابن الوردي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ج١ ، ص ٢١٢ ؛ السامرائي ، يونس الشيخ إبراهيم ، تاريخ مدينة سامراء ، (د.م) ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ج١ ، ص ٢٩ ؛ القره غولي ، جهادية ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في سامراء ، مطبعة البصري ، ١٩٦٩م، ص ٢٥-٢٦.

[١٠] حسن ، د.حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) ، ط١٥، دار الجيل ، بيروت ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ،ج٢ ، ص ٦٧ .

[١١] مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٢٣٥ .

[١٢] حسن ، تاريخ الإسلام ،ج٢ ، ص ٦٧ .

[١٣] الطبري ، تاريخ الطبري ، م٥ ، ص ١٨٨٤ ؛ القره غولي ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في سامراء ، ص ١٥- ٢٢ .

[١٤] نخبة من الباحثين ، العراق في التاريخ ، (د.م) ، ١٩٨٣م ، ج١ ، ص ٤٢١ .

[١٥] نخبة من الباحثين ، العراق في التاريخ ، ص ٤٢١ .

[١٦] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢١ .

[١٧] السامرائي ، دليل سامراء ، ط١ ،(د.م) ، (د.ت) ، ص ٥٣ .

[١٨] ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٢٣م ، ص ٢٠٩- ٢١٠ .

[١٩] الدوري ، عبد العزيز ، العصر العباسي الأول (دراسة في التاريخ السياسي والمالي) ، مطبعة التفيض الأهلية ، بغداد ، ١٣٦٣هـ/١٩٤٥م ، ص٢٥٧ .

[٢٠] السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٣٧ .

[٢١] عبد الباقي ، سامراء عاصمة الدولة العربية ، ج١ ، ص ٢٥ .

[٢٢] اليعقوبي ، البلدان ، ص ٥٥ .

[٢٣] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٩٦ . القاطول : اسم نهر كان في موضع سامراء قبل ان تعمر . انظر : م . ن ، ج٤ ، ص ٢٩٧ .

[٢٤] الماحوزة : لعلها ناحية الماء ، فالحوزة هي الناحية ، وحوزة المملكة : ما بين تخومها . انظر القاموس المحيط ، (مادة حوز) ؛ الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) ، مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ١٦٢ .

[٢٥] السامرائي ، دليل سامراء ، ص ٥٣ .

[٢٦] م . ن ، ص ٥٣-٥٦ .

[٢٧] م . ن ، ص ٤١-٤٥ .

[٢٨] انظر : حسن ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص ٣١١-٣١٢ .

[٢٩] السامرائي ، تاريخ مدينة سامراء ، ص ٤٩-٥٢ .

[٣٠] اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤-٣١ .

[٣١] انظر : الطبري ، تاريخ الطبري ، م٥ ، ص ١٨٨٥-١٨٨٧ .

[٣٢] انظر : الطبري ، تاريخ الطبري ، م٥ ، ص ١٨٩٩-١٩٠٤ .

[٣٣] انظر : الطبري ، تاريخ الطبري ، م٥ ، ص ١٩١٧- ١٩٢١ .

[٣٤] القره غولي ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في سامراء ، ص ٢٩-٤١ .

دور علماء الشافعيةً في الحياة العلمية في مدينة نيسابور خلال القرنين(الخامس والسادس الهجري / الحادي عشروالثاني عشر الميلادي)

The role of Shafi'i scholars in the scholarly life of Nishapur during the fifth and sixth centuries AH (eleventh and twelfth centuries AD)

أ.م.د. فينوس ميثم علي

الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية/ قسم التاريخ

fynwsmythm@gmail.com

رقم الهاتف : ٠٧٧٢٦٣٩٩١٨

دور علماء الشافعيةً في الحياة العلمية في مدينة نيسابور
خلال القرنين(الخامس والسادس الهجري / الحادي عشروالثاني عشر الميلادي)

أ.م.د. فينوس ميثم علي

الملخص .

تعد مدينة نيسابورمن أهم المدن في المشرق الإسلامي على مر الحقب التاريخية وابرز مراكز العلم من بين مدن خراسان، تميزت بالدور الحضاري وانعاكسه الفكري والثقافي عن غيرهم من مدن خراسان وابدع في وصفها بأنها مدينة العلم وابرز الفقهاء وألمع العلماء بفضل جهودهم الحثيثة . وعليه جاء اختيارنا للعنوان لتسيلط الضوء على ابرز الانعاساكات المعرفية من خلال حركة العلماء وانجازاتهم في نيسابور خلال القرنين(الخامس والسادس الهجري / الحادي عشروالثاني عشر الميلادي)، وقد اعتمدت في هذه الدراسة على مناهج بحثية شاملة من حيث توظيف المنهج الوصفي يردفه المنهج النقدي و المنهج التحليلي بغية تحليل اهداف الدراسة والحصول على نتائج علمية قيمة ينكب توظيفها في المكتبة التاريخية العريقة .

الكلمات الافتتاحية : دور ، علماء الشافعية ، الحياة العلمية ، مدينة نيسابور

Abstract

Nishapur is one of the most important cities in the Islamic East throughout history and one of the most prominent centers of learning among the cities of Khorasan. It was distinguished by its civilizational role and its intellectual and cultural reflections, unlike other cities in Khorasan. It was creatively described as the city of knowledge and the most prominent jurists and brilliant scholars, thanks to their tireless efforts. Therefore, we chose the title to shed light on the most prominent cognitive reflections through the movement of scholars and their achievements in Nishapur.

During the fifth and sixth centuries AH / eleventh and twelfth centuries AD, this study relied on comprehensive research methods in terms of employing the descriptive method, followed by the critical method and the analytical method in order to analyze the objectives of the study and obtain valuable scientific results that can be employed in the ancient historical library.
Keywords: Role, Shafi'i scholars, scientific life, city of Nishapur

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}[المجادلة:١١]، وصلى الله وسلم على نبينا محمد القائل: " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"[١]، وقوله صلى الله عليه وسلم: " من يرد الله به خيرا يفقه في الدين" [٢]، وبعد.

إن دراسة الجوانب الحضارية التي تمثل أنعكاس جهود الفقهاء والعلماء وأثارهم في عملية التقدم العلمي لتحقيق الهدف المنشود الذي نادى به الاسلام باعتباره دين الحضارة والارتقاء ومن أهم فروع الدراسات التاريخية الحضارية، والتي تشمل جهود علماء المسلمين ودورهم في التقدم العلمي وأثره على الحياة الإنسانية عمومًا، ولا شك فيه ان الجهود العلمية التي ب١ذلت لم تقتصر على اقليم خراسان وانما امتدت الى بقاع المعمورة لجهودهم ورغبتهم في نشر العلم والمعرفة ورحلاتهم المنتظمة التي يقومون بها في تاريخ المشرق الإسلامي .
ومنذ الفتح العربي الإسلامي لنيسابور مثلت المدينة واحدة من أشهر مدن بلاد المشرق الإسلامي و حاضرة بلاد خراسان العريقة، و لها السبق في ظهور المدارس العلمية، فوصفت بمدينة العلم ومعقل علماء الإسلام، لأنها تميزت بالنشاط الحضاري وانعاكسه على بقية المجالات الاخرى ، وجاء هذا التمييز بفضل ثقافة حكام الدولة وتشجيعهم للعلم وفضلا عن ذلك نشاط الكثير من الفقهاء الذين أدوا أعمالاً جليلة في ميدان العلم والمعرفة وخدمة كبرى في شتى العلوم .

فكانوا موضع تقدير الأمراء واهتمامهم، وقد نبغ في نيسابور العديد العلماء لكن احتل الفقهاء الشافعية النسبة الاكبر فيها ، وبلغوا مبلغ الاجتهاد فيه أمثالهم : الإمام القشيري والجويني والقطب النيسابوري وغيرهم من الفقهاء الشافعية المجتهدين الذين كان لهم أثر كبير في الحياة العلمية ليس في نيسابور بل بلغت شهرتهم ومؤلفاتهم في كافة بلاد العالم الإسلامي .

قُسِّمت الدراسة إلى تمهيد تناول الجانب الجغرافي والتاريخي لنيسابور والتعريف بالمذهب الشافعي، ثم مبحث أول عن الحياة العلمية في القرنين الخامس والسادس الهجريين، ومبحث ثانٍ عن أبرز فقهاء الشافعية ودورهم فيها.

التمهيد: جغرافية نيسابور.

نيسابور مدينة بخراسان ذات أرض سهلة، يمر بها نهر موسمي من هراة، وتتقاطع عندها طرق القوافل والبريد [٣] ، يُرجَّح أن أصل تسمية المدينة يعود إلى المصطلح الفارسي القديم "نيو شاه بور"، والذي يعني حرفيًا "العمل أو الموضع المنسوب إلى سابور الصالح". وقد ارتبطت التسمية باسم الملك الساساني سابور الثاني الذي أشرف على إعادة إعمارها خلال القرن الرابع للميلاد. أما تأسيسها الأول فيُعزى إلى عهد الملك سابور الأول بن أردشير بابكان، مؤسس الدولة الساسانية [٤] ،الواقع بين الري ونيسابور[٥]. ومن أسماء نيسابور: أبرشهر[٦].

فتحت المدينة على يد القائد عبد الله بن عامر بن كريزبعد حاصر دام أشهراً، حيث قام الرجل الموكل على كل ربع بطلب الأمان على أن يدخل المسلمون المدينة فأعطوا الأمان ففتحت الأبواب إلا أن المسلمين واجهوا مشكلة أخرى عندما تحصن قائد المدينة في القهندز[٧] ومعه مجموعة من المقاتلة، فطلب الأمان فأعطاه المسلمون مقابل مبلغ من المال مقداره ألف ألف درهم، وقيل سبعمائة ألف درهم، فدخلها المسلمون دون قتال ووليّ عليها قيس بن الهيثم السلمي.

التعريف بالمذهب الشافعي :

ينسب المذهب الشافعي إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي[٨]رحمه الله، أحد المذاهب الفقهية المعتمدة في بلاد الإسلام، انتشر في خراسان .

مع انشاء المذاهب النظامية، فكان الهدف من إنشاء المدارس النظامية في بلاد المشرق نشر المذهب الشافعي، فقد كان نظام الملك يتعصب للشافعية كثيرا فكان يولى الحنفية القضاء، ولكن الاهتمام كان منصبًّا على إسناد أمر التعليم الديني إلى أتباع المذهب الشافعي، وذلك بغرض تكريس جهودهم في دراسة الفقه وتنميته، الأمر الذي أدى إلى بروز عدد كبير من الفقهاء الشافعية. في المقابل، جرى توجيه الحنفية إلى شؤون القضاء والإدارة، مما حدَّ من انشغالهم بالبحث الفقهي وأضعف حضورهم في ميدان التأليف والاجتهاد [٩]، انصرفت المدارس النظامية إلى التركيز على مادتي الفقه الشافعي وأصول العقيدة الأشعرية [١٠]، وكانت المدرسة النظامية من شروطها ان يكون المدرس بها والواعظ ومتولي الكتب من الشافعية أصلا وفرعا[١١].

ومن أشهر العلماء الذين عنوا بالمذهب الشافعي الإمام البيهقي(٣٨٤ – ٤٥٨ هـ/ ٩٩٤ – ١٠٦٦ م) [١٢]،أول من جمع نصوص الإمام الشافعي، وأكثر المدافعين عن مذهبه، وانتقل إلى نيسابور لنشر العلم[١٣]، ولم يزل فيها إلى أن مات [١٤].

المبحث الأول: الأوضاع العلمية في نيسابور.

شهد المشرق الإسلامي نهضة علمية واسعة المدار شهدت مساحات واسعة من البلاد تزامناً مع سيطرة السلاجقة[١٥] حيث أولى سلاطينهم الدولة السلجوقية اهتماماً كبيراً بالحركة العلمية عُرف طغرلبك بمحبته للعلم والعلماء، وقد وصفه السبكي بأنه رجل حنفي، خير وعادل، محبوب عند أهل العلم، ومن كبار الملوك وعظمائهم "[١٦]، فأكثر من بناء المساجد لخدمة للدين الاسلامي وتعزيز مكانته وما كان ان يبني دارا الا وشيد بجانبه مسجدًا، وعزز من مكانة العلماء ويقربهم وكان يثني عليهم معززا ذلك بالاحترام والتقدير[١٧].

وعليه شهدت مدينة نيسابور نهضة علمية في العصر السلجوقي، ومن أهم مظاهرها أنشاء المؤسسات التعليمية كالكتاب المخصص لتعليم الأطفال[١٨]، فزاد عددها ومن أشهر تلك الكتاتيب التي يمكن أدرجها دون الحصر على النحو الأتي : –

ـ كتاب لإمام أبي العباس أحمد بن محمد الشقاني(ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م). [١٩]

ــ كتاب الشيخ أبو عثمان إسماعيل بن أبي سعيد عثمان بن عمر النيسابوري (ت٤٩٠هـ/١٠٩٧م)[٢٠]، كان يجلس فيه ليعلم الناس القراءة وشيئًا من علوم الفقه والدين[٢١].

وتخرج من هذا الكتاب عدد كبير من العلماء والفقهاء[٢٢]،

ومن المؤسسات العلمية الاخرى المساجد التي تعد من المراكز التعليمية في تاريخ الإسلام ولعبت الدور الكبير والشامل في مجرى الحياة العلمية حيث قصدها الطلاب العلم مشرقا ومغربا ليحصلوا على العلم علي يد المشايخ والعلماء والفقهاء.

ومن أهم مميزات التعليم في المساجد أن التعليم لم يقتصر على مادة علمية واحدة وانما متعددة والوقت مفتوح للتدريس وتبادل المعارف الجميع يناله دون سن معين [٢٣].

ومن أشهر المساجد :

التي يمكن ايرادها على النحو الأتي أستنادا للمصادر العلمية التي بحثنا فيها

أولاً :- المسجد الجامع بنيسابور[٢٤]،ادى دور تعليمي بارزمنذ الفتح الإسلامي، حيث حفل وتنوع بمجالس الوعظ والفقه والحديث وغيرها .

ومن أشهر العلماء الذين كانوا يقومون بالتدريس فيه على سبيل المثال دون الحصر على النحو الاتي :-

ـ أبو حامد أحمد بن محمد الكرابيسي (ت٤٧٤هـ/١٠٨١م) [٢٥]، كان يجلس للمسجد للإملاء وكان يعقد فيه مجالس الوعظ .[٢٦]

ـ أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) ،الفقيه الشافعي الذي كان من كبار فقهاء الشافعية بنيسابور، وكان يدرس الفقه والعلم بالمسجد[٢٧].

ثانياً: – المسجد المنيعي، نسبة إلى أبو علي حسان بن سعيد بن حسان المنيعي المخزومي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، حيث تقدم إلى السلطان ألب أرسلان[٢٨] ووزيره نظام الملك[٢٩] ببناء

هذا المسجد، فأستحصل الموافقة على طلبه، فأصبح المسجد بعد ذلك منارة للعم في نيسابور[٣٠]، ومن أشهر الفقهاء الذين كان يعقد لهم حلقات علم في هذا المسجد :-

ـ أبو الفضل العميد الخشاب (ت٤٩٣هـ/١١٠٠م) [٣١]، الفقيه الشافعي والذي يعد من كبار الفقهاء ، كان مقرباً من نظام الملك، وعقد له حلقات علمية مختلفة في المسجد وقصده الكثير من طلبة العلم[٣٢].

يعد السلطان ألب أرسلان أول من أسس المدارس في نيسابور بإشارة من نظام الملك، ليتفرغ طلاب العلم للدرس والدعاء للدولة [٣٣].

وعليه ولم يقتصر الامر في نشر العلوم والمعرفة على المساجد الدينية وانما تعد الفكر البشري وحاجة الفرد المسلم للحصول على أنواع مختلفة من المعارف فأنشأت المدارس بصورة مستقلة من حيث الابنية المخصصة لها والبرنامج التعليمي المعد فيذكر المقريزي: أول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور، ومن أبرز المدارس أوردها على النحو الأتي : -

ـ مدرسة أبي إسحاق الاسفراييني (ت٤١٨هـ/ ١٠٢٧م) التي لم يبن مثلها من قبل، فدرس فيها وحدث"[٣٤] .

ـ المدرسة البيهقية تتفاوت الاخبار والاحداث بأسبقية المدرسة الاولى في مدينة نيسابور فيذكر الذهبي بقوله تعد أول المدارس بنيسابور[٣٥].

ـ المدارس النظامية التي تنسب إلى الوزير نظام الملك، وقد انتشرت المدارس في عموم بلاد المشرق، وخاصة خراسان[٣٦]، وايضا بنيسابور، وكان يدرس بها الإمام الجويني (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥) [٣٧] وكان بها قرابة الاربعمائة طالب[٣٨].

ـ المدرسة السعدية بناها الأمير نصر بن سبكتكين[٣٩]، أخو السلطان محمود الغزنوي[٤٠].

ـ أنشأها أبو سعد الأستراباذي الواعظ الصوفي [٤١].

مما ورد اعلاه فتعتبر مدينة نيسابور السباقة لإنشاء المدارس بها بشكل منتظم .

حرص نظام الملك على دعم تلك المدارس، فأنفق عليها بسخاء وخصّص لها أوقافاً عظيمة، منها ما أوقفه للنظامية في نيسابور [٤٢]، وقد اهتم نظام الملك بتوفير السكن للطلاب داخل هذه المدارس [٤٣]،

واردفت الحركة العلمية في المدينة بظهور المجالس العلمية لنشر العلوم والمعارف، ومن أهم المجالس ألتي نوردها دون الحصر :-

ـ مجالس الإمام الجويني، ادت رسالة سامية فيما يرتبط بالعلم وكانت مقصداً لطلاب العلم والعلماء من كل البقاع [٤٤].

ـ مجالس الإمام البيهقي، أعتبر داره ملتقى العلماء والأئمة.

أذن المجالس كانت قائمة على المناظرة والمحاورة وتعتبر من أصول المعرفة العليا التي يصل اليها الفكر الانساني [٤٥].

مما ورد اعلاه نلتمس مدى التطور العلمي الذي رافقه دعم واسناد من قبل السلاطين وامراء الاسرة السلجوقية والعلماء الذين أفنوا حياتهم بغية نشر العلم وفتح ابواب منازلهم لنشر العلم والمعرفة بين أوساط المجتمع العربي الاسلامي .

المبحث الثاني: فقهاء الشافعية ودورهم في الحياة العلمية.

برز العديد من الفقهاء والعلماء الشافعية بنيسابور الذين حظوا بمكانة عالية في العصر السلجوقي لأسباب تم ذكرها في الصفحات السابقة من السياسة العامة لحكام السلاجقة أتجاههم [٤٦]، وعد تقصي المصادر التاريخية والاطلاع عليها بدقة وجدنا عدد كبير منهم الذين ادوا رسالة الاسلام بنشر العلم والمعرفة نوردها دون الحصر على النحو الأتي : -

ـ سهل بن محمد بن سليمان (ت ٤٠٤هـ/١٠١٣م)[٤٧]:

كان فقيهاً أديباً جمع بين العلم والرياسة، وتتلمذ عليه فقهاء نيسابور. حضر مجلسه المئات، ومن أشهر آرائه: عدم وقوع طلاق السكران، وإباحة الشطرنج إن لم يشغل عن الصلاة أو يسبب خسارة [٤٨].

ــ أبـو عبـد الله الحـافظ الحـاكم النيسـابوري (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)[٤٩]: صـاحب كتـاب المستدرك[٥٠]، بلغت مؤلفاته ما يقارب خمسمائة جزء، وقيل أكثر من ذلك، وكان موثوقاً.، اتهم بالتشيع لكلامه في الخليفة معاوية فأوذي، من أقواله الفقهية أن الركعة لا تدرك بالركوع[٥١].

ـ أبو الدقاق النيسابوري (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) [٥٢]:

كان زاهداً عارفاً بالله، شيخ الصوفية في زمانه، برع في الفقه وسلك طريق الصوفية ، وقد اشتهر ذكره في الآفاق وانتفع به المسلمون[٥٣].

ـ أبو إسحاق النيسابوري (ت٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م)[٥٤]:

المعروف بالثعلبي، كان حافظا رأسا في التفسير والعربية متين الديانة صاحب التفسير الذي فاق غيره من التفاسير، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء،

ـ أبو عبد الرحمن الحيري[٥٥] النيسابوري الضرير(٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) [٥٦]:

وكان عالماً صاحب فضل وعلم ومعرفة وفهم وأمانة وصدق وديانة وخلق[٥٧]له كتاب الكفاية في التفسير.

ـ أبو عثمان الصابوني النيسابوري (٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م)[٥٨]:

كان واعظاً فقيهاً مفسراً بليغاً، وعظ المسلمين سبعين سنة وخطب بالجامع عشرين سنة، عُرف بسيف السنة ومقاومة أهل البدعة [٥٩].

ـ الإمام أبو سعيد الناصحي النيسابوري (٤٥٥هـ/ ١٠٥٣م)[٦٠]: أحد أعلام المذهب الشافعي بنيسابور، وكان زاهداً ورعاً [٦١].

ــ أبـو سـهل محمـد بـن هبـة الله بـن جمـال الإسـلام أبـي محمـد الموفـق النيسـابوري (ت٤٥٦هـ/١٠٥٤م)[٦٢]:

الفقيه الشافعي، انتهت إليه رئاسة الشافعية بعد أبيه، وقعت في أيامه الفتنة بين الأشاعرة والمعتزلة، وسجن على إثرها عدد من علماء الأشاعرة كالقشيري وغيره.

من الاحداث التاريخية التي حدثت خلال حياته عندما كان غائبًا ببعض النواحي، فلما رجع قاوم نائب البلد، وقوي عليه وهزم أصحابه من المعتزلة، وأخرج العلماء من السجن، وقام أبو سهل في نصر السنة قياما مؤزرا(٦٣)، سُجن عند طغرلبك وصودرت أملاكه، ثم قُرّب من ألب أرسلان، فوقع خلاف بينهما فقُتل وحُمل إلى نيسابور (٦٤).

ـ أبو بكر البيهقي النيسابوري الخسروجردي (ت٤٥٨هـ/ ١٠٥٦م)(٦٥): الحافظ الفقيه الكبير الأصولي ناصر المذهب الشافعي، درس بالمدرس البيهقية والنظامية بنيسابور، ويعد أول من جمع نصوص الشافعي، رحل إلى نيسابور وأقام بها وحدث الناس، وكان مجلسه ملاذاً لطلاب العلم.

وبلغت تصانيفه ألف جزء، صنف في الحديث والفقه والتاريخ والتفسير والعقائد والزهد والاداب.

من أشهر مؤلفاته: السنن الكبير في الحديث والسنن والآثار فلا يستغنى عنه فقيه شافعي، والمبسوط في نصوص الشافعي ، والأسماء والصفات، ودلائل النبوة، كتاب شعب الإيمان، ومناقب الشافعي، والدعوات الكبير، والخلافيات، ومناقب الإمام أحمد، وأحكام القرآن للشافعي، والدعوات الصغير، والبعث والنشور، وكتاب الزهد الكبير والاعتقاد، ، أقام بنيسابور يدرس بها ومات بها(٦٦).

ـ أبو القاسم القشيري النيسابوري الملقب زين الإسلام (٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م)(٦٧):

كان عالماً جامعاً لفنون الشريعة والحقيقة، متبحراً في الفقه والأصول والحديث والتفسير واللغة والأدب، شجاعاً بليغاً حسن الموعظة، على مذهب الأشعري في الأصول والشافعي في الفروع، وأجمع معاصروه على أنه سيد زمانه وقدوة عصره.

ألّف التفسير الكبير والرسالة القشيرية التي ذاع صيتها شرقاً وغرباً.(٦٨).

ـ إمام الحرمين أبو المعالي الجويني(٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) (٦٩):

إمام الحرمين وشيخ الشافعية وصاحب الشهرة الواسعة في العلم والأدب والمحاورة والمناظرة، وأشهر رجال الفكر الإسلامي في القرن الخامس الهجري، وعلم من أعلام الدراسات الفقهية

والأصول والعقدية، والمنظر الحقيقي للمذهب الأشعري، جاور مكة أربع سنوات يدرس ويفتي وينشر العلم، ثم رجع إلى نيسابور سنة(٤٥١هـ/ ١٠٥٩م) ودرس بالمدرسة النظامية، وظل بها ثلاثين سنة يدرس ويفتي ويؤلف.

من أشهر مؤلفاته دون الحصر منها:

الشامل في أصول الدين، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، والنهاية في الفقه، والورقات في الفقه، والبرهان في أصول الدين، وغيات الأمم في التياث الظلم، ومغيث الخلق في ترجيح القول الحق، ولمع الأدلة، والعقيدة النظامية[٧٠].

ـ الشيخ أبو سعد المتولي النيسابوري (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)[٧١]:

"كان من كبار فقهاء الشافعية في نيسابور، متقناً للفقه والأصول والخلاف، وله مؤلفات متعددة ودرّس بالنظامية."[٧٢].

ـ أبو الحسن الشجاعي النيسابوري (ت أواخر ق ٥هـ/ ١١م)[٧٣]: أحد فقهاء الشافعية، وعين أمين مجلس القضاء بنيسابور [٧٤].

ـ عبد الغافر بن إسماعيل أبو الحسن الفارسي النيسابوري(ت٥٢٠هـ/١١٢٠م)[٧٥]:

إمام في الحديث والعربية، خطيب جامع نيسابور، ومن مؤلفاته المفهم لصحيح مسلم ومجمع الغرائب والسياق لتاريخ نيسابور[٧٦].

ـ أبو عبد الله الصاعدي النيسابوري الفراوي (ت٥٣٠هـ/ ١١٣٠م)[٧٧]: سُمّي فقيه الحرم لإقامته بالحرمين ونشره العلم.

تفقه علي : يد إمام الحرمين، وكان مفتياً يعظ الناس ويعلمهم الخير، له أكثر من ألف مجلس أملى فيهم العلم والفقه، وله كتاب في المذهب الشافعي أورد فيه مسائله في الفقه[٧٨].

ـ محي الدين أبو سعْد النيسابوري (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)[٧٩]:

شيخ الشافعية ونائب رئاسة الفقهاء بنيسابور، درس بالنظامية، ومن مؤلفاته المحيط في شرح الوسيط وكتاب الانتصاف في مسائل الخلاف [٨٠].

ـ قطب الدين أبو المعالي النيسابوري (ت٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)[٨١]:

أحد كبار فقهاء الشافعية في نيسابور، برع في المذهب ودرس في نظامية نيسابور، تفرد برئاسة المذهب ، كان واعظاً بليغاً فقيهاً ورعاً متواضعاً، وألف كتاباً في الفقه سماه الهادي(٨٢).

الخلاصة:

تناولت هذه الدراسة جانباً من الحياة العلمية في نيسابور، وخلصت إلى نتائج مهمة في هذا المجال:

- تعد مدينة نيسابور من أهم وأكبر المناطق بخراسان وشهدت نشاطاً خلال فترة الدراسة، ومثلت الدورً القيادي الرائد في تطور الحضارة والفكر الإسلامي منذ أن بزغ الإسلام على إرضها .
- امتلكت نيسابور موقعا جغرافيا واضحت الجوانب السياسية من ابرز أحداثها التي شهدتها المدينة التي كان له أثر في رواج الحياة العلمية بها.
- سخر حكام الدولة السلجوقية من الأمراء والوزراء والأعيان كل الوسائل لنشر العلوم المعرفية بكلا فروعها، فأحاطوا العلماء بالكرام والتبجيل، كما قاموا ببناء المراكز العلمية من مساجد وكتاتيب ومدارس وعقدوا المجالس العلمية ، بغية ازدهار نشاط الحياة العلمية بمدينة نيسابور.
- انتشر المذهب الشافعي في نيسابور بفضل سياسات الدولة السلجوقية التي ولت فقهاء الشافعية في كافة المدارس، واعتمدت المذهب الشافعي في رئاسة المدارس النظامية.
- لعب فقهاء الشافعية دور مهم في إحياء السنة وقمع البدعة وغرس العقيدة، والدين الإسلامي الصحيح، بشتى الطرق، عن طريق المساجد والمدارس والدروس والمحاضرات إضافة إلى تأليف الكتب والقاء الخطب.
- انجبت المدينة كوكبة متميزة من فقهاء الشافعية من رواد الفكر في شتى فروع العلم الذين قدموا للعلم والمعرفة خدمة جليلة، بجدهم وصبرهم على التحصيل البحث والرحلة والتأليف، كالإمام الجويني والقشيري والبيهقي والحاكم النيسابوري وغيرهم الكثير.

ـ ومن أهم التوصيات أن دور الفقهاء في بلاد المشرق يحتاج إلى الدراسة والبحث لرفد المكتبة التاريخية بحصيلة نتاجهم من العلم والمعرفة بالترجمة بلغات العالم المختلفة لنشر علومهم المعرفية من الكتب المؤلفة .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر العربية.

١) البنداري، عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني(ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، تاريخ آل سلجوق، (اختصره أبو الفتح بن علي بن محمد البنداري)، مطبعة شركة الكتب العربية، مصر، ١٩٩٩.

٢) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك(ت ٢٧٩هـ)، الجامع الكبير – سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ.

٤) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٥) ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م.

٦) الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.

٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٨) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، تح: قاسم على السعدي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٦م.
٩) الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣.
١٠) الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت، ١٩٦٥م.
١١) السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي(٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، ط٢، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للنشر، القاهرة، ١٤١٣هـ.
١٢) الصيرفيني، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٦٤١هـ/١٢٤٣م)، منتخب من تاريخ نيسابور، حقيق محمد احمد عبد العزيز، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٩م.
١٣) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.
١٤) ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، طبقات الشافعيين، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٣.
١٥) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الجيزة- مصر، ١٩٩٧.
١٦) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ /١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

ثالثاً: المراجع العربية.

١٧) إسماعيل، يحيي عبدالعليم، تطور موقف إمام الحرمين الجويني من أفعال العباد، حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، ٢٠١٨، ع١٠.

١٨) أمين، حسين، بغداد تاريخ وحضارة، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٠٠م.
١٩) حتاملة، عبد الكريم. جهود نظام الملك في تأسيس المدرسة النظامية في بغداد والمدارس النظامية الأخرى. مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج١٩، ع١، جامعة اليرموك، ٢٠٠٣م.
٢٠) الصقار، سامي، المدرسة النظامية في بغداد وهي " أم المدارس "، هدي الإسلام, مج ٥٤, ع ١٠، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، ٢٠١٠.
٢١) قمبر، محمود، دراسات إسلامية في الثقافة والتربية، عالم الكتب الحديث، اربد/ عمان، ٢٠٠٦م.
٢٢) معروف، ناجي، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، مطبعة الأزهر، بغداد، ١٩٦٦م.
٢٣) مطلوب، ناطق صالح، انتشار المذهب الشافعي فى العالم الإسلامي، آداب الرافدين, ع٤٦، جامعة الموصل، كلية الآداب ، ٢٠٠٧ م.
٢٤) أبو النصر، محمود عبد العظيم، السلاجقة وتاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١.

الهوامش :

(١) أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك(ت ٢٧٩هـ)، الجامع الكبير – سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨، ج٤، ص٣٤٧، (بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ، رقم ٢٦٨٥).

(٢) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)، ط٣، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، ١٩٨٧، ج١، ١٩٨٧، ج١، ص٣٩، (باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، رقم ٧١).

(٣) قومس: مدينة تقع بين الري وخراسان. الحميري، الروض المعطار، ص٤٨٥.

(٤) لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٤٢٤.

(٥) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٢٤.

(٦) ابن حوقل، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م، ص٤٣١.

(٧) يعني كل حصن في وسط المدينة العظمى، وهو منتشر في بلاد خراسان. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت، ١٩٦٥م، ج١٥، ص٢٩٤.

(٨) أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس القرشي، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م ثم حمل إلى مكة ، وهو ابن سنتين ، ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، وموطأ مالك وهو ابن عشر سنين وتفقه على مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة وأذن له بالإفتاء وعمره خمس عشرة سنة ، ثم رحل إلى المدينة المنورة فلازم مالك بن أنس مدة، ودخل العراق ولقي محمد بن الحسن الشيباني وقرأ عليه جميع مؤلفاته وكان الشيباني يعظم الشافعي ويجله كثيرا وكان سفيان بن عينييه إذا جاءه شيء من التفسير والفتيا يحيل الجواب إلى الشافعي. مطلوب، ناطق صالح، انتشار المذهب الشافعي فى العالم الإسلامي، آداب الرافدين, ع٤٦، جامعة الموصل، كلية الآداب ، ٢٠٠٧ ، ص ١٧٦.

(١٠) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ،ج٩، ص٦٦.

(١١) أمين، حسين، بغداد تاريخ وحضارة، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٠٠م، ص٣٤.

(١٢) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الإمام الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي الخسروجردي الخراساني البيهقي، ولد في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وقد بدأ بطلب العلم والسماع وهو ابن خمس عشرة سنة، كان متمكناً في الحديث، سافر طلباً للعلم في العراق والحجاز وخراسان، وكتب نحو ألف

مؤلف منها جمع نصوص الإمام الشافعي، والسنن الكبير والصغير، والآثار، وشعب الإيمان، وتوفي سنة ٤٥٨هـ عن ٧٤ عاماً ودفن ببيهق. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر، ط٧، بيروت، ١٩٩٤م، ج١، ص٧٦؛ الذهبي، السير، ج١٨، ص ١٦٣.

(١٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٧٦.

(١٤) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ج١، ص١١٦.

(١٥) االسلاجقة، قبائل تركية مسلمة، استقروا في خراسان وأسّسوا دولتهم وركزوا على بلخ لأهميتها، وقد كونوا جيشًا بقيادة الملك جغري بك داود بن مكائيل وهاجم بلخ وهزم جيش الغزنويين وانهى وجودهم، ظل السلاجقة في السيطرة على بلاد خراسان حتى عهد السلطان سنجر ٥٥٢هـ/١١٥٧م، الذي بدأ في عهده بوادر انهيار الدولة السلجوقية، حيث أثقل كاهل أهل بلخ وغيرها من المدن بما فرضه عليهم من الخراج، وحدثت المعارك بين السلطان سنجر والأتراك انتهت بهزيمته واحتفظ بمدينة بلخ ولكن قتل من أصحابه الكثير وضعفت قوته، وما لبث أن مات وبعده بسطت الدولة الخوارزمية سيطرتها على جميع ممتلكات الدولة السلجوقية بخراسان وانتهى حكم السلاجقة نهائيًا في خراسان. البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، الشهير بابن فندمه (ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م)، تاريخ بيهق، دار اقرأ، دمشق، ١٤٢٥هـ، ص ٦١٦-٦٢٢؛ البنداري، عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني(ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، تاريخ آل سلجوق، (اختصره أبو الفتح بن علي بن محمد البنداري)، مطبعة شركة الكتب العربية، مصر، ١٩٩٩، ص ٢٣٤-٢٥١؛ أبو النصر، محمود عبد العظيم، السلاجقة وتاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٧، ٨.

(١٦) السبكي، كطبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص٣٨٩.

(١٧) البنداري، تاريخ ال سلجوق، ص٢٨.

(١٨) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ /١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج١، ص٦٩٩.

(١٩) أحمد بن محمد أبو العباس الشقاني الحسنويي الصوفي المتكلم واحد عصره في جلالته وورعه وزهده، وتبحره في علم الأصول. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٩٦.

(٢٠) إسماعيل بن عثمان بن عمر، أبو عثمان الإبريسميّ النَّيْسابوريّ، كان رجلا ثقة. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٦٢٦.

(٢١) الصيرفيني، المنتخب، ص١٤٤.

(٢٢) الصيرفيني، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٦٤١هـ/١٢٤٣م)، منتخب من تاريخ نيسابور، حقيق محمد احمد عبد العزيز، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٩م، ص١٠٧.

(٢٣) الصيرفيني، المنتخب، ص٧٢، ٩٣، ١١١.

(٢٤) يقع في عند طرف السوق يعرف بمكان بالمعسكر. ابن حوقل، صورة الأرض، ص٤٣١.

(٢٥) أحمد بن محمد بن الكرابيسي أبو حامد الحنيفي المعروف بالقاضي الموفق بهي المنظر مشهور. الصيرفيني، المنتخب، ص١١١.

(٢٦)الصيرفيني، المنتخب، ص١١١.

(٢٧) الصيرفيني، المنتخب، ص٩٣.

(٢٨) أبو شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق (ت ٤٦٥هـ)، الملقب عضد الدولة، وهو ابن أخي السلطان طغرلبك، ولما مات عمه طغرلبك، عهد بالملك إلى سليمان أخي ألب آرسلان، فحاربه ألب آرسلان وعمه قتلمش، فتلاشى أمر سليمان، وتسلطن ألب آرسلان، أصله من قرية يقال لها النور. وتقاق: بالتركي قوس حديد، وهو أول من دخل في الإسلام. وألب أرسلان أول من ذكر بالسلطان على منابر بغداد. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٦٩؛ الذهبي، السير، ج١٨، ص٤١٤؛

(٢٩) وهو أبو علي الحسن ابن علي بن إسحاق بن العباس، قوام الدين الطوسي، عرف بنظام الملك (٤٠٨ – ٤٨٥ هـ/ ١٠١٨ – ١٠٩٢م): عرف منذ صغره مولعا بالعلم، وقد حفظ القرآن الكريم وهو صبي صغير، ثم طلب العلم الذي أحبه طيلة حياته، ولا سيما في عهد توليه الوزارة لسلاطين السلاجقة، وقد وصفت مجالسه بأنها غنية بمن يرتدها من العلماء بالدرجة الأولي، ممن فازوا بالاحترام والدعم منه، وخاصة بإنشاء المدارس لهم والتواضع حيالهم، وتيسير الأمور لهم، انت أيامه

دولة أهل العلم. اغتاله ديلمي على مقربة من نهاوند، ودفن في أصبهان. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص١٢٨؛ الذهبي، السير، ج١٩، ص٩٤؛ الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٢٠٢.

(٣٠) السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وآخرين، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٢م، جـ١١، صـ٥٠٩–٥١٠.الصيرفيني، المنتخب، صـ٢١٤.الحموي، ياقوت، معجم البلدان، جـ٥، صـ٢١٧.

(٣١) هو: محمد بن عبد الرحمن أبو الفضل العميد الخشاب، اختص بخدمة نظام الملك بن الخانكاه المنسوبة إليه بجنب جامع المنيعي وكان حسن الإعتقاد. الصيرفيني، المنتخب، ص٧٢.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٧٢.

(٣٣) قمبر، محمود، دراسات إسلامية في الثقافة والتربية، عالم الكتب الحديث، اربد/ عمان، ٢٠٠٦م، ص١٠–١١.

(٣٤) الذهبي، السير، ج١٧، ص٣٥٥.

(٣٥) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، تح: قاسم على السعدي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٦م، ص٧٧.

(٣٦) الصقار، سامي، المدرسة النظامية في بغداد وهي " أم المدارس "، هدي الإسلام , مج ٥٤, ع ١٠، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، ٢٠١٠، ص ١١٧–١١٨.

(٣٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٦٨–١٦٩.

(٣٩) نصر بن ناصر الدولة سبكتكين، أخو السلطان محمود، تولى ولاية نيسابور سنة ٣٩٠هـ، أسس المدرسة السعيدية ووقف عليها، وعاد إلى غزنة حيث توفي، وكان محل تقدير في ولايته. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٩، ص٢١٣.

(٤٠) محمود بن سبكتكين الغزنوي، السلطان يمين الدولة أبو القاسم ابن الأمير ناصر الدولة أبي منصور (٣٦١– ٤٢١ هـ/ ٩٧١ – ١٠٣٠ م): فاتح الهند وأحد كبار القادة، كانت عاصمته غزنة، وخلفه ابنه محمود الذي غلب إخوته سنة ٣٨٩هـ، فاستولى على خراسان وواصل غزو الهند حتى توفي ودُفن في غزنة. وسيرته مدوّنة. وهو تركي الأصل، مستعرب. كان حازما صائب الرأي، يجالس

العلماء، ويناظرهم. وكان من أعيان الفقهاء، فصيحا بليغا، استعان بأهل العلم على تأليف كتب كثيرة في فنون مختلفة، نسبت إليه. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص١٧٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٩، ص ٣٦٩.

([٤١]) المقريزي، الخطط، ج٤، ص ١٩٩.

([٤٢]) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٦٦.

([٤٣]) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٤٦.

([٤٤]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٤٥.

([٤٥]) الصيرفيني، المنتخب، ص ٢١٢.

([٤٦]) معروف، ناجي، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، مطبعة الأزهر، بغداد، ١٩٦٦م، ص١٣-١٦.

([٤٧]) سهل بن محمد بن سليمان، المعروف بشمس الإسلام وأبو الطيب، من أهل الحنفية الصعلوكية في نيسابو. ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٧، ص٦٥.

([٤٨]) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص١٨٢. السبكي، طبقات الشافعية، ج٧، ص٦٥.

([٤٩]) الحاكم النيسابوري (ابن البيع)، صاحب *المستدرك*، سمع من أكثر من ألفي شيخ.

([٥٠]) المستدرك على الصحيحين البخاري ومسلم.

([٥١]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٨٠؛ الذهبي، السير، ج١٧، ص١٦٢.

([٥٣]) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص١٧٨.

([٥٤]) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري المعروف بالثعلبي، وكان حافظا رأسا في التفسير والعربية متين الديانة. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٠٣.

([٥٥]) الحيري والحيرة محلة من نيسابور. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٣١.

([٥٦]) هو: إسماعيل بن أحمد بن عبد الله أبو عبد الرحمن الحيري النيسابوري الضرير، سمع جميع صحيح البخاري، قرأ عليه الخطيب البغدادي التفسير في ثلاثة أيام. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٠٦؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٤، ص٢٦٦

([٥٧]) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٠٦

([٥٨]) إسماعيل الصابوني النيسابوري، شيخ الإسلام وواعظ، وُلد سنة ٣٧٣هـ وحضر مجالس كبار علماء عصره، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٢٤

([٥٩]) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٢٤؛ الذهبي، سير، ج١٨، ص٤٠.

([٦٠]) هو: محمد بن محمد الناصحي النيسابوري، عالم وورع، تفقه على أبي محمد الجويني، وتوفي في نيسابور.، ج٤، ص١٩٥

([٦١]) السبكي، طبقات الشافعية، ج٤، ص١٩٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٦٢.

([٦٢]) محمد بن هبة الله بن محمد البسطامي النيسابوري، أبو سهل، تولى رياسة الشافعية بعد أبيه فأحسن إدارتها، عُرف بالذكاء وقلة الكلام، وكان يقيم التدريس، ثم قُتل وحُمل تابوته إلى نيسابور، وناحوا عليه مدة بعد مدة، وأظهر الناس عليه الجزع والأسف سرًا، وكانت مراثيه تقال في الأسواق. ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، طبقات الشافعيين، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٣، ص٤٣٦-٤٣٧.

([٦٣]) السبكي، طبقات الشافعية، ج٤، ص٢٠٨.

([٦٤]) ابن كثير، طبقات الشافعيين، ص٤٣٦-٤٣٧.

([٦٥]) هو: أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الحافظ أبو بكر البيهقي النيسابوري الخسروجردي

=وخسروجرد : أصله من بيهق، دُعي إلى نيسابور لقراءة كتابه *المعرفة* فأثنى عليه علماؤها، وكان يصوم الدهر منذ ثلاثين سنة قبل وفاته. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٧٥؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص١١.

(٦٦) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص١١؛ ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الجيزة– مصر، ١٩٩٧، ج١٦، ص٩.

(٦٧) أبو القاسم القشيري النيسابوري، أصله من أستوا، قشيري الأب سلمي الأم، عُرف بعبادته ومواظبته على الصلاة قائماً حتى وفاته، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٥٥؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٥، ص١٥٣–١٥٩.

(٦٨) السبكي، طبقات الشافعية، ج٥، ص١٥٤–١٥٥

(٦٩) إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين(٤١٩ – ٤٧٨ هـ = ١٠٢٨ – ١٠٨٥ م): أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي. ولد في جوين (من نواحي نيسابور) ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين. وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعا طرق المذاهب. ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك " المدرسة النظامية " فيها. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص١٦٨؛ الذهبي، السير، ج١٨، ص٤٦٨؛ الذهبي، العبر، ج٢، ص٣٣٩.

(٧٠) إسماعيل، يحيي عبدالعليم، تطور موقف إمام الحرمين الجويني من أفعال العباد، حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، ٢٠١٨، ع١٠، ص٨٠٢–٨٠٤.

(٧١) عبد الرحمن بن مأمون بن علي بن إبراهيم النيسابوري الشيخ أبو سعد المتولي تفقه بمرو وبمرو الروذ وببخارا وبرع في الفقه والأصول والخلاف توفي في شوال ببغداد ودفن بمقبرة باب أبرز. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٤٨.

(٧٢) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٤٨.

(٧٣) أحمد بن محمد بن إسماعيل بن علي أبو الحسن الشجاعي النيسابوري، كان من فقهاء المذهب وكانت له ثروة ظاهرة وحشمة عالية. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٠، ص٦٤٧.

(٧٤) السبكي، طبقات الشافعية، ج٤، ص٧٨.

(٧٥) عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الحافظ العالم الفقيه البارع أبو الحسن الفارسي النيسابوري ذو الفنون والمصنفات، أخذ التفسير والأصول عن خاليه أبي سعد عبد

الله وأبي سعيد عبد الواحد ابني أبي القاسم القشيري، مات بنيسابور في ربيع الآخر سنة تسع بتقديم التاء وعشرين وخمسمائة. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٥. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٣٠٦؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٧، ص١٧٢-١٧٤.

([٧٦]) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٣٠٦؛ الذهبي، السير، ج٢٠، ص١٧.

([٧٧]) محمد بن الفضل الصاعدي النيسابوري الفراوي، فقيه شافعي أخذ الأصول والتفسير عن القشيري، وتفقه على إمام الحرمين، وتوفي في شوال ودُفن بجوار ابن خزيمة.، ج١، ص٣١٣.

([٧٨]) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٣١٣؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٦، ص١٧٠.

([٧٩]) محمد بن يحيى بن منصور النيسابوري (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، فقيه شافعي تفقه على الغزالي، قُتل على يد الغز في رمضان ٥٤٨هـ بدس التراب في فمه، ج٢٠، ص٣١٢.

([٨٠]) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج١، ص٣٢٥؛ الذهبي، السير، ج٢٠، ص٣١٢.

([٨١]) مسعود بن محمد بن مسعود قطب الدين أبو المعالي النيسابوري، وورد بغداد فوعظ بها وحصل له قبول تام ثم ورد دمشق سنة أربعين فأقبل عليه أهلها لدينه وعلمه وتفننه ودرس بالمجاهدية وبالغزالية بعد نصر الله المصيصي ثم رحل إلى حلب ودرس بالنورية والأسدية ثم مضى إلى همدان وولي بها التدريس مدة ثم عاد إلى دمشق ودرس بالغزالية والجاروخية، توفي بدمشق في رمضان ودفن بمقابر الصوفية. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٢١.

([٨٢]) الذهبي، السير، ج٢١، ص١٠٦.

المشرق الاسلامي، دراسة في خارطته الجغرافية وحدوده السياسية في العصر العباسي(١٣٢ ـ ٦٥٦هـ/٧٤٩ ـ ١٢٥٨م)

أ.م.د علاء مطر تايه الدليمي

جامعة الانبار/ كلية الآداب ـ قسم التاريخ

الايميل: dr.alaamutar@gmail.com

رقم الهاتف ٠٧٨١٨٧٣٢٦١٠

المشرق الاسلامي، دراسة في خارطته الجغرافية وحدوده السياسية في العصر العباسي(١٣٢ ـ ٦٥٦هـ/٧٤٩ ـ ١٢٥٨م)

أ.م.د علاء مطر تايه الدليمي

المستخلص:

المشرق الاسلامي هي تلك البلاد الاسلامية التي دخلت ضمن حضيرة الدولة العربية الاسلامية، فتحها العرب المسلمون خلال مراحل وعصور مختلفة، تبدأ حدوده في أغلب أحواله السياسية من شرقي العراق وتمتد حتى حدود حتى نهر سيحون شرقا ويضم طبرستان وجرجان شمالاً، أما جنوباً يشمل كل أراضي كرمان ومكران وسجستان وصولاً الى بحر العرب، ويضم أيضاً بلاد السند والهند التي تمثل الجزء الجنوبي الشرقي من بلاد المشرق الاسلامي والمسماة حديثا بـ (شبه القارة الهندية) والتي تطل على المحيط الهندي. يضم المشرق الاسلامي بحسب تقسيمات الجغرافيون والبلدانيون العرب الكثير من الاقاليم الجغرافية لكنها تتباين من حيث اهميتها السياسية وموقعها الجغرافي، فهناك اقاليم يمكن ان نعدها من الاقاليم الرئيسية بسبب هيمنتها السياسية لاسيما تلك التي رسمت لها حدوداً سياسية خاصة بها تعدت خارطتها الجغرافية. وأشهر هذه الاقاليم هي اقليم فارس الذي ضم الى حدوده السياسية اقاليم جغرافية أخرى بسبب هيمنته السياسية من جهة وحضوره التاريخي من جهة أخرى، واقليم خراسان الذي يعد من أكثر الأقاليم تأثيراً من الناحية السياسية إذ انه ضم الكثير من المدن والأقاليم الى حدوده السياسية، أما اقليم بلاد ما وراء النهر فكان يتمتع بشيء من الخصوصية الجغرافية التي طالما جعلت خارطته الجغرافية تتوافق مع حدوده السياسية. وتأتي بعدها بلاد السند والهند ذا الخصوصية الجغرافية ايضاً ولكن تأخر عمليات الفتح لهذه البلدان جعلت حدودها السياسية تبع لبعض القوى التي كان لها يد في فتحها حتى آخر العصور العباسية.

الكلمات المفتاحية: المشرق، الخارطة، الحدود، السياسية، الاقليم

The Islamic East: A Look at Its Geographical Map and Political Borders

Abstract: The Islamic East is the Islamic country that was included in the fold of the Arab Islamic state, and was conquered by Arab Muslims during different stages and eras. Its borders, in most political terms, begin in eastern Iraq and extend to the borders of the Syr Darya River in the east, and include Tabaristan and Gorgan in the north. To the south, it includes all the lands of Kerman, Makran, and Sistan, reaching the Arabian Sea. It also includes the lands of Sindh and India, which represent the southeastern part of the lands of the Islamic East, and which are now called the Indian Subcontinent, and which overlook the Indian Ocean. According to the classifications of Arab geographers and country experts, the Islamic East includes many geographical regions, but they vary in terms of their political importance and geographical location. There are regions that we can consider to be major regions due to their political dominance, especially those that have their own political borders drawn that extend beyond their geographical map. The most famous of these regions is the Fars region, which included other geographical regions within its political borders due to its political dominance on the one hand and its historical presence on the other, and the Khorasan region, which is considered one of the most influential regions from a political standpoint, as it included many cities and regions within its political borders. After them come the countries of Sindh and India, which also have a unique geographical character, but the delay in the conquest of these countries made their political borders subject to some of the powers that had a hand in their conquest until the end of the Abbasid era.

Keywords: Orient, map, borders, politics, province

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومعلمنا سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد:

خضع مفهوم المشرق الاسلامي لاجتهادات متباينة من قبل باحثون معاصرون مهتمون بتاريخ المشرق الاسلامي وذلك من حيث طبيعة الموقع والحدود الجغرافية الذي كان يشغله المصطلح، وهذا أمر طبيعي لان الجغرافيون والبلدانيون العرب لم يتناولوه كعنوان جغرافي له حدوده الطبيعية لكونه خارج اختصاصهم وأنه ذا مدلول سياسي ظهر مع تصاعد نجم الدولة العربية الاسلامي وازداد نشاطه منذ بداية العصر العباسي(١٣٢هـ ـ ٦٥٦هـ/٧٤٩م ـ ١٢٥٨م)، لذلك أن الكثير من الباحثين والمؤرخون تعامل معه على انه منطقة واحدة ذات أحداث تاريخية متنوعة دون تحري الحدود الجغرافية التي تفصل بين اقاليمه ومدنه، ولهذا نجد من دمج بينهما وخلط ببعضهما حتى المؤرخون القدامى لم يسلموا من هذا الاشكال، فمثلا نجد أن الكرديزي(ت٤٤٣هـ/١٠٥١م)[١]لما عرض أخبار الأمراء السامانيون سماهم ولاة خراسان في حين أن المعروف بأن مقر حكم الامراء السامانيون هي بخارى الواقعة في اقليم بلاد ما وراء النهر وليست في اقليم خراسان. وكذلك الغزي[٢]عندما عرف قلعة ألموت ذكر أنها تقع في ولاية جيلان ضمن بلاد فارس، بينما الحقيقة أن جيلان تقع شمالاً ما وراء اقليم طبرستان وليست ضمن الحدود السياسية لبلاد فارس[٣]. ولذلك نجد أن هذا الاشكال بقى ملازماً عند المؤرخون المعاصرون لاسيما الذين اتفقوا على أن حدود المشرق الاسلامي تبدأ من شرقي العراق، إذ انهم خلطوا ما بين خارطته الجغرافية وحدوده السياسية، فمنهم من كان يدمج ما بين اقاليم المشرق ويضعه في حالة جغرافية واحدة، فنجده مثلاً يضم بلاد فارس مع اقليم خراسان ومنهم من جعل بلاد ما وراء النهر جزء من اقليم خراسان، بل أن البعض منهم من يجعل طبرستان من الأقاليم الذي يقع ضمن بلاد ما وراء النهر، كما نجد من يتحدث عن بعض مدن خراسان وبلاد ما وراء النهر كجزء من شبه القارة الهندية وهلم جرا. لذلك ارتأينا في هذه الدراسة أن نوضح ونحلحل هذه الاشكالية وفق ما تيسر لنا من معطيات سياسية ومعلومات جغرافية وذلك من خلال بيان ماهية المصطلح ومفهومه العام

ورسم حدوده السياسية وعلى ماذا يشمل ومن ثم عرض أهم التطورات السياسية التي أثرت على خارطته الجغرافية. ولم نجد بداً في الوقوف على الحملات العسكرية العربية الاسلامية التي ساهمت في فتح بلدان المشرق الاسلامي، إذ تعاملنا مع المنطقة كتحصيل وواقع سياسي ضمن مدة الدراسة، لاسيما أن بعض هذه الحملات قد أشير اليها عند معالجة بعض الموضوعات، ولاسيما أن أحداث الفتح هي الأخرى أشبعت بحثاً في دراسات سابقة. قسم البحث وفق الحالة الجغرافية والمؤثرات السياسية التي ساهمت برسم المشرق الاسلامي، إذ حملت محاور البحث عناوين للبلدان الرئيسة، وأن كل عنوان من هذه العناوين كان يضم أكثر من اقليم جغرافي لاسيما تلك الاقاليم التي انضوت تحت اسم هذا البلد الذي اشتهر بسبب التطور السياسي الذي شهده، حيث رتبنا هذه البلدان حسب خارطة المشرق الجغرافية، فبدأنا ببلاد فارس وما يضم من أقاليم جغرافية، ثم خراسان والاقاليم التي انضوت تحت اسمه، ثم بلاد ما وراء النهر وخوارزم، وانتهينا ببلاد الهند والسند.

ـ المشرق الاسلامي بين حدود السياسة والجغرافية

تباينت آراء المؤرخون المعاصرون حول تفسير مفهوم مصطلح المشرق الاسلامي، وعلى ما يبدو أن كل واحد منهم وضع له حداً حسب الموطن الذي يسكن فيه، فمثلاً مؤرخو المغرب العربي الاسلامي كانوا يرون أن حدود المشرق الاسلامي تبدأ من بلاد الشام وينتهي ببلاد الصين ومنهم من يرى أن حدوده تبدأ من البلاد المصرية ليضم بلاد الشام والحجاز والعراق وصولاً الى حدود الصين[٤]. بينما مؤرخو أهل العراق والشام والحجاز لهم رأي آخر فهم يرون أن حدود المشرق الاسلامي تبدأ من شرقي العراق وتنتهي حدوده الى الصين وهذا الرأي له من يسنده من الجغرافيين المشهورين أمثال المقدسي[٥] الذي جمع كل اقاليم المشرق التي تلي العراق تحت اقليم واحد سماه اقليم المشرق. ونحن نتفق مع ما ذهب اليه المقدسي على أن حدود المشرق الاسلامي تبدأ من شرقي العراق، فهذه الحدود هي تسمية طبيعية للجهة التي يقع فيها المشرق والتي الى الشرق من مركز حكم الدولة العربية الاسلامية سواء كان هذا المركز في الحجاز أو في الشام أم في العراق، فمثلما أن بلاد المغرب العربي الاسلامي سميت بهذه الاسم لأنها تقع الى الغرب من مركز حكم الدولة العربية الاسلامية،

فمن الطبيعي أن نطلق على المنطقة التي تقع الى الشرق من مركز حكم الدولة العربية بمنطقة المشرق الاسلامي، وعلى الرغم من أن المصطلح يحمل مدلولاً سياسياً الا أنه من الغير ممكن ان نعزله عن التقسيم الجغرافي، إذ يمكن نحدده جغرافيا ثم نسقط عليه الأحداث السياسية دون دمج وخلط، بل حتى أن هذه الأحداث السياسية نجد أنها تتهيب الحدود الجغرافية، ولاسيما أن قادة الحدث السياسي اعتمدوها في تقسيماتهم الادارية.

يكاد يتقف جميع الجغرافيون والبلدانيون العرب على حالة جغرافية واحدة لبلاد المشرق الاسلامي، إذ قسموا هذه البلاد الى اقاليم جغرافية كل اقليم له حدوده الطبيعية وخصوصية المناخية، لذلك يمكن نعتمد هذا التقسيم دون تشويه للحدث السياسي والتفاعل الاداري الذي وقع على أراضيه، وكذلك من غير أن نشوه الجغرافيا على حساب الحدث السياسي، وهذه الاقاليم الجغرافية أحيانا تجتمع ضمن خارطة سياسية واحدة بفعل الحدث السياسي والذي يرافقه بطبيعة الحال تقسيماً ادارياً وأحياناً تفترق للسبب نفسه. ولهذا ارتأينا أن نعرض الاقاليم الرئيسة التي تشكل منها بلاد المشرق الاسلامي ومن ثم نعرج خلالها على الاقاليم والكور المستقلة عنها جغرافياً والتي تبعتها ادارياً فأصبحت بالتالي من ضمن خارطتها السياسية.

أولاً: بلاد فارس وما يتبعه من أقاليم جغرافية

بدءً لا بد أن نشير الى أن مفهوم البلاد هو يختلف عن مفهوم الاقليم فعندما نقول بلاد فارس نعني بها حدوده السياسية وأما اقليم فارس نعني بها حدوده الجغرافية، وبلاد فارس هو أول حدود بلاد المشرق الاسلامي ويعد بمثابة بوابته من جهة العراق، إذ يضم مع حدوده السياسية اقاليم جغرافية أخرى بما فيه اقليم فارس نفسه، فأقليم فارس الجغرافي هو ضمن هذه البلاد الواسعة التي تسمى ببلاد فارس، إذ يقع الى الجنوب الشرقي من هذه البلاد ويضم مدن مشهورة منها اصطخر وشيراز اللتان تتوسطان الاقليم ومن ثم ننزل جنوبا حيث مدينة تستر ومن ثم أرجان[٦]. وفارس يعد أحد البلاد التي توسعت حدوده وهويته السياسية عبر العصور التاريخية، إذ كان قبل العصور الاسلامية يطلق على جميع المناطق التي تشغل الهضبة الايرانية[٧].

استمرت بلاد فارس محافظة على حدودها السياسية في العصور الاسلامية لاسيما في العصر العباسي، وعلى ما يبدو أن من اسباب هذا التوسع هي التسمية كانت تحمل اسماً قومياً ذا ارث تاريخي، فضلاً عن أن حكامه وولاته الذين امتد سلطانهم على طول الشريط الحدودي للعراق المتصل بين الشمال واقصى الجنوب، ومن الجدير بالذكر ان الاقاليم والمدن الكبرى التي اضوت تحت الحدود السياسية لبلاد فارس هي اقاليم لها ثقلها الجغرافي ودورها السياسي في تاريخ المشرق الاسلامي.

أما اشهر الاقاليم والمدن الجغرافية التي انضوت تحت حدوده بلاد فارس السياسية في العصر العباسي هو **اقليم الجبال** الذي يعد من أشهر الاقاليم تداخلاً مع خارطة بلاد فارس السياسية لدرجة أن من يطلع على مدن هذا الاقليم يصبح عنده انطباع على أنه جزء لا يتجزأ من اقليم فارس الجغرافي، بسبب الحضور السياسي الذي فرضه هذا الاسم، واقليم الجبال هو يعد بداية لخارطة المشرق الاسلامي من جهة العراق(٨). وأهم مدنه هي: همذان كبرى مدن الجبال والدينور والكرج ونهاوند فضلاً عن مدينة قمّ وله ايضاً مدن صغرى مثل قاشان واللّور والبرج واشباههما(٩). أما **مدينة الري**(١٠)فعلى الرغم من استقلالها جغرافيا الا انها تعد ضمن شريط الحدود السياسية لبلاد فارس.

ومن ناحية جنوب بلاد فارس نجد مثلا أن **الأحواز** هو اقليم مستقل جغرافياَ عن أعمال فارس(١١)،إذ بقى يتمتع باستقلالية ادارية تتوافق مع حدوده الجغرافية على طول مدة العصر العباسي الاول(١٣٢هـ ـ ٢٤٧هـ/ ٧٤٩م ـ ٨٦١م) الا أنه بعد هذا العصر دخل في دوامة صراع سياسي سلبت منه هذه الاستقلالية وبالتالي اصبح تابع ضمن خارطة بلاد فارس السياسية لاسيما في فترة النفوذ البويهي(٣٢٠هـ ـ ٤٤٧هـ/٩٣٢م ـ ١٠٥٥م)(١٢). ومن ثم يأتي اقليمي **كرمان ومكران**، فكرمان تقع الى شرقيّها أرض مكران وغربيّها أرض فارس وشماليّها مفازة خراسان(١٣)وسجستان(١٤)وجنوبيّها بحر فارس(الخليج العربي)وهناك صحراء تفصل ما بين مكران والبحر(١٥). أما مكران فهي تقع الى الشرق من صحراء خراسان والى الغرب منها كرمان وهناك ايضا صحراء تفصلها عن البحر ولسان أهل مكران الفارسيّة والمكريّة(١٦). وهذان الاقليمان دائما ما نجد انهما يخضعان لسلطة فارس السياسية وانتمائهما

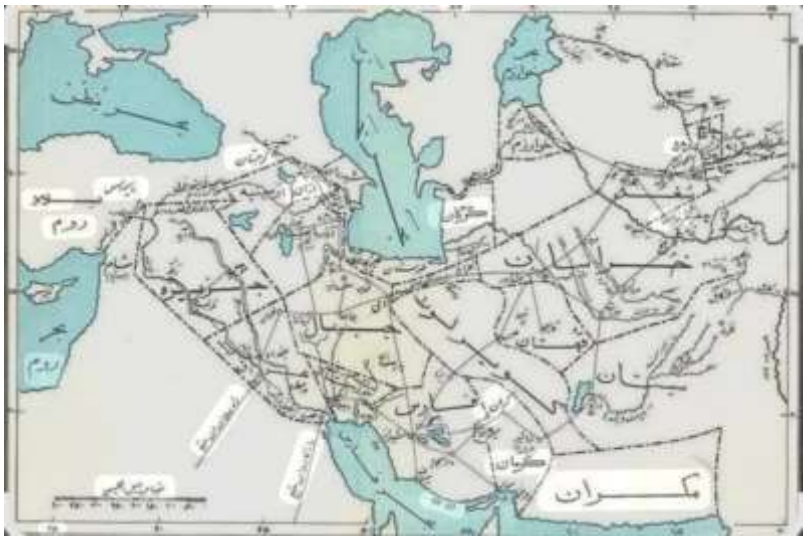
الاداري الى ولاية فارس، لاسيما في العصر البويهي، فأقليم فارس الجغرافي أصبح له مكانة سياسية عند البويهيين فهي مقر الامارة البويهية ونقطة انطلاق توسعاتهم على هذه المدن والاقاليم[١٧].

ومن الجدير بالذكر أن ولاية كرمان كانت ولاية شبه مستقلة ادارياً منذ عصر حكم الامارة الطاهرية(٢٠٥هـ ـ ٢٥٩هـ/٨٢٠م ـ ٨٧٢م)[١٨]الا أن والي فارس علي بن الحسين استغل ضعف حكم الطاهريون في المشرق فطمع فيها، إذ طلب من الخليفة العباسي المعتز بالله(٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ/٨٦٦ ـ ٨٦٩م) ليضعها ضمن مناطق نفوذه[١٩]. ولكن على ما يبدو أن الوقت كان غير مناسباً لوالي فارس بسبب تصاعد نفوذ يعقوب بن الليث الصفار[٢٠] الذي أخذ يتصاعد في المنطقة مما جعله يدخل في صدام مباشر معه، فالأخير سبقه بتقديم طلبه للخلافة على ضم كرمان الى حكمه مما أدى نشوب حرب ما بين الطرفين انتهت بهزيمة والي فارس واستيلاء يعقوب على ولاية كرمان سنة(٢٥٥هـ/٨٦٨م)، ولما ألقى يعقوب بن الليث الصفار القبض على والي فارس علي بن الحسين بن شبل، أخذ يغازل الخلافة العباسية مظهراً لها الطاعة ومحاولة منه التقرب منها على أمل حصول الاعتراف لما حققه من مكاسب سياسية في بعض مناطق المشرق الاسلامي، لذلك طلب من الخلافة ارسال من ينوب عنها لاستلام حكم فارس بعد أن كان واليها علي بن الحسين يماطل في دفع أموال الخراج اليها[٢١].

أما كرمان فبعد هزيمة عمرو بن الليث الصفار(٢٦٥هـ ـ ٢٨٧هـ /٨٧٨م ـ ٩٠٠م) أمام الامير اسماعيل الساماني(٢٧٩هـ ـ ٢٩٥هـ/٩٠١م ـ ٩٠٧م) فقد ضمها الخليفة العباسي المعتمد على الله(٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ/٨٧٠ ـ٨٩٢م) الى حكم السامانيون سنة(٢٩٠هـ/٩٠٢م) ومن ثم تحولت تحت نفوذ سلطة البويهيون لتصبح ضمن حدود بلاد فارس[٢٢]. ونلاحظ ايضاً أن خارطة هذا الاقليم السياسية امتدت شمالاً لتضم بذلك مدن مشرقية كبرى اصبحت تحت حدوده السياسية وكذلك الادارية، مثل اصفهان ذكر ابن خرداذبة[٢٣]بانها كورة قائمة بذاتها تلي فارس من جهة الشمال.

يتضح مما تقدم أن جميع هذه المناطق لم تكن تنتمي الى اقليم فارس بحدوده الجغرافية فجميعها كانت مستقلة جغرافياً سواء كانت منتظمة ضمن اقليم قائم مستقل بذاته أم كانت مدناً كبرى تصل الى حجم الكورة التي لها حدودها الجغرافية الخاصة بها، الا انه على ما يبدو أن وقوعها على نفس الخط الحدودي من جهة وخضوعها لسلطة اقليم فارس السياسي من جهة أخرى نجد أن الكثير من الباحثين أخذ يعدها من مدن فارس وهذا وهم جغرافي ولكنه صحيح ادارياً وسياسياً.

والى أقصى الشمال من بلاد فارس هناك اقليم مشهور يدعى اقليم الديلم، يقع الى الشمال من مدينة قزوين وشيء من حدود اذربيجان وجزء من مدينة الري، ومن الشرق باقي مدينة الري وطبرستان[٢٤]ومن جهة الشمال بحر الخزر(قزوين) ومن الغرب باقي اذربيجان[٢٥]. وهو اقليم جبلي تتخلله بعض السهول، وهو من المناطق المنيعة، فتحها العرب المسلمين بقيادة البراء بن عازب[٢٦] ولكن بقت على الكفر مقابل دفع الجزية[٢٧]. كانت الديلم خير عون لأحياء الدولة الزيدية(٢٥٠هـ ـ ٣١٦هـ/٨٦٤م ـ ٩٢٨م)[٢٨] إذ اقام فيها الحسن بن علي المعروف بالأطروش حوالي ثلاثة عشر سنة يدعوا أهلها للإسلام فأسلم منهم الكثير حتى صاروا خير عون لعودة كيان هذه الدولة على طبرستان[٢٩]. وظل اقليم الديلم محافظاً على حدوده الجغرافية فالأحداث السياسية التي مرت به لم تؤثر على حدوده الجغرافية إذ ظلت متوافقة مع حدوده السياسية.



خارطة بلاد فارس السياسية بما فيها اقليم فارس الجغرافي

ثانياً: اقليم خراسان وحدوده السياسية

تبدأ حدود اقليم خراسان الجغرافية بعد الحدود السياسية لبلاد فارس، فعلى الرغم من أنه لم تكن هناك حدود طبيعية فاصلة بينه وبين الاقاليم الأخرى ووجود داخل بينهما، الا أن مدنه مشهورة الانتساب اليه، فخارطة الإقليم تقع في قلب المشرق الاسلامي فمن الجنوب الشرقي يحده اقليم سجستان وبلاد السند والهند ومن الشمال الشرقي بلاد ما وراء النهر والى الشمال الغربي اقليمي طبرستان وجرجان[٣٠]. أما الجنوب الغربي يحده جغرافياً اقليم الجبال، ثم يليه الى الجنوب منه اقليم فارس[٣١]. ويضم مدن مشهورة التي ذاعت شهرتها في جميع بلدان العالم الاسلامي، مثل مرو ونيسابور وبلخ وهراة وبيهق وطوس والجوزجان وسرخس وقهستان وابيورد وبوشنج وطخارستان ومن ثم غزنة التي تقع الجنوب منه[٣٢].

يعد اقليم خراسان من أشهر اقاليم المشرق الاسلامي، فالدور السياسي والحضاري الذي لعبه قد أكسبه شهرة كبيرة طغت على جميع أقاليم المشرق الاسلامي لدرجة أنه اصبح مرادف لمصطلح المشرق الاسلامي، ولهذا اصبح محل اختلاف بين الباحثين حول ما يتعلق بحدوده الجغرافية، فالسلطة السياسية التي كان يتمتع بها على معظم بلدان المشرق الاسلامي أوهمت البعض منهم الذين أخذوا يضمون اليه بعض الأقاليم والمدن، ولعل البلاذري(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) يعد من الأوائل الذين وقعوا بهذا الاشكال عندما ضم بلاد ما وراء النهر وجعل مدنه جزء من اقليم خراسان، إذ نقل لنا عنه المقدسي[٣٣](ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) هذا الوهم ومن ثم فند طروحاته بعد أن أنكر عليه هذا الخلط وبين أن البلاذري قد خالف مذاهب وقياسات الجغرافيين. وقد أيد ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ما طرحه المقدسي الا أنه في الوقت نفسه أخذ يبرر ما ذهب اليه البلاذري وأشار بانه وقع تحت تأثير الحدود السياسية ولم يكن يميزها عن الخارطة الجغرافية، لكون بلاد ما وراء النهر كانت تابعة سياسيا لوالي خراسان وان اسم خراسان كان يجمعها آنذاك، إذ قال" وإنما ذكر البلاذري هذا لأن جميع ما ذكره من البلاد كان مضموما إلى والي خراسان وكان اسم خراسان يجمعها"[٣٤].

واضح أن الوصف الجغرافي الذي قدمه البلاذري يعود الى العصر الأموي عندما كانت تلك البلاد تحت مهمة ومسؤولية الوالي الأموي في خراسان فكان كل بلد يتم فتحه من بلاد ما وراء يتم ضمه الى حدود وسلطة ذلك الوالي آنذاك، فمن المعروف أن هذا الاقليم منذ العصر الأموي(٤١هـ ـ ١٣٢هـ/٦٦١م ـ ٧٤٩م) أخذت مكانته تتصاعد وأمسى يمثل مركز الحكم العربي الاسلامي في المشرق الاسلامي الذي كان يقيم فيه الولاة العرب المسلمون بعد أن اتخذوا من مدينة مرو عاصمة لهم، فكان هؤلاء الولاة يبسطون نفوذهم على كل مناطق المشرق الاسلامي التي تم فتحها، كما أن جزء من مسؤولياتهم هي استكمال فتح ما تبقى من مناطق المشرق مثل بلاد ما وراء النهر[٣٥].

أما في العصر العباسي أصبح الأقليم محط اهتمام العباسيون فمنذ دعوتهم السرية، اعتمد الامام محمد بن علي بن عبدالله بن العباس على رجال خراسان، ومن ثم ازداد هذا الاهتمام في عهد أخيه ابراهيم الامام، بل كان يعد أهل خراسان المورد البشري الأول لجيش الثورة العباسية والعامل الرئيس في نجاح الثورة بعد أن انطلقت منه سنة(١٢٩هـ/٧٤٦م)[٣٦]. وازدادت هيبة اقليم خراسان في عصر الامارة الطاهرية(٢٠٥هـ ـ ٢٥٩هـ/٨٢٠م ـ ٨٧٢م) الذين نقلوا العاصمة من مرو الى نيسابور، ومن ثم امتد نفوذهم الى جميع مدن وأقاليم المشرق الاسلامي فأصبحوا يحكموه بمباركة الخلافة العباسية وبلا منازع[٣٧].

ولهذا يمكن القول أن الخارطة الجغرافية للمشرق الاسلامي في العصر العباسي الثاني قد تأثرت كثيراً بالتطورات السياسية التي حدثت على أرضه ففي عصر الامارة الطاهرية أصبحت خراسان هي القلب النابض للمشرق الاسلامي لذلك طغت تسمية خراسان على جميع أقاليمه، فأصبحت خارطته السياسية تظم اقاليم جغرافية كثيرة لاسيما تلك التي لم تفصل عنها حدوداً طبيعية، منها تلك الاقاليم التي تقع الى الغرب منها مثل اقليم الجبال وجنوباً اقليمي فارس والأحواز والى أقصى الجنوب الشرقي اقليمي مكران ومكران، أما شمالا اقليمي طبرستان وجرجان والى الغرب الشمالي الري واصبهان[٣٨]. وأصبحت مدينة نيسابور هي عاصمة لخراسان السياسية، فكل من كان يريد يسعى على حكم المشرق الاسلامي في هذه الفترة يصوب هدفه على عاصمته نيسابور، فهذا يعقوب بن الليث الصفار فعلى الرغم

من الاعتراف الذي حصل عليه من الخلافة العباسية في حكم اقليم سجستان بعد أن انتزعها من الطاهريين ولكنها لم تشبع رغباته السياسية الطامحة على ان يوسع نفوذه الى باقي مدن المشرق لذلك توجه الى قلب المشرق الاسلامي حيث خراسان فاسقط الامارة الطاهرية وسيطر على عاصمته نيسابور سنة(٢٥٩هـ/٨٧٢م)[٣٩].

ومن الجدير بالذكر أن حدود خراسان السياسية أخذت تنحسر بعد أن دخله الصفاريون، فهؤلاء الذين سيطروا عليه جعلوه تبع لمركز حكمهم الواقع في اقليم سجستان واصبحت مدنه محل لصراعات بين القادة العسكريين[٤٠]. فمثلاً أن اقليم بلاد ما وراء النهر انفصل عنه وهذا ما سنوضحه لاحقاً عند حديثنا عن هذا الأقليم، كما أن اقليمي طبرستان وجرجان أيضاً عادا الى حدودهما الطبيعية من الناحية الجغرافية بعد أن انفصلا سياسياً عن خراسان عقب اعلان الحسن بن زيد العلوي دولته هناك سنة(٢٥٠هـ/٨٦٤م)[٤١].

ومن المفارقات في تلك المرحلة التاريخية أن خراسان هذه المرة اصبحت حدوده السياسية تبع لبلاد ما وراء النهر، فعندما أعلن السامانيون امارتهم الشبه مستقلة في بلاد ما وراء النهر مدوا نفوذهم الى اقليم خراسان إذ اعطوه أهمية كبيرة فجعلوه وحدة ادارية مستقلة بذاته يديره عدد من الولاة الذين يتم تعينهم من قبل الأمير الساماني الذي كان يجلس في مقر حكمه في العاصمة بخارى[٤٢]كما أن ولاة هذا الأقليم أصبحوا يديروا للسامانيين الى جانب خراسان، المدن الواقعة شماله وجنوبه مثل طبرستان وجرجان وجنوباً سجستان[٤٣]. وهذا يعني أننا أمام خارطة سياسية جديدة لخراسان يقودها الوالي الساماني لكنها أقل مساحة من الخارطة التي كانت أيام العصر الطاهري وهي بالطبع بعيدة عن واقعها الجغرافي.

وثمة تطور حصل لهذا الاقليم في نهاية الحكم الساماني لاسيما في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ أخذت حدوده السياسية تنحسر الى درجة انها توافقت كثيراً مع خارطته الجغرافية، فشماله اصبح تحت اطماع أحد رجال المشرق الاسلامي الا وهو القائد مردويج بن زيار الديلمي الذي استطاع أن يضم طبرستان وجرجان الى ملكه منذ عام(٣١٦هـ/٩٢٨م)[٤٤]. أما اقليم سجستان فهو الآخر انفصل عنه بعد أن أعلن الأمير خلف بن أحمد نفسه حاكماً عليه سنة(٣٥٥هـ/٩٦٥م)[٤٥].

ولما سقطت الامارة السامانية سنة(٣٨٩هـ/٩٠١م) تقاسمت املاكها قوتين كبيرتين ظهرتا على الساحة السياسية في المشرق الاسلامي الا وهم الغزنويون والقرة خانيون، فبلاد ما وراء النهر أصبحت من حصة القراخانيون(٤٦)، أما خراسان فأصبحت من نصيب الغزنويون(٣٥١هـ ـ ٥٨٢هـ/٩٦٢م ـ ١٠٨٩م)(٤٧). وبعد هذا الحدث انفصلت خرسان تماماً عن بلاد ما وراء النهر فقد هدأت سياسياً بعد أن اتخذ الغزنويون من مدينة غزنة التي تقع جنوبه عاصمة لهم(٤٨). الا أن الغزنويون أبقوا خراسان على مكانته الادارية التي كان يتمتع بها أيام الحكم الساماني إذ ظل الاقليم يتمتع باستقلالية ادارية على الرغم من تبعيته السياسية للغزنويون فالسلطان محمود الغزنوي(٣٨٨هـ ـ ٤٢١هـ/٩٩٨م ـ ١٠٣٠م) عين أخاه الامير أبي المظفر نصر بن سبكتكين وجعله على قيادة جيوش خراسان والذي اتخذ من مدينة نيسابور مركز لحكمه(٤٩).

وعلى الرغم من الاستقلالية الادارية التي كان يتمتع بها اقليم خراسان في العصر الغزنوي والذي ساعده على اعادة بعض حدوده السياسية القديمة لاسيما الشمالية منها مثل طبرستان وجرجان الا انه لم يبت ذات الأهمية التي كان يتمتع بها أيام العصور السابقة ولا سيما أن الغزنويون اتخذوا عاصمتهم في الطرف الجنوبي من الاقليم وهي غزنة فتعاملوا معه كمنطقة تابعة لنفوذهم، لذلك أصبح الأقليم جزء لا يتجزأ من حدودهم السياسية في المشرق الاسلامي، كما أن هؤلاء السلاطين الغزنويون أخذوا ينفتحوا باتجاه الجنوب الشرقي لبلاد المشرق حيث بلاد السند(٥٠) والهند(٥١). وبهذا أصبحنا أمام خارطة سياسية جديدة لبلاد خراسان ربطت جنوبه بشبه القارة الهندية على الرغم من وجود حدود طبيعية بينهما ذات ميزة جغرافية وهو نهر السند(٥٢). ولهذا نجد بعض الباحثين يجعل مدينة غزنة الخراسانية على أنها جزء من بلاد السند والهند وذلك بسبب ازياد ارتباطها تاريخياً بتلك البلاد منذ العصر الغزنوي مروراً الى العصر الغوري، فالقارئ للأحداث السياسية والعسكرية لهذه الحقبة التاريخية يجزم بانها كذلك(٥٣). ومن الجدير بالذكر أن غزنة منذ ذلك العصر حتى الغزو المغولي للمشرق الاسلامي اصبحت مرتبطة بتاريخ مشترك ووثيق مع بلاد السند والهند، بل أن هذه البلاد اصبحت بمثابة ملاذ آمن للقادة الفارين من غزنة وهذا ما شهدته الصراعات

التي حصلت ما بين آخر سلاطين الامارة الغزنوية، خسرو الغزنوي وأشهر سلاطين الامارة الغورية غياث الدين الغوري(٥٥٨هـ ـ ٥٩٩هـ/١١٦٣م ـ ١٢٠٣م)[٥٤].

ولما سيطر السلاجقة[٥٥]على خراسان عقب انتصارهم على الغزنويين في معركة داندیقان سنة(٤٣٢هـ/١٠٤٠م) اعادوا لاقليم خراسان مكانته السياسية بعد أن اتخذ السلطان طغرل بيك(٤٢٩هـ ـ ٤٥٥هـ/١٠٣٧م ـ ١٠٦٣م) من مدينة نيسابور عاصمة له[٥٦]. ولكن بعد أن توسع ملك السلاجقة قسمت املاكها الى وحدات ادارية فأصبحت خراسان جزء من هذه التقسيمات والتي عرفت باسم سلاجقة خراسان إذ كان يديرها السلطان سنجر بن ملكشاه منذ عام (٤٩٠هـ/١٠٩٦م) [٥٧]. ثم دخلت خراسان تحت حكم الامارة الخوارزمية واصبحت ولاية تابعة لها حتى سقوطها على يد الغزو المغولي سنة(٦١٨هـ/١٢٢١م) [٥٨].



خارطة خراسان السياسية الممتدة الى بلاد ما وراء النهر

ثالثا: بلاد ما وراء النهر

يقع هذا الاقليم ضمن حدود طبيعية واضحة فهو ينحصر بين نهرين مشهورين هما نهري جيحون[٥٩] وسيحون[٦٠] لذلك البعض بطلق عليه تسمية اقليم ما بين النهرين أي نهر جيحون الذي يحده من جهة الغرب ونهر سيحون الذي يحده من جهته الشرقية، وتبدأ حدوده بعد حدود اقليم خراسان، فنهر جيحون هو الحد الذي يفصل بين الاقليمين، وأما الشرق منه فيحده بلاد التبت[٦١]،وبلاد الترك[٦٢]. ويعد اقليم بلاد ما وراء النهر من بلاد المشرق الغنية ذا خيرات زراعية ومعدنية كبيرة، ويضم كبرى مدن المشرق الاسلامي ومن أشهرها بخارى

وسمرقند وكذلك بلاد الصغد وبلاد الختل وبلاد الشاش الصاغنيان ثم بيكند نسف وكش وغيرها(٦٣).

أن اقليم بلاد ما وراء النهر هو الاقليم الوحيد الذي توافقت خارطته الجغرافية مع حدوده السياسية لاسيما بعدما استقرت حدود الدولة العربية الاسلامية من جهة المشرق الاسلامي، فعلى الرغم من التحولات السياسية التي شهدتها بلاد المشرق الاسلامي الا انه حدوده الجغرافية بقت نوعاً ما بعيدة عن تلك المؤثرات السياسية، إذ أن خصوصيته الجغرافية جعلت حدوده لا تتأثر بالأحداث السياسية، فجميع القوى التي سيطرت عليه تعاملت معه كوحدة ادارية مستقلة حتى وان لم يكن مقراً لحكم تلك القوى، فمنذ ان كان تحت امرة الطاهريون بقى يتمتع هذا الاقليم بخصوصية ادارية تتوافق مع حدوده الجغرافية، فالطاهريون كانوا يتعاملون معه بأشبه الحكم الذاتي إذ أعطوا مهمة ادارته الى الأسرة السامانية، لذلك استفادت هذا الاسرة من طبيعة البلاد الجغرافية فأعلنوا استقلالهم عن تبعيتهم لخراسان بعد سقوط الأمارة الطاهرية بيد الصفاريون سنة(٢٥٩هـ/٨٧٢م)(٦٤). فيُذكر أن الخلافة العباسية في عهد الخليفة المعتمد على الله(٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ/٨٧٠ ـ ٨٩٢م)عندما رأت هزيمة حلفائهم الطاهريون أمام الصفاريون في خراسان اعلنت فصل بلاد ما وراء النهر عنها سياسياً وأسندت حكم تلك البلاد الى أسرة بني سامان يتوارث على حكمها أبنائهم فيما بينهم، وذلك سنة(٢٦١هـ/٨٧٤م)(٦٥). وبعد هذا القرار يمكن القول أن الخارطة السياسية لبلاد ما رواء النهر توافقت مع الخارطة الجغرافية وهذا ما لم يحدث سابقاً في تاريخ هذه البلاد في عصورها الاسلامية.

ومن الجدير بالذكر أن حدود اقليم بلاد ما وراء النهر السياسية أخذت تتوسع غرباً حتى تعدت الى الخلف من نهر جيحون، وذلك في عهد الامير اسماعيل بن أحمد الساماني(٢٧٨هـ ـ ٢٩٤هـ/٨٩٢م ـ ٩٠٧م) الذي استطاع أن يضم اقاليم ومدن مشرقية جديدة الى حكمه والتي كان في مقدمتها اقليم خراسان قلب المشرق الاسلامي ومن ثم اقليم طبرستان وجرجان شمالاً وكذلك اقليم سجستان جنوبا(٦٦). ولكن بقى الاقليم محافظاً على خصوصيته الجغرافية على الرغم من توسع سلطة السامانيون، والدليل أن الامارة السامانية

لما سقطت سنة (٣٨٩هـ/٩٩٨م)، انقسمت املاكها ما بين قوتين كبيرتين ظهرتا على الساحة السياسية في المشرق الاسلامي وهما القراخانية والغزنوية، فالقرا خانيون استولوا على جميع بلاد ما وراء النهر ولكنهم لم يستطيعوا عبور نهر جيحون للسيطرة على خراسان لوجود مانع جغرافي لذلك كانت بلاد خراسان من حصة الغزنويون[٦٧]. ولكن حدوده فتحت أيام الحكم السلجوقي واصبحت جزء من أملاك السلطان سنجر بعد أن طرد الخانيون منها ووطد نفوذه هناك سنة(٤٩٥هـ/١١٠٤م) إذ اصبحت بلاد ما وراء النهر تدار بنفس الطريقة التي كانت يديرها الطاهريون سابقاً[٦٨]. وكذلك الحال في العصر الخوارزمي إذ اصبح نهر سيحون هي الحدود الطبيعية والسياسية للأمارة الخوارزمية لحين غزو المغول للعالم الاسلامي عقب حادثة أترار سنة(٦١٨هـ/١٢٢١م)[٦٩].



خارطة اقليم بلاد ما وراء النهر مع بعض مدن خراسان الواقعة ما قبل نهر جيحون

أما اقليم خوارزم فعادة كان يتعامل معه على انه جزء من خارطة اقليم ما وراء النهر الجغرافية لانه يقع شمال هذا الاقليم لاسيما أن عاصمته الجرجانية تقع خلف نهر جيحون وهذا ما كان يراه الاصطخري[٧٠]عندما قال عنه" وامّا خوارزم فانّها نذكرها فيما وراء النهر لانّ مدينتها وراء النهر وهى الى مدن ما وراء النهر ... اقرب منها الى مدن خراسان". ولم يختلف المقدسي[٧١]كثيراً عما طرحه الذي قبله فهو أيضا أشار على أن مدن الاقليم منشطره على حافتي نهر جيحون وانه أشار على أن معظم مدنه الرئيسة تقع خلف النهر اي ضمن بلاد ما وراء النهر. الا أنه يمكن القول بأن هذا الاقليم كان يتمتع بخصائص جغرافية تختلف

عن باقي مدن بلاد ما وراء النهر مثل بخارى وسمرقند مما جعلت قوى المشرق الاسلامي تتعامل معه كوحدة ادارية مستقلة، لا سيما أن الاقليم بدأ يتصاعد سياسياً في العصور اللاحقة للحكم الساماني ففي العصر السلجوقي تعاملوا معه كحالة خاصة بعد أن عينوا عليه حاكماً من قبلهم يدعى الأمير انوشتكين والذي يعد مؤسس الامارة الخوارزمية(٤٩٠ ـ ٦٢٨هـ/١٠٩٦ ـ ١٢٣١م) في خوارزم[٧٢]. وعلى الرغم من الدور السياسي الذي لعبه هذا الاقليم في المشرق الاسلامي في عصر الامارة الخوارزمية الا أنه ظل محافظا على حدوده الجغرافية إذ كان أشبه بقلعة يمثل سيادة الخوارزميون على بلاد المشرق الاسلامي كما هو الحال لمدينة غزنة في العصر الغزنوي وكذلك بلاد الغور في عصر الامارة الغورية(٥٤٣هـ ـ ٦١٢هـ/١١٤٨م ـ ١٢١٥م) [٧٣].



خارطة اقليم خوارزم وهو يقع اعلى نهر جيحون واسفل بحيرة خوارزم

أما بلاد السند وبلاد الهند فهي آخر حدود المشرق الاسلامي من جهته الجنوبية الشرقية اذ أن كلا البلدين انضمتا مؤخراً تحت مصطلح مشهور سمي بشبه القارة الهندية[٧٤]. وقد مرت تلك البلدان بمراحل سياسية وعسكرية جعلتهما من أقل بلدان المشرق الاسلامي استقلالية وان معظم عصورها الاسلامية كانت تابعة للقوى والكيانات السياسية التي ظهرت في المشرق الاسلامي لاسيما تلك التي قامت قريبة منها أمثال الامارة الغزنوية والامارة

الغورية لذلك تعد هذه البلاد من أكثر بلاد المشرق الاسلامي تأثيرا بالتطورات السياسية، ولم تتوافق في يوم من الأيام حدودها الجغرافية مع حدودها السياسية، فالمؤثرات السياسية والابعاد الاجتماعية هي التي رسمت حدوده وليست طبيعته الجغرافية، فبلاد السند كانت أولى هذه البلاد التي وصلها العرب المسلمون عند حركة الفتح العربي الاسلامي التي بدأت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب(١٣ ـ ٢٣هـ/٦٣٤ ـ١٢٣٦م) ثم تم استكمال فتحها في العصر الأموي(٤١هـ ـ ١٣٢هـ/٦٦١ ـ ٧٤٩م) على يد القائد محمد بن القاسم الثقفي[٧٥]. ولما جاء الغزنويون لأستكملوا فتح بلاد الهند أصبحت بلاد السند والهند جزء من أملاكهم وتابعة لمقر حكمهم الكائن في العاصمة غزنة الخراسانية وبذلك اصبحت البلاد تحت خريطة سياسية واحدة مرتبطة مع جنوب خراسان اذا ما سلمنا بان قلب خراسان كان يدار بوحدة ادارية مستقلة بتفويض من قبل السلاطين الغزنويين[٧٦]. واستمرت الخارطة على هذا الحال حتى بعد مجيء الغوريون الذين ورثوا الغزنويين في تلك المناطق، الا أن بلاد الهند اصبحت اكثر استقلالا من الناحية الجغرافية في العصور الاسلامية المتأخرة لاسيما بعد أن قامت بداخل حدودها دويلات مستقلة بذاتها مثل دولة المماليك(٦٠٢هـ ـ ٦٨٩هـ/١٢٠٥م ـ ١٢٩٠م) [٧٧]. والدولة الخلجية(٦٨٩ ـ ٧٢٠هـ/١٢٩٠ ـ ١٣٢٠م) [٧٨].



خارطة شبه القارة الهندية والتي كانت تسمى ببلاد السند والهند

الخاتمة: توصل البحث الى عدد من النتائج وهي موجزة بالنقاط التالية:

- المشرق الاسلامي هو مصطلح تاريخي واسع ذا مدلول سياسي يدخل في نطاقه الكثير من الاقاليم والمدن الجغرافية، إذ يشمل جميع البلدان التي امتدت عليها سلطة الدولة العربية الاسلامية بدءاً من شرقي العراق وانتهاءً بحدود بلاد ما وراء النهر، إذ يعد نهر سيحون الحد الطبيعي له من جهة الشمال الشرقي وذلك في أغلب أحواله السياسية، أما شمالا فحدوده بحر قزوين(الخزر) ومن ناحية الجنوب يحده بحر العرب، ومن جهته الجنوبية الشرقية تقع بلاد الهند والسند(شبه القارة الهندية).
- ان الحدود السياسية للمشرق الاسلامي هي حدود غير ثابتة وكانت تتبدل بين عصر وآخر إذ انها تتغير عند أدنى حدث سياسي وعسكري يحصل داخل هذه العصور، لذلك نرى أن من الخطأ العلمي والمنهجي أن نعتمد هكذا نوع من الحدود عند دراسة مدن وأقاليم المشرق الاسلامي.
- يعد خراسان من أكثر اقاليم المشرق الاسلامي الذي تأثرت حدوده بالتحولات السياسية، فموقعه الواقع في قلب المشرق الاسلامي ساعده على مد سيطرته السياسية والادارية على اقاليم كثيرة لها خصوصيتها الجغرافية، بل لم نكن مبالغين ان قلنا بان جميع المشرق الاسلامي كان ينعت ببلاد خراسان وهذا أمر طبيعي فاقليم خراسان كان يمثل مركز الحكم العربي الاسلامي في عصوره الأولى .
- أما فارس فعمقه التاريخي كان هو الحاضر والمهيمن على جزء كبير من بلاد المشرق الاسلامي فعلى الرغم من ان الجغرافيون العرب صنفوه كاقليم محصور حاله حال اقليم الجبال أو الأحواز أو كرمان الا أن هيمنته السياسية جعلت جل هذه المدن والاقاليم تنطوي تحت مصطلح سياسي واحد اسمه بلاد فارس.
- أما بلاد ما وراء النهر فهو من أكثر الاقاليم الذي بقت خارطته الجغرافية متوافقة مع جدوده السياسية في معظم أحواله السياسية والادارية سواء كان تابعاً كما هو الحال في العصر الطاهري أو متبوعاً كمال هو الحال في العصر الساماني الذي امتد نفوذهم على معظم بلاد المشرق الاسلامي. أما فيما يخص اقليم خوارزم فعلى الرغم من أن أمره

الجغرافي بقى غير محسوم إذ أن أراضيه مشطورة بين جهتي نهر جيحون، الا أنه كان يمثل وحدة جغرافية مستقلة له حدوده السياسية الثابتة.

ـ ويمكن القول أن حال بلاد الهند والسند الجغرافي هو يشبه الى حد بعيد حال بلاد ما وراء النهر لان تلك البلاد معظمها يقع خلف نهر السند مثلما ان بلاد ما وراء النهر تقع خلف نهر جيحون، لذلك اطلق حديثاً على هذه البلاد بـ (شبه القارة الهندية) لان أراضيه محاطه بمياه فمن الشمال الشرقي نهر السند أما من الجنوب والشرق الجنوبي محاطة بمياه المحيط الهندي، ولكن حال هذه البلاد يختلف نوعا ما سياسيا إذ انها منذ أن فتحت اصبحت تحت نفوذ الغزنويون ومن ثم حكم الغوريون المباشر ولم تنفك حتى عهد دولة المماليك فبعهدهم تمتعت البلاد بشيء من الاستقلال السياسي مما يتلاءم مع موقعها وحدودها الجغرافي.

الهوامش:

(١) أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك، زين الأخبار، تر: عفاف السيد،(المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة ـ ٢٠٠٦م)، ص٢٠٨ ـ ص٢٣٩.

(٢) كامل بن حسين، نهر الذهب في تاريخ حلب، ط٢، (دار القلم، حلب _١٩٩٨م) ج١، ص١٧٠.

(٣) ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط٢(دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م)، ٢،٢٠١.

(٤) نقاشات علمية مع بعض باحثو المغرب، مثل طالبة الدكتوراه هناء من ليبيا.

(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،(مكتبة مدبولي، القاهرة ـ ١٩٩١م)، ص٢٦٠)، ٢٦٠ .

(٦) الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي(ت٣٤٦هـ/٩٤٧م) المسالك والممالك، دار صادر، بيروت ـ ٢٠٠٤م)، ٩٦ـ ٩٧، ١٢٣.

(٧) او إيران شهر هي جزء من بلاد العراق واقليم فارس واقليم الجبال واقليم خراسان يجمعها كلها هذا الاسم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١/ ٢٨٩.

(٨) الاصطخري، المسالك والممالك، ١٩٥.

(٩) الاصطخري، المسالك والممالك، ١٩٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٤١٠ ؛ ابن حوقل، أبو القاسم ابن حوقل محمد بن حوقل(بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض دار صادر بيروت ـ ١٩٣٨م)، ٢/ ٣٥٧ ـ ٣٧٢ .

(١٠) الري مدينة مستقلة ملاصقة لاقليم الديلم إذ تتصل به من جهة الشمال ومن جهة المغرب واحيانا يضمها الاصطخري الى الديلم لانها على اتصال واحد، المسالك والممالك، ٢٠٢، ٢٠٤.

(١١) ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد(ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م)، البلدان، تح: يوسف الهادي، ط١(عالم الكتب، بيروت– ١٩٩٦ م)،ص ٤٠٦.

(١٢) للمزيد ينظر: المظفر، أحمد، الاحواز سياسيا، اقتصاديا، فكريا منذ ظهور الاسلام الى نهاية القرن الخامس الهجري، دار الحصاد، دمشق ـ ٢٠١٠م).

(١٣) مفازة خراسان: وهي صحراء واسعة متصلة بصحراء قارس يحيط بها من شرقيّها حدّ مكران وشيء من حدود سجستان وغربيّها حدود قومس والريّ وقمّ وقاسان وشماليّها حدود اقليم خراسان وشيء من سجستان وجنوبيّها حدود كرمان وفارس وشيء من حدود اصبهان، الاصطخري، المسالك والممالك، ٢٢٧ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ٣٩٩/٢.

(١٤) سجستان: اقليم قائم بذاته تحيطها من جهة المشرق صحراء تربط بين مكران وبلاد السند ومن جهة المغرب خراسان ومن الجنوب ايضا تحدها صحراء تفصلها بين كرمان وفارس، ويضم اقليم سجستان الكثير من المدن اشهرها زرنج والطاق وقرنين وخواش وبست، الاصطخري، المسالك والممالك، ١٣٨ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ٤١١/٢.

(١٥) الاصطخري، المسالك والممالك، ١٥٨، ١٥٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ٤٧٢ .

(١٦) الاصطخري، المسالك، ١٧٧، ٢٢٧، ٣٠٥ ؛ ابن حوقل، صورة الأرض،٢/ ٣٢٥.

(١٧) منيمنة، حسن، تاريخ الدولة البويهية، السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ـ مقاطعة فارس ـ ٣٣٤هـ ـ ٤٤٧هـ/٩٤٥م ـ ١٠٥٥م)، ص١٩ ـ ص٢٠.

(١٨) وهم امارة سياسية شبه مستقلة حكمت معظم بلاد المشرق الاسلامي منذ عهد الخليفة العباسي المأمون(١٩٨ ـ ٢١٨هـ/٨١٣ ـ ٨٣٣م) الذي اعطاهم تفويض حكم تلك البلاد وكان مقر حكمهم في نيسابور في خراسان، ويرجع نسب الطاهريون الى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن ماهان الفارسي، السامرائي، فراس سليم الحسني، الامارات الاسلامية بالمشرق الاسلامي،(دار الرضوان، عمان ـ ٢٠١٥م)، ٢٢ ـ ٤٠ .

(١٩) ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تح: عمر تدمري،(دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٩٩٧م)، ٦/٢٥٣؛ عدوان، احمد محمد، موجز في تاريخ دويلات المشرق الاسلامي،(دار عالم الكتب، الرياض ـ ١٩٩٠م) ٥١.

(٢٠) وهو يعقوب بن الليث الصفار أصله فارسي احد رجالات المشرق الاسلامي الذي أخذ نفوذه يتصاعد من سجستان إذ سيطر عليها ومن ثم امتد نفوذه شمالا الى خراسان وذلك على حساب اراضي الامارة الطاهرية ومن ثم زحف غربا الى بلاد فارس وبعدها استطاع يؤسس امارة شبه مستقلة سميت بالامارة الصفارية عقب سيطرته على خراسان وما يتبعها واسقاط نيسابور عاصمة الامارة الطاهرية سنة(٢٠٥هـ/٨٢٠هـ)، للمزيد ينظر: السنوسي، آدم صالح، الدولة الصفارية وعوامل قيامها بسجستان، (مجلة كلية التربية، جامعة السلام ـ ٢٠١٨م)، العدد: ١ .

(٢١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٦/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ؛ عدوان، موجز، ٥١.

(٢٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ٤٧٢ ؛ مسكويه، ابو علي احمد بن محمد(ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، تجارب الامم وتعاقب الهمم، تح: ابو القاسم امامي،ط٢(سروش، طهران ــ ٢٠٠٠م)، ٥/ ٤٤٤، ٦/٢٩٣،٢٨٩،ص٣٤١ ؛ عدوان، موجز، ٦٣.

(٢٣) ابو القاسم، عبيدالله بن عبدالله(ت ٢٨٠هـ/٨٩٣)،المسالك والممالك، (دار صادر أفست ليدن ـ ١٨٨٩م)، ٢٤٢.

(٢٤) طبرستان: اقليم قائم بذاته يقع شمال خراسان ويقع الى الغرب منه اقليم الديلم وشماله بحر قزوين، من مدنه الكبرى آمل وشالوس وكلار وسارية ، الاصطخري، المسالك والممالك، ٢١١ ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ٢/٣٨١ ؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ٣٥٥ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/١٣.

(٢٥)الاصطخري، المسالك والممالك، ٢٠٤.

(٢٦) ابو عمارة البراء بن عازب بن الحارث الانصاري المدني، صحب النبي محمد(صلى الله عليه وسلم)، في يوم الخندق عام(٥هـ/ ٦٢٧م)، أجاز له النبي المشاركة في معركة الخندق وهو ابن ١٥ سنة ولم يجيز لغيره، ابن سعد عبدالله محمد بن سعد(٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تح: محمد عبدالقادر، (دار الكتب العلمية، بيروت ــ ١٩٩٠م)، ٤/٢٦٩ ؛ الذهبي، ابو عبدالله محمد بن أحمد(٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح: بشار عواد، (دار الغرب الاسلامي، بلا م ـ ٢٠٠٣م)، ٢/٧٩٣.

(٢٧) ابن الفقيه، البلدان، ٥٥٨.

(٢٨) وهي من الكيانات السياسية التي ظهرت في المشرق الاسلامي، إذ قامت في طبرستان على يد مؤسسها الامام زيد بن علي بن الامام زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب(رضي الله عنهم) وذلك ايام الخليفة العباسي المستعين بالله(٢٧٨ ـ ٢٥٢هـ/٨٦٢ ـ ٨٦٦م)، للمزيد ينظر: هاشم، ناجي طالب، الحركة الاقتصادية والتجارية للامارة الزيدية في طبرستان(٢٥٠ ـ ٣٦١هـ)، مجلة الباحث، وقائع المؤتمر العلمي الاول، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الانسانية ٨ نيسان ـ ٢٠٢١م.

(٢٩) ابن الاثير، الكامل، ٦/ ٦٢٨ ؛ عدوان، موجز ٨٦ ـ ٨٨ .

(٣٠) الاصطخري، المسالك والممالك، ٢٥٣.

(٣١) الاصطخري، المسالك والممالك، ١٩٥، ٩٦.

(٣٢) الاصطخري، المسالك والممالك، ٢٥٤.

(٣٣) أحسن التقاسيم، ٣١٣.

(٣٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٥١/٢.

(٣٥) للمزيد من الاخبار عن جهود ولاة خراسان في فتح بلاد ما وراء النهر، ينظر: خطاب، محمود شيت، قادة الفتح الاسلامي في بلاد ما وراء النهر،(دار ابن حزم، بيروت ـ ١٩٩٨م) ؛ عبدالجبار، عمر فلاح، قتيبة بن مسلم الباهلي قائد فتح بلاد ما وراء النهر،(مجلة ديالى ـ ٢٠١٢م)، العدد:٢٥.

(٣٦) عطوان، حسين، الدعوة العباسية تاريخ وتطور، ط٢(دار الجيل، بيروت ـ ١٩٩٥م)، ص١٦١ ـ ص٢٧٢ .

(٣٧) للمزيد من المعلومات عن تاريخ ونشأة الامارة الطاهرية، ينظر: آدم، السنوسي موسى، الدولة الطاهرية وحيثيات قيامها وازدهارها في خراسان (٢٠٥ ـ ٢٥٩هـ)، مجلة جامعة السلام ، العدد: ٨ ـ ٢٠١٩م).

(٣٨) سعد، سالم جبران، الأسرة الطاهرية ودورها في تاريخ الخلافة العباسية(١٩٤ ـ ٢٨٩هـ/٨٠٩م ـ ٩٠١م)، رسالة مقدمة الى مجلس كلية الآداب ـ جامعة الفاتح/ الجمهورية العربية الليبية ـ ٢٠٠٨م)، ص٧٧ ـ ص١٠٣ ؛ عدوان، موجز، ٣١.

(٣٩) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الامم والملوك، (دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٩٨٦م)، ٤٩٧/٥ ؛ سعد، الأسرة الطاهرية، ١٤٦ ـ ١٤٧ ، موجز، احمد، ٤٩ .، ٥٢ .

(٤٠) خنفر، عبداللطيق أمين، الدولة الصفارية(٢٥٤ ـ ٢٨٩هـ/٨٦٧م ـ ٩٠٢م)، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الدراسات العليا في الجامعة الاردنية، كانون الثاني ١٩٩٦م)، ٥٠ ـ ٥١ .

(٤١) عدوان، موجز، ص٨٠.

(٤٢) بخارى: كبرى مدن بلاد ما وراء النهر يعبر اليها من آمل الشط، بينها وبين نهر جيحون مسيرة يومان و ذات فواكه كثيرة ومياه وفيرة، مجهول، حدود العالم، ١٢٦ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٥٣/١.

(٤٣) للمزيد ينظر: الحديثي، قحطان عبدالستار، خراسان في العصر الساماني، دراسة في أحوالها السياسية والادارية والاقتصادية من سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م الى سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م).

(٤٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٧٣٣/٦.

(٤٥) للمزيد من المعلومات عن جهود الوالي خلف بن أحمد السياسي على سجستان، ينظر: الدليمي، ناظم كامل حمد عبد، إقليم سجستان في عَهْدِ الوَالي خَلف بِن أَحْمَدَ السِّجِسْتَانِيّ (٣٥٠_٣٩٩هـ/٩٦١_١٠٠٩م)، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الآداب ـ جامعة الانبار ـ ٢٠٢٣م).

(٤٦) وهم قبائل تركية سيطروا على تركستان ثم استطاعوا بعدها ان يمدوا نفوذهم على بلاد ما وراء النهر ويكونوا لهم امارة شبه مستقلة عاصرت الغزنويون ومن ثم السلاجقة، استمر حكمهم حتى سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م)، للمزيد ينظر: زهرة، عبدالغني عبدالفتاح، الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر، (بلا د ، القاهرة ، يونية ـ ٢٠٠٠م).

(٤٧) العتبي، ابو النصر محمد بن عبدالجبار(ت٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي، تح: احسان عباس، (دار الطليعة، بيروت ـ ٢٠٠٤م)، ٢٥٥ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ،٥٠٣/٧، ٥٠٥.

(٤٨) العمادي، محمد حسن عبدالكريم، خراسان في العصر الغزنوي، (دار الكندي، أربد ـ ١٩٩٧م)، ص٣١.

(٤٩) العتبي، اليميني، ١٧٥ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٧/ ٥٠٣ .

(٥٠) السند: وهي بلاد تقع بين بلاد الهند من جهة الشمال الشرقي وبين كرمان وسجستان من جهة الجنوب الغربي وعاصمة السند هي مدينة المنصورة ومن مدنها الديبل، ويقال ان السند والهند كانا أخوين من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح(عليه السلام)، الاصطخري، المسالك والممالك، ١٧٠ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٦٧/٣.

(٥١) تقع بلاد الهند بين بلاد السند من جهة الجنوب الغربي وتحدها بلاد الصين من جهة الشرق وجنوبها البحر الأعظم وغربها نهر مهران ومن مدن بلاد الهند هي المولتان، مجهول(ت بعد

٣٧٢هـ/٩٨٢م)، حدود العالم، ترجمة وتحقيق: يوسف الهادي، (الدار الثقافية للنشر، القاهرة ـ ١٤٢٣هـ)، ٨٠ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٢٧/٥.

(٥٢) يمر نهر السند من مغرب جبل قسك، وهو الجبل الذي يدعى جبل الثلج أيضا، ثم يتجه من الجنوب إلى حدود الملتان ثم يصب في نهر لمغان من جهة الشرق مجهول، حدود العالم، ٥٦.

(٥٣) للمزيد من المعلومات عن جهود الغوريون وامتدادهم على بلاد السند والهند، ينظر: درويش، عبدالستار مطلك، الامارة الغورية في المشرق، دراسة في أحوالها السياسية والحضارية ٥٤٣هـ ـ ٦١٢هـ، (دار عالم الثقافة، عمان الاردن ـ ٢٠١١م).

(٥٤) درويش، الامارة الغورية، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠، ٥٥ ـ ٥٦ .

(٥٥) ينتمي السلاجقة إلى قبيلة قنق إحدى العشائر المتزعمة لقبائل الغز التركية.، دخلت الإسلام في عهد زعيمها ومؤسّس السلالة سَلْجُوق بن دُقَاق سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م)، ثم دخلوا بعدها في خدمة امارة القراخانية حُكَّام بلاد ماوراء النهر، وحازوا نفوذاً عالياً في دولتهم. ظهروا على كقوة عندما قاد طغرل بك حفيد سَلْجُوق حرباً مع الامارة الغزنوية في إقليم خراسان الكبرى، تمكَّن على إثرها من انتزاع مدينتي مرو ونيسابور في عام (٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، انتصر طغرل في العام ذاته بمعركته الكبرى مع الغزنويين، وهي معركة داندقان، التي كسرت شوكة الغزنويّين وأدَّت إلى الظهور الحقيقي للسَلْجُوقية، للمزيد ينظر: ابو النصر، محمد عبدالعظيم، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، (عين للدراسات والبحوث، مصر ـ ٢٠٠١م).

(٥٦) ابن الاثير، الكامل، ١٤/٨ . .

(٥٧) الوزنة، يحيى حمزة عبدالقادر، الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر ٤٩٠ ـ ٥٥٢هـ/ ١٠٩٦ ـ ١١٥٧م، اطروحة دكتوراه مقدمة الى مجلس كلية الشريعة والدراسات الاسلامية والحضارية، جامعة ام القرى ـ المملكة العربية السعودية ـ ١٩٩٣م)، ص٧٣ ـ ص٧٤ .

(٥٨) عكاشة، تروت، اعصار من الشرق(جنكيز خان)، ط٥(دار الشروق، مصر ـ ١٩٩٢م)، ص٢١١ ـ ٢١٩ ؛ حمدي، حافظ أحمد، الدولة الخوارزمية والمغول، غزو جنكيز خان للعالم الاسلامي، (دار الفكر العربي، القاهرة ـ بلات)، ص١٤٩ ـ ص١٥١ .

(٥٩) وهو نهر عظيم ينبع من نهر يعرف بجرياب يخرج من بلاد وخّان فى حدود بذخشان فيجتمع اليه انهار فى حدود الختّل والوخش فيصير منه هذا النهر العظيم، ويشقّ الإقليم ويصب في بحيرة خوارزم وعليه كور جليلة ومدن عدّة وينشعب منه انهار كثيرة ويقلب اليه الأنهار الستّة فاما الكور فالختل ثم

قواديان ثم خوارزم واما المدن فترمد ثم كالف ثم نويده ثم زمّ ثم فربر ثم آمل، الاصطخري، المسالك والممالك، ٢٩٦ ؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ٢٨٤.

(٦٠) نهر مشهور كبير بما وراء النهر قرب خجندة بعد سمرقند، يخرج من وراء جبل الخلخ ويصل إلى ناحية الجنوب ويمر على حدود الشاش، ويصب في نهر أوزجند بين بناكت وجدار ،وحين تجتمع كل هذه المياه تكون ما يدعى نهر الشاش الذي يسميه العرب نهر سيحون يجمد في الشتاء حتى تجوز على جمده القوافل، وهو في حدود بلاد الترك، مجهول، حدود العالم، ٥٧ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٩٤/٣.

(٦١) التبت: وهي من بلاد أرض الترك، وهي مملكة يحدها من الشمال ارض الصين ومن الجنوب بلاد الهند ومن المشرق بلاد الهياطلة ومن المغرب بلاد الترك، الاصطخري، المسالك والممالك، ١٠ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٠/٢ .

(٦٢) الاصطخري، المسالك والممالك، ٢٨٦ ؛ مجهول، حدود العالم، ١٢٦.

(٦٣) الاصطخري، المسالك والممالك، ٢٨٦ ـ ٢٩٨؛ ابن حوقل، صورة الارض، ٤٥٩/٢ ــ ٤٧٧؛ مجهول، حدود العالم، ١٢٦ ـ ١٣٨ .

(٦٤) عدوان، موجز، ٥٢.

(٦٥) ابن الاثير، الكامل، ٣٢٤/٦ ـ ٣٢٥؛ أمين، حسين، الدولة السامانية،(مجلة المؤرخ العربي، بغداد ـ ١٩٨٠م)، العدد:١٥ ، عدوان، موجز، ٦١، ٩٢ .

(٦٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٥١١/٦، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٨، ٥٣٥ .

(٦٧) العتبي، اليميني، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٥٠٥/٧ .

(٦٨) الوزنة، الدولة السلجوقية في عصر السلطان سنجر، ص٧٦ ـ ص٨١.

(٦٩) للمزيد من المعلومات عن تاريخ ونشأة الامارة الخوارزمية، ينظر: صبرة، عفاف سيد، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، (دار الكتاب الجامعي، القاهرة ـ ١٩٨٧م.

(٧٠) المسالك والممالك،٢٥٤ ، ٢٩٥.

(٧١) أحسن التقاسيم، ٢٨٤.

(٧٢) للمزيد عن تاريخ السلاجقة، ينظر: صبرة، عفاف سيد، التاريخ السياسي للدولة السلجوقية، (دار الكتاب الجامعي، القاهرة ـ ١٩٨٧م).

(٧٣) وهي من امارت المشرق القوية التي نشأت في بلاد الغور وامتدت على حساب أراضي الامارة الغزنوية في خراسان وغزنة ، إذ اشتهرت بدورها الكبير في نشر الاسلام في بلاد السند والهند فاخضع

سلاطينها مناطق واسعة في الهند بما في ذلك دلهي، للمزيد ينظر: درويش، الامارة الغورية في المشرق.

(٧٤) وهو مصطلح حديث ظهر أيام الاستعمار البريطاني يطلق عادة على تلك البلاد التي كانت تسمى قديما ببلاد والهند والسند ويقع الآن جنوب آسيا ويشمل حالياً دول كثيرة مثل، بنغلادش وبوتان والنيبال والهند وباكستان، الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، شبه القارة الهندية (/https://ar.wikipedia.org/wiki).

(٧٥) للمزيد ينظر: عبدالله، نافع، محمد بن القاسم الثقفي، فاتح السند،(مطبعة بن دسمال، دبي ـ ١٩٩٧م).

(٧٦) العتبي، اليميني، ١٧٥ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٥٠٣/٧.

(٧٧) تأسست دولة المماليك على يد المملوك قطب الدين آيبك الذي حكم بلاد الهند نيابة عن سلطة الامارة الغورية حوالي خمسة عشر سنة منذ عام(٥٨٧هـ/١١٩١) ثم انفصل عن سلطانهم ليصبح سلطاناً مستقلا منذ عام(٦٠٢هـ/١٢٠٥م) واتخذ من دهلي عاصمة لدولته ويعد السلطان آيبك اول سلطان مسلم يستقل بحكم دولة المسلمين في الهند، للمزيد ينظر: السباعي محمد، محمد رفعت، دولة المماليك في بلاد الهند ودورها السياسي والحضاري(٦٠٢ ـ ٦٨٩هـ/١٢٠٥ ـ ١٢٩٠م)،(رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية اللغة العربية والحضارة، جامعة الازهر، القاهرة ـ ٢٠١٧م)، ص٤٨ ـ ص٥١ .

(٧٨) دولة قامت في الهند على انقاض الامارة الغورية حكامها من الترك، ويرى بعض المؤرخون انهم ينتسبون الى قليج خان احد أصهار جنكيز خان، بدأ حكمها على يد جلال الدين فيروزشاه، بدأ نشاطهم السياسي والعسكري منذ ايام الحكم الغوري للمزيد ينظر: الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف ،بلاد الهند في العص الاسلامي، (عالم الكتب، القاهرة ـ ١٩٨٠م)، ٧٢ ـ ٩٥ .

المصادر والمراجع الحديثة:

أولاً: المصادر الأولية.

١. ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تح: عمر تدمري،(دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٩٩٧م).
٢. الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي(ت٣٤٦هـ/٩٤٧م) المسالك والممالك، دار صادر، بيروت ـ ٢٠٠٤م).
٣ـ ابن حوقل، أبو القاسم ابن حوقل محمد بن حوقل(بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض دار صادر بيروت ـ ١٩٣٨م).
٤. ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله(ت٢٨٠هـ/٨٩٣)،المسالك والممالك، (دار صادر أفست ليدن ـ ١٨٨٩م).
٥ـ الذهبي، ابو عبدالله محمد بن أحمد(٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح: بشار عواد، (دار الغرب الاسلامي، بلا م ـ ٢٠٠٣م).
٦. ابن سعد عبدالله محمد بن سعد(٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تح: محمد عبدالقادر، (دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٩٩٠م).
٧ـ الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الامم والملوك، (دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٩٨٦م).
٨. العتبي، ابو النصر محمد بن عبدالجبار(ت٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي، تح: احسان عباس، (دار الطليعة، بيروت ـ ٢٠٠٤م).
٩ . الغزي، كامل بن حسين، نهر الذهب في تاريخ حلب، ط٢، (دار القلم، حلب _١٩٩٨م).
١٠ ـ ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد(ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م)، البلدان، تح: يوسف الهادي، ط١(عالم الكتب، بيروت– ١٩٩٦ م).
١١ ـ الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك، زين الأخبار، تر: عفاف السيد،(المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة ـ ٢٠٠٦م).

١٢ ـ مجهول(ت بعد ٣٧٢هـ/٩٨٢م)، حدود العالم، ترجمة وتحقيق: يوسف الهادي، (الدار الثقافية للنشر، القاهرة ـ ١٤٢٣هـ).
١٣ ـ مسكويه، ابو علي احمد بن محمد(ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، تجارب الامم وتعاقب الهمم، تح: ابو القاسم امامي،ط٢(سروش، طهران ـ ٢٠٠٠م).
١٤ ـ المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،(مكتبة مدبولي، القاهرة ـ ١٩٩١م)، ص٢٦٠).
١٥ ـ ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط٢(دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م).
ثانياً: المراجع الحديثة
١٦ ـ آدم، السنوسي موسى، الدولة الطاهرية وحيثيات قيامها وازدهارها في خراسان (٢٠٥ ـ ٢٥٩هـ)، مجلة جامعة السلام ، العدد: ٨ ـ ٢٠١٩م).
١٧ ـ أمين، حسين، الدولة السامانية،(مجلة المؤرخ العربي، بغداد ـ ١٩٨٠م)، العدد:١٥.
١٨ ـ حمدي، حافظ أحمد، الدولة الخوارزمية والمغول، غزو جنكيز خان للعالم الاسلامي، (دار الفكر العربي، القاهرة ـ بلات).
١٩ ـ الحديثي، قحطان عبدالستار، خراسان في العصر الساماني، دراسة في أحوالها السياسية والادارية والاقتصادية من سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م الى سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م).
٢٠ ـ خطاب، محمود شيت، قادة الفتح الاسلامي في بلاد ما وراء النهر،(دار ابن حزم، بيروت ـ ١٩٩٨م).
٢١ ـ خنفر، عبداللطيق أمين، الدولة الصفارية(٢٥٤ ـ ٢٨٩هـ/٨٦٧م ـ ٩٠٢م)، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الدراسات العليا في الجامعة الاردنية، كانون الثاني ١٩٩٦م).
٢٢ ـ الدليمي، ناظم كامل حمد عبد، إقليم سجستان في عَهْدِ الوَالي خَلف بِن أَحْمَدَ السِّجِسْتَانِيّ (٣٥٠_٣٩٩هـ/٩٦١_١٠٠٩م)، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الآداب ـ جامعة الانبار ـ ٢٠٢٣م).
٢٣ ـ درويش، عبدالستار مطلك، الامارة الغورية في المشرق، دراسة في أحوالها السياسية والحضارية ٥٤٣هـ ـ ٦١٢هـ، (دار عالم الثقافة، عمان الاردن ـ ٢٠١١م).

٢٤ ـ زهرة، عبدالغني عبدالفتاح، الدولة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر، (بلا د ، القاهرة ، يونية ـ ٢٠٠٠م).
٢٥ ـ السامرائي، فراس سليم الحسني، الامارات الاسلامية بالمشرق الاسلامي،(دار الرضوان، عمان ـ ٢٠١٥م).
٢٦ ـ السباعي محمد، محمد رفعت، دولة المماليك في بلاد الهند ودورها السياسي والحضاري(٦٠٢ ـ ٦٨٩هـ/١٢٠٥ ـ ١٢٩٠م)،(رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية اللغة العربية والحضارة، جامعة الازهر، القاهرة ـ ٢٠١٧م).
٢٧ ـ سعد، سالم جبران، الأسرة الطاهرية ودورها في تاريخ الخلافة العباسية(١٩٤ ـ ٢٨٩هـ/٨٠٩م ـ ٩٠١م)، رسالة مقدمة الى مجلس كلية الآداب ـ جامعة الفاتح/ الجمهورية العربية الليبية ـ ٢٠٠٨م).
٢٨ ـ السنوسي، آدم صالح، الدولة الصفارية وعوامل قيامها بسجستان، (مجلة كلية التربية، جامعة السلام ـ ٢٠١٨م)، العدد: ١.
٢٩ ـ عدوان، احمد محمد، موجز في تاريخ دويلات المشرق الاسلامي،(دار عالم الكتب، الرياض ـ ١٩٩٠م).
٣٠ ـ صبرة، عفاف سيد، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، (دار الكتاب الجامعي، القاهرة ـ ١٩٨٧م.
٣١ ـ عبدالجبار، عمر فلاح، قتيبة بن مسلم الباهلي قائد فتح بلاد ما وراء النهر،(مجلة ديالى ـ ٢٠١٢م)، العدد:٢٥.
٣٢ ـ عطوان، حسين، الدعوة العباسية تاريخ وتطور، ط٢(دار الجيل، بيروت ـ ١٩٩٥م).
٣٣ ـ عكاشة، تروت، اعصار من الشرق(جنكيز خان)، ط٥(دار الشروق، مصر ـ ١٩٩٢م).
٣٤ ـ العمادي، محمد حسن عبدالكريم، خراسان في العصر الغزنوي، (دار الكندي، أربد ـ ١٩٩٧م).
٣٥ ـ الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف ،بلاد الهند في العص الاسلامي، (عالم الكتب، القاهرة ـ ١٩٨٠م).

٣٦ ـ المظفر، أحمد، الاحواز سياسيا، اقتصاديا، فكريا منذ ظهور الاسلام الى نهاية القرن الخامس الهجري، دار الحصاد، دمشق ـ ٢٠١٠م).
٣٧ ـ منيمنة، حسن، تاريخ الدولة البويهية، السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ـ مقاطعة فارس ـ ٣٣٤هـ ـ ٤٤٧هـ/٩٤٥م ـ ١٠٥٥م).
٣٨ ـ ابو النصر، محمد عبدالعظيم، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، (عين للدراسات والبحوث، مصر ـ ٢٠٠١م).
٣٩ ـ هاشم، ناجي طالب، الحركة الاقتصادية والتجارية للامارة الزيدية في طبرستان(٢٥٠ ـ ٣٦١هـ)، مجلة الباحث، وقائع المؤتمر العلمي الاول، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الانسانية ٨ نيسان ـ ٢٠٢١م.
٤٠ ـ الوزنة، يحيى حمزة عبدالقادر، الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر ٤٩٠ ـ ٥٥٢هـ/ ١٠٩٦ ـ ١١٥٧م، اطروحة دكتوراه مقدمة الى مجلس كلية الشريعة والدراسات الاسلامية والحضارية، جامعة ام القرى ـ المملكة العربية السعودية ـ ١٩٩٣م).

نواب الغيبة وتدرجهم في الوظائف في عهد الأمير بهاء الدولة (٣٧٩/ ٤٠٣هـ)(٩٨٩هـ/ ١٠١٢م) أبو نصر خواشاذه (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) (أنموذجاً)

شروق مجيد محيبس

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد

أ.د. علي حسن غضبان

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد

نواب الغيبة وتدرجهم في الوظائف في عهد الأمير بهاء الدولة (٣٧٩/ ٤٠٣هـ)(٩٨٩هـ/ ١٠١٢م) أبو نصر خواشاذه (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) (أنموذجاً)

شروق مجيد محيبس

أ.د. علي حسن غضبان

المقدمة

برز بشكل كبير أيام البويهيين، لاسيما في فارس، والعراق، منصب النائب وهو الشخص الذي ينوب عن الأمير عندما يكون بعيداً عن مقر إقامته ، فأختير الوزير أبو نصر خواشاذه لهذا المنصب ، فالنائب هو الشخصية الأقوى بعد الأمير مباشرة وكان يدير شؤون الدولة نيابة عنه ، ويمثل الأمير بهاء الدولة في غيابه ، خلال فترة أنشغاله بالحرب مع أخيه صمصام الدولة (٣٨٠هـ -٣٨٩هـ/ ٩٩٠-٩٩٩م) ، وأضطراره لمغادرة بغداد،وقد حددت مدة نيابته لتتوافق مع فترة غياب بهاء الدولة عن بغداد، وكان له نفوذ كبير ، ويدير شؤون العراق بالكامل نيابة عن بهاء الدولة ، وله صلاحيات واسعة في الإدارة المالية والعسكرية والعلاقات الخارجية والتفاوض وتعيين الولاة وعزلهم .

الكلمات المفتاحية : نائب الملك ،البويهي ،العباسي ، ابونصرخواشاذه

Researcher Shorouk Majeed
Prof. Dr. Ali Hassan Ghadhban
University of Baghdad/Ibn Rushd College of Education for Humanities/Department of History

Abu Nasr Khwashadeh (d. 385 AH / 995 CE) (A Model)

During the Buwayhid period, especially in Persia and Iraq, the position of deputy became prominent. This position was held by the emir when he was away from his residence. The vizier, Abu Nasr Khwashadeh, was chosen for this position. The deputy was the most powerful figure directly after the emir and managed the affairs of state on his behalf. He represented the emir, Baha' al-Dawla, in his absence, during the period of his preoccupation with the war with his brother, Samsam al-Dawla (380-389 AH / 990-999 CE), and forced him to leave Baghdad. The duration of his deputyship was set to coincide

with Baha' al-Dawla's absence from Baghdad. He wielded considerable influence and managed the affairs of Iraq as a whole on behalf of Baha' al-Dawla. He had broad powers in financial and military administration, foreign relations, negotiations, and the appointment and dismissal of governors.

الاسم والنسب

أبـو نصـر خواشـاذه [١] ولقـب بالمجوسـي [٢] ، نسـبه الـى ديانتـه الزرادشـتية [٣] ، فأختلاف الأديان والطوائف في الحقبة البويهية بناءً على سياسة التسامح التي اتبعتها الدولة وجد انه له دوراً فاعلاً في المشهد السياسي للمجتمع، فتم توظيف أهل الذمة ايضاً فكان ابو نصر خواشاذه ، على الرغم من ديانته الزرادشتية امين صندوق عضد الدولة [٤] .

تدرجه في المناصب

تدرج أبو نصر خواشاذه في المناصب في العصر البويهي قبل توليه منصب نائب بهاء الدولة، كان يشغل عدة مناصب هامة في الدولة البويهية، مما يدل على ثقة الاميرين عضد الدولة والأمير بهاء الدولة به وقدرته على تحمل المسؤولية.

راسل عضد الدولة في سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م) أخاه مؤيد الدولة عبر أبي نصر خواشاذه المجوسي، الذي كان موثوقا به، للتنسيق للقبض على مؤيد الدولة بموافقة علي بن كامة [٥]، اجتمعوا عدة أيام حتى اتفقوا على تنفيذ الخطة خلال هذه المدة ، كان خواشاذه ضيفًا عند علي بن كامة، مما أثار شكوك مؤيد الدولة حول نواياهم بعد تأمل الوضع، أبلغ مؤيد الدولة بأن علي بن كامة غافل ولا داعي للقلق بشأنه[٦].

ولى عضد الدولة خواشاذه ديوان الكسوة [٧] سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م) [٨]، عندما حضر عيد نيروز أراد عضد الدولة أن يلبس قباء ليقدم التهنئة، وطلب من أبو نصر خواشاذه ثوباً مناسباً، فيبدأ بأحضار ثوبين من الخزانة، لكن السلطان يرفضهما، مما يسبب الحيرة لأبو نصر، يتدخل أبو نصر بندار، ويضحك على موقف ابو نصر خواشاذه، ثم يقدم له ثوباً آخر من مجموعة الثياب القيمة، ويقدمه للسلطان، يعجبه الثوب ويقرر ارتداءه في نفس اليوم، ويهبه لأحد الديلم[٩].

وعند خروج عضد الدولة الى الجبل لتهذيب أعمالها في سنة (٣٦٩هـ/٩٧٨م)، كان أبا نصر خواشاذه في مقدمة عساكره فقام بتسهيل الأمور قبل مغادرته لتسليم الرسائل الى القادة والوجوه [١٠] .

بعد أن تولى فخر الدولة حكم استراباذ سنة (٣٧١هـ/٩٨٠)، قام بترتيب الأمور واستخلف أحد أصحابه، ثم انتقل إلى جرجان وأقام بها، وأرسل أبا نصر خواشاذه إلى بغداد مع رسائل وأسرى من أقارب قابوس، لكن عضد الدولة لم يهتم به وأظهر الشكر له، وأرسل أبا علي الحسن بن محمد إلى جرجان[١١].

في سنة (٣٧٢هـ/٩٨١م) بعد ان توفى عضد الدولة " أفرج شرف الدولة عن الاشراف: أبي الحسن محمد بن عمر وأبي أحمد الموسوي وأخيه أبي عبدالله وعن القاضي أبي محمد ابن معروف وعن ابي نصر خواشاذه بعد مدة طويلة من الاعتقال التي أدت الى تراجع الآمال في أطلاق سراحهم [١٢] .

كان خواشاذه خازن عضد الدولة وامين الصندوق[١٣]، في سنة (٣٧٢هـ/٩٨١م) استدعى الامير عضد الدولة أبو نصر خواشاذه ودار بينهما حوار حول أهمية الالتزام بالمواعيد والواجبات المالية حيال الغلمان في القصر، وطلب عضد الدولة من أبو نصر خواشاذه أن يتوجه إلى الخازن ليزن مبلغا من المال، ليحمل منه المشاهرات [١٤]، ويسلمها إلى عبدالله بن سعدان ليحملها الى نقيب الغلمان، لكنه نسى ذلك، وعندما يُسأل عن الأمر بعد أيام، يعتذر بالنسيان، مما يؤدي إلى توبيخه من قبل عضد الدولة، يشدد عضد الدولة على أن التفريط في هذه الأمور ، قد يؤدي إلى فقدان الهيبة والاحترام، ويشير إلى أهمية الاقتداء بسيرة الخليفة العباسي المعتصم، الذي كان يُعد انموذجاً في الكرم والقيادة، ويُبرز أهمية الالتزام بالمسؤوليات والحرص على العلاقات الإجتماعية والمالية [١٥].

ارسل أبو نصر خواشاذه سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م) برسالة من الأمير أبي الفوارس الى مؤيد الدولة، وبقي عنده عدة أيام قبل أن يعود بالجواب، ثم تواصل مع أخيه فخر الدولة وعرض عليه وعودا جميلة، بما ففي ذلك ولاية جرجان وتقديم الدعم المالي، ومع ذلك لم يقتنع فخر الدولة بكلامه وظل في مكانه [١٦].

أرسل أبو نصر خواشاذه كرسول عن شرف الدولة، على أبي الريان وكان برفقته أبو عبد الله ابن خلف في سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م)، وقد استقبلهم صمصام الدولة بحفاوة بين خاصته وقادته وأكرمهم(١٧).

عندما وصل إلى شرف الدولة سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م) ما ورد من رسائل صمصام الدولة ووالدته، وأبى الريّان الخضوع والطاعة، وجد هذا الأمر قبولاً في قلبه، أرسل أبو نصر خواشاذه كرسول لإتمام هذه القاعدة، مصطحباً تذكرة تتضمن طلب الخلع السلطانية واللقب وإقامة الخطبة، والتظاهر بشعار النيابة، مع استدعاء الأمير أبي نصر مكرماً، بعد أن حصل على دعم من الأحواز، قرر التوجه نحو العراق وعزم على السير نحو بغداد(١٨)،أرسل أبو نصر خواشاذه كرسول لإتمام الترتيبات اللازمة، وعندما وصل إلى الأهواز ووجد البلاد ترحب به، قرر التوجه نحو بغداد (١٩) .

تولى أبا نصر خواشاذه ديوان الصدقات في عهد عضد الدولة سنة (٣٧٥هـ/٩٨٥م)وسمي "صاحب الصدقات" حصل ابو نصر خواشاذه على توقيع من عضد الدولة يتضمن تخصيص ثلاثين ألف درهم للصدقة، مع توضيح كيفية توزيعها، لكن حدث خطأ في الكتابة، اذ كتب ثلاثون بدرة(٢٠) بدلاً من ثلاثون ألف درهم، قام ابو نصر بتصحيح الخطأ وأوضح للسلطان أن المبلغ هو ثلاثون ألف درهم وليس ثلاثون بدرة (٢١).

تولى محمد بن المسيب سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) حكم الموصل وأعمالها، وكاتب السلطان بهاء الدولة وطلب منه إرسال شخص يقيم عنده من الحضرة، وتم اختيار المظفر أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه (٢٢) لهذا المنصب أثناء غياب بهاء الدولة عن بغداد، ونيابة ابو نصر خواشاذه عنه ومع ذلك، لم يتدخل المظفر إلا في الأمور المالية المتعلقة به وبأبي نصر خواشاذه، بينما استولى بنو عقيل على باقي الأمور(٢٣).

ثانياً: نائب الغيبة (٢٤)

استحدث الأمير بهاء الدولة منصب النائب مع وجود منصب الوزير، الفقهاء وكبار الدولة يفهمون جيداً ما للوزير من واجبات، فاستعمال الفقهاء لكلمة استنابة عن معنى انابة بمعنى أقامة شخص غيره مقامه (٢٥)، وخير دليل على ذلك على التمييز بين النائب والوزير

هو تعيين نائب مع وجود وزير ففي سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) جعل بهاء الدولة ابو نصر خواشاذه نائبا عنه مع وجود سابور بن اردشير وزيرا له[٢٦] ، وعين بهاء الدولة أبي عبد الله ابن طاهر نائبًا عن الوزير أبي نصر سابور في بغداد، لكن العلاقة بين ابو عبدالله بن طاهر وأبو نصر خواشاذه، لم تكن جيدة واستمرت الخلافات والفساد حتى عودة بهاء الدولة [٢٧]، ففي عصر الهيمنة البويهية كان هناك تمييز بين ثلاثة أنواع من النواب: نائب عن الأمير، ونائب عن الوزير، ونائب نائب الوزير .

في سنة(٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) عند غيبة بهاء الدولة عن بغداد قام بمقامه ابي نصر خواشاذه بها في النيابة عنه [٢٨]

ذكر الخطيب البغدادي حديث هلال الصابي عن أبو نصر خواشاذه خازن عضد الدولة قال: طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتاخمها، فكان ذلك مثل مدينة شيراز [٢٩] ، ويذكر لنا المقدسي أن " فضل بغداد راجع الى خراسان لأنها لهم بنيت [٣٠].

ظهور منصب نائب الوزير في سنة (٣٨٨هـ/٩٨٨م) عند مسير بهاء الدولة الى شيراز عين أبي عبدالله ابن طاهر نائبًا عن الوزير أبي نصر سابور في بغداد، لكنه حدثت خلافات وعدم توافق بين ابن طاهر وأبي نصرخواشاذه [٣١] واستمر الفساد بينهما الى ان عاد بهاء الدولة فقبض عليهما [٣٢]،

يُعد من كبار قواد الديلم، خدم عضدالدولة بن بويه وكان يعتمد عليه كثيراً في الحروب، هرب الى البطائح وتوفى فيها سنة (٣٨٥هـ/٩٩٥م) [٣٣]

أمر عضد الدولة ابونصر خواشاذه سنة (٣٦٨هـ/٩٧٨م) بالذهاب إلى قلعة اردمشت لإحصاء ما فيها، ثم تسلم طاشتم[٣٤]، مقيدًا ليحمله على بغل بدون وطاء، كان مع طاشتم أصحابه الذين سلموا القلعة بالخلع، ومعهم البدر والثياب التي حصلوا عليها، بعد ذلك، قام بجولة حول القلاع الممتنعة التي لم تفتح بعد، ليظهر لهم حال طاشتم ويحثهم على الحذر من مصيره، كما حمل رسائل إلى أصحاب تلك القلاع [٣٥].

أرسل عضد الدولة في سنة (٣٧٠هـ/٩٧٩م) أبا حرب زيار بن شهراكويه مع عدد كبير من الجنود، فضلاً عن أبو نصر خواشاذه وأصحاب خزائن المال والثياب والسلاح، إلى مؤيد الدولة الذي كان معسكرًا بالقرب من الري، وتسلم مؤيد الدولة الخلع السلطانية وارتداها وركب في العسكر وسار[٣٦].

في سنة (٣٧٢هـ/٩٨١م) بعد ان توفى عضد الدولة " أفرج شرف الدولة عن الاشراف: أبي الحسن محمد بن عمر وأبي أحمد الموسوي وأخيه أبي عبدالله وعن القاضي أبي محمد ابن معروف وعن ابي نصر خواشاذه بعد مدة طويلة من الاعتقال التي أدت الى تراجع الآمال في أطلاق سراحهم [٣٧] .

التزم أبو نصر خواشاذه في سنة (٣٧٦هـ/٩٨٦م) حول إنجاز ما تم الاتفاق عليه في الصلح بين شرف الدولة وصمصام الدولة وتثبيت قواعده وتم تنفيذ جميع النقاط المذكورة في التذكرة، باستثناء أمر الأمير أبي نصر الذي تم تأجيله حتى تتضح مسألة الصلح يتناول النص تفاصيل اتفاق صلح بين طرفين، اذ تم: تقسيم الاتفاق إلى ثلاثة أقسام

الأمور العامة: تتعلق بتعزيز العلاقات بين الطرفين مثل التعاون في مواجهة الأعداء ومنع أي اعتداء على أراضي الآخر

الأمور الخاصة بشرف الدولة: تتضمن الألتزام والأحترام والتقدير لشرف الدولة، وإقامة خطبة له في المدن التي تحت سيطرته.

الأمور الخاصة بصمصام الدولة: تتعلق بحماية حدود الدولة ومنع أي اعتداءات عليها.

تمت صياغة الاتفاق بحضور الطائع لله والأشراف والقضاة وتم تبادل اليمين بين الطرفين لتأكيد الالتزام بالشروط، ومع ذلك، الاتفاق إلى أن هذا الصلح لم يكتمل وأن الأمور قد عادت إلى التوتر، مما يدل على عدم استقرار الوضع[٣٨]

اشترك ابو نصر خواشاذه على حرب الخراسانية مع مؤيد الدولة بظاهر جرجان[٣٩] ،

الأكراد في الموصل

وفي سنة (٣٧٦هـ/٩٨٦م)هادن أبو نصر خواشاذه كان عاملا للبويهيين في الموصل الامير باد بن دوشتك الكوردي[٤٠]، فأعطاه الجزيرة وطور عبدين اقطاعاً ولكن البويهيون تراجعوا عن موقفهم بعد ذلك [٤١] .

توفي سعد الحاجب في الموصل عام (٣٧٧هـ/٩٨٧م)، مما أدى إلى تجدد طمع باد الكردي ، في السيطرة على المدينة، أرسل شرف الدولة أبا نصر خواشاذه إلى الموصل، لكنه واجه صعوبة في الحصول على الدعم العسكري والمالي، لذا أرسل أبو نصر خواشاذه رسالة إلى الحضرة يطلب المساعدة والاستنجاد، فتم تزويده بالمساعدة، لكنها لم تكن كافية [٤٢] .

فلجأ إلى استدعاء العرب من بني عقيل ومنحهم أراضٍ للدفاع عن المدينة، للاستعانة بهم في حرب ضد الأكراد، اذ اعتبرهم أسرع في الحركة وأخف وزناً في الخيول مقارنة بالأكراد الذين يمتلكون خيولا بطيئة وعدداً كبيراً، ونجد مقابل ذلك التجاه الأمير باد الكوردي الى خدعة حربية الأسترهاب الجيش البويهي، فأورده الروذراوري تحت عنوان ذكر حيلة سحر بها باد عين من بأزاه واسترهبهم اذ وضع الأبقار على رؤس الجبال، ووضع بعض رجاله بينهم، وبأديديهم سيوف وحراب، لينعكس بريقهم بأتجاه العدو، ليسحر بها أعيونهم ويتظاهر بكثرة أعداد جنوده وذلك لأضعاف معنويات العدو[٤٣]، في هذه الأثناء، استولى باد على طور عبدين وأرسل أخاه لمواجهة العرب، لكنه هُزم وقُتل، بينما كان خواشاذه يستعد للقتال ضد باد، فوصلته أنباء وفاة شرف الدولة في سنة (٣٧٩هـ/٩٨٩م)[٤٤].

الأمارة الحمدانية

في سنة (٣٧٩هـ/٩٨٩م) حاول الحمدانييون استعادة سلطتهم على الموصل، وذلك بعد استئذان الاميران أبو طاهر إبراهيم وأبو عبدالله ابنا ناصر الدولة الامير بهاء الدولة، في المسير إلى الموصل، فوافق بهاء الدولة على ذلك، واتجه الاميران إلى الموصل، إلا أنَّ بهاء الدولة شعر بالغلط لاستئذانه الاميران وخشى ان تقع الموصل بأيديهما، فكتب الأمير بهاء الدولة إلى أبو نصر خواشاذه متولي الموصل بمنعهما، "فلما وصلا ابنا حمدان الى حديثة

راسلهما أبو نصر بالرجوع من حيث جاءا، فهما إن خالفاه ودخلا البلد قبض عليهما فأجاباه جوابا جميلا ببذل الطاعة وقبول ما يؤمران به، وعاد الرسول وسار على أثره حتى نزلا بالدير الاعلى، وثار أهل الموصل على الديلم والأتراك فنهبوا رحالهم واخذوا اموالهم وخرجوا الى أبني حمدان، وأظهروا المباينة والعصيان، وصار جند السلطان محبوسين أياما "[٤٥] ، ولم يشأ ابنا حمدان الاستمرار بالعداوة وخافا عواقب الامور وإنما مالا الى المصالحة ولذا ارسلا رسالة الى ابي نصر خواشاذه رسالة يقولان له فيها: (نحن خدم السلطان وقد جرت الأقدار بغير الاختيار ولا قدرة لنا الآن على ضبط العامة لما فى نفوسهم من الديلم وهم فى غد يحرقون الدار ويسفكون الدماء فإمّا أن تصير إلينا وإمّا أن تعلم أنّك مهلك نفسك)، فعلم صحة قولهما ولجأ اليهما وتمكن الجميع من تهدئة العامة وانقاذ المحاصرين الذين أنحدروا بأسوأ حال في الزواريق الى بغداد وأفرج عن أبي نصر وأحسن اليه وعاد الى الحضرة [٤٦] .

وفي خطوة أخرى أرسل باد أخوه أبو الفوارس بن دوستك لقتال العدو ولكن هزم وقتل في المعركة و بقي الطرفان متقابلين لمدة، إلا أنَّ توفى الأمير شرف الدولة فكتم خواشاذه خبره وعادالى الموصل وأظهر هناك موته فأستول الامير باد على المناطق الجبلية [٤٧].

الصلح بين الامير بهاء الدولة وفخر الدولة

أشار أبو نصر خواشاذه إلى بهاء الدولة في سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م)، بضرورة مراسلة فخر الدولة لطلب استصلاحه وتجنب مساعدة صمصام الدولة، وقد وافق بهاء الدولة على ذلك وأمر بإرسال سفير، تم اختيار أبو الحسن الأقسيسي العلوي لتمثيل أبو نصر خواشاذه، لكنه قبض عليه قبل أن يصل إلى هدفه، السبب في ذلك يعود إلى وجود صداقة بين أبو نصر خواشاذه وأبو نصر سابور، وعندما هرب أبو نصر سابور إلى البطيحة، استغل أعداء خواشاذه الفرصة وسعوا لتحريض بهاء الدولة للقبض عليه[٤٨].

الدولة الحسنوية

واجه أبناء حسنويه أزمة بسبب الانقسامات في صفوف حلفائهم البويهيين، مما دفع عضد الدولة في سنة(٣٦٩هـ/) إلى التحرك لإزالة إمارة حسنويه، أرسل عضد الدولة خازنه أبا نصر خواشاذه الى قابوس ، بحفظ العهود بينهما ، وأرسل الامير عضدالدولة برسائل

إلى حلفائه، مثل فخر الدولة ومؤيد الدولة، للتفاهم وتوحيد الجهود ضد أبناء حسنويه، بعض أبناء حسنويه، مثل بختيار، أبدوا رغبتهم في الانضمام إلى عضد الدولة، لكنهم تراجعوا، بينما انضم آخرون مثل عبد الرزاق وأبو العلاء إلى فخر الدولة، مما زاد من تعقيد الوضع ، عاد عضد الدولة متجهاً الى الجبل لأصلاح الأوضاع [٤٩].

وافق عضد الدولة على دعم بني حسنويه، (سنة ٣٦٩هـ/٩٧٨م) الذين كانوا قد تواصلوا معه وقدموا الطاعة عبر أبي نصر خواشاذه، لكن لم يكن بإمكانه أن يتوقع أنهم سيحضرون جميعًا[٥٠].حضر المشاركون إلى المعسكر وتم وضعهم في خيمة خلف السرادق، اذ تم تكليف خواص الديلم وغلمان الخيول بمراقبتهم،وتنظيم الأعراب والأكراد والرجالة والفرس حول المعسكر وفي محيط المدينة لمنع أي هروب من المشاركين أو من أصحابهم، بما في ذلك عبد الرازق وأبو العلاء وأبو عدنان وبختيار وكتّابهم ووجهاء الأكراد[٥١].

عمان

في خلافة الطائع لله اسند حكم عمان إلى أبو جعفر أستاذ هرمز ،نائباً عن الأمير شرف الدولة البويهي وظل بها حتى سنة (٣٧٤هـ/٩٨٤م) الذي اعلن تمرده على شرف الدولة واتصل مع من ببغداد لكون ابنه ابي علي الحسن عميد الجيوش بها، وسعى أبو بكر بن شاهويه وهو نائب صمصام الدولة البويهي في بغداد الى ابعاده عن شرف الدولة ، وتقريبه من صمصام الدولة ، فجمع الأولياء والرعية بعمان على طاعة صمصام الدولة وخطب له على منابرها، ووصل الخبر الى بغداد فأظهرت المسرة وجلس صمصام للتهنئة وكتب كتب البشائر الى ولاة، وأرسل الى استاذ هرمز العهد بالتقليد مع الخلع والحملان، وأحضر ابنه ابو علي الحسن وخلع عليه ونقله من رتبة النقابة الى رتبة الحجابة ولما عندما علم شرف الدولة بعصيان أستاذ هرمز، أرسل أبا نصر خواشاذه مع جيش لمواجهته حدثت معركة بينهما انتهت بفوز أبا نصر، وترتيب الأمور بعمان وشحنها بالمقاتلة للتصدي لطموحات صمصام الدولة ، وتمكن ابو نصر من أسر أستاذ هرمز والاستيلاء على رجاله وأمواله، وأعاده الى فارس وقرر عليه مالاً كثيراً وسجنه في القلعة لمطالبته بتصحيح وضعه [٥٢]

النيابة

بدأ بهاء الدولة أدارته للعراق في سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) بنيابة وزيره ابي نصر خواشاذه ممثلا له في بغداد بعد أن شخص بهاء الدولة الى شيراز، لمحاربة اخيه صمصام الدولة وخلع عليه وجعل له دستا [٥٣]كاملا في دار المملكة وكتب له كتاب الانابة وخاطب بهاء الدولة وزيره " بشيخنا " وهو أول من خوطب بهذا الاسم من الاعوان [٥٤] وجعل أبي عبدالله ابن طاهر في النيابة عن الوزير أبي نصر سابور بن اردشير ورحل الى شيراز فلم يستقم الأمر بينهما واستمر الخلاف بينهم الى ان عاد بهاء الدولة وقبض عليهم[٥٥] .

الأزمات الأقتصادية

أن تدهور الوضع الأقتصادي في مكان ما لابد أن يكون وراءه أوضاعٌ سياسية متدهورة وبالعكس [٥٦]،

خرج الامير بهاء الدولة لمحاربة أخيه صمصام الدولة [٥٧] ، فأرسل بهاء الدولة أبو نصر خواشاذه نائبا عنه يمثل السلطة البويهية عند العقيليين في الموصل، الا أن أبو الذواد جعل النائب البويهي مهملا " ليس له من الأمر شيْ ولا يحكم الا فيما يريده أبو الذواد" [٥٨]، فلم تدخل يد المظفر الا في أبواب المال وفيما كان له ولابي نصر خواشاذه من الاموال والاقطاع في النواحي فاستولى بنو عقيل على سوى ذلك [٥٩] ، الذي أستنابه بهاء الدولة في خلافته ببغداد، وسار منها الى جرجان سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) وملكها، وحدثت بينه وبين صمصام الدولة الذي فرّ من السجن بعد وفاة شرف الدولة حروب عديدة، ثم أصطلحا وعاد بهاء الدولة الى بغداد [٦٠]

وفي مدة انابته في سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) ، كثرت فتن العيارين بعد انحدار بهاء الدولة ورفعت الحشمة وجرى من الحرب بين أهل الدروب والمحال نوبة بعد نوبة ما أعيا فيه الخطب وتكرر الحريق والنهب تارة على أيدي العيارين وتارة على ايدي الولاة وولى المعونة عدة فما أغنوا شيئا واستمر الفساد الى حين عودة بهاء الدولة " [٦١] .

وفي اثناء غياب بهاء الدولة حدثت ببغداد فتن عديدة، تارة بين الديلم والاتراك، بين ، فلما عاد أصلح ما أفسدته تلك الفتن، وبينما هو يصلح ما فسد ما شغب الجند عليه لتأخير

مرتباتهم، فأحتاج الى المال فأغراه أبو الحسن بن المعلم وكان مقربا عنده بالقبض على الخليفة الطائع وأطمعه في أمواله [٦٢].

كان هناك صداقة بين أبي نصر خواشاذه وأبي نصر سابور،عندما ذهب أبو نصر سابور إلى واسط، هرب إلى البطيحة سنة (٣٨٤هـ/٩٩٤م)، اذ وجد أعداء أبي نصر خواشاذه الذين شجعوا بهاء الدولة على القبض عليه[٦٣].

القبض على ابي نصر خواشاذه

أختلف بهاء الدولة في سنة (٣٨١هـ/٩٩١م) فيها مع قائده أبي نصر خواشاذه وقبض عليه ومعه أبي عبدالله بن طاهر، بعد عوده من خوزستان، وذلك بسبب شح أبي نصر الذي لم يواصل تقديم الهدايا والخدمات لابن المعلم، حتى أنه أشار عليه أحد بأن يبسط يده بالعطاء كان يقول : إنما يفعل هذا من يرتزق أو يرتفق ، وكان أبو الحسن بن المعلم ينتظر من كل وزير خدمة أو هدية ، ولكن بخل أبو نصر منعه من تقديم ذلك فأمتلاء قلب أبو الحسن غيظاً وكرهاً لأبو نصر ، مما دفع بهاء الدولة بالقبض عليه بتحريض من أبي الحسن المعلم، الذي كان مستوليا على بهاء الدولة، اذ كان بقاء الوزراء مرهونا برضاه [٦٤]، فخاف على نفسه وعزم على أن يهرب ويبتعد عن بهاء الدولة ، ودعي من العرب من يخرج معه ، إلا أن جلسائه أشاروا عليه أن يدفع لأبو الحسن ألف دينار ، ولكنه لم يفعل ، بل أرسل له هدية زهيدة ، فقبلها أبو الحسن حتى يطمئن له ويأتي إليه ، وبالفعل جاء مدينة السلام ، فقبض عليه ، وأخذ أمواله التي بلغت مليون دينار ، ثم أفرج عنه بعد ذلك ، لقد ألقى به الشح في المهالك ، وأخرجه من السعة إلى أضيق المسالك ، حيث أنه ضيع الكثير لكي يحفظ القليل ، ونحن نعلم أن الجواد أملك لماله من الشحيح ، وذلك لأن الجواد يبذله إما لنفع عاجل أو ذخر آجل ، أما البخيل يحتفظ به إما لحادث وإما لوارث [٦٥] والمرة

الثانية التي القى القبض عليه في سنة(٤٨٤هـ/١٠٩١م) لكنه هرب الى البطيحة[٦٦].

وفاة أبو نصر خواشاذة

توفى أبو نصر خواشاذه سنة (٣٨٥هـ/٩٩٥م) في البطيحة بعد أن تم القبض عليه واعتقاله في واسط، لكنه تمكن من الهرب[٦٧]، وكاتبه بهاء الدولة، وفخر الدولة، وصمصام الدولة، وبدر بن حسنويه، كل منهم يستدعيه ويبذلون له ما يريده، ليكون في خدمتهم، وقال له فخر الدولة في كتابه: لعلك تسيء الظن بما قدمته في خدمة عضد الدولة، وما كنا لنؤاخذك بطاعة من قدمك ومناصحته، وعلمت ما عملته مع الصاحب بن عباد، وتركنا ما فعله معنا، شعر ابو نصر خواشاذه بالقلق تجاه فخر الدولة،وعلى الرغم من ثقته به، فكان عازماً على الذهاب الى الري عند وصول من يستدعيه من اصحاب بدر بن حسنويه، فعزم على قصده، فأدركه أجله قبل ذلك، وتوفى[٦٨] .

الخاتمة

أبو نصر خواشاذة، الوزير ونائب الأمير البويهي، كان شخصية بارزة في العهد البويهي، حيث تولى مناصب هامة وواجه تحديات سياسية وإدارية، برز كوزير ثم نائب للأمير بهاء الدولة، مما يعكس ثقة الأمير في قدراته وإمكانياته الأدارية والسياسية ، كما أن توليه منصب نائب الملك في العراق يعكس أهمية هذه الولاية في تلك الحقبة .

تزامن حكم الأمير بهاء الدولة أحداث مضطربة في العراق، مما أدى إلى تعيين ابو نصر خواشاذه كنائب للأمير في العراق، حيث كان الأمير يتخذ من شيراز مركزاً لحكمه وأنشغاله في محاربة أخيه صمصام الدولة .

على الرغم من أهمية دوره، إلا أنه تعرض للاعتقال من قبل الأمير بهاء الدولة بسبب اتهامات تتعلق بالشح والبخل وعدم تقديم الهدايا لخدمه.

الهوامش:

[١] خواشاذة وتعني بالعربية سعد الله سماه ابن الأثير خواذ شاه بتقديم الذال على الشين وجعله من أعيان قواد عضد الدولة وسماه خواشاذه بتقديم الشين على الذال وجعله خازنه فاحد الاسمين تصحيف الآخر والقائد يجوز ان يصير خازنا وبالعكس . ينظر : ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠ / ١٢٣٢م) ،الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار

الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م) ، ج٧، ص ٣٩٠، ص ٣٩٢، ص٤٢٠ ، ص ٤٢١، ص ٤٣٠ ، ص٤٣١ ، ص ٤٣٨ ،ص ٤٥١، ص٤٦٤، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ،تاريخ بغداد (أو مدينة السلام)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م)، ج١، ص ٤١٧ ، وسمى بـ خواشاده ينظر: سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْ أُوغلي بن عبد الله، (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ،مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق ط١ (دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣)، ج١٨، ص١٩؛ النويري ،شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (٧٣٢هـ/١٣٣١م) ،نهاية الآرب في فنون الأدب، (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ)، ج٢٦، ص ٢١٩؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، (دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م)، ج٤، ص ٣٢٤ .

(٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم الادباء، أرشاد الأريب لمعرفة الأديب، (دار الغرب الأسلامي، ١٩٩٣م)، ، ج٤، ص١٨٩٤.

(٣) الزرادشتيه: ظهر زرادشت الذي يعتبره المجوس نبيهم،وفقًا لبعض علماء أهل الكتاب، يُعتقد أن زرادشت كان من فلسطين وكان خادمًا لبعض تلامذة النبي إرميا. بعد أن خانه أحدهم، دعا إرميا الله عليه، فأصابه البرص ولجأ إلى أذربيجان اذ أسس دين المجوسية. ثم توجه إلى بشتاسب في بلخ، اذ أعجب الملك بدينه وأجبر الناس على اعتناقه، مما أدى إلى مقتل عدد كبير من رعيته، حكم بشتاسب لمدة مائة واثني عشر سنة. ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، مصر، ١٩٦٧م)، ج١، ص ٥٤٠ .

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٩٠؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٦ ص٢٢٢؛ باراني، محمد رضا، پيشگامان كاربردى و فرقه أى حاكمان آل بويه و سلجوقى در أمور سياسى و حكومتى، فصل نامه علمى – پژوهشى پژوهش نامه ى تاريخ اسلام سنة الرابعو ، عدد١٣ ، بهار ١٣٩٣هـ صفحات ٧ – ٢٦، ص١٥ ؛ العنبكي ، شيماء فاضل عبد الحميد ، أسهامات علماء

الأمة في علوم القرآن خلال العهد البويهي ، مجلة الاستاذ ، العدد ٦٤ ، المجلد الأول ، ٢٠١٥، ص ١١٨ .

(٥) علي بن كامة هو ابن اخت ركن الدولة، الأمير نصر بن بويه كان صهر علي بن كامة، الذي كان يعتقد أن علي بن كامة يخطط لنقل الملك إليه. علي بن كامة، الذي كان يحب تناول البزماورد الحامض، تم تسميمه عن طريق وضع السم في طعامه. بعد أن تناول الطعام، ظهرت آثار السم عليه، وعندما طلبوا طبيبًا لإحضار الترياق، تم منعه من الحضور. توفى علي بن كامة في تلك الليلة، وهي ليلة الثلاثاء السادس من ذي القعدة سنة ٣٧٤هـ. ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص ٢٢٥؛ البيهقي، ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد بن محمد (ت ٥٦٥هـ/١١٧٠م) ،تاريخ بيهق، ط١، (دمشق، دار أقرأ، ٢٠٠٥) ، ص٢٦١.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٢، ص٧٠٥.

(٧) ديوان الكسوة: هو ديوان خزائن الكسوة، وكان لها عندهم رتبة عظيمة في المباشرات. ينظر: القلقشندي: أبو العباس احمد بن علي (٨٢١هـ/١٤١٨م) ،صبح الأعشى في صناعة الانشا، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧)، ج٣، ص٥٦٧

(٨) مسكويه، تجارب الامم، مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم أمامي، (دار سروش للطباعة والنشر، طهران، ٢٠٠٢)، ج٦، ص٤٤.

(٩) الروذراوري، أبو شجاع محمد بن الحسين (ت ٤٨٨هـ/١٠٥٩م) ،ذيل تجارب الأمم، تحقيق: ابو القاسم إمامي، (دار سروش للطباعة والنشر، ٢٠٠٢)، ج٧، ص٨٧.

(١٠) مسكويه، تجارب الامم، ج٦، ص٤٦٦.

(١١) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص٢٦.

(١٢) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص١٠٢ ,

(١٣) التنوخي، أبو علي المحسن بن أبي القاسم (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، (د-م، د- ت).

، ج٣، ص٣٠٨؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص١١٦.

(١٤) المشاهرات وهي مقدار من المال يتم منحه الى الخليفة العباسي ووزيره واتباعه من دار الضرب السكة ببغداد في كل شهر. ينظر: الخالدي، فاضل عبد اللطيف ،الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق في القرن الخامس الهجري، (دار الاديب، بغداد، ١٩٦٩)، ص١٠٦.

(١٥) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص٥٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣٩٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٢٢.

(١٦) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص١١٥.

(١٧) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص١٥٤.

(١٨) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص١٥١.

(١٩) الروذراوي، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص١٤٦.

(٢٠) بدرة: البدرة من المال، وجمعها بِدَر، والبدرة كيس فيه عشرة الاف درهم أو الف والجميع البُدور وثلاث بَدور. ينظر: الفراهيدي، الخليل بن احمد، (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) ،كتاب العين ،تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، (دار ومكتبة هلال، د–ت)، ج٨، ص٣٤ ؛ كراع النمل، علي بن الحسن، (توفي بعد ٣٠٩هـ /٩٢١م) ، تحقيق: أحمد مختار عمر، المنجد في اللغة والأعلام، (عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م)، ، ج١، ص١٣٨؛ نجم الدين المقدسي، ابو العباس أحمد بن عبدالرحمن، (ت ٦٨٩هـ/١٢٩٠م)، مختصر منهاج القاصدين، (مكتبة دار البيان، دمشق، ١٩٧٨)، ج١، ص٢٠٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٩ .

(٢١) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص٨٥– ص٨٦.

(٢٢) عبيد الله بن محمد بن حمدويه: هو الوزير المظفر أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه ، من نواحي الري قدم بغداد ، كاتب الامير فخر الدولة وقلده الوزارة . ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص ٣٦٢ ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج٢٦ ، ص ٢٢٧ .

(٢٣) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص٢١٤.

(٢٤) نائب الغيبة نائب الملك، وهو الذي يوليه السلطان، ليحكم عند غيابة حين يغادر الى الخارج مؤقتاً وهو يعد تكليف من قبل الملك. ينظر: دوزي، رينهارت بيتر ان، تكملة المعاجم العربية، نقله الى العربية، محمد سليم النعيمي، ط١، (وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٧٩)، ج٧، ص٤٤٧.

(٢٥) مجموعة مؤلفين، موسوعة الفقة الاسلامي، ج٨، ص٩٢ .

(٢٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٣٨ .

(٢٧) الروذراوي، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص٢١٨ .

(٢٨) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص٢٢١.

(٢٩) تاريخ بغداد ج١، ص١١٦ .

(٣٠) احسن التقاسيم، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١)، ص٣٠٢.

(٣١) ابو نصر خواشاذه: يُعد من كبار قواد الديلم، خدم عضدالدولة بن بويه وكان يعتمد عليه كثيراً في الحروب، هرب الى البطائح وتوفى فيها سنة (٣٨٥هـ/٩٩٥م) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص، ١٢٥، ج٧، ص٢٠٨؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٦، ص٢١٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٦٠٤ .

(٣٢) الروذراوي، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص٢٦٩ هنا نرى الازدواجية وجود وزير ونائب امير الوزير هو ابو نصر خواشاذه والوزير أبو نصر سابور.

(٣٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص، ١٢٥، ج٧، ص٢٠٨؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٦، ص٢١٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٦٠٤ .

(٣٤) أبو تغلب كان لديه مملوك يُدعى طاشتم، وهو غلام من غلمان أبيه، وكان يثق به. ينظر: مسكويه، تجارب الامم، ج٦، ص٤٤٣.

(٣٥) مسكويه، تجارب الامم، ج٦، ص٤٤٣.

(٣٦) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص٢٤.

(٣٧) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص١٠٢ ,

(٣٨) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم ج٧، ص١٥٠– ص١٥١.

(٣٩) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٨٩٤.

(٤٠) باد الكردي: أبو عبدالله الحسن بن دوستك، كنيته ابو شجاع من الاكراد الحميدية كان يتصعلك كثيراً ويمضي الى الثغور الاسلامية ويغزوها دائماً، ثم حصل على ديار بكر وأقام بها الى أن استفحل أمره، الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص١٧٢؛ الفارقي، تاريخ الفارقي، تاريخ الفارقي، احمد بن يوسف بن علي الفارقي (ت ٥٧٧هـ/١١٨١م)، تحقيق: الدكتور بدوي عبد اللطيف عوض، مراجعة الأستاذ محمد شفيق غربال (القاهرة، ١٩٥٩). ٥٠–٥١ .

(٤١) الفارقي، التاريخ، ص٥٤– ص٥٧ .

(٤٢) الروذراوري ذيل تجارب الأمم ج٧، ص١٧٢.

(٤٣) ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص١٤٤.

(٤٤) الروذراوري ذيل تجارب الامم، ج٧، ص١٧٢؛ االبن خلدون، تاريخ، ج٣، ص٥٣٨.

(٤٥) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص٢٠٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٤٠؛ سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، ص٣٠٨؛ابن العبري، غريغورس ابي الفرج بن أهرون (ت

٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدول تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، (دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢م)، ، ص١٧٣؛ ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص١٢٦.

(٤٦) الروذراوري ذيل تجارب الامم ج٧، ص٢١٠ ؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٣١ .

(٤٧) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص١٤٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٣٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص٩٧٩ .

(٤٨) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص٣٠١ .

(٦٧) ابن الاثير الكامل ،ج٧ ،ص، ٣٧١ .

(٥٠) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص١٧.

(٥١) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص١٧- ص١٨.

(٥٢) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص١٢٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٢٥- ص١٢٦.

(٥٣) دستا : يقصد بالدست القميص ، والعمامة ، والسراويل ، والمكعب ، وهو المداس ويزداد في الشتاء الجبة ، والدراعة التي تلبس فوق القميص ، وصدر البيت . ينظر : الجواليقي ، موهوب بن أحمد (ت٥٤٠هـ /١١٤٥م) ، المعرب من الكلام الأعجمي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨) ، ص ٧١ ؛ الحطاب ، شمس الدين ، محمد بن محمد ، (ت ٩٥٤هـ /١٥٤٧م) ، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، ط٣ ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٢م) ، ج٥، ص ٤٧ .

(٥٤) الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص٢١٨ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص، ٤٣٨؛ ابن خلدون، تاريخ ، ج٣، ص٥٤٠ ؛ الامين، محسن ،اعيان الشيعة، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣)، ج٨، ص٤٢٧ ظاهر، سليمان، تاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني ط١، (مؤسسة الاعلمي، بيروت، د-ت)، ج٣، ص٢٩٧.

(٥٥) مسكوية، تجارب الامم، ج٣، ص١٥٣؛ ابن خلدون، ج٣، ص٥٤٠ .

(٥٦) خلف ، كاظم ستر ؛ رؤوف ، زينب مهدي ، مستوى المعيشة للمجتمع البغدادي خلال العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/ ٩٤٥-١٠٥٥م) ، مجلة الأستاذ للعلوم الأنسانية والاجتماعية ، العدد ٨٥، ٢٠٠٩ ، ص ٢٦

(٥٧) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٧٥- ص٧٦؛ أرنولد، بهاء الدولة، دائرة المعارف الاسلامية، ج٤، ص٢٣٩ .

(٥٨) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٣٨ .

(٥٩) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص٢١٤ .

(٦٠) الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج٧ ، ص١٨٢.

(٦١) الروذراوري ذيل تجار الأمم ج٧، ص٢٢٣.

(٦٢) الروذراوي، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص٣٠١.

(٦٣) الروذراوي، ذيل تجارب الأمم، ج٧، ص٣٠٢.

(٦٤) الروذراوي، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص٢٣٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٣٨ .

(٦٥) الروذراوي، ذيل تجارب الامم، ج٧، ص٢٣٧

(٦٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٦٤ .

(٦٧) الروذراوي ذيل تجارب الأمم ج٧، ص٣١٣ .

(٦٨) الروذراوي، ذيل كتاب تجارب الأمم، ج٧، ص٣١٣- ص ٣١٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٤٧١ ؛ الأمين ، أعيان الشيعة ، ج٦، ص ٣٦٠ .

المصادر والمراجع :

١- ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠ / ١٢٣٢م) ،الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م) .

٢- الجواليقي ، موهوب بن أحمد (ت٥٤٠هـ /١١٤٥م) ، المعرب من الكلام الأعجمي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨) .

٣- ابن العبري، غريغورس ابي الفرج بن أهرون (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، تاريخ مختصر الدول تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، (دار الشرق، بيروت، ١٩٩٢م) .

٤.ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارناؤوط، ط١، (دار بن كثير، بيروت، ١٩٨٦) .

٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، (دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م) .

٥- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين احمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان، إحسان عباس، (دارصادر، بيروت، د-ت)
٦- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٤هـ/١٣٣٣م) ،المختصر في اخبار البشر، ط١، (المطبعة الحسينية المصرية، د-ت).؛ تقويم البلدان، (دار صادر، بيروت، د-ت)
٧- البيهقي، ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد بن محمد (ت ٥٦٥هـ/١١٧٠م) ،تاريخ بيهق، ط١، (دمشق، دار أقرأ، ٢٠٠٥) .
٨- التنوخي، أبو علي المحسن بن أبي القاسم (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، (د-م، د- ت).
٩- الحطاب ، شمس الدين ، محمد بن محمد ، (ت ٩٥٤هـ /١٥٤٧م) ، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، ط٣ ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٢م) .
١٠- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ،تاريخ بغداد (أو مدينة السلام)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م) .
١١- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ،سير أعلام النبلاء تحقيق: محمد ايمن الشبراوي، (دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦)
١٢- الروذراوري، أبو شجاع محمد بن الحسين (ت ٤٨٨هـ/١٠٥٩م) ،ذيل تجارب الأمم، تحقيق: ابو القاسم إمامي، (دار سروش للطباعة والنشر، ٢٠٠٢).
١٣- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْ أُوغلي بن عبد الله، (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ،مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق ط١ (دار الرسالة العالمية، دمشق، ٢٠١٣) .
١٤- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، مصر، ١٩٦٧م) .
١٥- الفارقي، تاريخ الفارقي، تاريخ الفارقي، احمد بن يوسف بن علي الفارقي (ت ٥٧٧هـ/١١٨١م)، تحقيق: الدكتور بدوي عبد اللطيف عوض، مراجعة الأستاذ محمد شفيق غربال (القاهرة، ١٩٥٩).
١٦- القلقشندي: أبو العباس احمد بن علي (٨٢١هـ/١٤١٨م) ،صبح الأعشى في صناعة الانشا، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧) .

١٠- مسكويه، تجارب الامم، مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم أمامي، (دار سروش للطباعة والنشر، طهران، ٢٠٠٢) .
١٧- المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن علي (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م) ،احسن التقاسيم، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١) .
١٨- نجم الدين المقدسي، ابو العباس أحمد بن عبدالرحمن، (ت ٦٨٩هـ/١٢٩٠م)، مختصر منهاج القاصدين، (مكتبة دار البيان، دمشق، ١٩٧٨) .
١٩- النويري ،شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (٧٣٢هـ/١٣٣١م) ،نهاية الآرب في فنون الأدب، (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ) .
٢٠- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم الادباء، أرشاد الأريب لمعرفة الأديب، (دار الغرب الأسلامي، ١٩٩٣م) .

المجلات

١. باراني، محمد رضا، پيشگامان كاربردى و فرقه أى حاكمان آل بويه و سلجوقى در أمور سياسى و حكومتى، فصل نامه علمى – پژوهشى پژوهش نامه ى تاريخ اسلام سنة الرابعة ، عدد١٣ ، بهار ١٣٩٣هـ .
٢. خلف ، كاظم ستر ؛ رؤوف ، زينب مهدي ، مستوى المعيشة للمجتمع البغدادي خلال العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/ ٩٤٥-١٠٥٥م) ، مجلة الأستاذ للعلوم الأنسانية والاجتماعية .
٣. العنبكي ، شيماء فاضل عبد الحميد ، أسهامات علماء الأمة في علوم القرآن خلال العهد البويهي ، مجلة الاستاذ ، العدد ٦٤ .

المراجع

١- الامين، محسن ،اعيان الشيعة، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣) .
٢- الخالدي، فاضل عبد اللطيف ،الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق في القرن الخامس الهجري، (دار الاديب، بغداد، ١٩٦٩) .
٣- ظاهر، سليمان، تاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني ط١، (مؤسسة الاعلمي، بيروت، د-ت) .

الفتوة ودورها الاجتماعي في عهد الخليفة الناصر لدين لله العباسي

م. د. ندى محمد عزيز

جامعة بغداد / كلية التربية للبنات

الفتوة ودورها الاجتماعي في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي

م. د. ندى محمد عزيز

الملخص

استطاع الخليفة الناصر لدين الله العباسي قيادة وتنظيم الفتوة وتوحيد فصائلها الى تنظيم واحد يهدف ايجاد رابطة قوية مشتركة لمواجهة الاخطار الداخلية والخارجية خدمة للمجتمع الاسلامي ويتبين ان نظام الفتوة الجديدة كان يستند الى عادات وتقاليد اجتماعية تجلى بها فتيان العرب المسلمين المتمثلة بمراسيم تنصيب الفتى وارتداء الملابس الخاصة بهم وطقوس الفتيان وهواياتهم وألعابهم وصفاتهم التي تؤهلهم للفتوة .

The Abbasid CaliphALNasir IiDin Allah was able to lead andorganize theFutuwwa and unify its factions into a single organization that aimed to create astrong common bond toconfront internal and external dangers in service of the Islamic communityit is clear that the new futuwwa system was based on social customs and traditions that were evident among Arab Muslim youths rebresented by the ceremonies of inaugurating the ceremonies of inaugurating the youth wearing their special clothes the rituals of the youths their hobbies and characteristics that qualified them for futuwwa .

المقدمة

تعد دراسة الفتوة ودورها الاجتماعي في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي دراسة تأريخية اجتماعية ابانت عن الوجوه المتنوعة من اصناف الفتوة وتأثير ذلك في المجتمع الاسلامي.

والفتوة في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين لله من المواضيع المهمة وتتجلى اهمية هذا الموضوع من خلال التعريف بهذه الفئة الاجتماعية المؤثرة في المجتمع ان ذاك ومعرفة عاداتهم و تقاليدهم الاجتماعية.

وتكمن اهمية هذا الموضوع في تأسيس الخليفة الناصر نظام الفتوة جديد حيث وجد من الفتيان قوة فعالة في المجتمع من خلالها يستطيع السيطرة عليهم وتوجيههم لخدمة الدولة في توحيد اصناف الفتوة تحت زعامة الخليفة الناصر والتي تمثل شريحة من المجتمع بعد الفوضى والاظطرابات التي كانت قبله .

من اسباب اختيار هذا الموضوع انه موضوع جدير بالبحث حيث يسلط الضوء على فئة اجتماعية لها أثر كبير في المجتمع الاسلامي و لان اغلب الدراسات اولت اهتمام للأحوال السياسية والاضطرابات التي مهدت للحروب والصراعات الدموية .

تضمن البحث موضوعات عدة بشأن الفتوة اولها التعريف بالفتوة لغة واصطلاحا و توضيح أصناف الفتوة ودورهم الاجتماعي وتأثيرهم بالمجتمع الاسلامي وبيان كيف تأسيس نظام الفتوة في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي واشهر عاداتهم الاجتماعية المتمثلة بملابسهم وهواياتهم والعابهم وتناول البحث صفاتهم الاخلاقية التي تؤهلهم للفتوة كما تطرق البحث الى طقوسهم ومراسيمهم الاجتماعية . .

وقد تم الاعتماد على عدد كبير من المصادر القيمة كان في مقدمتها كتاب الفتوة لإبن المعمار وكتب الجاحظ وغيرها الكثير خصصت لها في نهاية البحث قائمة.

الفتوة لغةً

وردت هذهِ اللفظة ومشتقاتها بمعانٍ متعددة منها:

الفتى بمعنى حداثة السن والشباب[١]، وتأتي بمعنى السخي الكريم يقال له فتى بين الفتوة والجمع فتيان وفتية[٢].

ويعرفه آخر بمعنى قوله ليس الفتى الشاب الحدث انما هو بمعنى الكامل الجزل[٣].

الفتوة اصطلاحاً

تعني السخاء والكرم والشجاعة والوفاء والايثار وكثير من الصفات الحميدة[٤] عند العرب ويتصف الفتى عندهم بقضاء حاجات الناس والسعي في امورهم واظهار المحبة لعمل الخير وجمع بين الصفتان السخاء والقوة[٥].

أسس الخليفة الناصر نظام الفتوة حيث وجد من الفتيان قوة فعالة في المجتمع من خلالها يستطيع السيطرة عليهم وتوجيههم لخدمة الدولة وكان بدء ذلك سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م حين لبس سراويل الفتوة وشرب شراب الفتوة (الماء والملح)[٦].

وانتشرت الفتوة بين اهل بغداد بعد ان دخلها الناصر انتشاراً كبيراً فدخل فيها اعداد كبيرة من الناس الخاصة منهم والعامة[٧].

ودخل الكثير من العوام في الفتوة فأدى ذلك الى ظهور نوع من التنافس بين فتيان المحال المختلفة حيث أخذ فتيان كل محلة يحاولون إظهار شجاعتهم مما أدى الى وقع واحداث الشغب فيما بينها سنة (٦٠١هـ/٢٠٤)[٨].

وكذلك الشغب الذي أحدثوه سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م ببغداد مما شكل صداماً حاداً بينهم وبين السلطة العباسية[٩]، وان انتشار الفتن بين الاحزاب والجماعات الفتوة جعل الناصر يقوم بتوحيد هذه الاحزاب في جماعة واحدة يرأسها بنفسه وجعل نفسه قدوة لأهل الفتوة والمرجع اليه[١٠].

وبعد ان وحد الناصر تنظيماته الفتوة في تنظيم واحد وجعل نفسه قبلة اهل الفتوة واراد الناصر ان ينشر الفتوة خارج بغداد وان يضم امراء الاطراف الى فتوته ففي سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٣م ارسل سراويل الفتوة الى امراء الاطراف [١١]، فكانوا بذلك اول من ارتبط بفتوة الناصر هم امراء الاطراف[١٢].

ويروم مفهوم الفتوة الناصرية الى بناء هيأة اجتماعية منظمة قوية تلتزم مبادئ العقيدة الاسلامية وتصونها وبذلك تحترم القانون والنظام وتتحلى بأعمال الفتوة العربية الاسلامية التي تتضمن الصدق والأمانة والوفاء بالعهد والشجاعة والمروءة [١٣] وكذلك من خلال التواصل مع مكارم الاخلاق ونبذ كل مظاهر الفساد والانحراف الاخلاقي في المجتمع والتخلص من اعمال النهب والسلب[١٤] والقتل والفوضى التي جاءت من بعض فصائل الفتيان بسبب الجهل والتعصب والتفرق [١٥].

اصناف الفتوة في المجتمع

١- فتوة الفرسان

يتضح الدور الاجتماعي لفرسان الفتوة العربية من خلال الشجاعة والجرأة والمروءة والكرم والدفاع عن المظلومين حيث انها ظهرت قبل العصر العباسي وبمجيئ عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي تطور مفهوم الفتوة من خلال الدفاع عن المجتمع وحمايتهم من الاخطار الخارجية فالفروسية واحدة من الصفات التي تحلى بها الفتيان وهي فن ركوب الخيل واستخدامه في الاعمال والانشطة المختلفة منها المعارك والحروب واتصف فرسان الفتوة باستخدام النشاب والرماح والاقواس في الحروب وفي الصيد(١٦).

٢- فتوة العيارين

ظهرت في طبقات المجتمع الاسلامي في العصر العباسي مجموعة ممن اطلق عليهم العيارين كان لهم دور اجتماعي خطير في إثارة الشغب والاضطرابات في المجتمع(١٧) الاسلامي وتبين اثرهم الاجتماعي حين استغلوا اسم الفتوة لمصالحهم الشخصية وينشرون اطماعهم وجشعهم تحت مبدأ الفتوة(١٨) فكانوا يعيثون فساداً في الدولة ويثيرون الشغب حالهم كحال بعض الاعراب الذين يقومون بأعمال النهب والسلب(١٩) وكان لهم كبير يتولى ادارة شؤونهم يسمى كبير العيارين(٢٠) يتولى أمر من اراد الانتماء الى العيارين(٢١).

٣- فتوة الشطار

ومن اصناف الفتوة الشطار هم فئة ينهبون ما قدروا عليه من اموال الاغنياء(٢٢) ويتقاسمه في ما بينهم و قد اظهروا الفساد ببغداد وقطعوا الطريق على المارة وقاموا بسلب الاموال من التجار (٢٣) وأخذ النساء والغلمان من الطريق وكانوا يسطون على القرى فيهجمون على اهلها ويأخذون ما يقدروا عليه من متاع ويقطعون الطرق علانية ولا أحد يقدر عليهم وناس كانوا منهم ببلاء عظيم(٢٤).

ملابس الفتوة

اشتهر الفتوة بلباس خاص بهم ميَّزهم عن باقي الطبقات من المجتمع وقد اختلفت ملابس الفتوة العربية تاريخيا بين العصور حيث ارتبطت في العصر العباسي بلباس خاص فرضه الخليفة الناصر لدين الله على فتيانه لتأكيد الولاء له ومن هذه الألبسة:

١- القلنسوة

استخدموا القلانس[٢٥]، ووضعوها على رؤوسهم وكانوا يستخدمون القلانس البيضاء من الصوف ويضعون اعلى القلنسوة قطعة موصولة بها في طول ذراع وعرض اصبعين والارجح ان تكون القطعة التي يضعونها على قلانسهم في بقايا العمائم التي انتقلت اليهم مع نظام الفتوة[٢٦]، واذا جلسوا في مجلس نزع كل واحد منهم قلنسوته ووضعها بين يديه وتبقى على رأسه قلنسوة اخرى سوداء اللون حسنة المنظر وهي من عاداتهم الاجتماعية .

٢- سراويل الفتوة

اشتهر الفتيان بلبس السراويل وهي احدى العلامات الدالة على فتوتهم وتعود لطقوسهم ونظامهم في الدخول للفتوة منذ القدم وبمجيئ الخليفة الناصر فرض عليهم لبس السراويل وكان الفتيان في جميع الممالك الاسلامية يرتدون السراويل[٢٧].

٣- الاقبية

ومن الملابس التي اشتهر بها الفتيان في عهد الخليفة الناصر هي الأقبية وهي رداء قصير واسع يوضع على الكتف ويغطي الظهر والصدر وهو مفتوح من الامام [٢٨].

٤- الحزم

ومما يميز الفتيان في العصر العباسي ان كل فتى من الفتيان كان متحزماً بحزام وفي وسطه يضع سكين كبيرة في طول ذراعين[٢٩].

٥- الأخفاف

ومن مكملات ملابس الفتيان ارتداء الاخفاف التي كان الفتوة يلبسون في اقدماهم[٣٠].

الالعاب والتسلية

تشير النصوص التاريخية الى ان الفتيان كانوا من ضمن فئات المجتمع المتقبل للثقافات ومن الجدير بالذكر انه خص بأطراف الحديث الالعاب والتسلية التي مارسها اولئك الفتيان على النحو الآتي:

١- البندقة:

تعد لعبة البندقة من الألعاب المفضلة لدى الفتوة اذ كانوا مواظبون على ممارستها من دون الألعاب الاخرى وذلك لما تحويه تلك اللعبة من قوة والشجاعة لتقوية البدن والنفس فضلاً عن الهداية التي يمنحها لهم الخلفاء.

ولعبة البندقة عبارة عن القوس يلف عليها حرير وفي وسطها قطعة دائرة تسمى الجوزة يوضع بها البندقة عند الرمي[٣١] والبندق كرات تصنع من الطين[٣٢] ويقوم الفتوة بوضعها في آلة من جلد يجعل فيها البندق الذي يرمي به القوس واستعملها الفتوة في رمي الطيور وصيدها[٣٣].

وكانوا يختارون وقت قبل الشروق الشمس يخرجون الى الصيد حاملين اقواسهم بأيديهم اليسرى متأبطين جراواتهم المملوءة بكرات البندق[٣٤] فيتبارون في رميها ويتفاخرون بإصابتها وهكذا كان يقضي الفتيان اوقات فراغهم[٣٥] وقد شجعهم الخليفة الناصر لدين الله العباسي على صيد الطيور فكان الخليفة يأمر لهم بالعطايا والهدايا والدنانير تكريماً لهم فكان الفتى يحمل الطير ومعه شهود من الفتيان الذين يشهدون انه الرامي رمى هذا الطير باسم الخليفة الناصر لدين الله العباسي فيقوم الخليفة بتكريمه [٣٦].

صيد الحيوانات

كان الخلفاء يشجعون على الصيد السباع وذلك لما فيه من إظهار الفتوة بأحلى مظاهر القوة وقد شجع الخليفة الناصر الفتوة على صيد السباع فكان الفتيان يجتمعون بعد اخذ الاذن من الخليفة الناصر ويذهبون للصيد ومعهم أدوات الصيد من الاقواس والرماح ونشاب وتعد هذه الرحلة بمثابة سفرة للترفيه والتسلية فيحملون معهم الامتعة من الطعام والشراب ويقومون بالرقص والغناء [٣٧].

وشرب الخمور [٣٨] ومن هواياتهم الذهاب في البراري وتسلية بصيد الطيور وأقامه مجالس الغناء و الطرب في رحلتهم ويعدونها نوع من انواع الترفيه عن النفس

صفات الفتوة :

للفتوة صفات وخصال يجب على الفتى الراغب بالفتوة أن تنطبق به هذه الصفات، وهي الذكورية ، العقل ، البلوغ ، الدين ، استقامة الحال .

فالذكورية صفة الرجال وهم قوامون على النساء ، وهي صفة الشرف والكمال لذلك اختص الرجال بالفتوة دون النساء ، لأنّ الانثى ليست من أهل الفتوة ولا تصلح فتوتها ، أما العقل فيتطلب من الفتى الرشد وكمال و رزانة العقل والحكمة ليستطيع مواجهة الامور وحلها ، أما البلوغ فهو أن يصبح الفتى مكتمل البنية الجسمانية والعقلية ، أما الدين فيجب على الفتى الالتزام بشرع لله فلا فتوة لمن لا دين له ، وتعد استقامة الحال احد خصال الفتوة وهي أن يكون رجلاً سوايً ليس مخنثاً ولا خنثي[٣٩] .

وتشير المصادر الى بعض صفات المذمومة للفتيان في تناول الطعام منها انهم يتناولون الطعام قبل النضج ويتناولون الطعام قبل اجتماع المدعوين ،وهناك من يسمى النشاف وهو من يفتح رغيف الخبز من حاشية ثم يغمسه في رأس القدر ويشربه الدسم ويأكله وحده ومنهم من يسمى اللقام هو من يلتقم لقمة بعد الاخرى قبل اجادة مضغها ومنهم من يتكلم واللقمة في فمه ويأكلها كبيرة فتقف في حلقومه ومنهم من يسمى المداد وهو من يمد يده على اكل اصحابه عندما يأكلون الهريسة او الارز[٤٠].

مراسيم تنصيب الفتيان :

للفتيان عادات ومراسيم خاصة بهم تميزهم عن غيرهم ، ففي يوم تنصيب الفتى يعقد حفل كبير يجتمع به جميع الفتوة وعلى رأسهم زعيمهم ويحضر هذا الحفل زعيم الفتيان الذي يتولى عملية تنصيب الفتى وفي هذا الحفل تحضر ملابس الفتوة التي تقدم للفتى تتكون من سروال الفتوة وحزامه ومن عاداتهم في هذا الاحتفال تقديم شراب الفتيان الذي يتكون من محلول الملح المشوب بالماء [٤١].

وتبدأ المراسيم أولها شرب الماء والملح ويبتدئ زعيم الفتيان ثم باقي الفتوة ومن عاداتهم اني يتناولوا القدح بيمينهم للبركة[٤٢].

ويجب أن لا تكون الكأس التي يشرب بها الملح والماء مشابهة لكؤوس الخمر ، وذلك لأن باعتقادهم ان الملح من المواد المقدسة وأنه يصلح كل ما أفسد[٤٣] ويرون ان الماء عذب فيستخدمون هذا الشراب للتفاؤل ، وبهذه الطريقة وهذا الحفل يجتمع الرفاق من الفتيان ، وتصبح الجلسة للتعارف وزيادة الالفة والمودة وهذه العادة تتم قبل شد خصر الفتى ليتجدد عهد الفتوة ، ومن ثم تأتي مرحلة الشد التكميلي فيتقدم زعيم الفتوة فيشد خصر الفتى ويحزمه

ويسقيه من كأس الفتوة الذي يحتوي على الماء المشوب بالملح ثم تقدم له ملابس خاصة لتنصيبه بالفتوة ، ويميزها سروال الفتوة والسلاح وهي سكينة توضع في مشده أو حزامه فالشد ينسب لهم ويعتبرونه الفتيان بمثابة العهد ومبدأ دخوله معهم في الفتوة ، اما التكميل هو اتمام العهد واكماله واعطاء للفتى السلاح(٤٤).

وثم يستأذن زعيم الفتوة للسماح له يذكر فضائل الفتوة وحث الفتى على الالتزام بها من فعل المكارم واجتناب المحارم ، ثم يأخذ بيده ويرفعها ويقول يا معشر السادة الحاضرين والفتيان المخلصين ان فلان يتفتى عليه بما هو أهله(٤٥).

ويطلب منهم أن يقبلوه معهم في الفتوة ويشد خصره واقفاً ويلبسه السروال وهو جالساً(٤٦)، ويتولى الزعيم شدة العقد بيده قائلاً هذا عهد الله بينكما على التمسك بشروط الفتوة ثم يشرب ويوصيه بعدم سفك الدماء بغير حق ، وعدم تحميل الفقراء والرقيق الاموال او الديون(٤٧) .

الفتوة الناصرية :

حاول الناصر لدين الله ان يوحد ويجمع صفوف المجتمع الاسلامي ، وذلك من خلال توثيق صلته بالعلماء من جهة والعامة والفتوة من جهة أخرى كل هذا من أجل توحيد الأمة وكسب تأييدها فأعاد الناصر نظام الفتوة حتى ترأسها هو وعمل على إزالة الخلافات والتجزئة في صفوفها والتأكيد على قيم الفتوة وأخلاق الفروسية ووسع نطاق رقعتها ، وأصبح هو رئيس هذا التنظيم الجديد(٤٨).

ففي سنة ٥٧٨هـ ، وحد الناصر أصناف الفتوة في طائفة واحدة تخضع له وتطيعه فاستطاع أن يكسب شيخ الفتوة عبد الجبار البغدادي(٤٩)، الى صفه فأقر الشيخ بفتوة الناصر حين ألبسه لباس الفتوة(٥٠).

وإن مراسيم الدخول في الفتوة الجديدة التي اسسها الخليفة الناصر لدين الله فالخليفة نفسه او ممن ينوب عنه ، وقد أعلن نفسه زعيم الفتوة واصدر مرسوماً بقواعد الفتوة ، ففي سنة ٦٠٤هـ أصدر قواعد منها لا يحق للفتى قتل النفس المحرم قتلها ، فالمعتدي يقتل بعد ان ينزع لباس الفتوة ، وكذلك من اخفى مجرم عوقب بالحبس ففي بغداد قتل فتيان رجلاً فنزعت عنهما سراويل الفتوة وامر بقتلهما ورميت جثتهما على باب المدينة(٥١).

كما امر بمنع رمي بالبندق إلاّ من انتسب اليه ولبس سراويلها ودعا له فلبس سائر الملوك التابعين له سراويل الفتوة ودعوا له في رمي البندق كما انه منع الطيور المناسيب لغيره الاّ ما يؤخذ من طيوره ومنع الرمي لغيره جعله لمن ينتمي اليه(٥٢).

إنّ محاولة الخليفة الناصر هذه كانت اخر مظهر من مظاهر البطولة العربية الإسلامية ، وكان يرمي من وراء ذلك تعبئة الشعب لمجابهة تلك الأمور التي كانت تستهدف الدولة فالغرض من اعماله هذه كان لبعث روح الحماس في نفوس المجتمع الاسلامي فحاول إعداد فئة قوية يمكن الاعتماد عليها بجانب الجيش النظامي للمشاركة في الجهاد، فضلاً عن إقرار الأمن وحفظ النظام(٥٣).

ويتجلى دور الفتوة الاجتماعي في عهد الخليفة الناصر في مساندة الغرباء من الناس وتقديم الطعام لهم و قضاء حاجة المحتاج كما ان اثرهم الاجتماعي كان واضحاً في اخذ الحق للمظلوم والقصاص من الظالم(٥٤) .

وتبين القوة الاجتماعية بين افراد الفتيان بتنظيمهم وترتيبهم ، فكان لكل شخص مهام ضمن نظام صارم فكانوا يجتمعون في نوادي ولهم دار للضيافة وكان لهم رئيس للفتيان فيجهزون له زاوية ويضعون بها الأثاث والمتاع وكانوا يتمتعون بالقوة التي تعود الى دعم المجتمع الاسلامي لهم ، وكذلك السياسي المتمثل بالخليفة وذلك لكونهم قوة للمجتمع لردعلى الاخطار عند الحاجة(٥٥) .

وظهرت فئة من الفتيان في آسيا الصغرى عرفت بفتيان الاخية ذلك نتيجة ارسل الناصر لدين الله سراويل الفتوة إلى سلطان آسيا الصغرى فإنظم الى نظام الفتوة وانضمت هذه الفئة في اصناف معينة وتبنوا بعض المثل العليا للفتوة وكان اعضائها ينتمون الى اصناف مهنية فكان نظامهم يعتمد على قوة افراده ، ومكانتهم الاقتصادية التي تتيح لهم كسب الناس إليهم والانخراط تحت حمايتهم ، وهذه المكانة كانت غالباً عرضة للتغيير والتأثير السياسي فكان لهم دور كبير في إقرار الامن والنظام(٥٦).

كما دخلت الصوفية في الفتوة وادخلوا تعاليمهم الاخلاقية ، وكانوا يرون بها مكارم الاخلاق والكثير من الفتيان كانوا من المتصوفة او ممن يميل اليهم(٥٧)، فكانت الفتوة اساساً في التصوف فالصوفي يجب ان يتحلى بخصال الفتوة(٥٨)

الخاتمة:

شمل هذا البحث دراسة الفتوة ودورهم الاجتماعي في العصر العباسي في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي تبين من خلال البحث ان للفتوة دور مهم في عهد الخليفة الناصر من حيث تأثيرهم في المجتمع من خلال عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية.

كما تبين لنا من خلال البحث ان الفتيان اصناف متعددة الاصل منهم فتيان تتحلى بالأخلاق والشجاعة والمروءة والبعض من الفتيان سار بمسار مخالف للأخلاق وعمل على اثارة الشغب والاضطرابات والفتن منهم الشطار والعيارين الذين اثاروا الشغب وعملوا على السلب والنهب .

ركز البحث على الزي الرسمي لفتيان الخليفة الناصر لدين الله الذي فرضه عليهم ليميزهم به عن غيرهم منه سروال الفتوة ويعد من اهم الطقوس ومراسيم هو ارتداء الفتى لسروال الفتوة والمشد وهو حزام يشد به خصر الفتى .

كما بين البحث وسائل التسلية والألعاب التي اهتم بها الفتيان واهمها لعبت البندق وهواياتهم المتمثلة بالصيد الطيور والسباع .

كما تناول البحث صفات الاجتماعية التي تؤهل الشخص للانضمام لنظام الفتوة وبيان صفاته الاخلاقية .

وسلط البحث الضوء على مراسيم وطقوس الفتوة التي تجلت بشرب الماء والملح .

كما بين البحث اهمية الفتوة الناصرية في حفظ الامن الداخلي والخارجي و لأهميتها اعلان الناصر نفسه زعيم لها وإصداره مرسوما بقواعد الفتوة وعقوبة مخالفيها .

وتبين القوة الاجتماعية بين افراد الفتيان بتنظيمهم وترتيبهم ، فكان لكل شخص مهام ضمن نظام صارم فكانوا يجتمعون في نوادي ولهم دار للضيافة وكان لهم رئيس للفتيان

ووضح البحث ظهور فئة من الفتيان في آسيا الصغرى عرفت بفتيان الاخية ذلك نتيجة ارسل الناصر لدين الله سراويل الفتوة إلى سلطان آسيا الصغرى فإنظم الى نظام الفتوة وانضمت هذه الفئة في اصناف معينة وتبنوا بعض المثل العليا للفتوة.

كما دخلت الصوفية في الفتوة وادخلوا تعاليمهم الاخلاقية ، وكانوا يرون بها مكارم الاخلاق والكثير من الفتيان كانوا من المتصوفة او ممن يميل اليهم .

الهوامش :

(١) الجوهري، اسماعيل بن حماد، (٣٩٣هـ/١٠٠٣م)، الصحاح، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، بيروت، ١٩٧٩، ط٢، دار العلم للملايين، ج٦، ص٢٤٥١-٢٤٥٢؛ الرازي، محمد بن ابي بكر (٢٥٧هـ/٨٦٤م)، مختار الصحاح، بيروت، ١٩٧٩، دار الكتاب العربي، ص٤٩١.

(٢) الجوهري، الصحاح، ج٦، ص٢٤٥١-٢٤٥٢؛ الرازي، مختار الصحاح، ص٤٩١.

(٣) ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل، (٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب المحيط، بيروت، د.ت، ج٢، ص١٠٥٠-١٠٥١.

(٤) الزبيدي، محمد مرتضى (١٢٠٥هـ،/١٧٩٠م)، تاج العروس، بيروت، ١٩٦٦، ج١٠، ص٢٧٥-٢٧٦، (٨١٧هـ / ١٤١٤م).

(٥) الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ص١٣٢٠، القتيري، الرسالة القترية، ص٣٩١؛ عمر الدسوقي، الفتوة عند العرب، مكتبة النهضة، مصر، لا ت، ص٢١.

(٦) الايوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، ص٨٦.

(٧) ابن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص٢٢٢-٢٢٣؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، الكويت، ١٩٦٣، ج٤، ص٢٣٢.

(٨) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢٠٧.

(٩) ابن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص١٤٦؛ محمد، عودة الروح للخلافة الاسلامية، ص٣١٨.

(١٠) ابن الساعي، تاريخ ابن الساعي، ج٩، ص٢٢٢.

(١١) الملك العادل محمد بن ايوب بن شادي اخو السلطان صلاح الدين من كبار سلاطين الدولة الايوبية (ت٦٥١هـ،١٢١٨م) ابن خلكان وفيات الاعيان، ج٥، ص٧٤ ؛ ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٥١،.

(١٢) ابن الاثير محمد بن عبد الكريم (ت٦٠٣هـ،١٢٣٢م)، وسائل ابن الاثير، ط١، تحقيق هلال ناجي، دار الكتاب ١٩٨٢، ص١٣٤-١٣٧؛ عبد اللطيف، محمد فهمي، الفتوة، الاسلامية، مصر، ١٩٤٨، ص٣٧؛ حسن، الباشا، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، القاهرة، ١٩٧٥، ص١٤٦.

(١٣) ابن الساعي، الجامع المختصر، ج٩، ص٢٢٣.

(١٤) كتاب الفتوة، ص١٨١ – ١٨٢.

(١٥) الهمذاني، جامع التواريخ، ج١١، ص٣٤٠.

(١٦) ابن قيم الجوزي، الفروسية، ص٢٦ ؛ البهادلي رحيم الحلو ، دور الولاة والعمال العرب في مساعدة المحتاجين والفقراء خلال العصريين الراشدي والاموي ، مجلة كلية التربية للبنات جامعة بغداد ، المجلد ٢٥ ،العدد٣ ، ٢٠١٤م ، ص٦٨٧ .

(١٧) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص٣٥٢.

(١٨) الصولي، الاوراق، ص١١٩-١٢٠؛ ابن تغر بردي ، النجوم، ص١٠٧.

(١٩) ابن الجوزي، المنتظم ج٧، ص١٥٣؛ سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ج٨٨، ص١٥٣؛ صكبان ، جاسم ، الاعراب في العصر الاموي ، مجلة كلية التربية للبنات جامعة بغداد ، مجلد ٢٢ ، العدد٣ ، ٢٠١١م، ٣٨٩ص.

(٢٠) مسكويه، تجارب الامم، ج٢، ص٢٦٧.

(٢١) ابن الاثير، الكامل في التأريخ، ج٢، ص٢٦.

(٢٢) الطبري، تاريخ الملوك.

(٢٣) احمد، حسين، الفتوة والصعاليك، ص٤٩ – ٥٠ – ٥١، ص١٩٧١، مؤسسة هنداوي.

(٢٤) ابو حيان، الامتناع، ص١٨١٦؛ التوحيدي، تبليس ابليس، ص٢٩٣.

(٢٥) القلنسوة: وهي لباس مستدير مبطن من الداخل يوضع على الرأس يصنع من القماش او الجلد وتختلف من حيث الشكل والنوع الفراهيدي، العين، ج٥، ص٧٩.

(٢٦) ابن بطوط، رحلة ابن بطوط، ج١، ص١٢٥.

(٢٧) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٥١.

(٢٨) الايوبي، مضمار الحقائق، ص٨٥.

(٢٩) الايوبي، مضمار الحقائق، ص٨٦-٨٧.

(٣٠) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٥١-٥٢.

(٣١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢، ص١٢٨؛ ا النويري، نهاية الارب، ج١، ص٢٢٤.

(٣٢) النويري، نهاية الارب، ج١٠، ص٢٢٤.

(٣٣) ياقوت، معجم الادباء، ج١٧، ص١٢٦.

(٣٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص٥٢.

(٣٥) الصولي، الاوراق، ٢١٤.

(٣٦) الحوادث الجامعة، ص١٠٤ – ١٤٣.

(٣٧) الحوادث الجامعة، ص١٧٦.

(٣٨) الحطيب البغدادي، ج٤، ص٢٣٩؛ ابن المعمار، ابي عبد الله محمد بن ابي المكارم، كتاب الفتوة، قدم له د. مصطفى جواد، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٨م، ص٢٧.

(٣٩) ابن المعمار، الفتوة، ص٢٤.

(٤٠) الجاحظ، البخلاء، ص١٠٥.

(٤١) ابن المعمار ، الفتوة ، ص٢٨٤ .

(٤٢) المصدر نفسه ، الفتوة ، ص٢٠٧ .

(٤٣) المصدر نفسه ، ص٢٠٧ .

(٤٤) المصدر نفسه ، الفتوة ، ٢٠١٧.

(٤٥) المصدر نفسه ، الفتوة ، ص٢٠٧ .

(٤٦) أمين ، أحمد ، الصعاليك والفتوة في الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ت ، ص٥٦ .

(٤٧) ابن المعمار ، الفتوة ، ص٢٠٧.

(٤٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٤٥٣ .

(٤٩) هو عبد الجبار بن يوسف بن صالح البغدادي شيخ الفتوة وحامل لوائها وكان قد على شأنه بعد أن افتى للخليفة الناصر توفي حاجاً سنة ٥٨٣هـ ، الذهبي ، العبر ، ج٤ ، ص٢٤٩ . الذهبي، الاعلام ، ج٢ ، ص٣٩٤ .

(٥٠) شذرات الذهب ، ج٥ ، ص٩٧-٩٨ .

(٥١) ابن الاثير ، الكامل ، ج١٢ ، ص٤٤٠ .

(٥٢) الجامع المختصر ، ج٩ ، ص٢٢١-٢٢٢ .

(٥٣) ابن المعمار ، الفتوة ، ص٤٤ ؛الجنابي ، عبد الكريم ابراهيم ،الفروسية العربية تواجه الفرسان الصليبيين ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، لمجلد١ ، العدد ٨٣ ، ٢٠٠٨م ، ص ٢٣٩.

(٥٤) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، ص٢٦٥ .

(٥٥) المصدر نفسه ، رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، ص٤٦٧ .

(٥٦) المصدر نفسه ، رحلة ، ص٢٨٠ ؛ الركابي ، فليح كريم ، فتى الفتيان الفروسية والرفض ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ، العدد٨١ ، ٢٠٠٨م ،ص٥١١.

(٥٧) ابن المعمار ، الفتوة ، ص١٤ .

(٥٨) الجاحظ ، رسالة الجاحظ ، الرسالة الثانية ، ص٤٤ .

المصادر:

١. الايوبي، عمر بن تقي الدين عمر بن شاهنتاه، (٦١٧هـ)، تحسين، د. حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠١هـ.

٢. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٦٨م)، رحلة ابن بطوط تحفة الان ضمار في غرابين الامصار وعجائب الاسفار، دار احياء العلوم، بيروت، د.ت.

٣. ابن تغريروي، جمال الدين ابو المحاسن (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)/ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، لات.

٤. التنوخي، المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت، ١٩٧٣م.

٥. ابن الأثير عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)؛ الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.

٦. الجاحظ، ابو عثمان عمر بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٨٥م.

٧. الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م)، الصحاح، تحقيق: احمد عبد الغفور عطا، بيروت، ١٩٧٩، ط٢، دار العلم للملايين.

٨. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)؛ المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

٩. ابو حيان التوحيدي، علي بن محمد (ت ٤١٤هـ/١٠٣٢م)، الامتاع والمؤانسة، تحقيق: احمد امين واحمد القريشي، مكتبة الحياة، مصر، ١٩٩٢م.

١٠. ابن خلكان شمس الدين احمد بن حمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) ،وفيات الاعيان وابناء انباء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، لا ت.

١١. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد، (ت: ٧٤٨هـ،١٣٤٨م)، العبر في خبر من غبر، الكويت، لا ت.

١٢. الرازي، محمد بن ابي بكر، (٢٥٧هـ/٨٦٤م)، مختار الصحاح، دار الكتب العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
١٣. الزبيدي، محي الدين السيد محمد المرتضى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس في جواهر القاموس، بيروت، لا ت.
١٤. ابن الساعي – تاج الدين علي بن انجي (ت ٦٧٤هـ، ١٢٧٥م)، تاريخ ابن الساعي، تحقيق مصطفى جواد، المطبعة الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤م.
١٥. سبط ابن الجوزي، شمس الدين (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)؛ مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، حيدر اباد الدكن، ١٩٥١م.
١٦. ابو شامة المقدسي، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي، (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧)، المذيل على الروضتين، حققه: ابراهيم الرئيس، دار الجيل، بيروت، لا ت.
١٧. الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ،٩٤٦م)، الاوراق لأخبار الراضي بالله والمتنبي بالله، عين البشر، ج هيرودت دمت، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.
١٨. الطبري، ابو جعفر محمد بن حرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: ابو الفضل ابراهيم، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.
١٩. الفراهيدي، الخليل بن احمد (١٧٠هـ/٧٨٦م)، الحسين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لا ت.
٢٠. ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ،دار صادر ، بيروت ، لات.
٢١. الفيروز ابادي، (ت٨١٧هـ/١٤١٤)، القاموس المحيط، دار صادر، بيروت، لا ت.
٢٢. القشيري، رسالة القشيرية ،دار جوامع الكلام ، القاهرة ، لات .
٢٣. القلقشندي، ابو العباس، احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٩٤١م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لا ت.
٢٤. ابن قيم الجوزي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي، (٧٥١هـ-١٣٥٠م)، الفروسية ، دار ابن مزم.

٢٥. مسكويه، ابو علي احمد بن مسكويه (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)؛ تجارب الامم وتعاقب الهمم، دار الكتب العلمية، بيروت، لات.
٢٦. ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لا ت؛ الهمداني، رشيد الدين فضل الله لا ت؛ جامع التواريخ، حققه د. فؤاد عبد المعطي، د. يحيى الخشاب، دار النهضة، بيروت، لا ت.
٢٧. ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم الادباء، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الارب في فنون الادب، القاهرة، ٢٠٠٧م.

المراجع

١. الباشا، حسن، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، القاهرة، ١٩٧٥م.
٢. عبد اللطيف، محمد فهمي، الفتوة الاسلامية، مصر، ١٩٤٨م.
٣. دسوقي، عمر، الفتوة عند العرب، مكتبة النهضة، مصر، لا ت.

الاغتيالات السياسية في مصر
حالة حسن ألبنا أنموذجاً

م.م.عدي عامر حسن

جامعة بغداد / كلية الآداب

٠٧٧٠٤٥٤٥١١٥

auday.a@coart.uobaghdad.edu.iq

الاغتيالات السياسية في مصر حالة حسن ألبنا أنموذجاً

م.م.عدي عامر حسن

ABSTARCT

Political assassinations in Egypt reflect the extent of internal and external conflicts within the ruling political class. This becomes evident in how the course of events has often been altered through assassinations and the physical elimination of rivals. Anyone who examines Egypt's history across its various periods will notice that the use of excessive violence in politics has been a prevailing and unmistakable feature.

Violence was not limited to political opposition alone, there was also numerous political assassinations carried out by the government itself to eliminate opponents in ways that would not provoke chaos or violence among different segments of society. This was clearly exemplified in the assassination of Hassan al-Banna, the founder of the Muslim Brotherhood, on February 19, 1949. The government of Ibrahim Abdel Hadi Pasha resorted to physically eliminating al-Banna after accusing the Muslim Brotherhood of assassinating Prime Minister Mahmoud Fahmy al-Noqrashi. Thus, the assassination of Hassan al-Banna came as a reaction by the Egyptian government to the acts of violence and assassinations carried out by the Brotherhood.

المقدمة

تعد الاغتيالات السياسية من أخطر الظواهر في تاريخ مصر، فقد عكست هذه الاغتيالات الازمات والصراعات السياسية والفكرية التي مرت بها البلاد، حيث مثلت هذه الاغتيالات أهم الوسائل للوصول إلى المصالح والمطامع بشكل سريع.

لم تكن الاغتيالات السياسية في مصر وليدة التاريخ الحديث فقط ، إنما كان تاريخ مصر القديم حافلاً بالاغتيالات ، حيث شهدت مصر في العهد الفرعوني العديد من

الاغتيالات كان أهمها اغتيال الملك توت عنخ أمون (١٣٤١ – ١٣٢٣ ق.م) وهو أخر ملوك الأسرة الثامنة عشر ، والذي أشار تشريح الجثة الخاصة بالملك انه قد مات بسبب ضربة في الرأس من الخلف مما يؤكد أن الملك توت عنخ أمون قد تم اغتياله ، وتطول قائمة الاغتيالات السياسية في مصر خلال فترة حكم الفراعنة في مصر [١] .

وتشير الإحداث التاريخية انه لم يخلو عهد من العهود السياسية في مصر من الاغتيالات السياسية، فقد شهد العهد البلطمي (٣٣٣ – ٣٠ ق. م) العديد من الاغتيالات السياسية حتى وصلت الاغتيالات بين العائلة الواحدة للوصول إلى الحكم [٢] ، مرورا بالعهد الفاطمي الذي لم يكن بعيدا هو الأخر عن الاغتيالات والصراعات السياسية فقد شهد العديد من الاغتيالات كان من أهمها اغتيال الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، والذي اغتيل ليلة السابع والعشرين من شوال ٤١١هـ – ١٠٢٠ م لتستمر عمليات الاغتيال السياسية لتطال ثلاثة من الخلفاء الفاطميين في مصر [٣] .

أكمل التاريخ الحديث والمعاصر في مصر سلسلة القتل والاغتيالات السياسية، حيث تصاعدت عمليات الاغتيال بدوافع سياسية بشكل كبير، وذلك بسبب التطور الحاصل في أساليب تلك الاغتيالات وزيادة الأحزاب والتيارات المتنافر والمتصارعة في الساحة السياسية المصرية، كانت أول عملية اغتيال سياسي في تاريخ مصر الحديث هي اغتيال بطرس غالي – ١٩١٠ ، وكان سبب الاغتيال أن الحكومة البريطانية قد عينت بطرس غالي رئيسا لمحكمة (حادثة دنشواي)[٤] ، وبعد أن أصدرت المحكمة الإحكام الجائرة

ضد أهالي قرية دنشواي واعدم أربعة من الفلاحين وسجن وجلد الباقين من رجال القرية ثار الغضب الشعبي ضد المحكمة ورئيسها بطرس غالي ، فقام شاب يدعى إبراهيم ناصيف الورداني باغتيال بطرس غالي وقد لاقت هذه العملية الترحيب والتمجيد من كل أطياف الشعب المصري لأنها مثلت روح الثورة ضد الاضطهاد الانكليزي [٥] .

واستمرت عمليات الاغتيال السياسي والتي كان يقوم بها رجال الحركة الوطنية المصرية ، وكانت بمثابة تعبير عن الرفض والاستهجان لما تقوم به القوات البريطانية المحتلة للبلاد ، فقد قامت الحركة الوطنية المصرية باغتيال السير لي ستاك سردار الجيش المصري وحاكم السودان في تشرين الثاني ١٩٢٤ [٦] .

شهد العهد الملكي في مصر العديد من الاغتيالات السياسية ، كان من اهمها وأبرزها هو اغتيال رئيس وزراء مصر احمد ماهر باشا في ٢٤ شباط ١٩٤٥[٧] ، حيث أطلق الشاب محمد العيسوي النار على احمد ماهر باشا أثناء خروجه من مجلس الوزراء فقتله ، أربكت هذه العملية الوضع السياسي المصري بشكل كبير لاسيما وان مصر كانت في خضم مفاوضات هامة مع بريطانيا لا انهاء الاحتلال ، فقد صعدت عملية الاغتيال هذه التوترات بين الساسة المصرين وخصوصا بين الحكومة والمجموعات الوطنية التي كانت تعارض التعاون مع البريطانيين [٨] .

استمرت عمليات الاغتيال السياسي مصر وبدأت تهدد وجود الدولة المصرية ، حيث قامت جماعة الأخوان المسلمين بتصفية رئيس الوزراء المصري (محمود فهمي النقراشي)[٩] ، فقد قام شاب من جماعة الأخوان المسلمين يدعى عبد المجيد احمد حسن بالتنكر بزي ضابط شرطة ودخل إلى مقر الوزارة وأطلق النار على النقراشي فأرداه قتيلا [١٠] .

كان السبب الرئيسي وراء اغتيال النقراشي باشا هو القرار الذي أصدره في ٨ كانون الأول ١٩٤٨ ، والذي بموجبه تم حل جماعة الإخوان المسلمين وذلك بسبب الإعمال العدوانية والاغتيالات التي كانت تقوم بها الجماعة [١١] ، لاسيما الجهاز السري الخاص بالجماعة والذي كانت مهمته الأولى هي استخدام العنف ضد الخصوم والتخلص منهم عن طريق الاغتيالات ، حيث عثر البوليس المصري على العديد من المنشورات في مقرات الجماعة تحث على استخدام القوة والعنف ضد أطراف الحكومة المصرية ، كما تم العثور على مواد شديدة الانفجار وقنابل يدوية وأسلحة خفيفة تابعة لجماعة الأخوان ، إضافة إلى أن الشرطة المصرية حصلت على وثائق تؤكد تلقي مجموعة كبيرة من أعضاء جماعة الأخوان المسلمين تدريبات مكثفة على استخدام السلاح والمتفجرات [١٢] .

بعد اغتيال محمود فهمي النقراشي على يد جماعة الإخوان المسلمين، شددت الحكومة المصرية من أجراءتها ضد الجماعة، فقامت باعتقال العديد من أعضائها واعتبر الحادث تصعيداً خطيراً ، ومن جهة أخرى ساهمت عملية الاغتيال في تعميق الفجوة بين الدولة المصرية والجماعات الإسلامية بشكل عام وجماعة الإخوان المسلمين بشكل خاص ، وبدأت الحكومة المصرية تضيق الخناق على جماعة الإخوان المسلمين عن طريق اعتقال

الأعضاء النشطين سواء كانوا من التنظيم العلني للجماعة أو الجهاز السري ، كما داهمت قوات الشرطة المصرية كل مقرات جماعة الأخوان المسلمين وإغلاقها في كل أنحاء البلاد [١٣] .

من بين الإجراءات التي اتخذتها الحكومة المصرية هي محاكمة عبد المجيد احمد حسن الذي نفذ عملية اغتيال محمود فهمي النقراشي وتم الحكم عليه بالإعدام ونفذ الحكم فيه ، كما وقد استغلت الحكومة المصرية قضية اغتيال النقراشي بوضع قيود صارمة على أنشطة باقي الجماعات والتي كانت تشكل تهديدا للنظام العام وفق رأي الحكومة ، وفرضت رقابة مشددة على الإعلام والمنشورات التي كانت تشجع على التطرف [١٤] .

اولاً : بداية ظهور حسن ألبنا

ولد حسن ألبنا في ١٤ أكتوبر ١٩٠٦ في قرية المحمودية بمحافظة البحيرة في مصر ، كان أسرة ألبنا أسرة متدينة حيث كان والده احمد عبد الرحمن ألبنا عالماً إسلاميا ومؤلفاً للعديد من الكتب الدينية ، فكان من الطبيعي أن يتأثر حسن ألبنا بالبيئة التي نشأة فيها ، وقد ساهم ذلك في بناء خلفيته الدينية والفكرية منذ الصغر ، بدأت تعليمه في المدارس التقليدية الدينية لحفظ القران الكريم والتربية الإسلامية ، هذا التعليم التقليدي كان أول خطواته نحو تكوين رؤية دينية متكاملة [١٥] .

تأثر حسن ألبنا بالحركات الصوفية الشعبية التي كانت منتشرة في مصر آنذاك، حيث انضم إلى (جمعية الأخلاق الأدبية) والطريقة الصحافية الصوفية [١٦] ، كانت لهذه التجربة التي مرت على حسن ألبنا الأثر الكبير في تعزيز القيم الأخلاقية والتزامه بالقضايا الاجتماعية والدينية ، ومن جهة أخرى ساعدت هذه التجربة في فهمه لطرق الدعوة والعمل الجماعي ، كما حرص حسن ألبنا على الحضور في حلقات الذكر والاحتفالات الدينية مما نعكس على طبيعته الشخصية والسلوكية [١٧] .

بالرغم من أن حسن ألبنا كان متأثر جدا بالحركة الصوفية ألا انه كان ينتقد بعض ممارسات الحركة التقليدية والتي اعتبرها سلبية مثل العزلة والانفصال عن الواقع ، فقد دعا حسن ألبنا إلى تحول الحركة الصوفية إلى حركة تساهم في أصلاح المجتمع وليس مجرد التفرغ للعبادة المفردة ، كما دعا إلى الدمج بين الروحانية والعمل الجماعي ، استخدم حسن

ألبنا فيما بعد بعض العناصر الصوفية في هيكلية جماعة الأخوان المسلمين مثل نظام الكشافة والذي يقوم على الأخوة والتربية الروحية ، كما قام بإنشاء نضام داخل الجماعة وهو نظام سري يتمتع بدرجة عالية من التنظيم والانضباط يشبه إلى حد كبير الترتيبية الصوفية التي تعتمد على الطاعة والالتزام بالتوجيهات (١٨) .

في عام ١٩٢٣ ، التحق ألبنا بمدرسة دار العلوم بالقاهرة ، وهي مؤسسة تجمع بين التعليم الشرعي والتعليم المدني الحديث ، كانت لهذه الفترة أهمية كبيرة في توسيع مداركه وزيادة وعيه ومعرفته في الأمور بشكل أوضح وعن قرب ، إذ اطلع على التيارات الفكرية والسياسية المختلفة في مصر مثل القومية والشيوعية والليبرالية والعلمانية ، مما دفع حسن ألبنا إلى الاهتمام بالبحث عن دور الإسلام في معالجة القضايا المعاصرة ، حيث كان ألبنا يشعر أن كل المشاكل التي تمر على المجتمع او البلاد يكون حلها عن طريق الرجوع إلى الدين الإسلامي (١٩) .

لاحظ حسن ألبنا أن البلاد وهي تحت الاحتلال البريطاني تشهد تراجعا كبيرا في القيم والأخلاق وأخذت الأفكار والثقافات الغربية تنتشر في المجتمع المصري، أثرت هذه الإحداث في شخصيته حيث اعتبرها تحديا للدين الإسلامي والمجتمع المصري، حيث الفرد هو ألبنة في بناء الأسرة المسلمة المكونة للمجتمع المسلم ، كما ركز حسن ألبنا منذ اللحظة الأولى لتكوين الجماعة على وحدة الأمة الإسلامية وهذا ما يفسر دعوته إلى أعادة الخلافة الإسلامية المفقودة ، وبالرغم من الطابع الإسلامي الطاغي على أفكار الجماعة ألا أن مؤسس جماعة الأخوان لم يهمل الحريات السياسية والدستورية حيث اكد عليها في اكثر

خطبة وأكثر من توجيه ألا أن هذه الحرية كانت مقيدة فلابد أن تكون الحرية بحدود الإسلام ولا تخرج عن تعاليمه ، ولتحقيق هذه الأهداف التي رسمها حسن ألبنا كان لابد من قوة تحققها لاسيما وان الساحة المصرية كانت تشهد صراعات كبيرة بين التيارات والأحزاب والأفكار مثل الشيوعية والعلمانية والليبرالية والتي تشكل تهديد واضح لا أفكار جماعة حديثة التكوين مثل جماعة الأخوان المسلمين لذلك ركز حسن ألبنا على مسالة الجهاد في سبيل الله واصفا إياه أداه لتطبيق التعاليم الدينية وإجراء الإصلاحات السياسية والاجتماعية المنشودة

والتي تشكلت الجماعة من اجلها ، كما أن الجهاد في سبيل الله يمثل مرتكز أساسي لمقاومة المحتل البريطاني وطرده من البلاد [٢٠] .

كما اهتم حسن ألبنا منذ اللحظة الأولى لتكوين الجماعة على وحدة الأمة الإسلامية وهذا ما يفسر دعوته إلى أعادة الخلافة الإسلامية المفقودة ، وبالرغم من الطابع الإسلامي الطاغي على أفكار الجماعة ألا أن مؤسس جماعة الأخوان لم يهمل الحريات السياسية والدستورية حيث أكد عليها في أكثر من خطبة وأكثر من توجيه ألا أن هذه الحرية كانت مقيدة فلابد أن تكون الحرية بحدود الإسلام ولا تخرج عن تعاليمه ، ولتحقيق هذه الأهداف التي رسمها حسن ألبنا كان لابد من قوة تحققها لاسيما وان الساحة المصرية كانت تشهد صراعات كبيرة بين التيارات والأحزاب والأفكار مثل الشيوعية والعلمانية واللبرالية والتي تشكل تهديد واضح لا أفكار جماعة حديثة التكوين مثل جماعة الأخوان المسلمين لذلك ركز حسن ألبنا على مسالة الجهاد في سبيل الله واصفا إياه أداه لتطبيق التعاليم الدينية وإجراء الإصلاحات السياسية والاجتماعية المنشودة والتي تشكلت الجماعة من اجلها ، كما أن الجهاد في سبيل الله يمثل مرتكز أساسي لمقاومة المحتل البريطاني وطرده من البلاد [٢١] .

تأثر حسن ألبنا بالأفكار الدينية الإصلاحية والتي دعا أليها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده واللذان كانا يدعوان إلى تجديد الفكر الإسلامي لمواجهة التحديات الكبيرة التي ظهرت وهاجمت المجتمعات الإسلامية ، هذا الفكر الإصلاحي اثر كثيرا على شخصية ألبنا ، حيث رأى أن الحلول الإسلامية لابد أن تكون حلولا شاملة وتطبيقية وليست نظرية ، وفي نفس الوقت اعتبر حسن ألبنا أن مواقف التيارات العلمانية والليبرالية التي كانت تروج في ذلك الوقت أنها لا تمثل الحلول الحقيقة لمشكلات المجتمع ، حيث اعتبر أن التصدي لهذه الأفكار يأتي عن طريق الإسلام الذي يمكنه تقديم بديل حضاري شامل ، نضجت هذه الأفكار عند ألبنا بعد تخرجه من دار العلوم في عام ١٩٢٧ ، حيث عمل مدرسا في الإسماعيلية وهناك تفاعل مع العمال والفلاحين والذين كانوا يعانون من ظروف معاشيه صعبة نتيجة استغلال الشركات الأجنبية لهم ، هذا الاحتكاك المباشر مع طبقات مع طبقات المجتمع المحرومة دفعته إلى التفكير في كيفية استخدام الإسلام بكل عملي كاداه للتغير الاجتماعي والسياسي [٢٢] .

ثانيا : تأسيس جماعة الاخوان المسلمين

أسست جماعة الأخوان المسلمين في مصر على يد حسن ألبنا ١٩٢٨ ، وكان الهدف من تأسيس هذه الجماعة هو مواجهة التأثيرات الغربية التي سيطرت وبشكل كبير على المجتمع المصري في تلك الفترة ، حيث كانت في البداية جمعية خيرية مهمتها جمع التبرعات ودعم الفقراء ونشر التعاليم الإسلامية ، ولكنها سرعان ما تطورت لتصبح حركة سياسية واجتماعية مؤثرة وأصبح لها دور كبير في مجريات الأحداث السياسية بما فيها الثورات والانتخابات وأصبح دور الجماعة غاية في الاهمية بالنسبة لتاريخ مصر الحديث والمعاصر [٢٣] .

تركزت أفكار جماعة الإخوان المسلمين على أن الإسلام هو الحل الوحيد لكل المشاكل التي تواجه الأمة الإسلامية ، وأكد مؤسس جماعة الأخوان حسن ألبنا أن الدين الإسلامي قادر على أجراء معالجات رصينة وصحيحة لشؤون الفرد والأسرة والمجتمع والدولة بل وحتى العلاقات الدولية يمكن للإسلام معالجتها وجعل القران الكريم والسنة النبوية هما المصدر للتشريع ، وان الفرد المصري لا يمكنه من مواجهة كل التحديات الحالية ألا أذا رجع للسنة النبوية الشريفة والقران الكريم وتم تربيته وفق تربية أسلامية صحيحة ليكون الفرد هو ألبنة في بناء الأسرة المسلمة المكونة للمجتمع المسلم ، كما ركز حسن ألبنا منذ اللحظة الأولى لتكوين الجماعة على وحدة الأمة الإسلامية وهذا ما يفسر دعوته إلى أعادة الخلافة الإسلامية المفقودة ، وبالرغم من الطابع الإسلامي الطاغي على أفكار الجماعة ألا أن مؤسس جماعة الأخوان لم يهمل الحريات السياسية والدستورية حيث أكد عليها في أكثر من خطبة وأكثر من توجيه ألا أن هذه الحرية كانت مقيدة فلابد أن تكون الحرية بحدود الإسلام ولا تخرج عن تعاليمه ، ولتحقيق هذه الأهداف التي رسمها حسن ألبنا كان لابد من قوة تحققها لاسيما وان الساحة المصرية كانت تشهد صراعات كبيرة بين التيارات والأحزاب والأفكار مثل الشيوعية والعلمانية واللبرالية والتي تشكل تهديد واضح لا أفكار جماعة حديثة التكوين مثل جماعة الأخوان المسلمين لذلك ركز حسن ألبنا على مسالة الجهاد في سبيل الله واصفا إياه أداه لتطبيق التعاليم الدينية وإجراء الإصلاحات السياسية والاجتماعية المنشودة

والتي تشكلت الجماعة من اجلها ، كما أن الجهاد في سبيل الله يمثل مرتكز أساسي لمقاومة المحتل البريطاني وطرده من البلاد [٢٤] .

ثالثا : اغتيال مؤسس جماعة الأخوان المسلمين حسن ألبنا

١ . الاوضاع العامة في مصر قبل عملية الاغتيال

شهدت الفترة التي سبقت اغتيال حسن ألبنا احداث متداخلة وتحديات كبيرة لاسيما وان هذه الفترة سبقت الحرب العالمية الثانية مباشرة ، كانت الساحة المصرية مهيئة لحدوث تحولات سياسية حيث نشطت القوى الوطنية بشكل كبير وازدادت المطالبات بالاستقلال التام عن بريطانيا وأصبح هدف التحرر من الاحتلال البريطاني مطلبا لكل القوى الوطنية باختلاف أفكارها او ايدولوجيتها ، بالمقابل لم تكن الساحة المصرية مستقرة فقد شهدت تلك الفترة صراعات حادة بين الأحزاب السياسية مما ادى إلى حالة من عدم الاستقرار السياسي ، وسط هذه الأوضاع برز دور الحركات الإسلامية وكان على رأسها جماعة الأخوان المسلمين كقوة مؤثرة حيث قدمت هذه الجماعة بديلا إسلاميا للأنظمة السياسية الحاكمة [٢٥].

كانت الأوضاع الاقتصادية في مصر تستاء يوم بعد يوم حيث ألقت الحرب العالمية الثانية بظلالها على كل جوانب الحياة في مصر ، ومما زاد الوضع سوء هو محاولة القوات البريطانية المحتلة لمصر سد النقص الحاصل لديها في الدعم بسبب الحرب عن طريق نهب مقدرات الشعب وتمويل قواتها الموجودة هناك ، حيث أجبرت الفلاحين المصريين على بيع منتجاتهم للقوات المحتلة بأسعار بخسة جدا ، وبما أن القطن المصري يعتبر من أهم المنتجات الزراعية هناك فقد عمدت القوات المحتلة إلى فرض الضرائب الباهظة على هذا المنتج الحيوي ، وأمام هذه الإجراءات التعسفية التي قامت بها القوات المحتلة هجر الفلاح الأراضي الزراعية وحدث ما يعرف بـ (الهجرة من الريف إلى المدينة) والتي سببت البطالة في المدن بسبب زيادة الأيدي العاملة في المدن المصرية وزاد الضغط على الموارد الاقتصادية المتاحة ، ساهمت كل الأوضاع غير المستقرة وبشكل كبير في صعود بعض الجماعات سواء كانت جماعات اسلامية مثل جماعة الأخوان المسلمين كقوى إسلامية حديثة بارزة ، او جماعات قومية كانت تنادي بالاستقلال عن بريطانيا وبناء دولة

مصرية مستقلة ، وكان على رأس تلك القوى حزب الوفد المصري والذي يعتبر من اهم الأحزاب القومية البارزة والتي لعبت دورا كبيرا في قيادة الحركة الوطنية المصرية [٢٦] .

كان صعود حركة الأخوان المسلمين من الأحداث المهمة على الساحة المصرية، حيث اتخذت هذه الجماعة من التصفية الجسدية للخصوم طريقة للوصول إلى أهدافها فكان من الطبيعي أن تتولد لدى الشعب المصري بشكل عام والطبقة السياسية بشكل خاص نوعا من الرهبة ، كان لجماعة الأخوان المسلمين جهاز سري وهو من تشكيلاتها السرية والذي يمتاز بهيكلية معقدة وبشكل هرمي حيث يتمتع أعضاء الجهاز ببيعة خاصة تتضمن الولاء المطلق للجماعة ، وكانت العضوية في الجهاز محاطة بسرية تامة لدرجة أن معظم أعضاء جماعة الأخوان لم يكونوا على دراية بوجوده ، ومن الجدير بالذكر أن الجهاز السري للإخوان المسلمين كان هو المسؤول عن الاغتيالات وتصفية خصوم الجماعة [٢٧] .

كان صعود حركة الأخوان المسلمين من الأحداث المهمة على الساحة المصرية ، حيث اتخذت هذه الجماعة من التصفية الجسدية للخصوم طريقة للوصول إلى أهدافها فكان من الطبيعي أن تتولد لدى الشعب المصري بشكل عام والطبقة السياسية بشكل خاص نوعا من الرهبة ، كان لجماعة الأخوان المسلمين جهاز سري وهو من تشكيلاتها السرية والذي يمتاز بهيكلية معقدة وبشكل هرمي حيث يتمتع أعضاء الجهاز ببيعة خاصة تتضمن الولاء المطلق للجماعة ، وكانت العضوية في الجهاز محاطة بسرية تامة لدرجة أن معظم أعضاء جماعة الأخوان لم يكونوا على دراية بوجوده ، ومن الجدير بالذكر أن الجهاز السري للإخوان المسلمين كان هو المسؤول عن الاغتيالات وتصفية خصوم الجماعة [٢٨] .

٢. حادثة اغتيال حسن ألبنا

تعد عملية اغتيال حسن ألبنا حدثنا مفصليا في تاريخ مصر الحديثة والتي أحدثت تحولا عميقا في المشهد السياسي المصري وأثار جدلا واسعا حول أسبابها ودوافعها ، يرجع سبب الاغتيال إلى العديد من العوامل المتداخلة التي أدت إلى اغتيال مؤسس جماعة الأخوان المسلمين ، فقد كان الصراع السياسي كبير جدا لدرجة أن جميع التيارات في مصر قد شاركت بهذا الصراع ، وكانت جماعة الأخوان المسلمين تمثل قوة سياسية متنامية تهدد مصالح بعض الأطراف السياسية ، أن الخوف من تمدد جماعة الأخوان المسلمين اثأر

القوى السياسية التقليدية والحكومة على حدا سواء ، وان هذا التمدد قد يؤثر على النظام السياسي بشكل عام لاسيما وان جماعة الأخوان المسلمين متهمة بالإرهاب والتدخل في الشؤون الداخلية للدولة وهذا ما زاد من التوتر بين الجماعة والحكومة [٢٩] .

ارادت الحكومة المصرية اضعاف جماعة الأخوان المسلمين بكل الطرق والاساليب ، وكان اغتيال قائد هذه الجماعة يمثل ضربة قوية لها مما يؤدي الى اضعافها بشكل كبير وتشتت رأي الجماعة لاسيما وان حسن البنا كان القائد والمؤسس وهو من يتخذ القرارات المهمة للجماعة وباقي الاعضاء يكنون له الطاعة والتنفيذ ، ولم تكن الحكومة المصرية وحدها تريد التخلص من جماعة الأخوان المسلمين بل اكثر القوى السياسية الفاعلة في الساحة المصرية كانت ترى في صعود الأخوان المسلمين وسيطرتهم على الراي العام المصري يمثل اضعاف لشعبيتهم وجودهم داخل الشارع المصري [٣٠] .

لم يكن اغتيال رئيس الوزراء السابق محمود فهمي النقراشي والذي اتهم الاخوان المسلمين بقتله هو السبب الوحيد الذي جعل حكومة ابراهيم عبد الهادي باشا (١٨٩٦ – ١٩٨١)[٣١] تفكر وبشكل جدي بالتخلص من قائد الجماعة بل كان هناك العديد من عمليات الاغتيال التي نفذها الجهاز السري للجماعة ضد ضباط ورجال سياسة واثارت الفتن والفوضى داخل المجتمع ، لذلك اصبح من الضروري توجيه ضربة موجعه لهذه الجماعة يمكن من خلالها اضعافها او زولها بشكل نهائي [٣٢] .

تم استدراج حسن البنا عن طريق ابلاغه من قبل الحكومة بأن يحضر الى جمعية الشبان المسلمين لأجراء جلسة جديدة من المفاوضات، بالفعل حضر حسن البنا ومعه صهره عبد الكريم منصور، وهو أحد اعضاء جماعة الأخوان المسلمين ولكن لم يحظر أي شخص يمثل الحكومة لا اجراء المفاوضات المزمع اجرائها، وبعد انتظار طويل طلب حسن البنا من محمد الليثي ان يحظر لهم سيارة تكسي للذهاب وعند صعود البنا للسيارة اقترب رجلان من سيارة التاكسي التي تقل حسن البنا وعبد الكريم منصور وقاما بأطلاق النار بشكل كثيف، الا ان حسن البنا تمكن من القفز من السيارة والجري لمسافة ١٠٠ متر تقريبا الا انه لم يفلت من القاتل الذي استمر بملاحقته واطلق عليه رصاصة من مسافة متر تقريبا [٣٣] .

كل الدلائل والوقائع تشير الى ان جهات من داخل حكومة ابراهيم عبد الهادي والقصر هي من دبرت عملية الاغتيال لحسن البنا ، حيث اشدت الخلافات بين الجماعة والحكومة بعد اغتيال محمود فهمي النقراشي ومجيئ ابراهيم عبد الهادي والذي عرف بتعامله الشديد والحازم مع جماعة الأخوان المسلمين ، لاسيما وان الأخوان المسلمين بعد اغتيال النقراشي صعدوا وبشكل كبير من الاغتيالات واعمال العنف التي ولدت نوع من الارباك في الشارع المصري ، لذلك تم الايعاز الى الشرطة السرية في وزارة الداخلية المصرية والتي تعرف بـ (جهاز الامن السري) بتنفيذ عملية الاغتيال ويتضح ذلك من خلال التواطئ الحاصل بين رجال الشرطة الموجودين قرب جمعية الشبان المسلمين مع العنصرين اللذان نفذا عملية الاغتيال ، اضافة الى ذلك فأن حسن البنا وعبد الكريم منصور لم يقتلا بشكل مباشر بل بقيا ينزفان في الشارع لمدة ساعة تقريبا دون السماح للإسعاف اخذهم الى المستشفى لتلقي العلاج ، وعند وصول البنا ورفيقه الى المستشفى لم يتم تقديم العلاج الكافي لهم وتركهم الى ان فارقوا الحياة [٣٤] .

وفي اجراء اخر يدل على تورط الحكومة المصرية والقصر في اغتيال حسن البنا منعت الشرطة المصرية الناس من الاقتراب من بيت المرشد ولم تسمح لا احد من المشاركة في تشيع الجنازة ، ولم يستطيع احد من حمل النعش سوى والد المرشد احمد عبد الرحمن البنا وهو رجل عجوز و(مكرم عبيد)[٣٥] وثلاث نساء ، وكان مكرم عبيد باشا الرجل الوحيد الذي سمح له البوليس السياسي الوصول الى بيت حسن البنا لأنه كان قبطيا فلم يكن محل تهمة بانتمائه للإخوان المسلمين وان مكرم عبيد كان من اصدقاء حسن البنا المقربين ، وصلى عليه صلاه الجنازة في مسجد قيسون وتم دفنه في مقابر الاسرة بمنطقة الامام الشافعي في قبر مساوى بالأرض [٣٦] .

ثالثا: تداعيات اغتيال مؤسس حركة جماعة الأخوان المسلمين حسن البنا

ولَد اغتيال حسن البنا حالة من الانقسام بالراي العام ، فقد اعتقدت مجموعة من الشعب المصري ان اغتيال المرشد العام لجماعة الأخوان المسلمين سوف يؤدي الى تفكك الجماعة وانه من الضروري الان حظرها والتخلص من وجودها بشكل نهائي لاسيما وان بقائها يشكل خطرا كبيرا على البلاد ، بسبب الاعمال العدائية التي يقومون بها ونشر

الفوضى والفتن بين الشعب الواحد ، اما المجوعة الاخرى من الشعب المصري ، فقد كانت ضد عملية الاغتيال واعتقدوا ان مثل هكذا عملية تقوم بها او دعمها الدولة لم تجلب للبلاد غير الدم والاقتتال الداخلي ،لاسيما وان جماعة الأخوان المسلمين اصبحت قوة كبيرة وفاعلة على الساحة المصرية وانتمى اليها عدد غير قليل من الشباب المصريين المتحمسين ، وان اعمال العنف التي قامت به الدولة والقصر سوف يكون الرد عليها من قبل الأخوان بأعمال عنف مشابه او اكثر دموية [٣٧]

تعتبر عملية اغتيال مؤسس جماعة الأخوان المسلمين حسن البنا حدثا مفصليا في تاريخ مصر الحديث بشكل خاص والوطن العربي بشكل عام ، حيث وصل تأثير هذا الخبر لكل من سوريا ولبنان والعراق فهذا الاغتيال اعاد تشكل علاقة الجماعات ذات الطابع الاسلامي مع الدول ، ولم يكن احد توقع ان تقوم الحكومة المصرية وبإيعاز مباشر من القصر باغتيال شخصية مؤثرة مثل حسن البنا ، الذي طالما تحلا بنوع من الدبلوماسية واللين في التعامل مع الدولة ، فقد كان الرجل شخصية قيادية في المجتمع المصري وان عملية اغتياله اثارت ردة فعل لدى كل اطياف الشعب المصري واثار نوع من التعاطف مع الجماعة والتي ظهرت بدور ضحية من ضحايا الدولة المصرية التي كانت تعتبر حكومة بوليسية بسبب سياسات ابراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء ومن خلفه الجهاز السري وهو المسؤول عن الاغتيال بشكل مباشر والذي لم يكتفي باغتيال المرشد الاعلى للجماعة انما قام بالعديد من عمليات الاعتقال طالت اكثر قيادات الأخوان وتم زجهم في السجون دون توجيه أي تهمه لهم [٣٨]

اربكت عملية اغتيال حسن البنا الجماعة بشكل كبير لاسيما وان العملية جاءت بشكل مباغت ولم يكن احد من الأخوان يتوقع قيام حكومة ابراهيم عبد الهادي باغتيال المرشد ، وبسبب الارباك الذي حل بالجماعة لم تصدر ردة فعل مباشرة منها الا بعض المقالات التي تلمح لمنفذي العملية والذين ساعدوهم على هذا الفعل ، حاول من تبقى من الأخوان المسلمين خارج السجون من رص الصفوف وعدم الانجرار الى صدام مسلح او مظاهرات كبيرة تثير الحكومة والجهاز السري والذي يتحين الفرص للقضاء على الجماعة بشكل كامل واكتفوا بعقد اجتماعات داخلية لترتيب وضع الجماعة ، حاولت القيادات في

جماعة الأخوان المسلمين من توظيف سردية الشهيد المؤسس والتي صارت فيما بعد ركيزة في شرعية الجماعة وأدبيتها التربوية ، رغم محاولة اعضاء الأخوان رص الصفوف وعقد الاجتماعات الا ان حالة من الارباك كانت تسيطر على الاجواء العامة للجماعة ويتضح ذلك الامر في تأخر الجماعة بختيار مرشد جديد يكون خليفة لحسن البنا الا بعد مرور حوالي ثلاث سنوات تقريبا حيث تم اختار المستشار حسن الهضيبي [٣٩] كمرشد للجماعة سنة ١٩٥١ [٤٠] .

الخاتمة

تبين لنا من خلال البحث ان عملية الاغتيالات السياسية في مصر لم تكن احداثا معزولة او طارئة عن السياق التاريخي ، وانما مثلت وشملت معظم تاريخيها سواء كان التاريخ القديم او الاسلامي او الحديث والمعاصر ، حيث تمثل الاغتيالات تشابكا بين عوامل معقدة سواء كانت عوامل سياسية او اجتماعية او اقتصادية او فكرية ، وبرزت عمليات الاغتيالات السياسية بشكل كبير بداية القرن العشرين توافقت هذه العمليات مع بداية تشكيل ملامح الدولة الحديثة وتشكيل الحركات الوطنية والتي كانت لديها أيديولوجيات متصارعة ، هذا الاختلاف والتصارع بين التيارات وجد في العنف السياسي اداه فاعلة لتسويه الصراعات عن طريق اقصاء الخصوم ، بعدما ضاقت عليهم القنوات السلمية والتفاهم بسبب ضعف مؤسسات التفاوض نفسها وتمثيلها .

يتضح لنا كل ما سبق ما اثبتته الوقائع التاريخية في بداية القرن العشرين حيث تم اغتيال بطرس غالي (١٩١٠) ، والذي جاء ردا على ما قام به بمحكمة قرية دنشواي ، مرورا بحادث اغتيال احمد ماهر باشا (١٩٤٥) واغتيال رئيس الحكومة محمود فهمي النقراشي (١٩٤٨) ، اضافة الى عمليات اغتيال كثيرة لشخصيات سياسية مصرية وصولا الى عملية اغتيال مؤسس جماعة الأخوان المسلمين ومرشدها حسن البنا (١٩٤٩) ، والتي تعتبر من الحوادث المهمة والمؤثرة في تاريخ مصر حيث كانت عمليات الاغتيال تقوم بها اطراف معارضة للحكم والوجود البريطاني في مصر ولكي تثبت وجودها و وطنيتها كانت تقوم بين الحين والاخر بعملية اغتيال لشخصيات مؤثرة بالواقع السياسي ، لكن عملية اغتيال

حسن البنا قامت بها اطراف تنتمي للحكومة والقصر وهذا ما يدل على ان عملية الاغتيال في مصر شهدت تطورا واضحا حيث انتقل العنف من الجماعات المعارضة والتي توصف باليسارية الى الدولة المصرية ومن خلفها القصر ، حيث توسعت عمليات الاغتيال السياسي واصبحت الاغتيالات السياسية صياغة للسياسات الامنية للدولة تحت ذريعة (الحفاظ على النظام العام) .

يمكن القول ان تداعيات الاغتيالات السياسية تجاوزت نتائجها المباشرة على الافراد المستهدفين بهذه العمليات لتطال بنية النظام السياسي نفسه، وفي المحصلة ان دراسة الاغتيالات في مصر ليست مجرد رصد لحوادث عنف منفردة يمكن اعتبارها حوادث عابرة او حوادث مفرده، واتضح بشكل لا يقبل الشك ان لغة الحوار والتفاهم بين القوى السياسية الفاعلة على الساحة المصرية كانت تفتقر الى لغة الحوار والتفاهم وكثيرا ما تلجئ الى العنف المتبادل لتصفية الخلافات فيما بينها، رغم كل هذا ولكن لا ننسى ما للأطراف الخارجية والتي كانت فاعلة في السياسة المصرية دور في تغذية روح العنف والاقصاء لدى الساسة المصريين ونقصد هنا قوات الاستعمار البريطاني.

تكمن اهمية عملية اغتيال مرشد الأخوان المسلمين حسن البنا بانها اول عملية اغتيال لقائد جماعة اسلامية من قبل الدولة، حيث لم يكن هذا الفعل حدثا عابرا بل كانت نقطة تحول في تاريخ مصر بشكل خاص والوطن العربي بشكل عام حيث تردد صدى هذه العملية في سوريا ولبنان والعراق، لا سيما وان الجماعات الاسلامية لا تعترف بوجود حدود للدول، لذلك اعتبرت عملية اغتيال حسن البنا حدثا محوريا في تاريخ الصراع بين التيارات الاسلامية والأنظمة الحاكمة.

المصادر والمراجع

(١) إبراهيم نصحي، دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة، مكتبة الانجلو مصرية، ١٩٥٩.

(٢) أبو العباس الشجيري محمد، التنظيم السري السياسي العسكري عند الإخوان المسلمين بأقلامهم (دراسة نقدية)، دار سبيل المؤمنين، ط١، القاهرة

(٣) احمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، مؤسسة الشعب، القاهرة.

(٤) احمد عادل كمال، النقط فوق الحروف (الأخوان المسلمون والنظام الخاص)، ط٢، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٩.

(٥) جابر رزق، مذابح الأخوان في سجون ناصر، ط٢، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٨.

(٦) جلال يحيى وخالد نعيم، مصر الحديثة ١٩١٩ – ١٩٥٢، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

(٧) حسن ألبنا، مذكرات الدعوة والداعية، مكتبة أفاق، الكويت، ٢٠١١

(٨) خالد عرب وصفاء خليفة، الاغتيالات السياسية في مصر، دار الكتب العربية، بيروت

(٩) رءوف عباس حامد ومحمد صابر عرب، مصر في القرن العشرين (مختارات من الوثائق السياسية، المجلد الأول، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٢.

(١٠) زكريا سليمان بيومي، الاتجاه الإسلامي في القوة المصرية ١٩١٩، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٣.

(١١) سعيد عبد الرزاق يوسف عبد الله، محمود فهمي النقراشي ودوره في السياسة المصرية وحل جماعة الأخوان المسلمين ١٨٨٨ – ١٩٤٨، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.

(١٢) عبد الطيف بن محمد بن احمد باشميل، جماعة الأخوان المسلمين، جدة، ٢٠١٢.

(١٣) عبد العظيم رمضان، الإخوان المسلمون والتنظيم السري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،١٩٩٣.

(١٤) عبد العظيم رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩١٨ – ١٩٣٦، ط٣، ج١، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨.

(١٥) عبد الوهاب بكر، البوليس السياسي المصري ١٩٢٢ – ١٩٥٢، ط١، القاهرة.

(١٦) علي بن السيد الوصيفي، الإخوان المسلمون من هم وماذا يريدون (دراسة نقدية مختصرة) دار الفرقان للطباعة، ط١، القاهرة، ٢٠١٢.

(١٧) مارسيل كولومب، تطور مصر ١٩٢٤ – ١٩٥٠، ترجمة زهير الشايب، مكتبة مدبولي، القاهرة.

(١٨) محسن محمد، من قتل حسن ألبنا، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧.

(١٩) محمد عبد السلام الشامي، الملك توت، ١٩٦٥، القاهرة

(٢٠) محمد عزيز محمد سيف، إبراهيم عبد الهادي ودوره في السياسة المصرية واغتيال حسن ألبنا مرشد جماعة الأخوان المسلمين، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ٢٠١٤

(٢١) محمد عساف، مع الامام الشهيد، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣.

(٢٢) محمد محمود خليل، الاغتيالات السياسية في عهد الدولة الفاطمية ٥٦٧ – ٣٥٨هـ ٩٦٩ – ١١١٧ م، مكتبة مدبولي

(٢٣) محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون من الداخل، دار الدعوة للطباعة، ط٥، الإسكندرية، ١٩٩٤.

(٢٤) مصطفى الفقي، الاقباط في السياسة المصرية مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية، ط٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٨.

(٢٥) مي عبد الفتاح عبد العزيز داود، نشأة جماعة الإخوان المسلمين وعلاقتها ببعض نظم الحكم في مصر، بحث منشور في مجلة البحث العلمي في الآداب، العدد التاسع عشر، ج٢، ٢٠١٨.

(٢٦) نبيه عبد ربه، حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان، دار الضياء للنشر، القاهرة، ١٩٨٧.

(٢٧) هدى شامل اباظة، النقراشي، ط١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧.

(٢٨) يوسف الندا، من داخل الإخوان المسلمين، القاهرة، ٢٠١٢.

الهوامش:

[١] محمد عبد السلام الشامي ، الملك توت ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٣

[٢] إبراهيم نصحي ، دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة ، المكتبة الانجلو مصرية ، ١٩٥٩ ، ص٩٠

[٣] محمد محمود خليل ، الاغتيالات السياسية في عصر الدولة الفاطمية ٥٦٧ – ٩٦٩ هـ – ١١٧١ ، مكتبة مدبولي ، ص ٥٢ .

[٤] حادثة دنشواي : حادثة وقعت في يوم ١٤ تموز ١٩٠٦ في قرية دنشواي في محافظة المنوفية جنوب الدلتا في مصر ، حيث قام الضباط البريطانيين اطلاق النار على الفلاحين فحدثت مواجهة بين الطرفين وهرب الضباط البريطانيين مما ادى الى وفاة احدهم بضربة شمس ، تم تشكيل محكمة خاصة بهذا الحادث برئاسة بطرس غالي : صلاح عيسى ، حكاية جلاد دنشواي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة

[٥] خالد عرب وصفاء خليفة ، الاغتيالات السياسية في مصر ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ص١٤

[٦] جلال يحيى وخالد نعيم ، مصر الحديث ١٩١٩ – ١٩٥٢ ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، ص ٢٣١ .

[٧] (احمد ماهر باشا ١٨٨٨ – ١٩٤٥) سياسي مصري ، ولد في القاهرة وأكمل دراسة الحقوق فيها ثم سافر إلى فرنسا وأكمل تعليمه فيها في مونبلييه بفرنسا ، اشترك في الحركات القومية معَ سعد زغلول وكان لهُ نشاط في الجهاز السري للوفد ، عين وزيراً للمعارف في وزارة سعد زغلول ١٩٢٤ ، ألف حزب سماه " الحزب السعدي " ١٩٣٧ ، تولى رئاسة مجلس الوزراء سنة ١٩٤٤ ، ورئاسة مجلس النواب مرتين ، تم اغتياله لأسباب سياسية سنة ١٩٤٥ ؛ خير الدين الزركلي ، الاعلام قاموس تراجم لا اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ،ج١، دار العلم للملاين ، ط٥ ، بيروت ،١٩١٨ ، ص٢٠٢

[٨] خالد عرب وصفاء خليفة ، المصدري السابق ، ص ١٩٢ .

[٩] (محمود فهمي النقراشي ١٨٨٨ – ١٩٤٨) سياسي مصري ولد في الإسكندرية وأكمل تعليمه فيها ، ثم سافر إلى أنكلترا واكمل تعليمه ، عاد إلى مصر سنة ١٩١٩ ، عين وكيلاً لمحافظة القاهرة في وزارة سعد زغلول ١٩٢٤ ، تولى التنظيمات السرية والعلنية لحزب الوفد أيام سعد زغلول ،أنشق عن الوفد وانظم إلى حزب السعديين معَ احمد ماهر ١٩٣٧ ، أصبح رئيس الحزب بعد مقتل احمد ماهر سنة ١٩٤٥ ، عين رئيسا للوزراء سنة ١٩٤٥ – ١٩٤٦ ، قام بحل جماعة الاخوان المسلمين

فتحولت إلى جمعية سرية ، تم اغتياله في بناية وزارة الداخلية سنة ١٩٤٨ . خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج٧، ص١٨٠ – ١٨١.

(١٠) يوسف الندا ، من داخل الأخوان المسلمين ، القاهرة ، ٢٠١٢ ، ص ٣٣ .

(١١) هدى شامل اباظة ، النقراشي ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٣١ .

(١٢) سعيد عبد الرزاق يوسف عبد الله ، محمود فهمي النقراشي ودوره في السياسة المصرية وحل جماعة الأخوان المسلمين ١٨٨٨ – ١٩٤٨ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ٦٢١ – ٦٥٥ .

(١٣) مارسيل كولومب ، تطور مصر ١٩٢٤ – ١٩٥٠ ، ترجمة زهير الشايب ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ص ٣٠١ – ٣٠٢ .

(١٤) جابر رزق ، مذابح الأخوان في سجون ناصر ، ط٢ ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ١٧ – ١٨ .

(١٥) مي عبد الفتاح عبد العزيز داوود ، نشأة جماعة الأخوان المسلمين وعلاقتها ببعض نظم الحكم في مصر ، بحث منشور في مجلة البحث العلمي في الآداب ، العدد التاسع عشر ،ج٢ ، ٢٠١٨ ،ص٣.

(١٦) عبد الطيف بن محمد بن احمد باشميل ، جماعة الأخوان المسلمون ، جدة ، ٢٠١٢ ، ص١٠٠ .

(١٧) مي عبد الفتاح عبد العزيز داود ، نفس المصدر ، ص٥

(١٨) حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية ، مكتبة أفاق ، الكويت ، ٢٠١١ ، ص٣٠ .

(١٩) حسن ألبنا ، المصدر نفسه ، ص٢٧

(٢٠) محمود عبد الحليم ، الأخوان المسلمين من الداخل ، دار الدعوة للطباعة ، ط٥ ، الإسكندرية ، ١٩٩٤ ، ص١٩ .

(٢١) محمود عبد الحليم ، نفس المصدر ، ص٢٠ .

(٢٢) محسن محمد ، من قتل حسن البنا ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص١٣ .

(٢٣) حسن ألبنا ، المصدر السابق ، ص٨٥

(٢٤) محمود عبد الحليم ، الأخوان المسلمين من الداخل ، دار الدعوة للطباعة ، ط٥ ، الإسكندرية ، ١٩٩٤ ، ص١٩ .

(٢٥) عبد الوهاب بكر ، البوليس السياسي المصري ١٩٢٢ – ١٩٥٢ ، ط١ ، القاهرة ، ص ٣

(٢٦) عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩١٨ – ١٩٣٦ ، ط٣ ، ج١ ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٩٨ ، ص٣٥٤ .

[٢٧] أبو العباس الشجري محمد ، التنظيم السري السياسي العسكري عن الأخوان المسلمين بأقلامهم (دراسة نقدية) ، دار سبيل المؤمنين ، القاهرة ،ط١ ، ٢٠١١ ، ص١٧٤ .

[٢٨] أبو العباس الشجري محمد ، التنظيم السري السياسي العسكري عن الأخوان المسلمين بأقلامهم (دراسة نقدية) ، دار سبيل المؤمنين ، القاهرة ،ط١ ، ٢٠١١ ، ص١٧٤ .

[٢٩] علي بن السيد الوصيفي ، الأخوان المسلمين من هم وماذا يريدون (دراسة نقدية مختصرة) ، دار الفرقان للطباعة ، ط١ ، ٢٠١٢ ، ص٢٨

[٣٠] محسن محمد ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

[٣١] (ابراهيم عبد الهادي ١٨٩٦ – ١٩٨١) سياسي مصري ، ولد في قرية الزرقا التابعة لمحافظة الدقهلية ، كان والده من الاعيان شارك في ثورة ١٩١٩ ، تم الحكم عليه بالمؤبد بسبب نشاطه السياسي ، اطلق سراحه بعد ثلاث سنوات عام ١٩٢٤ ، وشغل العديد من المناصب مثل وزير للمالية في حكومة محمود فهمي النقراشي ، ورئيسا للديوان الملكي ، شكل حكومته في ١٩٤٨ ، وكان معروف بالشدة بالتعامل مع جماعة الأخوان المسلمين ، لتفاصيل اكثر انظر: محمد عبد العزيز محمد سيف ، ابراهيم عبد الهادي ودوره في السياسة المصرية واغتيال حسن البنا مرشد جماعة الأخوان المسلمين ، المكتب العربي للمعارف ، القاهرة ، ٢٠١٤ .

[٣٢] رؤوف عباس حامد ومحمد صابر عرب ، مصر في القرن العشرين (مختارات من الوثائق السياسية)،المجلد الاول ،مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص٨٦٣ .

[٣٣] خالد عرب وصفاء خليفة ، المصدر السابق ، ص ٤٢٥ ؛ محسن محمد ، المصدر السابق ، ص٥١١ .

[٣٤] محسن محمد ، المصدر السابق ، ص٥١٨ .

[٣٥] (**مكرم عبيد** ١٨٨٩ – ١٩٦١) : سياسي مصري ، قبطي الديانة ، ووزير للمالية ، درس القانون في اكسفورد ، حصل على الدكتوراه عام ١٩١٢ ، عمل سكرتير لجريدة الوقائع المصرية ، في عام ١٩١٩ انضم إلى الوفد المصري ، أصبح وزيراً للمواصلات في وزارة النحاس الأولى ١٩٢٨ ، تم تعينه وزيراً للمالية بعد معاهدة ١٩٣٦ ، انشق عن الوفد بسبب اختلاف مع السيدة زينب الوكيل حرم مصطفى النحاس ، شن هجمة ضارية على مصطفى النحاس من خلال كتاب أصدره تحت عنوان " الكتاب الأسود " رفعه إلى الملك فاروق في ١١ اذار ١٩٤٣ . لمزيد من التفاصيل انظر: مصطفى الفقي، الأقباط في السياسة المصرية مكرم عبيد ودروة في الحركة الوطنية، ط٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٨.

[٣٦] احمد عادل كمال ، النقط فوق الحروف (الأخوان المسلمون والنظام الخاص)،ط٢،الزهراء للأعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص٣٠٤

[٣٧] محسن محمد ، المصدر السابق ، ص٨ – ١١ .

[٣٨] محمد عساف ، مع الامام الشهيد ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٢١٧ – ٢١٨ ؛ احمد عادل كمال ، المصدر السابق ، ص٣١٢ .

[٣٩] حسن اسماعيل الهضيبي – ١٨٩١– ١٩٧٣ : ولد في قرية عرب التابعة لمحافظة القليوبية ، حفظ القران والتحق بالأزهر ثم إلى الدارسة المدنية ، اكمل دراسة الحقوق ١٩١٥ تدرج بالمناصب حتى وصل إلى رتبة مستشار ، تم اختياره مرشدا لجماعة الأخوان المسلمين ١٩٥١ ، حاول ابعاد الجماعة عن اعمال العنف بكل الاشكال وانتهج نهجا سياسيا بعيدا عن العنف ، تعرض للسجن اكثر من مرة ، توفي في القاهرة ١٩٧٣ ، للمزيد انظر : نبيه عبد ربة ، حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان ، دار الضياء للنشر ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

[٤٠] احمد عادل كمال ، المصدر السابق ، ص ٢١٤ – ٢١٥ .

المراسيم والتشريفات الدبلوماسية في الدولة الزيانية

Diplomatic ceremonies and protocols in the Zayyanid state

م.م ولاء لعيبي جلاب

walaa.luaibi2205p@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.د زينب مهدي رؤوف

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

المراسيم والتشريفات الدبلوماسية في الدولة الزيانية

م.م ولاء لعيبي جلاب
أ.د زينب مهدي رؤوف

الملخص

تضمن هذا البحث دراسة حول (المراسيم والتشريفات الدبلوماسية في الدولة الزيانية (٦٣٢-٩٦٤هـ/١٢٥٣-١٥٥٦م)وذلك من خلال تتبع أهم المراحل التي مر بها هذا النظام وتطوّره ،كما يسلط الضوء أكثر لتلك المراسيم والتشريفات السلطانية من حيث التمثيل الدبلوماسي ومراسيم وتشريفات استقبال السفراء،كما ركزنا في هذا البحث عن مراسم عقد الاتفاقيات والمعاهدات مع الدول ،حتى أضحت الدولة الزيانية من البلدان الإسلامية الراقية حضاريا وعلى جميع جوانب الحياة المختلفة.

Abstract

This research includes a study on (diplomatic decrees and protocols in the Zayyanid state (632-964 AH / 1253-1556 AD) by tracing the most important stages that this system went through and its development, and it also sheds more light on those royal decrees and protocols in terms of diplomatic representation and the decrees and protocols of receiving ambassadors. We also focused in this research on the ceremonies of concluding agreements and treaties with countries, until the Zayyanid state became one of the advanced Islamic countries in terms of civilization and in all different aspects of life.

الكلمات المفتاحية : (مراسيم ، تشريفات ، الزيانية ، المغرب الأوسط ، نظم الحكم ، الإدارة)

Keywords: (ceremonies, ceremonies, Zayyanid, central Morocco, systems of government, administration)

المقدمة :

أسندت الدولة الزيانية مهمة كتابة الأوامر الدبلوماسية من خلال (كاتب الانشاء) الذي يقع على عاتقه تحرير رسائل وعقود ومعاهدات السلطان الزياني المتبادلة الى ملوك وسلاطين الدول الأخرى أو الى عماله وموظفيه داخل دولته من ولاة وقضاة وأصحاب الاشغال، وان عملية الكتابة تتم داخل ديوان الانشاء وهو اشبه بديوان الرسائل او المكاتبات الا ان الدولة الزيانية اعتمدت على تسميته بديوان الانشاء لأن الأمور السلطانية من رسائل ومكاتبات وعهود تبتدأ من انشاء الكاتب ولأنه ينشئ لكل واقعة مقالا.(١)

ومن المراسيم الإدارية للدولة الزيانية في انشاء الرسائل السلطانية وتحريرها ان يجلس الكاتب في الديوان ويكتبها بنفسه او يملي على احد مساعديه ليكتبها فيذكر ابي حمو: " ويجب على هذا الكاتب التي تقدمت صفته ووصفت نباهته، ومعرفته أن يكون دربا في قراءة الكتب وسردها متحرزا من ألفاظ شائنة أو وصمة في ضمن الكتاب، ثاقبة فإنه ربما يجب فيها ما يكون في حق الجلساء وصما وقبيحا يستحق في الوقت كتمانه فيتجاوز الكاتب ذلك اللفظ المتين ولا يبينه في الحين ثم ينتظر به خلوة إليك فيعيد قراءته عليك، ويظهر لك ما أخفاه عن الجلساء، فيعد ذلك من جملة فطنته والذكاء، فإذا فرغ الكاتب من عرض كتبك وتلقى بالتوقع ما أردت من إربك خرج لكتابة ما أمرته به ". (٢)

ومن مراسيم الكاتب الزياني ان يقرأ للسلطان الرسائل والخطابات الواردة له ويكون ذلك بمجلس السلطان وبحضور الوزير، وعلى الكاتب ان يكون عليما بقراءة الكتب وسردها وان يتحفظ عن قراءة الالفاظ المسيئة فيتجاوز عنها ولا يبينه امام الحضور وانما يكون خلوة بينه وبين السلطان فيعيد عليه قراءة الكتاب وما تضمنه من الفاظ مشينة فذلك يكون من فطنة وذكاء الكاتب . (٣)

أولا / التمثيل الدبلوماسي في الدولة الزيانية:

وضع أبو حمو موسى الثاني أسس الدبلوماسية التي تسير عليها الدولة من خلال مخطوطته التي ذكر فيها الكثير من النصائح السياسية والإدارية، وقد أولى اهتمامه في مؤلفه للسفير والسفارة المكلفين بنقل الرسائل من والى الملك، وحدد جملة من الصفات التي ينبغي على الملك مراعاتها في اختيار شخصية السفير منها ان يكون قريب من عائلة الحاكم

ومن عشيرته ولابد ان يكون قوي العزيمة والصبر وصادق القول والعمل، محافظا على دينه كاتما للسر، فصح اللسان، جميل المنظر، محبا في السلطان، راغبا في مصلحة الملك وغلبته . (٤)

كانت تلك الصفات المحمودة التي وضعها أبو حمو في السفير لكي يكون منأى عن الشبهات وتمثيل الدولة أحسن تمثيل، فاذا كان الرسول ام المبعوث مهمته تنحصر في تأدية رسالة معينة، فأن مهمة السفير أشمل من ذلك لتوطيد العلاقات وحسن الجوار مع الدول الأخرى، فقد كان التمثيل الدبلوماسية الزياني لدى الدول المسيحية نادرا بسبب قلة الرعايا الزيانيين المقيمين بالبلدان المسيحين ولم يكن هناك قنصل يمثل بني زيان لديهم، بل اكتفت الدولة الزيانية بتبادل السفراء المؤقتين، وعلى رغم هذه الصعوبات نجد هناك مراسيم لتبادل السفراء، ان الحالة الدبلوماسية التي كانت تحكم الدولة الزيانية مع الدول المسيحية هي حكم الجانب الشرعي في العلاقات العادية وهي الحرب، ومن ثم فكل المعاهدات المتعلقة بالسلم والتجارة والصداقة المبرمة بين دول ذات أديان مختلفة تسمى (معاهدات الهدنة) فلم تكن الحرب هي التي تندلع بل السلم، ولكل معاهدة مدة معينة، وكانت تتخذ اجراءات الاحتياط والحذر قبل ابرامها، وعادة كان يجب اقامة عدة سفارات أولية ثم تليها سفارة مفوضة فوق العادة، وفي هذه المرحلة النهائية من التفاوض كان نص المعاهدة يتم تحريره بلغة البلد الذي يصل اليه السفير المفوض فوق العادة، فيكون أصلا باللغة العربية اذا كان السفير المفوض فوق العادة من اسبانيا يمثل بلاده في المغرب، وكان نص المعاهدة يكتب من نسختين ويوضع في رسالتين تختم كل واحدة منهما بالشمع الأحمر. (٥)

ومن المراسيم الدبلوماسية ان يحمل السفير المفوض نص المعاهدة لغرض التوقيع عليها من قبل ملوك الدول المسيحية، ومن ثم يقرأ السفير نص المعاهدة بأعلى صوته على أبواب الدول المسيحية، ويرجع الى بلده حاملا معه الترجمة بالاسبانية أو باللاتينية، للمعاهدة المحررة بالعربية، كانت هذه الترجمة تكتب من نسختين تحمل كل منهما خاتم السلطان وبعد هذا يأتي الملك المسيحي الذي كان يصادق على المعاهدة بواسطة توقيعه بخاتمه في النسختين .(٦) أما مراسيم استقبال السفراء القادمين من الدول المجاورة فيتم استقبالهم في قصور السلطان الزياني لمدة ثلاثة أيام ومن بعدها يستدعيه السلطان لمعرفة غرض سفارته،

وبعد معرفة حاجة السفير يؤمر له بالهدايا حيث يذكر ان السلطان أبو حمو استقبل رسولا: " فأنزله المولى أبو حمو بدار كرامته، وولاه بما يليق من جميل إقامته. ولما كمل ثلاثة أيام استحضره، وسأله عن إتيانه".(٧)

فلما وصل السلطان ابو حمو الزياني إلى تلمسان طلب من ابن خلدون، واستدعاه لحجابته وعلامته، "**وكتب بخطه مدرجة في الكتاب نصها: الحمد لله على ما أنعم، والشكر لله على ما وهب، ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، حفظه الله، انك تصل إلى مقامنا الكريم بما خصصنا كم به من الرتبة المنيعة، والمنزلة المنيفة، وهو قلم خلافتنا، والانتظام في سلك أوليائنا، وقد أعلمناكم بذلك، وكتب بخط يده عبد الله المتوكل على الله، موسى بن يوسف لطف الله به وخار له، وبعده بخط الكاتب ما نصه: بتاريخ السابع عشر من شهر رجب الفرد الذي من عام تسع وستين وسبعمائة، عرفنا الله خيره، ونص الكتاب الذي هذه مدرجته، وهو بخط الكاتب أكرمكم الله يا فقيه أبا زيد ووالى رعايتكم، إنا قد ثبت عندنا وصح لدينا ما انطويتم عليه من المحبة في مقامنا، وتأدت إلي هذه الكتب السلطانية على يد سفير من وزرائه**".(٨)

كان منصب السفير يعهد الى أبناء سلاطين بني زيان في أوقات الشدة، فتم انتداب الأمير (أبو تاشفين) ابن السلطان ابي حمو موسى الثاني للسفارة التي أرسلت الى الدولة المرينية عام (٧٦٢هـ/١٣٦٠م) ورافقه وزير الدولة عمران بن موسى وقاضي الجماعة وجملة من اعلام من بني عبد الواد وقد حملت السفارة هدايا السلطان الزياني الى السلطان ابي سالم المريني عبارة عن مائة حصان من العتاق وما يرافقها من النفائس والذخائر، وقد تم استقبال هذه السفارة حسب ما تقتضيه المراسيم الدبلوماسية فرحب بهم ترحاب الملوك وأنسه بالمجلس من لين الكلام، وكذلك انزلهم القصور " أعد ملك المغرب السلطان أبو سالم لإنزالهم الدور الرحبة والفرش المرفهة والقرى الجزيل، وأركب للقائهم يوم الوصول أعلام دولته وكبار قبيله، واحتفل للسلام عليهم كل احتفاله، ومهد للأمير أعزه الله تعالى أريكة بإزاء سريره، ودخلوا فتلقاهم بالترحيب والبشر، وبالغ لهم في الإكرام والإكبار، وأظهر لهم الفرح، وبسط الآمال".(٩)

وقد نتجت عن هذه المراسيم الدبلوماسية التي قادتها الدولة الزيانية من قبل السلطان ابي حمو الثاني وبرئاسة ابنه السفير ابي تاشفين ان يضعوا حدا للحروب التي اندلعت بين الدولتين والتنازع على المناطق الشرقية، كما استطاع ابي تاشفين من خلال سفارته الى الدولة المرينية ان يقنع اشياخهم من خلال فصاحة لسانه حيث قال لهم بمحضر السلطان المريني أبا سالم:

" يا أيها الملك السعيد؛ إن مولاي وجهني للمصالحة والتسديد والكف عن المفاتنة، والجنوح إلى المهادنة؛ وأن يكون القبيلان يداً واحدة على الكفار، وحماة لدين الله، وإخواناً للانتصار؛ فإن الصلح مندوب إليه شرعاً، والخلاف منهي قطعاً، ويد الله مع الجماعة ".(١٠)

واستطاع الأمير أبو تاشفين من خلال تمثيله الدبلوماسي في البلاط المريني من تحقيق عدة اهداف كانت تسعى اليها الدولة الزيانية من خلال وقف الهجمات المرينية على حدود بني زيان واستمالة القبائل المرينية وحملهم للجنوح الى السلم من خلال خطاباته التي القاها عند السلطان المريني الذي خاطب القبائل المرينية بنفسه قائلا: " يا بني مرين ؛ أنظروا ما في السلطان أبي حمو من الرقة واللين ؛ جنح – بنفسه – للمصالحة، والمهادنة والموالاة، والمحاسنة؛ مع قدرتنا عليه فنعم ما فعل وما ندب إليه ؛ ولو بقي شره، وحقده؛ لم تقدروا على نكاله وصده، وهذه سير الملوك الكرام، والمحاولة التي تصدر من ملوك الإسلام". (١١)

والى جانب هذه النتائج الدبلوماسية استطاع أبو تاشفين من اطلاق سراح جميع اسرى بنو عبد الواد المعتقلين عند الدولة المرينية، وعند عودة سفارة أبو تاشفين ارسل السلطان المريني سفيرين يرافقان الأمير الزياني محملين بالهدايا، وقد استقبلهم السلطان الزياني أبي حمو أعظم استقبال فرحا لعودتهم واستبشارا بنجاح سفارته الدبلوماسية، فكان لدخوله بروزاً عظيماً، وصيتاً جسيماً، ورحب السلطان الزياني برسولي السلطان المريني الذي كان بينهم ونزمار بن عريف شيخ قبيلة سويد بالمغرب الأقصى وقال لهم " مرحباً برسولي خير الملوك الأحرار ". (١٢)

وقد كان علماء وفقهاء مدينة تلمسان الزيانية دورا كبيرا في التمثيل الدبلوماسي لدى الدولة الزيانية، فقد كانوا الوسيط في الصلح والمراسلة ونظرا لمكانتهم العلمية أسندت اليهم رئاسة السفارة المتوجهة الى الدول الأخرى، ومن هؤلاء الفقهاء الشريف (أبو عبد الله الحسني)[١٣] الذي ارسل من قبل السلطان ابي حمو الثاني الى السلطان أبا زيان المريني عام (٧٦٧هـ/١٣٦٥م) وكان الغرض من هذه السفارة التي ترأسها الشريف أبو عبد الله الحسني هو عقد الصلح بين الدولتين فدخل الشريف عاصمة المرينين (فاس) واستقبل من قبل المرينين بالترحاب، وفتح لإكرامهم كل باب.[١٤] وفي عهد السلطان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو عندما تولى مقاليد السلطة في تلمسان الذي ارسل سفارة بقيادة الشيخ أبي عبد الله بن جواد الوادي عام (٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، إلى الناصر محمد بن قلاوون، وحملت السفارة رسالة إلى الناصر تظهر نوايا السلطان تجاه دولة المماليك وتوضح سبب توتر العلاقة بينهما، كما تضمنت شكره للأخير لسماحه للحجاج التلمسانيين بالمرور عبر الأراضي المصرية، وجاء في نص الرسالة" **واشتمل عليه من التفضيل والإجمال، ومن أعظم ذلك إذنكم لنا في أداء فرض الحج المبرور، وزيارة سيد البشر الشفيع في المحشر، الذي وجبت له نبوته، ...، واعلم أننا لم تزل آمالنا متعلقة بتلكم المشاعر الكريمة، وقلوبنا متشوقة إلى تلكم المشاهد العظيمة، ...، وجرى الأمر على ما تحبه من ذلك وتختار، أن نمتع برؤية المواطن التي تقر أبصارا، ويتشفى بها إيرادا وإصدارا، ... وقد وجب شكركم علينا من كل الجهات واتصلت المحبة والمودة طول الحياة، غير أن في قلوبنا شيئا من ميلكم إلى غيرنا واستئناسكم، ونحن والحمد لله أعلم الناس بما يجب من حقوق ذلكم المقام الشريف ولنا القدرة على القيام بواجبكم والوفاء بكريم حقكم وليس بيننا وبين بلادكم من يخشى، والحمد الله من كيده ويبالي بهزله ولا جده**".[١٥]

وقد انزل أبا زيان المريني السفارة الزيانية: " بدار الكرامة خير إنزال، وتوعدهما ببلوغ الآمال، وبعد ثلاثة ؛ استحضرهما لحضرته بعد أن احتفل مشوره بوجوه نصرته. وسألهما عن أحوال المولى أبى حمو؛ سؤال الإيناس، والاحتفال، فأجابوه على حبك ووادك، على نحو ما كان من المقال".[١٦] ومن الوسائل الدبلوماسية التي استخدمها سفراء الدولة الزيانية كعادتهم هي الخطابة، فقد القى الشريف خطاب ودي في حضرة السلطان المريني فقال: يا أمير

المؤمنين ؛ لا أحد أنصف – من نفسه – من أئمة المسلمين، ثم أخذ في الإطناب، وفيما تلاه في إصلاح ذات البين، من الثواب، وتطاول الحديث بكلام يلين النفوس، ويذهب بالبؤس" .[١٧]

وكان من نتائج هذا التمثيل الدبلوماسي الناجح ان يصدر السلطان المريني مرسوما بقبول الصلح واطلاق سراح اسرى الدولة الزيانية وفكهم من القيود وكان عددهم حوالي (٣٠٠) اسير من دون أولادهم وكان اغلبهم من وجوه بنو عبد الواد.[١٨]

ثانيا/ مراسيم المراسلات والمكاتبات في الدولة الزيانية:

تطور أسلوب صياغة الرسائل او المكاتبات في الدولة الزيانية لاعتمادهم على كتاب ادباء لديوان الانشاء مثل أبا بكر خطاب الاندلسي (ت ٦٨٨هـ/١٢٨٩م) كاتب السلطان يغمراسن بن زيان، لذلك يغلب على الرسائل أسلوب السجع في تحرير المكاتبات السلطانية.[١٩] ونجد هذا الأسلوب واضحا في الرسائل الموجهة من قبل امراء بني زيان الى سلاطين الدولة الحفصية، فقد كتب يغمراسن بن زيان للسلطان ابي إسحاق الحفصي: " **الحضرة التي بدولتها جمال الأيّام، وبصولتها اعتزت جوانب المسلمين والإسلام، أيّد الله أمرها، وأبد عصرها، وشدّ بمعونته التي لا تغالب أزرها؛ عبد طاعتها، المنتظم في حزبها السعيد وجماعتها المجتهد في ترديد المحامد لغوارف إحسانها وإشاعتها، سلام كريم يخصها ورحمة الله وبركاته** ". [٢٠]

وتميزت المراسلات في الدولة الزيانية بمخاطبة المراد مخاطبته بأضافة ميم الجمع تكريما له واجلالا له، [٢١] فقد جاء في الرسالة الأمير عثمان بن يغمراسن الى السلطان ابي سعيد الحفصي: " **وهو ما يسر من الاتفاق على بيعتكم السعيدة، وحلولكم فى مرتبة الملك المشيدة، وهنيئاً لها فإليكم كان ميلها، ولايتكم انجلى عنها ليلها؛ تاله إنها لولاية عاد بها إلى الملك شبابه، وفتحت من الصلاح المستأنف أبوابه** " .[٢٢]

وتتميز أيضا بأدخال الشعر الى الرسائل السلطانية الزيانية الموجهة الى الدول الأخرى، ففي الرسالة التي بعثت من قبل عثمان بن يغمراسن الى السلطان ابي سعيد الحفصي يهنئه بأتفاق قبائل زناتة على مبايعته قائلا. [٢٣]:

أمـــولاي إنَّ اللَّهَ خصَـــكَ بـــالعُلَى ففُقت الـوَرَى فضـلاً ومجـداً وسُـؤددا
بلغــت مــن الملــك المؤثــلِ رتبــةً وأرفـــعُ منـــها مـــا سَتَـــلْقَه غـــدا

ومن مراسيم المراسلات الزيانية ان تفتتح أولا بالفاظ التعظيم والتفخيم للمرسل اليه وبعدها الدعاء له فقد جاء في الرسالة التي بعثها عثمان بن يغمراسن الى الحفصيين: " **الحضرة الكريمة الآثار المعضودة بالأقدار حضرة مولانا الأمير الأعلى أبي إسحاق أدام الله أيامه لسعد يستقبله جديد، ونصر يطرق العدى بما يُرضي الهدى من تمزيق لشملهم وتبديد ؛ عبدها الناشئ في إحسانها المتقلب في عوارف امتنانها** ".[٢٤] اما الدعاء فهو يأتي بلفظة (كتبنا) [٢٥] مثلا ان يقال: " فكتب العبدُ –

كتب الله للحضرة الكريمة تجديد السعود، وتأييد البنود " .[٢٦]

كما نجد ان أسلوب المراسيم والمكاتبات الزيانية الى دولة المماليك في مصر ان تبتدأ المكاتبة بألفاظ تحتوي على الألقاب المعظمة المفخمة مثلا: " **إلى الحضرة العالية السامية، السنية، الماجدة، المحسنة، الفاضلة، المؤيدة، المظفرة، المنصورة، المالكة، حضرة السلطان، الملك، الجليل، الفاضل، المؤيد، المنصور، المظفر، المعظم، ناصر الإسلام، ومُذِلُّ عَبَدة الأصنام؛ الذي أيده الله بالبراهين القاطعه، والأنوار المنيرة الساطعه، الأعلى، الأوحد، الأكمل، الأرفع، الأمجد، الأسمى...** " .[٢٧] ويؤتى بخطبة، ثم بالسلام؛ ويقع الخطاب في أثناء الكتاب بالإخاء بلفظ الجمع، ويختم بالدعاء المناسب .

وتختلف مراسيم تحرير المراسلات الزيانية الى الممالك النصرانية، فقد وجه الحاجب (هلال القطلاني)[٢٨] في عهد السلطان ابي تاشفين الأول عام(٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)وابتدأت الرسالة بمخاطبة ملك اراغون: " **السلطان الأجل، الأعز الأكرم، الأفضل الأحب، الأخلص الأكمل، دون جاقمه سلطان أرغون أكرمه الله بتقواه، ووفقه لما يحبه ويرضاه؛ مُحبه ومعتقده، الشاكر كثيراً على الدوام له، عبد المقام العلي – خلد الله ملكه – هلال بن عبد الله، سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته** " .[٢٩]

ويلاحظ في المراسلات الزيانية الى الممالك النصرانية بأنها تبتدأ بمخاطبة ملوكهم بالقاب التفخيم والاحترام مثل " السلطان الاجل " ويذكر معها مجموعة من النعوت ثم يذكر

اسم السلطان واسم مملكته " دون جاقمة سلطان اراغون " ومن بعد الدعاء له يذكر في الرسالة اسم السلطان الزياني كما في الرسالة التي وجهها امير تلمسان عبد الرحمن بن بن موسى الزياني عام(٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) الى ملك اراغون خايمي الثاني تبتدأ أولا بـ: " **من عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان أيّد الله أمره، وأعز نصره، إلى الملك المعظم السلطان الأعز الأنجد، الأشهر الأضخم، الأفخم الأرضي، الكامل في أهل ملته العادل الأمضى في مملكته، ملك أرغون وبلنسية وسردائية ومرسية وقمط برشلونة جاقمه أكرمه الله تعالى بتقواه، ووفقه وأرشده وهداه، سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته** " .[٣٠]

وتختم الرسائل الزيانية الى الممالك النصرانية بالسلام ويكون عادة تحت صيغة:

" **سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته "، ومن ثم تذكر تاريخ كتابة الرسالة ويتضمن التاريخ اليوم والشهر والسنة بالتاريخ الهجري مثلا: " وكتب في اليوم الرابع من شهر رجب الفرد الذي هو من عام ثلاثين وسبعمائة**".[٣١]

اما الظهائر[٣٢] الزيانية فمراسيم كتابتها تختلف عن مراسيم كتابة الرسائل، لأن الظهائر عبارة عن أوامر سلطانية موجه الى موظفين الدولة من أجل تنفيذها، وتبتدأ الظهائر بعبارة:

" هذا ظهير" ومن ثم كتابة اسم السلطان الذي امر بهذا الظهير وسبب كتابة الظهير وكذلك اسم الجهة المستفيدة من هذا الظهير، وعلي سبيل المثال الظهير الذي أصدره السلطان يغمراسن بن زيان سنة (٦٧٧هـ/١٢٧٨م) لفائدة اهل الاندلس المستوطنين في تلمسان فيبتدأ الظهير: " **هذا ظهير عناية مديد الظلال، وكرامة رحيبة المجال، وحماية لا يُخشى على عقدها المبرم وعهدها المُحكّم من الانحلال والاختلال، أمر به فلان – أيّدَ الله أمره، وأيد عصره، لجميع أهل الأندلس المستوطنين بحضرة تلمسان حرسها الله** " .[٣٣]

وتتضمن مراسيم كتابة الظهائر الزيانية رسائل المودة والاحترام والتهنئة، وتبتدأ مراسيم كتابتها بذكر طبيعة العلاقة بين المرسل والمرسل اليه، فقد ارسل السلطان ابي سعيد عثمان الأول الى سلطان غرناطة محمد الفقيه رسالة مهاداة وتأكيد للروابط القوية بينهم فيقول فيها:

" ظهيرنا الذي لا نعدل به ظهيرا، وصفينا الذي نعتدّ ما أفادنا الدهر من مصافاته، علقاً كريماً خطيراً، ولا نجد له في كرم الوفاء وشيم العلاء نظيراً، الأمير الأجل أبو فلان ابن الأمير الأجل الأعلى أبى فلان، أدام الله أسباب سعوده، وعرفه من صنائعه الجميلة ومواهب اعتنائه الجزيلة ما يزيد على معهوده؛ معظم إمارته العلية". (٣٤)

وتضمنت مراسيم الرسالة الصلاة على الرسول الكريم والدعاء للمرسل اليه وذكر المودة التي تجمعهم وبعدها تختتم بالسلام فيقول: **" والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله المؤيد من الآيات بما قمع الجاحد وقطع لسان عناده، وعلى آله وأصحابه نجوم الإسلام الهادية لمن اقتدى بها إلى سبيل رشاده. فكتبته – كتب الله لكم – كتب الله لكم سعدا تنمي أجزاؤه... ونساهمه بحُكم الخلوص المحكم المعاقد في جميع أحواله .. والله يحفظ ذلكم في ذاته "** .(٣٥)

وكانت مراسيم تبادل رسائل الاحترام والمودة ان تكون مرفقة عادة بهدايا واعطيات، والهدايا تكون من السلطان الزياني لمن هو بمرتبته من حكام الدول الأخرى لكسب مودتهم ودعمهم، وقد تكون لمساعدتهم على حرب اعدائهم، اما الاعطيات فتكون لمن هو اقل من مرتبة السلطان فيكافئهم ويجزل عليهم الاعطيات او الاقطاعات لاستمالتهم في السيطرة على الخارجين عليه.(٣٦) فقد بودلت هدايا بين الدولة الزيانية وسلطنة غرناطة وقدم السلطان يغمراسن بن زيان هديته المكونة من ثلاثين من عتاق الخيل وثياب صوفية ورد السلطان ابن الأحمر على هديته بأن ارسل اليه مكافأة تقدر بـ (١٠,٠٠٠) الآف دينار ولم يرض بها يغمراسن وذلك كنوع من الاحترام ودعما له في الصراع الذي كانت تخوضه غرناطة مع المرينيين وتخوفهم من سيطرة السلطان يعقوب بن عبد الحق على الاندلس خشية ان يفعل بهم كما فعل المرابطين عند عبورهم الاندلس بأبن عباد .(٣٧)

ومن مراسيم تبادل هذه الهدايا ان أرسلت سفارة الى غرناطة حاملة رسالة سلطانية تؤكد على أواصر الاخوة والتواصل السياسي فيقول السلطان الزياني في رسالته: **" والى هذا وصل الله سعدكم فقد عرفتم فيمن عرف قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "الأرواحُ أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تَناكَرَ اختلف"،** (٣٨) **وأرواحنا بحمد الله قد ألفها الصفاء خير ائتلاف، ولم يَدَعْ بينها صدق الضمائر وحسن السرائر شبهة**

اختلاف، فنحن مغتبطون بما تأكد بيننا وبينكم من الذمام أشد الاغتباط، مرتبطون إلى العمل بموجبه وإبرام مذهبه أكرم ارتباط، ولا يزال يُجدد مع الأحيان رسمه، ويُثْمِرُ بكل وجه حظه الأوفر وقسمه ولما كان المصطفى صلى اله عليه وسلّم قد قال – وكفى بقوله دليلاً تَهادَوْا تحابوا فجعل الهديّة إلى التّحاب في ذاته سبيلاً، سلكنا في تأكيد أسباب مصافاتكم علـى تلكم الطريقة، واحتذينا حَذْوَ شريعته الكريمة الأنيقة " .(٣٩)

وقد اهدى السلطان أبو حمو موسى الثاني الى سلطان غرناطة ابي عبد الله محمد بن نصر امدادات من الذهب والفضة والخيل والحبوب بعد ان وصله رسولا من الاندلس وهو الفقيه الكاتب أبو سالم إبراهيم بن الحاج فبعث معه حوالي (٥٠,٠٠٠) الف من الزرع و (٣٠٠٠) الاف من الزرع وكان سبب الهدية هو معاونة سلطنة غرناطة في حربها ضد الممالك النصرانية . (٤٠) وقد اثمرت هذه الهدية ان ارسل سلطان غرناطة الى أبو حمو رسالة يهنئه بالتفاهم الذي حصل بين الزيانيين والمرينيين ورجوع تلمسان عاصمة للزيانيين وتتضمن أيضا إشارة الى ما سبق من أواصر الموالاة والصداقة بينهم، يقول السلطان الغرناطي في رسالته: " **والى هذا وصل الله سعدكم وحرس مجدكم، فأننا تأدى الينا كتابكم المبرور، وخطابكم المأثور .... عرفتمونا فيه بما كان من صنع الله الذي أوضح السبيل، وجبر القبيل، وأبلغ التأميل، وجلا من رضاه وفضله الوجه الجميل، وأنه سبحانه أعادكم إلى سلطانكم، وسوّغكم القرار في أوطانكم، وردّ عليكم ميراث جدودكم، وأذن في استئناف سعودكم، فأصبحت قصوركم آهلة ودعوتكم في نعمة من الله شاملة، ومنة منه كاملة، وأن ما يجاور حضرتكم تلمسان من الجهات تبادرت إلى الدخول في وحملت الأمر على الفور بجهد الاستطاعة، فلم تكن عهودها بالعهود المضاعة؛ وانتظم العقد على وسطاه، وتهنّا المُلك ما خوله الله وأعطاه "** .(٤١)

واحتوت الرسالة الواردة على عبارات التهئنة للوفاق الزياني – المريني حيث يقول:

" **ووقعت بينكم وبين الدولة المرينية – أعزها الله – عهود أحكم منها كل بناء، وتأسست قواعدها على ود وصفاء، فلم تمتد إلى البريئ يد اعتداء، ولا راع الخلق بذلك الوطن وقوع داء، دليل على رضوان من الله وقبول** ".(٤٢) ويذكر في الرسالة على الاخوة التي تجمع بنو عبد الواد ببنو الأحمر فيقول " **ونقرر سرورنا باستقامة أحوال المسلمين**

على العموم والإطلاق، وحيث اتفق من الآفاق، وخصوصاً فيمن قرب منا جواره، ودنت داره، وفيمن بينه وبين سلفنا الودُّ الذي لا يُجهل مقداره، ولا تخفَى آثاره " .[٤٣]

ثالثا/ مراسيم عقد المعاهدات والاتفاقيات في الدولة الزيانية:

كانت دولة بني زيان وعاصمتهم مدينة تلمسان تحتل مكانة مرموقة ومركزا سياسيا وتجاريا وعلميا متميزا بين حواضر المنطقة ودول البحر المتوسط الشمالية، وكما كانت الصلة طيبة وقوية والعلاقة وطيدة بين بني الأحمر في غرناطة، وبين بني زيان في تلمسان، وكانوا يتبادلون البعثات الدبلوماسية والسفارات والهدايا والاعانات الاقتصادية والعسكرية في وقت الشدة ووقت السلم، وكانت للدولة الزيانية ايضا علاقات سياسية وتجارية مع الجارتين الحفصية والمرينية ولا سيما وقت السلم، والانفراج في العلاقات بينهما، كانت هناك صلات مع بلاد المشرق، ودول غرب أوربا وبلاد السودان في الجنوب كان لمدينة تلمسان خاصة والمدن الزيانية الساحلية على وجه العموم دورا مهما في الحياة الاقتصادية والتجارية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وفيما وراء الصحراء الكبرى، إذ كانت لها معاهدات تجارية مع دول إسبانيا وإيطاليا وفرنسا لحماية حركة الملاحة التجارية والمحافظة على حقوق التجار ومصالحهم وحرية تنقلهم . [٤٤]

وان لموقع مدينة تلمسان الاستراتيجي حافزاً للممالك المسيحية في الاندلس لاقامة علاقات ودية وعقد الاتفاقيات والمعاهدات السلمية لضمان حق التجارة الخارجية، كما ان موقع تلمسان البعيدة (٥٠) ميلا عن الساحل والتي تمتد على مسافة ثلاثمائة وثمانين ميلاً من الشرق إلى الغرب، و تضيق جداً من الشمال إلى الجنوب، إذ لا تتعدى المسافة (٢٥) ميلا في بعض النقط من البحر المتوسط إلى تخوم صحراء نوميديا.[٤٥] شجعت قشتالة واراغون للسيطرة التجارية ولاسيما تجارة الذهب ومقايضته بمختلف السلع، كما ان هذا الموقع يتيح لها القرب الجغرافي من ممالك السودان الغربي الغنية بالذهب، وقد كانت هذه جملة من الأسباب التي نتجت عنها الكثير من المعاهدات والاتفاقيات السياسية والتجارية بينهم وبين الدولة الزيانية.[٤٦]

بدأت مراسيم عقد المعاهدات والاتفاقيات بين الدولة الزيانية والممالك المسيحية منذ بداية ظهور الدولة الزيانية على مسرح الاحداث السياسية، وبداية أتخذت العلاقة حالة

الحرب أولا بمهاجمة مملكة اراغون سواحل تلمسان ووهران عام(٦٢٧هـ/١٢٣٠م) وذلك لرغبتهم في السيطرة على الطرق التجارية والاستحواذ على الذهب السوداني، الا ان هذه السياسة العدائية لم تستمر طويلا بعد ادراك مملكة اراغون ان هذه السياسية لا تدر على الخزينة الأرباح المنتظرة، كما أن أصحاب السفن والتجار لم يستفيدوا منها شيئا، فتدخلوا في سياسة مملكتهم، مما فتحولت العلاقة الى سياسة قائمة على عقد المعاهدات التجارية، فأصدر الملك الأراغوني مرسوما يمنع فيه رعاياه من القيام بالقرصنة ضد البلدان المهادنة له لأنها أضرت بالتجارة .(٤٧)

بادر السلطان يغمراسن بن زيان بأرسال سفيرا له الى برشلونة لعقد الاتفاقيات التجارية، كما كون علاقات تجارية مع (رامون بانياريس Ramon Bagnares) أحد أصحاب رؤوس الأموال الذي كان وسيطا في العمليات التجارية، التي كانت تتم بين القطلانيين والزيانيين، وفي سنة ٦٥٢هـ/١٢٤٥م أصبح قائد السرية المسيحية في تلمسان مسؤولا عن التجار القطلانيين في الدولة الزيانية، وقد نجح السفير الزياني من عقد صفقات لشراء عتاد للسفن مع ملك اراغون، وقد ارسل ملك اراغون سفيرا الى تلمسان عام (٦٦٤هـ/١٢٦٥م) وهو الفارس (Père De Vilaragut) يقوم خلالها بمهام عسكرية تتمثل في الإشراف على الجند المسيحيين الذين كانوا في خدمة دولة بني عبد الواد، وأخرى مدنية تتمثل في رعاية التجار في تلمسان . (٤٨)

يلاحظ ان مراسيم الألقاب عند الجند النصارى هي ان لقب القائد يسند لكل من يشرف على فيلق من فيالق الحرس، اما لقب القائد الأعلى (Alcayn Mayor) يطلق لزعيم القادة ويتم اختياره من ملك اراغون، ويعتبر القائد الأعلى رئيسا على كل النصارى المقيمين في تلمسان وقاضياً لهم يبت في شؤونهم ويحل مشاكلهم . (٤٩)

اعتمد يغمراسن بن زيان على المرتزقة النصارى وجعلهم من ضمن الحرس الخاص به، ويذكر ابن خلدون.(٥٠) السبب في تقريبهم قائلا: " مستكثراً بهم معتداً بمكانهم مباهياً بهم في المواقف والمشاهد وناولهم طرفاً من حبل عنايته ". وكان لهذا الاستخدام الأثر السلبي حيث حاولوا الانقلاب على السلطان الزياني عام(٦٥٢هـ/١٢٥٤م)ونجحوا في قتل (محمد بن زيان) شقيق السلطان يغمراسن الذي استطاع من اخماد هذا التمرد . (٥١)

وعاود السلطان الزياني أبو حمو الثاني الاعتماد على العناصر المرتزقة النصرانية وصنفهم ضمن المماليك الخاصة بحراسته، وقد وجد ملك اراغون فائدة هؤلاء الجند الداخلين في خدمة السلطان الزياني لأنه كان يأخذ ضرائب غير مباشرة على رواتبهم، كما كان الجند يقدمون جزء من رواتبهم للخزينة الاراغونية، وقد كان هؤلاء الجند المرتزقة يسكنون في حي منفصل خاص بهم يعرف بربض النصارى، وكانوا يتمتعون بأداء شعائرهم الدينية ويديرون شؤؤونهم بأنفسهم، كما كانوا معفين من جميع الضرائب والرسوم، ويخضعون لسلطة قادتهم القضائية (٥٢).

كانت مراسيم المراسلة تجري بين الدولة الزيانية ومملكة اراغون تسير نحو المصالح المتبادلة وعلى ضوء هذه المصالح يتم عقد المعاهدات لكي يلتزم بها الطرفان، ونجد هناك مراسلة تمت عام(٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)وهي من الوزير هلال بن عبد الله القطلاني الى جاكمو ملك اراغون الذي طلب من الزيانيين اطلاق سراح (٢٤) شخص تابعين لاحد التجار فأجابه الوزير الزياني قائلا: "**اعلامكم بوصول كتابكم وعلمنا ما ذكرتم فيه وأنتم تطلبون منا أربعة وعشرين نصرانيا متاع جوان منوال ونحن نعرفكم أنكم إذا أردتم صلح مولانا أيده الله فنحن نعطيكم الأربعة وعشرين نصرانيا الذين طلبتم متاع جوان منوال ونعطيكم أيضا زيادة عليهم ثلاثين نصرانيا من بلادكم من الذي نعطيكم نحن باختيارنا دون أن تعينوا لنا أنتم أحدا فإن أنتم وافقتم على ما ذكرناه لكم فنعمله لكم ويقع الصلح بيننا وبينكم إن شاء الله وإذا أردتم سلف ذهب فنسلف لكم ما يتيسر لنا بعد أن تعطونا الضمان والرهان في الذهب وان انتم لم تعملوا ما ذكرناه لكم ولم توافقوا عليه فما بيننا كلام** " .(٥٣)

ونلاحظ من خلال هذه الرّسالة صلابة سلطان تلمسان وجرأته في شيء من الكياسة على رفض طلب ملك أراغون الذي يريد الحصول على كل شيء دون دفع أي مقابل والسلطان الزياني لا يكتفي بإظهاره الاستعداد للاستجابة إلى رغبة الملك في صورة إقدامه على عقد الصلح حسب الشروط التي تريدها تلمسان لا التاج الأراغوني بل يعرض عليه استعداده لتسليمه ثلاثين نصرانيا آخرين لكن بشرط أن لا يختار ملك أراغون أحدا منهم فالسلطان يريد أن يتصرف كما يشاء. (٥٤)

وقد كانت مراسيم عقد الصلح وتوقيع المعاهدات بين الزيانيين والممالك المسيحية بأن يرسل السلطان الزياني من يمثله الى ملك اراغون ويرافق المبعوث الزياني أيضا شخصية مهمة في البلاط الزياني لكي يكون لها تأثير في اقناع ملك اراغون وله مهمات أخرى تتمثل أيضا في الترجمة ونقل الاخبار، وعلى سبيل المثال توجد رسائل تشير الى هذه الطريقة في عقد المعاهدات ففي الرسالة المؤرخة في عام (٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ارسل السلطان ابي تاشفين عبد الرحمن الزياني الى ملك اراغون خايمي الثاني يقول في مطلع الرسالة: " **من عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان أيد الله أمره، وأعز نصره، إلى الملك المعظم السلطان الأعز الأنجد، الأشهر الأضخم الأفخم الأرضى، الكامل في أهل ملته العادل الأمضى في مملكته، ملك أرغون وبلنسية وسردانية ومرسية وقمط برشلونة جاقمه أكرمه الله تعالى بتقواه، ووفقه وأرشده وهداه، سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته** ". (٥٥)

ومن ثم ينتقل السلطان الزياني برسالته الى تكليف مبعوثين من قبله الى ملك اراغون وهما جاقمه (٥٦) والشيخ ابي يعقوب يوسف بن الحوراء ومهمتهم عقد مراسيم الصلح فيقول:

" **وبمقتضى ذلك وجهنا إليكم ولدَكم الزعيم الأنجد، الأنهض الأجد، المكرم لدينا، الأثير عندنا، جاقمه، مع ثقتنا الشيخ المكرم الأمين الحاج الأفضل أبي يعقوب يوسف بن الحوراء برسم عقد الصلح بيننا وبينكم على حسب ما في العقود الواصلة صحبتهما إليكم، وألقينا إليهما ما يُلقيانه في معاني ذلك كله إليكم، ويقررانه على الكمال والتمام لديكم إن شاء الله تعالى والسلام على من اتبع الهدى**".(٥٧)

ان مراسيم عقد الاتفاقيات والصلح لم تكن جمعيها مقبولة او تم الاتفاق عليها، فقد رفض السلطان الزياني ابي تاشفين طلب ملك اراغون جاقمو الثاني من تحرير جميع الاسرى الموجودين في تلمسان ففي الرسالة التي بعثها الى اراغون يقول في سبب رفضه:

" **وأما ما أشرتم إليه من تسريح جميع من عندنا من الأسارى فذلك ما لا يمكن أن يكون كما لا يمكن لنا أن نطلب منكم تشريح من عندكم من أسارى المسلمين لأنكم تعلمون أن ما عمر بلادنا إلا الأسارى وأكثرهم صناع متفننون في أنواع جميع الصنائع، ولو طلبتم ما يستغنى** وكانت مراسيم الصلح تتم بعدة رسائل ومن بعدها يعقد رسم الصلح او

العهد، فقد تبادل السلطان أبو حمو موسى الثاني رسالتين وبعدها تمت الاتفاقية بين الطرفين الزياني – الارغوني، وتكلمت الرسالة الأولى التي بعثت عام(٧٦١هـ/١٣٦٠م)تخص بعض قطع السفن القطلانية في مدينة وهران فيقول: " **فإنا لم نزل نمنح من وصل من جهاتكم وانخرط سلك طاعتكم من التجار المترددين وغيرهم من ذوي الحاجات أجمعين ونوسعهم إحسانا وإنعاما ونيسر عليهم في جميع مطالبهم وجملة مآربهم اجمالا واكراما** ".[٥٨] وبهذه الرسالة يعلم السلطان أبو حمو ملك اراغون بأنه يولي من يبعثه من التجار مكانة وعناية واهتماما ويقضي لهم حوائجهم ويلبي رغباتهم، ومن ثم ينتقل في رسالته انه رغم الأمان الا ان بعض القراصنة القطلانيين اغاروا على القطع الموجودة في مرسى وهران: " **عليهم، ومع هذا فقد عمدت طائفة من القطلانيين أجفان معدين إلى مرسانا الشهير مرسى وهران المحروسة الكبير، وحملوا منه على جهة العمد العدوان والجرأة والإقدام وهتكوا حرمة السلطنة وحق الإسلام جفنا موسوقا بالزرع وغيره للتجار الأندلسيين كانوا أرادوا الوجه به إلى بلاد المسلمين، واستولوا على الجفن بما فيه** " .[٥٩] **منه الحال في تسريح خمسة أو ستة لأسعفنا مطلبكم وقضينا إربكم. وأما تسريح الجميع فصعب الآن، ذلك يخلي المواضع ويعطل ما يحتاج إليه من أنواع الصنائع** " .[٦٠] نلمس من هذه الوثيقة التاريخية والاجتماعية الهامة دور الأسرى النّصارى في تلمسان، فهم يستعملون لإعمار البلاد ولنشر مختلف الصنائع والحرف التي يحتاج إليها المسلمون، والتي كان هؤلاء مثل الأندلسيين يتقنونها، لذلك لم يكن بالإمكان الاستغناء عنهم أو حتى مقايضتهم بأسرى مسلمين، ويذكر السلطان صراحة أنّه لا يمكنه أن يطلب من الملك تسريح من أسرى المسلمين. ويعترف أن ما عمر بلاده إلا الأسرى.

وكانت الدبلوماسية الزيانية نشطة حتى في رفض الطلبات الاراغوانية، فقد استخدم الزيانيين مصطلحات الاخوة والصداقة في الرسائل المتبادلة وذلك لكسب ود ملوك اراغون وضمان عدم تحول هذا الامر الى العداء، فيذكر السلطان الزياني بأن مراسيم الصداقة قائمة:

" **ونحن عاملون على ما ذكرتم من أسباب المواصلة والوداد وتجديد ما كان بين الأسلاف من المودة والاعتقاد وعلى أن تكون بلادنا كبلادكم وتجروا على أغراضنا ومرادنا**

ونجري على أغراضكم ومرادكم. وأسباب الصداقة بين السلاطين معلومة وحدودها مرسومة موسومة ". (٦١)

اما السفارات المتبادلة بين الدولة الزيانية والنصرية فنجد في عام (٧٦٣هـ/ ١٣٦١م) وصلت سفارة بقيادة السفير ابراهيم بن الحاج وصل إلى الدولة الزيانية يطلب منهم المساعدة في الجهاد فاستجاب السلطان الزياني ابي حمو موسى الثاني فقد ارسل خمسين الف قدح من الزرع وثلاثة الاف دينار من الذهب للكراء عليه في البحر وكان ممن وصل مع السفير الفقيه أبو محمد عبد العزيز بن علي بن يشت فرفع لسلطان الزياني قصيدتين، وهما قوله:

عرج على الدار من سلمى تحييها واستوقف العينين في أطلال ناديها
وناديا دارها بالجزع من كثب حييت مِن دمنة راقت مغانيها
يا دارها والهوى يدني تألفنا ويافع العُمر يدنيني ويُدنيها
إذ قد تباعد هجرًا مَن يُقاربها ولا تداني بوصل من يدانيها.(٦٢)

فأكرمه الأمير الزياني بحصان من عتاق الخيل أشهب وثلاثين من الذهب العين وكسوة حسنة.(٦٣)

و السفارة التي أرسلت في عام(٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) قد بعثها السلطان الغرناطي محمد الخامس الى السلطان الزياني ابي حمو في غرض التهنئة والإتحاف بهدية حافلة على العادة المفترضة بينهما، فأستقبلها السلطان الزياني واكرم وفادتها، واوسع بره، وحباءه، وراجع مرسله بما يناسب تودده من الشكر والثناء العاطرين صرفه.(٦٤)

الخاتمة :

توصلنا من خلال البحث إلى عدة نتائج كان من اهمها :

- ان المراسيم والتشريفات السلطانية الدبلوماسية عدت جانبا سياسيا وصورة من صور العلاقات بين البلدان ، ومعبرا حيويا لتبادل المؤثرات الحضارية بين الشعوب و لهذا التأثير يزداد بزيادة عدد السفارات وأواصر التواصل، فكانت السفارات عاملا أساسيا في نقل المؤثرات الحضارية،والمراسيم والتشريفات التي تحدث أثناء تلك السفارات ،وقد

يكون وظيفة السفير بأن يكلف بتبليغ أمر من الأمور إلى طرف آخر لتنفيذ بعض المهمات الخاصة لمصلحة من يرسله.

- ان وظيفة ديوان الإنشاء بمثابة سجلات لكل دولة يسجل فيها كل الهدايا وتاريخ إرسالها مع تقدير قيمتها المادية، وذلك حتى يستطيع السلطان مقارنة قيمة الهدية الواصلة إليه بما أرسل من نفس الدولة من قبل فيكون ذلك شاهدا على مدى ما وصلت إليه علاقته بهذه الدولة،حيث يقوم بإرسال السفارات التي تقوم بمهام دبلوماسية.
- ان اختيار السفراء يجب ان يتمتعون بجانب كبير من الحكمة والدهاء والقدرة على الإقناع والمفاوضة، وحسن الرأي بالإضافة إلى إتقان لغات عدة، كان الموقع الجغرافي للدولة الزيانية اثر بارزًا في تاريخها السياسي والعسكري والدبلوماسي والاقتصادي، وساعد وقوعها على البحر المتوسط في قيامها بدور مهم في السياسة الخارجية والتجارة الدولية مع البلاد الأوروبية مثل أراغون وصقلية، والمدن الإيطالية، ولذلك ارتبطت تلك الدولة مع البلاد الأوروبية بمعاهدات الصلح.

الهوامش

(١) ابن خلدون، بغية الرواد، ج٢، ص٣٨؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج١، ص٨٩ – ٩٠ .

(٢) واسطة السلوك، ص١٤٦ .

(٣) ابي حمو، واسطة السلوك، ص١٤٦ – ١٤٧ .

(٤) أبو حمو، واسطة السلوك، ص٢٤٢ –٢٤٣ .

(٥) دهينة، عطا الله، الجزائر في التاريخ، الجزائر، (المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م)، ص٤٧٢ .

(٦) دهينة، الجزائر في التاريخ، ص٤٧٢ .

(٧) مجهول، زهر البستان، ج٢، ص١٩١ .

(٨) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٥٦٣، ٥٦٢ .

(٩) ابن خلدون، بغية الرواد، ج٢، ص٨٦؛ مجهول، زهر البستان، ج٢، ص١٩٣ .

(١٠) مجهول، زهر البستان، ج٢، ص١٩٥ .

(١١) مجهول، زهر البستان، ج٢، ص١٩٥ – ١٩٦ .

(١٢) مجهول، زهر البستان، ج٢، ص١٩٦؛ حاجيات، أبو حمو، ص١٠١ – ١٠٢ .

(١٣) أبو عبد الله الحسني: وهو أبو عبد الله الشريف محمد بن أحمد الشريف الحسني، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ويعرف بالعلوي نسبة إلى قرية من أعمال= =تلمسان، ولد سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م، نشأ بتلمسان وقرأ القرآن وتفقه على خيرة علماءها، وصفه ابن خلدون بأنه فارس المعقول والمنقول، وصاحب الفروع والأصول، وكانت له مشاركات سياسية مع السلطان أبو حمو موسى الثاني الذي ارسله للدولتين الحفصية والمرينية لغرض طلب الصلح، وتوفي سنة ٧٧١هـ/ ١٣٨٨م . ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٥٣٦؛ الونشريسي، المعيار، ج١٢، ص٢٢٤ .

(١٤) مجهول، زهر البستان، ج٢، ص٢٧٢– ٢٧٣؛ ابن خلدون، بغية الرواد، ج٢، ص١٥٩ .

(١٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٨، ص٨٦–٨٧.

(١٦) مجهول، زهر البستان، ج٢، ص٢٧٣ .

(١٧) مجهول، زهر البستان، ج٢، ص٢٧٤ .

(١٨) مجهول، زهر البستان، ج٢، ص٢٧٤ –٢٧٥ .

(١٩) التنسي، تاريخ بني زيان، ص١٦١ .

(٢٠) عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص١٤١ .

(٢١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٧، ص٣٠ .

(٢٢) عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص١٦١ .

(٢٣) عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص١٦٢ .

(٢٤) عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص١٥٣ .

(٢٥) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٧، ص٣٠ .

(٢٦) عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص١١٦ .

(٢٧) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٨، ص٨٥ .

(٢٨) هلال القطلاني: هو هلال بن عبد الله، من اسرى النصارى في الاندلس وقد اهداه السلطان ابن الأحمر الى السلطان عثمان بن يغمراسن، وقد ولاه ابي تاشفين على الحجابة وقد استبد بها وارهب الناس بسطوته، حج سنة ٧٢٤هولقي في طريقه سلطان مالي منسا موسى، ولما عاد من حجته قبض عليه السلطان ابي تاشفين وظل معتقلا الى ان مات؛ ابن خلدون، بغية الرواد، ج١، ص٢٣٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص١٤٢ .

(٢٩) عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص٣٠٦ .

(٣٠) عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص٣٤١ .

(٣١) عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص٣٤٧ .

(٣٢) الظهائر: جمع ظهير وهو المعين وسمي مرسوم الخليفة او السلطان ظهيرا لما يقع به من المعاونة لمن كتب له؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج١١، ص٦ .

(٣٣) عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص١١٨ .

(٣٤) عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص١٧١ .

(٣٥) عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص١٧١

(٣٦) الدراجي، بوزياني، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، الجزائر (ديوان= = المطبوعات الجامعية، ١٩٩٣م)، ص٢٢٥ .

(٣٧) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٢٦٦ – ٢٦٧؛ السلاوي، الاستقصا، ج٣، ص٥٠ .

(٣٨) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة (٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه، القاهرة (دار التأصيل، ٢٠١٢م)، مج ٤، ص٣٥١ .

(٣٩) عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص١٧٢ .

(٤٠) ابن خلدون، بغية الرواد، ج٢، ص١٠٧ .

(٤١) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ص٢٧٠– ٢٧١؛ عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٤، ص١١٣.

(٤٢) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ص٢٧١– ٢٧٢؛ عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٤، ص١١٣– ١١٤.

(٤٣) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ص٢٧٢؛ عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٤، ص١١٤ .

(٤٤) فيلالي، تلمسان، ص٧٩ – ٨٠ .

(٤٥) الوزان، وصف افريقيا، ج٢، ص٨ .

(٤٦) سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، سوسة (منشورات سعيدان، ٢٠٠٢م)، ص٨ – ١٠ .

(٤٧) بشاري، لطيفة، العلاقة التجارية بين إمارة بنى عبد الواد ومملكة أراغونة، (القاهرة، مجلة الاتحاد العام للاثاريين العرب، ٢٠١١م)، العدد ١، ص٩٥ .

(٤٨) لطيفة، العلاقة التجارية، ص٩٦ .

(٤٩) سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية، ص٥٢ – ٥٣ .

(٥٠) العبر، ج٧، ص١١٣ .

(٥١) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص١١٣؛ بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، ص١٢٨ .

(٥٢) فيلالي، تلمسان، ص١٨٩ .

(٥٣) سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية، ص٦٥ – ٦٧؛ عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص٣٠٦ .

(٥٤) سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية، ص٦٩ – ٧٠ .

(٥٥) سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية، ص٧٣؛ عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص٣٤١ .

(٥٦) جاقمه اللقيط Le Batard: وهو الابن غير الشرعي لملك اراغون خايمي الثاني وكان ينتقل عادة الى تلمسان وعين مرات عديدة سفير تلمسان وكلفه أبوه بمهمات كثيرة؛

Dufourcq Charles Emmanuel, L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV siècles, Paris 1966 p.484.

(٥٧) سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية، ص٧٤ – ٧٥؛ عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٢، ص٣٤١ .

(٥٨) سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية، ص١٢٣– ١٢٤؛ عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٤، ص١٥٠ .

(٥٩) سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية، ص١٢٤؛ عزاوي، الغرب الإسلامي، ج٤، ص١٥١ .

(٦٠) سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية، ص٩٠ – ٩١ .

(٦١) سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية، ص٩٠ .

(٦٢) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج٢، ص١١٧.

(٦٣) يحيى ابن خلدون، بغية الرواد، ج٢، ص١١٣.

(٦٤) ابن خلدون، بغية الرواد، ج٢، ص٢٥٩.

قائمة المصادر :

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة (٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)،

١– الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه، القاهرة (دار التأصيل، ٢٠١٢م).

ابو حمو موسى الثاني(٧٩١هـ/١٣٨٩م)

٢– واسطة السلوك في معرفة الملوك، تح: محمود بوترعة، الجزائر (دار النعمان للطباعة والنشر، ٢٠١٢م).

ص١٤٦ .

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الغرناطي الأندلسي (ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)

٣-ريحانة الكتابة ونجعة المنتاب، تح: محمد عبد الله عنان، القاهرة (مكتبة الخانجي، ١٩٨٠م)

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

٤- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، تح: سهيل زكار، بيروت (، دار الفكر، ٢٠٠٠م)

القلقشندي، ابي العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)

٥-صبح الاعشى في صناعة الانشا، القاهرة (المطبعة الاميرية، ١٩١٧م).

مجهول، المؤلف (عاش في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)

٦- زهر البستان في دولة بني زيان، تح: بوزياني الدراجي، الحزائر (مؤسسة بوزياني والنشر والتوزيع، ٢٠١٣م).

الوزان، الحسن بن محمد، ت(ت٩٥٧هـ/١٥٥٠م)

٧-وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، بيروت (دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م).

يحيى ابن خلدون، ابي زكريا يحيى بن محمد(٧٨٠هـ/١٣٧٩م)

٧- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، الجزائر (دار المعرفة للنشر والتوزيع، ٢٠١١م).

المراجع :

حاجيات عبد الحميد

١- ابو حمو موسى الزياني حياته و آثاره، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٤م).

سعيدان، عمر

٢-علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، سوسة (منشورات سعيدان، ٢٠٠٢م)

السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد الناصري (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م)

٣-،الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري واخر، الدار البيضاء (دار الكتاب، ١٩٩٧م).

الدراجي، بوزياني، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، الجزائر (ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٣م)

دهينة، عطا الله

٤- الجزائر في التاريخ، الجزائر، (المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م)

عزاوي، احمد

٥- الغرب الإسلامي خلال القرنين ٧ و ٨هـ دراسة وتحليل لرسائله، الرباط (مطبعة الرباط نيت المغرب، ٢٠٠٧م).

فيلالي عبد العزيز

٦- تلمسان في العهد الزياني، الجزائر (موفم للنشر والطباعة، ٢٠٠٢م).

الدوريات :

بشاري، لطيفة

١- العلاقة التجارية بين إمارة بنى عبد الواد ومملكة أراغونة، (القاهرة، مجلة الاتحاد العام للاثاريين العرب، ٢٠١١م)، العدد ١.

التميمي ،عباس جبير

٢- اليهود في السياسية المرينية ،(جامعة بغداد ،مجلة الاستاذ ،٢٠٠٠م)،العدد١٧

الجلالي،إخلاص خالد

٣- الإعلام الإسلامي في أرجوزة نظم السلوك للمازوزي (٦٩٧/١٢٩٧م،جامعة بغداد ،مجلة الاستاذ ،٢٠٢٤م،العدد٣.

مراجع اجنبية :

Dufourcq Charles Emmanuel, L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV siècles, Paris 1966

محمد بن عبد الله الطاهري ودوره في حرب المستعين والمعتز

Muhammad ibn Abdullah al-Tahiri and his role in the war between al-Musta'in and al-Mu'tazz

م. حارث جبار عبد

جامعة ميسان / كلية التربية

Teacher / Harth Jabbar Abd

Maysan University / College of Education

alyassriy_harth@uomisan.edu.iq

محمد بن عبد الله الطاهري ودوره في حرب المستعين والمعتز

م. حارث جبار عبد

الملخص:

تطرق هذا البحث الى مسألتين ضروريتين الأولى: الاسرة الطاهرية التي يعود لها أصل الأمير محمد بن عبد الله الطاهري، والثانية: بدايات التواجد التركي في المنظومة العسكرية العباسية، مرورا بمرحلة الفوضى التي أحدثها قادة الاتراك في سامراء، والتي أدت الى نشوب الحرب الاهلية العباسية الثانية التي وقعت بين المستعين (٢٤٨-٢٥٢ هـ) والمعتز (٢٥٢-٢٥٥ هـ). ثم استعراض البحث الدور الريادي للأمير محمد الطاهري خلال هذه الحرب، فقد وقف الأمير الطاهري الى جانب المستعين فيها، بعد ان كلفه الأخير بإدارة ملف الحرب وتدبير شؤون أهالي بغداد. توزع دور الأمير محمد الطاهري الى قسمين، الأول: متعلق بإعلان حالة التعبئة العامة في بغداد والاقاليم المرتبط بها، من تجنيد أكبر قد ممكن من الرجال وتهيئتهم للقتال، وتأمين اسوار المدينة، واعداد الخطط المناسبة للعمليات القتالية. واما الثاني: فتجسد بدور الأمير الطاهري المؤثر في صياغة بنود الصلح، بعدما اتخاذ قراره بإيقاف الحرب في الوقت المناسب، وحينما أدرك انه لا طائل من مناصرة المستعين، فظلا عن عدم قدرت أهالي بغداد على مواصلة القتال تحت وطأة الحصار الجائر.

الكلمات المفتاحية:

الدولة العباسية، نفوذ القادة الترك، الأمير محمد الطاهري، الحرب على السلطة

Abstract:

This research deals with two essential issues : the first one is the Tahirid family to which the origin of Prince Muhammad bin Abdullah al-Tahiri goes back, and the second one is the beginnings of the Turkish presence in the Abbasid military system as well as the period of chaos caused by the Turkish leaders in Samarra and which led to the outbreak of the second Abbasid civil war between Al-Musta'in (248-252 AH) and Al-Mu'tazz (252-256 AH). The research then

reviews the pioneering role of Prince Muhammad al-Tahiri during this war in which the al-Tahiri prince stood with Al-Musta'in after the latter entrusted him with managing the war file and administering the Baghdadi people affairs.The Prince Muhammad al-Tahiri's role was divided into two parts. The first was related to declaring a state of general mobilization in Baghdad and its provinces , such as recruiting the largest possible number of men and preparing them for combat, securing the city walls, and preparing appropriate plans for combat operations. The second was the influential role
of the al -Tahiri prince embodied in formulating the terms of the peace treaty after he had made his decision to stop the war at the appropriate time when he realized that there was no point in supporting Al-Musta'in and the inability of the Baghdadi people to continue fighting under the burden of the unjust siege.

Key terms:
Abbasid state, The influence of Turkish leaders, Prince Muhammad al-Tahiri, War on power

المقدمة:

كثيرة هي الدراسات التاريخية التي تناولت الخلاف على السلطة بين أبناء الاسرة العباسية، والتدخلات السافرة قادة الترك المؤثرين في صناعة القرار السياسي في مؤسسة الحكم، فقد برز وبشكل جلي الدور المهيمن للقادة الترك في العصر العباسي الثاني، بدأ بتنصيبهم لجعفر المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧هـ) حاكما للدولة العباسية بعد وفاة الواثق (٢٢٧ – ٢٣٢هـ) دون وليٍ لعهده. ثم تكررت مسرحيات التنصيب والعزل للحكام العباسيين من قبل القادة الترك، حتى انقسموا الى فريقين متصارعين حينما اتى قسم منهم بالمستعين بالله (٢٤٨ – ٢٥٢هـ) حاكما للدولة بعد موت المنتصر(٢٤٧ – ٢٤٨هـ) ، فكان من تضارب المصالح بينهم ان حدثت الفوضى العسكرية في سامراء التي أدت الى نشوب الحرب الاهلية العباسية الثانية بين المستعين بالله والمعتز بالله (٢٥٢–٢٥٥ هـ).

لكن لم يُفر لدور الأمير محمد بن عبد الله الطاهري دراسة خاصة، انما جاء ذكر دوره ضمنيا في تلك الدراسات التي استعرضت احداث مرحلة الفوضى العسكرية التي

انتشرت بين القادة الترك في العاصمة سامراء واخذت انعكاساتها السلبية بتأجيج نيران الخلافات بين أبناء الاسرة العباسية ومنها حرب المستعين والمعتز.

لذا جاءت هذه الدراسة في ثلاث مباحث سلطت الضوء على هذا الدور الذي لعبه الأمير محمد بن عبد الله الطاهري خلال مراحل الحرب، بدأ من مرحلة التعاضد مع المستعين ونصرته ضد تجاوزات القادة الترك وتهديدات المعتز، مرورا بمهام التهيئة الساحات والاسوار والمقاتلة ووضع الخطط المناسبة للحرب، ثم الاشراف المباشر على ادارة العمليات العسكرية وحماية بغداد وتأمين احتياجات الأهالي، وأخيرا الإدارة الحكيمة التي ابداها الأمير محمد الطاهري في ابعاد خطر الإبادة الجماعية التي قد يتعرض لها الأهالي داخل مدينة بغداد نتيجة الحصار الجائر، والمتمثلة بطلب إيقاف العمليات القتالية والدخول في مفاوضات الصلح مع الطرف الاخر، وقد برز فيها الأمير كمفاوض ناجح من فرض شروطه في بنود الصلح. اعتمدت الدراسة على المنهجية التاريخية التحليلية في سرد الروايات التاريخية وبيان مضامينها، وما كانت تشير اليه في نطاق هذه المباحث الثلاث.

المبحث الأول

نسب الأمير محمد بن عبد الله الطاهري

قبل الدخول في بيان الدور الهام الذي اضطلع به الأمير محمد بن عبد الله الطاهري لا بد من التعرف على هذه الشخصية بشكل دقيق، من خلال استعراض نسب الأمير، واصل اسرته الى اين تنتهي، ثم التطرق الى دور هذه الاسرة البارزة، والتي تركت لها اثرا واضحا في الاحداث التاريخية التي مرت بها، كما ومن الضروري الوقوف على ابرز الشخصيات الأساسية التي انجبتها هذه الاسرة، والمناصب الرفيعة التي تقلدها أولئك الرجال الاشداء في الدولة العباسية، كي يتضح الى أي اسرة ينحدر منها الأمير محمد بن عبد الله الطاهري، والتي ترك اثرا كبيرا في اعداد شخصيته المتميزة وصقلها ليكون احد رجالات القيادة المعتمدة من قبل مؤسسة الحكم في الدولة العباسية.

يرجع نسب الأمير محمد بن عبد الله الطاهري الى الاسرة الطاهرية التي حكمت اقليم خراسان واقاليم بما يضم من أراضي الى ما وراء النهر (١٩٤ – ٢٨٩هـ)، (اليعقوبي، ١٩٨٦) وتنحدر هذه الاسرة من اصلٍ فارسي تدين بالمجوسية ثم دخلوا كموالي في حلف مع

قبيلة خزاعة العربية بعد اعتناقهم الإسلام، (ابن خلكان، ١٩٨٣) ومن هنا جاءت تسميتهم بالخزاعية حيث ان جدهم زريق ابن باذان وقيل ماهان كان على المجوسية ثم اسلم على يد والي سجستان طلحة الطلحات شيخ قبيلة خزاعة. (الكليني، ١٣٦٢) وفيما بعد شغل بعض اجداده مناصب رفيعة في الدولة العباسية، فقد كان جده الأعلى مصعب واليا على إقليم سجستان ثم ضمت له مدينة هراة. (الطبري، ١٩٠٨)

جده الاعلى الامير طاهر بن الحسين (١٥٩- ٢٠٧ هـ) الذي لمع اسمه خلال الاحداث السياسية والعسكرية المتصاعدة بين قطبي الصراع على السلطة محمد الأمين وعبد الله المأمون أبني الخليفة هارون العباسي بُعيد وفاته (١٩٣هـ)، وهي المرحلة التي عرفت بالحرب الاهلية الأولى في الدولة العباسية (١٩٥هـ). (ابن الاثير، ٢٠٠٤) وطاهر هذا من ابرز القيادات العسكرية المساندة لعبد الله المأمون والمناصرة له في تمسك الاخير بولاية العهد بعد أخيه محمد الأمين، فقد سيره المأمون على رأس الجند نحو العراق لمواجهة علي بن عيس بن ماهان امير جند محمد الأمين، (الطبري، ١٩٠٨) وحينما التقى الجيشان كان النصر حليف القائد طاهر بن الحسين حيث قُتل ابن ماهان، فحلت الهزيمة بعسكر الأمين، مما فتح الباب على مصراعيه اما طاهر وجيشه للتقدم نحو بغداد ومحاصرتها، وتحت واطئة الظروف وشدتها؛ انهارت الجبهة الداخلية والقوة القليلة المدافعة عنها، ثم فتحت أبواب اسوار المدينة وتمكنت احدى سرايا جند طاهر بن الحسين من القاء القبض على الحاكم محمد الأمين، وهو في طريقه للهرب متخفا فقتلوه وجاءوا براسه لأمير الجيش طاهر بن الحسن الذي سيره بدوره الى مولاه عبد الله المأمون في خراسان سنة (١٩٨ هـ). (الطبري، ١٩٠٨؛ ابن كثير، ٢٠٠٤)

بعد الانتصارات العسكرية الكبيرة التي حققها الأمير طاهر بن الحسين على جند محمد الأمين، والتي تكللت برجحان كفت مولاه عبد الله المأمون واعتلائه سيدة الحكم، قام الاخير بتعين طاهرا واليا على العراق والأراضي التي فتحها خلال هذه المعارك تثمينا لجهوده واخلاصه في إتمام المهمة الموكلة اليه، (ابن الاثير، ٢٠٠٤؛ الدوري ع.، ١٩٨٨) . ولعل الانتصارات الكبيرة التي حققها الأمير طاهر قد اغاضت منافسيه، فقد تعرض الأمير لبعض الانتقادات من قبل مبغضيه في داخل البلاط العباسي، فقل لهم متهكما: (

...ليس يهنيني ذلك، لأني لا ارى عجائز بوشنج يتطلعن الي من اعالي سطوحهن اذا مررت بهن). (اليعقوبي، ١٩٨٦)

بقي طاهر حاكما عسكرا على بغداد الى ان جاءته الأوامر بتسليم حكومة العراق الى الوزير الفضل بن سهل، ويتوجه الى امارة خراسان والمناطق الواقعة وراء النهر لتولي مهمة عسكرية جديدة لضبط الأمور فيها، على اثر الاحداث الاضطرابات المتسارعة واعمال الشغب الواقعة بين الأهالي، وللحيلولة دون خروج الأوضاع عن سيطرة ممثل السلطة العباسية هناك (٢٠٥-٢٠٨هـ). (ابن كثير، ٢٠٠٤)

ولعل هناك سببا اخر وراء تولية الأمير طاهر بن الحسين امارة خراسان، فقد ارتبطت هذه المسألة بحادثة قتل محمد الأمين، وكأنما تركت هذه الحادثة اثرا مؤلما في نفس عبد الله المأمون تجاه امير جنده طاهر بن الحسين، فيذكر انه ذات مرة دخل طاهر على المأمون فوجد الدموع تنهمر من عيانه، فسأله عما يبكيك، فقال له : (...أبكي لأمر ذكره ذل وستره حزن ولن يخلو أحد من شجن...). (المسعودي ع.، ١٩٧٣) فأوجس طاهر في نفسه خيفة ولم يتجرأ على بسؤال المأمون، اذ لمح على وجهه غيضُ خفي، فأغرى طاهر احد ندماء المأمون المقربين في مجلسه، ان يستفهم عن سبب بكى المأمون، فأخذ هذه الشخص يتحين الفرصة ليسأل المأمون عما ابكاه لما دخل عليه طاهر؟ فقال: (... قال غمني بكاؤك، فقال: هو امر ان خرج من راسك اخذته، فقال: ومتى ابحت لك سرا؟ قال: اني ذكرت محمد اخي وما قاله من الذلة، فخنقتني العبرة، ولن يفوت طاهرا مني ما يكره،...). (الذهبي، ١٩٩١) عجبا اليس المأمون هو مَن سير طاهر بالجند لقتال أخيه الأمين ؟!! وكأنما طاهر هو مَن اوقد نيران الحرب بين الاخوين، وهو مَن كان يصر على قتل محمد الأمين؟!!

وعندما رجع الوسيط بالخبر الى طاهر اسرع الى احمد بن خالد بين له خطورة الامر، وطلب منه ان يجد له باباً ينصرف به عن مُجالسة المأمون، فتفهم احمد وضع طاهر المحرج ودخل على المأمون واخذ يحادثه بشأن الشخص الذي اختير لأمارة خرسان، فقال له: (...لم انم البارحة، فقال له : ولم؟ قال :لأنك وليت خراسان غسان وهو ومن معه اكلة راس، واخاف ان يصطلمه مصطلم، فقال : فمن ترى؟ قال: طاهر، قال :هو خالع؟ فقال: انا ضامن له، فدعا به المأمون وعقد له على خراسان من ساعته...) (ابن كثير، ٢٠٠٤)

وطاهر بن الحسين كان مخلصا لعبد الله المأمون خصوصا في بد اية مشواره العسكري، كما عُرف ببأسه الشديد وحزمه الصارم في ادارة شؤون السلم والحرب، وهو ذو اليمينين كما لقبه بذلك عبد الله المأمون. (الطبري، ١٩٠٨) وعلى الرغم من حدة المنافسة الشديدة بينه وبين الوزير الفضل بن سهل الا ان منزلته بقية كبيرة لدى عبد المأمون، فكثيرا ما كان ال سهل يحاولون الاطاعة به، والتقليل من أهمية إنجازاته العسكرية، والطعن بحقيقة اخلاصه للمأمون، (اليعقوبي، ١٩٨٦) وهذا التنافس ناتج عن خوف الفضل بن سهل من تعاظم نفوذ طاهر وأولاده عند المأمون واستحواذهم على مفاصل الدولة، وهذا يؤدي الى ضياع جهود الفضل بن سهل واخوته ادراج الرياح. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

كان تولي طاهر بن الحسين امارة خراسان نقطة انطلاق تحول في طريقة تفكير طاهر نفسه، حيث انه اخذ يشعر بالخطر المحدق به نتيجة تغيير تصرفات عبد الله المأمون تجاهه، سوى اكان بفعل نشاط الوزير الفضل بن سهل العدائي له، (ابن كثير، ٢٠٠٤) او بسبب ان حادثة قتل محمد الأمين التي لم تفارق مخيلة عبد الله المأمون قد ارتبطت بشخص القائد طاهر بن الحسين، فكلما راءه المأمون تذكر فاجعة اخيه المقتول. (الطبري، ١٩٠٨) هذا فظلا عن إصرار أبناء الاسرة العباسية على معاقبة طاهر وعزله عن المشاركة بقيادة مفاصل الدولة خصوصا في بغداد العاصمة. (اليعقوبي، ١٩٨٦)

قامت الامارة الطاهرية سنة (٢٠٥ هـ) في تلك المناطق البعيدة. (الفداء، ١٣٢٥) في بداية الامر كانت تعمل ضمن اطار السياسة العامة للدولة العباسية، بعد ذلك غير الأمير طاهر بن الحسين سياسته تجاه المأمون، فبان عليها لون من التمرد على السلطان في العاصمة بغداد، كان أول مظاهر التمرد الامتناع عن اقامت الخطبة في مدن امارته خرسان باسم الحاكم العباسي عبد الله المأمون، (العمراني، ١٩٩٩) وقد سبق للأخير بعدم الاكتراث بمراعات الاهتمام بأخبار الأمير طاهر، والتغاضي لأهميته العسكرية والإدارية السابقة، ولعل المأمون احس بتحول ولاء طاهر الى جهة العلويين خصوصا الى الامام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام)، وهناك إشارات تثبت تشيع الأمير طاهر حيث قيل: (وكان طاهر من أصحاب الرضا (عليه السلام) كان متشيعا وينسب التشيع أيضا إلى بني طاهر). (الكليني، ١٣٦٢)

ويبدو ان تصرفات طاهر تركت اثرا بليغا في نفس عبد الله المأمون اكثر مما كان شائعا ان الأخير تغيير على الأمير طاهر بن الحسين بدفع من أبناء الاسرة العباسي الحاكمة، او كان بتحريض من الوزير الفضل بن سهل، لان في عدم الدعاء للحاكم العباسي يعد خروجا عن الطاعة، (فوزي، ٢٠٠٣) فأتخذ المأمون قراره الأخير بتصفية طاهر جسديا بواسطة احد عيونه المنتشرين في دار امارة طاهر فدس له السم فمات سنة (٢٠٧ هـ). ومما يعضد هذا القول ويرجحه على غيره من الأسباب انفة الذكر هو موت الأمير طاهر المفاجئ دون علة كان قد اشتكى منها قبيل وفاته على السرير، فقد جاء في حادثة موت الأمير طاهر انه: (امساك طاهر عن ذكر الخليفة في الخطبة ودعا لإصلاح الامة، فوصل صاحب البريد الخبر، فمات طاهر بيومه ... وهذا يؤكد بان الخادم هو الذي سمه بسبب خروج طاهر عن طاعة المأمون). (ابن خلكان، ١٩٨٣؛ ابن خلدون، ٢٠٠٣)

ولما وصل خبر موت طاهر بن الحسين الى مسامع عبد الله المأمون في بغداد قال: الحمد لله الذي خدمه وأضرنا، وسارع الأخير الى الإعلان عن مظاهر الحداد الحزن على رحيل احد اركان دولته ومقوي سلطانه، كما امر باستخلاف ابن الفقيد البكر طلحة اميرا على اعمال ابيه الراحل، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) وبقي طلحة اميرا على خراسان الى حين وافاه الاجل، فكانت مدة امارته (٢٠٨-٢١٣ هـ). (الطبري، ١٩٠٨) وبعده جاء أخيه الأمير عبد الله ليتولى امارة خراسان لمدة أطول من سلفه، حيث كانت (٢١٣-٢٣٠ هـ)، (ابن كثير، ٢٠٠٤) ولما مات عبد الله بقيا منصب الامارة في ذراريه، فخلفه ابنه الأمير طاهر المعروف بطاهر الثاني (٢٣٠-٢٤٨ هـ)، (الطبري، ١٩٠٨) واخرا حفيده الأمير محمد بن طاهر (٢٤٨-٢٥٨ هـ)، الذي سقطت الامارة الطاهرية في عهده. (المسعودي ع.، ١٩٧٣)

كان عبد الله والد - الأمير محمد الطاهري - الرجل الأبرز بين امراء الاسرة الطاهرية بعد مؤسسها الأمير طاهر بن الحسين، عبد الله خلف أخيه طلحة بأمارة الدولة الطاهرية، فالأمير عبد الله كان من اشد رجالات الدولة العباسية أيام حكم عبد الله المامون (١٩٨-٢١٨هـ) واخية المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ). (فوزي، ٢٠٠٣) كما انه انفرد دون بقية اخوته باهتمام ابيه له بصورة ملحوظة، ولم تكن هذه الخصوصية عبثا، بل هي نابعة من ادراك الأمير طاهر لعظم شخصية ولده عبد الله وكفاءته العالية في أداء المهام الموكلة به،

وما يؤكد حالة الاهتمام هذه قيام الأمير طاهر بأرسال كتاب مطول احتوى على جملة توصيات، لعلها اقرب الى ان تكون دستورا يقتدي بها اولات الامر في الدولة الإسلامية من حكام وامراء وقادة، وهي ما تعارف عليها بوصية طاهر لولده عبد الله، وقد عُبر عنها في الروايات التاريخية التي تعرضت لشخص الأمير طاهر بجملة تعابير جاء في بعضها: أن طاهرا لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه، وتدارسوه وشاع أمره، حتى بلغ المأمون، فدعا به وقرئ عليه، فقال: ما بقى أبو الطيب – يعني طاهرا – شيئا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه، وأوصى به وتقدم. وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال. وتوجه عبد الله إلى عمله فسار بسيرته، واتبع أمره، وعمل بما عهد إليه. (الطبري، ١٩٠٨؛ خلف، ١٩٨٥)

كان الأمير عبد الله الى جانب ابيه طاهر بن الحسين في معظم عملياته العسكرية، فقد اضطلع بمهام قتالية كبيرة لا تقل أهمية عما انجزه ابيه طاهر في سياق تثبيت الحكم لعبد الله المامون، فبعد الانتصارات الباهرة التي حققها الأمير طاهر في حرب محمد الأمين، والتي كان لولده عبد الله فيها جولات قتالية واسعة أسهمت في احراز تلك الانتصارات. (ابن كثير، ٢٠٠٤) كلف القائد عبد الله بمهمة عسكرية جديدة في الجانب الغربي للدولة الإسلامية، حيث استغل بعض اطراف المعادية للحكم العباسي حالة الفوضى وانعدام القيادة المركزية للدولة العباسية اثناء الحرب الدائرة بين الاخوين الأمين والمأمون، الى اعلان التمرد والعصيان في مناطقهم، فبتوجه من عبد الله المأمون ارسل الأمير طاهر بن الحسين ولده القائد عبد الله الى مصر والمناطق الساحلية في الإسكندرية وما تحيط بها، (المناصيري، ٢٠٠٠) فقد تمكن القائد عبد الله بما عرف عنه من إمكانات قيادية شاملة في ميادين المواجهات العسكرية من انزال الهزائم المتتالية بالقوات المتمردة في مصر والسواحل وابعاد خطر الاندلسيين من التغلغل في المناطق الساحلية (٢٠٠ هـ). (المسعودي ع.، ١٩٧٣)

كما سيره ابيه الأمير طاهر والي بغداد بأمر من عبد الله المأمون للتوجه الى بلاد الشام وقبائل الجزيرة الفراتية لقمع تمرد نصر بن شبت العقيلي والقضاء على أنصاره المتعاونين معه، (ابن الاثير، ٢٠٠٤) وبالفعل فقد تمكن القائد عبد الله بن طاهر من

القضاء على حركة نصر بن شبت وإعادة الأمور الى نصابها السابق، (اليعقوبي، ١٩٨٦) هذه الممارسات والفعاليات المتكررة في حياة ابية الأمير طاهر اكسبت القائد عبد الله المؤهلات المناسبة للنهوض بمهمة الامارة الطاهرية في خراسان خلفا لاخيه طلحة. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

شهدت المناطق الواقعة تحت ولاية الامارة الطاهرية في عهد الأمير عبد الله بن طاهر ازدهارا واسعا على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية، لقد نالت الامارة الطاهرية في عهد الأمير عبد الله استقلالا شبة كامل عن مراكز القرار السياسي لدولة بني العباسي، فغدى ارتباطها بالحاكم العباسي اسميا لا غير. (المسعودي ع.، ١٩٧٣) واما على الصعيد الاقتصادي فقد عمد الأمير عبد الله الطاهري على احياء المنتوج الزراعي والحيوان وتعدد مصادر انتاجه من خلال تنشيط سبل النهوض بالمشاريع الزراعية والحيوانية. وفي المجال الثقافي فكفى القول بأن حاضرة الاسرة الطاهرية سجستان غدت منارة للعلم والمعرفة تستقطب العلماء والشعراء واهل الفكر. (ابن كثير، ٢٠٠٤) حتى ساد حكم الطاهرين في عهد الأمير عبد الله ليضم العديد من الأقاليم المجاورة من بلاد ما وراء النهر واراضي السند وقسما كبيرا من بلاد فارس، نتيجة الانتعاش الاقتصادي والاستقرار السياسي السائد وانتشار الوعي الثقافي الذي يتميز به شعوب هذه المناطق الشرقية. (العبادي، ٢٠٠٣)

الا ان الامر لم يدم – فدوام الحال من المحال – فبعد موت الأمير عبد الله خلفه ابنه طاهر المعروف بطاهر الثاني، (بيطار، ١٩٩٢) في عهد طاهر اخذ قوس الصعود لهذه الامارة بالنزول نحو التردي والانكماش حتى اكتمل مشهد الضعف والتقهقر ثم الانهيار والاضمحلال حينما تولى امر الامارة الطاهرية ابنه محمد الذي انشغل بالملذات واللهو عما هو اهم من ذلك. (ابن كثير، ٢٠٠٤)

الملاحظ على الامارة الطاهرية انها على الرغم من سعي امرائها الخمس على انتهاج طريق التحرر عن الهيمنة المباشرة لخلفاء الدولة العباسية عليهم، باتخاذ طريق الاستقلال وان كان محددا، الا ان جميع الامراء كانوا حريصون على الالتزام الشديد بالمحافظة على رمزية السلطان العباسي والإبقاء على اخذ الشرعية منه. (بيطار، ١٩٩٢) ففي مسألة

ملازمة فرض الشرعية العليا للبيت العباسي على كافة الأقاليم الواقعة تحت مضلة الدولة الإسلامية، كان جميع الامراء الطاهرين مستعدون لتقديم الدعم العسكري والسياسي اللازم في سبيل انفاذ شرعية بني العباس قبال جميع قوى المعارضة للوجود العباسي على اختلاف توجهاتها وادعاءاتها، كالعلويين والزيديين والخوارج وبقايا بني امية، وحقيقة الاحداث كاشفة عن هذا الالتزام من قبل امراء الاسرة الطاهرية تجاه اسيادهم ملوك بني العباس، (الدوري ع.، ١٩٨٨)

وبالمقابل تجد تناغم توجهات الحاكم العباسي مع مسلك الامراء الطاهرين هذا، بحيث حافظ الحاكم العباسي عبد الله المأمون ومن جاء بعده ممن عاصر عمر الامارة الطاهرية على هذا التناغم والتفاهم بين امراء الامارة والحاكم العباسي، ومع ان هناك إشارات تاريخية اكدت ميل الأمير طاهر بن الحسين – مؤسس الامارة الطاهرية – نحو الامام الرضا (عليه السلام) ووصفه بالتشيع العلوي، (الكليني، ١٣٦٢) ثم كان من نتاج هذا الميل موت الأمير طاهر بن الحسين في ظروف غامضة في سنة (٢٥٧هـ)، لا تُبرء ساحة الخليفة عبد الله المأمون منها. (المسعودي ع.، ١٩٧٣)

مع كل هذه التقاطعات تجد الخليفة العباسي مصراً على إبقاء امارة خراسان والمناطقة المحيطة بها في ابناء طاهربن الحسين. (فوزي، ٢٠٠٣) ولعل هذا يعكس ادراك مؤسسة الحكم العباسي على اخلاص بني طاهر بالولاء لها والوقوف الى جانبها بوجه الحركات الانفصالية التي اخذت بالظهور في الأقاليم البعيدة عن المركز. (الخضري، ٢٠٠٤) وهذا ما اثبته امراء الاسرة الطاهرية بالتصدي لتلك القوى والثورات المتتالية خصوصا في مناطق المشرق الإسلامي حتى ايامها الأخير وسقوطها على يد الصفارين سنة (٢٥٩ هـ). (الطبري، ١٩٠٨)

بعد ذلك يأتي دور الامير أبو العباس محمد بن عبد الله في الامارة الطاهرية، اذ لم تسمح له الظروف ان يتبوأ منصب الامارة في خراسان، الا انه كان رقما مميزا بين رجالات الاسرة الطاهرية، (ابن كثير، ٢٠٠٤) يتمتع الأمير محمد الطاهري بمميزات متقدمة في ميدان الإدارة المحلية وذو نظرة نافذة في الشؤون السياسية ناهيك عن قدراته البارعة في

ميدان الحروب والعسكرية، (الذهبي، ١٩٩١) اما في مجال الثقافة والادب فكان الأمير محمد الطاهري مرموقا في مجال الشعر والفن. (الصفدي، ٢٠٠٠)

بعد وفاة الأمير طاهر بن عبد الله بن طاهر سنة (٢٤٨ هـ) كانت رغبة الخليفة المتوكل العباسي تميل الى تولية منصب الامارة الطاهرية في إقليم خراسان الى أخيه الأمير محمد بن عبد الله ، (القلقشندي، ماثر الاناقة في معالم الخلافة، ١٩٨٥) الا ان إصرار محمد بن طاهر الثاني على احقيته بولاية عهد ابيه، ووقوف بعض أبناء الاسرة الطاهرية الى جانبه جعل موقف الخليفة العباسي في حراجة من امره، بغية عدم احداث تصعيد الخلاف داخل الاسرة الطاهرية والمحافظة على تكاتف الجهود الموالية للحكم العباسي في تلك الأقاليم التي تشهد بعض أطرافها بوادر عمليات الانفصال، (الصفدي، ٢٠٠٠) على الرغم ان عمه الامير محمد بن عبد الله كان الاجدر من ابن أخيه محمد في الحفاظ على استمرار امارة خراسان بيد الاسرة الطاهرية، لما كان يتمتع به من مؤهلات اللائقة لهذه المهمة الصعبة وخصوصا وان الاخطار تحدق بالأمارة الطاهرية من قبل منافسيهم الصفارين وغيرهم من امراء الأقاليم القريبة منها. (المسعودي ع.، ١٩٧٣)

سبق وان اشارنا الى ان الامارة الطاهرية كانت تشكل دعامة أساسية للدفاع عن وحد أراضي الدولة العباسية، ومصدرا للمناورة العسكرية والسياسية التي تعمل وفق سياسة السلطة، فأحداث نزاع وتطوره الى نزعات قد تصل الى الصدام العسكري بين أبناء الاسرة الطاهرية، يقع في غير مصلحة الدولة ويهدد سلامة وامن اقاليمها، فالمصالحة العليا تقضي بإقرار ولاية محمد بن طاهر الثاني مع علم الحاكم العباسي بعد اهليته لهذه المهمة لعدم توفر مؤهلات القيادة والمقدرة في إدارة أمور الامارة كما كانت عليه أيام اسلافه الأوائل كطاهر المؤسس وابنيه طلحة وعبد الله او حتى لم يكن بمستوى ابيه طاهر الثاني، فظلا عن علم الحاكم العباسي برجاحة عقلية عمه محمد بن عبد الله وما كان يتمتع به من صفات ترشحه لمنصب الامارة، وقد مر الإشارة الى بعضها. (عساكر، ١٩٩٥)

سنة (٢٥٢ هـ) استقدمه الخليفة العباسي جعفر المتوكل الى بغداد ليوليه أمور شرطتها وضبط احوالها بعد ان كثرت فيها اعمال النهب والشغب نتيجة احداث الفوضى التي تسبب بها بعض العامة وشغب الجند، (الذهبي ش.، ١٩٨٤) فعندما وصل الأمير محمد

الطاهري قلده المتوكل امارة بغداد بعد عزل أخيه عبيد الله، فعمل الأمير الجديد على ضبط أوضاع المدينة واصلح شؤون رعيتها. (الدوري ع.، ١٩٨٨) واستمر بعمله الأمير محمد الطاهري الى ان عاصر احداث الفوضى التي عمت العاصمة سامراء نتيجة شغب الجند واستفحال امر قادة الترك، التي أدت الى تحول الحاكم العباسي المستعين بالله عنها الى مدينة بغداد برفقة مجموعة من بعض القادة الاتراك الموالين له كوصيف وبغاء وجماعة كبيرة من بني هاشم وحواشيهم، واستقر الحاكم الفار في دار الأمير الطاهري، (ابن كثير، ٢٠٠٤) فكانت نقطة البداية لحرب الاهلية العباسية الثانية التي عرفت بحرب المستعين والمعتز، وفيها برز دور الأمير محمد بن عبد الله الطاهري المحوري كونه عهد اليه المستعين بالله إدارة ملف الحرب، وبعد نهاية المواجهات القتالية بين الجانبين والخول في مرحلة الصلح كان للأمير محمد الطاهري اليد الطولى في تحديد ملامح بنود الصلح، التي اقرت بقاء الأمير محمد الطاهري على اعمال امارته في مدينة بغداد حتى وافاه الاجل سنة (٢٥٣ هـ). (اليعقوبي، ١٩٨٦؛ الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤)

المبحث الثاني

نفوذ الاتراك في الخلافة العباسية

يرتبط موضوع درور الأمير محمد بن عبد الله الطاهري، بالحرب الداخلية التي قامت في الدولة العباسية (٢٥١هـ) على اثر اعمل الشغب والقتل والمؤدية الى انتشار ظاهرة الفوضى العسكرية التي قام بها قادة الجند الترك في العاصمة سامراء، ولا بد من التعريف على أقطاب هذه الحرب الداخلية التي برز فيها دور الأمير محمد بن عبد الله الطاهري، هذه الأقطاب التي تنقسم الى قسمين، الأول: هم العناصر المتصارعة من أبناء الاسرة العباسية لاعتلاء كرسي الحكم، متمثلين في شخصيتي الخليفة احمد المستعين بالله ومحمد بن المتوكل الذي خرج عليه بتحريض من قادة الترك، واما القسم الثاني: فهم قادة الجند من الاتراك الذين اوقدوا نيران هذه الحرب بغية الحفاظ على امتيازاتهم الكبيرة ونفوذه داخل مؤسسة الحكم العباسي. وهذا المبحث سيتناول بدايات استقدام الترك في المؤسسة العسكرية وتداعيات ظهورها كقوة بديلة عن العناصر الأخرى في هذا المجال الأمني وفي طليعتها العنصر العربي، ثم تنامي نفوذهم ليصل الى اختيار شخص الحاكم نفسه، (المسعودي ع.،

١٩٧٣) حتى أصبح تسير الدولة صعبة جدا، بل ومتعسرة على الحاكم، سبب تزايد التوغل التركي في البلاط العباسي. والامر الذي زاد المشهد تعقيدا هو انقسام قادة الترك الى قوى متنافسة فيما بينها بغية الانفراد بالهيمنة على مفاصل الدولة. (بيطار، ١٩٩٢)

ترجع بدايات تواجد الترك (ياقوت الحموي، ١٩٩٥) الى مرحلة متقدمة من عمر الدولة العباسية، وان كان على نطاق ضيق ومختصر على افراد قلائل ضمن مهام محدودة، حيث تم استخدام افراد من عناصر الترك في القيام ببعض المهام أيام الحاكم العباسي أبو جعفر المنصور، (الطبري، ١٩٠٨؛ الجهشياري، ١٩٨٦) فقد ور ذكر أسماء اشخاص كمبارك التركي وحماد التركي كان لهما حضورا في مجالس أبو جعفر المنصور. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

ولم يبرز لعناصر الترك دورا مؤثرا في الحياة العامة خلال عهود خلفاء الدولة العباسية الأوائل حتى جاء عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨ – ٢٢٧هـ) ، (مسكوية، ٢٠٠٣) حيث شرع الى الاستزادة من استقدام عناصر الترك وزجهم في القطاع العسكري وبأعداد كبيرة جدا، بحيث اصبح لهم ثقلا كبيرا في موازين القوى القتالية يوازي ثقل العناصر الفارسية لا بل حتى العربية، (الماوردي، ١٩٨٢) وبمجيء هذه القوة وتناميها بهذه السرعة ضعف التأثير الفارسي وابعدوا – ولو مؤقتا – عن التدخل في الشأن السياسي والعسكري، ومن جهة أخرى عمد الخليفة العباسي المعتصم بالله الى اسقاط المقاتلة العرب من دوان العطاء وهذه سابقة خطيرة لم يفعلها اسلافه الخلفاء من قبلُ، على الرغم من ميل اغلبهم للعنصر الفارسي، فلم يقدم احدهم على قطع الارزاق عن الجند العرب. (الكندي، ١٩٩١)

بمرور الوقت تنامى دور القادة الترك في المؤسسة العسكرية بشكل كبيرة، فاخذوا يتدخلون بشؤون الإدارة والتعبئة العسكرية، وبعبارة أخرى شهدت عهود الحكم منذ وقت الخليفة المعتصم بالله والى ما يليه من خلفاء الدولة العباسية حتى سنة (٣٣٤هـ) هيمنة مطلقة للقادة ترك على مفاصل الدولة العباسية بما في ذلك الحجابة والوزارة وحتى منصب الخليفة نفسه. (ابن تغريد، ١٩٩٢)

ثم جاء ابو جعفر هارون ولقب بالواثق بالله (٢٢٧ – ٢٣٢هـ) الى الحكم بعد موت ابيه المعتصم واستمر على نفس نهج سلفه في مواصلة الاعتماد على الجند الترك ومنح قياداتهم العسكرية مزيدا من الصلاحيات حتى غدى نفوذهم يتسع لينفذ في جميع مفاصل السلطة، (ابن عبد ربه الاندلسي، ١٩٦٥) وفي عهد الواثق بالله حدث امرا فتح الباب على مصراعيه امام بعض المتنفذين من قيادات الترك بالتدخل في اختيار الحاكم العباسي وبشكلٍ علني، حيث ان الواثق العباسي لم يحدد مَن يليه في الحكم ووافته المنية دون ولي عهد، هنا استثمر القادة الترك هذا الفراغ الخطير واقدموا على اختيار جعفر بن المعتصم حاكما للدولة العباسية واطلقوا عليه لقب المتوكل على الله، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) بحجة انهم خافوا على المُلك ان يخرج من بين أولاد سيدهم الكبير وصاحب نعمتهم الى الغير من بني العباس، (الدوري ع.، ١٩٨٨) كما انهم أرادوا ان تكون لهم المنة والفضل على المتوكل بعدما البسوه جبة الحكم وقلده امر الدولة بعد الواثق مع انه لم تكن له ولاية عهد. (شلبي، ١٩٦٠)

الا ان الامر انقلب عليهم فقد أدرك الخليفة المتوكل منذ بداية اختياره خليفة في الدولة العباسية ان القادة الترك لم يقصدوا خدمته او أبناء المعتصم فحسب، بل أراد من تنصيبه كي يكون وسيلة تقوى بها قبضتهم على مصدر القرار الرئيسي في الدولة، فاخذ يعمل على تقويض نفوذهم والحدد من هيمنتهم عليه وعلى مؤسسات الدولة وفي طليعتها الموارد المالية والعسكرية والسياسية، قبال ذلك احسن القادة الترك بمساعي المتوكل واوجسوا منه خيفة، فعمدوا الى ارباك مخططه وافشاله، عبر اثارة الفتن داخل البلاط العباسي، مستثمرين في سبيل ذلك حالة الامتعاض التي أصدرها ابنه البكر وولي عهده المنتصر، حيث ان المتوكل بعد ان استقرت له أمور السلطة رغب في توريثها في ابناءه الثلاثة، وعقد لهم بولاية عهده على التوالي واطلق عليهم الألقاب المنتصر والمعتز والمؤيد، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) الا ان الخليفة المتوكل العباسي بعد ذلك اظهر رغبته بعزل ولده محمد المنتصر عن ولاية العهد وحاول تقديم ابنه الاخر المعتز عليه نزولا على رغبة زوجته ام المعتز. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

مما تسبب بزيادة حالة الاحتقان بين الخليفة المتوكل وابنه البكر محمد المنتصر، وبذلك وجد القادة الترك الفرصة سانحة امامهم لبث روح المنافرة بين الاب وابنه، فأخذوا بتأليب الولد على ابيه حتى اوغلوا قلبه حقدا على المتوكل، وصادف ان الخليفة المتوكل كان في احد مجالسه الحمراء في قصره بمنطقة المتوكلة والى جانبه نديمه المفضل الفتح بن خاقان، فدخلوا عليه بعض قادة الاتراك وقتلوه مه نديمه ابن خاقان بتواطؤ مع ولده محمد في سنة (٢٤٧هـ). (الطبري، ١٩٠٨)

شكل اغتيال الخليفة المتوكل بعملية تأمرية مشتركة بين ابنه محمد المنتصر وبعض قادة جند الترك منعطفا خطيرا في تاريخ التدخل العسكري التركي بشؤون الحكم في الدولة العباسية، (فوزي، ٢٠٠٣) حيث بلغ تدخل قادة الترك اعلى مستوياته بحيث وصف بهذا القول: (... ان الاتراك قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة، واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في ايديهم كالأسير ، ان شاءوا ابقوه، وان شاءوا خلعوه وان شاءوا قتلوه...). (ابن الطقطقي، ١٩٦٢، صفحة ٢٤٠) كما رافق هذا النمو المتصاعد للنفوذ العسكري التركي ظهور حالة جديدة كشفت عن نزاعات بين قادة الترك انتجت حالة من الانقسامات داخل المنظومة العسكرية للجند الترك أدت الى انتشار عمليات التصفية الجسدية لبعض اطراف النزاع من قادة الترك، ثم كان من نتاج هذه الفوضى ان أوصلت البلاط العباسي الى مرحلة الاقتتال الداخلي الدامي فيما بعد. (فوزي، الخلافة في عصر الفوضى العسكرية ، ١٩٧٣) بدعم من قادة الترك توج المنتصر بالله حاكما للدولة العباسية بنفس الليلة التي قتل فيها ابيه المتوكل ، وكان من الطبيعي ان يقع الحاكم الجديد تحت الضغط المباشر من قبل قادة الترك الذين شاركوه بمهمة تصفية ابيه المتوكل، (الطبري، ١٩٠٨) اسرع القادة الترك الى تشكيل مسرحية صورية لحادثة اغتيال المتوكل بحضور جمع من رجالات الدولة العباسية بينهم الكتاب والقواد ورؤساء القبائل العربية ، وقسما من الشاكرية وغيرهم من الوجوه والاعيان، قراء على مسامعهم الوزير احمد بن الخصيب اتهم فيها الفتح بن خاقان بقتل المتوكل ثم قتله المنتصر ثأرا لأبيه. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

كما اصرا القادة الترك على ان يقوم المنتصر ان يعقد بولاية العهد لابنه الصغير عبد الوهاب بعد ان يخلع اخويه المعتز والمؤيد عنها، فقد كان يردد بعض القادة الترك أمثال بغا

ووصيف قول: (... انا لا نأمن الحدثان، وان يموت امير المؤمنين، فيلي المعتز الخلافة فيبيد خضراءنا، ولا يبقى لنا باقية، والان الرأي ان نعمل في خلع المعتز والمؤيد...). (الطبري، ١٩٠٨، صفحة ج٥، ص١٦٧؛ ابن الاثير، ٢٠٠٤، صفحة ج٦، ص١٨٥) عرض الامر على المؤيد والمعتز خلع نفسيهما ومبايعة ابنه الصغير، وافق المؤيد على الخلع والمعتز اول الامر لكنه تراجع وخلع نفسه حينما حذره أخيه المؤيد من غدر القادة الترك وخبث نواياهم، فقد جاء في تحذير المؤيد للمعتز: (... يا جاهل تراهم نالوا من ابيك وهو، هو ما نالوا، ثم تمتنع عليهم ؟ اخلع ويلك لا تراجعهم! ... فقال : هذا الامر قتل اباك وهو يقتلك ، ... فقال : افعل). (ابن كثير، ٢٠٠٤، صفحة ج٧، ص٩٨)

وبدء المنتصر يشعر بوطأة الاتراك وطغيانهم واستبدادهم، فأخذ يفكر بوضع حدا لتدخل الاتراك في شؤون الحكم. ولعل هذا واضحاً بتصريحات المتكررة ، فقد جاء عنه : (ان هؤلاء قتلة الخلفاء). (السيوطي، ١٩٥٢، صفحة ص٢١٠) والحقيقة ان القادة الترك قد احكموا قبضتهم الشديدة على رجالات البلاط العباسي ، فضلا عن هيمنتهم المطلقة على مفاصل الدولة، فلم يستطع المنتصر بالله فعل أي شيء من شأنه الاضرار بمصالح القادة الترك، فقد حاول المنتصر ان يفرق بين القادة الترك لتقليل اثرهم عليه، خصوصا بين بغاء ووصيف حيث ارسل في طلب وصيف وشرح له خطر هجمات الروم على ثغور المسلمين في المناطق المحاذية لهم، فقال له المنتصر: (... قد اتانا عن طاغية الرومانه اقبل يريد الثغر، وهذا امر لا يمكن الامساك عنه، ولست آمنة ان يهلك كل ما مر به، من بلاد الاسلام يقتل ويسبي، فأما شخصت انت، واما شخصت انا، فقال: بل اشخص انا يا امير المؤمنين، ...). (ابن عبد ربه الاندلسي، ١٩٦٥، صفحة ج٤، ص١٤٥) هذه الحادثة وغيرها جعلت القادة الترك يتيقنون من نوايا المنتصر فاقدموا على قتله غيلة بالسم عن طريق بعض المتعاونين معهم من خدم المنتصر، (المسعودي ا.، ١٩٧٩) فمن قائل انه فصد بمبضع مسموم فمات على اثره، ومن قائل ان الذبحة اخذته في حلقه، واستمرت لمدة ثلاثة ايام، ويبدو ان للقادة الاتراك دوراً في موته، ولو انه لا توجد اية اشارة الى ذلك. فلم يدم ملكه سوى شهور قلائل. (اليعقوبي، ١٩٨٦)

بعد تصفية المنتصر بالله عاد كبار قادر الترك الكرة ثانيتا واختاروا هم من يخلف المنتصر بالحكم، كما فعلوها في المرحلة الأولى حينما جاءوا بالمتوكل خلفا للواثق دون عهدٍ سابق بالولاية، (شلبي، ١٩٦٠) فقد اجتمعت كلمة قادة الترك وعلى رأسهم بغا الصغير وأتامش بغا الكبير وغيرهم : (... فاستحلفوا قوّاد الاتراك والمغاربة والاشروسنية على ان يرضوا بمن رضي به بغا الكبير وبغا الصغير وأتامش، وذلك بتدبير احمد بن الخصيب، فحلفوا وتشاورا، وكرهوا ان يتولى الخلافة احد من ولد المتوكل لئلا يغتالهم واجمعوا على احمد بن محمد بن المعتصم، وقالوا : لا تخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم...). (السيوطي، ١٩٥٢، صفحة ص٢٤٥؛ الطبري، ١٩٠٨، صفحة ج٧، ص٤١٧)

تمت لأحمد البيعة سنة ولقبوه بالمستعين بالله (٢٤٨ – ٢٥٢ هـ)، (السيوطي، ١٩٥٢) ومع ان هذا الخطوة تبين للمتتبع وبوضوح حجم قوة تدخل المؤسسة العسكرية بالتحكم في القرارات المصيرية في العصر العباسي الثاني، وخصوصا فيما يتعلق في اختيار الحاكم العباسي، الا انها من جهة أخرى زادت وبشكلٍ واسع في حجم الهوة الحاصلة بين قادة الترك الكبار من ذو النفوذ والسطوة في الدولة حيث قيل: (... انكر بعض القواد البيعة ...)، (ابن الاثير، ٢٠٠٤، صفحة ج٧،ص٢١٣) فقد مر ذكر ان النمو المفرط الحاصل في نفوذ الهيمنة العسكرية على مصادر القرار في الدولة الى الحد الذي اصبح لكبار القادة الترك الحق في اختيار مَن يرضونه ليكون حاكما للدولة. (شلبي، ١٩٦٠)

والى جانب ذلك ظهرت حالة من المنافسة الشديدة بين أولئك الكبار من القادة الترك ذوي النفوذ الواسع، ومن الطبيعي ان تحدث هذه المنافسة بينهم، لان مَن تكون لرأيه الغلبة في صناعة هذا الشخص حاكما دون سواه من افراد البيت العباسي، يكون له النفوذ الواسع والكلمة العليا في ادارت موارد الدولة المالية وفي طليعتها الاستحواذ على خزائن الأموال، كما ويعمل على اضعاف كبار القادة من الطرف الاخر المنافس له. (الدوري ع.، ١٩٨٨) فمغانم السلطة غالبا ما تكون الهدف الأساس الذي تسعى القوى المتنفذة الاستحواذ عليه.

وقطعا هذه المرحلة كانت اكثر تعقيدا مما سابقتها، حيث تنامي سطوة قادة الترك وانقسامهم الى فريقين متنافسين في ميدان السيطرة على مؤسسة الحكم في الدولة العباسية، خصوصا وان المستعين بالله قد اطلق يد عناصر من قادة الترك الذين اجلسه على كرسي الحكم خلفا

للمنتصر، (السيوطي، ١٩٥٢) ومن الطبيعي ان يقع المستعين بالله تحت سيطرة كبار القادة الترك من هذا الفريق الى درجة كبيرة، فلم يكن له راي بعد ان أصبحت الأمور بيد القائدان التركيان أوتامش التركي والخادم شاهك التركي اللذان استأثرا بالامر وغدا المتحكمين بمقادير السلطة ومواردها العامة وفي طليعتها الاقتصادية، وكانت تشاركهما في هذا الامر السيدة مخارق التركية ام المستعين بالله وتدعمهما بشدة. (الطبري، ١٩٠٨) وبمرو الوقت اصبح القائد أوتامش التركي الرجل الأول في البلاط العباسي، فقد كانت له الوزارة وولايتي مصر والمغرب وخراجهما، ومؤدبا للعباس ابن المستعين بالله. (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤)

هذا التفرد بالسلطة من قبل القائدين التركيين أوتامش وشاهك الخادم وفريقهما المهيمن على الأمور جوبه بمعارضة شديدة من قبل قادة الفريق الاخر المتضرر، وفي طليعتهم القائد باغر التركي الذي شكل قطب تجمعت حوله العناصر التركية الأخرى الراغبة بازلت هينمة اوتامش، وبالفعل فقد تظافرت جهودهم وتمكنوا أخيرا من الثورة وقتل اوتامش والهجوم على داره ونهبها كما نهبوا دار مساعده شجاع بن القاسم، (النجار، ٢٠٠٤) ولعل في رفض المستعين اغاثت اوتامش بعد ان استغاث به الأخير لنجدته من الثوار، يعكس وبصورة جلية حجم الرغبة التي كانت لدى الحكام العباسيين – ومنهم المستعين – بالخلاص من سطوة نفوذ قادة الجند الترك، فقد تركه يلاقي مصيره المحتوم دون ان يقدم له المساعدة. (السيوطي، ١٩٥٢)

يأتي القائد باغر التركي الذي كان من ضمن المجموعة المتورطة في تنفيذ عملية اغتيال المتوكل العباسي – ان لم يكن ابرزها – (ابن كثير، ٢٠٠٤) وكان باغر من القادة الترك الأقوياء الراغبون بالانفراد بالسلطة، وممن عارض فكرة القائد اوتامش بتنصيب المستعين حاكما خلفا للمنتصر، كما انه كان يخطط للتخلص من المستعين وقتله فقد قال لجماعته: (... الزموا الدار حتى نقتل المستعين ووصيف وبغا ونجيء بعلي بن المعتصم أو بأبن الواثق ونجعله خليفة ، حتى يكون الأمر لنا، كما هو لهذين اللذين استوليا على أمر الدنيا، وبقينا نحن في غير شيء ...) ، (الطبري، ١٩٠٨، صفحة ج٧، ص٢٣٦) جوبهت رغبات باغر وفريقه بمعارضة شديدة من قبل الفريق الأخر ضمن المؤسسة العسكرية المتصارعة على النفوذ، فقد كان وصيف وبغا ممن استشعرا خطر باغر وهيمنة

فريقه على أمور البلاط العباسي، وعملا على تأجيل رغبة الانتقام من باغر في نفوس خصومه الاخريين، مما عجل في تصفيته جسديا على يد بعض العناصر الموالية لوصيف وبغاء، (ابن كثير، ٢٠٠٤) وبتحريض من قبل الحاكم العباسي المسعين بالله الذي كان ناقما على ممتعضا من تصرفات باغر واعوانه. (السيوطي، ١٩٥٢)

وكان باغر متعذرا بسوء إدارة المستعين، حيث عمد الأخير على اطلاق يد وزيره اتامش التركي وخادمه شاهك التركي في خزائن بيت الأموال بطريقة لم تماثلها أي عملية من عمليات الاستحواذ الشامل في عهود الحكم السابقة بحيث استولى اتامش ومرتزقته الاتراك على الأموال الحكومية.

المبحث الثالث

دور الأمير محمد الطاهري في الحرب (٥١-٥٢ هـ)

يبدأ دور الأمير محمد بن عبد الله الطاهري في الحرب الداخلية في الدولة العباسية الواقعة بين المستعين والمعتز (٥١-٥٢ هـ)، حال انتقال الخليفة العباسي المستعين بالله الى مدينة بغداد واتخذ الأخير من دار الأمير الطاهري مقرا له، (ابن الاثير، ٢٠٠٤) على أثر احداث الفوضى المتفشية في العاصمة سامراء، نتيجة انقسام القادة الترك الى مجاميع متصارعة بغية الاستحواذ على مغانم السلطة. (الطبري، ١٩٠٨) وقبل التعرض الى دور الأمير الطاهري لا بد من استعراض ملابسات عملية تحول الخليفة العباسي المستعين بالله عن العاصمة سامراء الى مدينة بغداد.

اثار مقتل باغر التركي حالة من الهيجان والشغب بين العناصر الموالية له وجماعة وصيف وبغاء، أدت الى عدم استقرار الأوضاع في مدينة سامراء، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) مما دفع بالخليفة العباسي المستعين بالله الى ترك العاصمة سامراء مع بعض كبار القادة كوصيف وبغاء متوجها نحو مدينة بغداد، (ابن الاثير، ٢٠٠٤) ولعل في قرار المستعين بترك حاضرة الدولة العباسية إشارة الى رغبته بالابتعاد عن أجواء الفوضى الناتجة عن هيمنة قادة الجند الترك، وللخلاص من سيطرتهم على مقاليد الأمور فيها، والعمل مع اهل بغداد للحد من ظاهرة التسلط القادة الاتراك، فقد امست وضعية الخليفة العباسي مزرية جدا ولا يمكن التغاضي عنها، خصوصا بعد ان تنامت الرغبات لدى القادة الاتراك وتعددت

رموزهم، مما أدى الى حالة من الاحتقان بين أولئك القادة المتنافسين في ميدان الاستحواذ على السلطة والانفراد بالقرار داخل البلاط العباسي دون غيرهم من القادة الاخرين. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

هذا من جهة ومن جهة أخرى كان يرى في أهالي بغداد الملاذ الامن له والاعوان المدافعين عنه امام خطر قادة الترك، فأهالي بغداد كانوا حاقنين كثيرا على العناصر الترك، حيث كانت بين الطرفين جولات متكررة من الصدام الدامي، منذ أيام المعتصم العباسي في بداية خلافته، حينما أكثر من استقدامهم الى بغداد واسكانهم بين الأهالي ثم عمد الى استخدامهم كقوة أساسية في المؤسسة العسكرية وبديلة عن العناصر الأخرى كالعربية والخرسانية التي كانت تمثل القوام الرئيسي للدولة العباسية. (بيطار، ١٩٩٢) فكان اختيار المستعين بغداد كوجهة يتحصن بها اختيارا مناسبا في تلك الظروف.

كما ان أهالي بغداد رحبوا كثيرا بقدوم الخليفة العباسي المستعين بالله بينهم، وأعربوا عن تقديم صور الولاء والطاعة له تعبيرا عن شعورهم في استعادة موقعهم المركزي والقيادي الذي فقدوه حينما انتقل المعتصم بالله الى مدينة سامراء واتخاذها عاصمة جديدة للدولة بدلا عن بغداد. (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٩٨٦)

اتخذ الخليفة المستعين بالله من دار الأمير محمد بن عبد الله الطاهري مقرا له، وجعله مساعده الأساس واطلق يده في تدبير اموره في المرحلة القادمة، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) فالمهمة صعبة وشاقة على الأمير محمد بن عبد الله الطاهري، خصوصا بعد ان استدرك قادة الجند الاتراك في سامراء خطورة التطورات الناجمة عن عملية انتقال المستعين بالله من بينهم الى مدينة بغداد واتخاذها مركزا لإدارة شؤون الدولة العباسية بعيدا عن هيمنتهم، لذا عمد القادة الترك الى محاولة الالتفاف على حرك المستعين بالله الانقلابية وافشال مساعيه فتظاهروا بالندم عما انتهت اليه الأمور من مظاهر الشغب والفوضى، (ابن عبد ربه الاندلسي، ١٩٦٥) ثم وشكلوا وفدا من بينهم يذهب الى بغداد ويلتقي بالمستعين ويقدم له شارات الملك بعد الاعتذار وتجديد الولاء والطاعة، وقالو له: (... قد اخطأنا وأمير المؤمنين الصادق في كل قوله ، ونحن نسأله العفو عنا والصفح عن زلتنا، فقال المستعين ، قد صفحت عنكم ورضيت ، فقال له بايكباك: فإن كنت قد رضيت عنا وصفحت فقم فأركب

معنا الى سامراء ٠٠٠ وقال لهم المستعين : تصيرون الى سامراء ، فإن ارزاقكم دارة عليكم وانظر في أمري ها هنا ومقامي). (الطبري، ١٩٠٨، صفحة ج٧،ص٢٣٤)

بعد هذا القاء تأكد لدى قادة الجند الترك في سامراء نوايا المستعين بالله الرامية الى اضعاف نفوذهم والحد من سيطرتهم على مؤسسة الحكم، فأصبح القادة الترك امام اختبار حقيق يهدد وجودهم داخل البلاط العباسي كعنصر رئيسي في اختيار شخص الحاكم، فلا بد لهم من اتخاذ إجراءات حازمة بوجه مخططات المستعين بالله وانصاره من أهالي بغداد وفي طليعتهم الأمير محمد بن عبد الله الطاهري. (فوزي، الخلافة في عصر الفوضى العسكرية ، ١٩٧٣) فبمجرد عودت الوفد المفاوض الى سامراء اعلنوا خلع المستعين بالله واخرجوا ولدي المعتصم المعتز والمؤيد من السجن وبايعوا للأول وجعلوا الثاني ولي عهده، (المسعودي ا.، ١٩٧٩)

فأصبح في الدولة العباسية حاكمين يُدعا لهما في وقت واحد، المعتز في سامراء والمستعين في بغداد، (السيوطي، ١٩٥٢) ثم أرسل المعتز خطابا الى المستعين يحثه على خلع نفسه والدخول في الطاعة، لكن الطلب جوبه برفض شديد، فقرر المعتز وبتحريض من القادة الترك اعلان حالة التعبئة العسكرية والتهيؤ لمهاجمة المستعين بالله في مدينة بغداد، فعقد المعتز لاخيه ابي احمد الموفق على قيادة الحملة العسكرية، وفي المقابل كلف المستعين بالله الأمير محمد بن عبد الله الطاهري الاشراف على عمليات الاستعدادات والتعبئة العسكرية اللازمة لمواجهة القوات المهاجمة، (الذهبي ش.، ١٩٨٤) ومن هنا يبرز الدور الهام الذي اضطلع به الامير الطاهري في إدارة مراحلة الحرب الاهلية العباسية الثانية الواقعة بين المستعين والمعتز.

هذا الدور للأمير الطاهري اتخذ اشكالا متعددة تبعا لتطور الاحداث الطارئة جراء المواجهات الحربية بين الطرفين، وعلى ضوء تلك المتغيرات يمكن تقسيم دور الأمير محمد الطاهري الى مرحل ثلاث: الأولى تمثلت بتحمله اعباء حالة الطوارئ واتخاذ الاستعدادات الازمة لمرحلة التعبئة العامة التي سبقت مرحلة المواجهات القتالية، والثانية متعلقة بإدارته للعمليات القتالية خلال الاصطدام العسكري المباشرة مع جند المعتز، والثالثة تبرز بدوره السياسي الحرج كونه المفاوض الرئيسي مع ابي احمد الموفق.

منذ اليوم الأول لوصول الحاكم العباسي المستعين بالله الى مدينة بغداد، برزت منزلة الامير محمد بن عبد الله الطاهري الرفيعة عند المستعين، وقد تجسد ذلك بنزول المستعين في دار الأمير الطاهري، كما ان الاخير اعلن المساندة المطلقة للمستعين ومشروعه الرامي الى تقويض نفوذ قادة الترك السياسي ودورهم المهيمن على البلاط العباسي في سامراء العاصمة. (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) ولما أعلن المعتز الحرب على المستعين وانيطت به إدارة العمليات القتالية اثبت الأمير الطاهري براعة فائقة في مواجهة الحملات العسكرية التي سيرها المعتز لمهاجمة بغداد. (شلبي، ١٩٦٠)

سارع الأمير محمد الطاهري الى اضعاف القدرات الاقتصادية لأهالي سامراء عبر إيقاف امدادات الميرة الواردة اليها من جهتي بغداد والمواصل، (ابن كثير، ٢٠٠٤) كما اتخذ التدابير الأمنية المناسبة لصد هجمات جند سامراء المتقدمة صوب بغداد، حيث امر الأمير محمد الطاهري وبتوجيه من قبل المستعين بالله الى تعزيز التحصينات الدفاعية لمداخل المدينة، بإقامة سورين إضافيين حولها، الأول يحيط المناطق الغربية الى الشمال من باب الشام، حيث يضمن السور الحماية لمساحة واسعة من الجهة الغربية للمدينة خصوصا المناطق والاحياء الواقعة ضمن هذه الجهات، وفي طليعتها محلة الحربية وغيرها من المحال المهمة فيها، وصمم السور بطريقة غاية في الدقة والاتقان ليلبي الحاجة التي شيد لأجلها، فكانت له عدة أبواب تسهل عملية الدخول والخروج منه، وقد تم انشاء هذا السور بمدة قصيرة استغرقت حوالي ثمانية عشر يوم. (الطبري، ١٩٠٨) واما السور الثاني فكان محيطا بالجهات الشرقية للمدينة/، حيث ضمت العديد من المناطق والمحال المهمة كالرصافة والمخرمة والشماسية وغيها من المحال التي احيط بها هذا السور. كما أصر الأمير محمد الطاهري على ان يتم حفر خندق عميقة امام السوريين، (فوزي، الخلافة العباسية، ٢٠٠٣) فظلا عن اقامت مظلات مشرعة على جوانب السوريين المطلة على ساحات المعاركة، تكون محطات يلجئ اليها الفرسان للاستراحة اثناء عمليات الكر والفر، ولتقييهم تقلبات الطقس من اطار واشعة الشمس. (السوداني، ١٩٧٩)

ولم تختصر تدابير الأمير محمد بن عبد الله الطاهري الاحترازية على انشاء السورين بل اعطى توجيهاته المباشرة لتعزيز القوة المدافعة عن هذه الاسوار فرفدها بالمزيد من الرجال

المقاتلة كما زدها بالعديد من الأسلحة الدفاعية كالمنجنيق والعرادات والسلالم وجرار الحامض الكبيرة/ كما امر الأمير الطاهري بتعزيز امن دهاليز المؤدية الى الأبواب الرئيسية والفرعية للاسوار، فقد وجه بشحن الدهليز الواحد بمئة فارس ومثلها من الراجلة، ثم جعل على كل دهليز امير يأتمر الجند بأمره وهو بذات الوقت متصلا بالامير الطاهري. (ابن كثير، ٢٠٠٤) واما الأبواب فأمر الأمير بتدعيمها بالشداخات الساندة التي تزيد من قوة تماسك الابواب امام حملات جند المعتز. (الطبري، ١٩٠٨)

وفي اطار التعزيزات الأمنية قام الأمير محمد بن عبد الله الطاهري بتوجه مجاميع خاصة من المقاتلة الى كسر سدود القناطير وبثوق المياه المنتشرة على مجرى نهري دجلة والفرات، وخصوصا الجداول المتفرعة من نهر الفرات والمتشعبة في الأراضي الزراعية بين مدينة بغداد مدينة الأنبار، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) حيث تعمد الأمير محمد الطاهري احداث هذه الخروقات المائية ليجعل حول مدينة الانبار محصنة من خلال احاطتها بالعديد من المسطحات المائية المنتشرة في ضواحيها، وهنا لابد من بيان سبب اهتمام الأمير الطاهري بمدينة الانبار ذات الموقع المتشرف على مدينة بغداد، حيث تقع الانبار الطريق الرابط بين سامراء وبغداد، فظلا عما كانت تقدمه الى أهالي بغداد من سلة غذائية غنية بالمحاصيل الزراعية المتنوعة، وما كانت تقله الزوارق والسفن الصغيرة التي تتخذ من نهر الفرات طريقا نهريا توصل البضائع والمؤن القادمة من بلاد الشام وسواحل البحر الأبيض المتوسط وايصالها الى مدينة بغداد عبر نهر عيسى الرابط بين الفرات ودجلة، (ياقوت الحموي، ١٩٩٥) لذا كانت توجيهات الأمير الطاهري صارمة بهذا الصدد خشيت ان يتمكن جند المعتز من اختراق التحصينات ودخول مدينة الانبار وقطع هذا الشريان الحيوي عن الاهالي، ومن ثم تصبح بغداد هدف يسهل استباحته، بعد محاصرتها وانهاك قواها الداخلية. (الدوري ع.، ١٩٨٨) وهذا ما حدث بالفعل فيما بعد.

وفي ذات السياق الرامي الى تعزيز الإجراءات التي من شأنها تعضيد موقف المستعين بوجه العمليات العسكرية المزمع شنها من قبل المعتز وبتحريض وإدارة مباشرة لقادة الجند الترك، بعث الأمير محمد بن عبد الله الطاهري بالكتب الى امراء الأقاليم الإسلامية من اجل حثهم على تجديد البيعة للمستعين وعدم الامتثال الى دعوى المعتز التي

وجهها اليهم بخلع المستعين والبيعة له، (ابن خلدون، ٢٠٠٣) لان البعض من امراء الأقاليم قد اذعنوا لطلب المعتز واعلوا البيعة له بعد خلع المستعين بالله. (اليعقوبي، ١٩٨٦) كما وطلب الأمير محمد بن عبد الله الطاهري من الامراء الموالين للخليفة المستعين بالله في مدينة بغداد الى الاسراع بأرسال المستحقات الواجبة عليهم من أموال الخراج والزكاة وغيره من الموارد المالية الأخرى دعما للمجهود الحربي. (القلقشندي، ماثر الاناقة في معالم الخلافة، ١٩٨٥)

واجه الأمير محمد الطاهري صعوبة كبيرة في إدارة ملف الحرب، فقد حشد المعتز جيشا كثيفا في العدة والعدد، اذ زاد تعداده على سبعة الاف مقاتل، تألف من ثلاث جهات أساسية كان اكثرهم تُركا من إقليم الصغد والمناطق المجاورة له الواقعة ما وراء نهر جيحون الى الجهات الشرقية. ثم المغاربة وهم جماعات من قبائل عربية استوطنوا الجهات الشمالية الغربية من افريقيا. وأخيرا عناصر الفراغنة الذين نسبوا الى إقليم فرغانة واشرونسة. (فوزي، الجند الاموي والجيش العباسي، دراسة في تطور المؤسسة العسكرية في العصرين الاموي والعباسي، ١٩٧٩) فكان جيشا قويا متماسكا تحت قيادة الأمير ابي احمد الملقب بالموفق وبإسناد مباشر من قبل القائد الكبير كلباتكين التركي، فظلا عن الخبرة القتالية الواسعة التي كان يتميز بها عناصر هذا الجيش. (ابن كثير، ٢٠٠٤)

في المقابل كانت قوات الأمير محمد الطاهري المدافعة عن المستعين ترتكز بالدرجة الاولى على العنصر العربي القاطن في بغداد وضواحيها، بالإضافة الى المقاتلة من الأبناء والعنصر الخرساني والى جانبهم بعض القوات من الترك الذين انتقلوا الى بغداد ممن فضل البقاء على بيعة المستعين بالله. (فوزي، الجند الاموي والجيش العباسي، دراسة في تطور المؤسسة العسكرية في العصرين الاموي والعباسي، ١٩٧٩)

الا ان هذه التشكيلات القتالية المنضوية تحت ادارة الأمير محمد الطاهري لم تكن بحجم قوات المعتز المهاجمة، فظلا عن الفارق الكبير في التسليح بين الطرفين من حيث الكمية والنوعية/، لذا تجد الأمير محمد الطاهري يقدم على استثمار بعض صنوف قوى الداخل التي لها المقدرة على المشاركة الفعالة في القتال، بزجها في ميدان المعارك كقوة ساندة تقاتل الى جانب تشكيلات القوات الجيش النظامية، فقد دعا الأمير الطاهري عناصر

العياريين الى التعبئة العامة والقيام بأعدادهم وتدريبهم وتجهيزهم ببعض الأسلحة المناسبة لهم، كالكافركوبات أي المقارع والترأس المعمولة من البواري الحديدية المطلية رؤوسها بالقير واكياس مملوءة بالحجارة، كما اقر لهم العطاء بعد تثبيت أسمائهم في ديوان الجند، (سعد، ١٩٧١) وقسمهم على أبواب اسوار بغداد على شكل كتائب نظامية تقاتل كل وحدة تحت عريفها، فكان من بين العرفاء الذين ذاع صيتهم في قتال العدو هو ابي جعفر ينتويه وغيره من عرفاء العيارين كدمحال وأبي عصارة وأبي نملة ودونل، (الطبري، ١٩٠٨) أحرزت كتائب العياريين انتصارات متلاحقة عبر شنها هجمات خاطفة على الصفوف المتقدمة لجند سامراء. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

حاول الأمير محمد الطاهري استغلال أي فرصة تتيح له النجاح في مهمته الدفاعية الموكلة له، فيذكر انه في اثناء سير المعارك بينه وبين جند ابي احمد الموفق صادف ان قدم مجاميع غفيرة من أهالي خراسان عربيها وعجمها الى بغداد، فعرض عليهم الأمير الطاهري المشاركة معه في صد الهجمات المتلاحقة التي كان يشنها الاتراك على بغداد، فلبى الخرسانيين الدعوة واخذوا يتسارعوا للالتحاق بالقوات المدافعة كناية بالجند الاتراك. (ابن كثير، ٢٠٠٤)

وكان ما يميز القطعات العسكرية المدافعة من أهالي بغداد هو الرغبة الصادقة لديهم وخصوصا العناصر العربية والخرسانية بالحد من النفوذ التركي في سامراء، واحياء الدور الريادي لهم كعناصر فعالة في اعتلاء المناصب القيادية في دولة بني العباس، وكما كانوا عليه في عهود الحكام الأوائل قبل تسلط العنصر التركي، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤)

هذه الروح الحماسية اعانت الأمير الطاهري كثيرا على حالة النقص الكبير في قواته المدافعة، وجعلته يصمد طويلا في ميدان القتال بأريحية واضحة مكنته من صد الهجمات المتلاحقة التي شنتها القوات المهاجمة، كما واتاحت له المناورة بهذه الكتائب القتالية على قلت رجالها وتوجيه ضربات موجعة في صفوف قوات ابي احمد الموفق، (مرعي، ٢٠٢٠)

اثبت الأمير محمد الطاهري نجاحا منقطع النضير في ادارته لملف العمليات القتالية خلال الاشهر الأولى للحرب، فقد تمكنت قواته من صد الهجمات المتلاحقة لقوات ابي احمد الموفق، لكن فيما بعد تغيرت معادلة الحرب بين الطرفين، فكان التفوق للطرف المهاجم

واضحا خصوصا بعد ان خسر الأمير الطاهري مدينة الانبار مما أدى الى تقهقر قواته الى داخل بغداد واكتفائها بتحصين اسوار المدينة ومداخلها بعد ان احكمت قوات الموفق المهاجمة الحصار عليها. (ابن الاثير، ٢٠٠٤؛ الدوري ع.، دراسات في العصور العباسية المتاخرة، ٢٠٠٧)

في المرحلة الأولى أخفقت اغلب الحملات الحربية التي وجهتها القيادات العسكرية في سامراء بسبب الإدارة القوية التي مارسها الأمير محمد الطاهري، حيث افشل عدت محاولات قامت بها القوة المهاجمة على بغداد، ومنها سير قائد قوات سامراء ابي احمد الموفق قوة قتالية كبيرة من الاتراك لاختراق سور بغداد من جانبها الغربي، الا ان قوات الأمير الطاهري اعدت للقوة المهاجمة كمينا اوقعتهم فيه، واقطعوا خطوط الامداد عنهم ثم كروا عليهم ضربا وقتلا، فتكبدت قوات الموفق خسائر كبير فقتل الفان من الترك واسر منهم الكثير وفرت القلة الناجية بأعجوبة. (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤)

وفي ذات السياق فقد عملت كتائب الغيارين خرقا واضحا في صفوف القوات النظامية المهاجمة التي سيرها الموفق من جهة باب الشماسية لاختراقه، فقد كانت القوة المهاجمة متسلحة بأسلحة ثقيلة من العرادات والسلالم والكليب ونصبوا المنجنيقات لتدك الاسوار، لكن المفاجئة كانت حاضرة حيث باغتت عناصر العيارين بأسلحتهم المتواضعة تلك القوات المهاجمة وتمكنوا من التغلغل بين صفوف العدو المتراصة مما أحدث حالة من الارباك والفوضى التي افشلت مهمة اختراق السور، (السوداني، ١٩٧٩) وعملية تجنيد العيارين وتسليحهم وتكليفهم بالقيام بمهام قتالية خاطفة وسريعة في ميدان القتال هو راجع الى تدابير الأمير محمد الطاهري، وقد سبق الإشارة اليه. فقد تمكنت كتائب العيارين من احداث مقتلة كبيرة في صفوف القوات المهاجمة في احدى المنازلاة الواقعة بين الطرفين فقد وصل عدد المقتولين على يد العيارين الى خمسة الاف مقتول. (سعد، ١٩٧١)

وهناك صورة أخرى تعكس مقدرة الأمير محمد الطاهري على صدر هجمات قوات الأمير ابي احمد الموفق، حيث سير الأخير حملة عسكرية كبيرة لمهاجمة الجانبان الغربي والشرقي لمدينة بغداد في وقت واحد، في البداية كان التفوق للقطعات المهاجمة حيث تمكنت من كشف القوة المدافعة عن الجانب الغربي وفتح المجال امام بقية القطعات للدخول الى

وسط بغداد، الا ان حنكة الأمير الطاهري العسكرية وسرعة بديهيته افشل مشروع الاستباحة، حيث امر بحملة عدد كبير نت القوات القتالة المدافعة على ظهر السفن الصغيرة ومهاجمة القوات المندفعة نحو المدينة من الخلف ومن الجانبين لعرقلت تقدمها ثم اختراقها من الوسط والقضاء عليها، وهذا ما حدث بالفعل فقد نحج الأمير الطاهري مرتا أخرى في منع اختراق اسوار بغداد. (ابن كثير، ٢٠٠٤)

وفي احدى المواجهات الحربية بين الطرفين خلال هذه المرحلة المتقدمة، حيث سير ابي احمد الموفق قوة قتالية من الاتراك لمهاجمة بغداد من جهة منطقة عكبرا، خرجت من بغداد قوة لصد تقدم الاتراك، الا انهم وقعوا في كمين أعدته القوة المهاجمة مسبقا، عندها تدابر امر الهزيمة الأمير الطاهري بأن سير قوة قتالة أخرى لنجدة القوة التي وقعت في كمين الاتراك، فما انتهت المواجهة حتى اقعوا مقتلة عظيمة بين الاتراك وحرروا إخوانهم من الكمين. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

في هذه المرحلة الثانية من حرب المعتز والمستعين اخذت العمليات القتالية تأخذ منحا اخر، فقد ادرك ابي احمد الموفق صعوبة اختراق تحصينات بغداد، نتيجة ضراوة القوة المدافعة عنها من جهة ومن جهة أخرى الإدارة الناجحة التي اتبعها الأمير محمد بن عبد الله الطاهري الذي افشل بحنكته جميع المحاولات التي سيرها الأمير ابي احمد الموفق لاقتحام اسوار بغداد، بل حتى محاولة عزل أهالي بغداد عن الاتصال بالأقاليم المجاورة وقطع الامدادات من ميرة وغيرها من المواد الغذائية قد بائت بالفشل أيضا، فالإرادة الحكيمة للأمير الطاهري وعزيمة أهالي بغداد كانت حاجزا منع تحقيق الانتصار على المستعين. (مرعي، ٢٠٢٠)

لذا فكر المعتز بالله بخطة بديلة علّها تحقق النصر لهم، فكانت الخطة تقتضي بذل الجهود الحثيثة للسيطرة على مدينة الانبار، فعزم المعتز الى تسير حملة عسكرية كبيرة من الاتراك لمهاجمة مدينة الانبار بعد ان امر عليهم ابي نصر بن بغا. (ابن كثير، ٢٠٠٤) وقد سبق هذه الحملة قيام الأمير محمد الطاهري بتعزيز الدفاعات عن المدينة عبر جملة إجراءات احترازية قام بها الأمير الطاهري واهمها اغراق الأراضي المحيطة بمدينة الانبار بمياه نهر الفرات، وقد تم الإشارة الى ذلك فيما تقدم، كما اردف الأمير الطاهري إجراءاته

الأمنية بأرساله قوة قتالية من أهالي بغداد وجلع عليهم نجوبه بن ابي سعيد احد القيادات البارزة على الصعيد العسكري، (المسعودي ع.، ١٩٧٣) واوصاه الأمير الطاهري بتوجيه الدعوة لأهالي مدينة الانبار للانضمام الى رجال قوته القادمة معه من بغداد، وللمشاركة في صد أي تعرض عسكري تقوم به قوات المعتز. (الطبري، ١٩٠٨)

ولما وصل ابي نصر وقواته الزاحفة نحو مدينة الانبار، عجز بن نجوبه عن التصدي للقوة المهاجمة، مما اضطره الى ترك المعركة متجها نحو بغداد بعد ان قطع حبار الجسر المؤدي الى الجانب الغربي لمدينة الانبار/، تاركا خلفه العديد من قواته المدافعة تقع فريسة سهلة الصيد لقوات ابي نصر المهاجمة. (ابن الاثير، ٢٠٠٤) وفي حركة استدراكية قام بها الأمير محمد الطاهري لتلافي سقوط مدينة الانبار بيد قوات المعتز، أرسل حملة عسكرية من أهالي بغداد بقيادة الحسين بن إسماعيل، رافق عملية اعداد هذه الحملة العسكرية وتسمية قائدها مراسيم خاصة عكست إصرار الأمير محمد بن الله الطاهري على عدم التساهل في مسالة فقدان مدينة الانبار ودخولها تحت سلطة سامراء، حيث كان دور الأمير الطاهري واضح في ابراز اهتمامه الكبير بهذه الحملة العسكرية، من خلال ان الأمير طلب من كبار بني هاشم المتواجدين في مدينة بغداد بالخروج لتشيع جند هذه الحملة وقائدها، بالإضافة الى تواجد الرموز البارزة من القيادات والوجهاء في المدينة، (ابن كثير، ٢٠٠٤) كما اوعز الأمير الطاهري بإغداف الاموال على الجند ومنحهم ارزاق لأربعة شهور مقدما، فظلا عن الامدادات المتلاحقة التي قام الأمير الطاهري برفد حملة الحسين بن إسماعيل المتوجهة نحو الانبار. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

وبعيدا عن الخوض في مجريات المواجهة القتالية المباشرة الدائرة بين حملة الحسين بن إسماعيل وبين القوة الماسكة لمدينة الانبار، يمكن ملاحظة اخفاق القائد الحسين في إدارة ملف المعركة وبشكلٍ جلي، حيث انفراد الاخير برأيه دون الالتفات الى ما اشارت به عليه بعض القيادات العسكرية المرافقة له في الحملة، (اليعقوبي، ١٩٨٦) فعلى الرغم من حجم التحضيرات التي هيأها الأمير محمد الطاهري اللازمة لإنجاح هذه الحملة العسكرية من حيث العدة والعدد، الا انها فشلت فشلا ذريعا في تحقيق النصر على العدو وفقدت معه الامل في استعادت مدينة الانبار من جند المعتز، ولعل السبب في ذلك يعود الى عدم

توفيق الأمير الطاهري في اختياره للحسين بن إسماعيل قائدا عاما للحملة العسكرية، (مرعي، ٢٠٢٠) حيث كان تقصير القائد حسين بن إسماعيل عن أداء واجباته واضحا في الحملة الأولى حينما رفض العمل بمشورة القيادات الأخرى، (ابن كثير، ٢٠٠٤) وأيضا في الحملة الثانية حينما خسر المعركة بعد ان استهان بقدرات القادة الاتراك القتالية وبراعتهم في اتباع أساليب التضليل والخداع في ميدان المواجهة، فقد وقع معظم جند الحسين في مكيدة الكمائن مما أدى الى ضعفهم وتشتت وحدة صفوفهم، (الطبري، ١٩٠٨) وهذا ما يؤكد على عدم مقدرة القائد بن إسماعيل في تقدير أوضاع العدو وفهم مفاجأته.

تركت هذه الهزيمة اثرا بالغا في القوة المدافعة عن المستعين بالله، فعلى الجانب العسكري كانت اعداد جند القطعات المرافقة لحملة الحسين بن إسماعيل كثيرة جدا، وقسما كبيرا منها قد وقع بين قتيل او اسير تحت وطأة قوات نجوبه، (الطبري، ١٩٠٨) فقد خسر الأمير الطاهري اغلب هذه القطعات بعد هزيمة الحسين بن إسماعيل، مما اضعف في القوة المدافعة وجعل الأمير يصرف النظر عن ارسال القوات للمناورة خارج اسوار مدينة بغداد، وحرص على ابقائها متمركزة في الداخل تقوم على حماية اسوار المدينة وفي الدهاليز المؤدية الى ابوابها المتعددة، (ابن الاثير، ٢٠٠٤؛ الدوري ع.، ٢٠٠٧) حالت التقهقر والتراجع التي ظهرت على قطعات الأمير الطاهري شجعت القوات المهاجمة على خوض عدة حملات كان اغلبها تنتهي لصالح الاتراك. (الدوري ع.، ٢٠٠٧) اما على صعيد الجانب المعنوي فغدة أحوال الرعية من أهالي بغداد في غاية الصعوبة حيث اشتدت ضراوة الحصار المفروض عليهم، خصوصا بعد انتهاء امر مدينة الانبار لصالح حاكم سامراء وتقدم قواته لمحاصرة بغداد، (الدوري ع.، ٢٠٠٧)

في هذه المرحلة المتأخرة من عمر الحرب الدائرة بين المستعين والمعتز، وبعد سقوط مدينة الانبار بيد قوات الأخير، وما خلفته هذه الحادثة من حالة ضعف بدا واضحا على معنويات القوات المدافعة عن مدينة بغداد، فظلا عن تردي الأحوال المعيشية للأهالي القابعين داخل المدينة خلف الاسوار المحاطة بعشرات الألوف من القوات المحاصرة لهم. (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) هذه الامر جعل من الأمير محمد بن عبد الله الطاهري يجري تغيرا في خططه للأيام القادمة وطريقة ادارة ملف الحرب مع المعتز، خصوصا بعد حدوث

حالات اختراق متكررة لأبواب السور ومن اكثر من جهة، ففي احدى الغارات تمكن الاتراك من كشف القوة المدافعة عن أبواب الجانب الغربي وازاحتهم عن طريقهم للمرور الى داخل المدينة ورفع راياتهم على بعض الحوانيت المنتشرة في الجانب الغربي، احدث هذا الخرق تهديدا مباشرا لأمن الأهالي القاطنين في هذه الجهة من المدينة، مما دفع الأمير محمد الطاهري الى استدراك الامر ورفع صوته معلنا حالة النفير العام، فتجمعت حوله خيرة الرجال من الأهالي يقدمهم كبار القادة، ليتقدموا بأقصى سرعة ممكن لصد تقدم الاتراك من هذه الناحية، وبعد ساعات من المواجهات الدامية قتل فيها العديد من جند الترك تمكن الأمير الطاهري من اخراج كتائب الاتراك من المدينة ودفعهم خلف الأبواب، (ابن خلدون، ٢٠٠٣) ثم اصدر توجيهاته الأمير الطاهري ببناء فتحات الأبواب بالحجارة والجص وغلقها نهائيا امام القوة المهاجمة. (بيطار، ١٩٩٢)

وحالة الاختراق التي حدثت في الجانب الغربي ودخول الاتراك الى حوانيت المدنية، تجدها قد تكررت في جهات أخرى، فقد تمكنت قوة من الاتراك من دخول المدينة عبر قيامهم بأحداث فتحات صغيرة في جدران السور لمرور بعض عناصرهم الى الداخل لتفتح الأبواب امام بقية القوة المهاجمة للدخول، بعد معالجة القوة المتواجد لحماية مداخل الأبواب، تلك القوة التي انهكتها احداث الحرب وضراوة الحصار. (ابن كثير، ٢٠٠٤) وهذا ما حدث بالفعل في عملية اختراق الترك لسور المدينة من جهة باب الشماسية والشرقية. (السوداني، ١٩٧٩)

ومع كل هذه المتغيرات التي تشير الى رجحان كفة قوة الاتراك، سعى الأمير محمد الطاهري الى اعادت تنظيم قواته المدافعة، وتعبئتهم بطرقة جيدة استعدادا لخوض مواجهات جديدة، عبر رفع معنويات رجال المؤسسة العسكرية في بغداد، واحداث نوع من حالة التوازن في القدرات القتالية مع الاتراك، فقد استدعى كبار القادة الى اجتماع موسع لرفع منسوب التضحية لديهم، فلم يجد فيهم الا الثبات على عهدهم الأول مع المستعين، ثم اخذ يحثهم على تشجيع الجند لمواصلة التصدي للقوات المهاجمة، كما قراء عليهم كتاب حاكم بغداد المستعين بالله، حيث جاء فيه: (... يا معشر القواد لئن قاتلت عن نفسي وسلطاني ما اقاتل الا عن دولتكم وعامتكم وان يرد الله اليكم اموركم قبل مجيء الاتراك واشباههم فقد يجب

عليكم المناصحة والجهد في قتال هؤلاء الفسقة ...). (الطبري، ١٩٠٨، صفحة ج٧، ص٣٢١)

وبالفعل فقد اثمرت مساعي الأمير الطاهري في محاولة إنعاش قطعاته العسكرية وشحن هممهم القتالية، فقد تولى الأمير بنفسه الاشراف على قيادة احدى الحملات التي انزل فيها بكتائب الاتراك المحاصرة لمدينة بغداد، هزيمة نكرا راح فيها عدد كبير من الترك. (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٩٨٦) وعلى الرغم من نجاح الامير في تحقيق بعض الانتصارات المحدودة على العدو، الا ان المشهد العام لمجريات الحرب كان واضحا لدى الأمير الطاهري، فلم تكن تجري لصالح المستعين مطلقا، وانما هي كانت محسومة لحساب المعتز. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

ومما زاد في مهمة الأمير الطاهري صعوبة خروج قسم كبير من الأقاليم التي كانت مناصر للمستعين وثابة على بيعتها له في حربه مع المعتز، فالنتائج الأخير التي حققتها قوات الاتراك في جبهة الانبار والمناطق الغربية والشمالية، جعلت من أهالي الأقاليم الشرقية والجنوبية تحت وطأة انهيار دفاعاتها العسكرية، القيام بتحويل ولائها نحو سامراء بدلا من بغداد. فقد خرجت مدينة الكوفة من تحت ولاية المستعين في شهر رمضان من سنة احدى وخمسون للهجرة، ودخلت في بيعة حاكم سامراء المعتز بعد فشل الحامية العسكرية الموكلة بالدفاع عنها. (المسعودي ع.، ١٩٧٣) كما سقطت مديني واسط والمدائن بيد الاتراك بعد ان فشلت القوات المدافعة عن صد الهجمات المتكررة التي سيرها الأمير ابي احمد الموفق، (اليعقوبي، ١٩٨٦) شكلت الهزائم الأخيرة عامل مؤثر في توجهات الأمير محمد بن عبد الله الطاهري، فالأمر الخطير لم يكن في خروج هذه الأقاليم عن طاعة المستعين فحسب، بل كان الامر يتعلق بأهميتها الجغرافية، فقد شكلت هذه الأقاليم حزام يحيط بمدينة بغداد من جميع الجهات، كما ان هذه الأقاليم كانت مصدرا أساسيا يغذي أهالي بغداد بالمؤمن والمنتوجات الزراعية التي يحتاجها الأهالي، فظل عن انها كانت تمثل لمدينة بغداد الرئة التي تتنفس من خلالها، فهي حلقة الوصل بين بغداد وبقية الأقاليم البعيدة وخصوصا الشرقية منها كخراسان وفارس وما تلاها من أقاليم كانت موالية ومناصرة للبيت العباسي منذ بدايات دعواهم للثورة على الحكم الاموي، (بيطار، ١٩٩٢) فخروج هذه الأقاليم عن تقديم

الخدمات والدعم لأهالي مدينة بغداد وتحولها الى جانب العدو في سامراء، وخصوصا في هذا الوقت الحرج الذي يمر على الأهالي وهم يقبعون يحت وطأة حصار جائر لا يرحم احد، كان له الأثر البارز والمؤثر في قرارات الأمير محمد الطاهري صاحب المهمة الدفاعية عن المستعين. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

ادرك الأمير محمد بن عبدالله الطاهري خطورة نتائج استمرار الحصار الذي تفرضه قوات المعتز على الحياة العامة لأهالي بغداد بالدرجة الاولى، فمن المعلوم ان ليس كل الرعية هم ميسوري الحال، فهناك القسم الأكبر منهم مَن هو يعيش حالة متوسطة ان لم يكن من اهل الكفاف، وكيف لهذه الطبقات تحمل أعباء الحصار وقد بلغت أسعار المواد الغذائية ذروتها، فقد اصبح مكيال القمح بمئة درهم، (سعد، ١٩٧١) وهو مبلغ يتعذر على الكثير من الأهالي امتلاكه، واما القلة المتنفذة من أصحاب رؤوس الأموال وذوي المناصب الرفيعة فهم يشكلون القسم الأقل بين الاهالي، وهذا هو حال المجتمعات البشرية في كل المدن الأخرى. لذا تجد المعتز كان مصمما على كسب المعارك في المناطق المحيطة ببغداد ومن ثم التفرغ لأحكام الحصار عليها، كي يجبر الأهالي على التخلي عن نصرة المستعين، والضغط على الأمير محمد الطاهري للانصراف عن مواصلة الحرب، والذهاب لمكاتبته والدخول في البيعة بعد خلع المستعين. (ابن كثير، ٢٠٠٤)

كما ان الأمير محمد الطاهري هو ليس ببعيد عما كان يحدث في البلاط العباسي فهو من اسرة كانت قريبة من صاحب القرار السياسي، بل كان اجداده محل ثقة واعتماد لبعض حكام بني العباس، (اليعقوبي، ١٩٨٦) حتى هو استقدمه المتوكل العباسي من خراسان وقلده قيادة شرطة بغداد ليقوم بضبط الامن الداخلي فيها، (السيوطي، ١٩٥٢) لذا فلامير الطاهري ليس لديه فرق كبير بين اقطاب الحرب، فالمستعين والمعتز كلاهما سيان في نظره، هذا الامر جعله يرى من باب الأولى السعي لفك الحصار عن أهالي بغداد وانقاذهم من نتائجه الوخيمة بالدرجة الأولى، وما يؤكد ذلك هو انه بمجرد ان اشعر الأمير محمد الطاهري برغبته بفتح باب التفاوض اسرع الأمير ابي احمد الموفق الى إعطاء التوجيهات الى جنده بالرسال قوافل محملة بالأمتعة والمؤن الغذائية الاحتياجات الضرورية الاخرى الى أهالي مدينة بغداد المحاصرة. (ابن عبد ربه الاندلسي، ١٩٦٥) وهي بحد ذاتها

تعد بادرة خير من قبل الأمير الموفق واخيه المعتز تجاه أهالي بغداد، كما انها شجعت الأمير محمد الطاهري على الاقدام نحو التفاوض. (مرعي، ٢٠٢٠)

اضف الى ذلك ان الأمير الطاهري كان يأنس براي المقربين والمخلصين له، وكان البعض منهم لعله يشاطر وجهة نظر الأمير الطاهري تجاه ان لا فرق بين المستعين او المعتز فكلاهما يسعى من اجل التشبث بالمُلك وان كان في ذلك الحاق الأذى بالرعية او ازهاق الارواح، فلا ضير في ذلك المهم هو كرسي الحكم، ومن ابرز أولئك القائدة المستشارين الذين ربما كان لرايهم اثرا في قرارات الأمير محمد الطاهري، هو القائد عبيد الله بن يحيى بن خاقان، حيث قال للأمير: (ان هذا الذي تنصره – المستعين بالله – وتجد في امره من اشد الناس نفاقا واخبثهم دينا والله لقد امر وصيف وبغا بقتلك ...). (السيوطي، ١٩٥٢) وبالطبع كان هذا الكلام ينسجم مع أدراك الأمير ووجهة نظره عن حكام بني العباس.

فضلا عن حالة الفوضى والتذمر التي سادت بين مختلف الطبقات المجتمعية في مدينة بغداد، فقد خرجت مجاميع من بني هاشم تطالب بأنصافهم ماليا اسوتا بغيرهم من الشخصيات القريبة من المستعين، ثم عكفوا على الأمير محمد الطاهري وانهالوا عليه بالتوبيخ والكلمات القبيحة واتهموا طريقته في دارة شؤون الرعية، ونعتوه بالتقصير في أداء واجباته وعدم الانصاف في توزيع المؤن والمواد الغذائية بين الرعية على حدٍ سواء. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

ولم تختصر دائرة التذمر والفوضى على بني هاشم بل شملت طبقات أخرى من أهالي بغداد، فقد تسبب الحصار بانتشار المجاعة وعسر المعيشة بين الأهالي بشكلٍ كبير، وهذا أدى الى تفشي ظاهرت الانفلات الأمني في استفحال احياء المدينة، حيث قامت مجاميع من الشطار والرعاع والعيارين يحملون العصي والبواري المُقيرة والسكاكين بأثارة اعمال الشغب في ازقة المدينة بغية تحريك السواد الأعظم من العامة المتضررة نتيجة الحصار الجائر، وبالفعال فقد سادت مظاهر التمرد على السلطة وانتشرت حالات التعدي على ممتلكات التجار ونهب مخازن المؤن الكبيرة وحوانيت المواد الغذائية الصغيرة. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

جملة الاحداث العسكرية والاجتماعية والاقتصادية التي سادة في مدينة بغداد نتيجة استمرار مدة الحرب، كانت مدعاة للأمير محمد بن عبد الله الطاهري ان يقوم باتخاذ تدابير من شأنها حسم امر الحرب ووضع حد لنهايتها، فقرر الأمير الطاهري ان يكتب الى حاكم سامراء المعتز طالبا منه إيقاف العمليات القتالية، فرحب الأخير بقرار استسلام الأمير الطاهري واوعز الى أخيه ابي احمد الموفق ان يدخل مع الأمير الطاهري بمفاوضات تؤدي الى انهاء مرحلة الحرب ورفع الحصار عن أهالي بغداد. (الطبري، ١٩٠٨)

والرغم من ان الأمير محمد الطاهري كان يمثل الجانب الأضعف في مرحلة المفاوضات، كونه الجهة التي اعلنت الاستسلام للطرف الاخر وطلب إيقاف الحرب، الا ان الأمير الطاهري تمكن من فرض بعض شروطه التي من شائنها المحافظة على سابق منزلته الرفيعة بين رجالات الدولة العباسية، وبقية القادة الذين كانوا الى جانبه في إدارة ملف الحرب كوصيف وبغاء، بالإضافة الى ان الأمير الطاهري حرص على ان لا تتعرض قوات ابي احمد الموفق بالأذى لأهالي بغداد فظلا عن تقديم المساعدات السريعة لهم واسعافهم مما كانوا يعانون منه جراء الحصار الجائر، (مرعي، ٢٠٢٠) اما فيما يتعلق بالمستعين ومصير سلطانه، فقد تمكن الأمير الطاهري من اقناع الوفد المفاوض على حفظ حياته واهل بيته، وضمان اقامتهم بما يليق بهم، وكذلك تأمين أسباب العيش الكريم لهم، حيث اقرت بنود الاتفاق على ان يسمح للمستعين الاستقرار في المدينة المنورة وتخصيص مبلغ خمسون الف درهم واقطاعات مالية أخرى تقدر بثلاثين الف درهم، بشرط ان يقوم المسعين بخلع نفسه ويرسل شارات الحكم الى المعتز. (ابن كثير، ٢٠٠٤)

وحقيقة الامر ان الأمير الطاهري كان على اطلع بمبتغى المعتز واخيه ابي احمد الموفق من هذه المفاوضات، فقد كانا على استعداد بقول شروط ابن طاهر مقابل تخلي الأخير عن نصرة المستعين بالله واقناعه بعدم جدوى مواصلة الحرب، ولا بد من الموافقة على التنازل عن السلطة لصالح المعتز، (فوزي، الخلافة في عصر الفوضى العسكرية ، ١٩٧٣) وهذا ما حدث بالفعل فقد تحايل ابن طاهر على المستعين بالترغيب تارة وبالترهيب تارةً أخرى الى ان تمكن من إقناعه مضطرا الى خلع نفسه عن الحكم وإقرار بيعة المعتز. (الطبري، ١٩٠٨) عندها اصبحت لزاما على الحاكم الجديد – المعتز – الإيفاء بمقررات

بنود الاتفاق المبرم مع ابن طاهر، فقد منح الأخير ثلثي واردات مدينة بغداد واقر على امارتها، وأيضا تم تكريم القائدين وصيف وبغا بمنحهما امارة بعض المناطق وفقا لرغباتهما. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

النتائج

- كشفت عملية التآمر التي أدت الى مقتل الخليفة المتوكل عن توغل نفوذ قادة الترك في مؤسسة الحكم العباسي، والخطر المؤدي الى تدخلهم في عزل وتنصيب مَن يرونه مناسبا لتحقيق مصالحهم الشخصية من أبناء الاسرة العباسية الحاكمة.
- تقاطع المصالح بين قادة الترك أدى الى انقسامهم الى جماعات متصارعة فيما بينها، فكثر شغب الجند واضطرب أحوال في العاصمة سامراء، مما دفع الخليفة المستعين بالله الى تركها متجها نحو مدينة بغداد الأكثر نقمة على الوجود التركي.
- كانت المهمة الأساس للأمير محمد بن عبد الله الطاهري هي اعداد خطط دفاعية تحول دون إعطاء الفرصة للقوات المهاجمة من اختراق اسوار بغداد.
- لم تكن مشاهد التفاني والتضحية التي بذلتها أهالي بغداد – بما فيهم الأمير محمد الطاهري – خالصة في سبيل الدفاع عن احقية المستعين بالله في الحكم، بل كانت انعكاسا عن حقيقة مشاعرهم في ضرب قوة القادة الاتراك في سامراء وانهاء دورهم الفعال في البلاط العباسي.
- اثبت الأمير الطاهري مقدرة كبيرة جدا في إدارة مراحل حرب المستعين والمعتز، فكان العقل المدبر لتهيئة العامة من أهالي بغداد، وجميع العناصر المقاتلة الأخرى، حتى الوفود الخرسانية القادمة الى بغداد، من اعدادها وتعبئتها بالشكل المناسب لخوض غمار المواجهات العسكرية.
- وكما نجح الأمير الطاهري في مرحلة التعبئة العسكرية والصمود امام هجمات العدو المتلاحقة، تجده نجح الى درجة كبيرة في تسير أمور العامة في مرحلة الحصار الجائر الذي فرضته قوات الاتراك.

- عندما أدرك الأمير محمد الطاهري خطورة الوضع الداخلي في مدينة بغداد، وان لا جدوى من استمرار الحرب، اشعر الطرف الاخر بقبوله بأجراء مفاوضات الصلح.
- كان تأثير الأمير الطاهري واضحة في بنود الصلح، اذ عرف الامير كيف يدير جلسة المفاوضات مع الموفق بطريقة تحفظ له مستقبل مكانته الإدارية وامتيازات الاسرة الطاهرية في الدولة العباسية.
- لم يُعر الأمير الطاهري اهتماما كثيرا للجهة التي يدخل في بيعتها من بني العباس، بقدر اهتمامه بمصلحته الخاصة أولا وأخيرا، فالمستعين والمعتز كلاهما سيان في حسابات الأمير الطاهري.

المصادر الأولية:

- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي. (١٩٧٩). *التنبيه والاشراف* (المجلد ٢). بيروت: دار المسيرة.
- ابن عبد ربه الاندلسي ، ابو عمر احمد بن محمد. (١٩٦٥). *العقد الفريد* (المجلد ٣). (احمد امين واخرون، المحرر) القاهرة: مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر.
- الماوردي ، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب. (١٩٨٢). *نصيحة الملوك*. (خضر محمد خضر، المحرر) الكويت: مكتبة فلاح.
- الجهشياري ، إبي عبدالله محمد بن عبدوس. (١٩٨٦). *الوزراء والكتاب* (المجلد ١). (مصطفى السقا واخرون، المحرر) القاهرة: مطبعة مصطفى الباني الحلبي.
- ابن مسكوية احمد بم محمد. (٢٠٠٣). *تجارب الامم وتعاقب الهمم* (المجلد ١). (سيد كسروي حسن، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح. (١٩٨٦). *تاريخ اليعقوبي*. بيروت: دار صادر.
- البغدادي ، احمد بن علي الخطيب. (٢٠٠٤). *تاريخ بغداد* (المجلد ٢). (مصطفى عطا، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- القلقشندي ، احمد بن علي. (١٩٨٥). *ماثر الاناقة في معالم الخلافة* (المجلد ٢). (عبد الستار احمد فراج، المحرر) الكويت: مكبعة الكويت.
- ابن كثير ، اسماعيل بن عمر. (٢٠٠٤). *البداية والنهاية* (المجلد ١). (حسان عبد الله المنان، المحرر) ، الاردن: بيت الافكار الدولة.
- الكليني. (١٣٦٢). *الكافي* (المجلد ٤). (علي اكبر الغفاري، و محمد الاخوندي، المحررون) طهران، : دار الكتب الاسلامية.
- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين. (١٩٧٣). *مروج الذهب ومعادن الجوهر* (المجلد ٥). (محمد محي الدين عبد الحميد، المحرر) بيروت: دار الفكر.
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر. (١٩٥٢). *تاريخ الخلفاء* (المجلد ١). (محمد محي الدين، المحرر) القاهرة: مطبعة السعادة.

- الصفدي ، خليل بن ابيك. (٢٠٠٠). *الوافي بالوفيات* (المجلد ١). (احمد الارنأوط واخرون، المحرر) بيروت: دار احياء التراث العربي.
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان. (١٩٨٤). *دول الاسلام* (المجلد ٢). (محمود الارنأوط واخرون، المحرر) بيروت: دار صادر.
- ابن خلدون ، عبد الرحمن. (٢٠٠٣). *العبر وديوان المبتدأ والخبر* (المجلد ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن تغريد ، عبد الرحمن بن علي. (١٩٩٢). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* (المجلد ١). (محمد حسين، المحرر) القاهرة: دار الكتب العلمية.
- علي بن احين بن هبة الله ابن عساكر. (١٩٩٥). *تاريخ مدينة دمشق* (المجلد ٣). (علي شير، المحرر) دار الفكر، لبنان: بيروت.
- علي بن محمد الشيباني ابن الاثير. (٢٠٠٤). *الكامل في التاريخ* (المجلد ٤). (عمر عبد السلام تدمري، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
- ابو الفداء ، سماعيل بن علي. (١٣٢٥). *المختصر في احبار البشر* (المجلد ١). القاهرة: المطبعة الحسينية.

ابن خلكان ، حمد بن احمد بن ابي بكر. (١٩٨٣). *وفيات الاعيان انباء ابناء الزمان* (المجلد ٢). (احسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.

- الذهبي ، محمد بن احمد عثمان. (١٩٩١). *سير اعلام النبلاء* (المجلد ١). (عمر عبد السلام، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.
- الطبري ، محمد بن جريد. (١٩٠٨). *تاريخ الرسل والملوك* (المجلد ١). القاهرة: المطبعة الحسينية.
- ابن العمراني ، محمد بن علي. (١٩٩٩). *الانباء في تاريخ الخلفاء* (المجلد ١). (قاسم السامرائي، المحرر) القاهرة: دار الافاق العربية.
- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا العلوي. (١٩٦٢). *الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية*. القاهرة: مطبعة محمد علي واولاده.

- ابن النجار ، محمد بن محمود. (٢٠٠٤). *ذيل تاريخ بغداد* (المجلد ٢). (مصطفى عطا، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- الكندي ، محمد بن يوسف. (١٩٩١). *كتاب الولاة وكتاب القضاة*. (رفن كست، المحرر) القاهرة: دار الكتاب الاسلامي.
- ياقوت الحموي، بن عبد الله. (١٩٩٥). *معجم البلدان* (المجلد ٢). بيروت: دار صادر.

المراجع الحديثة:

- شلبي ، احمد. (١٩٦٠). *التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية*.القاهرة: مطبعة لجنة التاليف.
- العبادي ، احمد مختار. (٢٠٠٣). *في التاريخ العباسي والفاطمي* (المجلد ١). بيروت: دار النهضة العربية.
- امينة بيطار. (١٩٩٢). *تاريخ العصر العباسي* (المجلد ٤). دمشق: جامعة دمشق
- فوزي ، فاروق عمر. (١٩٧٣). *الخلافة في عصر الفوضى العسكرية* . بغداد: مطبعة دار السلام.
- فوزي ، فاروق عمر. (٢٠٠٣). *الخلافة العباسية* (المجلد ١). عمان، : دار الشرق.
- سعد ، فهمي. (١٩٧١). *العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة* (المجلد ١). بيروت: دار المنتخب.
- الخضري ، محمد. (٢٠٠٤). *محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية، الدولة العباسية* (المجلد ٢). (محمد طنطاوي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- المناصيري، محمد عبد الحفيظ. (٢٠٠٠). *الجيش في العصر العباسي الاول* (المجلد ١). عمان: دار مجد لاوي.

- خلف، وائل حافظ. (١٩٨٥). *وصايا الاباء للابناء* (المجلد ١). الاسكندرية: دار ابن القيم بالاسكندرية.

البحوث العلمية المنشورة:

- مرعي ، سامي. (٢٠٢٠). الحرب الاهلية الثانية بين افراد الاسرة العباسية. *مجلة دراسات تاريخية*، صفحة ١٢٩.
- الدوري ، عبد العزيز. (٢٠٠٧). *دراسات في العصور العباسية المتاخرة* (المجلد ١). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- فوزي ، فاروق عمر. (١٩٧٩). الجند الاموي والجيش العباسي، دراسة في تطور المؤسسة العسكرية في العصرين الاموي والعباسي. *مجلة المورد*، صفحة ١١.
- السوداني ، عبد الله عبد الرحيم. (١٩٧٩). اسوار بغداد. *ملجلة المورد*، صفحة ٢١.

تخطيط وعمارة مرقد الامامين العسكريين في سامراء
دراسة ميدانية

أ.د.صلاح الدين محسن زاير
جامعة بغداد–كلية الاداب–قسم الاثار
Salahaldin.m@coart.uobaghdad.edu.iq

تخطيط وعمارة مرقد الامامين العسكريين في سامراء – دراسة ميدانية

أ.د.صلاح الدين محسن زاير

الخلاصة:

تكمن أهمية مرقد الامامين العسكريين (عليهم السلام)في سامراء أنه يضم رفاة اثنين من أئمة أهل البيت هما الامام علي الهادي والامام الحسن العسكري(عليهم السلام)، فضلاً عن رفاة السيدة نرجس والدة الامام الحجة المنتظر(عليه السلام) والسيدة حكيمة أخت الامام علي الهادي(عليهم السلام)، ولقد كان لدفن الامامين العسكريين (عليهما السلام) وأهل بيتهم في دارهم أثر كبير في تشجيع محبي أهل البيت من السكن حول المرقد الشريف وتوسع مدينة سامراء خلال العصور اللاحقه ، وقد تم أضافة وترميم وتجديد المرقد باستمرار بسبب حب الحكام والامراء والولاة وعامة الناس لمكانة ومنزلة الامامين العسكرين، ومع ذلك لم يسلم مرقد الامامين العسكريين في سامراء من الهجمة الشرسة التي تعرض لها على يد الارهاب في سنة (٢٠٠٦م).

الكلمات المفتاحية: ، تخطيط ، عمارة ، مرقد ، الامامين العسكريين ، سامراء ، تجديدات

Abstract:

The importance of the shrine of the two Imams Al-Askari (peace be upon them) in Samarra lies in the fact that it contains the remains of two Imams of the Household of the Prophet, Imam Ali al-Hadi and Imam al-Hasan al-Askari (peace be upon them), in addition to the remains of Lady Narjis, the mother of Imam al-Hujjah al-Muntazar (peace be upon him), and Lady Hakima, the sister of Imam Ali al-Hadi (peace be upon them). The burial of the two Imams Al-Askari (peace be upon them) and their family in their home had a great impact in encouraging the lovers of the Household of the Prophet to live around the holy shrine and the expansion of the city of Samarra during the subsequent eras. The shrine was continuously added to, restored and renovated due to the love of the rulers, princes, governors and the general public for the status and position of the two Imams Al-

Askari. However, the shrine of the two Imams Al-Askari in Samarra did not escape the fierce attack it was subjected to by terrorism in the year (2006 AD).

Keywords: Planning, Architecture, Shrine, the two Imams Al-Askari, Samarra, Renovations

نشأة المدينة:

أن السكن في مدينة سامراء هو مرتبط بتوفر عوامل الاستقرار المتمثله بالارض الخصبة والمياة الوفيرة ، وأسهمت عوامل عدة في التسارع بعملية السكنى لهذه المدينة ، منها أنتقال الخليفة المعتصم بالله (١٧٩-٢٢٧هـ/ ٧٩٦-٨٤٢م) من مدينة السلام الى مدينة سامراء لتكون عاصمة الخلافة العباسية الجديدة سنة (٢٢١هـ/ ٨٣٥م)، فضلاً عن أن المدينة صارت مدفناً للأمامين العسكريين(عليهما السلام) فيما بعد ، وقد أصبح قبرا الامامين النواة الاولى للتوسع السكني والعمراني ، حيث كان للعقيدة الدينية أثرها الكبير في سكنى الناس حول ضريح الإمامين العسكريين(عليهما السلام) لحمايته والاحتماء به وادارته[١].

كان ولا زال لمرقد الإمامين العسكريين(عليهما السلام) تأثيرات روحية ودينية ، كونه يضم رفاة أثنين من أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، وهو السبب الرئيس وراء السُكنى حول مرقد الأمامين والذي كان من نتائجه أتساع رقعة المنطقة التي شغلتها مدينة سامراء ، ولوجود المرقد أهمية كبيرة متمثلة بقدسية المكان ، فضلاً عن كونه أحد المراجع الخططية المهمة في تاريخ سامراء وذلك لبقائه في موضعه الاصلي لمدة الف ومائتي سنه حتى الوقت الحاضر[٢].

ومن الأسباب الاخرى التي أدت الى أتساع دائرة السكنى في المدينه هو ما تحدثت به كتب التاريخ والسير عن مكانة الامامين الدينية والعلمية ، حيث كان الكثير من الناس يفضل السكن قريباً من القبرين للتبرك بهما[٣]، وثمة سبب آخر تمثل بمزاولة بعض الناس حرفة تقديم الخدمه للزائرين من خلال سكنهم حول مرقد الإماميين[٤].

سيرة الامام علي الهادي (عليهم السلام) :

اسمه: علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب[٥] .

كنيته : عرف الامام علي الهادي (عليه السلام) بكنية واحدة وهي ابو الحسن لا غير[٦] .

لقبه : كان للأمام علي الهادي (عليه السلام)العديد من الألقاب التي عرف بها منها : " الهادي، والعسكري، والعالم، والدليل، والعلم، والموضح، والراشد" [٧].

ولادته: كان مولده(عليه السلام) في النصف من ذي الحجة عام ٢١٢هـ في قرية من قرى المدينة[٨] ، ونجد مَنْ يؤرخ ولادته في يوم الاحد الثالث عشر من شهر رجب سنة ٢١٣هـ[٩]، بينما هناك مَنْ يذكر ولادته في رجب سنة اربع عشرة ومائتين[١٠] .

اولاده : له من الولد: الحسن الامام، ومحمد، والحسين، وجعفر المدعي الامامة المعروف بالكذاب[١١] .

وصيته ووفاته (عليه السلام):

مرض الامام ابو الحسن علي بن محمد(عليه السلام)في سنة اربع وخمسين ومائتين، واحضر ابنه ابا محمد الحسن(عليه السلام)واوصى اليه وتوفى على اثر مرض اصابه[١٢].

سيرة الامام الحسن العسكري (عليه السلام):

اسمه: " الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) " [١٣].

كنيته : ابو محمد [١٤] .

لقبه: العسكري والصامت والمشفع والموفي والمولى والزكي والسخي والتقي والنقي والمستودع[١٥].

زوجته: كان للامام الحسن العسكري(عليه السلام) زوجة تسمى السيدة نرجس ، وهي أم الامام الحجة المنتظر(عليه السلام)[١٦] .

ولد له الخلف الامام الثاني عشر صاحب الزمان (عليه السلام)واسمه محمد بن الحسن[١٧].

يذكر ان الامام الحسن العسكري(عليه السلام) لم يكن له من الولد سوى الامام المهدي المنتظر[١٨] .

وفاته: قبض ابو محمد الامام الحادي عشر الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب(عليه السلام) سنة ستين ومائتين في خلافة المعتمد وهو ابو الامام المهدي المنتظر[١٩] .

سيرة الامام المهدي المنتظر(عليه السلام):

وردت العديد من الروايات والاحاديث عن الامام المهدي المنتظر (عليه السلام)على لسان النبي وعلى لسان اهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) وكل تلك الروايات بشرت بمولده المبارك ونسبه الشريف ومكانته التي خصه الله بها[٢٠] .

سوف نستعرض بعض من هذه الروايات ، قال رسول (ص): " ان الله عز وجل اختار من الايام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ومن الشهور شهر رمضان واختارني رسول الله من الرسل واختار مني عليا واختار من صلب علي الحسن والحسين واختار من الحسين تسعة ائمة وتاسعهم قائمهم هو ظاهرهم وباطنهم " [٢١].

عن الامام الصادق(عليه السلام)قال:"الائمة الهداة بعد رسول الله(ص)أولهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الارض وصاحب الزمان[٢٢] .

عن سلمان المحمدي قال:قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) عن المهدي القائم(عليه السلام) والله ليغيبن حتى يقول الجهال ما بقي لله من ال محمد من حاجة ثم يطلع طلوع البدر في وقت تمامة والشمس في وقت اشراقها فتقر عيون وتعمى عيون [٢٣].

اسمه: محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام [٢٤] .

كنيته: ابو القاسم، ابو ابراهيم[٢٥].

القابه: للإمام المهدي القاب كثيرها منها : " المنتقم، وصاحب الرجعة البيضاء، وسدرة المنتهى، والغاية القصوى، وغاية الطالبين، وفرج المؤمنين، ومنية الصابرين، واليوم الموعود، وطالب الثارات، والفرج الأعظم، والصبح المسفر، وعاقبة الدار، والعدل، والقسط، والأمل، والمحسن، والمنعم، والمفضل، والسناء، والضياء، والحق، والصدق، والصراط، والسبيل" [٢٦] .

امه: ام ولد يقال لها نرجس[٢٧].

ولادته: ولد الامام المهدي(عليه السلام)في ليلة النصف من شهر شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين[٢٨].

نبذة عن تاريخ مرقد الامامين العسكريين:

استقدم المتوكل العباسي الإمام علي بن محمد الهادي(عليه السلام) من المدينة المنورة إلى سامراء سنة (٢٤٣هـ /٨٥٧ م) بعد أن كثرت الوشاية عليه، فوضعه تحت أنظاره وعيونه، وأُبلغ الإمام أن لا يغادر سامراء، أي أنه وضع تحت الإقامة الجبرية في سامراء، مما حدا بالإمام أن يبتاع دارًا من رجل نصراني اسمه دليل بن يعقوب، فسكنها الإمام (عليه السلام) مع أهله وعياله الذين جاء بهم من المدينة معه، وكان في الدار سرداب، ولما توفي الإمام (عليه السلام) سنة (٢٥٤هـ /٨٦٨ م) دفن في صحن داره[٢٩] .

دار الإمام علي الهادي(عليه السلام) كانت تقع في منطقة تسمى العسكر ولهذا لقب بالعسكري ، ولما توفى ولده الحسن العسكري(عليه السلام) الامام الحادي عشر سنة(٢٦٠هـ/٨٧٣م) دفن الى جوار ابيه فكان قبرا الامامين نواة حضرتهما وبقي الحال الى سنة(٣٣٣هـ/٩٤٤م) ايام ناصر الدولة الحمداني حيث بنى قبة على الضريحين وسورهما بسور[٣٠]، وفي ايام معز الدولة البويهي قام بتعمير ضريح الامامين العسكريين وجعل على ضريحيهما صندوق من الخشب ، وفي ايام عضد الدولة البويهي قام بتعمير الروضة والاروقة والصحن ، وفي عام (٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م) قام البساسيري ببناء عمارة عالية على قبر الامامين(عليهما السلام)، وفي عام (٦٤٠هـ/ ١٢٤٨م) وقع حريق في المرقد المطهر فقام الخليفة العباسي المستنصر بالله بعمارته واهتم بسرداب الغيبة وجعله اجمل مما كان في عهد البساسيري[٣١].

ممكن نستخلص مما تقدم ان بناء مرقد الامامين العسكريين كان يتألف من حجرة تعلوها قبة ، ومثل بقية ابنية المراقد والمشاهد تعرض مرقد الاماميين الى ترميمات وتجديدات واضافات وتوسعات متعددة ومتتالية ، وقد اثرت هذه العمليات على طابع معالمها الاصلية ومظهرها الاول، وتم ادخال عناصر معمارية وزخرفية تعكس ما ساد وازدهر في كل مرحلة من مراحل التطوير وفي كل عصر من العصور.

تخطيط وعمارة مرقد الامامين العسكريين:(مخطط١)

يذكر ان بناء المرقد الحالي للإمامين علي الهادي والحسن العسكري(ع) يرجع الى عام (١٢٢٥هـ/١٨١٠م)، وقد تم فيما بعد تذهيب القبة عام(١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م)، ويجاور

المرقد جامع المهدي، ويقوم الجامع فوق سرداب الغيبة، ويعتقد بان الامام المهدي بن الحسن العسكري(ع)غاب فيه ، ويذكر ان الخليفة العباسي الناصر لدين الله قد أمر ببناء هذا الجامع وتعمير سرداب الغيبة عام(٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، وهذا ما مثبت على مشبك سرداب الغيبة[٣٢].

يتوسط مرقد الامامين العسكريين بلدة سامراء في الوقت الحاضر، ويشغل مساحة أرض مربعة الشكل طول ضلعها(١١٥م) ، ويحيط بالمرقد سور ضخم يفصل بين المرقد والطرق والاسواق والدور المجاورة (صورة١) ، تخطيط مرقد الامامين العسكريين يشبه الى حد كبير تخطيط مرقد الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام)في النجف الاشرف، فضلا عن التشابه الواضح في استعمال العناصر العمارية والزخرفية.

يحيط بمرقد الامامين العسكريين سور ضخم من ثلاث جهات، أبعاده(٧٧x ٤٠,٨٠م)، يضم مجموعة من الاواوين بطابق واحد ، يبلغ عددها (٦٢) أيواناً تطل على الصحن بعقود مدببة منفرجة (صورة ٢) ، ويتوسط الجدار الجنوبي في هذا السور ايوان يضم مدخل ضخم مرتفع ينتهي من الاعلى بعقد مدبب منفرج مغطى بقراميد خزفية(قاشاني) ذات تشكيلات زخرفية جميلة تمثلت بالزخارف النباتية والهندسية ، فضلا عن الآيات القرآنية (صورة ٣)، ويسد المدخل في هذا الايوان باب يقابل الباب الرئيس الذي يسد مدخل ايوان الذهب ، أي انهم على محور واحد ، وقد جرت على الجدار الغربي بعض الاعمال البنائية التي حررته من الابنية الملاصقة له، وتمكن المعمار من فتح مدخل وسط ايوان ضخم يشبه ايوان المدخل الرئيسفي الضلع الغربي ، وكسيت واجهات جدران اواوين السور واجزاء واسعة منه بقراميد خزفية(قاشاني) جميلة .

الدخول الى مرقد الامامين العسكريين يكون عن طريق خمسة مداخل ، المدخل الرئيس يتوسط الجدار الجنوبي (صورة ٣)، كما هو الحال في اغلب المراقد المقدسة بأتجاه القبلة ، ويقع اثنان منها في كل من الجدارين الشرقي والغربي.

ضريح الامامين العسكريين مستطيل الشكل أبعاده(٤٣ x ٣٨م)، وتواجه جدرانه الجهات الاربعة ، والجدار الجنوبي يختلف عن بقية الجدران حيث يتوسطه ايوان ضخم مرتفع يدعى ايوان الذهب، وكانت اجزاء واسعة منه ومقرنصاته العنقودية مطلية بالواح

الذهب قبل التفجير الارهابي(صورة ٤)، ويشبه هذا الايوان ايوان الذهب في مرقد الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) في مدينة النجف الاشرف.

المدخل الرئيس للضريح يتوسط ايوان الذهب ، وهو على محور المدخل الرئيس للمرقد ، والذي يربط بين المدخل الخارجي ومدخل حجرة الضريح ، والابواب في ضريح الامامين العسكريين كانت مطلية بالذهب والمينا واروعها باب ايوان الذهب سابقا قبل التفجير الارهابي(صورة ٤) .

تتقدم جدار ايوان الذهب سقيفة شبيه بالسقيفة التي تتقدم مرقد الامامين الحسين والعباس(عليهما السلام) في كربلاء المقدسة ، يبلغ عرضها عشرة أمتار، وقد زينت جدران ضريح الامامين العسكريين من الخارج عدا الحنايا والنوافذ بقراميد خزفية(قاشاني) التي تتصف بجمال تشكيلاتها وتنوع ورقة الوانها وتناسق اشكالها الزخرفية ، فهي تتألف من تشكيلات نباتية وهندسية وكتابات، ويتوج الجدران شريط كتابي تمثل بآيات قرآنية رسمت حروفها بلون ابيض على ارضية زرقاء داكنة، هذه التفاصيل كانت موجودة قبل التفجير الارهابي(صورة ٥).

مدخل ايوان الذهب يسده باب خشبي حديث يؤدي الى حجرة الضريح وهي مربعة الشكل أبعادها(١٥x١٥م)، تضم قبري الامامين علي الهادي والحسن العسكري (عليهما السلام) ، وتمتاز بجدرانها الضخمة التي ترتفع بحدود (١٠م) عن مستوى أرضية الحجرة ، وقد استفاد المعمار من ضخامة الجدران لفتح حنايا واواوين فيها تزيد البناء سعة وفخامة ، فضلا عن الاقتصاد في المواد البنائية ، لذلك نلاحظ هناك العديد من الحنايا والاواوين في جدران حجرة الضريح تنفتح على الاروقة المحيطة بها وباعداد تتناسب مع تلك التي تطل على الاروقة من الجهات المقابلة (صورة ٦) ، وتحمل جدران حجرة الضريح قبة بصلية ضخمة ذات رقبة اسطوانية طويلة نسبيا تتخللها عدة نوافذ ذات عقود مدببة منفرجة مثل معظم عقود مرقد العسكريين ، وقبة الضريح يبلغ قطرها (١٥م) ، وهي مثل قبة مرقد الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام)في النجف الاشرف مطلية بالذهب(صورة ٣).

فتح في حجرة الضريح اربعة مداخل تتوسط الجدران تطل على الاروقة المحيط بيها ، وهذه الاروقة مستطيلة الشكل بعرض أربعة أمتار ، وترتفع جدرانها بارتفاع جدران حجرة الضريح ، وتنفتح في جدران حجرة الضريح حنايا واواوين تطل على الداخل ، أما من الخارج فتضم جدران حجرة الضريح حنايا بصفين فتح في الصف السفلي منها نوافذ ومداخل ، وسقفت الاروقة المحيطة بحجرة الضريح بأقبية نصف اسطوانية .

شغلت اغلب حنايا واواوين الضريح من الداخل بمقرنصات عنقودية وكسيت جدرانها بأروع التشكيلات الزخرفية النباتية والهندسية ، فضلا عن الآيات القرآنية، ويحيط بالقبرين الشريفين صندوق مشبك ضخم معمول من الفضة بادق صنعة واجمل مظهر (صورة ٧)، وارضية الضريح وجدرانه مكسوة الى ارتفاع مترين بمرمر ايطالي اخضر مجزع ، ويؤطر هذه الكسوة من اعلى شريط من الكتابات الجميلة يدور مع العقود والاواوين ، وكسيت بقية الواجهات التي تعلو الشريط الكتابي وباطن القبة ورقبتها بقطع المرايا والقراميد الخزفية (القاشاني) الرائعة ، ويطوق رقبة القبة عند قاعدتها ونهايتها شريط من آيات قرآنية (صورة ٨).

تقوم في ركني الجدار الجنوبي مئذنتان اسطوانيتان رشيقتان ، ولكل منهما حوض يستند على عدة صفوف من المقرنصات ، وكسيت ابدانهما بطابوق مزجج مصفوف بطريقة فنية نتجت عنها تشكيلات زخرفية جميلة، وتطوق الابدان عند قاعدتيهما ونهايتهما انطقة ذات تشكيلات زخرفية جميلة ، وكانت الرقاب مغطاة ايضا بالطابوق المزجج ، هذه التفاصيل كانت موجودة قبل التفجير، وقد كسيت بالواح الذهب بعد اعادة اعمارها على اثر التفجير الارهابي (صورة ٣) .

اتبع المعمار في بناء ضريح الامامين العسكريين نفس الطريقة المستعملة في تشييد الجدران الضخمة في مرقد الامامين علي بن ابي طالب(عليه السلام)في النجف الاشرف، والامام موسى بن جعفر(عليه السلام) في مدينة الكاظمية المقدسة .

جامع المهدي : (مخطط١)

يتصل بناء جامع المهدي بضريح الامامين العسكريين عند زاويتها الشمالية الغربية ، ويكاد بناء الجامع ان يكون مستقل عن ضريح الامامين العسكريين ، الجامع مستطيل الشكل

أبعاده (٦١,٥ x ٨٣,٨٠م) ، وللجامع سور خارجي يحيط به ، يليه صحن واسع يحيط به من ثلاث جهات، ثم مصلى شتوي واخر صيفي ، مدخله يتوسط الضلع الشمالي ويقابل مدخل المصلى ، يقع المصلى في القسم الجنوبي ويلتصق بالجدار الجنوبية ، والجدران الخارجية للجامع ضخمة ومرتفعة تصل الى حدود (١٠م) (صورة ٩).

يتقدم المصلى من الناحية الشمالية رواق بهيئة مصلى صيفي يتألف من اسكوب واحد فقط أما تخطيط المصلى الشتوي في الجامع فهو بسيط ويتألف من اربعة اساكيب وثلاث بلاطات ، ، وجدران الجامع متينة وضخمة وتضاهي في سمكها جدران ضريح الامامين العسكريين ، وجعلت بهذا الشكل لترفع قبة المصلى العالية التي تسقف ثلاثة اساكيب وجزء كبير من بلاطة المحراب، والقبة بصلية الشكل مرتفعة ذات رقبة اسطوانية مرتفعة تتخللها نوافذ ، اما قطر القبة فيبلغ (١٥,١١م) ومحيطها(٤٥,٣٢م) ، وقد كسيت القبة ورقبتها بقراميد قاشانية ذات تشكيلات زخرفية جميلة ومتقنة تمثلت بالزخارف النباتية والهندسية التي تمتاز بالوانها الرقيقة وعناصرها المتناسقة فضلا عن الشريط الكتابي الذي يزين رقبة القبة (صورة ٩) ، وتضاهي هذه القبة قبة ضريح الامام العباس(عليه السلام) في كربلاء المقدسة قبل ان تزال كسوتها من القراميد الخزفية(القاشاني) الفريدة التي كانت تزينها .

يتوسط المحراب جدار القبلة ويجاوره المنبر ، وتكاد وجوه الجدران من الداخل ان تخلو من اية تشكيلات زخرفية ، ويمكن الدخول الى المصلى الشتوي عن طريق مدخل فتح داخل ايوان يرتفع بحدود خمسة امتار ، ويسد هذا المدخل باب خشبي من مصراعين ، ويعلو المدخل عقد مدبب منفرج زين باطنه بالمقرنصات المركبة ، كما توج الايوان بنطاق من تشكيلات زخرفية نباتية بديعة .

يقع تحت مصلى الجامع سرداب الغيبة المشهور، والدخول اليه يكون عن طريق احد اروقة مصلى الجامع ، ويتم النزول الى السرداب عن طريق درج من عدة درجات مكسية ببلاطات الرخام (صورة ١٠)، فضلا عن اكساء جدران الدرج ببلاطات الرخام يعلوها شريط كتابي تليها زخارف هندسية معمولة من المرايا التي تغطي جانب وسقف الدرج ، وينتهي الدرج بممر يقع على يمين النازل يؤدي الى مصلى صغير خصص جزء منه للرجال والاخر للنساء(صورة١١).

كسيت اجزاء من جدران سرداب الغيبة بالقراميد الخزفية(القاشاني) الرائعة ذات التشكيلات الزخرفية الجميلة التي تمثلت بالزخارف النباتية والهندسية التي تمتاز بالوانها الرقيقة وعناصرها المتناسقة فضلا عن الشريط الكتابي الذي يزين الجدران والذي ضم آيات من القرآن الكريم(صورة١٢).

يذكر ان الامام الحجة المنتظر(عليه السلام) كان يقضي معظم وقته في العبادة في هذا السرداب لانه كان مطارد من قبل خلفاء بني العباس، وهناك مكان في هذا السرداب اغلق بواجهة حديثة ضمت مدخل وبجانبه مشبك من الفضة ، يعتقد أنه مكان عبادة وخلوة الامام المهدي(عليه السلام) ، ويقوم عامة الزوار الى مرقد الاماميين العسكريين (عليهما السلام) بزيارة سرداب الغيبة واداء الصلاة والدعاء فيه (صورة ١٣).

اراء في مرقد الامامين العسكريين

ان اقدم من يشير الى وجود مرقد الامامين العسكريين المطهرة في سامراء من المراجع الحديثة محررو دائرة المعارف الاسلامية المطبوعة في لايدن بهولندا سنة ١٩١٣ ، فقد جاء فيها: ".... وقد حل الخراب في معظم هذه الابنية والقصور منذ القرن العاشر للهجرة ، ولم يستقم منها غير الجامع الكبير بالقرب من معسكرات الجيش، ومن أجل هذا عرفت تلك المنطقة من سامراء بأسم (العسكر)" . وقد أدى تمسك الشيعة بأئمتهم المعصومين الى الاحتفاظ هناك بقبر إمامهم الحادي عشر ابي محمد الحسن الملقب بالعسكري لانه توفى في سامراء سنة (٢٦٠هـ)، وبسرداب الغيبة الذي اختفى فيه ابنه أبو القاسم محمد المهدي خليفته اليافع سنة (٢٦٤هـ/٨٧٨م)، والمعروف ان زوار الشيعة ظلوا خلال الالف السنة الأخيرة يزورون سرداب سامراء[٣٣].

يشير الى ذلك المستشرق لسترنج في كتابه فيقول: ".....أما ما هو احدث من ذلك من مراجع ، فلم يزدنا علماً بسامراء الا قليلاً ، ثم صار جل أهل سامراء من الشيعة ، إذ أن فيها ضريحي الامامين العاشر والحادي عشر : علي الهادي وابنه الحسن العسكري، وفي جامعها سرداب الغيبة يقولون ان الامام الثاني عشر غاب فيه سنه (٢٦٤هـ/ ٨٧٨م) وهو القائم المهدي المنتظر الذي سيعود في آخر الزمان، ويقوم هذان الضريحان في الموضع المعروف بعسكر المعتصم، والى هذا الموضع نسب الامام الحسن فعرف بالعسكري" [٣٤].

اما المستر سيتون لويد فيشير الى وجود الضريحين المطهرين اشارة عابرة في (مدن العراق الأثرية) فيقول: " ..... وهي تحتوي على ضريح امامين من الأئمة الاثني عشر، ومزار خاص بالامام الثاني عشر المهدي ، الذي اختفى هنا في كهف تحت الارض . وان الباب الذي يسمى(باب الغيبة)، والذي ينتظر ان يمر منها ثانية عند ظهوره في آخر الزمان، محفوظة في سرداب يقع تحت القبة الذهب الكبرى في سامراء. وهي نموذج يلفت النظر لاشغال الحفر التي تعود الى القرن الرابع عشر، وقد رممت مؤخراً " ، ولابد من الاشارة هنا الى ان هذا الباب قد نقل بعد ذلك الى جناح الاثار العربية في المتحف العراقي في بغداد ، وما يزال موجودا فيه ، ولابد لنا من ان نشير كذلك الى ان سرداب الغيبة الذي يعتقد سيتون لويد ، وغيره من الكتاب الغربيين مثل هرتسفيلد ، انه تحت القبة الذهبية هو في الحقيقة تحت القبة الثانية غير المذهبة كما لا يخفى[٣٥].

يذكر أن سامراء" ..... طيبة الهواء كثيرا. وفيها نحو الف بيت . ومن المزارات فيها مزار الامام علي النقي ، والامام حسن العسكري (ع)، ومحل غيبة الامام محمد المهدي. وفي كل سنة يبلغ زوار الشيعة من العرب والعجم نحو ثلاثين ألفا، يأتون الى هذه المشاهد للزيارة . ويقال لسامراء(العسكر)" [٣٦]

تعد مدينة سامراء الحديثة في نظر الشيعة اليوم ذات أهمية فائقة لوجود مرقد الامامين العسكريين(عليهما السلام)، فضلا عن سرداب الغيبة ، وتعلو مرقد الامامين العسكريين القبة الذهبية التي بدأ بتشييدها ناصر الدين شاه وأكمل بناءها مظفر الدين شاه سنة (١٩٥٠م)، وتوجد تحت هذه القبة أربعة قبور مطهرة هي: قبرا الامامين علي الهادي وابنه الحسن العسكري ، وقبرا السيدتين القريبتين لهما ، واحداهما حليمة أخت الامام علي هادي التي روت الظروف التي أحاطت بولادة الامام الغائب ، والاخرى نرجس خاتون والدة الامام المهدي ، أما سرداب الغيبة ففيه المكان الذي اختفى به عن الانظار ، وله قبة تمتاز بدقة تصميمها وزخرفتها بالقراميد الخزفية(القاشاني) ذات اللون الازرق ، ويقع تحتها سرداب الغيبة ، الذي ينزل اليه الزوار عن طريق سلم طويل خاص[٣٧].

يذكر في احدى الرحلات " فذهبنا الى مشهد سامرا وهو مسجد على طراز مساجد الكاظمية وكربلاء والنجف ولكنه أصغر وأقل أبهة . وتحت قبته مقصورة فيها أربعة قبور

للإمام الهادي وابنه الحسن العسكري والسيدتين سكينه وحليمة ، ويقال لهما هناك سكينه خاتون وحليمة خاتون ، وهي كلمة تركية مستعملة في العراق معناها السيدة إحدهما زوج الهادي والاخرى عمته"[٣٨] .

ظلت عمارة مرقد الإماميين العسكريين(عليهما السلام) تزداد اتساعًا ورونقًا وجمالًا حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم من الأبهة والجلال والسعة، إذ تبلغ مساحته اليوم حوالي (١٣) ألف متر مربع، أما طول الصحن (١١٢) مترًا، وعرضه (١٠٨) أمتار، وهو مفروش بالمرمر الأبيض، وأما ارتفاع سوره فيبلغ (٧) أمتار، وهو مكسو إلى ارتفاع مترين بالمرمر الأبيض، وما يعلوه فقد كسي بالقاشاني الملون البديع[٣٩].

عند حلول القرن العشرين توالت الاصلاحات والتوسعة وفتح الشوارع حول الصحن الشريف، وجلبت مولدات الكهرباء الديزل للصحن الطاهر وما حوله وقد علقت الثريات والمصابيح الكهربائية لتنير مرقد الاماميين العسكريين ليزداد جمالا وبهاء.

ملاحظات عن مرقد الامامين العسكريين قبل التفجير :

تُعد العناصر العمارية الرئيسة وطريقة بنائها في مرقد الاماميين العسكريين مقاربة لما موجود في مرقد الامامين الكاظمين والروضة الحيدرية وذلك من خلال الملاحظات الأتية[٤٠]:

١-التخطيط الارضي للبناية يشبه الى حدا كبير التخطيط المتبع في اغلب المراقد الموجودة في العراق ، ولكنه اكثر قربا الى تخطيط الروضة الحيدرية الشريفة في النجف.

٢-مرت على بناء الروضة العسكرية عدة مراحل بنائية وبفترات مختلفة كان اخرها بناء الطارمة الغربية والقاعة الشمالية في عهد النظام السابق ، وان اقوى كتلة بنائية تلك القائمة عليها القبة الذهبية التي تعتبر اكبر قبة مبنية فوق المراقد الدينية في العراق.

٣-تعرض المرقد الى اضافات كثيرة بعضها اضافات غير دقيقة البناء ، كان الغرض منها تهيئة واجهة لاكسائها بالطابوق الكربلائي ، يمكن مشاهدة امثلة منه بوضوح في الواجهة الغربية والشرقية المطلة على الصحن .

٤-يوجد في المرقد شريط من الآيات القرآنية والابيات الشعرية والتواريخ كتبت بمختلف انواع الخطوط ، مما يتطلب التعامل معها بدقة والاستعانة بالوثائق التاريخية لمعرفة

الاجزاء الناقصة من تلك الكتابات ، وكذلك استعمل في البناء انواع مختلفة من الزخارف النباتية والهندسية ، يتطلب الامر دراستها ومعرفة اصولها التاريخية.

التفجير الارهابي لمرقد الاماميين العسكريين:

فجر يوم ٢٧ من شهر محرم الحرام سنة(١٤٢٧هـ)الموافق صباح يوم الأربعاء ٢٢ شباط (٢٠٠٦م) قامت مجموعة من الإرهابيين بتفجير كبير للقبة المطهرة للإماميين العسكريين(عليهما السلام)،بعد أن قاموا بزرع عدد من العبوات الناسفة تحت القبة وفجروها مما أدى إلى انهيار القبة التي تعلو الضريح والتي تُعد أكبر قباب العالم الإسلامي الشاخصة.

انتشر خبر التفجير كالنار في الهشيم، فخرجت الآلاف من الجماهير الموالية الى الشوارع التي بدت تموج بمن فيها وعمت مظاهر الغضب مدن جنوب ووسط العراق في تظاهرات احتجاجية على تفجير المرقد الطاهر.

اجتمع مراجع الدين الكبار في النجف الأشرف بالمرجع الأعلى، وعقبها أصدر مكتب المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد علي السيستاني بيانًا استنكاريًا للفاجعة معلناً فيه الحداد العام لسبعة أيام ، ودعا فيه إلى ضبط النفس وعدم اتخاذ أي اجراءات تؤدي إلى وقوع الفتنة الطائفية التي يريدها من نفذ التفجير، وكذلك صدرت بيانات مماثلة من باقي مراجع الدين العظام .

ولولا موقف المرجعية في تهدئة الجماهير الغاضبة لانفلت زمام الأمور ولحدثت كارثة وحرب أهلية طائفية في العراق لا يعلم مداها إلا الله .

وقد استنكرت هيئات ودوائر ومكاتب وشخصيات عالمية وإسلامية هذا الفعل المشين، وبعدها قام المؤمنون بالمباشرة بإعادة إعمار الروضة المطهرة للإمامين العسكريين (عليهما السلام) وهي الآن في مراحلها الأخيرة .

أدخلت منظمة اليونسكو مدينة سامراء التاريخية ضمن التراث العالمي ، فضلا عن كونها مشمولة بقانون الاثار والتراث المرقم ٥٥ في ٢٠٠٣ .

الاضرار في مرقد الاماميين العسكريين بعد التفجير[٤١]:

١-تضرر الواجهة الشرقية بشكل كبير نتيجة لقوة الانفجار .

٢-تضرر أغلب الاروقة المحيطة بالقبر بشكل كبير من شدة الانفجار

٣-القبة الرئيسة تعرضت الى ضرر كبير وتشقق في الاجزاء المتبقية منها ، وان بعض تلك التشققات نافذة خصوصا عند الاجزاء العليا من النوافذ الاثني عشر التي تحيط برقبة القبة .

٤-يوجد الكثير من التشققات الطولية والعرضية في الكتلة البنائية المتبقية وخصوصا القبة والجزء العلوي منها بالذات.

٥-تضرر الشباك الخشبي القديم المنسوب عمله الى عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله للضرر نتيجة الانفجار.

٦-تعرض ارضية الصحن والضريح الشريف لتخسفات نتيجة الانفجار وتساقط كتل بنائية ثقيلة عليه من شدة الانفجار .

٧-تعرض سقف وجوانب سرداب الغيبة الى الاضرار نتيجة الانفجار الشديد .

إعادة الاعمار في مرقد الاماميين العسكريين بعد التفجير[٤٢]:

١-تم اعادة بناء الواجهة الشرقية حسب تصميمها السابق بعد ان تضررت بشكل كبير .

٢-تم اعادة تسقيف الاروقة المحيطة بالقبر ، حيث تم العمل حسب طريقة البناء الاصلية

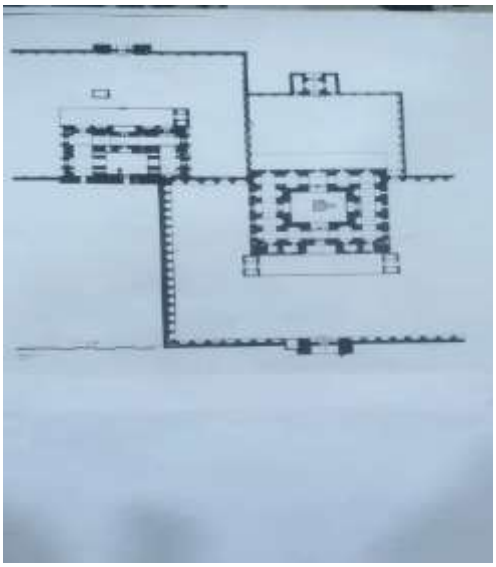
٣-اعادة تزيين الاروقة بقطع المرايا وباشكال هندسية كما كانت في الاصل .

٤-تم إعادة بناء القبة الرئيسة على الطراز السابق نفسه ، فضلا عن اعادة فتح النوافذ الاثني عشر التي تحيط برقبة القبة .

٥- ارجاع الشباك الخشبي القديم الموجود في سرداب الغيبة المنسوب عمله الى عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله الى مكانه ، بعد أن تعرض للضرر نتيجة الانفجار.

٦–عمل صبة كونكريتية لارضية الصحن والضريح الشريف التي تعرضت للتخسفات نتيجة الانفجار وتساقط كتل بنائية ثقيلة الوزن عليه من شدة الانفجار .

٧–تم صيانة سقف وجوانب سرداب الغيبة استعدادا لاعادة تزيننه بالمرايا وفق نفس الزخارف التي كانت تزينه قبل التفجير .



(مخطط ١)

مرقد الإمامين العسكريين وجامع المهدي

المصدر – العمارات العربية الاسلامية في العراق



(صورة ١)– مرقد الامامين العسكريين يتوسط مدينة سامراء



(صورة ٢)– سور فتحت فيه اواوين تحيط بمرقد الامامين العسكريين



(صورة ٣)– المدخل الخارجي المؤدي الى مرقد الامامين العسكريين



(صورة٤)– مدخل ايوان الذهب في مرقد الامامين العسكريين بعد اعادة الاعمار



(صورة ٥)– سيقفة تتقدم مدخل ايوان الذهب في مرقد الامامين العسكريين



(صورة ٦)– أروقة واواوين وحنايا تحيط بحجرة الضريح



(صورة ٧)– الصندوق المشبك المحيط بقبر الامامين العسكريين



(صورة ٨)– تشكيلات زخرفية تزين جدران مرقد الامامين العسكريين



(صورة ٩)– مدخل جامع الامام المهدي



(صورة ١٠)– الدرج المؤدي الى سرداب الغيبة في سامراء



(صورة ١١)– مكان مخصص للصلاة في سرداب الغيبة



(صورة ١٢)– تشكيلات زخرفية وآيات قرآنية تزين جدران سرداب الغيبة



(صورة ١٣)– مكان زيارة الامام المهدي في سرداب الغيبة

الهوامش :

[1]– ال ياسين ، محمد حسن ، لمحات من تاريخ الكاظمية ، مجلة البلاغ ،العدد الثالث والرابع ،السنة الثالثه ، مطبعة المعارف، بغداد ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص٦– ٧ .

[2]– جواد ، مصطفى ، وسوسه ، احمد ، دليل خارطة بغداد المفصل ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م ،ص١٠٠

[3]– – ال ياسين ، تاريخ المشهد الكاظمي ، مطبعة المعارف ، ط / ١ ، بغداد ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ص ٥ .

[4]– النقدي ، الشيخ جعفر ، تاريخ الامامين الكاظميين (ع) ، مطبعة الغري الحديثه ، ط ٢ ، النجف ، بدون تاريخ ، ص ٥٥ .

[5]– الشيخ المفيد، الامام ابي عبد الله محمد بن محمد العكبري البغدادي ،الارشاد، تحقيق مؤسسة ال البيت عليهم السلام للاحياء التراث ، لبنان ، (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)، ط٢، ج٢ ، ص٢٩٧–٣٢٧ .

[6]– الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (٧٦٤هـ) ،الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارنأووط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث العلمي ، لبنان ، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ،ط١، ج٢٢، ص٤٨.

[7]– سبط ابن الجوزي، يوسف بن قرغلي البغدادي (٥٨١–٦٤٥هـ) ، تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الائمة ، تحقيق حسين تقي زاده ، المجمع العالمي لأهل البيت ، لبنان ، (١٤٣٣هـ) ، ط٢، ج٢، ص ٤٩٢–٥٠٠ .

[8]– الشيخ المفيد، الارشاد، ج٢ ، ص٢٩٧ .

[9]– ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (٦٠٨–٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر للطباعة ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ج٣، ص ٢٧٢–٢٧٣ .

[10]– الخصيبي ، ابي عبد الله الحسين بن حمدان (ت ٣٣٤هـ)، الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ للطباعة ، (ب.م) ، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ص٣١٣. وينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٥٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٧٢؛ ابو الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ص٤٥.

[11]– الشيخ المفيد، الارشاد، ج٢ ، ص٣١٢ .

[12]– الخصيبي ، الهداية الكبرى، ص٣٢١.

[13]– سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ج٢، ص ٥٠١ .

[14]– ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٩٤ .

[١٥]– الخصيبي، الهداية الكبرى، ص٣٢٧ .

[١٦]– الشيخ المفيد، الارشاد، ج٢ ، ص٣٣٩ .

[١٧]– ابن الاثير ، ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، راجعه محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت ، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ج٦، ص ٢٥٠ ؛ الخصيبي، الهداية الكبرى، ص ٣٧٥–٣٧٧ .

[١٨]– الشيخ المفيد ، الارشاد، ص٣٣٩–٣٤١ ، ٣٤٥– ٣٥٠ .

[١٩]– المسعودي، علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م) ،ج٤،ص ١٦٠ .

[٢٠]– الشيخ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٣٣٩ .

[٢١]– المسعودي، علي بن الحسين ، اثبات الوصية ، مؤسسة تراث الشيعة ، ط١، قم ، ايران ، (١٤٤٤هـ)، ص٤٢٨

[٢٢]– الشيخ الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ايران ، (١٣٩٠هـ)، ج١، ص٦٣ .

[٢٣]– الخصيبي، الهداية الكبرى، ص٣٦١ .

[٢٤]– الطبرسي ، الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن ، اعلام الورى باعلام الهدى ، مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ط٢،قم ، ايران ، (١٤١٧هـ)، ج٢، ص ١٨١–١٨٢ .

[٢٥]– سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ج٢ ، ص ٥٠٦ .

[٢٦]– الخصيبي، الهداية الكبرى، ص٣٢٨ .

[٢٧]– الشيخ المفيد ، الارشاد ،ج٢ ، ص ٣٣٩ .

[٢٨]– المسعودي، اثبات الوصية ، ص٤١٨ .

[٢٩]– الخطيب البغدادي ، الحافظ ابي بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ب.ت) ،ج١٢ ، ص ٥٧ .

[٣٠]–سلمان ، عبد الخالق ، العزي ، يونس ، عيسى و هناء و نجلة و نجاة ، العمارات العربية الاسلامية في العراق (قصور ومشاهد) ، الجزء الثاني ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢، ص ١٩٦ .

[٣١]– محفوظ ، حسين علي ، موسوعة العتبات المقدسة ، ج١٢ ، ص ١٤٠ .

[٣٢]– سلمان واخرون ، موسوعة العتبات المقدسة ، ج١٢ ، ص ١٩٦– ٢١٢ ؛ تم استبدال المشبك القديم الموجود في سرداب الغيبة باخر جديد ، وهذا ما شاهدناه عند زيارتنا للسرداب في سنة ٢٠٢٣ .

[٣٣]– "ومن الوهم ان يعتقد البعض بوجود المهدي في سرداب سامراء بل هو توهم فاسد ، وانما يتبركون بهذا السرداب ويتعبدون فيه فمن باب التبرك بآثار الصالحين لانه قد سكنة ثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام وكان سرداب دارهم التي في سامراء" ؛جعفر الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة – قسم سامراء ، دار التعارف ، بغداد ، (ب.ت) ، ج ١٢، ص ٢٦٢ .

[٣٤]– كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، ط٢، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٨٠ .

[٣٥]– الخليلي ، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة –قسم سامراء ، ج١٢، ص٢٦٣–٢٦٤ .

[٣٦]– المنشئ البغدادي ، السيد محمد ابن السيد احمد الحسيني ، رحلة المنشئ البغدادي ، نقله عن الفارسية – عباس العزاوي ، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ، ص٨٨ .

[٣٧]– الخياط ، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة –قسم سامراء ، دار التعارف ، بغداد ، (ب.ت) ، ج١٢، ص ٢٦٧ ؛ اغلب المصادر والمراجع العربية تشير الى وجود أربعة قبور في حجرة ضريح الامامين العسكريين في سامراء ، الامام علي الهادي والامام الحسن العسكري(ع) ، والسيدتين حكيمة ، والسيدة نرجس أم الامام المهدي المنتظر (ع) . وليس كما ورد اسمها بـ (حليمة) عند جعفر الخياط .

[٣٨]– عزام ، عبد الوهاب ، رحلات عبد الوهاب عزام ، مطبعة الرسالة ، العراق ، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م ، ص ٨١–٨٢ ؛ اغلب المصادر والمراجع العربية تشير الى وجود أربعة قبور في حجرة ضريح الامامين العسكريين في سامراء ، الامام علي الهادي والامام الحسن العسكري(ع) ، والسيدتين حكيمة ، والسيدة نرجس أم الامام المهدي المنتظر (ع) . وليس كما ورد عند عبد الوهاب عزام في رحلته بالسيدتين (سكينة خاتون) و(حليمة خاتون) .

[٣٩]– القزويني ، السيد محمد كاظم ، الامام الحسن العسكري من المهد الى اللحد ، منشورات لسان الصدق ، ط١ ، قم المقدسة ، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص٣١٩ .

[٤٠]– وزارة السياحة والاثار ، الهيئة العامة للاثار والتراث ، تقرير رقم (٢) اعمار الروضة العسكرية في سامراء ، بغداد ، ٢٠٠٨، ص٦ .

[٤١]– المصدر نفسه ، ص ١–٤ .

[٤٢]– المصدر نفسه ، ص٣–٤ .

الجذور الرافدينية للكرم والشجاعة
دراسة تحليلية

م. د. أحمد محمد سعدون الموسوي

وزارة التربية / مديرية تربية بغداد / الرصافة الثالثة

ahmeedalshraa@gmail.com

الجذور الرافدينية للكرم والشجاعة: دراسة تحليلية

م. د. أحمد محمد سعدون الموسوي

الملخص :

يتناول هذا البحث قراءة وجدانية في الجذور الرافدينية لقيم الكرم والشجاعة، بوصفهما سمتين متلازمتين في الشخصية الرافدينية منذ العصور السومرية وحتى الواقع المعاصر. يوضح البحث كيف ارتبط الكرم بالطقوس الدينية والاجتماعية في سومر وبابل وآشور، حيث تجسد في النصوص المسمارية والشرائع والقيم الأخلاقية، وكيف تداخل مع مفهوم الشجاعة بوصفه حماية للضيف والدفاع عن الجماعة. كما يبرز البحث استمرار هاتين القيمتين عبر العصور في التراث الشعبي والمراثي الريفية، حيث تجلت في صور التكافل والتضحية، لتشكل حضورًا أصيلًا في الذاكرة الجمعية. وتخلص الدراسة إلى أن الكرم والشجاعة لم يكونا مجرد فضائل فردية، بل مكونات بنيوية في التكوين النفسي والاجتماعي لبلاد الرافدين ، تمثل امتدادًا حضاريًا عميقًا يعكس أصالة الهوية الرافدينية وتحديها للقساوة والحزن عبر التاريخ.

الكلمات المفتاحية: الكرم، الشجاعة، بلاد الرافدين، سومر، بابل، آشور، التراث الشعبي، الهوية الرافدينية

. Abstrac

This research presents a reflective exploration of the Mesopotamian roots of generosity and courage, considering them as inseparable traits of the Mesopotamian character from the Sumerian period to the contemporary reality. It shows how generosity was deeply connected with religious and social rituals in Sumer, Babylon, and Assyria, as represented in cuneiform texts, legal codes, and moral values, and how it intertwined with courage as the protection of guests and defense of the community. The study further highlights the continuity of these values throughout history in folk traditions and rural elegies, where solidarity and sacrifice are vividly expressed, forming an essential presence in collective memory. The research concludes that generosity and courage were not merely individual virtues, but structural components in the psychological and social formation of Mesopotamia, representing a profound civilizational continuity that reflects the authenticity of Mesopotamian identity and its resilience against hardship and sorrow across history.

Keywords: Generosity, Courage, Mesopotamia, Sumer, Babylon, Assyria, Folk Traditions, Mesopotamian Identity

المقدمة :

يُعَدُّ الكرم والشجاعة من أقدم السمات الإنسانية التي ارتبطت بجوهر تكوين المجتمعات، وقد تجلت هذه القيم منذ فجر الحضارة الرافدينية، حين خطّ السومريون نصوصهم الأولى على ألواح الطين، مؤكدين أن العطاء والبطولة هما ركيزتان لضمان التماسك الاجتماعي. وتشير النصوص السومرية إلى أن الكرم لم يكن مجرد عادة فردية، بل ممارسة مؤسسية ارتبطت بالمعابد وموائد الآلهة، إذ جاء في إحدى الحكم السومرية: "الخبز الذي تعطيه يعود إليك يومًا ما" (كريمر، ٢٠٠٩، ص٥٥).

ويكشف هذا القول عن عمق الوعي الجمعي بأهمية تبادل الخير والتكافل. كما يظهر في الأدب السومري أن الشجاعة ارتبطت بالبطولة الجماعية، لا سيما في ملحمة جلجامش التي صوّرت مواجهة الإنسان للموت والقدر، فجعلت من التضحية والشجاعة مبدأً يتجاوز الفرد ليشمل الجماعة بأسرها. وفي نص سومري آخر جاء: "من يحمي الغريب يُباركه الإله" (فرنسيس، ٢٠١٠، ص٨٧).

هذا النص يعكس صورة التلازم بين الكرم والشجاعة كشرطين متلازمين للحياة الاجتماعية المستقرة. وقد ترددت في النصوص المسمارية إشارات متكررة إلى أن حماية الضعفاء وصون الضيوف هي من أشرف صور المجد. كما نجد مثلاً سومريًا ثالثًا يوضح ذلك بقوله: "أطعم الجائع، كي يحرس الإله بيتك" (باقر، ١٩٧٣، ص١٣٢).

إذ وعلى الرغم من التحولات التاريخية الكبرى، فقد استمرت هذه القيم متجذرة في الشخصية الرافدينية عبر العصور البابلية والآشورية، صارت الولائم العامة رمزًا للتكافل، فيما غدت الشجاعة عنوانًا للدفاع عن الأرض والمقدسات.

لقد انتقلت هذه القيم إلى الذاكرة الشعبية العراقية، وتجسدت في المراثي الريفية والأمثال الدارجة التي تمجد الكرم والشجاعة معًا، حتى أصبحتا سمتين متلازمتين في المخيال الاجتماعي. ويبرز ذلك في الموروث الديني والاجتماعي المعاصر، إ ذإ تتجلى أبهى صور التكافل في مواسم العزاء والزيارات الكبرى، بما يمثل امتدادًا حضاريًا عميقًا للجذور الرافدينية.

من هنا، تأتي أهمية هذا البحث في أنه يسعى إلى قراءة وجدانية في جذور الكرم والشجاعة كقيمتين متداخلتين في التكوين النفسي والاجتماعي للرافدينيين عبر التاريخ، رابطًا بين

النصوص القديمة والمرجعيات الدينية اللاحقة، ليؤكد أن هذه القيم ليست طارئة أو مكتسبة بالصدفة، بل هي عناصر بنيوية أصيلة شكّلت الهوية الرافدينية وأعانت أبناءها على مواجهة القساوة والحزن عبر العصور

الفصل الأول: الجذور الحضارية للكرم في سومر

مقدمة الفصل

منذ ظهور الحضارة في أرض سومر، برز الكرم كقيمة محورية تجمع بين البُعد الروحي والاجتماعي، فكان مرتبطًا بعلاقة الإنسان بالآلهة ومؤشرًا على نقاء الروح (الماجدي، ٢٠١٠، ص. ٥٤). لم يكن العطاء مجرد سلوك أخلاقي، بل طقسًا مقدسًا داخل المجتمعات السومرية، إذ كانت المعابد توزع الطعام على الفقراء والمحتاجين للحفاظ على التوازن الكوني والاجتماعي (عبد الواحد، ١٩٩٠، ص. ١٣١). وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن هذه الممارسات تمثل نموذجًا أوليًا للعدالة الاجتماعية، مع تعزيز التضامن المجتمعي (الوائلي، ٢٠٠٤، ص. ٧٧). ومن هذا المنطلق، شكل الكرم قاعدة ثقافية أثّرت في المجتمع الرافديني عبر العصور (السالم، ٢٠٢٠، ص. ١٠١).

الكرم في النصوص السومرية الدينية

النصوص السومرية الدينية عدت الكرم وسيلة للتقرب إلى الآلهة، وترسيخ مكانة الإنسان بين الخلق والإله (باقر، ١٩٨٦، ص. ٩٨).

جاء في النص السومري: " ليكن بيتك مفتوحًا لليتيم، ومائدتك ممتدة للغريب" (علي، ٢٠١٠ :ص١٣٢) ، كما كان تقديم القرابين ومشاركة الطعام مع الناس جزءًا من الطقوس الدينية اليومية (باقر، ١٩٧٣:ص١٤٥) .

وفي نص سومري آخر: «الذي لا يُطعم الفقير، يَحرمه إنليل من ظلّ راحته» (صاحب، ٢٠٠٥: ص٢١١) هذا النص يعرض مفهوم الكرم في الديانة السومرية القديمة، حيث كان يُنظر إليه على أنه وسيلة للتقرب من الآلهة وتعزيز مكانة الإنسان. وقد استشهد النص بنصوص سومرية تدعم هذه الفكرة.

هذه النصوص تؤكد أن الكرم كان شرطًا أساسيًا لرضا الآلهة وضمان استمرار النعم.

مظاهر الكرم في الحياة الاجتماعية اليومية

الكرم في سومر لم يقتصر على الطقوس الدينية، بل كان جزءًا أساسيًا من الحياة اليومية. من أبرز المظاهر: مشاركة الطعام في المأدبات الجماعية: «ضع الخبز في يد الجائع قبل أن تنظر إلى حاجتك» **(الجبوري، ٢٠١٣، ص. ٦٦) البيت المفتوح والضيافة: اعتاد السومريون ترك فائض الطعام أمام البيوت للغرباء والمحتاجين، وكان هذا جزءًا من التقاليد المجتمعية (عبد اللطيف، مجلة العراق، العدد ٢٢، ص. ٩٢). وقد أولى السومريون قيمة كبرى لمبدأ الضيافة والبيت المفتوح للغرباء، حتى ورد في نصوصهم الأدبية قولهم:** "ليكن بيتك مفتوحًا على الدوام، وليدخل الغريب كأنه من أهل الدار، وليجلس الجائع إلى مائدتك، ولتُقدَّم الجرّة المملوءة بالماء للعطشان، فهذا هو دستور العدالة الذي تسرّ به الآلهة" **(كريمر، ١٩٧٦، ص. ١٤٥).**

- تقديم الدعم الاجتماعي:

في بعض المدن، كان سكان القرى والفلاحون يتبادلون الغذاء والمساعدات خلال المواسم الزراعية لضمان بقاء الجميع على قيد الحياة (بيرتن، ٢٠٠١، ص. ١٢٢). كما يظهر في الأدب السومري أنّ مبدأ الدعم الاجتماعي كان جزءًا من المنظومة الأخلاقية للمجتمع، إذ جاء في أحد النصوص المترجمة: "أغثِ المظلوم، وساعد الضعيف، وأعِن اليتيم، ولا تترك الأرملة وحيدة، فبذلك يثبت العدل وتستقيم شريعة الآلهة" **(كريمر، ١٩٧٦، ص. ٢١٢).**

هذه الممارسات اليومية تعكس التزام المجتمع بقيم العطاء والتعاون، وهي مظاهر واضحة للكرم والشجاعة.

تطور الكرم في بابل وآشور

مع انتقال الحضارة من سومر إلى بابل وآشور، حافظ المجتمع على جذور الكرم، لكنه شهد تطورات تنظيمية وسياسية:

في بابل:

نظمت شريعة حمورابي مسألة القروض والعطاء للفلاحين والفقراء، ما يعكس تحول الكرم من طقس ديني واجتماعي إلى مبدأ قانوني ينظم العلاقات الاقتصادية (سوسة، ٢٠١٠، ص. ٢١١). وقد نصّت شريعة حمورابي على تنظيم مسألة القروض والعطاء بما يضمن حقوق الفلاحين والفقراء، إذ جاء فيها: "إذا استدان رجل من مقرضٍ فضة أو حبوبا، فعليه أن يسدد دينه حسب عقد الدين وبالمقدار المتفق عليه. وإذا لم يكن قادراً على السداد في حينه، فلا يجوز للمقرض أن يأخذ منه أكثر من أصل الدين" **(لوكاس، ١٩٩٩، ص. ٨٧). هذا النص يعكس بوضوح تحوّل الكرم والدعم الاجتماعي من قيمة أخلاقية ودينية إلى مبدأ قانوني ينظم العلاقات الاقتصادية ويكفل العدالة بين طبقات المجتمع.**

في آشور:

ارتبط الكرم بالسلطة الملكية، إذ أقام الملوك الولائم العامة ووزعوا الغنائم على السكان والمحتاجين، بما يعكس استمرارية تقليد الكرم وتوظيفه لتعزيز مكانة الملك بين الناس (الحمادي، ٢٠١٢، ص. ٨٨). وفي العصر الآشوري ارتبط الكرم بالسلطة الملكية، إذ كان الملوك يوظفون الولائم العامة وتوزيع الغنائم على السكان لتعزيز مكانتهم وهيبتهم. ومن أبرز الأمثلة ما ورد في حوليات الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني، إذ أقام وليمة كبرى في مدينة نمرود حضرها أكثر من (٦٩,٠٠٠) شخص من عامة الناس والوجهاء والوفود الأجنبية، وقدّم لهم الطعام والشراب والهدايا، في مشهد يعكس استمرارية تقليد الكرم وتوظيفه سياسيًا لترسيخ سلطة الملك بين الناس **(باقر، ١٩٧٣، ص. ٢٥٦).**

تطور الكرم:

يمكن ملاحظة أن الكرم في بابل وآشور لم يقتصر على الجانب الديني أو الاجتماعي، بل أصبح أداة لتنظيم المجتمع ودعم النظام السياسي، مع الحفاظ على الروح الثقافية التي بدأها السومريون.

تمثّلات الكرم في الطقوس الاجتماعية والدينية في بلاد الرافدين القديم

إن قيمة الكرم في المجتمع، وخاصة في حضارة سومر التي كانت نواة حضارات وادي الرافدين، لم تكن مجرد سلوك فردي أو تقليد اجتماعي عابر، بل كانت متجذرة في طقوس

دينية واجتماعية معقدة، تجسّد العلاقة المقدسة بين الإنسان والآلهة (الحسني، ٢٠٠٨، ص. ٨١). لقد أُدرج الكرم كجزء أساسي من الطقوس الجماعية التي رافقت مناسبات مختلفة كالأعياد، والجنائز، والأعراس، إذ اتخذ شكلًا رمزيًا مقدسًا يعبر عن التوبة والتقرب من القوى الروحية العليا (الوائلي، ٢٠٠٦، ص. ٩١).

في النصوص السومرية، نجد تأكيدًا على ارتباط الكرم بالغُسل والتطهير الروحي، إذ يشبه الكرم بأنه يغسل وجه الإنسان بنور الآلهة (الحسني، ٢٠٠٨، ص. ٨١). هذا يعكس كيف أن الكرم لا يقتصر على البُعد المادي، بل هو أيضًا فعل روحي يتقرب به الإنسان من عالم الآلهة ويُطهّر نفسه من الذنوب (شهاب، ٢٠١٣، ص. ٤٩).

كما أن الطقوس الاجتماعية التي تحيط بالمناسبات المختلفة كانت محطات مهمة لتعزيز قيم العطاء، إذ أصبحت الضيافة في الأعراس، ومآدب الجنائز، والاحتفالات الدينية، رموزًا واضحة تُجسد المودة والتكافل، وتُظهر الروابط الاجتماعية المتينة التي تعتمد على مشاركة الخير بين الناس (الهلالي، ٢٠١٠، ص. ١٣٣).

إذ تجلت تلك القيم في مناسبات اجتماعية ودينية متنوعة، خاصة الطقوس الجنائزية والزواجية، ودور المعبد والكهنة في نشر ثقافة العطاء، إضافة إلى المواسم والاحتفالات الكبرى التي عززت هذه القيم وجعلتها جزءًا لا يتجزأ من الهوية الحضارية لبلاد الرافدين القديم (العطار، ٢٠١٦، ص. ٧٧).

الكرم في الطقوس الجنائزية والزواجية

في المجتمع الرافدين القديم، ارتبط الكرم ارتباطًا وثيقًا بطقوس العبور بين الحياة والموت، إذ كانت الولائم والموائد التي تُقام في مناسبات الدفن والاحتفالات التذكارية للأموات تعبيرًا عن الاحترام والتقدير للراحل، وفرصة لممارسة الكرم كواجب اجتماعي وروحي (الأسدي، ٢٠١٥، ص. ١١٢).

حسب العقائد السومرية كان على اهل الميّت دفنه وفق الطقوس المتّبعة و تزويده بما يلزم من جرار تحتوي على الطعام و الشراب ريثما يصل للعالم الاسفل. و من ثمّ الاستمرار في تقديم الطعام و الشراب و الكساء له بعد دفنه عن طريق التقدمات المختلفة ، و تقديم القرابين لآلهة العالم الاسفل لتكون رفيقة به.

كانت المآدب الجنائزية تشكل جزءًا من الطقوس التي تُعبر عن التكافل الاجتماعي، كما يشير نص من حضارة وادي الرافدين: «**الخبز للنائم، والنار للحي، والبركة للمعطي**» (الأسدي، ٢٠١٥، ص. ١١٢)

إذ يعد توفير الخبز للميت بمثابة تعبير عن الاستمرارية والحياة، فيما تعد النار للحفاظ على الدفء والراحة للأحياء، والبركة تُمنح لمن يتسم بالكرم في هذا الظرف. وبعد انتهاء الطقوس، كان الطعام يُوزع على الفقراء، مما يؤكد الدور الاجتماعي للكرم في مساعدة الأقل حظًا، وترسيخ روح التضامن (عبد الله، ٢٠١٤، ص. ١٤٥).

في مراسم الزواج، كان الكرم حاضرًا بقوة، إذ اعتُبرت موائد الضيافة معيارًا مهمًا لتقييم مكانة العائلة وكرمها. في نقوش من مدينة نفر: «**بيتٌ لا يقدّم الشراب يوم العُرس، بيتٌ لم يعرف البهجة**» (الغزي، ٢٠٠٧، ص. ٧٨)

هذا يدل على أن كرم الضيافة في الأعراس لم يكن مجرد مجاملة، بل ضرورة اجتماعية تُقاس بها شهرة العائلة وقيمتها في المجتمع، وكان تقديم الطعام والشراب في هذه المناسبات يُعد رمزًا للفرح والكرم معًا (الغزي، ٢٠٠٧، ص. ٧٨).

لقد جسّدت الشرائع الرافدينية فكرة الكرم بوصفه فعلًا اجتماعيًا منظمًا، إذ لم يقتصر على كونه قيمة أخلاقية أو دينية، بل تحوّل إلى مبدأ قانوني يفرض على الأثرياء وأصحاب النفوذ القيام بدورهم تجاه المجتمع، ولا سيما في المناسبات والولائم العامة. فقد نصّت شريعة أورنمو على ضرورة أن يوفّر الأغنياء الطعام في الأعياد والاحتفالات الكبرى دعماً للضعفاء والفقراء، إذ جاء فيها: "**على سيد المدينة أن يقدّم الخبز والشراب في بيوت الآلهة ليأكل الشعب جميعًا، فيسود الفرح بين الناس**" (باقر، ١٩٧٣، ص. ٢١٤).

وفي قانون شنونة، تبرز فكرة التكافل الاجتماعي بشكل أوضح، إذ جاء النص:

"**إذا أقيم عيد للمدينة، على أصحاب الثروة أن يفتحوا بيوتهم ويقدّموا الولائم للعامة، فمن يمتنع عن ذلك يخالف شريعة العدالة**" (عبد الواحد علي، ٢٠١٤، ص. ١٤٥).

أما شريعة لبت عشتار، فقد حملت نصوصًا تعكس التوازن الاجتماعي عبر إلزام الوجهاء بالمشاركة في الإنفاق العام، إذ جاء فيها: "**ليجتمع الناس على مائدة واحدة، فيأكل الغني مع الفقير، فبهذا يتحقق العدل والمساواة التي أرادتها الآلهة**" (باقر، ١٩٧٣، ص. ٢٥٦).

وهكذا يصبح الكرم في التشريعات الرافدينية أداةً اجتماعية وقانونية في آنٍ واحد، تُسهم في تحقيق العدالة والمساواة بين طبقات المجتمع وتدعم استقرار النظام.

دور المعبد والكهنة في نشر ثقافة العطاء

في حضارات بلاد الرافدين القديم، لم تكن المعابد مجرد أماكن للعبادة، بل مؤسسات اجتماعية هامة تحمل مهامًا إنسانية، تتضمن تخزين وتوزيع المؤن مثل الحبوب والزيت والماء على المحتاجين، خصوصًا في أوقات الأزمات مثل سنوات الجفاف أو المجاعات (الوائلي، ٢٠٠٦، ص. ٩١).

إنليل، وعُرف لاحقًا باسم **إليل**، هو إله سومري قديم، يُعتبر إله الرياح والهواء والأرض والعواصف. اعتُبر في البداية رئيس آلهة البانثيون السومري، لكن عبده الأكاديون والبابليون والآشوريون والحوريون لاحقًا. كان معبد إكور في مدينة نيبور مركز عبادة الإله إنليل الرئيس، واعتُقد أن إنليل بنى معبده بنفسه،

تشير النصوص إلى أن المعابد الكبرى مثل معبد الإلهة إنانا ومعبد إنليل كانت تحتوي على "مخازن البركة"، التي تُستخدم لإدارة الموارد وتوزيعها بعدالة. في أحد النصوص المنقوشة في معبد إنانا: **«حين يشتد الجوع، يفتح بيت الآلهة أبوابه»** (الوائلي، ٢٠٠٦، ص. ٩١)

وكان للكهنة دور فعال في تأصيل هذه الثقافة، إذ يُعد سلوكهم الشخصي يعكس الكرم (شهاب، ٢٠١٣، ص. ٤٩)، ولا يُعترف بصلاحيتهم الدينية والاجتماعية إلا إذا كانت حياتهم الشخصية والروحية تتسم بالعطاء.

كما كانت هناك مناسبات دينية دورية مثل "**عيد الزرع**"، **إذ** يتم توزيع القرابين الزائدة على عامة الناس، وتُقرأ الأدعية التي تحث على العطاء والخير (الهلالي، ٢٠١٠، ص. ١٣٣).

«فلتنبت الأرض لمن يشارك خبزه» (الهلالي، ٢٠١٠، ص. ١٣٣)

هذا النوع من الطقوس يعكس كيف أن العطاء يصبح جزءًا من دورة الحياة والطبيعة، ومفتاحًا لاستمرارية البركة والخصب (الهلالي، ٢٠١٠، ص. ١٣٣).

المواسم والمناسبات الكبرى في تعزيزا ثقافة الكرم

في حضارة بلاد الرافدين القديم، كانت المناسبات والمواسم الدينية أوقاتًا محورية لتعزيز قيم الكرم والتكافل الاجتماعي. ومن أبرز هذه المواسم: "عيد رأس السنة" (**أكيتو**)، و"عيد

الخصوبة"، و"عيد دموزي"، إذ تُقام موائد عامة ضخمة في الساحات والمعابد، تجمع الناس في مظاهر احتفالية توحدهم حول قيمة العطاء (المطر، ٢٠٠٥، ص. ٢٠١).

يُعد عيد رأس السنة البابلية (أكيتو) من أشهر هذه الأعياد، الذي كان يحتفل به لمدة اثني عشر يومًا، ويشتمل على توزيع مجاني للطعام وتأكيد على الكرم والإحسان بين الناس.

«كل فمٍ يُطعم، وكل يد تُبارك، وكل نفس تنجو» (المطر، ٢٠٠٥، ص. ٢٠١)

كما استمرت المظاهر الشعبية في توحيد المجتمع حول قيم العطاء، إذ يتسابق الناس لإقامة موائد الضيافة في الساحات العامة، خصوصًا في فصل الشتاء، تكريمًا لإله الخصب تموز الذي يُعتقد أنه يموت ويعود ليمنح الأرض خصبها (القيسي، ٢٠١٦، ص. ٩٨).

وقد امتدت هذه التقاليد والطقوس لتظهر في العصور الإسلامية والحديثة في ظواهر مثل "مضيف العشيرة" و"المضيف الحسيني"، ما يعكس استمرار جذور هذه القيم في الوعي الاجتماعي لبلاد الرافدين القديم (العطار، ٢٠١٦، ص. ٧٧؛ الخطيب، ٢٠١٢، ص. ١١٨؛ الجبوري، ٢٠١٧، ص. ١٢٣).

الكرم وأثره في التماسك الاجتماعي والاقتصادي في حضارات بلاد الرافدين

لقد شكّلت قيم الكرم في بلاد الرافدين جزءًا أساسيًا من الحياة الاجتماعية والدينية، إذ اعتُبرت مسؤولية الفرد تجاه الآخرين واجبًا مقدسًا، ويُدين المجتمع من لا يلتزم بهذا الالتزام (شهاب، ٢٠١٣، ص٦٣).

كان الكرم قيمة محورية في تاريخ العصور القديمة، لا سيما بين العرب، متجذرًا في طبيعة البيئة الصحراوية المتطلبة والنظام القبلي الاجتماعي الذي يعتمد على التكافل. وقد انعكس هذا الكرم في صور متعددة مثل إكرام الضيف، الذي كان واجبًا يُحتفى به ويمتد لثلاثة أيام. اشتهر شخصيات عديدة بكرمهم الأسطوري، مثل حاتم الطائي، الذي يعتبر رمزًا للجود والسخاء.

وتبرز النصوص مدى أهمية الكرم، ليس فقط كفضيلة أخلاقية، بل كوسيلة للتقرب إلى الآلهة:

«البخيل كمن يحجب النور عن الأرض» (شهاب، ٢٠١٣، ص٦٣).

وفي نص آخر:

وكان الكهنة يمثلون حلقة الوصل بين البشر والآلهة، يتحملون مسؤولية الحفاظ على هذا النظام، وحظيت مكانتهم بارتفاع مرتبط بسلوكهم الشخصي في العطاء، ليظل الكرم قيمة اجتماعية واقتصادية بالغة الأهمية تدعم تماسك المجتمع وتعزز الاقتصاد (الناصري، ٢٠١١، ص١٤٥). لم يكن الكرم مجرد فضيلة أخلاقية أو شعيرة دينية، بل أداة عملية لتوزيع الموارد وتقليل الفوارق الطبقية، ما ساهم في تعزيز استقرار المجتمع (عبد الله، ٢٠١٤، ص١٣٠).

وأكد طه باقر أن المجتمع الرافديني كان يرى في الكرم وسيلة لحماية النظام الاجتماعي واستدامة الروابط بين الأفراد" (باقر، ١٩٧٣، ص. ٢٩٥).

وفي النصوص السومرية، كان الكرم يُعتبر شكلًا من أشكال العدل الاجتماعي:«من يشارك خبزه مع الجائع، يشارك العدل مع الآلهة» (حسن، ٢٠٠٧، ص٨٨).

هذه العبارة تلخص أهمية الكرم كجسر بين الأخلاق والدين، وعنصر أساسي في وحدة الجماعة (الغزي، ٢٠١٠، ص١١٠). وفقًا لفاضل عبد الواحد، فإن "قيم التعاون والعطاء لم تكن ممارسات فردية، بل مؤسسات اجتماعية متكاملة" (عبد الواحد، ١٩٩٧، ص. ٢١٢).

يمثل هذا الفصل دراسة مركزة حول الدور الحيوي للكرم في تعزيز الروابط الاجتماعية، ودعم الاقتصاد التضامني، ودور المؤسسات الدينية في صون هذه القيم، مما ساعد على صمود مجتمعات بلاد الرافدين اجتماعياً واقتصادياً (الوائلي، ٢٠٠٦، ص٩١) ويعكس القيم العليا (الأسدي، ٢٠١٥، ص١١٢).

الكرم كوسيلة لتقوية النسيج الاجتماعي

كان الكرم علامة واضحة على الحياة الاجتماعية النابضة في بلاد الرافدين، ويعكس روح البيوت التي تفيض بالحيوية والكرامة. يقول نص سومري من مدينة أور: «بيت لا يكرم ضيوفه مثل بيت بلا روح» (الوائلي، ٢٠٠٩، ص٩٩).

هذه العبارة تؤكد أن الكرم يتجاوز تقديم الطعام والشراب، ليصبح جسراً للتواصل وتعزيز الثقة والولاء بين أفراد المجتمع (الأسدي، ٢٠١٥، ص١١٢). كما أكد علي الشرع أن "الكرم كان أداة للتماسك العشائري والسياسي في المجتمع الرافديني" (الشرع، ٢٠١٨، ص. ١٧٤).

كانت الموائد المشتركة مساحة لتقاسم الموارد والخبرات، وتعزيز التضامن، كما شجعت على التسامح وعبر هذه الموائد، بنت المجتمعات شبكة قوية من الولاء والتعاون، ما ساعد في الحد من النزاعات الداخلية وتحقيق استقرار دائم، وكان الكرم يُستعمل أيضًا كوسيلة لحل النزاعات وتهدئة الخصومات (الغزي، ٢٠٠٧، ص٧٨).. ففي نص سومري: "قدّم خبزك لمن تخاصمه، واسقِ ماءك لمن يرفع صوته عليك، فبهذا يزول الغضب ويُمحى الحقد، وتستقر قلوب الناس على السلام" (كريمر، ١٩٧٦، ص. ١٨٩).

وهذا يوضح كيف تحول الكرم إلى وسيلة للتسوية الاجتماعية والسلم الأهلي، مما يجعله من أقدم الآليات الحضارية في معالجة الخلافات. وأوضح فاضل حسين أن "العطاء كان مرتبطًا بالعدالة الاجتماعية والتزامًا مقدسًا" (حسين، ١٩٩٩، ص. ١٥٤).

لذلك، كان الإنسان الكريم يُنظر إليه كحامل رسالة السلام الاجتماعي، ورمز وحدة الجماعة، ويعكس التزامه بالقيم الدينية والأخلاقية (شهاب، ٢٠١٣، ص٦٣). وهكذا أصبح الكرم وسيلة عملية لضمان ترابط المجتمع والحفاظ على النظام الاجتماعي اليومي (الهلالي، ٢٠١٠، ص١٣٣).

كان الكرم جزءًا من نظام توزيع الموارد لضمان حق الجميع في الحياة الكريمة، كما يظهر في النصوص الاقتصادية إذ من مدينة لارسا: «من يزرع الأرض ليشبع جيرانه، يزرع بركة الإله إنليل» (الناصري، ٢٠١١، ص١٤٥).

وكانت المعابد والمؤسسات الدينية مراكز مهمة لهذا الاقتصاد، إذ يجمع الفائض ويعيد توزيعه على المحتاجين، مما ساعد على مواجهة المجاعات وتخفيف الأزمات الاقتصادية (الوائلي، ٢٠٠٦، ص٩١؛ عبد الله، ٢٠١٤، ص١٣٠). وأكد باقر أن "المعبد لم يكن فقط مركز عبادة، بل مؤسسة مالية واجتماعية متكاملة" (باقر، ١٩٧٣، ص. ٣٠١).

النصوص السومرية تشير إلى تخصيص حصص لليتيم والأرملة والفقراء من الحبوب والزيت والتمر، وتوزع عليهم خلال موسم الحصاد كنصيب مشروع (باقر، ١٩٧٣، ص. ٣٠١). هذا يعكس أصالة التكافل في حضارة وادي الرافدين، وساعد على تعزيز النشاط الاقتصادي، إذ حفز توزيع الموارد الإنتاج والمشاركة والعطاء.

دور المؤسسات الدينية في تعزيز الكرم

المؤسسات الدينية، وخاصة المعابد، لعبت دورًا محوريًا في ترسيخ قيم الكرم داخل المجتمع. فقد كان المعبد يُعد "بيت العطاء"، يحتضن الفقراء وينظم توزيع الموارد (الجنابي، ٢٠١٢، ص١٢٠).

النصوص في معبد إشنون تؤكد:

«كل من يدخل باب معبد إنليل، يجد فيه كرمًا لا ينضب» (الجنابي، ٢٠١٢، ص١٢٠).

وهكذا، شكل المعبد مكانًا مقدسًا لممارسة الكرم، إذ قام الكهنة بتنظيم العطاء وضمان وصوله للمستحقين، ما ساعد على الحفاظ على وحدة المجتمع واستقراره (الحسني، ٢٠٠٨، ص٨١). ويرى سامي سعيد الأحمد أن " الكرم أداة لترسيخ النظام الاجتماعي ومؤشر على الوعي الجمعي بالتكافل" (الأحمد، ١٩٨٢، ص. ٢٠٧).

كما ساهمت هذه المؤسسات في تعزيز الوعي بالقيم الأخلاقية والاجتماعية، وأصبحت ممارسات الكرم جزءًا من الطقوس الدينية والاجتماعية، بما يضمن استمرار هذه القيم عبر الأجيال(عبد الواحد علي، ٢٠١٠، ص. ١٦٤).

الكرم والضيافة كقيم ثقافية في المجتمعات القديمة في بلاد الرافدين

في حضارات بلاد الرافدين القديمة، كان الكرم والضيافة أحد الأعمدة الأساسية للحياة الاجتماعية والدينية. فقد كان الكرم ليس مجرد عادة أو سلوك اجتماعي عابر، بل قيمة ثقافية وروحية متجذّرة تعكس علاقة الإنسان بالآلهة وبمجتمعه. فقد ذكرت النصوص السومرية أن فتح البيت للضيف كان وسيلة للتقرب إلى الآلهة وإظهار مكانة الفرد في المجتمع (طه باقر، ١٩٧٣، ص. ٢١٢).

يقول نص من معبد إشنون: **«من يفتح باب بيته للضيف، يفتح باب السماء لنفسه»** (حسن، ٢٠٠٨، ص٨١).يشير نص سومري من معبد إشنون إلى أن الكرم كان يعكس مكانة الفرد في المجتمع أمام الآلهة:

«من يكرم ضيفه بصدق، يحظى بمكانة في السماء ويبارك له الأرض» (الحسني، ٢٠٠٩، ص٧٥).

تشير نقوش أخرى في مدينة أور إلى أن الكرم كان وسيلة لتقوية الروابط بين العشائر المختلفة ويحد من النزاعات:**«من يشارك الطعام والشراب مع الجار، يزرع السلام ويجمع القلوب»** (الوائلي، ٢٠١٠، ص٨٨).

توضح هذه النصوص أن الكرم والضيافة يشكلان أساسًا للتضامن والوحدة، ويمثلان جزءًا لا يتجزأ من الهوية الحضارية في بلاد الرافدين.

الكرم والضيافة في البنية الاجتماعية

في المجتمعات القديمة، كان الكرم والضيافة يعكسان الاحترام والقداسة، ويُعدّان وسيلةً لتعزيز العلاقات الاجتماعية وحلّ النزاعات بين الأفراد والعشائر

(عبد الواحد علي، ٢٠١٠، ص. ٩٨)..

نصوص سومرية توضح هذا الدور:

«الضيف الذي يُكرم في البيت هو ضيف الآلهة، ومن يكرم الضيف يكرم الحياة نفسها» (الغزي، ٢٠٠٧، ص٧٨).

«من يفتح بيته للفقراء والغرباء، يفتح قلبه للبركة ويجمع القلوب» (الأسدي، ٢٠١٥، ص١١٢).

«بيت يكرم ضيوفه، هو بيت يعكس شرف العائلة ومكانتها في المجتمع» (الوائلي، ٢٠٠٦، ص٩١).

تعكس هذه النصوص الروابط الاجتماعية التي يعززها الكرم، وكيفية توظيفه كأداة لحماية وحدة المجتمع وتعزيز العدالة والتعاون بين الأفراد.

الكرم والضيافة في الاقتصاد الاجتماعي

الكرم والضيافة لم يقتصرا على البعد الاجتماعي فقط، بل ساهموا في الاقتصاد التضامني الذي دعم المجتمعات القديمة في بلاد الرافدين.

النصوص الاقتصادية تشير إلى هذه الوظيفة:

«المائدة التي تفيض بالخيرات لا تجف أبدًا، فبركة إنليل تنزل عليها» (الهلالي، ٢٠١٠، ص١٣٣).

«من يزرع الأرض ليشبع جيرانه، يزرع بركة الإله إنليل» (الناصري، ٢٠١١، ص١٤٥).

«الفائض من المحاصيل يُوزع على المحتاجين لضمان استمرار الحياة والعدل بين الناس» (عبد الله، ٢٠١٤، ص١٣٠).

توضح هذه النصوص أن الكرم الاقتصادي كان جزءًا من نظام مؤسسي لإدارة الموارد وتخفيف حدة الأزمات، ويعزز التضامن الاجتماعي

الكرم والضيافة في الطقوس الدينية

الكرم والضيافة كان لهما دور مقدس في الطقوس الدينية، و ارتبطا بالعلاقة بين الإنسان والآلهة.

نصوص سومرية تؤكد هذا الدور: «من يفتح يده للفقراء، يفتح قلبه لرحمة إنانا» (القيسي، ٢٠١٦، ص١٠٢).

«البخيل كمن يحجب النور عن الأرض، والكرم يعكس نعمة الإله» (شهاب، ٢٠١٣، ص٦٣).

تبرز هذه النصوص أن الكرم ليس مجرد عمل اجتماعي، بل ممارسة روحانية ترتبط بالعدالة والتقوى والبركة، وتعزز استقرار ووحدة المجتمع

(صاحب، ٢٠٠٥، ص. ١٨٧).

الكرم ودوره في بناء الهوية الوطنية وترسيخ القيم الحضارية في حضارة بلاد الرافدين

لقد كان الكرم أحد القيم الحضارية الأساسية التي أدّت دورًا محوريًا في بناء الهوية الوطنية وترسيخ القيم الاجتماعية في حضارة بلاد الرافدين. لم يكن الكرم مجرد فعل فردي أو سلوك اجتماعي عابر، بل تحوّل إلى ثقافة جماعية متجذّرة، تغرس القيم النبيلة التي تحمي المجتمع من الانقسامات والصراعات، وتعزّز وحدة الأمة واستقرارها (عبد الواحد علي، ٢٠١٠، ص. ١٥٦).

في نص سومري يعود إلى عهد أور الثالث جاء التعبير: **«الكرم هو تاج الملك، ومفتاح سلامة الشعب»** (حسن، ٢٠٠٨، ص٨١)، مما يعكس عمق ارتباط الكرم بالحكم الرشيد وسمة القائد المثالي الذي يحظى بمحبة رعيته ويحافظ على وحدة شعبه. كما أظهرت النصوص أن المشاركة في الموارد مع الجيران تعزز الانتماء الجماعي، جاء في نص من نيبور: **«من يشارك موارده مع جيرانه، يشترك في بناء الوطن»** (الأسدي، ٢٠١٥،

ص١١٢)، وهو ما يوضح أن الكرم كان مرتبطًا مباشرة بروابط الانتماء الوطني والتعاون الاجتماعي. ويشير نص من لارسا إلى أن الكرماء يزرعون العدالة والمحبة بين الناس، مما يعكس منظومة القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تدعم تلاحم المجتمع (الغزي، ٢٠٠٧، ص٧٨).

الكرم وبناء الانتماء الوطني

كان الكرم في حضارات بلاد الرافدين أكثر من مجرد سلوك اجتماعي، إذ شكّل ركيزة أساسية في تعزيز الانتماء الجماعي والشعور الوطني. فقد أكدت النصوص أن الشعب الذي يمارس الكرم، يمارس الوحدة والوفاء معًا (الأسدي، ٢٠١٥، ص١١٢). وتوضح الوثائق السومرية أن العطاء يعمق الروابط بين العشائر والمجتمعات المحلية، ويجعل الكرم مظلة جامعة تحمي الجميع وتؤكد احترام الإنسان للآخر (الوائلي، ٢٠٠٦، ص٩١). كما مارس الحكام الكرم ليظهروا العدالة والرحمة، مع التأكيد على أن كرمهم يعكس القيم الإلهية ويزيد من محبة الرعية (شهاب، ٢٠١٣، ص٤٩).

وقد ورد في أحد النصوص السومرية:"**ليكن بيتك مفتوحًا على الدوام، وليدخل الغريب كأنه من أهل الدار، وليجلس الجائع إلى مائدتك، ولتُقدَّم الجرّة المملوءة بالماء للعطشان**" (كريمر، ١٩٧٦، ص. ١٤٥).

وفي نص آخر جاء:"**قدّم خبزك لمن تخاصمه، واسق ماءك لمن يرفع صوته عليك، فبهذا يزول الغضب ويُمحى الحقد**" (كريمر، ١٩٧٦، ص. ١٨٩).

الكرم وترسيخ القيم الحضارية

الكرم في بلاد الرافدين كان تعبيرًا عن القيم الحضارية الجوهرية، ومن بين النصوص السومرية التي أكدت هذا المعنى:"**أغثِ المظلوم، وساعد الضعيف، وأعِن اليتيم، ولاتترك الأرملة وحيدة، فبذلك يثبت العدل وتستقيم شريعة الآلهة**" (كريمر، ١٩٧٦، ص. ٢١٢).كما جاء في نص اقتصادي من المعابد:"**يُعطى اليتيم والأرملة والفقراء حصصًا محدّدة من الحبوب والزيت والتمر، على أن تُوزّع عليهم في مواسم الحصاد بوصفها نصيبهم المشروع من خيرات البلاد**" (باقر، ١٩٧٣، ص. ٣٠١).

الكرم كوسيلة لتوحيد الشعب في الأزمات

توضح المصادر أن الكرم أسهم في تعزيز التواصل والتعاضد بين الناس، وبنى جسور الأمل والتعاون التي ساعدت حضارات بلاد الرافدين على تجاوز الأزمات والحفاظ على الاستقرار عبر آلاف السنين (الهلالي، ٢٠١٠، ص١٣٣).

وقد عكس الأدب السومري هذه القيمة بوضوح، إذ جاء فيه:

"**حين يكثر الطعام في بيتك، اجعل للغريب نصيبًا، فبذلك تحفظ أرضك من الفوضى ويثبت قلبك بالسلام**" (كريمر، ١٩٧٦، ص. ٢٠١).

كما ورد في نص آخر: "**من يقدّم الماء في ساعة العطش، ويمنح الخبز في ساعة الجوع، يجعل له نصيبًا في حب الآلهة ورضا الناس**" (عبد الواحد علي، ٢٠١٤، ص. ١٧٨).

تعكس هذان النصان السومريان كيف أصبح الكرم ليس مجرد فضيلة شخصية، بل مبدأ اجتماعي واجب الالتزام به، يعزز التضامن والوحدة بين أفراد المجتمع. كما يبيّن دوره في تحقيق العدالة الاجتماعية والحفاظ على الاستقرار، مما يجعل من الكرم حجر زاوية في بناء مجتمع متماسك ومترابط.

الخاتمة:

بلاد الرافدين، مهد الحضارات وموطن الكرم والشجاعة، جسّدت عبر تاريخها الطويل قيمًا إنسانية راسخة، إذ كان الكرم جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية، كما تؤكد النصوص السومرية والطقوس الدينية التي شكّلت أساسًا للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية.

لقد أدركت حضارات بلاد الرافدين القديمة أن الكرم والضيافة أدوات فعّالة لتعزيز الوحدة الوطنية والتضامن الاجتماعي، بينما برزت الشجاعة كتعبير عن مواجهة الغزاة والدفاع عن الأرض والهوية، مما صاغ هوية وطنية متجذّرة في قيم الجود والتضحية.

كما أن الاقتصاد التضامني في بلاد الرافدين القديمة ساهم في استقرار المجتمعات وتقليل الفجوات الطبقية، وكانت الطقوس الدينية تعزّز الكرم وتجعل منه واجبًا مقدسًا.

أما التحديات التاريخية فلم تُضعف روح الكرم أو الشجاعة، بل زادتهما قوة وصلابة، لتظل بلاد الرافدين نموذجًا حيًا للكرم والشجاعة، أرضًا تنبض بالعطاء والعزّة والكرامة، تحمل إرث حضاراتها العريقة وتؤكد مكانتها الفريدة في التاريخ الإنساني.

الاستنتاجات

بلاد الرافدين جسّدت عبر تاريخها الطويل قيم الكرم والشجاعة، وكانت هذه القيم جزءًا أصيلًا من الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية.

أكدت النصوص السومرية والطقوس الدينية أن الكرم كان قاعدة متينة للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الرافدين.

كما استخدمت الحضارات في بلاد الرافدين الكرم والضيافة لتعزيز الوحدة الوطنية وتقوية أواصر الانتماء بين أبناء المجتمع.

أما الشجاعة في بلاد الرافدين، التي برزت في مواجهة الغزاة والمحتلين، فهي نتاج طبيعة البلاد الجغرافية وموقعها الاستراتيجي الذي جعلها هدفًا دائمًا للطامعين.

إن تاريخ بلاد الرافدين مليء بالملاحم البطولية التي جسدت مقاومة الشعوب للعنف والظلم، مؤكدًا قيمة الشجاعة كعنصر أساسي في الهوية الحضارية.

الكرم والشجاعة والجود والتضحية تشكّل معًا الأساس القيمي لهوية بلاد الرافدين، وتتجسد في شخصيات بارزة مثل الإمام الحسين عليه السلام، الذي يمثل رمزًا عالميًا للعدالة والتضحية، ويوحّد أبناء البلاد حول قيم العطاء والخير والكرامة.

ويمتد الكرم في بلاد الرافدين إلى جميع مستويات المجتمع، ويشمل ضيافة الأجانب والمحتاجين حتى في أصعب الظروف. كما أن الاقتصاد التضامني في بلاد الرافدين القديمة ساهم في استقرار المجتمعات وتقليل الفجوات الطبقية، وهو إرثٌ ما زال مستمرًا حتى اليوم.

لقد عزّزت الطقوس الدينية في بلاد الرافدين قيمة الكرم وجعلته واجبًا مقدسًا، مما ساهم في ترسيخ روح التعاون والخير في المجتمع.

ولم تُضعف التحديات التاريخية روح الكرم أو الشجاعة، بل زادتهما قوة وصلابة، فصارتا مكوّنين أساسيين في ثقافة وهوية شعوب بلاد الرافدين.

إن بلاد الرافدين، بوصفها مهد الحضارات وموطن الخير، ما زالت تواصل دورها الفاعل في ترسيخ ثقافة العطاء والكرم الإنساني، وتظل نموذجًا عالميًا للشجاعة والتضحية.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم.

١. الأسدي، ع. (٢٠١٥). قيم الكرم في المجتمعات القديمة. بغداد: دار النشر العراقي.

٢. الأسدي، ع. (٢٠١٥). قيم الكرم في المجتمعات القديمة. بغداد: دار النشر العراقي.

٣. الأسدي، ع. ك. (٢٠١٥). الجنائز في حضارة واد الرافدين. بغداد: دار الفرات.

٤. الأعشى. (١٩٩٣). ديوان الأعشى (تحقيق: إحسان عباس). بيروت: دار صادر.

٥. باقر، طه. (١٩٧٣). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: الجزء الأول. بغداد: مطبعة المعارف.

٦. باقر، طه. (١٩٨٦). من تراثنا الفلسفي في العراق القديم. بغداد: دار الحرية.

٧. البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٩٩٧). صحيح البخاري. بيروت: دار ابن كثير.

٨. بيرتن، ستيفن. (٢٠٠١). الطقوس والمواكب في بلاد الرافدين (ترجمة: ليلى الرفاعي). بيروت: دار الكتاب الجديد.

٩. الجبوري، ر. (٢٠١٧). الفضائل الدينية في العراق القديم. بغداد: دار النهضة.

١٠. الجبوري، كمال. (٢٠١٣). نصوص تعليمية من العراق القديم. بيروت: دار الوراق.

١١. الجبوري، ي. (٢٠١٧). الدين والمجتمع في بلاد الرافدين. بغداد: دار الكتاب العربي.

١٢. الجنابي، ع. ك. (٢٠١٢). معبد إنليل ودوره الاجتماعي. بيروت: دار الرافدين.

١٣. الجنابي، عبد الحميد. (٢٠٠٥). النصوص السومرية. بغداد: دار الحكمة.

١٤. حسن، ر. (٢٠٠٨). القيم الحضارية في وادي الرافدين. بغداد: المركز الثقافي العراقي.

١٥. الحسني، س. (٢٠٠٨). نصوص سومرية في الطقوس الدينية. بغداد: دار بابل.

١٦. الحلالي، ج. (٢٠١٠). الاحتفالات الدينية في بابل وآشور. بيروت: دار الوراق.

١٧. الخطيب، س. (٢٠١٢). الأنظمة الاجتماعية في سومر. عمّان: دار الفجر.

١٨. الخطيب، س. (٢٠١٢). الثقافة الشعبية في العراق القديم. عمّان: دار الفجر.
١٩. الخطيب، ي. (٢٠١٢). الاقتصاد والتكافل الاجتماعي في العراق القديم. بغداد: دار الفكر.
٢٠. الزبيدي، م. (٢٠٠٨). ملوك العراق في النقوش الآشورية. دمشق: دار البيان.
٢١. الزبيدي، ن. (٢٠٠٨). المجتمع والكرم في فترات الأزمات. بغداد: دار الثقافة.•
فرنسيس، د. ر. (٢٠١٠). الحكمة السومرية وأثرها في حضارات الشرق الأدنى. القاهرة: دار الكتاب العربي.
٢٢. السالم، يوسف. (٢٠٢٠). الأخلاق العامة في الفكر السومري. النجف: دار الفرات.
٢٣. سوسة، أحمد. (س. ت.). تاريخ الحضارة العراقية، ج٢. بغداد.
٢٤. الشريف الرضي. (٢٠٠٠). نهج البلاغة (تحقيق: صبحي الصالح). بيروت: دار المعرفة.
٢٥. الشكرجي، حسن. (٢٠٠٣). التراث الشعبي العراقي. بغداد: دار الرواد.
٢٦. شهاب، س. (٢٠١٣). الكرم والمجتمع في التاريخ العراقي. بغداد: دار المعرفة.
٢٧. شهاب، ن. (٢٠١٣). الكهنة في سومر. الموصل: دار ابن الأثير.
٢٨. شهاب، ن. (٢٠١٣). وظائف الكهنة في سومر. الموصل: دار ابن الأثير.
٢٩. الطائي، عبد الله. (٢٠٠٧). المخطوطات الرافدينية. بغداد: دار الآثار.
٣٠. العامري، كاظم. (٢٠٠١). أدب الملوك الآشوريين. دمشق: دار المدى.
٣١. عبد اللطيف، سامي. (مجلة العراق، العدد ٢٢، ص٩٢). ترجمة نصوص سومرية.
٣٢. عبد الله، ح. (٢٠١٤). التضامن الاجتماعي والكرم. بغداد: دار النشر العربية.
٣٣. عبد الله، ل. (٢٠١٤). الاقتصاد التضامني في العراق القديم. القاهرة: دار النهضة.
٣٤. عبد الله، ل. (٢٠١٤). الطقوس الاجتماعية في وادي الرافدين. القاهرة: دار النهضة.
٣٥. عبد الواحد، فاضل. (١٩٩٠). حضارة العراق القديمة. بغداد: دار الشؤون الثقافية.
٣٦. العطار، م. (٢٠١٦). الكرم كقوة اجتماعية. بغداد: دار التراث.

٣٧. العطار، ن. (٢٠١٦). الأعياد والاحتفالات في العراق القديم. بغداد: دار النشر الجامعي.
٣٨. غالوب. (٢٠٢٣). تقرير الكرم العالمي.
٣٩. الغزي، ف. (٢٠٠٧). المرأة والبيت في سومر. بيروت: دار الرافدين.
٤٠. الغزي، ف. ج. (٢٠١٠). الدين في وادي الرافدين. بغداد: دار ابن النديم.
٤١. الغزي، فاضل. (٢٠١٠). المرأة في سومر. بغداد: دار ابن النديم.
٤٢. الغزي، م. (٢٠٠٧). الهوية الاجتماعية والكرم في سومر. بغداد: دار الحكمة.
٤٣. القيسي، أ. (٢٠١٦). الفنون والكرم في الحضارات القديمة. بغداد: دار الفنون.
٤٤. القيسي، هـ. (٢٠١٦). المؤسسات الدينية في العراق القديم. بغداد: دار المدى.
٤٥. كريمر، صموئيل نوح. (٢٠٠٩). من ألواح سومر: تاريخ حضارة عريقة. ترجمة طه باقر. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
٤٦. الماجدي، خزعل. (٢٠١٠). الميثولوجيا السومرية. دمشق: دار نينوى.
٤٧. المتحف العراقي. (س. ت.). ألواح نيبور C-112؛ لوح تيغلات بلاسر TPL-17؛ لوح لكش LG-88؛ لوح أوروك U-144؛ لوح أور U.521.
٤٨. مطر، ت. (٢٠٠٥). القيم الاجتماعية في حضارات وادي الرافدين. بغداد: دار الكتب.
٤٩. المطر، س. (٢٠٠٥). أعياد العراق القديم. دمشق: دار البيان.
٥٠. المطر، س. (٢٠٠٦). مظاهر العبادة والكرم. دمشق: دار البيان.
٥١. الناصري، ط. (٢٠١١). النصوص الاقتصادية في سومر. بيروت: دار الوراق.
٥٢. الهلالي، ف. (٢٠١٠). الاقتصاد الاجتماعي في بلاد الرافدين. بغداد: دار الفكر العربي.
٥٣. الوائلي، ع. ح. (٢٠٠٤). الحكمة في وادي الرافدين. بغداد: دار الجواد.
٥٤. الوائلي، ع. ح. (٢٠٠٦). المعابد في العراق القديم. بغداد: دار الجواد.
٥٥. الوائلي، ع. ح. (٢٠٠٩). الحياة الاجتماعية في أور. بغداد: دار الجواد.
٥٦. الوائلي، ك. (٢٠٠٦). ملوك العراق القديم وممارسات الكرم. بغداد: دار المقتبس.

الحزب الشيوعي العراقي ودوره في التنظيمات والاتحادات المهنية والسياسية (١٩٤٥- ١٩٦٣)

م.د. بديع نايف داود السعدي

وزارة التربية / بغداد الرصافة الأولى

Alsdybdy 82 @ gmil. Come

موبايل ٠٧٧١٦٤٤٥٥٨٧

الحزب الشيوعي العراقي ودوره في التنظيمات والاتحادات المهنية والسياسية (١٩٤٥- ١٩٦٣)

م.د. بديع نايف داود السعدي

الملخص

يُعد الحزب الشيوعي العراقي من الاحزاب التي لعبت دوراً كبيراً في الحياة السياسية العراقية، وعلى الرغم من أنه كان محضوراً إلى أنه استطاع يفعل قوة تنظيماته السرية أن يتغلغل في التنظيمات والاتحادات المهنية والسياسية ومنها (العمل الجبهوي – واتحاد الشبيبة – وحركة انصار السلام – والمقاومة الشعبية – ولجان صيانة الجمهورية)، وكان من دواعي اختياري لهذا الموضوع هو خلو الدراسات التاريخية من تناول دور الحزب في التنظيمات والاتحادات المهنية والسياسية للمدة (١٩٤٥-١٩٦٣)، اقتضت منهجية البحث تقسيمه إلى مقدمة وخمسة مباحث، بحث الأول منها دور الحزب في العمل الجبهوي، وتطرق المبحث الثاني إلى دور الحزب في اتحاد الشبيبة الديمقراطي، وكان لابد للدراسة أن تتناول تأثير الحزب ولجان المقاومة الشعبية وتطرق المبحث الرابع إلى دور الحزب في لجان صيانة الجمهورية في حين تناول المبحث الخامس دور الحزب في نقابة المعلمين ونقابة الصحفيين، لقد اعتمد البحث على مصادر متنوعة ما بين وثائقيه ورسائل وأطاريح جامعية، فضلاً عن الكتب العربية والمعربة وأسهمت جميعا في تزويد الباحث بالمعلومات اللازمة لاكمال بحثه.

Abstract

Although the lraqi communist party is one of the lraqi parties that played a major role in lraqi political life. Although it was banned, it was able, due to the strength of its Secret organizutions, to infiltrate professional and political organizations and Unions, including (the front Action, the youth union, the peace supporters Movement, the popular Resistance, and the Republic Maintenance committees), The reason for choosing this topic Was the lack of historical studies that addressed the role of the party in professional and political orgonizations and unions por the period (1945 -1963).

The research methodology required dividing it into an introduction and five chapters. The first chapter addressed the role of the party in front line work, and the second chapter addressed the role

of the party in the Democratic youth Union, The study had to address the influence of the party in the popular resistance committees. The fourth chapter addressed the role of the party in the committees for the maintenance of the republic while the fifth chapter addressed the role of the party in the teachers, union and the journalists union. The research relied on various sources, including documents, letters, and university theses , in addition to Arabic and translated books, all of which contributed to providing the researcher with the necessary information to complete his research.

المبحث الأول : الحزب الشيوعي العراقي والعمل الجبهوي:

يُعد الحزب الشيوعي من أوائل الأحزاب التي كانت تطالب بإقامة (الجبهة الوطنية) مع الأحزاب الأخرى منذ عام ١٩٤٢م عندما طالب فهد[١] سكرتير الحزب بضرورة تعاون القوى الوطنية لتحقيق الحرية للشعب في ممارسة نشاطه والتعبير عن أفكاره، والغاء القوانين الاستثنائية ومنها قانون العقوبات البغدادي [٢] ، وفي المؤتمر التمهيدي الأول الذي عقده الحزب عام ١٩٤٤م دعا فهد في تقريره المقدم للمؤتمر إلى ضرورة تعاون القوى السياسية العراقية في مواجهة الوجود البريطاني [٣] من جهة أخرى سعت الهيئة المؤسسة لحزب التحرير الوطني وهو الواجهة العلنية للحزب الشيوعي إلى تحقيق ذلك الهدف، إذ قام كل من حسين محمد الشبيبي[٤] ويعقوب قوجمان[٥] بزيارة إلى كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي عام ١٩٤٦ لعرض الأمر عليه، إلا أن الأخير رفض ذلك قائلاً: ((أن أهدافنا أوسع من أهدافكم، وأنكم تتبعون الأوامر من الخارج وهذا ترضيه))[٦] ، ومع ذلك ظل الحزب ينادي بفكرة الجبهة وذلك عندما بادر حسين محمد الشبيبي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي بتأليف كراس في شباط ١٩٤٦م حمل عنوان (الجبهة الوطنية الموحدة طريقنا وواجبنا التأريخي)، معلناً أستعداده لقبول أي رأي يتفق فيه الوطنيون يؤدي إلى قيام الجبهة الوطنية [٧] .

ترسخت فكرة الشيوعيين بتأليف الجبهة الوطنية عام ١٩٤٧م، بعد إصدار وزارة (صالح جبر) حكم الاعدام بحق فهد ورفاقه وأغلاقها حزبي الشعب والاتحاد الوطني في العام نفسه بتهمه الترويج للمبادئ الهدامة[٨]، وقد نجح الحزب في ١٧ تشرين الأول عام ١٩٤٧م من جمع العناصر اليسارية المعارضة للحكومة وتأليف ما يسمى بلجنة (التعاون

الوطني التي ضمت كل من مالك حسين ممثل الحزب الشيوعي ، وعبدالرحيم شريف ممثل حزب الشعب، وعبدالقادر رشيد ممثل حزب زركاري كورد، وعبدالحسين جواد الغالب ممثل الحزب الوطني الديمقراطي، وقد أدت هذه اللجنة بعد توجيهات فهد من سجن الكوت دوراً مهماً في تعبئة الرأي العام العراقي ضد معاهدة بورتسموث عام ١٩٤٨م بين العراق وبريطانيا.[٩]، مقابل ذلك أدت أحداث الوثبة عام ١٩٤٨م إلى التقارب بين الحزب الشيوعي والاحزاب العراقية الأخرى ، إذ نادى الحزب بتشكيل حكومة ائتلافيه من الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاحرار والعناصر الوطنية النزيهة، تكون أولى مهامها المحافظة على وحدة الحركة الوطنية[١٠].

لقد كان اصرار الحزب على قيام الجبهة الوطنية نابعاً من الظروف التي كان يمر بها الحزب بسبب معاداة السلطة له لذلك كان الحزب بحاجة إلى جبهة وطنية مع أحزاباً أخرى كي يستطيع الصمود بوجه السلطات، وعلى الرغم من توجهات الحزب لإقامة جبهة وطنية إلا أن خلافاً نشب بينه وبين تلك الاحزاب بسبب موقفه المؤيد لاعتراف الاتحاد السوفيتي بقيام دولة إسرائيل في ١٥ أيار ١٩٤٨ [١١] ، وقد ظهر هذا الخلاف جلياً عندما تظاهر القوميون المنضوون تحت قيادة حزب الاستقلال ومعهم جماعة (البعث القومي) بزعامة سامي شوكت، وبعض الاخوان المسلمين عندما رددو هتاف (فلسطين عربية فلتسقط الشيوعية)[١٢].

لقد تقاربت هذه القوى عقب تشكيل أرشد العمري وزارته في ٢٩ نيسان ١٩٥٤ [١٣] ووحدت مواقفها ضده، لما عرف عنه معاداته للحركة الوطنية، وعندما دعت الحكومة إلى إجراء انتخابات نيابيه لتمرير مشاريع تنوي الحكومة عقدها مع بريطانيا لتحل محل معاهدة ١٩٣٠، أقدمت الاحزاب الوطنية العراقية العلنية والسرية، ومنها الحزب الشيوعي إلى التعاون فيما بينها ونبذ الخلافات الايديولوجية للخروج برأي موحد في تشكيل جبهة وطنية لمواجهة التطورات الجديدة [١٤]، وبعد اجتماعات عدة عقدتها الاحزاب الثلاثة (الحزب الشيوعي ، الحزب الاستقلال ، الحزب الوطني الديمقراطي) للاتفاق على بنود ميثاق (الجبهة الوطنية) كان أخرها يوم ١٢ أيار ١٩٥٤ [١٥]، تم الاتفاق على أن يكون عملها الموحد بهذه الفترة في التركيز على الانتخابات التي ستجري يوم ١٩ حزيران للعام نفسه، وقد وقعوا على

ميثاق الجبهة لأسماء مستعارة لتغطية مشاركة الحزب الشيوعي والأخرين، وهو ما نظر إليه الحزب بوصفـه انتصاراً له [١٦]، وقد نص هذا الميثاق على ما يلي:

١. اطلاق الحريات الديمقراطية كحرية الرأي والنشر والاجتماع .

٢. الدفاع عن حرية الانتخابات.

٣. الغاء معاهدة ١٩٣٠م ، وجلاء الجيوش الأجنبية ورفض التحالفات العسكرية.

٤. رفض المساعدات العسكرية الأمريكية التي يراد بها تقييد العراق.

٥. العمل على الغاء امتيازات الشركات الاحتكارية، وتحقيق العدالة الاجتماعية.

٦. العمل على آزالة أثار الفيضان بأسكان المشردين وتعويض المتضررين [١٧].

وفي الانتخابات النيابية التي جرت في ١٩ حزيران ١٩٥٤ بلغ عدد مرشحين الجبهة (٣٧) مرشحاً منهم الدكتور أحمد الجلبي (بغداد)، والمحامي توفيق منير (الكوت)، والشيخ عبدالكريم الماشطة (الحلة)، والدكتور خليل جميل جواد (النجف)، ومحمد الشبيبي والد حسين الشبيبي أحد القادة البارزين في الحزب[١٨]، وعقدت اللجنة اجتماعات في مناطق متفرقة من بغداد لدعم مرشحيها، فآثار ذلك استياء الشرطة التي ذكرت في تقاريرها ما يأتي: ((الشيوعيين والبعث من الرعاع في المناطق الانتخابية سيخلقون الاضطرابات لاستفزاز الرأي العام، وعليه ترى الشرطة ضرورة أخطار كافة المرشحين في المناطق وإعطاء التنبيهات لهم وإيصالهم تحذير جماعتهم بعدم القيام بأي حركة من شأنها أن تؤدي إلى الاخلال بالأمن واستفزاز الرأي العام))[١٩]، وتبع ذلك تضييق الحكومة الخناق على مرشحين الجبهة الوطنية، وتم منع التجوال[٢٠].

اعتقلت الشرطة كل من عبدالكريم الماشطة وتوفيق منير [٢١]، حتى انها بدلت اسماء مرشحي الجبهة الوطنية باسماء مؤيده للنظام الملكي مثل خليل كنه وعبدالعزيز العريم [٢٢] .

ولم يتردد الحزب عن فضح عمليات التزوير في نتائج الانتخابات والتدخل الحكومي الذي رافقها، وبين أعمال الاضطهاد والتضييق التي مارستها أجهزة السلطة لكي تحول دون تصويت الناخبين بحرية [٢٣] ، مما أسفر عن فوز حزب الاتحاد الدستوري الموالي للنظام الملكي بـ (٥١) مقعداً، وحزب الأمة الاشتراكي ب[(٢١) مقعد، ولم يكن نصيب مرشحين

الجبهة الوطنيه سوى (١١) مقعد فقط [٢٤]، ورغم قلة هذه المقاعد لكنها عدت قفزة نوعيه في تاريخ الحركة الوطنية [٢٥].

وقد حاولت أطراف الجبهة الاستمرار في التعاون بينها في مرحلة ما بعد الانتخابات ، وجرت عدة اجتماعات في دار كامل الجادرجي، لكن ذلك لم يكتب له النجاح، بسبب ميل ممثلي الحزب الشيوعي إلى فرض بعض المطالب التي لا تأخذ بنظر الاعتبار واقع العراق السياسي والاقتصادي والاجتماعي [٢٦] .

مقابل ذلك أدى عقد حلف بغداد عام ١٩٥٥ إلى محاولة قام بها الحزب لأحياء الجبهة الوطنية، إلا أن تلك الجهود لم تنجح بسبب عدم ثقة التيارات القومية بالتعامل معه[٢٧].

وفي أثناء انعقاد مؤتمره الثاني في ١٩ أيلول ١٩٥٩ تم شرح تلك التطورات في التقرير المعنون (في سبيل تحررنا الوطني والقومي) الذي طرحه اعضاء المكتب السياسي للحزب (سلام عادل، جمال الحيدري، عامر عبدالله)، وأفرد هذا التقرير فصلاً خاصاً لمعالجة التحالفات مع الاحزاب والقوى الأخرى، تحت عنوان (الجبهة الوطنية الموحدة) التي حاول الحزب من خلالها إيجاد توافق مع الأحزاب الأخرى[٢٨].

وعلى أساس ذلك اتصل الحزب الشيوعي بـ(محمد حديد) أحد اقطاب الحزب الوطني الديمقراطي ، لمفاتحته بشأن إمكانية قيام هذه الجبهة لضم جميع الاحزاب السياسية، وتعهد محمد حديد من جانبه بمفاتحة حزب الاستقلال، في حين تعهد سلام عادل بمفاتحة حزب البعث والتنسيق لعقد أجتماع لاحق لإعلان هذه الجبهة[٢٩]، وبعد اجتماعات عدة بين الاحزاب الأربعة السالفة الذكر انبثقت في ٩ أذار ١٩٥٧ (جبهة الاتحاد الوطني) ووضع الحزب مطبعته السرية في خدمة الجبهة، كما وصدر البيـــان الأول لها في اليوم نفسه، وتم توزيعــه في أرجاء العراق ومما جاء في أهدافها [٣٠]:

١. تنحية وزارة نوري السعيد وحل المجلس النيابي.
٢. الخروج من حلف بغداد وتوحيد سياسة العراق مع سياسة البلدان العربية المتحررة.
٣. مقاومة التدخل الاستعماري بشتى أشكاله ومصادره، وانتهاج سياسة عربية مستقلة تخدم مصالح شعوبها أساسها الحياد الإيجابي.

٤. أطلاق الحريات الديمقراطية الدستورية.

٥. الغاء الإدارة العرفية وإطلاق سراح السجناء.

ولأجل توطيد علاقته مع الشعب، وجه الحزب نداءاً إلى الأخير يدعوه إلى التلاحم ضد الاستعمار والسلطة الحاكمة ومما ورد فيه: ((أيها المواطن الغيور بادر بنفسك دون أن تنتظر ايعازا إلى الاتصال بأبناء محلتك أو قريبك أو المشتغلين معك في السوق والمعمل والمؤسسة التي أنتَ فيها دون النظر إلى معتقداتهم وقومياتهم لتكوين لجنة وطنية تتصل بالجماهير وتشرح لها المطالب الوطنية الكبرى التي أعلنها البيان الهام الذي اصدرته اللجنة الوطنية، حول النضال ضد الاستعمار ومؤامراته وإعلامه وعملائه وفي سبيل التحرر الوطني والقومي))[٣١].

يمكننا القول أنه رغم وجود الاختلاف في ايدولوجيات تلك الاحزاب، لكنها أخذت تدرك أهمية توحيد جهودها، والعمل في التأثير بين أوساط الرأي العام العراقي، عبر برامجها التي أعلنتها للناس، مع الإشارة إلى وجود حالة من الحذر من بعض الاحزاب القومية تجاه التعامل مع الحزب الشيوعي، بسبب كونه محضوراً، ويتعرض اعضائه إلى الملاحقة، فيما نلاحظ تحرك الحزب في أبداء التعاون مع القوى الوطنية الأخرى دون تحفظ ، لأدراكه لأهميتها بالقضاء على النظام الملكي، ولذلك لم تُعد الحاجة قائمة إلى هذه الجبهة بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

المبحث الثاني : الحزب الشيوعي العراقي واتحاد الشبيبة الديمقراطي:

تشكلت الهيئة المؤسسة لهذهِ المنظمة في كانون الأول ١٩٤٩، إذ بادر الشيوعيون بعد نجاح الثورة إلى توسيع نشاط هذه المنظمة، وقدم اعضائها طلباً إلى السلطة للحصول على أجازة العمل العلني ، وتم الموافقة على أجازتها في ٢٩ أذار ١٩٥٩ [٣٢]، وفي ٢٤ نيسان من العام نفسه وبمناسبة يوم الشبيبة العالمي، أحتشد الألاف من اتباع الاتحاد ونظموا مهرجانات عدة في مختلف المدن العراقية، وفي مقدمتها العاصمة بغداد [٣٣] ، التي احتضن مهرجانها ملعب الكشافة، وحضره مندوبون من شبيبة سوريا والجزائر الذين رفعوا شعارات التضامن والتعايش السلمي، وصدر من المهرجان مجموعة من القرارات، في مقدمتها تمجيد نضال الشعب الجزائري من أجل التحرر والاستقلال، وحث الدول على الاعتراف بحكومة

الجزائر الحرة، والمطالبة بحل القضية الجزائرية بصورة سلمية [٣٤]، واعتبار اسرائيل خطراً على أمن وسلامة الشعوب المحبة للسلام، والمطالبة بحل القضية الفلسطينية بعودة اللاجئين إلى ديارهم وإقامة دولة عربية فلسطينية إلى جانب دولة اسرائيل، وتقديم المساندة لكفاح الشعب العربي في عمان ضد الاستعمار البريطاني، ووقف التجارب الذرية والهيدروجينية وضرورة استخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية [٣٥].

وفي ١١ حزيران ١٩٥٩ عقد اتحاد الشبيبة مؤتمره الأول بحضور الزعيم عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء تحت شعار لـ (للعمل ، للاتحاد، لصيانة الجمهورية)، وانتخب الشيوعي نوري عبدالرزاق رئيساً للمكتب التنفيذي للاتحاد، الذي كان يتألف من (٢٧) عضو، منهم يوسف العاني ، ورحيم عجينه، وعبدالوهاب البياتي وهم من الشيوعيين [٣٦] ، وأصدر الاتحاد مجلة ثقافية بأسم (عالم الشبيبة)، كما كان لفروع الاتحاد عدداً من المجلات مثل مجلة (الشبيبة) في الموصل، ومجلة (إلى الإمام) باللغة الإنكليزية ، وجريدة (الشبيبة) [٣٧]، وعلى ما يبدو أن نشاط الاتحاد كان يلقي استحساناً من عبدالكريم قاسم عندما وصفه بأنه الجيش الاحتياطي للوطن [٣٨]، وأمر بتخصيص مبلغ للاتحاد قدرة (١٠ ٠٠٠) دينار سنوياً تساهم في تغطية نفقاته[٣٩]، مما أسهم في زيادة نشاطه الذي كرس جزء منه للقضايا العربية ، عندما أصدر نداء التطوع من أجل القضية الجزائرية ومقاتلة الفرنسيين، وأعلن عن استقبال المتطوعين في مقره العام في بغداد في ١٩ نيسان ١٩٦٠ [٤٠] ، الا إن نشاط هذا الاتحاد تراجع بعد تحجيم نشاط الحزب الشيوعي في أعقاب خلاف الأخير مع عبدالكريم قاسم، وعندما بدأت الحكومة في أذار ١٩٦١ بحملة غلق الاتحاد في محافظات العراق، تبع ذلك غلق جميع المقرات في بغداد ثم القاء القبض على نوري عبدالرزاق حسين سكرتير الاتحاد العام[٤١]، يتضح من خلال هذه الحقائق أن السلطة الحاكمة قد أدركت تماماً بأن اتحاد الشبيبة قد وقع تحت سيطرة الحزب الشيوعي وتأثيره، لذلك بدأت السلطة بتشديد الإجراءات ضد اعضاء هذا الاتحاد، ثم عملت السلطة على غلقه.

المبحث الثالث : الحزب الشيوعي العراقي وحركة أنصار السلام:

تشكلت هذه الحركة في العراق عام ١٩٥٠، وعقدت مؤتمرها الأول في بغداد عام ١٩٥٤، وقد عدها النظام الملكي منظمة شيوعية وجعل من ممارسة اعضائها والمنتمين اليها

نشاطهم جريمة يعاقب عليها القانون [٤٢]، وبعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ أصبح نشاطها علني، وذلك عندما أرسلت برقية تهنئه للحكومة الجديدة[٤٣]، وإقامت هذه الحركة العديد من الاجتماعات والمهرجانات في مدن عدة في العراق، ففي ١٦ كانون الأول ١٩٥٨ اقيم مهرجان لها في مدينة النجف الأشرف، وفي ٢ كانون الثاني ١٩٥٩ في الديوانية، وفي ٩ كانون الثاني في ديالى حضره (١٠ ٠٠٠) شخص كانوا يهتفون للسلام والموت لدعاة الحروب، وبعد انتهاء المؤتمر رفع المسؤولين عن تنظيم المؤتمر أربعة برقيات، الأولى إلى عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء تعرب عن استعدادها لمواجهة الاخطار المحدقة بالجمهورية العراقية، أما البرقية الثانية فقد رفعت إلى الحكومة الأمريكية احتجاجا على ربط إيران بحلف ثنائي معها، والثالثة إلى بريطانيا تندد بسياستها في عمان، والرابعة إلى فرنسا تندد بسياستها في الجزائر[٤٤].

ومن جانب أخر تعزز نشاط هذه الحركة لأن عبدالكريم قاسم لم يعدها واجهه شيوعية، بل عبر عن دعمه لها بوصفها تمثل كافة فئات الشعب حسب رأيه، لذلك عقدت هذه الحركة مهرجاناً كبيراً لها في مدينة الموصل في إذار ١٩٥٩ الذي أشترك فيه أكثر من (١٥٠ ٠٠٠) مواطن [٤٥]، وعقدت هذه الحركة مؤتمرها الثاني للمدة بين (١٤-١٧ نيسان ١٩٥٩) في بغداد بحضور (١٠٠٠) مندوب، وعددا من وفود الدول العربية والأجنبية، وحضر المؤتمر عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء[٤٦]، والقى عزيز شريف السكرتير العام للحركة كلمة بين فيها أن المؤتمر عقد من أجل تعبئة الرأي العام العالمي للكفاح ضد أخطار الهيمنة والتحكم في بلدان الشرق الأوسط [٤٧]، ثم تم انتخاب (٨) اعضاء للمكتب الدائمي لمجلس السلم العراقي وجميعهم من الحزب الشيوعي وهم (عزيز شريف) رئيساً وتوفيق منير نائب للرئيس وعضوية كل من: علي ياسين فاروق ، لطفي صدقي ، مظهر العزاوي، وموسى راضي، ويوسف إسماعيل [٤٨].

وتم انتخاب (٩٠) عضو للمجلس الوطني لأنصار السلام في العراق منهم العديد من الشخصيات الشيوعية التي تتمتع بمواقع مهمة بين الحكومة أمثال فاضل عباس المهداوي رئيس محكمة الشعب و جلال الاوقاتي قائد القوة الجوية و ماجد محمد أمين المدعي العام لمحكمة الشعب، ومصطفى طه ألبامرني قائد المقاومة الشعبية وسليم الفخري مدير الإذاعة

والدكتورة نزيهة الدليمي رئيسة رابطة الدفاع عن حقوق المرأة [٤٩]، واتخذ المؤتمر قرارات منها، فض النزاعات الدولية بالطرق السلمية، واستنكار الاحلاف العدوانية كافة، والخروج من حلف بغداد، واسترجاع الأراضي الفلسطينية من الاحتلال الصهيوني، ومساندة كفاح الشعب العربي في الجزائر [٥٠]، والتحقيق في جرائم بريطانيا في عمان وعدن وتقديم احتجاج ضد الجمهورية العربية المتحدة لاستمرار اعتداءاتها على الجمهورية العراقية [٥١].

وفي ٢ تشرين الأول ١٩٥٩ عقدت حركة انصار السلام اجتماعاً مهماً لها لمناقشة قضايا السلام الداخلية والعربية والدولية، وخرج المؤتمر بقرارات عدة، منها تأييد نضال الشعب الجزائري، وشجب العدوان الفرنسي على الجزائر، والتنديد بالتجارب النووية التي أجرتها الحكومة الفرنسية في الصحراء الكبرى [٥٢]، ومطالبة الولايات المتحدة الأمريكية بضرورة عدم الاعتداء على دول جنوب شرق أسيا [٥٣].

على أن الحكومة وضعت هذه الحركة تحت سيطرتها وتم حلها، وفي ١٦ أذار ١٩٦٢ عقدت الحركة مؤتمرها السنوي التي شجبت فيه الحركة الاستعمارية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بالتعاون مع اسرائيل وبعض الأوساط الحليفة لهم ضد السلم وحركات التحرر الوطني في الشرق الأوسط لا سيما الدول العربية، ودعا المؤتمر الشعب العربي إلى التضامن من أجل تحرير الأراضي العربية المحتلة، وطالب بحل الخلافات بين جميع الدول العربية [٥٤].

وفي ٤ حزيران ١٩٦٢ وجهت الحركة نداءاً إلى الأوساط الشعبية والحكومية لبذل الجهود والمساهمة في حملة الإعداد العالمية من أجل مؤتمر نزع السلاح الذي سيعقد في موسكو للمدة بين (٩-١٤تموز١٩٦٢)، وظلت الحركة تمارس أعمالها حتى الثامن من شباط ١٩٦٣ بالشكل الذي يخدم توصيات حكومة عبدالكريم قاسم [٥٥] يرى الباحث أن توجهات هذه الحركة كانت في صالح القضايا العربية والدولية وكانت موجهة ضد اطماع الدول الاستعمارية وخصوصاً في المنطقة العربية، وكان هذا نابعاً من تمسك هذه الحركة بتوجيهات حكومة عبدالكريم قاسم.

المبحث الرابع : الحزب الشيوعي العراقي ولجان المقاومة الشعبية::

بادر الشيوعيون منذ الايام الأولى لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بتشكيل جماعات مسلحة بأسم المقاومة الشعبية وراحوا يفتحون فروعاً لمكاتب التطوع دون أجازة او تخويل [٥٦]، وفي تموز ١٩٥٩ أصدر المكتب السياسي للحزب نشره خاصة بشأن تكوين فرق المقاومة الشعبية مهمتها الدفاع عن مناطقها عند الضرورة، على أن تكون عناصرها منتمية للحزب الشيوعي، كما طالب الحزب الحكومة بتزويد المقاومة الشعبية بالسلاح وضباط الجيش والمدربين بشرط أن يكونوا تحت توجيه وإرشاد فرق المقاومة نفسها[٥٧]، أن مطالبة الحزب لحكومة عبدالكريم قاسم بضرورة تزويد أفراد المقاومة الشعبية بالسلاح يأتي من خلال الحرية التي تمتع بها الحزب في الأشهر الأولى للثورة، كما تعكس هذه المطاليب مدى السيطرة المطلقة للحزب على هذه المنظمة.

وقد توجه الكثير من المواطنين إلى مكاتب التطوع التابعة للحزب مما أثار حفيظه عبدالكريم قاسم خوفاً من سيطرة الحزب على المقاومة، فأصدرت الحكومة في ١٧ تموز بياناً حذرت فيه المواطنين من الاستجابة إلى أي دعوة للتطوع، لأن الحكومة قررت تشكيل فصائل المقاومة الشعبية، فيما أمر أحمد صالح العبدي الحاكم العسكري العام في ٢٠ تموز ١٩٥٨ بغلق مكاتب التطوع غير المجازة فوراً [٥٨]، وأتهم الحزب القوميين بأنهم من اقنعوا رئيس الوزراء بأغلاق مكاتب التطوع الخاصة بالمقاومـــة الشعبية [٥٩].

ومن جهة أخرى أصدرت الحكومة في الأول من آب ١٩٥٨ قانون المقاومة الشعبية التي نصت المادة الأولى منه على أنها منظمة عسكرية شعبية ترتبط بوزارة الدفاع، وتصف المادة الثانية على أن واجبها تدريب المواطنين عسكرياً لمساعدة القطعات العسكرية للدفاع المدني، والمساهمة في حفظ الأمن الداخلي وفق تعليمات القيادة العامة للقوات المسلحة[٦٠].

وفي ١٩أب ١٩٥٨ بدأ رسميا التطوع في صفوف المقاومة الشعبية في مختلف مدن العراق، وكان أقبال الشيوعيين كبيراً فتم تسجيل (٠٠٠ ١٠) من الذكور و(١٠٠٠) من الأناث خلال الاسبوعين الأوليين [٦١].

ومن الجدير بالذكر أن عددا من الوزراء القوميين ، مثل ناجي طالب وزير الشؤون الاجتماعية، وجابر عمر وزير المعارف، تصدوا لفكرة تشكيل هذه القوة، بسبب تزايد النفوذ

الشيوعي فيها، في حين كان عبدالسلام محمد عارف نائب رئيس الوزراء، وفؤاد الركابي وزير الاعمار، يريدان تشكليها للدفاع عن العراق الذي كان يتعرض إلى احتمال تدخل خارجي [٦٢].

ولم تهتم المقاومة الشعبية بالأمور السياسية بداية تأسيسها، ولكن بعد سيطرة الشيوعيين عليها تحولت إلى مليشيا شيوعية، فقد أخذت الصحف الشيوعية تدعو إلى عد هذه المنظمة بمثابة جيش ثاني للدولة [٦٣]، وأصدر الحزب نشره في ١٢ كانون الثاني ١٩٥٩ حثت فيها على ضرورة التحاق جميع الشيوعيين وعوائلهم وأقربائهم وأصدقائهم بالمقاومة [٦٤]، وقد بلغ النفوذ الشيوعي فيها حداً كبيراً عندما تم تعيين (مصطفى اليامرني) قائداً لها وهو من أنشط المتعاطفين مع الشيوعيين [٦٥]، وتم تنسيب ضابطين شيوعيين لقيادة المقاومة الشعبية هما (مهدي حميد) قائد فصائل الشمال و (جواد كاظم) قائد فصائل الجنوب [٦٦].

ولعل من اسباب اتساع هذه المقاومة هو غض عبدالكريم قاسم النظر عنها في هذه المرحلة، بسبب الافادة منها في صراعه مع القوميين [٦٧]، ثم أخذت فصائلها تتجاوز على صلاحيات الجيش والشرطة وقوات الأمن، الأمر الذي دفع عبدالكريم قاسم أن يصدر بيانا في ١٤ كانون الثاني ١٩٥٩ وزع على نطاق واسع، أكد فيه على ضرورة عدم الاخلال بالأمن والحفاظ على ممتلكات المواطنين، متهماً المقاومة الشعبية بارتكاب التجاوزات ، مهدداً بانزال العقاب الصارم بالمسيئين إلى أسم الجمهورية وسلامتها، محذرا أفراد المقاومة الشعبية بعدم القيام بأي عمل ارتجالي إلا بناء على أوامر صريحة من القيادة العامـــة للقوات المسلحـــة أو الحاكم العسكري العام [٦٨].

ومع ذلك ظلت المقاومة متمسكة أكثر بأوامر الحزب الشيوعي فقد عادت بكامل قوتها عند تأزم العلاقة بين عبدالكريم قاسم وبين القوميين المتهمين بمحاولة اسقاط نظام الحكم، وما ترتب على ذلك من استقالة الوزراء القوميين، فضلاً عن دور المقاومة في قمع حركة الشواف الانقلابية ضد عبدالكريم قاسم في أذار ١٩٥٩ [٦٩].

وتكررت اعتداءات هذه المقاومة على الحريات العامة للمواطنين، وصارت تتدخل في أمور ليست من صلاحيتها فأربكت تدخلاتها وزارتي الداخلية والدفاع، وأنها بدأت تنفذ أوامر

الحزب الشيوعي [٧٠] ، كما أعتدى أفرادها على الجنود في احتفال شعبي أقيم في ساحة الكشافة ببغداد في حزيران ١٩٥٩، وفي تموز منه بلغ عدد أفراد المقاومة (١٠٠ ٠٠٠) عنصر [٧١]، وأخذ قسم من عناصرها من الموظفين يحضرون إلى دوائرهم بملابسهم العسكرية واسلحتهم، أرهاباً للموظفين وإشاعة الفوضى، وعلى أثر تلك التجاوزات وتزايد الشكاوي ضد أفرادها من جهة، وقناعة عبدالكريم قاسم بأنها اصبحت منظمة شيوعية، عمد على الغائها في ٢١ تموز ١٩٥٩ من جهة ثانية [٧٢].

نستنتج مما سبق ذكره مدى تزايد النفوذ الشيوعي وسط هذه المنظمة التي شكلت بمثابة جناح عسكري للحزب، وأدى اتساع نفوذها إلى معارضة عبدالكريم قاسم لها، بسبب التجاوزات التي قامت بها على مؤسسات الدولة ، والمرجح أن تلك التجاوزات لم تكن ، صادرة من جهات قيادية في الحزب، بل ربما كانت فردية تصدر من بعض أفراد المقاومة دون علم الحزب.

المبحث الخامس: الحزب الشيوعي العراقي ولجان صيانة الجمهورية:

على أثر قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ دعا الحزب الشيوعي إلى تأسيس لجان صيانة الجمهورية في بيان اصدره موضحاً عن هدف هذه اللجان هو التصدي لأعداء الجمهورية في الداخل والخارج[٧٣]، وكرر الدعوة مرة أخرى في ٢٧ تموز في مذكرة قدمت إلى عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء، وعبدالسلام عارف نائب رئيس الوزراء بعنوان (حول الوضع الراهن والأخطار المحدقة بالجمهورية والتدابير الملحة العاجلة لتعبئة قوى الشعب)، التي وضح فيها ضرورة تطهير أجهزة الدولة من العناصر الفاسدة والمخربة والمتآمرة [٧٤]، وفي ٢٩ تموز صدر بيان عن المكتب السياسي للحزب يؤكد وجوب تشكيل لجان صيانة الجمهورية بعنوان (في سبيل صيانة الثورة وحماية الجمهورية من الأخطار) [٧٥].

وبناءا على رؤية الحزب وتقديره للوضع غير المستقر الذي كان يمر به العراق في بداية الثورة، فقد بادر إلى تشكيل لجان صيانة الجمهورية في ديوان كل وزارة، وفي الوحدات العسكرية بحجة مؤازرة لجان التطهير الرسمية [٧٦], وتألفت تلك اللجان من العمال والموظفين، فضلاً عن طلبة المدارس والمعاهد والكليات [٧٧]، التي أخذت على عاتقها تنظيم قوائم باسماء الموظفين الذين كانت تعدهم غير موالين للجمهورية استناداً إلى معلومات

يزودهم بها الحزب ، وكان عملها حاسماً وفورياً وكانت توصياتها لرؤساء الدوائر قاطعة [٧٨]، أما في المجال العسكري فكان عملها يتلخص بمراقبة تصرفات أمري القطعات العسكرية، ورفع التقارير عنها إلى العميد الركن (طه الشيخ أحمد) مدير الخطط العسكرية ورئيس الاستخبارات العسكرية في وزارة الدفاع الذي كان شيوعياً[٧٩].

وبعد حركة الشواف في إذار ١٩٥٩ أزداد نفوذ هذه اللجان واصبحت تقوم بأعمال الحراسة لدوائر الدولة، وتتولى طرد المسؤولين غير المرغوب فهم أو تزجهم في السجون ، حتى وصل عدد من طرد أو سجن ما يقارب (٢٠٠٠) شخص في معظم الوزارات[٨٠]، وبسبب هذه التصرفات اراد بعض الموظفين البارزين أمثال (صالح كبه) مدير البنك المركزي، وأحمد وهاب متصرف لواء كركوك ، ترك وظائفهم [٨١]، فأثار ذلك استياء وسخط لدى الشعب عامة والقوى والاحزاب الوطنية خاصة، بينما عد الحزب ذلك السخط بوصفه معارضة للحكم[٨٢]، وتأسيساً على ذلك قررت الحكومة وضع حدا نهائياً لأعمال تلك اللجان بتوجيه من عبدالكريم قاسم عام ١٩٥٩ [٨٣].

المبحث السادس: الحزب الشيوعي العراقي ونقابة المعلمين:

كانت نقابة المعلمين أحدى المنظمات التي يسيطر عليها الحزب والتي أجيزت في ٦ كانون الثاني ١٩٥٨، وكانت تضم في عضويتها المعلمين في جميع الدرجات بضمنهم الأساتذه الجامعيون [٨٤]، وكان الغاية من تأسيسها رفع مستوى التعليم في العراق[٨٥]، وعندما أجريت انتخابات النقابة في ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٩، تنافست فيها (٣) قوائم هي (القائمة المهنية الحرة) التي تضم الشيوعيين، وقائمة (الجبهة الوطنية) التي تضم القوميين، والقائمة (المستقلة) التي تضم المستقلين، وأسفرت الانتخابات عن فوز قائمة الشيوعيين في (١٢) محافظة، أما القوميون فقد فازوا في محافظة الرمادي ، بينما فاز المستقلون في كركوك[٨٦].

ظلت النقابة يسيطر عليها الشيوعييون حتى عام ١٩٦٢ وهو عام انحسار المد الشيوعي، بعدها تقلص نفوذ الشيوعيين في انتخابات عام ١٩٦٢ ولم تحصل القائمة الشيوعية سوى على (٥٠٩٤) صوتاً من مجموع (١٧٤٤٨) صوتا[٨٧]، وقد أتهم الحزب الحكومة بمساعدتها للقوميين في الفوز بالانتخابات، واصدر بياناً جاء فيه: ((أن فوزاً مزيفاً

مرهونات برضا السلطة عنه لا يمكن أن يحقق أية مكاسب للمعلمين))[٨٨]، وبذلك يكون الحزب قد فقد السيطرة على هذه النقابة اسوه بالنقابات الأخرى.

المبحث السابع: الحزب الشيوعي العراقي ونقابة الصحفيين:

كانت الصحافة في العهد الملكي تتعرض إلى مضايقات السلطة وقسوتها، إلا أن سقوط هذا النظام وانتصار الثورة في ١٤ تموز ١٩٥٨ فسح المجال للعمل الصحفي، فقد اجيزت في بغداد (٤٥) صحيفة ومجلة وفي المحافظات الأخرى (٢٠) صحيفة ومجلة[٨٩]، وفي ٢٥ كانون الثاني ١٩٥٩ صدرت جريدة (طريق الشعب) لسان حال الحزب الشيوعي بصورة علنية، وكانت تتناول اهتمام الحزب في القضايا المحلية والعربية والدولية، فضلاً عن معالجتها للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع العراقي، وقد بلغ ما يوزع من هذه الجريدة حوالي (٢٣ ٠٠٠) نسخة[٩٠].

من جانب أخر سجلت نقابة الصحفيين أول نشاط لها عندما دعت إلى القضاء على حركة الشواف، وطالبت بتطهير جهاز الدولة من العناصر الفاسدة، ودعت للخروج من حلف بغداد، وعودة الجمهورية العربية المتحدة إلى إيقاف حملاتها على العراق[٩١].

وفي ٢٩ حزيران ١٩٥٩ صدر قانون نقابة الصحفيين رقم (٩٨) لسنة ١٩٥٩، الذي نص على تأسيس نقابة يكون مقرها بغداد، وكانت سيطرة الحزب الشيوعي عليها واضحة[٩٢]، وعقدت النقابة مؤتمرها الأول في ٦ أيلول ١٩٥٩ بحضور الزعيم عبدالكريم قاسم وانتخب محمد مهدي الجواهري نقيباً للصحفيين[٩٣].

وفي نيسان ١٩٦٠ جرت الانتخابات النقابية الثانية، ونتج عنها بقاء الهيئة الإدارية نفسها التي سيطر عليها الشيوعيين[٩٤]، وحضر هذا المؤتمر رئيس الوزراء، الذي أتهم بعض الصحفيين بتفريق صفوف الشعب، والسعي وراء المنافع الشخصية الضيقة والدخول في المهاترات والاتهامات بين الصحف، وبالأخص بين صحيفتي (بغداد والثورة) الموالتين لعبدالكريم قاسم من جهة، وبين صحيفتي (اتحاد الشعب والرأي العام) الموالتين للحزب الشيوعي من جهة ثانية[٩٥].

وقد تبع هذا الخطاب خطوات لتضييق خناق السلطة على الصحف الشيوعية وخاصة صحيفة(اتحاد الشعب) تحت شعار (أمي مخلص خير من مثقف هدام) في إشارة

واضحة إلى الشيوعيين، وتم على أثر ذلك أغلاق عدة صحف شيوعية منها (صوت الطليعة ، وصوت الفرات، وصوت الشعب، واتحاد العمال)[٩٦].

وفي أوائل عام ١٩٦١ اتخذ إجراء من قبل الحاكم العسكري العام ضد الصحافة الشيوعية تمثل في الغاء عضوية (١٠٠) عضو شيوعي، وفي انتخابات حزيران ١٩٦١ تم التصويت على هيئة جديدة معادية للشيوعيين وانتخب طه الفياض وهو من ذوي الميول القوميـــة رئيساً للنقابة، ثم أعيد انتخابـــه في انتخابات ٧ نيســان ١٩٦٢ [٩٧].

يظهر لنا أن هذه النقابة قد مرت بمرحلتين بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وهما كالاتي:

١- مرحلة العمل العلني الذي أدى إلى طغيان الحزب الشيوعي عليها حتى عام ١٩٦١.

٢- المرحلة الثانية: وهي مرحلة انحسار المد الشيوعي حتى قيام انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣.

الخاتمة

يمكننا القول في أن البحث توصل إلى نتائج أهمها:

١. وجود اختلاف في طروحات الحزب ازاء بعض القضايا المحلية بالمقارنة مع الاحزاب والقوى السياسية العراقية الأخرى، وهذا واضح من خلال ما أكده كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي بأن الحزب الشيوعي كان يستلهم أفكاره من الخارج وانقياد الحزب بأوامر الاحزاب الشيوعية العالمية وخصوصاً الحزب الشيوعي السوفيتي، كما كانت هناك اختلافات بين الحزب الشيوعي والاحزاب الأخرى بخصوص الوحدة العربية لأن الحزب لم يؤمن بها وكذلك بخصوص تأييده للاتحاد السوفيتي عند اعترافه بدولة إسرائيل الأمر الذي أضعف من قوة الحركة الوطنية، بسبب تشتت مواقف تلك الاحزاب والقوى الوطنية من أنظمة الحكم في العراق.

٢. بادر الحزب إلى دعم اتحاد الشبيبة الديمقراطي، وحركة انصار السلام، فضلاً عن دخول حركة انصار السلام ولجان المقاومة الشعبية ولجان صيانة الجمهورية المعترك السياسي التي أخذت تؤثر في الأوضاع الداخلية للعراق وتركت أثار سلبية على أوضاع البلاد وجعلها غير مستقرة، لأنها تقاطعت مع وجود السلطات والمؤسسات الحكومية، ولعل

الحزب كان ذا نشاط ملموس في النقابات، وخاصة المعلمين بوصفهم الفئة المثقفة التي يقع عليها عبأ التغيير في أوساط المجتمع، ووضع الحركة السياسية بخطوات إيجابية لأحداث ذلك التطور المنشود.

٣. لعبت صحف الحزب ومنها (اتحاد الشعب ، الشرارة ، القاعدة) ودور الشيوعيين في أصدار إعداد منها، التي عدت منابر للترويج للحزب في السيطرة على النقابات واللجان وخصوصاً بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

٤. لم تستمر سيطرة الحزب على التنظيمات المهنية والسياسية في العراق حيث شهدت مرحلة تراجع كبيرة عنها وخصوصاً في عهد الزعيم عبدالكريم قاسم، بسبب عدم ثقة الزعيم بالحزب الذي تطور إلى عداء بينهم مما استلزم قيام السلطة بمطاردتهم.

٥. كان الحزب جاداً في المطالبة بإقامة الجبهة الوطنية مع الاحزاب الاخرى (الوطني الديمقراطي، الاستقلال البعث) لا دراكة أهمية هذه الجبهة في مقارعة النظام الملكي، وقد بادر اعضاء الحزب البارزين بالأتصال بالأحزاب الأخرى في مدد متتالية لتشكيل هذه الجبهة، وقد نجحت هذه الاحزاب في تشكيلها عام ١٩٥٤، ثم مشاركتها الفعالة في أحداث ١٤ تموز ١٩٥٨.

الهوامش:

(١) فهد: هو الاسم الحركي لـ (يوسف سلمان يوسف) ولد في قرية برطلة في الموصل عام ١٩٠١ لعائلة مسيحية سريانية، وانتقل مع عائلته إلى البصرة وأكمل دراسته الابتدائية فيها، ثم عمل في معمل الثلج مع أخيه، انتمى فهد في مطلع العشرينيات إلى الحزب الوطني العراقي، ثم آمنَ فهد بالماركسية حيث أسس أولى الخلايا الشيوعية في البصرة والناصرية عام ١٩٢٩ بين العمال والفلاحين، قاد فهد الاضراب العام في الناصرية عام ١٩٣١، وفي عام ١٩٣٢ اصدر أول بيان يحمل شعار المطرقة والمنجل (يا عمال العالم أتحدوا) ووقعها بأسم عامل شيوعي، قام فهد عام ١٩٣٣، بربط الخلايا الماركسية في بغداد والجنوب تحت اسم (لجنة الاستعمار والاستثمار)÷ وفي عام ٣١ أذار ١٩٣٤ قام فهد بربط جميع الخلايا وليبدل اسم (لجنة الاستعمار والاستثمار) بـ (الحزب الشيوعي العراقي)، أعدم فهد في ١٤ شباط ١٩٤٩؛ مديرية الامن العامة، الحركة الشيوعية في العراق، ج١، ١٩٤٩-١٩٥٨، بغداد، ١٩٦٦، ص٤.

(٢) جريدة الشرارة ، العدد (١٥)، آب ١٩٤٢.

(٣) من وثائق الحزب الشيوعي العراقي، مؤلفات الرفيق يوسف سلمان يوسف (فهد)، ص٩٠.

(٤) محمد حسين الشبيبي : ولد عام ١٩١٤ في مدينة النجف، اصبح عضواً في اللجنة المركزية عام ١٩٤١، ثم عضواً في المكتب السياسي عام ١٩٤٥، اعتقل عام ١٩٤٦، ثم اطلق سراحه لعدم كفاية الأدلة، واعتقل عام ١٩٤٧ وحكم عليه بالإعدام في الخامس عشر من شباط للعام نفسه؛ نقلاً عن شهداء الحزب شهداء الوطن، مكتبة الكنوز الأدبية ، بيروت ، ٢٠٠١، ص٤١.

(٥) يعقوب قوجمان : ولد عام ١٩٢٥ في بغداد، حصل على بكالوريوس في الصيدلية والكيمياء ، انتمى للحزب الشيوعي عام ١٩٤٨، واصبح عضو في اللجنة المركزية ١٩٤٩-١٩٥١، اعتقل عام ١٩٥١ وبقى في السجن حتى عام ١٩٥٨؛ الموسوعة الجنائية السرية الخاصة بالحزب الشيوعي العراقي، ج٦، شعبة مديرية التحقيقات الجنائية، بغداد، ١٩٤٩÷ ص٢٣٥.

(٦) نقلاً عن مؤيد شاكر كاظم الطائي، الحزب الشيوعي العراقي ١٩٣٥-١٩٤٩، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٧، ص٢١٦.

(٧) من وثائق الحزب الشيوعي العراقي ، كتابات الرفيق حسين محمد الشبيبي (الجبهة الوطنية الموحدة طريقنا وواجبنا التاريخي) ، ص٥٨-٥٩.

(٨) سعاد خيري، من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق ١٩٢٠-١٩٥٨، ج١، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٤٩، ص٢٩٢-٢٩٤.

(٩) الشرطة العامة، مديرية التحقيقات الجنائية، موسوعة خاصة بالحزب الشيوعي العراقي، ج٣، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٩، ص٢٩٢-٢٩٤.

(١٠) خميس عزام والي، وثبة كانون الوطنية في العراق عام ١٩٤٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد، ١٩٧٩، ص٩٤.

(١١) زكي خيري، صدى السنين في ذاكرة شيوعي عراقي مخضرم، ج١، السويد، ١٩٩٤، ص١٣٨.

(١٢) نقلاً عن : عزيز سباهي، عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، ج١، دار الرواد، ٢٠٠٠، ص٣٩٢-٣٩٣.

(١٣) عبدالامير هادي العكام، تاريخ حزب الاستقلال في العراق ١٩٤٤-١٩٥٨، دار الشؤون الثقافية العام، بغداد، ١٩٨٩، ص١٠٧-١٠٨.

(١٤) عبدالرزاق الصافي ، شهادة على زمن عاصف وجوانب من سيره ذاتية، دار قرطاس، الكويت، ٢٠٠٨، ص١٢٢.

(١٥) عادل غفوري خليل، احزاب المعارضة العلنية في العراق ١٩٤٥-١٩٥٤، المكتبة العالمية للنشر، بغداد، ١٩٨٤، ص١٢٢.

(١٦) إبراهيم الجبوري، سنوات من تاريخ النشاط السياسي المشترك لحزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي ١٩٥٢-١٩٥٩، المكتبة العالمية، بغداد، د.ن، ص١٩٤.

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) سيف عدنان ارحيم القيسي، الحزب الشيوعي العراقي ودوره في الحركة الوطنية ١٩٤٩-١٩٥٨، رسالة ماجستير منشوره ، كلية الأداب ، جامعة بغداد، ٢٠١٠، ص١٣٠.

(١٩) نقلا عن مديرية الأمن العامة ، كتاب شرطة بغداد، العدد ١١٢٤، ١٩٥٤/٥/١٢ ، ملفه الانتخابات .

(٢٠) مديرية الأمن العامة / كتاب متصرفية لواء بغداد، العدد ١٥٧٤٥، ١٩٥٢-١٩٥٤ ، ملفه الانتخابات.

(٢١) عبدالكريم ياسين رمضان، الحياة النيابية في العراق ١٩٥٣- ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد، ١٩٨٧، ص٤٦.

(٢٢) فائز أسعد عزيز، انحراف النظام البريطاني في العراق، مطبعة السندباد، بغداد، ١٩٨٤، ص٢٠٣.

(٢٣) عزيز سباهي ، المصدر السابق، ص١٤٢.

(٢٤) سيف عدنان ارحيم، المصدر السابق ، ص١٣٣.

(٢٥) عبدالرزاق الحسني، الجبهة الوطنية في العراق، جذورها التاريخية وتطورها، المعارف، مجلة، ١٩٧١، ص١٦.

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) سيف عدنا أرحيم، المصدر السابق، ص١٣٣.

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) محمد حديد، مذكراتي ، الصراع من أجل الديمقراطية في العراق، دار الصافي ، بيروت، ٢٠٠٦، ص٢٩٧.

(٣٠) مجيد خدوري، العراق الجمهوري، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٤، ص١٦١.

(٣١) بيان اللجنة الوطنية العليا إلى الشعب العراقي الكريم ، بغداد، ٩ أذار ١٩٥٧.

(٣٢) عبدالفتاح علي البوتاني، العراق دراسة في التطورات السياسية الداخلية ١٤ تموز ١٩٥٨ – ٨/ شباط / ١٩٦٣، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٨، ص١٤٨.

(٣٣) سعاد خيري، المصدر السابق، ص٢٠٩-٢١٠.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) حنا بطاطو ، العراق، الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار، الكتاب الثالث، ترجمة عفيف الرزاز، ج٣، منشورات الفرصاد، قم، ٢٠٠٦، ص٢٥٨.

(٣٧) عبدالفتاح علي البوتاني، المصدر السابق، ص١٤٨.

(٣٨) المصدر نفسه.

(٣٩) د.ك.و، وزارة المالية، ملفه رقم (١١٠٢/٢٢٤ ٤٢) ، اضبارة رقم ١١٤/٤٢ ، اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي، كتاب وزارة المالية المرقم (٨٠٤) في ١١ أيار/ ١٩٥٩، و١، ص١.

(٤٠) جريدة الرأي العام، العدد (٣٠٧)، ٢٠ نيسان١٩٦٠.

(٤١) حنا بطاطو، المصدر السابق، ص٢٥٨.

(٤٢) عبد الفتاح علي البوتاني، المصدر السابق، ص١٤٤.

(٤٣) أوريل دان ، العراق في عهد عبدالكريم قاسم ١٩٥٨-١٩٦٣، ترجمة جرجيس فتح الله المحامي، دار بنز للطباعة، السويد، ١٩٨٩، ص١٤٩.

(٤٤) جريدة الزمان ، العدد (٦٤٤٠) ، ١٠ كانون الثاني ١٩٥٩؛ كذلك جريدة أتحاد الشعب ، العدد (٣٥) ، ٨ أذار ١٩٥٩.

(٤٥) سعاد خيري، المصدر السابق، ص١١٦.

(٤٦) مناف جاسب محمد علي الخزاعي، المصدر السابق، ص١٣٦.

(٤٧) سعاد خيري، المصدر السابق، ص١١٧.

(٤٨) العاني وعلاء جاسم الحربي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري نوري عبدالحميد ١٩٥٨-١٩٦٨، ج٢، ط٢، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٥، ص٢٩٧.

(٤٩) خليل إبراهيم حسين، العراق في الوثائق البريطانية، ج٣، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٠، ص٢٢٢-٢٢٨.

(٥٠) سعاد خيري، المصدر السابق، ص١١٧.

(٥١) نوري عبدالحميد العاني وعلاء جاسم الحربي، المصدر السابق، ص٢٩٨.

(٥٢) مناف جاسب محمد علي الخزاعي، المصدر السابق، ص١٣٨.

(٥٣) جريدة اتحاد الشعب، العدد(٢١٨)، ٨ تشرين الأول ١٩٥٩.

(٥٤) جريدة البلاد، العدد (٦٣٦١)، ١٩ أذار ١٩٦٢.

(٥٥) مناف جاسب محمد علي الخزاعي، المصدر السابق، ص١٣٩.

(٥٦) عبدالفتاح علي البوتاني، المصدر السابق، ص١٣٩.

(٥٧) عزيز الحاج، مع الأعوام ، صفحات من تاريخ الحركة الشيوعية في العراق ١٩٥٨-١٩٦٩، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨١، ص٣٤٦-٣٤٨.

(٥٨) مناف جاسب محمد علي الخزاعي، المصدر السابق، ص١٢٧.

(٥٩) زكي خيري ، المصدر السابق، ص١٩٣.

(٦٠) مناف جاسب محمد علي الخزاعي، المصدر السابق، ص١٤٠.

(٦١) جريدة الجمهورية ، العدد (٤)، ٢١ تموز ١٩٥٨.

(٦٢) جاسم كاظم العزاوي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨(اسرارها ، أحداثها، رجالها) حتى نهاية عبدالكريم قاسم، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠، ص٢١٥.

(٦٣) أوريل دان، المصدر السابق، ص١٣٧.

(٦٤) عبد الفتاح علي البوتاني ، المصدر السابق، ص١٤٠.

(٦٥) مجيد قدوري ، المصدر السابق، ص١١٤

(٦٦) نوري عبدالحميد العاني وعلاء جاسم الحربي، المصدر السابق، ص٢٣٤.

(٦٧) مجيد قدوري، المصدر السابق، ص ٧٠.

(٦٨) جريدة الزمان، العدد (٦٤٣٢)، ١٥ كانون الثاني ١٩٥٩.

(٦٩) جريدة اتحاد الشعب، العدد (٨٤) ، ٦ مايس ١٩٥٩.

(٧٠) عبد الفتاح علي البوتاني ، المصدر السابق، ص١٤٢.

(٧١) مناف جاسب محمد علي الخزاعي، ، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٧٢) عبد الفتاح علي البوتاني ، المصدر السابق، ص١٤٢.

(٧٣) ملفات وزارة الداخلية، ملفه(٢٩/٤/ قسم ٨)، الدعاية الشيوعية، نداء الحزب الشيوعي العراقي المعنون (يا أبناء الشعب العراقي) ، بلا عدد، ١٤ تموز ١٩٥٨.

(٧٤) ملفات وزارة الداخلية، ملفه (٢٢ /١٨) ، الحركة الشيوعية في العراق (حول الوضع الراهن والأفكار الكامنة والمحدقة بالجمهورية والتدابير الملحة العاجلة لتعبئة قوى الشعب)، بلا عدد، ٢٧ تموز ١٩٥٨.

(٧٥) ملفات وزار الداخلية (١٨/٩٩) الحركة الشيوعية في العراق (في سبيل صيانة الثورة وحماية الجمهورية من الأخطار)، بلا عدد، ٢٩ تموز ١٩٥٨.

(٧٦) عبد الفتاح علي البوتاني ، المصدر السابق، ص١٤٢.

(٧٧) نوري عبدالحميد العاني وعلاء جاسم الحربي ، المصدر السابق، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٧٨) اوريل دان، المصدر السابق، ص٢٣٤.

(٧٩) إسماعيل عارف، اسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وتأسيس الجمهوري في العراق، منشورات الماجد، لندن، ١٩٨٦، ص٢٠٥.

(٨٠) حنا بطاطو، العراق، ، المصدر السابق، ٢٠١.

(٨١) فؤاد عارف، مذكرات فؤاد عارف، مرافق الملك غازي والوزير في العهد الجمهوري، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦، ص٢١٢-٢١٣.

(٨٢) أوريل دان ، المصدر السابق، ص٢٣٤.

(٨٣) سمير عبدالكريم، أضواء على الحركة الشيوعية في العراق، ج١، دار المرصاد، بيروت، د.ت، ص٤٠.

(٨٤) أوريل دان ، المصدر السابق، ص١٥٩.

(٨٥) نوري عبدالحميد العاني و علاء جاسم الحربي ، المصدر السابق، ص٤٢٧-٤٢٨.

(٨٦) أوريل دان ، المصدر السابق، ص١٥٩.

(٨٧) حنا بطاطو ، المصدر السابق، ص٢٦٣.

(٨٨) ملفاة وزارة الداخلية، ملفه (٤/٢٩/ قسم ٨)، الدعاية الشيوعية، بيان الحزب الشيوعي العراقي، المعنون (حول تزييف أرادة المعلمين)، بلا عدد، ٣ شباط ١٩٦٢.

(٨٩) سعاد خيري ، المصدر السابق، ص٢٠٠.

(٩٠) حنا بطاطو ، المصدر السابق، ص٢٠٨.

(٩١) نوري عبدالحميد العاني وعلاء جاسم الحربي ، المصدر السابق، ص٣٠٦.

(٩٢) جريدة الوقائع العراقية ، العدد(١٧٨)، ٢٣/ حزيران ١٩٥٩.

(٩٣) حنا بطاطو ، المصدر السابق، ص٢٣٦.

(٩٤) أوريل دان ، المصدر السابق، ص٣٩٩.

(٩٥) نوري عبدالحميد العاني وعلاء جاسم الحربي ، المصدر السابق، ص٣٨٣.

(٩٦) مناف حاسب محمد الخزاعي ، المصدر السابق، ص١٧٩.

(٩٧) أوريل دان ، المصدر السابق، ص٣٩٩.

المصادر

أولاً : الوثائق غير المنشورة:

أ- ملفات الأمن العامة:

- مديرية الأمن العامة ، كتاب شرطة بغداد، العدد١١٢٤ في ١٩٥٤/٥/١٢ ملفة الانتخابات.
- مديرية الأمن العامة، كتاب متصرفيه لواء بغداد، العدد ١٥٧٤٥ في ١٩٥٤/٩/٥ ملفة الانتخابات.

ب- ملفات وزارة الداخلية:

- ملفة رقم (٤/٢٩/ قسم ٨) ، الدعاية الشيوعية ، نداء الحزب الشيوعي العراقي المعنون (يا أبناء الشعب العراقي، بلا عدد، ١٤ تموز ١٩٥٨.
- ملفة (١٨/٢٢) الحركة الشيوعية في العراق، (حول الوضع الراهن والأفكار الكامنة والمحدقة بالجمهورية والتدابير الملحة العاجلة لتعبئة قوى الشعب)، بلا عدد، ٢٧ تموز ١٩٥٨.
- ملفة (١٨/٢٢) ، الحرقة الشيوعية في العراق (في سبيل صيانة الثورة وحماية الجمهورية من الأخطار)، بلا عدد، ٢٩ تموز ١٩٥٨.
- ملفة (٤/٢٩/ قسم ٨) ، الدعاية الشيوعية ، بيان الحزب الشيوعي العراقي المعنون (حول تزييف أرادة المعلمين)، بلا عدد، ٣ شباط ١٩٦٢.

ج- ملفات دار الكتب والوثائق:

- وزارة المالية، ملفة رقم (٤٢١١٠٢/٢٢٤)، اضبارة رقم (١١٤/٤٢) ، اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي، كتاب وزارة المالية المرقم ٨٠٤ في ١١آيار ١٩٥٩. وا.

ثانياً: الوثائق المنشورة:

- الشرطة العامة، مديرية التحقيقات الجنائية، موسوعه خاصة بالحزب الشيوعي العراقي، ج٣، مطبعة الحكومة ، بغداد، ١٩٤٩.

ثالثاً: أدبيات وبيانات الحزب الشيوعي العراقي ووثائقـه:

- من وثائق الحزب الشيوعي العراقي، كتابات الرفيق حسين محمد الشبيبي (الجبهة الوطنية الموحدة طريقنا وواجبنا التاريخي).
- بيان اللجنة الوطنية العليا إلى الشعب العراقي الكريم ، بغداد، ٩ أذار ١٩٥٧.

رابعاً: الكتب العربية والمعربة:

- إبراهيم الجبوري، سنوات من تاريخ نشاط السياسي المشترك لحزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي ١٩٥٢-١٩٥٩، المكتبة العالمية ، بغداد، د.ت.

- إسماعيل عارف، اسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق، منشورات الماجد، لندن، ١٩٨٦.
- أوريل دان، العراق في عهد عبدالكريم قاسم ١٩٥٨-١٩٦٣، ترجمة جرجيس فتح الله المحامي، دار ينز للطباعة ، السويد، ١٩٨٩.
- جاسم كاظم العزاوي، ثورة ١٤ تموز، اسرارها، أحداثها، رجالها، حتى نهاية عبدالكريم قاسم، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠.
- حنا بطاطو، العراق، الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار، الكتاب الثالث، ترجمة عفيف الرزاز، ج٣، منشورات الفرصاد، قم ، ٢٠٠٦.
- زكي خيري، صدى السنين في ذاكرة شيوعي عراقي مخضرم، ج١، السويد، ١٩٩٤.
- سعاد خيري، من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق ١٩٢٠-١٩٥٨، ج١، مطبعة الأديب ، بغداد، ١٩٧٣.
- سمير عبدالكريم، أضواء على الحركة الشيوعية في العراق، ج١، دار المرصاد، بيروت، د.ت.
- عبدالرزاق الصافي، شهادة على زمن عاصف وجوانب من سيرة ذاتية، دار قرطاس، الكويت ، ٢٠٠٨.
- عبدالفتاح علي البوتاني، العراق، دراسة في التطورات السياسية الداخلية، ١٤ تموز١٩٥٨ – ٨ شباط ١٩٦٣، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٨.
- عادل غفوري خليل، أحزاب المعارضة العلنية في العراق، ١٩٤٥-١٩٥٤، المكتبة العالمية ، بغداد، ١٩٨٤.
- عبدالأمير هادي العكام ، تاريخ حزب الاستقلال في العراق ١٩٤٦-١٩٥٨، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٧.
- عزيز سباهي، عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، ج١، دار الرواد، ٢٠٠.
- مجيد خدوري، العراق الجمهوري، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٤.
- نوري عبدالحميد العاني وعلاء جاسم الحربي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري نوري عبدالحميد ١٩٥٨-١٩٦٨، ج٢، ط٢، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٥.

خامساً: الرسائل والأطاريح الجامعية:

- خميس خدام والي، وثبة كانون الوطنية في العراق ١٩٤٨، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية القانون والسياسية، جامعة بغداد، ١٩٧٩.
- سيف عدنان ارحيم القيسي، الحزب الشيوعي ودورة في الحركة الوطنية ١٩٤٨-١٩٤٩، رسالة ماجستير منشوره ، كلية الأداب، جامعة بغداد، ٢٠١٠.
- عبدالكريم ياسين رمضان، الحياة النيابية في العراق ١٩٥٣- ١٩٥٨، رسالة ماجستير منشوره ، كلية الآداب ، جامعة بغداد، ٢٠٠٦.
- مناف جاسب محمد علي الخزاعي، الحزب الشيوعي العراقي ١٩٥٨-١٩٦٣، رسالة ماجستير منشوره، كلية الاداب، جامعة ذي قار، ٢٠١١.
- مؤيد شاكر كاظمخ الطائي، الحزب الشيوعي العراقي ١٩٣٥-١٩٤٩، أطروحة دكتوراه غير منشوره، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٧.

سادساً: المذكرات الشخصية:

- محمد حديد، مذكراتي، الصراع من أجل الديمقراطية في العراق، دار صافي، بيروت، ٢٠٠٦.
- فؤاد عارف، مذكرات فؤاد عارف مرافق الملك غازي والوزير في العهد الجمهوري، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦.

سابعاً: المقالات المنشورة:

- عبدالرزاق الحسني، الجبهة الوطنية في العراق جذورها التاريخية وتطورها، مجلة المعارف، العدد (١٢) ، ١٩٧١.

ثامناً: الصحف:

- جريدة اتحاد الشعب ، العدد ٣٥ في ٨ أذار ١٩٥٩.

العدد ٢١٨ في ٨ تشرين الأول ١٩٥٩.

العدد ٨٤ في ٦ مايس ١٩٥٩.

- جريدة البلاد، العدد ٦٣٦١ في ١٩ أذار ١٩٦٢.
- جريدة الجمهورية، العدد ٤ في ٢١ تموز ١٩٥٨.

- جريدة الرأي العام ، العدد ٣٠٧ في ٢٠ نيسان ١٩٦٠.
- جريدة الزمان ، العدد ٦٤٤٠ في ١٠ كانون الثاني ١٩٥٩.
- جريدة الشرارة العدد ١٥ في آب ١٩٤٢.
- جريدة الوقائع العراقية، العدد ١٧٨ في ٣٠ حزيران ١٩٥٩.

Sources

First: Unpublished Documents.

A- General Security Files:

- General Security Directorate, Baghdad Police Book, Issue No. 1124, dated May 12, 1954, Election File.

1- General Security Directorate, Baghdad District Governor's Book, Issue No. 15745, dated September 5, 1954, Election File.

B- Ministry of Interior Files:

2- File No. (29/4/Section 8), Communist Propaganda, Iraqi Communist Party Appeal entitled (O Sons of the Iraqi People), unissued, July 14, 1958.

3- File No. (22/18), The Communist Movement in Iraq (On the Current Situation, Latent Ideas and Threatening the Republic, and Urgent Measures to Mobilize the People's Forces), unissued, July 27, 1958.

4- File No. (22/18), The Communist Struggle in Iraq (For the Sake of Preserving the Revolution and Protecting the Republic from Dangers), unissued, July 29, 1958.

5- File No. (29/4/Section 8), Communist Propaganda, Iraqi Communist Party Statement entitled (On the Falsification of Teachers' Wills), unissued, February 3, 1962.

C- Library and Docu mentation Files:

6-Ministry of Finance, File No. (224/421102), File No. (42/114), Democratic Youth Union Iraqi, Ministry of Finance Book No. 804 dated May 11, 1959.

Second: Published Documents:

7-General Police, Criminal Investigation Directorate, Encyclopedia of the Iraqi Communist Party, Vol. 3, Government Press, Baghdad, 1949.

Third: Literature, Statements, and Documents of the Iraqi Communist Party:

8- From the documents of the Iraqi Communist Party, the writings of Comrade Hussein Muhammad al-Shabibi (The United National Front is Our Path and Our Historical Duty).

9- Statement of the Supreme National Committee to the Noble Iraqi People, Baghdad, March 9, 1957.

Fourth: Arabic and Translated Books:

10- Ibrahim al-Jubouri, Years of the History of the Joint Political Activity of the Independence and National Democratic Parties 1952-1959, The Universal Library, Baghdad, n.d.

11- Ismail Arif, Secrets of the July 14 Revolution and the Establishment of the Republic in Iraq, Al-Majid Publications, London, 1986.

12- Aurel Dan, Iraq in the Era of Abdul Karim Qasim 1958-1963, translated by Jirjis Fathallah al-Muhami, Jens Printing House, Sweden, 1989.

13- Jassim Kazim al-Azzawi, The July 14 Revolution: Its Secrets, Events, and Men, Until the End of Abdul Karim Qasim, Dar al-Hikma, Baghdad, 1990.

14- Hanna Batatu, Iraq: Communists, Baathists, and Free Officers, Book Three, translated by Afif al-Razzaz, Vol. 3, al-Fursad Publications, Qom, 2006.

15- Zaki Khairi, Echoes of the Years in the Memory of a Veteran Iraqi Communist, Vol. 1, Sweden, 1994.

Suad Khairi, From the History of the Contemporary Revolutionary Movement in Iraq 1920-1958, Vol. 1, al-Adib Press, Baghdad, 1973.

16- Samir Abdul Karim, Containing The Communist Movement in Iraq, Vol. 1, Dar Al-Marsad, Beirut, n.d.

17- Abdul Razzaq Al-Safi, Testimony on a Stormy Time and Aspects of an Autobiography, Dar Qurtas, Kuwait, 2008.

18- Abdul Fattah Ali Al-Boutani, Iraq: A Study of Domestic Political Developments, July 14, 1958 – February 8, 1963, Dar Al-Zaman, Damascus, 2008.

19- Adel Ghafouri Khalil, Public Opposition Parties in Iraq, 1945-1954, Al-Maktaba Al-Alamiya, Baghdad, 1984.
20- Abdul Amir Hadi Al-Akkam, History of the Independence Party in Iraq 1946-1958, Dar Al-Hurriyah for Printing, Baghdad, 1987.
21- Aziz Sipahi, Decades of the History of the Iraqi Communist Party, Vol. 1, Dar Al-Ruwad, 200.
22- Majid Khadduri, Republican Iraq, United House for Publishing, Beirut, 1974.
23- Nouri Abdul Hamid Al-Ani and Alaa Jassim Al-Harbi, History of Iraqi Ministries in the Republican Era, Nouri Abdul Hamid 1958-1968 Vol. 2, 2nd ed., Bayt al-Hikma, Baghdad, 2005

Fifth: University Theses and Dissertations:

24- Khamis Khaddam Wali, The National Uprising in Iraq 1948, unpublished master's thesis, College of Law and Politics, University of Baghdad, 1979.
25- Saif Adnan Rahim Al-Qaisi, The Communist Party and its Role in the National Movement 1948-1949, unpublished master's thesis, College of Arts, University of Baghdad, 2010.
26- Abdul Karim Yassin Ramadan, Parliamentary Life in Iraq 1953-1958, unpublished master's thesis, College of Arts, University of Baghdad, 2006.
27- Manaf Jasib Muhammad Ali Al-Khuza'i, The Iraqi Communist Party 1958-1963, unpublished master's thesis, College of Arts, University of Dhi Qar, 2011.
28- Mu'ayyad Shaker Kazimkh Al-Ta'i, The Iraqi Communist Party 1935-1949, unpublished doctoral thesis, College of Education, Al-Mustansiriya University, 2007.

Sixth: Personal Memoirs:

29- Muhammad Hadid, My Memoirs: The Struggle for Democracy in Iraq, Dar Safi, Beirut, 2006.
30- Fouad Arif, Memoirs of Fouad Arif, Aide to King Ghazi and Minister during the Republican Era, Arab Encyclopedia House, Beirut, 2006.

Seventh: Published Articles:

31- Abdul Razzaq al-Hasani, The National Front in Iraq: Its Historical Roots and Development, Al-Maaref Magazine, Issue (12), 1971.

Eighth: Newspapers:

Deople's Union Newspaper,

*Issue 35, March 8, 1959.

*Issue 218, October 8, 1959.

*Issue 84, May 6, 1959.

-Al-Bilad Newspaper, Issue 16361, March 19, 1962.

-Al-Jumhuriya Newspaper, Issue 4, July 21, 1958.

-Al-Rai al-Aam Newspaper, Issue 307, April 20, 1960.

Al-Zaman Newspaper, Issue 6440 on January 10, 1959.

Al-Shara'a Newspaper, Issue 15, August 1942.

Al-Waqai Al-Iraqiya Newspaper, Issue 178, June 23, 1959.

السياسات التشريعية والمؤسسية لحماية الطفولة في مصر ودورها في الحد من ظاهرة التسول: دراسة تاريخية ١٩٢٤-٢٠١٠م

Legislative and Institutional Policies for Child Protection in Egypt and Their Role in Reducing the Phenomenon of Begging: A Historical Study(1924-2010)

م.د. هاجر مهدي خاطر

الجامعة العراقية-كلية التربية

البريد الالكتروني:za2239126@gmail.com

رقم الهاتف:٠٧٧٣٦٦٣٨٨٦١

السياسات التشريعية والمؤسسية لحماية الطفولة في مصر ودورها في الحد من ظاهرة التسول: دراسة تاريخية١٩٢٤-٢٠١٠م

م.د. هاجر مهدي خاطر

الملخص:

يعد هذا البحث دراسة تاريخية أكاديمية تناولت السياسات التشريعية والمؤسساتية لحماية حقوق الطفل في مصر، ودورها في الحد من ظاهرة التسول خلال الفترة الممتدة من ١٩٢٤ إلى ٢٠١٠م. ويسعى البحث إلى تتبع التطور التاريخي والمؤسسي الخاص بحماية حقوق الطفل، وتقييم مدى فاعلية هذه السياسات في معالجة ظاهرة التسول باعتبارها إحدى المشكلات المرتبطة بالفقر، كما يستعرض البحث تقديراً للسياقات المختلفة التي أثرت على تنفيذ هذه السياسات.

كلمات مفتاحية: التاريخ الاجتماعي في مصر، التاريخ التشريعي في مصر، ظاهرة التسول، القوانين المصرية، دراسة تاريخية.

Research Specialization: Researcher s Name: Hagar Mahdi Khater.
Academic Title: Lecturer,Ph.D.
Workplace: University of Iraq –College of Education .
Email: za2239126@qmail.com.
Phone Number:07736638861

Abstract:

This Study is a historical academic research that examines the legislative and institutional policies for the protection of children's rights in Egypt and their role in reducing the phenomenon of begging during the period from 1924 to 2010. The research aims to trace the historical and intuitional development of child protection and to assess the effectiveness of these policies in addressing begging, considering it as one of the problems associated with poverty. It also provides an evaluation of the various factors that have influenced the implementation of these policies.

Keywords : Social History in Egypt: Legislative history in Egypt: Begging Phenomenon: Egyptian Laws: Historical Study.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد :

تمثل حماية الطفولة أحد الركائز الأساسية لأي مجتمع يسعى لضمان استقراره ، إذ أن الطفل هو مستقبل الأمة وأساس بناء الشخصية الوطنية والأخلاقية. ومن هنا، جاءت التشريعات والسياسات المؤسسية كأدوات فاعلة لتنظيم المجتمع وحماية حقوق اطفاله، خصوصاً في مواجهة الظواهر السلبية كالفساد الاجتماعي والفقر والتسول، التي تهدد تنمية الطفل وسلامة مجتمعه.

يتناول هذا البحث دراسة شاملة للتطور التاريخي للتشريعات والسياسات المؤسسية الخاصة بحماية الطفولة في مصر في الفترة من ١٩٢٤م حتى ٢٠١٠م، مع التركيز على دورها المهم في الحد من ظاهرة التسول. كما يهدف البحث إلى تحليل مدى فاعلية هذه القوانين والمؤسسات، والكشف عن نقاط القوة والقصور في تطبيقها، فضلاً عن فهم العلاقة بين التشريع والتنمية الاجتماعية وتأثيرها على حياة الأطفال وأسرهم.

تكمن أهمية هذا البحث في تقديم إطار شامل يبرز كيفية تعامل الدولة المصرية مع حماية الطفولة، ويتيح دراسة أثر السياسات القانونية والاجتماعية في مواجهة تحديات التسول، وهو ما يساهم في صياغة سياسات مستقبلية أكثر فاعلية لضمان حقوق الأطفال وحمايتهم.

يتضمن البحث ثلاث محاور رئيسية، تسبقها مقدمة هدفت إلى بيان طبيعة ما جاء في الموضوع وبيان محتواه، وتلتها خاتمة اشتملت على أبرز الاستنتاجات:

المحور الأول: الإطار التاريخي والمؤسسي لحماية الطفل في مصر: يشمل دراسة إعلانات حقوق الطفل الدولية، بالإضافة إلى دراسة دور المجلس القومي للطفولة والأمومة في حماية حقوق الطفل.

المحور الثاني: الإطار التشريعي والدولي والتنموي لحماية الطفولة: يركز على التشريعات والمعاهدات الدولية بما في ذلك اتفاقية حقوق الطفل لعام ١٩٨٩، إلى جانب تحليل العقد الأول والثاني لرعاية الطفل.

المحور الثالث: التسول لدى الأطفال: الأسباب، التأثيرات، واستراتيجيات المعالجة: يتناول دراسة لظاهرة التسول في مصر بدءاً من عواملها وأنتهاءً بدور السياسات الحكومية، والمجتمع المدني في معالجة هذه الظاهرة.

مشكلة البحث: تتركز في غياب دراسة تاريخية تحليله ترصد تطور السياسات التشريعية والمؤسسية في مصر ودورها في الحد من ظاهرة التسول، بوصفها ظاهرة اجتماعية مهمة وخطيرة ذات أبعاد اقتصادية وثقافية.

أهمية البحث: تنبع من كونه يسلط الضوء على أحد أبرز التحديات الاجتماعية المعاصرة في مصر، وهو تسؤل الأطفال، من خلال تحليل التطور التاريخي للتشريعات والسياسات العامة التي تهدف إلى الحد من هذه الظاهرة السلبية، ودراسة مدى فعاليتها في تحقيق حماية حقيقية للطفولة.

أهداف البحث: يسعى إلى تحليل التطور التاريخي لتلك السياسات وبيان أثرها في الواقع الاجتماعي، مع رصد العلاقة بين التشريع والمؤسسات التنفيذية، وتحديد العوامل التي أسهمت في نجاح أو تعثر جهود الدولة في مكافحة التسول.

فرضيات البحث: يقوم على فرضية رئيسية مفادها أن تطور التشريعات والمؤسسات الحكومية في مصر كان له تأثير مباشر ورئيس في الحد من ظاهرة التسول بين الأطفال، وأن فعالية تلك الجهود ارتبطت بمدى التنسيق بين البعدين التشريعي والمؤسسي.

منهج البحث: تم اعتماد المنهج التاريخي التحليلي القائم على تتبع المراحل الزمنية لتطور التشريعات والسياسات، وتحليلها في ضوء الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة لكل مرحلة، مع الاستفادة من المنهج المقارن في تحليل النتائج.

حدود البحث:

الزمانية: تمتد من عام ١٩٢٤م حتى عام ٢٠١٠م، وهي فترة شهدت تحولات بارزة في التشريعات الاجتماعية والمؤسسات الحكومية.

المكانية: جمهورية مصر العربية بوصفها نموذجاً لتطور السياسات الاجتماعية في العالم العربي.

الموضوعية: يقتصر على السياسات التشريعية والمؤسسية المرتبطة بحماية الطفولة والحد من ظاهرة التسول، دون التوسع في سياسات الرعاية الاجتماعية الأخرى.

مصادر البحث: أعتمد على مجموعة من الكتب والمراجع الأكاديمية الرصينة التي تناولت موضوع السياسات الاجتماعية والتشريعات المصرية المتعلقة بحماية الطفولة، أضافة إلى عدد من الرسائل الجامعية التي ساعدت في دعم الجاني التحليلي والتاريخي للبحث.

المحور الأول

الإطار التاريخي والمؤسسي لحماية الطفل في مصر

خلق اللهُ الإنسانَ ليمكنه فِي الأرضِ، فَجَعَلَ وجوده ممزوجاً بِالطُّمُوحِ لِيَقُودَهُ إِلَى التَّقَدُّمِ. فَهُوَ يَسْعَى وَقَدَمَاهُ مثبتتان فِي الْوَاقِعِ، وَلَكِن بَصَرَهُ يتأمل الْمُسْتَقْبَلِ وإذا كان المستقبل في الكون آفاقًا، فهو في حياة الإنسان أطفالًا، فهم قادة الغد وحَمَلة الأمل .ولقد كانت هذه الحقيقة، محلَّ إدراك الإنسان منذ أن خرج من كهوف البدائية و ولج إلى أعتاب الحضارة(هرجه، ٢٠١٣م، ص٦٧).فإذا بالحضارة تبلور هذا الإدراك بإصدار إعلان لحماية الطفل في جنيف عام ١٩٢٤م[١](الباحثين،٢٠١٨م،ص٣٠٤ ؛ الزهرة، ٢٠٢٠م،ص٧٠)، وقد أصبحت له هيئة دولية هي هيئة الأمم المتحدة، تدافع عن حقوقه وقد قامت جمعية الأمم المتحدة، ممثلة في هيئتها العامة، بإصدار إعلان حقوق الطفل في ٣٠ تشرين الثاني عام ١٩٥٩م[٢](الغزاوي ، البرغوثي، ٢٠٠٨م، ص٢٦٧؛ هرجه، ٢٠١٣م، ص٦٧)، مستندة في ذلك إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[٣](الاعلان العالمي لحقوق الانسان، https://www.un.org). ليمثل أعلان جنيف البداية الأولى للاعتراف الدولي بأهمية حماية الطفل، حيث ركز على توفير الرعاية والحماية المطلوبة من المخاطر التي تهدد الطفولة. ومع مرور الوقت، برزت

الحاجة إلى توسيع مفهوم حماية حقوقه الأساسية كفرد له مكانة مستقلة في المجتمع. ومن هنا جاء إعلان حقوق الطفل عام ١٩٥٩م، ليحول التركيز من مجرد حماية للطفل الى اعتراف شامل بحقوقه الشاملة، ثم استمر النهج مؤكدًا هذه الحقوق في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، لتستمر هذه المسيرة حتى تم اعتماد اتفاقية حقوق الطفل، التي وافقت دول العالم على الانضمام إليها، ضمانًا لحماية حقوق الطفل وصون مستقبل الإنسان. ومن هنا نلتمس اهتمام كافة المجتمعات بهذه المرحلة المهمة من حياة الإنسان، فالطفولة من الفئات الأكثر ضعفًا، وتحتاج إلى حماية خاصة، إذ إن الأطفال غير قادرين على المطالبة بحقوقهم بأنفسهم. لذلك وجب اتخاذ كافة التدابير التشريعية وغير التشريعية لضمان استمتاعهم بحماية شاملة ورعاية كريمة .وتظهر قيادة المبادرات الحكومية في مصر الحديثة في الاهتمام بالطفولة. وكنتيجة لذلك، تم إنشاء مجالس وهيئات متخصصة لتكون ركيزة أساسية للعناية بالطفل وحماية حقوقه وضمان مستقبله. وقد أنشئ المجلس القومي للطفولة في عام ١٩٨٨م(عمر، الايباري، ٢٠٢٠م، ص١٠) بموجب القرار الجمهوري رقم ٥٤ لسنة ١٩٨٨م، وعُهد إليه منذ تأسيسه مسؤولية وضع السياسات ذات الصلة بحماية الأطفال وتطويرها في مصر، ليكون الذراع الرسمي للدولة في ضمان رعاية الطفولة وصون حقوقها.طبقاً لرؤية المجلس القومي للطفولة، فإن الأطفال هم سبيل تقدم الدولة. وعليه، فإن التعامل مع المشاكل التي تواجه الأطفال يستدعي البحث ضمن سياق عائلاتهم وبيئتهم الاجتماعية. وتعد هذه الأمور جزءًا لا يتجزأ من جهود المجلس في اتخاذ التدابير اللازمة لحماية حقوق الطفل وضمان تربيتهم في بيئة سليمة وآمنة. كما ركّز المجلس على الأطفال المحرومين والضعفاء، وخاصة الذين يعيشون في ظروف الفقر والعوز(الرشيدي، ٢٠٢١م، ص١٨٢-١٨٣). ومن منطلق تفعيل دور منظمات المجتمع المدني Civil Society Organization's[٤] المغاوري، دور منظمات المجتمع المدني في مكافحة عمالة الاطفال بمصر في ضوء الاتفاقيات الدولية لعمالة الأطفال، المجلة العلمية لكلية رياض الأطفال-جامعة المنصورة، مج٥، العدد: تشرين الأول ٢٠١٨م، ص٨٥)، وأهمية التنسيق بين الجهود الحكومية والأهلية، يسعى المجلس لضمان رعاية شاملة لهؤلاء الأطفال وتحقيق الهدف المنشود في حمايتهم وتنميتهم

ولم تكن مصر، التي عاشت تاريخها الطويل وتفاعلت مع قضايا العالم أجمع، غافلة عن توجيهاته الإنسانية تجاه الطفل(بدر، ٢٠٢٤م،ص١٢٢)، إذ نجد أساس هذا التوجه في دستورها. حيث تنص المادة العاشرة منه على أن الدولة تكفل حماية الأمومة والطفولة، وترعى الأطفال والشباب، وتوفر لهم الظروف المناسبة لتنمية قدراتهم وتحسين مهاراتهم. ويعكس هذا النص اهتمام مصر بتراثها العميق في صون حقوق الإنسان منذ الصغر، إذ يؤكد التشريع أنه لا انقسام بين الأمومة والطفولة في منهجهما التنموي. فالعناية بالأمومة تُعد الخطوة الأولى لرعاية الطفولة، وتشكل أساسًا جوهريًا لتأمين كفالة حقوق الطفل وحمايته إنسانيًا(هرجة، ٢٠١٣م، ص٦٨-٦٩).

جاء تشكيل هذا المجلس انطلاقا من السعي وراء النهوض بأوضاع الطفل وتحقيق متطلباته، وتتمثل أهم مهام المجلس في وضع خطة قومية للطفولة والأمومة بالعمل على أشتراك جميع الجهات المعنية بالطفولة إلى جانب الاستفادة بالخبرات المتخصصة لأعضاء اللجنة الفنية لرسم ملامح مشروع خطة الطفولة. وقد شكلت لهذا الغرض ثلاث وحدات تنظيمية: الأولى تضم خبراء اللجنة الفنية الذين يمتلكون خبرات في مجال التخطيط بوجه عام، وتخطيط قضايا الطفولة والأمومة بشكل خاص. أما الثانية فتتكون من ممثلين عن الوزارات المعنية ليكونوا بمثابة وسيلة اتصال بين المجلس وبين هذه الوزارات، بينما تضم الثالثة صفوة من المفكرين والخبراء المتخصص في قضايا الطفولة(حافظ،٢٠٠٥م،ص١٨).

وطبقاً لقرار أنشائه، يباشر المجلس مهامه التي أنشئ من أجلها، والمتمثلة في وضع سياسة شاملة للسلطة القومية في مجالات رعاية الطفولة، واقتراح البرامج الثقافية والإعلامية، فضلاً عن التعاون مع المنظمات الحكومية وغير الحكومية في مجال الطفولة على المستويين الإقليمي والدولي، والمشاركة في تمثيل مصر في اتفاقيات المعونة والمساعدات التي تقدمها الدول والهيئات المختلفة(الرشيدي، ٢٠٢١م،ص١٨٣).

وبذلك يمكن القول إن الانتقال من دور المجلس القومي للطفولة إلى دور منظمات المجتمع المدني يعكس مدى التطور في حماية حقوق الطفل من مجرد أطار رسمي إلى تطبيق عملي على الأرض. فبينما كان المجلس يركز على التشريعات والسياسات الوطنية،

برزت منظمات المجتمع المدني لتكمل هذا الدور خلال ما قدمته من مبادرات توعية، بما يضمن تلبية احتياجات الطفل وحمايته من الانتهاكات وضمان حياة كريمة له.

وبذلك، فأن إنشاء المجلس لم يكن مجرد إجراء تنظيمي، بل خطوة مهمة جسدت عزم الحكومة المصرية والتزامها لضمان حقوق الطفل والأم، وشكل انطلاقة محورية في مسار الاهتمام الرسمي بقضايا الأمومة والطفولة في مصر.

المحور الثاني:

الإطار التشريعي والدولي والتنموي لحماية الطفولة

غدت قضية الأطفال من القضايا الرئيسية التي يعطى لها أهمية من قبل المجتمع الدولي ، حيث أقرت منظمة الأمم المتحدة اتفاقية خاصة بحقوق الطفل أقرت بالأجماع في تشرين الثاني ١٩٨٩م، وتعد الاتفاقية الأولى التي حظيت بهذا الأجماع حيث صادقت عليها غالبية الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ما عدا الولايات المتحدة الأمريكية(أسماعيل، ٢٠١٤م، ص١١٥).

ويجدر بنا القول بأن مصر لم تكن بمعزل عن التطورات الحاصلة على صعيد حقوق الأنسان، فلم تتوان في أن تكون طرفاً في الاتفاقيات الدولية لحقوق الأنسان(الديربي، ٢٠١١م،ص٩٣) .

ومن منطلق المادة ١٥١من الدستور المصري لعام ١٩٧١م بأن:" **رئيس الجمهورية يبرم المعاهدات ويبلغها إلى مجلس الشعب مشفوعة بما يناسب من البيان، وتكون لها قوة القانون بعد ابرامها والتصديق عليها ونشرها وفقا للأوضاع المقررة.....** "(القهوجي،١٩٩٧م،ص٢-٢٦).

ولقد صدقت مصر ووقعت على الاتفاقيات الدولية الخاصة بالطفل، وذلك يكفل نوع من الحماية للطفل ضد خطر الاستغلال، حيث تدخل بذلك هذه الاتفاقيات ضمن القانون الوطني الداخلي للدولة، ويكون لها قوة القانون ويتم تطبيقها في حالة التعارض فيما بينهم لأنها أعلى درجة من القانون الداخلي، ومن هذه الاتفاقيات اتفاقية حقوق الطفل ١٩٨٩م التي ألزمت في المادة ١١ منها" **الدول الأطراف في الاتفاقية اتخاذ التدابير المناسبة**

لمكافحة نقل الأطفال في الخارج وعدم عودتهم بصورة غير مشروعة" ، وتدعو الفقرة الثانية من هذه المادة الأطراف إلى عقد الاتفاقيات الدولية أو الانضمام إلى الاتفاقيات القائمة التي تحقق هذا الغرض، وبتصديق مصر على هذه الاتفاقية أصبحت ملزمة باتخاذ التدابير الواردة فيها(يونس، ٢٠١٥م،ص٤٦٤)، صادقت عليها غالبية الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بشكل كامل أو جزئي وقد وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على ادراج الاتفاقية ضمن القانون الدولي في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٨٩م لتدخل حيز التنفيذ في ٢ أيلول ١٩٩٠م. تتمحور الاتفاقية في عدم التميز بين الأطفال في الحقوق على جميع المستويات، ومراعاة مصلحته الفضلى، الحق في الحياة، إضافة إلى حقه في التعبير وابداء الرأي. للاتفاقية ثلاثة البروتوكولات. فالأول يتعلق بشأن أشتراك الأطفال في المنازعات المسلحة، والثاني بشأن بيع الأطفال واستغلالهم في البغاء، أما الثالث فيتعلق ببيان إجراءات تقديم شكوى من طرف أي طفل اعتدي على حقوقه أمام لجنة حقوق الطفل، لتكون الاتفاقية مجموعة متكاملة لمختلف الحقوق والحريات الأساسية للطفل(شني، ٢٠١٥م،ص١١٨-١١٩).

تزايد الاهتمام العالمي بحقوق الطفل عقب الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل عام ١٩٨٩م، تلاها انعقاد مؤتمر القمة العالمي للطفولة والذي عقد تحت أشراف هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٩٠م، وقد أنعكس هذ الاهتمام على جمهورية مصر العربية، حيث جرى اعلان السنوات العشر الممتدة من عام ١٩٨٩م إلى عام ١٩٩٩ عقداً لحماية الطفل المصري ورعايته(الحميد، ٢٠١٢م، ص٢٢٦-٢٢٧)، ويتضمن هذا العقد تسعة بنود رئيسية، خصصت البنود الأربعة الأولى منها لحماية الطفل وسلامته، بينما ركز البند الخامس منه على مواصلة الجهود المبذولة لخفض معدلات وفيات الامهات أثناء الولادة، كما أولى البندان السادس والسابع عناية خاصة برعاية الطفل من الناحية العلمية والثقافية، ويطالب البند الثامن ضرورة توفير الساحات الرياضية وأماكن الترقية داخل المدارس والأحياء التي تفتقر الى هذه المرافق على أن يتحقق ذلك قبل نهاية عام ١٩٩٩م، أما البند التاسع فقد تناول الرعاية الشاملة للأطفال في مختلف المجالات(أسماعيل، ٢٠٠٩م،ص٧١؛ الهطالي، ٢٠١٤م، ص٣٢٨).

ورغم ما تضمنه عقد حماية الطفل من أهداف، الا ان هناك تحديات مجتمعية حالت دون تحقيقها بشكل كامل، ومن أبرزها ظاهرة التسول، التي عدت أحدث اشكال الاستغلال لحقوق الطفل حيث يحرم الاطفال المتسولون من كافة حقوقهم، ويدفعون إلى ممارسة انشطة تهدد نموهم السليم، ومن هنا أصبحت مواجهة ظاهرة التسول جزءاً من الجهود المبذولة من قبل الدولة ومؤسساتها لحماية الطفولة في مصر، سواء عبر السياسات الاجتماعية أو التشريعات التي تحد من هذه الظاهرة(العاملة، ٢٠١٨م، ص٧؛ الحجاج، ٢٠٢٠م، ص١١٧).

وسارعت مصر بسن تشريع متكامل لمواجهة هذه الظاهرة ولحماية حقوق الطفل، وهو القانون رقم ١٢ لعام ١٩٩٦م، والذي تم تعديله بالقانون رقم ٢٠٠٨/١٢٦م، ونصت المادة ١٢٤ منه أن المجلس هو الجهة المعنية باقتراح السياسات العامة في مجال الطفولة والأمومة، وهي حزمة حقوقية متكاملة لضمان حق كل طفل مصري بدون تمييز في كافة الأمور المتعلقة به(العشماوي، ٢٠١٧م، المجلس القومي للطفولة والأمومة النشأ وآليات العمل، highs studies.sis.gov.eg).

وبهذا يمكن القول ان الانتقال من التشريعات الدولية إلى القانون المصري يعكس مسار التطور التشريعي من الاعتراف الرمزي بالطفل وصولاً الى الحقوق الشاملة في الاعلانات الدولية، وصولاً الى الوثائق المصرية الخاصة بحقوق الطفل، ليؤكد وعي الحكومة المصرية بأهمية دمج المعايير الدولية في التشريع المحلي لحماية الطفل وحقوقه.

ومن الانجازات التي تحسب لرعاية الطفولة، اصدار وثيقتين هامتين لحماية الطفولة في مصر، أولاهما العقد الأول لرعاية الطفل المصري(١٩٨٩-١٩٩٩م)، وثانيهما وثيقة العقد الثاني(٢٠٠٠-٢٠١٠م) لذات الطفل ، ولعل هاتان الوثيقتان جنب إلى جنب مع قانون الطفل، يعدوا من الأعمال الوطنية الخالصة التي تهدف الى حماية فئة لا تقوى على حماية نفسها، وهم الاطفال(بدران ،عمار، ٢٠٠٩م، ص١١٣).

قامت مصر بالعديد من الإنجازات لصالح الطفل على أرض الواقع وفاءً لما قطعته على نفسها بالوثيقتين سالفتي البيان وما ترتب في كنفها من التزام بموجب اتفاقية الطفل، ومن هذه المنجزات توفير الرعاية الصحية المتكاملة للأطفال حيث تم التوسع في الوحدات

التي تقوم بخدمات رعاية الأمومة والطفولة، مما ترتب عليه انخفاض معدل وفيات الأطفال، وعلى صعيد التعليم كفلت الدولة مجانية التعليم خاصة في مرحلة التعليم الأساس، أما على صعيد ثقافة الطفل وفرت الدولة بيئة ملائمة للطفل لمزاولة الأنشطة الثقافية والفنية من خلال مشروع مكتبة الاطفال، ولم تغفل الدولة عن الاطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة ضمن خططتها الخاصة برعاية الأطفال، حيث تعمل على الارتقاء بوسائل مقاومة الامراض التي تسبب المرض مع عمل دراسات ميدانية في بعض المحافظات بحجم وأسباب امراض ذوي الاحتياجات الخاصة لتحديد الاحتياجات اللازمة للنهوض بالطفل ودمجه في المجتمع(محمود، ٢٠١٦م، ص٧٠-٧٤؛ الديربي، ٢٠١١م، ص٥٧٣).

رغم التطور التشريعي الملحوظ في مصر، إلا أن الواقع الاجتماعي يعكس فجوة بين النصوص القانونية وتطبيقها العملي متمثلة بظاهرة التسول التي تكشف الحاجة لتعزيز آليات الرقابة والتنفيذ، وربط الجهود التشريعية بالممارسات الواقعية وحماية الاطفال منها.

المحور الثالث

التسول لدى الأطفال: الأسباب، التأثيرات، واستراتيجيات المعالجة

١- التسول وأشكاله في المجتمع المصري:

يتعرض الأطفال في الشوارع لمختلف أنواع الاستغلال، حيث يفرض الشارع قوانينه على أفراده، ويكون لكل منطقة قائدها الخاص الذي يتولى شئونها، وغالباً ما يعرض وجود الاطفال في الشارع للقسوة والانتهاك النفسي والجسدي، فضلاً عن استغلالهم في أعمال غير قانونية مثل "**التسول**" الذي يعد من انماط السلوك الاجتماعي غير المتوافق مع المعايير الاجتماعية، كما ينظر اليه على أنه جريمة بحق النفس، لكونه صورة من صور التشرد ووسيلة غير مشروعة وسهلة للعيش، ويعود أصل الكلمة في اللغة العربية الى الفعل "**تسأل**" ومنه "**التسؤل**" اي الالحاح في السؤال، أما اصطلاح الكلمة فهي طلب الصدقة في الاماكن العامة(الصفتي، ٢٠٢٣م، ص١١٤-١١٥؛ أخرون، ٢٠١٨م، ص١١).

كما يعرف التسول بأنه سلوك مذل أمام الأخرين لكسب عطفهم بغية الحصول على المال، سواء بطلبه مباشرة او بإظهار عاهات جسدية مصطنعة أو طبيعية، أو بارتداء

ملابس رثة، وضمن هذا السياق يستغل ضعاف النفوس حاجة الاطفال فيدفعونهم نحو هذه الاعمال كوسيلة سهلة لكسب الربح وجني الأموال، بل قد تمارس بعض الأسر هذه الأعمال مستغلة أبناءها، الأمر الذي يجعل ظاهرة التسول أحد أبرز صور الاستغلال التي نصت القوانين المصرية على تجريمها واعتبارها من مظاهر تعرض الطفل للخطر(فوزي، ٢٠١٤م، ص٢٣-٢٤).

ومع تفشي ظاهرة التسول، يصبح من الضروري معرفة الأسباب التي تدفع هؤلاء الاطفال إلى ممارسة التسول لفهم جذوره ومعالجتها بشكل فعال.

٢-العوامل المسببة لانتشار التسول بين الأطفال في مصر:

هناك عدد من العوامل التي تدفع الفرد إلى ممارسة التسول، وهي كالتالي:

١: العوامل الشخصية أو الذاتية:

وهي العوامل المنبثقة من الفرد المتشرد نفسه، والتي تشمل الخصائص الفردية المتمثلة في مجموعة الظروف المتصلة بشخصية الفرد، ومنها الصفات المتعلقة بصفات الأعضاء ووظائفها، وخصوصاً الاضطرابات الذي تؤثر على وظائفها، والتي يكون لها تأثير مباشر أو غير مباشر على سلوك الفرد، ونذكر منها:

التكوين الغددي وعدم توازن افرازات الغدد: وفي هذا الشأن يعتبر لويس برمان Louis Berman أول من تطرق إلى ذكر تأثير افرازات الغدد الصماء على السلوك الانساني، وذلك في كتابه الغدد المنظمة للشخصية، حيث تفرز هذه الغدة هرمونات كيمياوية تساعد على النمو الجسمي والعقلي للفرد، وبالتالي فأن اضطراب معدل الافراز بالزيادة او النقص يحدث اضطراباً في النمو الجسمي والعقلي للفرد، وبالتالي فان الخلل في وظائف الغدد يظهر تأثيره جلياً على الحالة النفسية والعصبية للفرد، ويؤثر على سلوكه ويجعله غير سوي، لذا فأن تأثير الغدد الصماء يكون واضحاً ومؤدياً الى التسول اذا تواجدت معه عوامل أخرى، مثل الأمراض المزمنة والتشوهات الخلقية والإعاقات الظاهرة وانخفاض مستويات الذكاء وضعف الثقة في النفس وحب التبعية واستغلال الآخرين والكسب السريع بدون جهد... (أحمد، ٢٠٢٥م، ص٤).

٢: العوامل الاجتماعية: ومن أبرز تلك العوامل ما يلي :

التفكك الأسري الذي يؤدي إلى التوتر والخلافات التي تساعد وتدفع للتسول، والتسرب الدراسي الذي يؤدي الى انخراط الطلاب في أعمال أخرى كالتسول، والإعاقة وهي التي تحد من قدرة الفرد على القيام بوظيفة واحدة او أكثر فتحد من الاكتفاء الذاتي وهذا ما يدفعهم الى ممارسة التسول.

٣: العوامل الاقتصادية: منها الفقر والبطالة، وقلة دخل الأسرة، والتهجير القسري(أحمد، ٢٠٢٥م، ص٤٧٦-٤٧٩).

٤: العوامل الدينية:- ويمثل الدين أحد العوامل الأساسية التي ترتبط بفعل الصدقة، حيث يبرز كعامل محفز لتقديم الصدقة، كما إنه قد يرتبط هذا الشعور بالواجب الديني أو جلب البركة أو الخوف من الدعوة المضادة للمتسولين، وبالتالي أصبح السعي لدى البعض لإرضاء هؤلاء المتسولين بالإحسان إليهم، سواء بإعطائهم المال أو الملابس كسبيل للخلاص وتطهير الذات، ونتيجة لذلك يمكن القول بوجود علاقة السببية بين الأوضاع الطبقية للمتصدقين وبين حجم ممارسة فعل الصدقة من جهة، ومن جهة أخرى نجد المتسولين يدركون تأثير هذا العامل على المتصدق، فيحاول الإكثار من الأدعية، ويتضح من هذا أن فعل الصدقة بين المتسولين والمتصدقين يزداد بكثير فهم يتعاطفون مع المتسولين سواء من كبار السن أو المعاقين أو الأصحاء، ويزداد تعاطف المتصدق مع المتسول الذي يعاني من إعاقة مماثلة لإعاقته(الدش،٢٠١٤م،ص١١-٢١).

تتعدد عوامل التسول، الأمر الذي يمهد لظهور أشكال وأنواع مختلفة من التسول، ففهم هذه العوامل يسهل تصنيفها وتحديد طرق معالجتها بشكل فعال.

٣-أنواع التسول:-

تتعدد انواع التسول على حسب سلوك المتسول وطرائقه المختلفة في أمتهان هذه الظاهرة التي تتعارض مع الذوق العام وكرامة الأنسان، فحينما تمارس على المجتمع تتخذ الأشكال التالية:

١-**التسول الظاهر:** وهو التسول المباشر المعلن، اي يمارس بصورة علنية وحريصة، فهذه الصورة تمارس في القلب من ممتهني التسول حيث يقوم المتسول في ممارسة التسول الظاهر والعلني عن طريق الاستعطاف والتلفظ بعبارات تؤثر على شعور الناس(حبتور٢٠٢٣م، ص٢٠).

٢-**التسول غير الظاهر:** وهو التسول غير الظاهر، ويسمى بالتسول الخفي بحيث يختفي المتسول في طلب الصدقة وراء عمل يعد من الأعمال المشروعة أو عن طريق عرض أياء رخيصة كبيع المناديل(العمراني، ٢٠٢٣م، ص١٦).

٣-**تسول عارض:** وهو تسول نتيجة عوز طارئ، سواء كان ظاهر أم مستتر، كما في حالة الطرد من الأسرة أو كان المتسول ضال في طريقه أو فقد نقوده في السفر(إسماعيل،٢٠١٣م، ص١٨٣).

٤-**تسول موسمي:** وهو تسول وقتي يمارس فقط في المناسبات والمواسم، كما في الأعياد والمناسبات الدينية كشهر رمضان(طربية،٢٠١٤م، ص١٥٣).

وبعد أن تبين لنا أنواع التسول وأساليبه، يبرز السؤال الأهم: ما النتائج المترتبة على هذه الظاهرة، ومدى انعكاسها على الفرد والمجتمع.

٣-تأثير ظاهرة التسول على الفرد والمجتمع:

١-النفسية والاجتماعية:

يؤكد بعض العلماء مثل الدكتور مختار عبد الرحيم مرزوق أستاذ التفسير بجامعة الأزهر أن التسول غالباً تحايل وليس عجزاً نفسياً، كما أكد الدكتور عبد الحليم منصور عميد كلية الشريعة في جامعة المنصورة أن المتسولين يستخدمون التسول وسيلة رزق ولا علاقة له بالمرض النفسي، حيث يصاب بحالة من الذل لأنه لا يأخذ حاجته من الأخرين إلا بعد احتقارهم له، ومتى يصاب الأنسان بالذل ويعتاد عليه، فأنه سيصاب بالذل والهوان ، وصار سجينه ولا يستطيع العيش الا في هذ الجو من الهوان ، ومن هنا تنتقل الظاهرة من أطارها النفسي إلى الاجتماعي حيث تتجمع أموال ضخمة وتتركز في يد فئة غير واعية مما يؤدي إلى تعزيز الظواهر الاجتماعية السلبية الشاذة في المجتمع مثل تعاطي المخدرات وغيرها من

مظاهر الانحراف الاخلاقي، فضلاً عن انتشار ظاهرة اطفال الشوارع، وهو ما يؤثر على مستقبلهم فهم أشبه بالورقة البيضاء التي يظهر فيها أدنى درجات الألوان المستخدمة، بمعنى قابلية الطفل للتعلم واكتساب العادات بسهولة كبيرة، وما أن يتعلم الطفل التسول فيترسخ في ذهنه ، وبالتالي تصبح عادة يصعب التخلص منها(حمودة، ٢٠١٣م، ص٦).

بعد أن تبين ان ظاهرة التسول لا ترتبط بالحالة النفسية بقدر ما هي سلوك اجتماعي مكتسب، فأنها سرعان ما تتجاوز هذا الإطار لتنعكس على الجانب الاقتصادي.

٢- الاثار الاقتصادية للتسول:-

يمثل التسول نشاط غير قانوني لما له من أثار سلبية على الاقتصاد القومي، حيث ان المتسول يمثل عبئاً على الاقتصاد القومي، حيث أن المتسول يمثل عبئاً على الاقتصاد لان إجمالي مساهمته تصل الى الصفر، مع تحول ظاهرة التسول إلى مهنة للحصول على المال والأرباح دون جهد فهذا سيكون له تأثير سلبي على الدخل الفردي ويمثل عبء على المجتمع، كما يؤثر على الحركة الاقتصادية في الدولة حيث يعيش عد من الافراد عالة على باقي أفراد المجتمع مما يعرقل تحقيق التنمية الاقتصادية، كما أن لظاهرة التسول تأثير سلبي على السياحة أذ يؤدي انتشارهم في الأماكن السياحية بشكل غير حضاري إلى نفور السائحين وعدم قدومهم الى مصر مرة أخرى، مما يترتب عليه فقدان الموازنة العامة للدولة لمصدر من مصادر الدخل، وهي الإيرادات السياحية مع ارتفاع تكاليف ملاحقة المتسولين بنحو ٣٠٠ الف دولار(حسن، ٢٠١٧م، ص٦٧).

وبعد استعراض اثار التسول على مختلف المستويات، يصبح من الضروري الانتقال إلى السبل الكفيلة لمواجهة هذه الظاهرة والحد من انتشارها، فلا يقتصر التعامل معها على رصد النتائج فقط بل وضع استراتيجيات علاجية متكاملة.

٥-استراتيجيات علاج ظاهرة التسول:-

أما بشأن علاج ظاهرة التسول، فهناك عدة مستويات يمكن من خلالها طرق باب الحل. فبداية، تعد مشكلة الأطفال بدون مأوى هي السبيل الأساسي لتجفيف منابع التسول، لاسيما وأن عظم المتسولين أما أطفالاً أو يصحبوا معهم الأطفال بغية استعطاف الناس.

هنا تأتي دور وزارة التضامن ومؤسسات المجتمع المدني في التغلب على تلك الظاهرة من خلال دور الرعاية الاجتماعية، وإقامة الندوات والمؤتمرات بما يكفل الحد من تلك المشكلة. أمر أخر يتصل بالأطفال وهو أهمية إعادة دمج المتسربين منهم من التعليم، لكون هؤلاء مادة جاهزة ومعدة جيداً للتسول، وهنا يبدأ دور الدولة ممثلاً في وزارة التعليم، وكذلك وسائل التنشئة الاجتماعية والتوعوية وعلى رأسها الإعلام، إلى جانب ذلك هناك الشأن القانوني والتشريعي المهم(ظاهرة التسول والوسائل الكفيلة للحد منها،: masr360.net ,2023//4/25 https:)، حيث يتبين أن القانون المجرم للتسول، القانون ٤٩ لسنة ١٩٣٣م، المؤلف من ٨ مواد، قانون يتسم بالقدم الشديد وهو ما جعل الأحكام التي اشتمل عليها لتجريم التسول مخففة إلى حد كبير. إذ تتراوح بين الحبس شهر إلى ستة أشهر، ولا يقرر القضاة عادة أي عقوبة في المرة الأولى من الاتهام، وقد رفع القانون رقم ١٩٤٩/١٢٤ فيها الطفل مشرداً إذا انطبقت عليه الحالات الخاص بالأحداث المشردين السن الذي يعد فيها الطفل مشرداً إذا انطبقت عليه الحالات التي وردت بنص المادة الأولى من القانون السابق ومنها حالة التسول، وبذلك عدل من نص قانون التسول المشار إليه، وأصبح العقاب المقرر بمراقبة سلوكه، وقد أحسن هذا القانون عندما نص على ذلك. ونص القانون رقم ٧٦/٩ الخاص بشأن الأحداث الجانحين والمتشردين في المادة ٣ على أن : التسول أو ممارسة عمل لا يصلح مورداً جيداً للعيش فيعد إحدى حالات الانحراف والتعرض للخطر(يونس،٢٠١٥م، ص٢٤٦-٢٤٧). اليوم وقد تغيرت الظروف، فأصبح من المهم الاستفادة من التطورات البيئية والتشريعات القائمة، ومن ذلك اعتبار التسول عبر الأطفال من الأمور التي تدخل ضمن تشريعات الإتجار بالبشر، ما يجعل العقوبات فيها مشددة بشكل كبير، خاصة وأنه يكشف في كل مرة أن الكثيرين من المقبوض عليهم أصبحوا نتيجة ذلك العمل أثرياء(ظاهرة التسول والوسائل الكفيلة للحد منها،: masr360.net ,2023//4/25 https:).

وبهذا يمكن القول إن علاج ظاهرة التسول لا يتحقق بالمعالجات وحدها، بل برؤية شاملة تقوم على العدالة الاجتماعية، وتمكين الفئات الفقيرة في المجتمع المصري، مع تسليط

الضوء على أهمية تعاون الحكومة المصرية مع المجتمع لبناء مجتمع سليم ونقي من الظواهر السلبية كافة.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج :

- أن التشريعات المصرية لحماية الطفولة في مصر شهدت تطوراً تدريجياً على امتداد السنوات من ١٩٢٤م حتى ٢٠١٠م، حيث تضمنت نصوصاً لضمان حقول الطفل وتجريم التسول في مصر.
- أهمية دور المؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني في وضع سياسات تحد من التسول.
- ساهم انضمام مصر الى اتفاقية حقوق الطفل عام ١٩٨٩م، في تحديث التشريعات بما يتوافق مع الاتفاقيات الدولية.
- ارتباط ظاهرة التسول بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية مثل التفكك الأسري والفقر والبطالة، وغيرها.
- الفترة الممتدة من عام ١٩٢٤م إلى ٢٠١٠م أرست قاعدة يمكن الاعتماد عليها لمواجهة ظاهرة التسول في مصر وحماية حقوق الطفولة.

المصادر: Reference

- حمودة، ابراهيم أحمد أحمد،(٢٠١٣م)، تأثير ظاهرة التسول على صناعة السياحة في مجلة، مجلة أتحاد الجامعات العربية للسياحة، العدد ٢.
- حجاج، أبراهيم عبد المحسن،(٢٠٢٠م)، الرعاية الاجتماعية: تشريعات وخصائصها، دار التعليم الجامعي .
- بدر، أحمد،(٢٠٢٤م)، المرأة في مواجهة تحديات العمل والأسرة، العربي للنشر والتوزيع.
- رشيدي، أحمد،(٢٠٢١م)، حقوق الأنسان: دراسة مقارنة في النظرية والتطبيق، مكتبة الشروق الدولية.

- حافظ، أماني عبد المحسن،(٢٠٠٥م)، الإعلام والمجتمع: اطفال في ظروف صعبة ووسائل أعلام مؤثرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع.
- المغاوري، انتصار السيد، (٢٠١٨م)،دور منظمات المجتمع المدني في مكافحة عمالة الأطفال، المجلة العلمية لكلية رياض الأطفال، مج٥، عدد تشرين الأول.
- محمود، أيمان،(٢٠١٦م)، ضحايا ومذنبون، وكالة الصحافة العربية.
- الهطالي، جابر بن خلفان بن سالم،(٢٠١٤م)، العولمة وتأثيرها على النظم القانونية في الأقطار العربية، بورصة الكتب للنشر والتوزيع.
- الأيباري، حسام سمير عمر وفاطمة عبد العال السيد،(٢٠٢٠م)، التطور التاريخي للمواثيق الدولية والمحلية حول حقوق الطفل، مجلة كلية رياض الأطفال، مج١، العدد١.
- أخرون، حوراء محمد جمزة،(٢٠١٨م)، ظاهرة التسول لدى النساء وعلاقته ببعض المتغيرات الاجتماعية، كلية الآداب- جامعة القادسية.
- إسماعيل، ريم عبد الوهاب،(٢٠١٣م)، ظاهرة تسول الأطفال: دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الموصل، دراسات موصلية، العدد ٤٢.
- يونس، صلاح رزق عبد الغفار،(٢٠١٥م)، جرائم الاستغلال الاقتصادي، دار الفكر والقانون.
- الحميد، صلاح محمود عبد، (٢٠١٢م)، الاعلام والطفل العربي، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.
- حسن، عزت ملوك قناوي، (٢٠١٧م)، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، مج١، العدد١.
- الديربي، عبد العال، (٢٠١١م)، حقوق الأنسان، المركز القومي للإصدارات القومية.
- البرغوثي، عصام الغزاوي وبشير شريف، (٢٠٠٨م)، دعوى نزع الجنسية بين الحقائق والقانون، المملكة الوطنية.

- القهوجي، علي عبد القادر، (١٩٩٧م)، المعاهدات الدولية أمام القضاء الجنائي، دار الجامعة الجديدة.
- الزهرة، فغول، (٢٠٢٠م)، المسؤولية الدولية والاقليمية لحماية حق الطفل في ضوء المتغيرات الدولية بين النظري والتطبيقي، دار غيداء للنشر والتوزيع.
- الصفتي، فاتن فايز حميدة،(٢٠٢٣م)، الاتجار بالبشر: تقييم سياسات المكافحة، العربي للنشر والتوزيع.
- حبتور، فهد هادي،(٢٠٢٣م)، مكافحة الإسلام لظاهرة التسول، دار الأندلس للطباعة.
- طربية، مأمون،(٢٠١٤م)، السلوك الاجتماعي في الجماعات غير المنظمة: رؤية علمية في دينامية الجماعات وأشكالها، دار النهضة العربية.
- الباحثين، مجموعة، (٢٠١٨م)، الحرب وقيودها الأخلاقية: مقارنات بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي الإنساني، ترجمة: رضا الدين وآخرون، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
- أسماعيل، محمد صادق، (٢٠١٤م)، دور الأسرة في اعداد القائد الصغير، المجموعة العربية للتدريب.
- ــــــــــــــــ،(٢٠٠٩م)، حقوق الانسان في الوطن العربي: إشكاليات معاصرة: المرأة–أطفال الشوارع– حقوق الشباب، العربي للنشر.
- الدش، محمد أحمد محمد، (٢٠١٤م)، مكافحة الإسلام لظاهرة التسول، دار الأندلس للطباعة.
- أحمد، مروة مصطفى محمد،(٢٠٢٥م)، أسباب انتشار ظاهرة التسول ونتائجها على المجتمع المصري: دراسة تحليله، مجلة كلية الآداب، ج٢، العدد٧٦.
- فوزي، مصباح،(٢٠١٤م)، التسول من منظور القانون الوضعي والشريعة الاسلامية، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، ج٢، العدد٧٦.

- شني، ميلود،(٢٠١٥م)، الحماية الدولية لحقوق الطفل (رسالة ماجستير غير منشورة)،جامعة محمد خيضر –بسكرة.
- عمار، شبل بدران وحامد،(٢٠٠٩م)، التربية المدنية والتعليم والمواطنة وحقوق الأنسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- العاملة، وزارة القوى،(٢٠١٨م)،الخطة الوطنية لمكافحة اسوأ اشكال عمل الأطفال في مصر ودعم الأسرة ٢٠١٨-٢٠٢٥م.
- العمراني، هويمل بن محيسن سلمان،(٢٠٢٣م)، قاعدة سد الذرائع وأثرها في مكافحة التسول: دراسة تأصليه مقارنة بالنظام السعودي، مجلة أبحاث، مج١، العدد٤٢.

ترجمة قائمة المصادر:

1. Hammouda, Ibrahim Ahmed Ahmed. (2013). The impact of begging on the tourism industry. Journal of the Arab Universities Union for Tourism, No. 2.

2.Haggag, Ibrahim Abdel Mohsen. (2020). Social welfare: Legislations and its characteristics. Dar Al-Taaleem Al-Jamei.

3.Badr, Ahmed. (2024). Women facing the challenges of work and family. Al-Arabi Publishing & Distribution.

4.Rashidi, Ahmed. (2021). Human rights: A comparative study in theory and practice. El-Shorouk International Library.

5.Hafez, Amani Abdel Mohsen. (2005). Media and society: Children in difficult circumstances and influential media. Alam Al-Kutub Publishing & Distribution.

6.Al-Maghawry, Intissar El-Sayed. (2018). The role of civil society organizations in combating child labor. Scientific Journal of the Faculty of Kindergarten, Vol. 5, October issue.

7.Mahmoud, Eman. (2016). Victims and culprits. Arab Press Agency.

8.Al-Hatali, Jaber bin Khalfan bin Salem. (2014). Globalization and its impact on legal systems in Arab countries. Bursa Al-Kutub Publishing & Distribution.

9.Al-Aybari, Hossam Samir Omar & Fatma Abdel-Aal El-Sayed. (2020). The historical development of international and local conventions on child rights. Journal of the Faculty of Kindergarten, Vol. 1, No. 1.

10.Akharoun, Houra Mohammed Jamza. (2018). The phenomenon of women's begging and its relation to some social variables. Faculty of Arts – University of Al-Qadisiyah.

11.Ismail, Reem Abdel Wahab. (2013). The phenomenon of child begging: A field social study in Mosul city. Mosul Studies, No. 42

12.Younis, Salah Rizq Abdel Ghafar. (2015). Crimes of economic exploitation. Dar Al-Fikr wa Al-Qanoun.

13.Al-Hameed, Salah Mahmoud Abdel. (2012). Media and the Arab child. Tiba Publishing & Distribution.

14.Hassan, Ezzat Molouk Qenawy. (2017). Arab Journal of Sciences and Research Publishing, Vol. 1, No. 1.

15.Al-Deirby, Abdel Aal. (2011). Human rights. National Center for National Publications.

16.Al-Barghouthi, Essam Al-Ghazawi & Bashir Sharif. (2008). Revocation of nationality between facts and law. National Kingdom.

17.Al-Qahwaji, Ali Abdel Qader. (1997). International treaties before criminal courts. Dar Al-Jameaa Al-Gadida.

18.Al-Zahra, Fghoul. (2020). International and regional responsibility to protect the child's right in light of international changes between theory and practice. Ghaidaa Publishing & Distribution.

19.Al-Safty, Faten Fayez Hamida. (2023). Human trafficking: Evaluation of counter policies. Al-Arabi Publishing & Distribution.

20.Habtour, Fahd Hadi. (2023). Islam's fight against begging. Dar Al-Andalus for Printing.

21.Tabbariyah, Mammon. (2014). Social behavior in unorganized groups: A scientific vision of group dynamics and their forms. Dar Al-Nahda Al-Arabiya.

22.Researchers Group. (2018). War and its ethical constraints: Comparisons between Islamic jurisprudence and international humanitarian law. Translation: Reda Eddin et al., Center for Civilization for the Development of Islamic Thought.

23.Ismail, Mohammed Sadiq. (2014). The role of the family in preparing the young leader. Arab Group for Training.

24._____ (2009). Human rights in the Arab world: Contemporary issues: Women – street children – youth rights. Al-Arabia Publishing

25.Al-Dash, Mohammed Ahmed Mohammed. (2014). Islam's fight against begging. Dar Al-Andalus for Printing.

26.Ahmed, Marwa Mustafa Mohammed. (2025). Causes of the spread of begging and its effects on Egyptian society: An analytical study. Journal of the Faculty of Arts, Vol. 2, No. 76.

27.Fawzy, Misbah. (2014). Begging from the perspective of positive law and Islamic Sharia. Al-Hikma Journal for Social Studies, Vol. 2, No. 76.

28.Cheni, Miloud. (2015). International protection of child rights (Unpublished Master's thesis). Mohamed Khider University – Biskr.

29.Ammar, Shibl Badran & Hamed. (2009). Civic education, teaching, citizenship and human rights. Egyptian General Book Organization.

30.Ministry of Manpower. (2018). National plan to combat the worst forms of child labor in Egypt and support the family (2018–2025)

31.Al-Omrani, Huwaimil bin Muhaysin Salman. (2023). The principle of blocking the means and its effect in combating begging: A comparative fundamental study with the Saudi system. Journal of Research, Vol. 1, No.

الصحف الالكترونية:

- الاعلان العالمي لحقوق الأنسان،https: //www.un.org
- العشماوي، عزة، (٢٠١٧م)، المجلس القومي للطفولة والأمومة النشأ وآليات العمل، hight studies.sis.gov.eg.

- ظاهرة التسول والوسائل الكفيلة للحد منها،(٢٠٢٣م)، .https:masr360.net

الهوامش:

[١] صرح في هذا الإعلان بضرورة إعطاء الأولوية للأطفال وحمايتهم في أعمال الإغاثة والنجاة أثناء الحروب وغيرها من الأحداث. الباحثين، ٢٠١٨م،ص٣٠٤؛ الزهرة، ٢٠٢٠م،ص٧٠.

[٢] اعتمدته الجمعية العامة في ٢٠ تشرين الثاني/١٩٥٩ والمعترف به في الإعلان العالمي لحقوق الانسان، وفي العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، ولاسيما المادتين ٢٣ و٢٤، والذي تضمن الحاجة إلى توفير رعاية خاصة بما في ذلك حماية قانونية مناسبة قبل الولادة وبعدها، وكل ما يتعلق بالمبادئ الاجتماعية والقانونية والمتصلة بحقوق الطفل ورعايتهم على الصعيدين المحلي والدولي. الغزاوي ، البرغوثي، ٢٠٠٨م، ص٢٦٧؛ هرجه، ٢٠١٣م، ص٦٧.

[٣] وثيقة تاريخية هامة صاغه ممثلو من مختلف الخلفيات القانونية والثقافية من جميع أنحاء العالم، واعتمدت الجمعية العامة الإعلان العالمي لحقوق الانسان في باريس في ١٠ كانون الأول ١٩٤٨ بموجب القرار ٢١٧ الف بوصفه أنه المعيار المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم . وهو يحدد للمرة الأولى حقوق الانسان الأساسية التي يتعين حمايتها عالميا، وترجمت تلك القوق إلى ٥٠٠ لغة من لغات العالم، ومن المعترف به على نطاق واسعان الاعلان العالمي لحقوق الانسان قد ألهم ومهد الطريق لاعتماد أكثر من سبعين معاهدة لحقوق الانسان. الاعلان العالمي لحقوق الانسان، https://www.un.org

[٤] هي منظمات غير حكومية تعرف بمنظمات المجتمع المدني التي تتعدد أنشطتها المختلفة في مجال الطفولة وغيرها، والتي أصبحت تطرح كقطاع ثالث بين الدولة والقطاع الخاص كجهة وسيطة بين الدولة والمجتمع، واعتبارها أحد الاطر المهمة لمدخل تنموي جديد يستند إلى المبادرة الفردية والاعتماد على الذات والتي أصبحت ذات فعالية هامة في كافة المؤشرات الدولية. المغاوري، دور منظمات المجتمع المدني في مكافحة عمالة الاطفال بمصر في ضوء الاتفاقيات الدولية لعمالة الأطفال، المجلة العلمية لكلية رياض الأطفال-جامعة المنصورة، مج٥، العدد تشرين الأول، ٢٠١٨م، ص٨٥.

حياة الشيخ يوسف البحراني ومنهجه وموارده في كتابه لؤلؤة البحرين

ا.م.د.كاظم شامخ محسن الخزعلي

٠٧٨٠١٧٤٧٠٣٥

Kadhim15@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية

كلّية العلوم السياحية

حياة الشيخ يوسف البحراني ومنهجه وموارده في كتابه لؤلؤة البحرين

ا.م.د.كاظم شامخ محسن الخزعلي

The life and methodology of Shaeikh Yousuf Al- Bahrani in the book, Luluat Al-bahrain

Extract

Sheikh Yusuf Al-Bahrani lived a life full of scientific giving, and he lived a turbulent century in terms of political and social, and the most beautiful phenomenon of the life of this Mujahid Sheikh - draws attention and increases the researcher admiration for him and his pride - is diligent in working with all the power, length and strength, and strive in his mission with joy and activity, whatever the case in those harsh conditions and critical situations, during which all of them are dumped on his readings, serious in his compositions, persistent in his work, walking in his approach, continuing in his plan, going In the legitimate, loyal to his principle, Glory be to the creator of that mighty soul that does not know boredom or boredom, and is not hindered by anything, and does not prevent what you want any obstacle, he has produced among those circumstances and these roles valuable books nearly forty and spread to him among the looting and looting precious effects and immortal exploits and radiated among those dark roles and dark ages radiant virtues and Fadalh, illuminated the people the way of their guidance and the preparation of their senses. Among the most prominent works of high historical value developed by Sheikh Yusuf is his famous men's book "The Pearl of Bahrain in the Leave for the Villages of the Eye", which is a large vacation written by his nephews Sheikh Hussein Ibn Sheikh Muhammad and Sheikh Khalaf bin Sheikh Abd Ali, which included translations of most Imami scholars to the era of the Sadducees, in which Sheikh Yusuf showed an unparalleled trace. For men, and a briefing of translations with important historical glitters that accompanied many of its events, and without its chapters as an eyewitness.The Pearl is a men's encyclopedia of important historical value.

Keywords: Yusuf al-Bahrani, Wahid Behbehani, al-Akhbari, al-Usuli, Minhaj, Mawarid.

المستخلص

عاش الشيخ يوسف البحراني حياةٌ حافلةٌ بالعطاء العلمي، وقد عاش قرناً مضطرباً من الناحيتين السياسية والاجتماعية، وأجلى ظاهرة من حياة هذا الشيخ المجاهد– تلفت الأنظار وتزيد الباحث إعجاباً به

وإكباراً له– هو دؤوبه في العمل بكل حول وطول وقوة، والسعي في مهمته بكل بهجة ونشاط، مهما بلغت به الحال في تلك الظروف القاسية والمواقف الحرجة، فتراه في خلالها كلها مكبا على مطالعاته، جادا في تآليفه، دائبا في عمله، سائرا في نهجه، مستمرا في خطته، ماضيا في مشروعة، فانيا في مبدأه، فسبحان خالق تلك النفس الجبارة التي لا تعرف السأم ولا الملل، ولا يعيقها شيء، ولا يحول من من دون ما ترومه اي مانع، فقد أنتج من بين تلك الظروف وهاتيك الأدوار كتبا قيمة ناهزت الأربعين وانتشرت له من بين السلب والنهب آثارا ثمينة ومآثر خالدة وشعت من بين تلك الأدوار المظلمة والعصور الحالكة اشعاعات فضائله وفواضله، فأنارت للقوم سبيل هداهم ومهيع رشدهم.. وقد رفد المكتبة الإسلامية بذخائر تعدّ اليوم من نفائس التراث الاسلامي الذي يكشف عن روح ذلك العصر، ومن بين أبرز المصنفات ذات القيمة التاريخية العالية التي وضعها الشيخ يوسف كتابه الرجالي الشهير (لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين)، وهو عبارة عن إجازة كبيرة كتبها لابني أخويه الشيخ حسين ابن الشيخ محمد والشيخ خلف بن الشيخ عبد علي، اشتملت على تراجم أكثر علماء الإمامية إلى عصر الصدوقين، وفيها أظهر الشيخ يوسف تتبعاً منقطع النظير للرجال، وإحاطةً بالتراجم مع إلماعات تاريخية مهمة واكب الكثير من أحداثها، و من دون فصولها بوصفها شاهد عيان ، ويعدّ كتاب «اللؤلؤة» موسوعةً رجاليةً ذات قيمةٍ تاريخيةٍ مهمة.

الكلمات المفتاحية: يوسف البحراني ، الوحيد البهبهاني ، الاخباري ، الاصولي ، منهج ، موارد.

المقدمة:–

ان معرفة منهاج المؤرخين في كتابتهم ومصنفاتهم التاريخية امرا هاما لكل باحث في مجال التاريخ ، إذ يقتصر عليه الكثير من الجهد والوقت ، لذا نرى ان مناهج المؤرخين تختلف في عرض المادة التاريخية من مؤرخ الى اخر ، فمنهم من استعمل منهج المحدثين إذ كانت المعلومة عند هؤلاء تاتي مسبوقة بسلسة السند وهناك من اكتفى بذكر المورد الذي اخذ عنه مادته العلمية.

وقد تتعدد الموارد التي استقى منها المؤرخ مادته التاريخية والعلمية من مصادر السابقين الذين سبقوه بطرح موضوع ما والموارد المعاصرة منها المكتوبة او السماعية والمشاهدة ، وكما اختلف المصنفون والمؤرخون في عرض المادة العلمية والتاريخية وكيفية تنظيمها اختلفوا ايضا في كيفية ذكر الموارد التي استقوا منها المعلومة .

ولم يقتصر الاختلاف بين مناهج المؤرخين في مؤلفاتهم على كيفية عرض المادة العلمية وتنظيمها وكذلك في طريقة استعمال الموارد والمراجع ، بل ايضا اختلفت مناهجهم في النقد التاريخي في مؤلفاتهم ، فمنهم من لا نكاد نعثر عندهم على نقد واضح في مؤلفاتهم ، وهناك من قدم لنا في مصنفاته بعض الومضات النقدية الواضحة .

كذلك تختلف اساليب المؤرخين التي صاغوا بها المادة العلمية في كتبهم ، فمنهم من استعمل الاسلوب المرسل ، ولم يلجا الى السجع الا نادرا من دون تكلف والاغلب الاعم عند كثير من المؤرخين ومنهم من استعمل السجع والبديع في صياغة مادته العلمية .

ومن هنا تاتي اهمية دراسة مناهج المؤرخين في كتابتهم للتعريف بهذه الكتب وما فيها من مادة علمية وكيفية عرض المادة ، والموارد التي اعتمد عليها المؤرخ واثرها في الوقوف على مدى ثقة هذه المعلومة او تلك ، وكذلك لفت انظار الباحثين و (طلبة الدراسات العليا) الى المنهج النقدي عند هذا المؤرخ او ذاك ، وكذا تبصرهم بما ورد في مصنفه من اخطأ .

وتُعدّ الإجازات مصدرًا مهمًا للتَّراجم ومعرفة أحوال العُلماء، وبعض الإجازات مع قِصَرها تشتمل على معلومات مهمَّة عن المُجَاز والمُجِيز، فمِن خِلالها نتعرَّفُ على مشايخِ المُجيز ومصنَّفاته، وغالبًا ما يَستطرد المُجيز ويَذكُر فوائد ونكات مُهمَّة لا تَجدها في كُتب التَّراجم، وهنا تكمن أهميَّة الاعتناء بالإجازات. ولقد اهتمّ عُلماء البحرين منذ القدم بالإجازة في الرواية، وأصبح لهم طُرائق ،معروفة ومشهورة، واشتهر منهم مشايخ كبار في الإجازة والرِّواية

والأجازات هي عبارة عن "أذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته ومؤلفاته سواء التي سمعها من شيخه مباشرة أم التي لم يسمعها منه ولم يقرأها عليه" [1] وقد كان لهذه الأجازات قيمة تاريخية كبيرة فقد كانت المعلومات التي حوتها هي من أدق المعلومات عن المجيز وشيوخه لأنه كتبها بنفسه وبخطه وكانت العادة أن تحصل الإجازات أما بطلب من طالب الحديث نفسه إلى شيخ الحديث أو بواسطة أحد أقربائه أو معارفه أو فئة من رفاقه وأصدقائه وقد ذكر الشيخ يوسف البحراني في كتابه (لؤلوة البحرين في الاجازات والتراجم لقرة العينين) أجازة لابنا اخويه.

وفائدة الإجازة يمكن تلخيصها هي :

١ – اتصال أسانيد الكتب والروايات ، وصيانتها عن القطع والارسال .

٢ – التيمن بالدخول في سلسلة حملة أحاديث آل الرسول (ص) ، والتبرك بالانخراط في سل " العلماء الأعلام ورثة الأنبياء والخلفاء عنهم (ع) .

وكذلك يستفاد من مراجعة الإجازات الم من دونة ، وبخاصة الكبيرة منها ، في معرفة سير وتراجم الرواة والعلماء وأسماء الكتب والمكتبات ودور العلم ، والمراكز العلمية ، وبيئاتها ، وعصورها . . وإلى كثير من أمثال هذه .

لذا اقتضى تقسيم البحث الى عدة مباحث المبحث الاول حياة الشيخ يوسف البحراني ويتضمن اسمه ونسبه ونشأته وتربيته وفاته ومدفنه رحمة الله ، اما المبحث الثاني :فتحدثنا عن رحلاته في طلب العلم والمعيشة الى القطيف وايران والنجف وكربلاء، وكان المبحث الثالث: يتحدث عن مكانته العلمية والادبية ودوره في الصراع القائم بين الاخبارين والاصوليين ،وكذلك تحدثنا عن شعره وادبه ، اما المبحث

الرابع :فقد تطرقنا الى مشايخه واساتذته وتلامذته والراون عنه، اما المبحث الخامس : فاستعرضنا نتاجه الفكري والعلمي والادبي .اما المبحث السادس: فكان التعرف الى منهج وموارد الشيخ يوسف البحراني في كتابه لؤلؤة البحرين.

مشكلّة البحث:

لابد لكل من يعمل في مجال البحث العلمي ولاسيما في التاريخ والتراث والحديث وغيرها من العلوم الانسانية ان يطلع على مناهج المؤرخين في نقلهم للاحاديث النبوية الشريفة والروايات التاريخية وماهية طرقهم في نقل الحديث او الرواية وعن من الثقات ينقلون ، وكيفية الاجازة لهم من شيوخهم لنقل اثارهم من خلال اجازة في رواية مصنفاتهم واثارهم.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث ؛ لكونه يلقي الضوء على حياة عالم من اشهر علماء البحرين في القرن الثاني عشر هجري ومن أكثرهم تصنيفا في جميع مجلات الحياة الفكرية ودراسة واحد من اهم مصنفاته في علم تراجم الرجال والاجازات.

أهداف البحث:

١-التعريف بحياة الشيخ يوسف البحراني ،والاطلاع على نتاجه الفكري والمعرفي.

٢-إظهار منهج الشيخ يوسف البحراني وموارده في كتابه لؤلؤة البحرين لقرة العينين في الاجازات والتراجم.

المبحث الاول :حياة الشيخ يوسف البحراني.

'اسمه ونسبه:-

الشيخ يوسُف [٢]، نجل العلامة الكبير الحجة العلم الأوحد الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور بن أحمد بن عبد الحسين بن عطية بن شيبة الدرازي البحراني.

العالم الكبير والفقيه الجليل ، المحدّث الإمامي المتتبّع ، صاحب (الحدائق الناضرة) اكبر مصنفاته واشهرها ، نزيل الحائر الشريف .

مولده:-

ذكر الشيخ يوسف البحراني (رحمه الله) في كتابيه (الدرر النجفية)[٣] ولؤلوة البحرين[٤] أنه ولد في قرية الماحوز سنة (١١٠٧هـ) الموافق لعام (١٦٩٥م) و(ما حوز) قرية من قرى البحرين ، وكانت البحرين في تلك الحقبة تابعة للدولة الصفوية[٥]، إذ هاجر الشيخ أحمد [٦] (والد المؤلف) من موطنه (دراز) الى قرية الماحوز ، اذا يقول البحراني "كان الوالد ساكنا هناك لملازمة الدرس عند شيخه المحقق

الكبير الشيخ سليمان الماحوزي[٧] ، وكان قد حمل معه عياله ، فألقى رحله مستوطنا هناك عاكفا على الأخذ والتحصيل من شيخه المومأ إليه ، وفي مدة استقامته ولد له الشيخ يوسف [٨].

نشأته:-

نشاء الشيخ المترجم الشيخ يوسف البحراني نشأة علمية وتربوية صالحة من نعومة اظفاره إذ توفرت له الاجواء العلمية تحت ضل عائلة علمية ادبية تتمتع بحالة اقتصادية ممتازة ، ولما كان الشيخ يوسُف أول ذكر وُلِدَ لأبيه أختص به جده لأبيه التاجر الصالح الكريم الحاج إبراهيم وكان تاجراً له سُفن وعمال يمتهن غوص اللؤلؤ ويعمل بتجارته وتصديره ، لذلك نال الاهتمام والعطف إذ أمضى الشيخ يوسف مرحلة طفولته تحت إشراف جدّه الشيخ إبراهيم ،فشبّ الشيخ يوسف البحراني ودرج في حجر جده البار ونشأ وترعرع تحت كلائته فأحضر له معلماً في البيت يُعلّمه القراءة والكتابة حتى أتقنهما ، اذ يقول الشيخ يوسف البحراني عن نشأته في كتابه لؤلؤة البحرين :"وربيت في حجر جدي المرحوم الشيخ ابراهيم –قدس الله روحه–وكان مشغولا بامر الغوص والتجارة في اللؤلؤ وكان كريما دينا خيرا رحيما ، ينفق جميع ما يجيء في ايده على الاضياف والارحام ، ومن يقصده من الانام ، لا يدخر شيئا ،ولا يحرص على شيء ، ونتحلني ورباني إذ انه لم يكن لابي ولد قبلي ، وجعل لي معلما في البيت للقران ،وعلمني الكتابة ، وكان خطه وخط والدي في غاية الجودة والحسن"[٩].

وثاني شخصية تلقى على يديه العلم والادب بعد جده المذكور اعلاه هو والده إذ ذكر الشيخ يوسف البحراني (رحمه الله) أن بداية نشأته العلميّة كانت مع والده المبرور الشيخ أحمد وكان عالماً على مسلك المجتهدين ومخالفاً بشدة للإخباريين ، ودرس وهو صبيّ على والده النحو والصرف، اذ يقول البحراني في لؤلؤة البحرين:"ثم بعد ذلك لازمت الدرس عند الوالد –قدس سره، الا انه لم يكن لي يومئذ رغبة تامة لغلبة جهالة الصبا ،وقرات على الوالد كتاب (قطر الندى) ، واكثر ابن الناظم ،واكثر ابن النظام في التصريف ،واول القبطي "[١٠]، وقام بتدريسه وبتدريبه وتربيته التربية العلمية الرصينة بكل عطفٍ وحنان وتصدى لتدريسه وتعليمه وتولى ذلك بنفسه محافظاً عليه يوليه عنايته وتوجيهه فطفق يُلقى عليه الدروس الآولية ويملي عليه المبادئ ويعلمه العربية ويفيض عليه العلوم الأدبية وغير الأدبية حتى أكملها واصبح ماهراً فيها وحاز مكانته السامية في فنون الأدب وتضلعه في علوم البلاغة. واستمر على ذلك يقرأ على والده ويستقي من منهله العذب ونميره الصافي[١١].

حياته:

ولكي نطلع على حياة الشيخ يوسف البحراني عن كثب لابد للاطلاع على اهم الظروف التي المت بحياة الشيخ البحراني ، وابرز مراحل حياته ورحلاته لطلب العلم والتي صقلت موهبته ، للتضح لنا جوانب مشرقة من الحياة العلمية هذا العالم الجليل ، رغم الصعاب التي رافقت حياته والتي كانت تمر بها

بلاده البحرين من نزاعات وحروب وغزوات ، فقد كان رحمه الله يعيش فترة من اصعب الفترات التي مرت على بلاد البحرين.

لم تكن حياة الشيخ يوسف البحراني يكتنفها الهدوء والسكينة بكل كانت عبارة عن اضطرابات وفتن وحروب وبلايا ومحن ونكبات ، فما إن نقضة من سنيين عمره خمسة إلا وحلت الفتن والاضطرابات والحروب التي نشبت بين القبيلتين (الهولة) و(العتوب)[١٢]. واستمرت هي وتبعاتها سنين.[١٣]، اذا يقول البحراني :"وانا يومئذ ابن خمس سنين تقريبا ، سارت الواقعة بين الهولة والعتوب ، إذ ان العتوب عاثوا في البحرين بالفساد ويد الحاكم قاصرة عنهم ، فكاتب شيخ الاسلام الشيخ محمد بن عبد الله بن ماجد الهولة لياتوا على العتوب وجاءت طائفة من الهولة ووقع الحرب ونكسرت البلد الى القلعة اكابر واصاغر حتى كسر الله العتوب"[١٤].

ولم تكاد ان تنتهي هذه الحروب ولم ينجُ منها أهل البحرين الا بشق الانفس إلا وبتلوا بادهى منها واشد وعظم إذ توالت عليهم هجمات الخوارج وتعرض بلدهم البحرين الى هجمات عديدة حتى إذا كانت السنة الثالثة حاصرها الخوارج من كل جانب وتمكنوا من احتلالها ، فكانت من المصائب العظمى التي حلت بالبحرين واهلها إذ حل القتل والسلب والنهب وحرق الدور ويذكر البحراني ما احل بالبحرين من مصائب بقوله:" الى ان اتفق مجيء الخوارج الى اخذ بلاد البحرين فحصل العطال والزلزال ، بالتاهب لحرب اولئك الانذال، وفي اول سنة وردوا لاخذها رجعوا بالخيبة ولم يتمكنوا منها، وكذلك في المرة الثانية بعد سنة مع معاضدة جميع الاعراب والنصاب لهم ، وفي الثالثة حصروا البلد لتسلطهم على البحر إذ انها جزيرة ، حتى اضعفوا اهلها ، وفتحوها قهرا، وكانت واقعة عظمى ، وداهية دهما ، لما وقع من عظم القتل والسلب والنهب وسفك الدماء"[١٥].

ونتيجة لهذه الحرب تدهورت الاحوال الا قتصادية والمعيشية حتى أضطر وجهاء البلد وزعماؤها إلى الجلاء عن أوطانهم فارين بعيالهم منجين أنفسهم ومنهم والد الشيخ يوسف البحراني ، فقد هاجر والده (رحمه الله) وخلّف أكبر ولده وهو الشيخ يوسف في ذلك المأزق الحرج والموقف الرهيب عساه يتحفظ على ما تبقى من بقايا النهب وعساه يسترجع بعضاً مما نهب من أثاث ومتاع ولا سيما الكتب التي أخذت سلباً وذهبت نهباً خلفه ليستنقذ الذاهب وليتحفظ على الباقي ويبعث بذلك إلى والده شيئاً فشيئاً ،فيقول البحراني في ذلك:"فهربت الناس سيما اكابر البلد منها الى القطيف وغيرها من الاقطار، ومن جملتهم الوالد رحمة الله مع جملة العيال والاولاد، وتركني في البحرين في البيت الذي لنا في الشاخوره ، إذ ان في البيت بعض الخزائن المربوط فيها على بعض الاسباب من كتب وصفر وثياب...وامراني بالتقاط ما يوجد من الكتب وارساله اليه[١٦]".

وبعد مضي سنين في القطيف التحق به ابنه الشيخ يوسف وكان والده قد سأم المقام وملّ المكث هناك بعيدا عن بيته وقريته وساءت احواله المادية وقد أثّرت أحداث البحرين عليه تأثيراً عجيباً خصوصاً

عندما أحرقوا داره المعمورة مما أثّر على صحة والد الشيخ يوسف وطال به المرض إلى شهرين إلى أن وافاه أجله وأختاره الله إلى دار رحمته الواسعة ضحوة اليوم الثاني والعشرين من شهر صفر سنة الف ومائة واحدى وثلاثون للهجرة . ففقدت الامة الاسلامية علما من اعلامها وخسر الشيخ يوسف معلمه ووالده[١٧]، ويذكر ما جراء بقوله:"ثم سافرت الى القطيف لزيارة الوالد وبقيت شهرين او ثلاثة ، فضاق بالوالد الجلوس بالقطيف لكثرة العيال وضعف الحال وقلة ما في اليد فعزم الى الرجوع الى البحرين وكانت في يد الخوارج الا ان القضاء و القدر حال بينه وبين ما جرى في باله وخطر"[١٨]

وكان الشيخ يوسف البحراني[١٩] اكبر ابناء الشيخ احمد (رحمه الله) لذا وقعت عليه مسؤولية رعاية وعالة الاسرة وكان له من العمر أربع وعشرون سنة، فانتقل إلى القطيف وفيها بقي عدة سنين درس خلالها على العلامة الكبير الشيخ حسين بن محمد جعفر الماحوزي[٢٠]، حتى عادت البحرين إلى أهلها وخروج الخوارج منها فعاد البحراني إليها فدرس على شيخيه الحجتين الشيخ أحمد بن عبد الله بن الحسن بن جمال البلادي، والشيخ عبد الله بن علي بن احمد البلادي البحراني[٢١].

وفاته ومدفنه رحمه الله:

ذكر ابنه الشيخ الحسن أنه توفي في كربلاء المقدّسة بعد ظهر السبت الرابع من ربيع الأول سنة (١١٨٦هـ) ، الموافق لعام (١٧٧٢م)[٢٢] إثر مرض الطاعون ، وقد تولّى غسله الشيخ محمّد علي الشهير بابن سلطان والحاج معصوم ، وهما من تلامذته ، وصلى عليه العلّامة البهبهاني ، ودفن في الرواق عند رجلي سيد الشهداء (عليه السّلام) ممّا يقرب من الشباك المقابل لقبور الشهداء ، (رضوان الله عليهم) . وحضر تشييعه جمع غفير من الناس مع من هرب أكثرهم من المدينة بسبب الطاعون الذي أصابها . وأقيمت له مجالس العزاء في سائر البلاد[٢٣] عن عمر ناهز الثمانين كرّسه في خدمة العلم والدين و في تدوين الفقه وتبويبه ورد فروعه على أصوله وقضاه في جمع شتات أحاديث أئمة بيت الوحي (صلوات الله وسلامه عليهم) وبثها في الملا الديني. (قدس الله روحه ونور مضجعه وجزاه عن نبيه وعن أئمته خيراً). بعد أن صلّى عليه العالم الأصولي الوحيد البهبهاني بناءً على وصيته.[٢٤] ،وأقيمت له مجالس العزاء و التأبين في كربلاء وسائر البلاد الشيعية، وأول من أقام له مجلس عزاء تلميذه الأكبر آية الله السيد محمد مهدي بحر العلوم.

المبحث الثاني: رحلاته في طلب العلم والمعيشة.

عاصر البحراني أحداثاً سياسية مضطربة وأحداث مهمة، منها الحروب القبلية وهجمات الخوارج على البحرين مما جعلته كثير التنقل بين البلاد،[٢٥] ففي البداية هاجرت أسرته إلى القطيف، على إثر الهجمات المتتالية لسلطان[٢٦] عُمان على البحرين، وبقي هو في البحرين، لكنه بعد السيطرة الكاملة للمهاجمين واحتراق منزل العائلة، التحق بهم، وبوفاة الوالد كما مر عينا، تولّى مسؤولية رعايتها. وبقي في القطيف لمدة سنتين، تتلمذ خلالها على يد الشيخ حسين الماحوزي (ت ١١٨١ هـ) الفقيه المجتهد

والمعارض العلنيّ للنهج الأخباري.[٢٧] وبعد المصالحة بين حكومتي إيران وسلطنة عمان وتحرير البحرين، عاد إلى الموطن ودرس عند العلماء هناك لعدة سنوات.

وكان الشيخ يوسف البحراني اضافة الى شغفه ونهمه بطلب العلم جعله دائم الترحال من بلاد الى بلاد ، وكان ذا همة عالية فقد كان طلب العلم غايته والفقه مطلبه ومنيته وتعلم الحديث والحكمة ضالته يطلبها إذ يجدها ولم يكتفي بعلماء موطنه وعلام بيئته على جلال قدرهم وغزير علمهم بل كان ينشد المزيد ، فكانت له في سبيل أخذ العلم وكسب الفضيلة تجولات ورحلات إلى أمهات المعاهد العلمية في إيران والعراق ، وقد اجتمع – لا محالة – بأمة كبيرة من صيارفة العلم والفضيلة وجهابذة الفقه والحديث من بقايا أعلام ذلك العصر الذهبي ، ويذكر ذلك في كتابه لؤلؤة البحرين بقوله: "وسافرت ضمن تلك المدة الى حج بيت الله الحرام وتشرفت بزيارة سيد الانام وابنائه الكرام –عليهم صلوات الله الملك العلام ، وسافرت الى القطيف لاجل تدقيق الحديث على الشيخ حسين " وأخيراً بعد عودته من فريضة الحج وتوقفه في القطيف اضطر أن يسافر إلى إيران بسبب الضغوط المالية، واضطراب الأوضاع الداخلية في البحرين وذلك بعد سقوط الدولة الصفوية[٢٨] وكذلك مقتل السلطان حسين الصفوي (سنة ١١٣٥ هـ).

رحلته الى ايران:-

وبعد احتلال الافاغنة بلاد إيران وقتلهم الشاه سلطان حسين آخر ملوك الصفوية وذهاب ملكهم، تفاقمت الاضطرابات في البحرين وعمها الفوضى واستمرت الثورات الداخلية، حتى ألجأت الشيخ يوسف الى مغادرة بلاده والجلاء عن وطنه فغادرها إلى إيران، وحل برهة في كرمان[٢٩]،وبعد اقامته القصيرة في مدينة كرمان سافر البحراني الى مدينة شيراز التي حظي فيها باحترام حاكمها (محمد تقي خان) وتكريمه له ،ويقول في ذلك :"بعد استيلاء الافاغنة على ملك شاه حسين وقتله، فررت الى بلاد العجم وبقيت مدة في كرمان ثم رجعت الى شيراز فوفق الله سبحانه فيها بالاكرام والاعزاز وعطف الله سبحانه على قلب سلطانها ، وحاكمها يومئذ وهو ميرزا محمد تقي ...وبقيت مدة في ضل دولته مشغولا بالتدريس"[٣٠] ، فعرف للشيخ البحراني علمه وفضله وتقاة فقربه وعظمه، ولقي الشيخ منه حفاوة بالغة وإعظاما وتبجيلا، فلبث بها عدة سنوات مستقرة وهادئة اشتغل فيها بالتدريس والتأليف وتأدية المهام الدينية مدرسا واماما، ناهضا بأعباء الوظائف الشرعية، إذ ألقت إليه الزعامة الروحية مقاليدها، وتفرغ للمطالعة والتأليف، والبحث والتدريس، والإجابة على الأسئلة الدينية، فألف جملة من الكتب وعدة من الرسائل، على فراغ البال ورفاهية الحال ورغد في العيش، وما إن أمهله الدهر" حتى عصفت بتلك البلاد عواصف الأيام التي لا تنيم ولا نام ففرقت شملها وبددت اهلها وانتهبت اموالها ،وهتكت نسائها ولعب الزمان باحوالها فخرجت منها الى بعض القرى وستوطنت قصبة فسا"[٣١] إذ اضطربت أوضاع شيراز الداخلية هذه المرة بسبب تمرد محمد تقي خان على نادر شاه، فاجتيحت المدينة وانتشر الوباء فيها في العامين (١١٥٦ و١١٥٧ هـ) ، فتوجه الشيخ إلى قصبة فسا[٣٢] آنذاك، إذ أكرمه حاكمها، وحظي فيها أيضاً بالطمأنينة وراحة البال، وبقي

فيها لمدة قضاها في التأليف والتحقيق، وبالزراعة لتحصيل الرزق. لكن ما لبث أن هاجم المدينة علي مردان[٣٣] سنة ١١٦٥ هـ[٣٤]وقتل حاكمها، وتعرضت المدينة للنهب، فذهب ممتلكات الشيخ وكتبه أدراج الرياح، فهاجر إلى منطقة اصطهبانات[٣٥]، ثم هاجر إلى النجف الأشرف ومن ثم إلى كربلاء ولبث بها إلى آخر عمره. يحتمل أن يكون قدومه إلى كربلاء قبل سنة ١١٦٩ هـ[٣٦].

رحلته الى كربلاء :-

ومنذ حل باصطهبانات عزم على مغادرة بلاد إيران، وصمم على المقام بالعراق إذ الأعتاب المقدسة، ومنبثق أنوار العلم والفضيلة، فأخذ في تمهيد مقدمات سفره، فغادر بلاد إيران ويمم العراق، فالقى رحله في كربلاء المشرفة، موطنه الأخير ومستقره الأبدي اذ يقول :" ووقع علي من البلاء بسبب ذلك الخراب ما اوجب ذهاب اكثر كتبي وجملة اموالي ففررت منها الى اصطهبانات وبقيت مدة اعالج مرارات الاوقات وانا في ذلك احاول الفرصة بالتشرف بالعتبات العاليات والمجاورة في جوار الائمة السادات ...فقدمت العراق وجلست في كربلاء المعلى "[٣٧] وانا لم نقف على تاريخ هبوطه كربلاء إلا ان الذي يظهر من تاريخ بعض تآليفه انه حل بها قبل عام ١١٦٩.هـ ،وقد حل لشيخ يوسف البحراني بالحائر المقدس حين كانت تلك البلدة القدسية من أكبر معاهد العلم للشيعة، وكانت تضاهي النجف الأشرف بمعاهدها الدينية وأعلامها الافذاذ، وكان قطب رحا حوزة كربلاء المقدسة ومحور تحقيقها وتدريسها حينئذ هو الفقيه الأمجد والأصولي الأوحد أستاذ فقهاء عصره المحقق المدقق آية الله وحجة الاسلام آقا محمد باقر الشهير بالوحيد البهبهاني (رحمه الله) وبعده في الشهرة والعظمة ابن أخته الفقيه الأصولي آية الله السيد علي الطباطبائي صاحب رياض المسائل .فاصبح الفقيه العالم المحقق آية الله الشيخ يوسف البحراني معاصر هذين الأستاذين المحققين في تلك البلدة الطيبة المستقر في طرف ضدهما من إذ المبنى والمسلك وهؤلاء الأعلام وغيرهم كانوا مصابيح العلم في تلك البلدة المقدسة وآية تحقيقها في تلك الكلية الفقهية وكان طلبة العلم والفقه يش من دون الرحال من جميع نواحي البلاد الإسلامية إلى تلك الحوزة وإلى حوزة النجف الأشرف .

فكانت كربلاء على عهد هذا الزعيم العظيم في الغارب والسنام من المجد والعظمة، فقد بلغت ذرى عزها الشامخ، وتسامى شرفها الباذخ، إذ كانت آنذاك مفعمة بالأوضاح والغرر من صيارفة العلم ونقاد الفضيلة، طافحة بأعلام الأمة ورجالات الدين، محتشدة بكبار المجتهدين وافذاذ المحققين، ممن انعقدت عليهم تيجان العلم. ورفت عليهم ألوية الفضيلة، وخفقت عليهم بنود الكمال. ولقد كان للشيخ البحراني حينئذاك صيت شامخ دوي في العالم ذكره، فملأت الإرجاء شهرته الطائلة، لما ذاع وشاع بين الملأ الديني من آثاره القيمة ومآثره الخالدة وأسفاره الثمينة، فعرفته الأوساط العلمية وأقرانه من اعلام عصره بعلمه الغزير ، وأدبه الجم، وتضلعه في العلوم، وتبحره في الفقه والحديث، وانما يعرف

الفضـــــــ

بأعباء الوظائف الشرعية والزعامة الروحية ، تتقاطر عليه الأسئلة تترى من شتى النواحي النائية ومختلف البلاد الشاسعة ، فيجيب عنها بالفتوى المحضة تارة ومشفوعة بالأدلة المبسوطة أخرى (بحسب رغبة سائليها) ومدرسا " يسقى الجماهير الكثير والجموع الغفيرة من نمير علمه وبحر فضله وأفضاله ، فأكب على التدريس والتأليف والتصنيف ، كما كان ذلك دأبه أينما ترامت به يد الأقدار ومهما بلغت به الحال ، خلال مقامه بها زار النجف الأشرف ولم نعلم مدة لبثه بها إلا أن الظاهر أنه ألف كتابه الدرر النجفية[٤٤] في النجف الأشرف خلال مكثه بها .

وعرف البحراني بنشاطه الديني الكبير فقد كان شديد الاهتمام بالتأليف والتصنيف والتدريس والاجابة عن الاسئلة الدينية، ولم تمنعه الحياة الصعبة التي عاشها من ممارسة واجباته تجاه دينه، ويعد من أهم رموز المدرسة الأخبارية التي تختلف عن المدرسة الأصولية بأنها ترفض الدليل العقلي والإجماع كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي.

واشتهر الشيخ يوسف البحراني بـ"صاحب الحدائق" انتساباً لأثره (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة)، ويُعدّ من أبرز العلماء المدافعين عن النحلة الإخبارية الفقهية والحديثية، وكذلك آخر شخصية جديرة بالذكر من أصحاب هذه النحلة. ناظر بعض الاجتهاديين المعاصرين له –كما ذكر هو في المقدمة الثانية عشرة للحدائق– وقام بتفصيل الكلام حول هذه المناظرات في كتابه المسائل الشيرازية[٤٥]، فقد كان كما ذكر هو في المقدمة الثانية عشرة للحدائق من المدافعين الجديين عن الأخباريين في البداية، وناظر بعض الاجتهاديين المعاصرين له، وقد فصّل الكلام حول هذا الموضوع في كتابه المسائل الشيرازية. لكنه رأى في أثناء تأليف الحدائق أي تصنيف أو تقسيم للعلماء الشيعة بعيداً عن الصواب، وانتقد الملّا محمد أمين الأستر آبادي (م ١٠٣٣ هـ) الذي كان البادئ بهذا التصنيف، والتعرض للمجتهدين.[٤٦]

الأخباري معتدل:–

البحراني هو أحد أبرز العلماء المدافعين عن النحلة الأخبارية الفقهية والحديثية، وآخر شخصية جديرة بالذكر من أصحاب هذه النحلة العلمية، كانت له مناظرات في كربلاء مع وحيد البهبهاني، المعاصر له، المخالف للإخباريين، ويقال إن تلك المناظرات قد أثّرت في تغيير آرائه، والمحتمل أن تكون أسهمت في خفوت المنهج الأخباري ورواج المذهب الأصولي نظراً لمكانته العلمية لدى الأخباريين[٤٧].

كان يعتقد أن الميل إلى النهج الاجتهادي أو الاعتماد على المنهج الأخباري لطالما وجدا بين الفقهاء، ولكن أياً من الطرفين لم يلجأ إلى التجريح بالآخر أبداً. وبخاصة وأن عدداً من المجتهدين كالشيخين المفيد[٤٨] والطوسي[٤٩] كانا على رأي الأخباريين في بعض المسائل، وبعض المحدثين كالصدوق[٥٠] كانت له آراء توافق مرام المجتهدين.[٥١]

كذلك يوضح البحراني منهجه في التعامل مع الأحاديث، الذي يعده المنهج الوسطي (طريقاً وسطى) وطريقة العلامة المجلسي، ويصرّح بصحة كتب الحديث المعتبرة – وليس بجميع الأحاديث المنسوبة إلى المعصوم فيها – كالكتب الأربعة[٥٢] وبحار الأنوار[٥٣] ومعاني الأخبار[٥٤] والخصال[٥٥] وكذلك الفقه الرضوي[٥٦]، لاعتماد المحدثين الكبار بها. كذلك ينتقد في المقدمة الثالثة للكتاب، الآراء المغالية لعدد من الأخباريين، وعجزهم عن فهم مقاصد القرآن، ويؤيد رأي الشيخ الطوسي في تقسيم الآيات القرآنية بحسب الدلالة على المقصود[٥٧] .

كذلك يوضح في سائر المقدمات مبانيه الأصولية في الاستنباط الفقهي، التي تدل على منهجه المعتدل وعدم قبوله لآراء الأخباريين كلها بقضّها وقضيضها، في الوقت نفسه يشير إلى مخالفة رأيه للنحلة الاجتهادية. والدليل على ذلك علاقاته بالوحيد البهبهاني في أثناء إقامته في كربلاء وتصريحه بمقامه العلمي وعدالته – مع أن البهبهاني كان يهاجم بشدة مشرب الأخباريين الذين كان لهم حضور فاعل في العراق في تلك الآونة لاسيما في حوزتي النجف وكربلاء العلميتين،[٥٨] حتى أنه كان ينتقد البحراني شخصياً بشكل صريح [٥٩].

وهناك من يحتمل أيضاً بأنّ البحراني قد ابتعد عن ميله الأخباري بعد محاورة البهبهاني، وسعى من خلال تأييده للبهبهاني إلى تقوية الاجتهاديين وتضعيف الأخباريين.و قد يكون تكريم البهبهاني له، بعد وفاته والحضور الحاشد للناس والعلماء في مراسم تشييعه، مع من انخفاض عدد سكان المدينة بسبب الطاعون، مؤيداً لهذا الاحتمال[٦٠].

وكان الشيخ يوسف البحراني قد ترك النهج الأخباري منذ مدة ، ولهذا أقدم بطيب خاطر وبناءً على طلب البهبهاني، بالتخلي له عن كرسي درسه لعدة أيام، ابتعد بعدها معظم تلاميذ البحراني عن الهوى الأخباري متأثرين باستدلالات البهبهاني المقنعة. مع كل ذلك، لم يُنقل عنه أو عن تلاميذه أو معاصريه تصريح واضح حول اعتزاله الكامل للمذهب الأخباري [٦١].

لقد أثنى معظم كتاب التراجم المتأخرين، على مكانته في الفقه والحديث، وأشاروا إلى كثرة تتبعه وذاكرته القوية وزهده على الرغم من انتقادهم لمنهجه العلمي، كما وصفوا آثاره العلمية بأنها مثمرة ومفيدة. من هؤلاء الكتّاب:أبو علي المازندراني الحائري في منتهى المقال[٦٢] والنوري في خاتمة مستدرك الوسائل[٦٣] ، والأمين في أعيان الشيعة[٦٤] .

ادبه وشعره:

كان الشيخ يوسف البحراني (رحمه الله) شاعرا مقلًّا ، وشعره مبثوت في بعض كتبه ، وأغلبه في مديح ورثاء الأئمّة الأطهار (عليهم السّلام) ، ولم يشتهر بشعره لغلبة جانب الفقاهة عليه وانطباع حياته بطابع العلم والبحث والاستدلال ، فهو لا يقول الشعر فيمن هبّ ودبّ ، ولا تجود قريحته منه إلّا بما يقتضيه المقام مدحا أو رثاء لأهل البيت (عليهم السّلام) ، أو عظة لأحد أبنائه ومتعلّقيه ، وكان

شاعراً أديباً، وله أشعار في مدح ورثاء أهل البيت(عليهم السلام)، وله قصيدة تقع في (٣١) بيتا في مدح الإمام علي (عليه السلام) حين زاره سنة ١١٥٦ هـ[٦٥] .

إليكَ أميرَ المؤمـــنينَ وفودي فأنتَ منائي مـــن جميعِ قصودي
أخوضُ بحارَ الموتِ فـي حبِّ سيّدٍ به ســؤددي دنيا وبطنِ لحودي
فيا روحَ، روحي في هواهُ وسارعي لــديه وجودي فهو أصل وجودي
أمــولايَ ماذا يبلغُ المدحُ في فتى بهِ الخلقُ تاهتْ بينَ عبدٍ ومعبودِ
محبُّوهُ أخــفُوا فضلَهُ خيفةَ العدى وبغضاً عداهُ قابلُوا بـجحودِ
وشاعَ لهُ من بــينِ ذينِ مناقبٌ أبت أن تُضاهى في الحسابِ لمعدودِ
عـليكَ صلاة اللهِ يا خيرَ مَن مشى وماســت به في بيدِها قلصُ القودِ .[٦٦]

ومن شعره في واقعة الطف:

نفسي لآلِ محمدٍ في (كربلا) محروقةُ الأحشاءِ من كُرباتِها
ترنو الفراتَ بغُلّةٍ لا تنطفي عطشاً وما ذاقتْ لطعمِ فراتِها
أطفالها غرثى أضرَّ بها الطوى وهداتُها صرعى على وهداتِها[٦٧]

قال من قصيدة في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام) تبلغ (٦٢) بيتاً:

وأعِدْ عليَّ حديثَ وقعةِ نينـوى ولواعجَ الأشجانِ في ساحاتِها
للهِ أيَّةُ وقـعةٍ لمحمـــدٍ في كربلا أربتْ على وقعاتِها
للهِ من يومٍ بهِ قد نُكِّســتْ تلكَ الكماةُ الصيدُ عن صهواتِها
للهِ أنصارٌ هناكَ وفتـيـةٌ سادتْ بما حفظته في ساداتِها
فوقَ الخيولِ تخالها كأهلّــةٍ وبدورِ حسنٍ لجنَ في هالاتِها
وإذا سطتْ تخشى الأسودُ لكرّهـا في الحربِ من وثباتِها وثباتِها
شربتْ بكأسِ الحتفِ حينَ بدا لــها في نصرِ خيرتِها سنا خيراتِها
الجسمُ منها بالعراءِ وروحُــها في سندسِ الفردوسِ من جنّاتِها
نفسي لآلِ محمدٍ في كربــلا محروقةُ الأحشاءِ من كرباتِها

وله قصيدتان يشكو إلى إخوانه صروف الدهر ،ويذكر فيها ما جرى عليه من الملمات والمصائب بعد خروجه من البحرين نتيجة الحروب والنكبات التي أصابتها ويتأسف على فراقها، مطلعها:

ألا من مبلغ عصر الشباب... وشبانا به كانوا صحابي

ومنها:

وقد أصبحت في دهر كنود... به الغارات تشعل بالتهاب
وقد خلت المساكن من ذويها... فرارا في الوهاد وفي الهضاب

مصائب قد غدت منها دواما... دموع العين تجري بانسكاب
علتني نارها فغدوت منها... طريدا في الصحارى والشعاب
واعظم حسرة اضنت فؤادي... تفرق ما بملكي من كتاب
لقد ضاقت علي الأرض طرا... وسد علي منها كل باب
طوتني النائبات وكنت نارا... على علم بها طي الكتاب.[٦٨]

مدحه والثناء عليه:-

لقد أثنى أصحاب التراجم والرجال على المترجم له واتفق الجميع على إكباره ممن عاصره إلى يومنا هذا جمل الثناء وحلل الاطراء وهؤلاء أصحاب المعاجم وأرباب التراجم مصفقين على اكبار المؤلف والثناء عليه ممن عاصره إلى اليوم ، وإليك نصوص جملة منهم ، فمنهم :ومن هؤلاء الذين ذكروه وأثنوا عليه:

١-قال فيه تلميذه أبو علي الحائري مؤلف منتهى المقال[٦٩] المشهور بـ (رجال أبي علي) قال في ترجمة المؤلف : "عالم فاضل متبحِّر ماهر محدّث ورع عابد صدوق ديِّن من أجلّة مشايخنا المعاصرين وأفاضل علمائنا المتبحرين" .

٢ - وقال فيه تلميذه الأمير عبد الباقي سبط العلامة المجلسي في منتخب لؤلؤة البحرين: "كان فاضلاً عالماً محققاً نحريراً متسجمعاً للعلوم العقلية والنقلية" [٧٠] .

٣-وقال فيه المحقق الكبير الشيخ أسد الله التستري في المقابس[٧١]: "العالم العامل المحقق الكامل، المحدث الفقيه، المتكلم الوجيه، خلاصة الأفاضل الكرام، وعمدة الأماثل العظام، الحاوي من الورع والتقوى أقصاهما، ومن الزهد والعبادة أسناهما، ومن الفضل والسعادة أعلاهما، ومن المكارم والمزايا أغلاهما، الرضي الزكي التقي النقي، المشتهر فضله في أقطار الأمصار وأكناف البراري، المؤيد بعواطف ألطاف الباري".

٤-وقال فيه المحقق الخوانسارى في الروضات[٧٢]: "العالم الرباني والعامل الإنساني شيخنا الأفقه الأوحد الأحوط الأضبط، صاحب الحدائق الناضرة، والدرر النجفية، ولؤلؤة البحرين، وغير ذلك من التصانيف الفاخرة الباهرة التي تلذ بمطالعتها النفس ، وتقر بملاحظتها العين، لم يعهد مثله من بين علماء هذه الفرقة الناجية في التخلق بأكثر المكارم الزاهية، من سلامة الجنبة، واستقامة الدربة، وجودة السليقة، ومتانة الطريقة، ورعاية الإخلاص في العلم والعمل، والتخلي بصفات طبقاتنا الأول، والتخلي عن رذائل طباع الخلف الطالبين للمناصب والدول".

٤ـ قال السيّد البروجردي في الطرائف[٧٣]: "من أجلّاء هذه الطائفة، كان أخبارياً، حسن التصنيف والإنصاف".

٥-وقال فيه العلامة المحدث ميرزا محمد النيسابوري الاسترابادي في رجاله[٧٤]: "كان فقيهاً، محدثاً، ورعاً".

وقال فيه محمد علي الكشميري مؤلف نجوم السماء في تراجم العلماء[٧٥]: "صاحب الحدائق من العلماء المتأخرين، والكُمّل المحدثين، والفقهاء المتبحرين، وأعاظم أصحاب الدين وأرباب الانصاف والاعتدال بين طريقتي الأصوليين والأخباريين".

٦. قال الشيخ البلادي في الأنوار[٧٦]: "العالم العامل الجليل الفاضل الكامل النبيل، عديم النظير والمثيل، العلّامة المنصف الربّاني... شيخ مشائخ العراق والبحرين، العري من كلّ وصمة وشين... وبالجملة فهذا الشيخ من أعاظم العلماء الأعلام، وأكابر أساطين علماء الإسلام".

٧-وقال فيه العلامة الكبير المحدث النوري في خاتمة مستدركه[٧٧]:" عد مشايخ بحر العلوم ،سابعهم العالم العامل المحدث الكامل الفقيه الربانى..."

٨-وقال فيه العلامة الشيخ علي البحراني مؤلف أنوار البدرين في تراجم علماء الأحساء والقطيف والبحرين[٧٨]: "العالم العامل الجليل، الفاضل الكامل النبيل، عديم النظير والمثيل، العلامة المنصف الرباني الشيخ، الأجل الشيخ يوسف.... صاحب الحدائق الناضرة وغيره من المصنفات الفاخرة، شيخ مشايخ العراق والبحرين، العري من كل وصمة وشين".وقال فيه أيضاً: "هذا الشيخ العلام من أكابر علماء الأديان والإسلام، ومن أكبر أعاظم أرباب النقض والإبرام، وقد ذكره كل من تأخر عنه واثنوا عليه الثناء الجميل علماً وعملاً وتقوىً ونبلاً... وبالجملة فهذا الشيخ من أعاظم العلماء الأعلام وأكابر أساطين علماء الإسلام"[٧٩].

٩-وقال العلامة الشيخ عباس القمي في خاتمة المحدثين في الفوائد الرضوية[٨٠]: "هو الشيخ العالم العابد العامل، والمحدث الورع الكامل، الفاضل المتبحر الجليل، المتتبع الماهر النبيل، مرجع الفقهاء الأعلام، وفقيه أهل البيت عليهم السلام، عالم رباني، وفقيه بحراني، صاحب التصانيف الرائقة النافعة الجامعة التي أحسنها الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، وهو كتاب جليل في الغاية كثير النفع"[٨١] .

١٠-وقال الشيخ الحجة المحقق الفذ العلامة عبد الحسين الأميني في شهداء الفضيلة[٨٢] :"فقيه الطائفة ومحدثها الكبير الشيخ يوسف بن احمد، وكتابه (الحدائق) الدائر السائر بين الفقهاء ينم عن غزارة علم مؤلفه وتضلعه في العلوم وتبحره في الفقه والحديث، كما يشف كتابه (لؤلؤة البحرين) عن سعة اطلاعه على احوال الرجال وطرائق إجازات المشايخ..."

١١-وقال فيه السيد جواد شبر[٨٣]: "الفقيه الكبير والمحدث الشهير، ناشر راية العلم ذو اليراع الجوال في مختلف العلوم من أفاضل علمائنا المتأخرين، جيد الذهن، معتدل السليقة، بارع في الفقه والحديث ...". .

١٢-قال السيّد الأمين في الأعيان[٨٤]: "من أفاضل علمائنا المتأخّرين، جيّد الذهن، معتدل السليقة، بارع في الفقه والحديث، وكان على طريقة الأخباريّين".

١٣-وقال الزركلي[٨٥]: "فقيه إمامي غزير العلم".

١٤- وقال السيد عبد العزيز الطباطبائي: "وممن صرف لخدمة هذا العلم ـ الفقه . أيامه، واشتغل بتحقيقه شهوره وأعوامه، وكان ممن قدح في زند الفضل فأورى، وجمع من نكات العلم فأوعى، الشيخ الجليل والحبر النبيل فريد عصره ووحيد دهره، الجامع بين رتبتي الرواية والدراية، والرافع من ألوية الفضائل أرفع راية، المحقق الفاضل المدقق، ومحدث الزمان وراوية الأوان، المستخرج من تيار أنواع العلوم غوالي اللئالي، الشيخ يوسف... فإنه رحمه الله ممن حاز في هذه الأعصر الأواخر قصبات السبق في مضمار التحقيق، واستنزل عصم المشكلات من معاقلها فأخذ منها المسك الفتيق، وغاص بحار الأخبار فاستخرج ما يزري باللؤلؤ الثمين، ولا غرو في ذلك فإنه من بحرين".[٨٦] ـ إلى غير ذلك من كلمات المدح والثناء والوصف والإطراء.

المبحث الرابع :- مشايخه وتلامذته:-

مشايخه واساتذته:-

قد حج الشيخ يوسف البيت الحرام وزار مشاهد أئمة الهدى (عليهم السلام) وأتيحت له عدة رحلات إلى النجف الأشرف وإيران إذ غادرهما إلى كربلاء المقدسة وقد ألف فيها بعض تأليفه. وقد استطاع من خلال زيارته تلك أن يحصل على نضج في التفكير وغزارة في العلم وقد درس عند جملة من العظماء عدّ (رحمه الله) أربعة من مشايخه في كتابه لؤلؤة البحرين وهم:

١--جدّه الشيخ إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور بن أحمد بن عبد الحسين بن عطية بن شيبة الدرازي البحراني، وكان تاجراً له سُفن وعمال يمتهن غوص اللؤلؤ ويتعاطى تجارته وتصديره.

٢- الشيخ أحمد بن إبراهيم البحراني والماحوزي ، (والده المترجم)، درس البحراني الشيخ يوسف على أبيه الشيخ أحمد الذي كان من كبار العلماء المجتهدينَ المعارضَين للنحلة الأخبارية وقد وصفه الشيخ علي البلادي بـ: (المحقق الأمجد العالم الأوحد)، وقال عنه الحائري في منتهى المقال[٨٧]: "وكان من أجلاء تلامذة شيخنا الشيخ سليمان الماحوزي، وكان عالماً فاضلاً محققاً مدققاً مجتهداً" ، قال عنه نجله الشيخ يوسف البحراني في الكشكول: "ان مجتهداً فاضلاً جليلاً، وفقيهاً نبيلاً" [٨٨].

٣- العالم العامل المحقق الأمين الأفخر الشيخ حسين ابن الشيخ محمد بن جعفر الماحوزي البحراني كان (رحمه الله) من العلماء العاملين والفضلاء المحققين والأتقياء وهو أكبر مشايخ (صاحب الحدائق) ، وهذا الشيخ فاضل كامل له يد مليحة في سائر العلوم إمام في الجماعة مدرس ، وقال تلميذه الشيخ يوسف في اللؤلؤة [٨٩]:" فمن طرقي إلى المشايخ الأعلام ومصنفاتهم المشار إليها في المقام ما أخبرني به قراءة وسماعا وإجازة شيخنا الفاضل واستاذنا الكامل جامع المعقول والمنقول

ومستنبط الفروع من الأصول الجامع بين درجتي العلم والعمل والفائز بأكمل رتبة لا يعتريها الخلل الشيخ الأجل الأوحد الأفخر الشيخ حسين ابن الشيخ محمد بن جعفر الماحوزي" ، ثم ذكر نسبته إلى الماحوز وقراها ، ثم قال : "وقد عاش شيخنا المذكور وبلغ من العمر إلى ما يقرب من تسعين سنة ومع ذلك لم يتغير ذهنه ولا شئ من حواسه سوى ما لحقه من الضعف الناشئ من كبر السن ... وكان تلمذي على الشيخ المذكور المزبور في بلاد القطيف بعد وفاة الوالد (قدس سره) في البلد المذكور وبعد استيلاء الخوارج على بلادنا البحرين... توفي (قدس سره) سنة إحدى وثمانين ومائة والف ، في بلدة القطيف.[٩٠]

٤- الشيخ احمد ابن الشيخ عبد الله بن حسن بن جمال البلادي البحراني[٩١] ، وفي أنوار البدرين[٩٢] :" العالم العامل الفقيه الكامل المحقق الأمجد المعروف بالفاضل العلامة الأسعد الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله بن حسن بن جمال البلادي البحراني والظاهر من بعض القرائن انه من أجدادنا وأسلافنا ، وهذا الشيخ فاضل فقيه نحوي صرفي كاتب شاعر حسن الإنشاء والشعر في غاية ذلة النفس والمسكنة والإنصاف ليس في بلادنا مثله في التواضع والإنصاف وذلة النفس والورع له مصنفات ". وقال السيد محمد البحراني في تتمة أمل الآمل في حقه:" الفقيه الزاهد والعالم العابد قاضي القضاة وخليفة الأئمة الهداة العالم العامل المعروف في وقته بالفاضل ، . توفي يوم الاثنين في ١٤ رمضان سنة ١١٣٧هـ" [٩٣] .

٥- الشيخ عبد الله بن علي بن أحمد البلادي البحراني وهذا الشيخ فاضل كامل خصوصا في علم الكلام : ثقة عدل متورع عاقل رزين صالح أمين له رسالة في علم الكلام ورسالة كتبها للشيخ الأوحد الأمجد الشيخ الأجل الأوحد الشيخ محمد شيخ الإسلام في علم الكلام أيضا[٩٤] . وقال في اللؤلؤة[٩٥] "ومن طرقي ما أخبرني به سماعا وإجازة الشيخ الأجل البهي الشيخ عبد الله بن علي بن أحمد البلادي وكان فاضلا ولاسيما في الحكمة والمعقولات ... . توفي (قدس سره) في العام الثامن والأربعون بعد المائة والألف في بلاد شيراز ودفن في قبة السيد أحمد ابن مولانا الإمام (الكاظم عليه السلام)[٩٦].

تلامذته:-

قد ترك الشيخ يوسف البحراني له لفيفاً من المشايخ الأفاضل وطلاب العلم والفضيلة، فكانت تعقد له حلقات تدريس يستقون من نمير علمه ويرتوون من عباب فضله إلا انه من المؤسف جداً أن التاريخ أهمل الجميع ممن تخرجوا عليه في بلاد إيران ولا سيما معهدها الديني (شيراز) وكذلك كربلاء المقدسة التي بقي فيها زعيماً مدرساً طيلة عشرين سنة يوم كانت تعج بالألوف من العلماء والمشتغلين ، ومع ذلك فقد تخرج على يد البحراني أعلام العلماء الأعلام الذين أغنوا المكتبة العلمية والأدبية بمؤلفاتهم

والذين أصبحوا بفضله من أعلام الأمة ، وهنا نذكر أسماء مجموعة من العلماء الكبار الذين حضروا دروسه في كربلاء ، وأشهرهم:[٩٧]

١ . الرجالي – الشيخ أبو علي محمد بن إسماعيل المازندراني[٩٨] الأصل الحائري المولد والمسكن الشهير بالرجالي من علماء الشيعة الإمامية المتوفى سنة خمس عشرة ومائتين والف له من الكتب أزهار الرياض المنتخب من رياض المسائل و عقد اللآلي البهية في الرد على الطائفة الغوية أعني الاخبارية[٩٩] مؤلف كتاب منتهى المقال في علم الرجال.

٢ – المحقق ميرزا أبو القاسم بن الحسن الجيلاني القمي ، الفاضل المعظم العالم العلم المقدّم مسهّل سبل التّدقيق والتحقيق مبين قوانين الأصول ومناهج الفروع ، وهو صاحب القوانين في الأصول والمناهج والغنائم ومرشد العوام الفارسي في الفقه وغيرها من الرّسائل والمسائل والفوائد العظيمة المنافع البهيمة العوائد[١٠٠] .

٣ – الأمير السيد على بن محمد بن علي الطباطبائي المعروف بأمير سيد علي الحائري صاحب الرياض توفى سنة ١٠٢١ ودفن بباب شارع السوق الكبير وهدم مقبرته أخيرا وهو ابن أخت الوحيد البهبهاني [١٠١].

٤ – المحقق محمد مهدي الكاشاني المعروف بـ (المحقّق النراقي) ـ مؤلف (مستند الشيعة).

٥ – السيد ميرزا مهدي بن هداية الله الأصفهاني الخراساني الشهيد سنة ١٢١٦ أستاذ بحر العلوم في الفلسفة ، وهو الذي لقبه ، (بحر العلوم).

كان الشيخ يوسف البحريني فضلاً عن مقامه العلمي الرفيع من مشايخ الحديث، وقد اتصل العديد من كبار مشايخهم في الأدوار اللاحقة، من طريقه بسلسلة الإجازات. ومن الذين نالوا إجازة الحديث عن البحراني، إلى جانب معظم تلاميذه، يمكن الإشارة إلى الراوون عنه غير خفي على من له إلمام بطرق الروايات ومشيخة الإجازات ، أن الشيخ البحراني من عقود جمانها ، فقد انتهت إليه سلاسل الإجازات وحلقات الروايات ، وقد أثبتها الشيخ الحجة ميرزا محمد العسكري مؤلف (المستدرك على البحار)[١٠٢] المتوفى في سنة ١٣٧١ في الأجزاء الثمانية من المستدرك على إجازات البحار ، والشيخ المحقق البحاثة الشيخ آقا بزرك صاحب الذريعة في (إجازات القرون الثلاثة) وإليك السماء من وقفت عليه ممن أجاز لهم الشيخ المؤلف ، وهم :

١– أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح العصفوري ، الدرازي البحراني ، ابن أخي الشيخ يوسف البحراني ، كان من علماء الإمامية ، فقيها ، مفتيا ، له يد في الأصولين . ولد في البحرين ، ونشأ بها ، ودرس على أكابر علمائها . وأجاز له ولابن عمه حسين بن محمد عمّهما صاحب الحدائق بإجازة مبسوطة جدا تاريخها سنة (١١٨٢ هـ) ، سمّاها (لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين) . وجدّ في التحصيل ، حتى بلغ مكانة سامية في العلوم . قيل : وينقل مستفيضا أنّه كان يحفظ (

وسائل الشيعة) للحرّ العاملي – وهو موسوعة روائية عن الأئمّة عليهم السّلام في عشرين مجلدا – بأسانيده ، وذلك من عجائب الأمور . انتقل المترجم إلى القطيف ، وتصدّر للإفتاء بالفلاحية ، وأقام مدة بالمحمّرة (المعروفة اليوم بخرّمشهر) ، وتوفّي بالبصرة (من مدن جنوب العراق) في – سنة ثمان ومائتين وألف[١٠٣].

٣ – الشيخ حسين بن محمد بن أحمد آل عصفور البحراني ، ابن أخي المؤلف واحد المجازين بلؤلؤة البحرين لقرتي العينين والمتوفى في شاخور ليلة الأحد (٢١ شوال سنة ١٢١٦هـ). شرع الشيخ حسين بتأليف كتابه له عيون الحقائق الناظرة في تتمة الحدائق الناضرة ، ج ٢ ، من أول النقص الحاصل في كتاب " الحدائق الناضرة " للمحدث الشيخ يوسف البحراني – المتوفى سنة ١١٨٦ هـ – وذلك من كتاب الظهار إلى آخر الكفارات في مجلد ، ثم كتاب العتق وما بعده في مجلد آخر ، وكان المجلدان قد طبعا في مجلد واحد في النجف الأشرف سنة ١٣٤٢ هـ .[١٠٤]

٤–الشيخ خلف ابن الشيخ عبد علي، ابن أخي المؤلف والثاني من المجازين باللؤلؤة ،والاثنان الأخيران هما ابنا أخ البحراني، قد كتب لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرّتي العين كإجازة لهما[١٠٥] وغيرهم من العظماء والعلماء الأفذاذ ممن تتلمذوا على يديه ورووا عنه.

٥ – المولى محمد مهدي الفتوني ، من شيوخ إجازة بحر العلوم ، وهو الشيخ الرفيع الشأن والمكان ، المشار إليه بكل بنان – الأفضل الأعلم الأكمل ، كما في بعض الإجازات المعتبرة ، يروي عنه المولى البهبهاني ، ولا ينبغي الريب في قبول روايته [١٠٦].

٦ – الشيخ سليمان بن معتوق العاملي ، الكاظمي ، أحد فقهاء الإمامية ومحدّثيهم . قرأ في جبل عامل على السيد محمد بن شرف الدين إبراهيم الموسوي العاملي (المتوفّى ١١٣٩ هـ) ، وروى عنه ، وسافر إلى العراق ، فحضر في كربلاء على يوسف البحراني صاحب الحدائق وتحمّل منه رواية كلّ طرقه في الرواية ، وروى أيضا عن الميرزا أبو القاسم الجيلاني القمّي الذي أقام في كربلاء مدّة . وتبحّر في العلوم الإسلامية ... وسكن المترجم بلدة الكاظمية ، ونبه ذكره بها ، وصار من أجلّاء فقهائها . وقد استجازه جماعة من الأعلام ، وتتلمذ عليه آخرون ، وتوفّي بالكاظمية – سنة سبع وعشرين ومائتين وألف[١٠٧].

٧ – السيد شمس الدين النسابة الحسيني التبريزي ، الفاضل الدين الفقيه الأديب ، الشاعر المؤرخ كان سيدا جليلا فقيها نبيلا ، نسابة عالما بالأصول والفروع متورعا دينا مؤرخا ، صادقا أمينا من بيت فخار في الحلة. المتوفى ١٢٠٠هـ[١٠٨].

٨ – السيد على بن محمد علي بن أبي المعالي الصغير ابن أبي المعالي الكبير الطباطبائي (١١٦١ – ١٢٣١) كان من الفقهاء الكبار و ابن أخت الوحيد البهبهاني قدس سره و صهره ، و تلميذه ، تربى على يديه ، فاشتهر في الأوساط العلمية ، و تخرج على يديه الفقهاء ، أمثال : ولده السيد محمد

المجاهد " صاحب المناهل " ، و السيد العاملي " صاحب مفتاح الكرامة " ، و الشيخ أسد الله التستري " صاحب المقابيس " . و أما مؤلفاته فكثيرة منها : ١ – رياض المسائل و هوشرح كبير للمختصر النافع للمحقق الحلي ٢ – مختصر الرياض الموسوم بالشرح الصغير . و حوالي سبع عشرة رسالة وكتب اخرى[١٠٩] .

٩ – علي بن موسى البحراني المحدث الورع الشيخ ولد سنة ١١٠٧ هـ وتوفي مجاورا لمشهد الحسين (ع) سنة ١١٨٧ هـ ودفن قريبا من الشهداء رضوان الله عليهم[١١٠].

المبحث الخامس:-

آثاره ومؤلفاته:-

لقد ترك الشيخ يوسف البحراني (رحمه الله) إلى جانب التدريس آثاراً باقية إلى يومنا هذا كانت وما زالت محط أنظار العلماء ، ومعظم هذه الآثار في الحديث والكلام والفقه والتاريخ والرجال ، وكما يقول هو نفسه في اللؤلؤة [١١١] ونقله المازندراني الحائري في منتهى المقال[١١٢]، فإن بعض كتاباته ومنها أجوبة المسائل الشيرازية، قد فقد في حادثة نهب بيته في فسا. أهم كتبه سواء من إذ المضمون والمحتوى أو من إذ الموضوع[١١٣] ، وقد عدّ بعضهم مؤلفاته تتجاوز الأربعين مؤلفاً بين مصنف ومؤلف ورسالة وحاشية وتعليقة وغيرها عدا ما فُقد في الأحداث السياسية التي حدثت في إيران وتدل آثاره على علمية واسعة وثقافة شاملة في مختلف العلوم ومن مؤلفاته[١١٤]:

١ – أجوبة الشيخ أحمد ابن الشيخ حسن الدمستاني البحراني.

٢ – أجوبة الشيخ أحمد بن يوسف بن علي بن مظفر السيوري البحراني .

٣ – أجوبة المسائل البهبهانية ، الواردة من بهبهان ، سأله عنها السيد عبد الله ابن السيد علوي البحراني القاطن ببلدة بهبهان ، توجد عند الحجة السيد شهاب الدين المرعشي النجفي بقم ،تحقيق : أحمد العصفور . قم : ط ١ ، ١٣٦٤ هـ.[١١٥]

٤ – أجوبة المسائل الخشتية ، سأله عنها الشيخ إبراهيم الخشتي .

٥ – أجوبة المسائل الشاخورية ، سأله عنها السيد عبد الله ابن السيد حسين الشاخوري .

٦ – أجوبة المسائل الشيرازية . بعض كتاباته ومنها أجوبة المسائل الشيرازية، قد فقد في حادثة نهب بيته في فسا.

٧ – أجوبة المسائل الكازرونية ، وردت من كازرون من الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد النبي البحراني .

٨ – أجوبة المسائل النعيمية ، سأله عنها الشيخ محمد بن علي بن حيدر النعيمي [١١٦].

٩ – الأربعون حديثا ، في مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) استخرجها من كتب العامة ، قال الشيخ العلامة آقا بزرگ الطهراني الرازي في الذريعة[١١٧] : " يقرب من ألف بيت ، أول أحاديثه مستخرج من شرح المقامات للمطرزي ، يوجد في مكتبة سردار كابلي " .

١٠ – أعلام القاصدين إلى مناهج أصول الدين ، خرج منه الباب الأول في التوحيد .

١١ – الأنوار الحيرية ، والأقمار البدرية ، في جواب المسائل الأحمدية تقرب من مائة مسألة ، نسبة إلى الحير وهو الحائر الحسيني على مشرفه السلام .

. ١٢ – تدارك المدارك ، فيما هو غافل عنه وتارك . وهو حاشية على كتاب (مدارك الأحكام) للفقيه العاملي السيد محمد سبط الشهيد الثاني ، خرج منه كتاب الطهارة والصلاة ، وعاقه عن اتمامه اشتغاله بكتابه الكبير المهم (الحدائق) وأدرج بقية مناقشاته مع صاحب المدارك هناك .

١٣ – حاشيته على كتاب مدارك الأحكام للفقيه السيد محمد العاملي (رحمه الله).

١٤ – حاشية على شرح الشمسية في المنطق.

١٥ – حاشية على الوافي . لشيخ العلوم العقلية والنقلية ، المحدث المحقق الفيض الكاشاني ، وهي تعليقة على كتاب الصوم منه فحسب .

١٦ – حاشية على كتابه لؤلؤة البحرين .

١٧ – حواش وتعاليق على كتابه الدرر النجفية ، طبعت بهامش الأصل .

١٨ – حواش على كتاب (الحدائق) طبعت بهامش الأصل .

١٩ – الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة. موسوعة فقهية في الفقه الإستدلالي ضخمة ، وعليها العديد من الشروح والتعليقات والحواشي. بدأ بتأليفها في فسا وأكملها في كربلاء. قام تلميذه، وابن أخيه، الشيخ حسين بن محمد، بتدوين ما بقي من مباحث الحدائق في كتاب أسماه: عيون الحقائق الناظرة في تتميم الحدائق الناضرة. كتابه القيم والذي اشتهر كاشتهار الشمس في رابعة النهار حتى أصبح أشهر من اسمه حتى كاد لا يذكر إلا بوصف صاحب الحدائق. وهو مطبوع في (٢٥) مجلداً . كان قد طبع على الحجر غير مرة ، ثم طبعته دار الكتب الإسلامية في النجف الأشرف بتحقيق الشيخ محمد تقي الإيرواني وصدر في ١٥ جزءا فأعادت مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم طبعه بالأوفسيت ، كما تبنت المؤسسة المذكورة تتميم طبع الكتاب وإخراج بقية أجزائه فأصدرت من ذلك الأجزاء ٢١ و ٢٢ و ٢٣ ولا تزال مشغولة بإخراج الأجزاء الأخرى[١١٨].

٢٠ – الخطب : خطب الجمعات والأعياد ، يوجد عند الحجة السيد شهاب الدين المرعشي[١١٩].

٢١ – الدررالنجفية من الملتقطات اليوسفية ، قال عنه المؤلف في (اللؤلؤة) : فهو كتاب لم يعمل مثله في فنه مشتمل على تحقيقات رائقة ، وأبحاث فائقة " وقال الحائري في منتهى المقال : " وهو كتاب جيد جدا " مشتمل على علوم ومسائل ، وفوائد ورسائل ، جامع لتحقيقات شريفة وتدقيقات لطيفة " . وقال الشيخ العلامة آقا بزرگ الطهراني الرازي في الذريعة[١٢٠]: " فيها مسائل معضلة ورسائل ذات دقائق لطيفة " وهي سبعون درة ، ربما يظهر منها أنه ألفها حين مقامه في النجف الأشرف ، فرغ

من تأليفها في العشرين من ذي القعدة سنة ١١٧٧هـ، ومقدمات (الحدائق) الاثنتي عشرة مبثوثة في درره بتغيير يسير وطبع على الحجر في إيران سنة ١٣٠٧ هـ ، ثم أعادت طبعه بالأفست مؤسسة آل البيت – عليهم السلام لإحياء التراث ، في قم ، وطبعت : تحقيق ونشر شركة دار المصطفى لإحياء التراث وتحقيق ونشر شركة دار المصطفى لإحياء التراث لبنان – بيروت ،الطبعة الأولى : ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.[١٢١]

٢٢ – رسالة في تحقيق معنى الاسلام والايمان ، وأن الايمان عبارة عن الاقرار باللسان والاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان .

٢٣ – رسالة في تقليد الميت ابتداء وبقاء ، وفي ذيلها مقالة في اشتراط الصيغة وعدمه في العقود .

٢٤ – رسالة في ولاية الموصى إليه بالتزويج وعدمها ، كتبها عام ١١٧٦ ، كتب إلينا بهذه الرسائل الثلاث – فيما كتبه إلينا – العلامة الحجة السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دام ظله ، وذكر أنها موجودة في مكتبته بخط أحد تلامذة المؤلف .[١٢٢]

٢٥ – سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد والرد عليه في شرحه لنهج البلاغة ، وقدم له مقدمة شافية في الإمامة تصلح أن تكون كتابا مستقلا ، خرج منه جزآن السيد عبد العزيز الطباطبائي في تصديره لكتاب (الحدائق) [١٢٣] .

٢٥ – الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب وما يترتب عليه من المطالب. تحقيق : السيّد مهدي الرجائي الناشر : المحقّق طبع : أمير – قم ١٣٧٧ هـ ش الطبعة : الأُولى العنوان : قم المقدّسة.[١٢٤]

٢٦ – الرسالة الصلاتية متنا " وشرحا " ، فرغ منها في كربلاء عام ١١٧٠ هـ.

٢٧ – الرسالة الصلاتية المنتخبة منها ، كتبها في النجف الأشرف عام ١١٧٥ هـ.

٢٨ – الصوارم الصاعقة او (الصوارم القاصمة) لظهور الجامعين بين ولد فاطمة ، حرم فيها الجمع بين فاطميتين ، فرغ منها عام ١١٦٩ هـ.

٢٩ – عقد الجواهر النورانية في أجوبة المسائل البحرانية ، سأله عنها الشيخ علي بن الحسن البلادي[١٢٥].

٣٠ – قاطعة القال والقيل في انفعال الماء القليل ، تعرض فيها للنقاش العلمي مع إمام المعقول والمنقول المحقق المحدث الفيض الكاشاني (قدس سره)[١٢٦] .

٣١ – جليس الحاضر وأنيس المسافر (أو جليس المسافر وأنيس الحاضر) متنوع المواضيع، كتبه تكريماً لابنه ، ورسائله المستقلة، وهذا الكتاب معروف ومشهور بين الناس باسم (كشكول البحراني»).[١٢٧] وهذا الكتاب كتاب أدب وأخلاق حميدة ألفه الشيخ يوسف لطلبة العلم . . . كي يؤنسهم ويحثهم على الفضائل الحميدة . يقول الشيخ يوسف البحراني في مقدمة كتابه الكشكول : " فرأيت أن اصنع كتابا

متضمنا لطرائف الحكم والأشعار مشتملا على نوادر القصص والآثار قد حاز جملة من الأحاديث المعصومية والمسائل العلمية والنكات الغريبة والطرائف العجيبة يروح الخاطر عند الملال ويشحذ الذهن عند الكلال جليس يأمن الناس شره يذكر أنواع المكارم والنهى ويأمر بالإحسان والبر والتقى وينهى عن الطغيان والشر والأذى " ويقول ناشر الكتاب وهو مؤسسة دار الوفاء ودار النعمان . . عن هذا الكتاب العظيم : " هو كتاب رائع يجمع بين الفقه والحديث والأدب والشعر والتاريخ وغير ذلك ، وجدير بأهل العلم والمعرفة أن ينهلوا من المنهل العذب "[١٢٨] ، طبع الكشكول، تحقيق: السيد محمد السيد حسين المعلم، د.م، الناشر: المكتبة الحيدرية، ط١، ١٤٢٨ هـ .

٣٢ – كشف القناع عن صريح الدليل في الرد على من قال في الرضاع بعموم التنزيل ، ناقش فيه أدلة سلطان المحققين المولى العماد (مير داماد) في القول بعموم المنزلة ، ألفه في شيراز سنة ١١٤٩ هـ، توجد منه نسخة في مدرسة البادكوبي في كربلاء .

٣٣ – الكنوز المودعة في إتمام الصلاة في الحرم الاربعة . مكة والمدينة، وكربلاء، والكوفة.

٣٤ – لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العينين ، وهي إجازة كبيرة مبسوطة كتبها لابني أخويه : الشيخ حسين ابن الشيخ محمد والشيخ خلف ابن الشيخ عبد علي . تشتمل على تراجم أكثر علمائنا من عصره إلى عصر الصدوقين ، يعرف منها تتبعه في الرجال وإحاطته بالتراجم . وعلى اللؤلؤة حواش ثلاث : ١ – حواش وتعليقات للمؤلف نفسه. ٢ – حاشية عليها للميرزا محمد التنكابني مؤلف قصص العلماء ٣ – حاشية عليها للميرزا محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع النيشابوري الهندي الأخباري المقتول سنة ١٢٣٢ ، ولخصها وانتخب منها تلميذ المؤلف الأمير عبد الباقي سبط العلامة المجلسي ، وهو من المصادر المعتبرة للتراجم وعلم الرجال وذكر في هذا الكتاب بالتفصيل العلماء بدءاً من معاصريه حتى زمان الكليني وابن بابويه. طبع، لؤلؤة البحرين، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مؤسسة آل البيت، قم.

٣٥ – اللئالي الزواهر في تتمة عقد الجواهر ، في أجوبة مسائل لذلك السائل ، وهي اثنتان وعشرون مسألة ، فرغ منها في جمادى الثانية عام ١١٧٣هـ في كربلاء .

٣٦ – الرسالة المحمدية في أحكام الميراث الأبدية ، كتبها للشيخ محمد ابن الشيخ أحمد البحراني ، توجد نسخة من هذه الرسالة والتي قبلها بالمكتبة الجعفرية العامة في المدرسة الهندية في كربلاء.

٣٧– مقدمات الحدائق (فقه – عربي) للشيخ يوسف البحراني (١١٨٦ هـ) . اثنتا عشرة مقدمة في مباحث مقدمات علم الأصول والقواعد الكلية للاستنباط[١٢٩].

المبحث السادس:-

منهج الشيخ يوسف البحراني في كتابه لؤلوة البحرين:-

وفي هذا الكتاب الذي بين ايدينا سنعرض لمنهج احد المؤرخين ومن اشهر علماء البحرين الذي كان له الفضل في التوفيق بين مدرستين فقهيتين، (الأخبار والأصول)، واعتبر مؤسساً لنهج فقهي معتدل لاتزال آثاره ماثلة حتى يومنا هذا، في كتابه ((لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث))، الذي انتهى من كتابته قبل وفاته بأربع سنوات فقط (أي في العام ١٧٦٨ م)، يسرد فيه بعضاً من سير ١٣٣ عالماً من علماء البحرين والقطيف والأحساء وجبل عامل والعراق وإيران. توفّر هذه السير، وبشكل متناثر، من المعلومات والإشارات ما يمكن جمعه وتحليله وإعادة تشكيله ليقدّم صورةً للبحرين في تلك المرحلة.

ومن القضايا التي بالإمكان التعرّف عليها من خلال تتبع ما كتبه الشيخ يوسف عن البحرين، التعرف على أسماء بعض القرى التي كانت عامرةً ومهمةً في تلك الفترة، والتعرف على بعض الاضطرابات السياسية التي عانت منها البحرين في تلك الفترة، وبعض أسباب الهجرة المحلية والخارجية التي عرفت عن أهل البحرين في تلك الفترات التاريخية، وبعض معالم النظام السياسي الذي كان قائماً آنذاك، والعلاقة التي كانت قائمة بين البحرين والدولة الصفوية الإيرانية، بالإضافة إلى موضوعات تعنى بدراسة كيفية تكوين شخصية عالم الدين في البحرين من خلال التعرف على كيفية تحصيلهم العلمي وبعض المعلومات عن التأليف وأنواع الكتابة، وغير ذلك، ولهذا يعد كتاب لؤلوة البحرين هو عبارة معجم تاريخي بتراجم مشاهير اهل الحديث من علماء البحرين وغيرهم وقد قام بتحقيق الكتاب : السيد العلامة محمد صادق بحر العلوم وقام بطبعه مطبعة فخراوي ، الطبعة الاولى ،سنة ٢٠٠٨م .

والكتاب يمثل مصدرا مهما للباحثين في التاريخ الاسلامي عموما ، وبتاريخ البحرين خصوصا ، ولا سيما فيما يتعلق بالناحية السياسية والعلمية ، إذ تكشف التراجم التي ضمنها المصنف كتابه عن جوانب كثيرة من الحياة الثقافية والفكرية في البلدان المشرقية عموما والبحرين خصوصا ، والصلات الفكرية بين هذه البلاد المشرقية والمراكز العلمية الاخرى في العالم الاسلامي ، هذا بالإضافة الى ما يأتي في ثنايا التراجم من معلومات عن النواحي السياسية والاحداث التاريخية التي حصلت في حياة المؤلف في البحرين ، وبمناطق اخرى من العالم الاسلامي التي زارها او استوطنها من النجف وكربلاء المقدستين.

اركان منهج المصنف في كتابه هذا:

اولا: تنظيم الكتاب ومحتوياته.

اتبع المصنف في تنظيم كتابه منهجا يقترب كثيرا من المنهج المتبع في اساليب البحث الحديثة إذ جاء الكتاب في مقدمة و"١٣٣" ترجمة علماء الحديث بسلسة الاجازة ، صدره بها هي بمنزلة تمهيد

لموضوع الكتاب الرئيس وهو تراجم لاهل الحديث و العلم بالبحرين سواء كانوا من اهلها ام من اخذ منهم الحديث .

اما المقدمة فقد تحدث فيها الشيخ البحراني (رحمه الله) في تراجم علماء البحرين إلى ما جرى عليهم من الحوادث والحروب ولكن بصورة موجزة ذلك لأن الكتاب موضوعه الإجازة في الرواية وبيان السلسلة الطيبة من العلماء والمحدثين البررة .

ويفتتح ثناء كتابه هذا بقوله :"الحمد لله الذي جعلنا من أهل الرواية ونور قلوبنا بأنوار المعرفة والدراية وأوضح لنا سبيل الرشد والهداية ونجانا من ظلمات الريب والغواية الذي رفع بالعلم درجات العلماء العاملين وجعلهم خلفاء سيد المرسلين بعد أولاده الأئمة المعصومين (عليهم جميعاً صلوات رب العالمين) ، فهم حفظة الدين ومنار المهتدين وقدوة المقتدين والصلاة والسلام على مؤسس قواعد الدين وقامع شوكة المعتدين "[١٣٠].

"الذي رفع بالعلم درجات العلماء العاملين، وجعلهم خلفاء سيد المرسلين، بعد أولاده الأئمة المعصومين، عليهم جميعاً صلوات ربّ العالمين، فهم حفظة الدين، ومنار المهتدين، وقدوة المقتدين، حثّ العلماء على التمسك بالثقلين، وأوجب عليهم الأخذ بذينك الثقلين، وأن لا يتجاوزوهما في البين، اذ هما السبيلان اللذان لا يضل سالكهما، ولا تظلم مسالكهما، والدليلان المنصوبان من مالكهما، فمن تجاوزها فقد وقع في تيه الضلالة، ومن تخطاهما فقد غرق في بحور الجهالة، وربط شوارد الأخبار الواردة عن أولئك السادات القادات بسلاسل(الإجارات) لتؤمن فيها العثرات، وتصفو من شوب الكدورات" .[١٣١]

ثانيا: سبب التأليف:

ومن بين أبرز المصنفات ذات القيمة التاريخية العالية التي وضعها الشيخ يوسف كتابه الرجالي الشهير (لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين)، وهو عبارة عن إجازة كبيرة كتبها لابني أخويه الشيخ حسين ابن الشيخ محمد والشيخ خلف بن الشيخ عبد علي، اشتملت على تراجم أكثر علماء الإمامية إلى عصر الصدوقين، وفيها أظهر الشيخ يوسف تتبعاً منقطع النظير للرجال، وإحاطةً بالتراجم مع إلماعات تاريخية مهمة واكب الكثير من أحداثها، و من دون فصولها كشاهد عيان. وقال في مقدمة كتابه عن سبب التأليف "وإذ أن الولدين الأعزين الفاضلين، الكاملين، نوري العين والناظر، وبهجتي القلب والخاطر، خلف ابن أخي المقدس المبرور الشيخ عبد علي، وحسين ابن أخي الأمجد ورعاهما – ممن فازا بالمعلّى والرقيب من قِداح العلوم الفاخرة، وحازا أوفر نصيب من سنا جواهرها الزاهرة، مضافاً لما عليه من الورع والتقوى، والتمسك بتلك العروة الوثقى، وفقهما الله تعالى للصعود الى غايتها العليا، ونهايتها القصوى، وقد استجازاني _ أمد الله لهما في العمر السعيد، ومتعهما بالعيش الرغيد– قبل هذه الأيام (فأجزت لهما) إذ رأيتهما أهلاً لذلك المقام، وإن لم أكن من فرسان هذا الميدان، ولا من مجلّي حلبة هذا الرهان ".[١٣٢]

ثالثا: اهمية الكتاب:

ويعدّ كتاب ((اللؤلؤة)) موسوعةً رجاليةً ذات قيمةٍ تاريخيةٍ مهمة، وسيأتي بعد الشيخ يوسف؛ الشيخ علي البلادي البحراني (ت ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م) بعد حوالي قرن ونصف القرن، ليضع كتاب ((أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين))، من أجل استكمال هذه المهمة التاريخية القيمة في توثيق تراجم رجال العلم البحرينيين. فالشيخ يوسف العصفور توفّي في العام ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، أي أن الفارق الزمني بين وفاة الرجلين تقدّر بحوالي مئة وخمسين عاماً.

ومع أن الأولى هي (إجازة كبرى) والمصنّف الثاني موسوعةٌ رجالية؛ فإن الكتابين يؤديان وظيفةً تاريخيةً واحدةً تقريباً، تتلخص في الكشف عن تاريخ البلاد وأبرز رموز الحركة العلمية فيها. ومعنى أن تكون (اللؤلؤة) إجازةً: أنها تتخطى حواجز الجغرافيا للبلدان، فيؤرخ مصنّفها عمن يروي عنهم، ومن ثمّ قد يترجم صاحب الاجازة لعالم دين إيراني في بهبهان أو مجتهد عراقي من كربلاء أو محدّث من جبل عامل، في حين يغفل الترجمة لفقيه بحريني من أهل جد حفص أو مقابة أو بوري، لأنه لا يروي عنهم.
وليس نسبة اللؤلؤة إلى (البحرين) سوى من قبيل نسبة ما يكتبه المُصنّف إلى الأرض التي يكون فيها وقت التصنيف، وهو أمرٌ تعارف عليه عند علماء ذلك الوقت، فحين يكون المصنّف في شيراز قد يكتب (الرسالة الشيرازية)، أو يكون في بهبهان تكون (البهبهانية) وهكذا.

رابعا : لغة المؤلف واسلوبه:

كان الشيخ يوسف البحراني صاحب منهج علمي بدأ في غاية الدقة والوضوح في تراجم علماء البحرين ومن اخذه منهم الاجازة بسلسلة طويلة وذكر مصنفاتهم ، فأنه لم يخرج عن موضوع هو بصدد بحثه ، فلم نجد في كلامه استطراداً في التراجم ، وانما كان يوصل الى هدفه من الترجمة مباشرة بكل اختصار ودقة. تختلف المعلومات في تراجم الرجال بحسب طبيعة المترجم له ومكانته العلمية والادبية فضلاً عن كثرة مصنفاته .

اما بالنسبة للغة قد اتسمت بالفصاحة والسهولة والسلاسة فكانت مفهومة ، واذا وجد مفردات تحتاج الى توضيح او عبارات غامضة في الروايات التي نقلها عن مصادره يقوم بتوضيحها ، ولم يحدث ان استعمل المؤلف كلمة عامية في كتابه .

اما اسلوبه فقد استعمل الاسلوب المرسل ، ولم يلجا الى السجع ، وكان طبيعيا غير متكلف مثل قوله في ترجمة " السيد علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي فكان من أعيان العلماء والفضلاء في عصره، جليل القدر من تلامذة شيخنا الشهيد الثاني، تزوج ابنته في حياته فاولدها السيد محمد صاحب المدارك، ثم تزوج بعد موته والدة الشيخ حسن فأولدها السيد نورالدين علي – المتقدم ذكره – ولم أقف على من ذكر له شيئاً من التصانيف"[١٣٣].

خامسا: المادة التاريخية في الكتاب.

بعد المقدمة شرع المؤلف في تفصيل الحديث عن شخصيات تراجمه من العلماء واصحاب الحديث واورد خلال تراجمه مادة تاريخية خصبة شملت النواحي السياسية والتاريخية والفكرية والاجتماعية ، وغير ذلك من مناحي الحياة ، كما سيتضح فيما يلي :

المادة التاريخية في الكتاب غزيرة ومتنوعة اذ انها من الناحية الجغرافية لم تقتصر على الاحداث المتعلقة بالبحرين ونواحيها فحسب ، ولكنها شملت مناطق اخرى من العالم الاسلامي ، ولكن مع من ذلك تبقى المعلومات المتعلقة بالبحرين ونواحيها لها اهمية خاصة نظرا لعدم وجود بعض هذه المعلومات في المصادر الاخرى .كما في ترجمة الشيخ "محمد الحر العاملي " توفي – رحمه الله تعالى – في بلدة بهبهان إذ انّه استوطنها لما أخذت الخوارج بلاد البحرين، وكان قد خرج من البحرين في الواقعة الثانية من وقائع قدوم الخوارج اليها، وقد كانوا قدموا أول مرّة في غراب واحد وانضمت اليهم الأعراب من أعداء الدين فرد الله تعالى كيدهم في نحورهم ولم يتمكنوا من أخذها ثم بعد سنة قدموا في سبع برش وانضمّت اليهم الأعراب وكان قد أرسل الشاه سلطان حسين خانا من أهل الرشت مع جملة من العسكر قبل وصولهم وانحدروا عليها أيضاً في جم غفير، وقد كان أهل البحرين قد استعدوا بالأسلحة للحرب وساعدهم العسكر المذكور فوقع الحرب وهم في السفن فقتل منهم جمع ورجعوا بالخيبة أيضاً وبعد رجوعهم سافر الشيخ عبدالله المذكور الى اصفهان للسعي في مقدمة البلدة المذكورة عند الشاه، وقد كان شيخ الاسلام أيضاً في اصفهان إلا أنه لما كانت دولة الشاه المزبور مدبرة رجع الشيخ بالخيبة مما أمله وتوطن في بلدة بهبهان لظنّه برجوع الخوارج اليها فاتّفق مجيئ الخوارج مرة ثالثة واتّفق رأيهم على حصار البلد ومنع من فيها من الخروج والدخول، وانضمّت الى اعانتهم أيضاً أعداء الدين من الأعراب، والشيخ لمّا سمع ذلك توطن في بلدة بهبهان وأخذوها بعد الحصار مدة مديدة..." [١٣٤] .

سادسا: المادة الجغرافية في الكتاب.

جغرافيّاً، يأتي الكتاب على ذكر البحرين باسمها الحالي (البحرين) ولكن النسبة إليها، بحسب الكتاب، كما يذكر من جزر البحرين: أوال (أكبر الجزر)، سترة، أُكُل (بضم الهمزة والكاف)، أو النبي صالح (حسب الكتاب)، كما يلمح إلى جزيرة المحرق من دون ذكر اسمها بالنص. فحين يتحدث عن قرية سماهيج يصفها بأنها "قرية في جزيرة صغيرة بجنب جزيرة أوال من طرف المشرق"[١٣٥] من المُلفت أن الكتاب أحياناً يذكر أسماء قرى داخل قرى. فقرية الماحوز مثلاً تتألف من ثلاث قرى، هي: ال من دونج وهلتا والغريفة، وهناك قرية تسمى كتكان تقع في قرية توبلي. كما يصف سترة بالقرية أحياناً، وبالتالي تكون كل قراها قرى داخل قرية.

ومن القرى التي يذكرها الكتاب أيضاً قرية تسمى (عالي معن) والنسبة إليها (المعني)، وقرية الرويس، وقرية عزارا وتقع بالقرب من سماهيج. كما في ترجمة " الشيخ عبدالله بن الحاج صالح بن ...

السماهيجي أصلاً نسبة الى سماهيج بالياء المثناة من تحت ثم الجيم أخيراً وهي قرية في جزيرة صغيرة بجنب جزيرة أوال من طرف المشرق، وفيها أيضاً قرية اخرى تسمّى غزارا، ثم انتقل منها مع أبيه وسكن قرية ابي اصبع بالباء الموحدة بين الصاد والعين"[١٣٦]_ ، وكذلك في ترجمة "الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي المشغري ، نسبة الى مشغره – بالميم المفتوحة ثم الشين المعجمة المفتوحة ثم الغين المعجمة الساكنة ثم الراء والهاء أخيراً قرية من قرى جبل عامل" [١٣٧].

وبصورة عامة ، ذكر الكتاب المناطق الآتية: البحرين، أوال، سترة (الخارجية)، سماهيج، عزارا، جزيرة النبي صالح (أُكُل)، الماحوز (ال من دونج، هلتا، الغريفة)، توبلي (كتكان)، عالي معن، الرويس، البلاد القديم، كرزكان، سماهيج، جدحفص، المصلى، جد الحاج، نعيم، الدراز، بني جمرة، مقابا، أبي أصبع، المقشاع، القدم، الحجر، الشاخورة، كما في ترجمة "الشيخ حسين ابن المرحوم الشيخ محمد بن جعفر البحراني رحمه الله تعالى، الماحوزي – نسبة الى الماحوز – وهي ثلاث قرى (ال من دونج) بالجيم بعد النون، وهي مسكن الشيخ المزبور ، و(هلتا) بالتاء المثناة من فوق بعد اللام، وبها قبر المحقق العلامة الفيلسوف الشيخ ميثم البحراني صاحب الشروح الثلاثة على نهج البلاغة – ... و(الغريفة) بالغين المعجمة ثم الراء ثم الياء المثلثة من تحت ثم الفاء – مصغراً".[١٣٨]

منهج البحراني في تراجمه:

يبين الشيخ البحراني في مقدمة كتابه لؤلؤة البحرين منهجه في تراجم كتابه بكل وضوح وسلاسة بقوله"ثم أني شفعت تلك الإجازة الآن لهما باجازة أخرى مبسوطة شافية، مستوفية لذكر جلّ علمائنا وذكر مصنفاتهم برمتها وافية، لم يسبق لمثلها أحد من علمائنا الأعلام، لاشتمالها على تفاصيل جمل من أحوال جملة من اولئك الفضلاء الكرام، مما وصل اليه علمي في كل مقام، وبيان نبذة من تواريخ مواليدهم ووفياتهم وسيرهم في تلك الأعوام، وسميتها (لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين)[١٣٩]. مبينا سنده بالسلسة الذهبية الرصينة والمعنعنة المبنية على النقل من بيت العصمة مقتديا بالسلف والخلف في نقلهم من شيخ الى شيخ حتى وصولهم الى اهل بيت النبي ومهبط الوحي ،ويذكر ذلك بقوله " إلا انّه إذ جرى السلف والخلف في ذلك – تيمناً وتبركاً – باتصال هذه السلسلة الشريفة، والمعنعنة المنيفة، بأهل الشرف والعصمة ومن نور هدايتهم يبرأ الأكمه والأبرص، جرينا في ذلك على منوالهم، وحذونا على تمثالهم، إسامةً لسرح اللحظ إذ أساموا، شكر الله تعالى سعيهم فيما قعدوا فيه من تهذيب هذه العلوم وقاموا (وقد أجزت لهما) – أدام الله علاهما، وكثّر في الفرقة الناجية شرواها – جميع ما صحت لي روايته عن مشايخي الأعلام وثبتت لديّ درايته عن أساتيدي الكرام، رفع الله تعالى أقدارهم في دار السلام، من كتب أصحابنا في جميع العلوم، ومروياتهم ومجازاتهم ومسموعاتهم في كل مفهوم منا ومعلوم، ولاسيما الحديث والفقه والتفسير والرجال والاصولين واللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان، وكل ما دخل في حيّز هذا الشأن".[١٤٠]

ذاكرا حلقة الوصل الى السلسة الى المشايخ الاجلاء الاعلام في جازتهم بقوله" ومن طرقي الى المشايخ الأعلام ، ومصنّفاتهم المشار اليها في المقام ما أخبرني به قراءةً وسماعاً وإجازةً شيخنا الفاضل واستاذنا الكامل جامع المعقول والمنقول، ومستنبط الفروع من الأصول، الجامع بين درجتي العلم والعمل، والفائز بأكمل مرتبة لا يعتريها الخلل، الشيخ الأجل الأوحد الأفخر ،الشيخ حسين بن الشيخ محمد الشيخ حسين ابن المرحوم الشيخ محمد بن جعفر البحراني رحمه الله تعالى، الماحوزي"[١٤١].

عناصر الترجمة:-

أن تنوع اتجاهات الأعلام المترجم لهم من جهة، وكثرة عدد الموارد التي اعتمدها، ومدى توافرها وتباين نوعيتها من جهة أخرى، أدت إلى الاختلال والتباين في المادة التي احتوتها كل ترجمة ولعل الهدف الذي توخاه البحراني في ترجمته لهؤلاء الأعلام للتنويه بهم وبمكانتهم ومشاركتهم في الثقافة العربية الإسلامية ، من خلال رفدها بالجديد، كلاً من زاوية اهتمامه يجعلنا نلتمس قسماً من السمات العامة في الترجمة الواحدة، ونلاحظ إن المادة الموجودة في كل ترجمة تختلف عن الأخرى بحسب طبيعة المترجم له وقيمته العلمية أو الأدبية، ومكانته الاجتماعية ، وعدد الموارد التي يعتمدها المؤلف ونوعيتها من جهة أخرى، ومن السهل أن نجد اختلافاً واضحاً بين ترجمة المحدث أو الفقيه مثلاً أو ترجمة الصوفي أو الخطيب.

أولا: الاسم وتوابعه وملحقاته.

ثانيا: المولد.

ثالثا: المكانة الاجتماعية والعلمية.

رابعا: الوظائف والاعمال.

خامسا: النتاج العلمي والأدبي.

سادسا: الشواهد القرآنية و الشعرية.

سابعا :طول الترجمه وقصرها .

ثامنا:ضبط النسبة لغوياً.

تاسعا: الوفاة.

اولا: الاسم وتوابعه وملحقاته.

كان المصنف في تراجمه يحرص كل الحرص على ذكر اسم المترجم له ولقبه او كنيته او نسبته الى قبيلته او الى مدينته او جنسه او ما اشتهر به من اسماء او غير ذلك ، وقلما ياتي ذكر العلم من دون لقبه او نسبته او كنيته ، وهو يذكر ذلك في صدر الترجمة كما يتضح فيما يلي : إنموذجات ذكر فيها الاسم واسم الاب فقط، كما في ترجمة :"الشيخ محمد بن يوسف"[١٤٢].

– إنموذجات ذكر فيها الاسم والنسبة والكنية واللقب وهو المنهج السائد في جميع تراجمه:كما في ترجمة :"الشيخ علي بن سليمان بن حسن بن سليمان بن درويش بن حاتم البحراني القدمي الملقب بزين الدين"(١٤٣). وكذلك في ترجمة :" آقا جمال الدين محمد ابن المحقق المدقق آقا حسين ابن جمال الدين محمد الخوانساري "(١٤٤). نماذج ذكر فيها الاسم والنسبة والكنية والشهرة:مثل "الشيخ الجليل زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين ابن صالح، المعروف بابن الحجة والمشهور بالشهيد الثاني"(١٤٥) ." وكذلك في ترجمة "محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الشهير بالمجلسي"(١٤٦).

ثانيا: تاريخ الولادة :

من البديهي ان تتناول تراجم حياة الأشخاص والأعلام في المجتمع ذكر تاريخ الولادة والوفاة وهو ما عني به معظم العلماء والمؤرخين لاسيما أولئك الذين الفوا في التراجم والسير .

ويورد الشيخ البحراني تراجم منها أشار فيها الى تاريخ الولادة وان انحصرت بالسنة فقط نحو قوله في ترجمة" جمال الدين أبو منصور الشيخ حسن وكان مولده – قدس سره – سنة السبعين بعد التسعمائة"(١٤٧). وفي بعض التراجم يذكر تاريخ الولادة باليوم والشهر والسنة مثل قوله في ترجمة "الشيخ الجليل زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد ، ان مولده ثالث عشر شوال السنة الحادية عشرة بعد التسعمائة"(١٤٨)، وفي بعض التراجم يذكر اليوم والشهر والسنة ومكان الولادة كما في ترجمه " الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي المشغري...: كان مولده في قرية مشغرة ليلة الجمعة ثامن رجب السنة الثالثة والثلاثين بعد الألف" (١٤٩).

ثالثا: المكانة الاجتماعية والعلمية:

كان المصنف حريص على ذكر المكانة العلمية للمترجم له او مناصبه واعماله وتختلف المادة المكونة لهذه العناصر تبعا لاختلاف طبيعة المترجم له الاجتماعية واهتماماته العلمية والفكرية ، كما تتباين من إذ المساحة الشاغلة لكل جانب من هذه الجوانب وان كانت السمة الغالبة في جميعها الاقتضاب ، نحو قوله في تراجمة " الشيخ محمد بن يوسف كان ماهراً في العلوم العقلية والفلكية والرياضية والهيئة والهندسة والحساب والعربية..."(١٥٠)، وكذلك في ترجمة" السيد حسين ابن السيد محمد العاملي الجبعي... وكان شيخ الإسلام – يعني أقضى القضاة – بالمشهد المقدس على مشرفه السلام، وكان مدرساً في الحضرة الشريفة في القبة الكبيرة الشرقية، وأعطيت التدريس مكانه ..."(١٥١)، وكذلك في ترجمة " السيد حسين ابن السيد محمد بن علي بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي، كان عالماً فاضلاً فقيهاً، ماهراً جليل القدر عظيم الشأن..."(١٥٢)

رابعا– الوظائف والاعمال:–

اما عن الوظائف والأعمال التي اشتغل بها بعض من ترجم لهم البحراني فقد وردت الإشارة إليها في معظم ترجمات الكتاب ، لكن المعلومات الواردة فيها لم تتعرض لتاريخ التولية والعزل للمترجم له او

الاستعفاء منها او حتى تقدير المدة المنقضية فيها او التعليل لتقليدها . من ذلك قوله "محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الشهير بالمجلسي...وهذا الشيخ كان إماماً في وقته في علم الحديث وسائر العلوم، شيخ الاسلام بدار السلطنة اصفهان، رئيساً فيها بالرئاستين الدينية والدنيوية، إماما في الجمعة والجماعة"[١٥٣]، وكذلك في ترجمة "الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني العاملي الجبعي، شيخنا الأوحد، كان عالماً فاضلاً كاملاً متبحراً مدققاً محققاً ثقة ثقة صالحاً عابداً ورعاً شاعراً منشئاً أديباً جامعاً حافظا لفنون العلم النقليات والعقليات ، جليل القدر عظيم المنزلة لا نظير له في زمانه" [١٥٤].

وهكذا نجد المصنف ينسب كل علم الى علمه او عمله او مهنته او حرفته او او مدينته او جنسه ، وقلما ترك علما اشتهر بشيء الا ذكره ، مما يجعل القاري يامن البس عندما تتشابه الاسماء ، ويجعله يتعرف على الاسماء المراد التعرف عليها بسرعة ويقف على المعلومات المطلوبة في يسر وسهولة.

خامسا: النتاج العلمي والأدبي.

غير إن السمة العامة لتراجم الكتاب هي الإيجاز قياساً إلى كتب التراجم الأخرى، ولعله يقصد من ذلك العناية الخاصة بذكر الأمور المهمة من غير تفصيل كبير في الأمور الثانوية أوغير آلأساسية. ، إذ نجد أحياناً أن بعض التراجم لا تبلغ سطر او سطرين ، ذكرا اسمه ومصنفاته مثل ذلك ترجمة" محمد بن مرتضى المدعو بمحسن ...له تصانيف كثيرة أفرد لها فهرستاً على حدة، ونحن ننقل ذلك عنه ملّخصاً، كتاب الصافي في تفسير القرآن، يقرب من سبعين الف بيت، فرغ من تأليفه في سنة خمس وسبعين بعد الألف.كتاب الاصفى، منتخب منه، أحد وعشرون ألف بيت تقريباً.كتاب الوافي ، خمسة عشر جزءً، كل منها في كتاب برأسه، يقرب مجموعه من مائة وخمسين ألف بيت، وقع الفراغ من تصنيفه في سنة ثمان وستين بعد الألف ، كتاب الشافي، وهو منتخب من الوافي، وهو جزءان، جزء فيما هو من قبيل العقائد والأخلاق، وجزء هو من قبيل الشرائع والأحكام، في كل منهما اثنا عشر كتابا، يقرب من ستة وعشرين ألف بيت، وقع الفراغ منه في سنة اثنتين وثمانين بعد الألف كتاب النوادر في جمع الأحاديث غير المذكورة في الكتب الأربعة المشهورة في سبعة الآف بيت. ..." [١٥٥]، كذلك في ترجمة" السيد المحدّث نعمة الله بن عبدالله الموسوي الشوشتري...له كتاب شرح التهذيب، كبير واسع البحث، وكتاب الأنوار النعمانية كبير مشتمل على كثير من العلوم والتحقيقات، وكتاب شرح الصحيفة الكبير، والآخر الصغير، وكتاب شرح غوالي اللئالي لابن أبي جمهور الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، ورسالة التحفة في الصلاة، وشرح عيون أخبار الرضا عليه السلام، وغير ذلك من الكتب التي لا يحضرني الآن ذكرها" [١٥٦] ، وكذلك في ترجمة "الشيخ علي ابن الشيخ محمد... ، له كتاب حاشية شرح اللمعة مجلدان، وشرح الكافي خرج منه كتاب العقل والعلم مجلد، وكتاب الدر المنظوم والمنثور ورسالة في الردّ على الصوفية سمّاها السهام المارقة من أغراض الزنادقة، ورسالة في الردّ على

من يبيح الغناء، عرض في هاتين الرسالتين بالملا محسن الكاشاني، وحواشي الفوائد المدنية، وغير ذلك من الرسائل..."[١٥٧]وهكذا اغلب تراجم الكتاب.

سادسا: الشواهد القرآنية و الشعرية.

استشهاده بالآيات في مروياته :

القارئ لكتاب (لؤلوة البحرين) يجد استشهاد يوسف البحريني بعدد من الآيات القصار, والتي تكون ربما آية أو آيات لكننا لم نجد سورة كاملة خلال الكتاب , وهذه الآيات دائماً ما تكون للاستشهاد بها لموضوع معين, وسوف نورد بعض هذه الآيات ضمن موضوعها التي ذكرت فيه :كما في ترجمة "الشيخ سليمان بن الشيخ عبدالله بن علي بن حسن بن أحمد بن يوسف ابن عمّار البحراني ...والرسالة الموسومة بالنكت البديعة في فرق الشيعة، ورسالة في اعراب (تبارك الله أحسن الخالقين) [١٥٨]وكذلك في ترجمة" محمد بن الحسين بن عبدالصمد الحارثي العاملي الجبعي ...أقول وعندي فيه نظر اذ يمكن أن يقال: لا نسلم أن علماء الضلال قد بذلوا الجهد في طلب الحق ولم يقفوا عليه حتى يتم الايراد بهم كما توهم قدس سره، سيّما والله سبحانه وتعالى يقول: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» [١٥٩]وكذلك في ترجمة" الشيخ بهاء الدين محمد العاملي، والرسالة الانيقة في تفسير قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)[١٦٠]، وكذلك في ترجمة " السيد ماجد البحراني الصادقي الى شيراز فأراد الارتحال اليه لأخذ العلوم منه فتردد والده في الرخصة اليه ثم بنوا الرخصة وعدمها على الاستخارة فلمّا فتح القرآن جاءت الآية (فلولا نفر من كل فرقة طائفة منهم ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلّهم يحذرون) ولا آية أصرح وأنص وأدلّ على هذا المطلب مثلها" [١٦١].

استشهاده بالأشعار :

نجد الشيخ البحريني في كتابه يستشهد بالأبيات الشعرية في بعض الروايات التي أوردها, ولكن بشكل قليل جداً , ومن هذا الأشعار ما يأتي :

كما في ترجمة "محمد بن الحسين بن عبدالصمد الحارثي العاملي الجبعي ...

والحارث المذكور هو الذي خاطبه مولانا أمير المؤمنين (ع) بالأبيات المشهورة:

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافقٍ قبلا يلحظني طرفه واعرفه باسمه والكنى ما فعلا
وأنت عند الصراط معترض فلا تخف عثرةً ولا زللا اسقيك من باردٍ على ظمأ تخاله في الحلاوة العسلا
اقول للنار حين تعرض للعرض ذريه ولا تقربي الرجلا

ثم بعد تفأل بالديوان المنسوب الى أمير المؤمنين (عليه السلام) فجاءت الأبيات هكذا:

تغرّب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

فان قيل في الأسفار ذل ومحنة وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد [١٦٢]

وكما في ترجمة الحسين ابن الشيخ عبدالصمد بن محمد الحارث الهمداني الجبعي ، ورثاه ابنه الشيخ البهائي بقصيدة منها قوله:

يا ثاويا بالمصلى من قرى هجر كسيت من حلل الرضوان أضفاها
أقمت يا بحر بالبحرين فاجتمعت ثلاثة كن أمثالا وأشباها
ثلاثة أنت أنداها وأغزرها جودا وأعذبها طعما وأصفاها
حويت من درر العلياء ما حويا لكن درك أعلاها وأغلاها
ويا ضريحاً علا فوق السماك علا عليك من صلوات الله أزكاها
فاسحب على الفلك الاعلى ذيول علا فقد حويت من العليا أعلاها[١٦٣].

سابعا :طول الترجمه وقصرها :

ونلاحظ مع من ان الاختصار و الايجاز هو الطابع العام للمنهج السائد على اغلب تراجم الكتاب ، الا انا نرى الشيخ يوسف البحراني، يطيل في بعض التراجم اطالة نسبية اذ ما قورنت بالمنهج السائد للكتاب ونلاحظ هذه الاطالة في حالتين احدهما عندما تكون لصاحب الترجمة مصنفات كثيرة فيذكرها كلها فتطول الترجمة لتتعدى الصفحة او الصفحتين ، كما في ترجمة "محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الشهير بالمجلسي وهذا الشيخ كان إماماً في وقته في علم الحديث وسائر العلوم، شيخ الاسلام بدار السلطنة اصفهان، رئيساً فيها بالرئاستين الدينية والدنيوية، إماما في الجمعة والجماعة، وهو الذي روّج الحديث ونشره ولاسيّما في الديار العجمية، وترجم لهم الأحاديث العربية – بأنواعها – بالفارسية، مضافاً الى تصلبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبسط يد الجود والكرم، لكل من قصد وأم، وقد كانت مملكة الشاه سلطان حسين – لمزيد خموله وقلّة تدبيره للملك – محروسة بوجود شيخنا المذكور، فلما مات انتقضت أطرافها، وبدأ اعتسافها، وأخذت في تلك السنة من يده بلدة قندهار، ولم يزل الخراب يستولي عليها حتى ذهبت من يده..."[١٦٤].

وبعضها الاخر قد يقتصر قصرا بينا فياتي في سطر او سطر ونصف ، كما في ترجمة " السيد نورالدين علي ابن السيد علي بن أبي الحسن عن أخويه المحققين المدققين (أحدهما) لأبيه وهو العلاّمة الأوحد".[١٦٥]، وكما في ترجمة "شمس الدين السيد محمد وثانيهما لأمّه وهو المحقق".[١٦٦] وكذلك ترجمة " السيد عبدالعظيم ابن السيد عباس الاسترابادي وهذا السيد كان من العلماء الاخباريين، وله رسالة في وجوب الجمعة عينا " [١٦٧].

وقد يتوسط نوع اخر من التراجم بين هذا وذالك ، فياتي في بضع صفحات ، اما الغالبية العظمى من تراجمه فتاتي في بضعة سطور، اما علة اختصاره البين في بعض تراجمه فلعله يرجع الى شح المعلومات التي وصلته عن اصحابها ، او ان المعلومات لا تخدم الهدف من تصنيف الكتاب . وكان المصنف في تراجمه يحاول الاقتصار على المعلومات التي تخدم هدف الكتاب والغرض من تصنيفه ، ومن هنا كان يتوقف عن ذكر المعلومات التي لا تخدم هذا الهدف ، فهو يهتم في ترجمته بابراز علاقة المترجم له بالاجازة ، ولذا فانه يذكر الاخبار والمعلومات التي تخدم هذا الهدف من خلال المصادر التي اعتمد عليها.

ومن اسباب طول الترجمة يلاحظ انه يترجم لعلم او علمين او اكثر في ترجمة واحدة فيدمج كلامهم عنهم في سياق واحد ، وسبب ذلك اشتراك المترجم لهم في السماع من احد العلماء او في ثنايا الترجمة الرئيسة احيانا تراجم عارضة لشخص او اكثر تربطهم بصاحب الترجمة الرئيسة علاقة سواء كانت علاقة نسبه او علم او غير ذلك ففي اثنا ترجمة " الشيخ علي بن سليمان بن حسن بن سليمان بن درويش بن حاتم البحراني القدمي الملقب بزين الدين وللشيخ علي المذكور أولاد ثلاثة أحدهم الشيخ صلاح الدين وكان فاضلاً سيما في علم الحديث والأدب، وله بعض الحواشي على التهذيب تولى الأمور الحسبية بعد أبيه وجلس مجلسه في القضاء والدرس والجمعة والجماعة إلا انه لم يبق بعد أبيه إلا مدة قليلة والثاني، الشيخ حاتم، وهو فاضل فقيه والثالث الشيخ جعفر وكان شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إماماً في الجمعة والجماعة بعد أخيه..." [١٦٨].

وكذلك في ترجمة :"جمال الدين أبو منصور الشيخ حسن ابن شيخنا الشهيد الثاني، ولابد من بيان أحوال هؤلاء الثلاثة نوّر الله مراقدهم:فأمّا السيد نورالدين فانّه كان فاضلاً محققاً مدققاً مشاراً إليه في وقته، وقد توطن بمكة المشرفة، ذكره السيد علي في السلافة وقال:....وللسيد نورالدين المذكور ولد فاضل يسمى جمال الدين ابن السيد نورالدين، قال في كتاب أمل الآمل: "عالم فاضل محقق، مدقق ماهر، أديب شاعر، وكان شريكنا في الدرس عند جماعة من مشايخنا، ثم سافر الى مكّة وجاور بها، ثم الى مشهد الرضا عليه السلام، ثم الى حيدر آباد وهو الآن ساكن بها مرجع فضلائها وأكابرها" ،وله ابن آخر أيضاً يسمّى السيد حيدر، ذكره في الكتاب المذكور فقال: "حيدر ابن السيد نورالدين علي بن علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي، عالم فاضل فقيه صالح جليل القدر، سكن اصفهان الى الآن" ، وأما (السيد شمس الدين) السيّد السند السيد محمد وخاله المحقق المدقق الشيخ حسن فضلهما أشهر من أن ينكر، ولاسيما الشيخ حسن فانّه كان فاضلاً محققاً مدققاً"[١٦٩].

ثامنا:ضبط النسبة لغوياً:-

أولى الشيخ يوسف البحريني أهمية بالغة في ضبط النسبة لغويا وتقييد حروف كل لفظ قد يقع فيه تصحيف أو تحريف أو قد يشتبه مع لفظ أخر أو نسبة أخرى سواء كان هذا اللفظ في اسم المترجم له أم

في نسبة اسم القبيلة أو البلد أو القرية أو الجد أو لقب بعض الأجداد، . كما قوله في ترجمة :"الشيخ سليمان بن علي بن سليمان بن راشد بن أبي ظبية بالظاء المشالة ثم الباء الموحدة ثم الياء المثناة من تحت"[١٧٠]، ونرجمة :"السيد علي الحسيني العاملي الجزيني – بالجيم ثم الزاي المشددة – نسبة الى جزين احدى قرى جبل عامل ، وكان فاضلاً عابداً، محدّثاً محققاً، من تلامذة شيخنا الشهيد الثاني، له كتاب شرح الشرائع، وكتاب شرح الارشاد"، وغير ذلك [١٧١].وكذلك في ضبط اسماء القرى التي ذكرها في كنابه كما في ترجمة:"محمد بن ماجد بن مسعود البحراني الماحوزي... وهو من قرية (ال من دونج) احدى قراها – وهي بضم الدال وسكون الواو وفتح النون ثم الجيم أخيراً – إلا انّه انتقل الى قرية بلاد القديم من قرى البحرين وسكن بها"[١٧٢] ، وكذالك في ترجمة :" السيد هاشم – المعروف بالعلاّمة – ابن المرحوم السيد سليمان ابن السيد اسماعيل ابن السيد عبدالجواد الكتكاني – نسبة الى كتكان بفتح الكافين والتاء المثناة الفوقانية – قرية من قرى (توبلي) بالتاء المثناة الفوقانية ثم الواو الساكنة ثم الباء الموحدة ثم اللام والياء أخيراً – أحد اعمال البحرين" [١٧٣].

تاسعا :والوفاة :-

اما بالنسبة لتاريخ الوفاة فكان اهتمامه بها واضحاً لكن منهجه في عرضه جاء متبايناً . فتارة يؤرخ وفاة الشخص بالسنة فقط نحو قوله في ترجمة" الشيخ سليمان بن علي بن سليمان بن راشد بن أبي ظبية... توفي في السنة الحادية بعد المائة والألف"[١٧٤] ، وكذلك في ترجمة " الشيخ علي بن سليمان بن حسن بن سليمان بن درويش ... وكانت وفاته – تغمده الله برحمته – في السنة الرابعة والستين بعد الألف" [١٧٥].

وتارة أخرى يؤرخ الوفاة بالشهر والسنة وليس هذا وحسب انما يذكر عمر المترجم له حال وفاته نحو قوله في ترجمة" جمال الدين أبو منصور الشيخ حسن وكان ووفاته لثلاث عشرة بقين من ذي الحجة الحرام سنة ثمان وستين وألف، وعمره على هذا ثمان وتسعون سنة إلا أيّاماً قلائل"[١٧٦]، وفي بعض التراجم يذكر اليوم والشهر والسنة وعمر المترجم ومكان دفنه كما في ترجمة" الشيخ سليمان بن الشيخ عبدالله بن علي بن حسن بن أحمد بن يوسف ابن عمّار البحراني وتوفي قدس سره – وعمره يقرب من خمسين سنة – في سابع عشر شهر رجب للسنة الحادية والعشرين بعد المائة والألف، ودفن في مقبرة الشيخ ميثم بن المعلّى"[١٧٧].

اما بالنسبة لمكان الوفاة فقد عني به البحراني في معظم تراجم كتابه نحو قوله: " وقد توفي الشيخ عبدالصمد المذكور سنة العشرين بعد الألف حوالي المدينة المنورة ونقل جسده الى النجف الاشرف"[١٧٨]، وكذلك في ترجمة :"الحسين ابن الشيخ عبدالصمد وكان سافر الى خراسان وأقام بالهراة مدة، وكان شيخ الاسلام بها ثم انتقل الى البحرين وبها مات وكان عمره ستا وستين سنة"[١٧٩].

وغالباً ما البحراني ببيان طريقة الوفاة ان كانت طبيعية او يذكر سبب الوفاة نحو قوله في ترجمة" الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف الخطي اصلاً البحراني توفي – قدس سره _ بالطاعون مع أخويه الشيخ يوسف والشيخ حسن في العراق، ودفنوا في جوار الكاظمين عليهما السلام في السنة الثانية بعد المائة والألف في حياة أبيهم، وتوفي أبوهم في السنة الثالثة بعد المائة والألف في قرية مقابى" [١٨٠].

موارده في كتاب لؤلؤة البحرين:

الموارد اعتمد المصنف في كتابه هذا على مصادر كثيرة ومتنوعة اعطت له قيمة ، وابرزت اهميته للدارسين ، كما سيتضح فيما يلي:

١–المصادر المكتوبة :

وهي كثيرة ومتنوعة ، فبالإضافة الى كتب التاريخ والتراجم والطبقات التي تأتي في المقام الاول من إذ اعتماد المصنف عليها ، شملت مصادره عددا من كتب الحديث والانساب والجغرافيا .ويلاحظ على مصادر البحراني في التدوين ما يلي :

ان بعض هذه المؤلفات اكثر المصنف النقل عنها ، مثل كتاب (امل الامل) للمحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي ، وهناك مصادر كان نقله عنها نادرا لا يتعدى موضعا او موضعين ، وهناك مصادر كان نقله عنها متوسطا بين الكثرة والندرة ، وان كثيرا من هذه المصادر مفقود ، سواء التي اكثر النقل عنها او كان اعتماده عليها قليلا، وبخاصة تلك المصادر التي تناولت تاريخ البحرين والمدن التي سافر اليها مما يعطي الكتاب قيمة لحفظه ما ورد في بطون هذه المصادر المفقودة من معلومات ، ان هذه المصادر تتراوح بين الضخامة والصغر ، فبعضها يتكون من عدة مجلدات وبعضها جاء مختصرا ، وتعد من اوثق المصادر لاعتمادها على المعاينة الشخصية للحديث او المترجم له من دون وسيط، او معاصرته زمانا ومكانا .

منهج المؤلف في استعمال مصادره:–

١– طريقة ذكر المصدر .

تنوعت طريقة المؤلف في ذكر مصادره ، فتارة يذكر اسم المؤلف من دون اسم الكتاب ومثال ذلك قوله " وقد أجازه شيخنا المجلسي [١٨١] رحمه الله فقال في اجازته له : انّه كان من غرائب الزمان، وغلط الدهر الخوان، ..."[١٨٢] وكذلك بقوله " قال الشيخ حسن بن داود في كتابه[١٨٣] : احمد بن موسى بن جعفر بن محمد...بن طاوس العلوي"[١٨٤] ، وتاره اخرى يذكر اسم المؤلف واسم كتابه مثل قوله :" وقال الحر العاملي في كتاب أمل الآمل – في ترجمته – : "كان عالماً ماهرا، محققا مدققا، متبحراً جامعا، أديبا منشئاً شاعراً، عظيم الشأن جليل القدر، ثقة ثقة، من فضلاء تلامذة شيخنا الشهيد الثاني، في قوله" قال الشيخ علي ابن الشيخ محمد ابن الشيخ حسن في كتاب (الدر المنظوم والمنثور) بعد ذكر جدّه الشيخ حسن المذكور: كان هو والسيد الجليل السيد محمد ابن أخته – قدس الله روحيهما – كفرسي

رهان، ورضيعي لبان"[١٨٦]. وكذلك في ترجمة :"جمال الدين أبو منصور الشيخ حسن... ذكره السيد علي في السلافة وقال: "طود العلم المنيف، وعضد الدين الحنيف، ومالك أزمة التأليف والتصنيف، الباهر بالرواية والدراية..."[١٨٧].كذلك بقوله " قال قطب الدين محمد الاشكوري في كتاب حياة القلوب: ما ملخصه: افضل المتاخرين ورئيس المحققين نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي "[١٨٨]، قال السيد علي صدر الدين الشيرازي في كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الامامية من الشيعة : السيد المرتضى ابو القاسم علي بن ابي احمد الحسين بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر "[١٨٩]،" وذكره السيد مصطفى التفريشي في كتاب الرجال وقال : انه من اصحابنا المجتهدين ، شيخ جليل من تلامذة المحقق نجم الدين الحلي" [١٩٠].

وتاره ثالثة يذكر اسم الكتاب من دون اسم مؤلفه مثل قوله " حتى قال في كتاب (سلافة العصر) بعد الاطراء عليه: وما مثله ومن تقدمه من الافاضل والاعيان، الا كالملة المحمدية المتأخرة عن الملل والاديان، جاءت آخرا ففاقت مفاخرا"[١٩١]، وكذلك في ترجمة :"السيد نورالدين ... قال في كتاب أمل الآمل: "عالم فاضل محقق، مدقق ماهر، أديب شاعر، وكان شريكنا في الدرس عند جماعة من مشايخنا..."[١٩٢]. وفي ترجمة الشيخ الطوسي ، ونقل في كتاب حياة القلوب ، ونحوه ايضا في كتاب مجالس المؤمنيين [١٩٣].

٢-النقل عن المعاصرين او القريبين للأحداث واصحاب التراجم :-

المصادر السماعية (المشافهة):

كان لالتقاء الشيخ البحراني بعدد كبير من العلماء والشيوخ والأخذ عنهم بالسماع أو بالقراءة عليهم أثر في حفظه الكثير من الأخبار والأحاديث والحكايات, ومسموعاته وقراءاته كثيرة جداً، من دونها بألفاظ المشافهة نحو قوله "حدثنا وحدثني، أخبرنا، وأخبرني، ذكرلي، وروى لنا، سمعت، قال لي، حكى لي" واعتمد المصنف عليها كثيرا في كتابه ، وكان احيانا يفصح عن مصدره السماعي واخرى يذكره مبهما ، كما صاغ هذه المصادر بطرائق متنوعة كان يقول " الحسين ابن الشيخ عبدالصمد ،وذكر بعض مشايخنا المعاصرين أنه لما هاجر من بلاد الجبل الى بلاد العجم كان لابنه الشيخ البهائي سبع سنين، وأخبرني والدي – قدس الله سره، ان الشيخ المزبور كان في مكة المشرفة قاصداً الجار فيها الى أن يموت، وانه رأى في المنام أن القيامة قد قامت وجاء الامر من الله سبحانه وتعالى برفع أرض البحرين وما فيها الى الجنة، فلما رأى هذه الرؤيا أثر الجوار فيها والموت في أرضها ورجع من مكة المشرفة وجاء البحرين"[١٩٤].

وما يعطي المعلومات التي اوردها المؤلف قدرا كبيرا من الثقة انه اعتمد في كثير منها على منهج قويم صحيح هو اخذ مادته عن المعاصرين او القريبين للأحداث واصحاب التراجم ، ومن الامثلة " اثنا ترجمة الشيخ سليمان، قول تلميذه عنه "...وقال تلميذه المحدث الصالح الشيخ عبدالله بن صالح البحراني ...في

وصفه :كان هذا الشيخ اعجوبة في الحفظ والدقة وسرعة الانتقال في الجواب والمناظرات وطلاقة اللسان لم ارَ مثله قط ..."[١٩٥]، وكذلك قوله :" قال شيخنا المحدّث الصالح المذكور في وصف هذا السيد: محقق مدقق خصوصاً في علم العربية والكلام والنجوم والفلك وغيرها..."."[١٩٦] وينقل البحراني عن والده بقوله:"وحكى والدي انّه اجتمع به لما سافر الى مكة المشرفة في السنة الخامسة عشرة بعد المائة والألف – أو السادسة عشرة – فكان يصف فضله وعلمه..."."[١٩٧]وقول الشيخ يوسف البحراني "و حكى لي والدي – رحمه الله – انّه اذا كان وقت الغوص وأتت سفن أهل تلك القرية من الغوص مضى الشيخ واشترى جميع ما أتوا به من اللؤلؤ والأقمشة، وكان تجار بلاد البحرين الذين يشترون اللؤلؤ يقص من دون بيت الشيخ المزبور"[١٩٨]، وكذلك نقله من والده "ومن عجائب الزمان ما حكاه لي والدي أيضاً انّه كان رجل من قرية بني جمرة – وهي قرب قرية الدراز – قد باع على الشيخ المذكور لؤلؤة كبيرة مجهولة بقيمة قليلة واتّفق أن الشيخ أعطاها من أصلحها فصارت جيدة فباعها بما يقرب من خمسين تومناً فلمّا جاء البائع من الغوص قال له الشيخ: ((ان تلك اللؤلؤة التي اشتريناها منك قد بيعت بهذه القيمة الزائدة وأنا انّما أخذتها منك بشيء قليل فأنا آخذ رأس مالي من هذا الثمن والباقي لك)) فامتنع الرجل وقال: "انّي بعتك والمال مالك ولو ظهرت فاسدة لصارت نقيصته عليك وعلى هذا فالزائد لك" فامتنع الشيخ من القبول حتى حصل من أصلح بينهما بأن يعطيه بعضاً ويأخذ الشيخ بعضا"[١٩٩]

وكذلك في ترجمة:"الشيخ محمد بن سليمان المقابي البحراني ، حكى لي والدي – طيّب الله مرقده – انّ الشيخ سليمان كان في حجر أخيه الحاج أحمد بن صالح، وهو كبير أولاد الحاج صالح المذكور ومرجع القرية المذكورة، وكان الحاج أحمد له سفن في الغوص فجعل أخاه الشيخ سليمان – في أول شبابه – ممّن يغوص له في تلك السفن ثم انّه أصابه مرض بسبب ذلك فلحبّه له وشفقته عليه رفعه عن هذا العمل وتركه في البيت وأمره بملازمة الدرس وطلب له الشيخ محمد بن سليمان المذكور يأتيه الى البيت ويعلمه"[٢٠٠]

مصادر من مصنفات الشيخ يوسف البحراني :

مصنفات الشيخ يوسف البحراني : ألف البحراني مصنفاته في المجالات التي أولاها اهتماما وهي : الحديث وعلومه ، والتاريخ ، والرجال ، والفقه وأصوله ، والرقائق ، والأدب ، وعتمد اكثر في كتابه هذا على النقل من مصنفاته في ترجمة مشايخ اجازاته كما في ترجمة :" محمد بن الحسين بن عبدالصمد الحارثي العاملي الجبعي كما أوضحناه في صدر كتابنا (الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب) "[٢٠١] ، وكذلك في ترجمة" وقد كان الشيخ عبدالله بن صالح كتب رسالة في عدم دخولها، وقد أشرنا الى ذلك في كتاب (الحدائق الناضرة) "[٢٠٢] وكقوله " وقد نقلنا جملة من كلامه في تلك الرسالة وغيرها في رسالتنا التي في الردّ على الصوفية المسمّاة (بالنفحات الملكوتية في الردّ على الصوفية) " [٢٠٣] ، وكذالك قوله " في كتابه الفوائد المدنية من التشنيع على المجتهدين، بل ربّما نسبهم الى تخريب الدين، وما أحسن وما

أجاد، ولا وافق الصواب والسداد، لما قد ترتب على ذلك من عظيم الفساد وقد أوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه في كتابنا (الدرر النجفية) وفي كتابنا (الحدائق الناضرة) في أحكام العترة الطاهرة، إلا أن الأول منهما استوفى البحث "[٢٠٤].

الموارد المبهمة:-

نقل الشيخ يوسف البحراني بعض مادة كتابه من موار مبهمة لم يذكر اسم المؤالف او اسم الكتاب وانما ينقل عنها من دون الاشارة اليها كما في قوله :" أقول: وجدت في بعض الكتب المعتمدة في حكاية قتله – رحمه الله تعالى– أيضاً ما صورته : «قبض شيخنا الشهيد الثاني – طاب ثراه – بمكة المشرفة بأمر السلطان سليم ملك الروم في خامس شهر ربيع الاول سنة خمس وستين وتسعمائة، وكان القبض عليه بالمسجد الحرام بعد فراغه من صلاة العصر وأخرجوه الى بعض دور مكة وبقي محبوسا هناك شهرا وعشرة أيام، ثم ساروا به على طريق البحر الى قسطنطينة وقتلوه بها في تلك السنة، وبقي مطروحاً ثلاثة ايّام، ثم ألقوا جسده " [٢٠٥]، وكذلك في ترجمة "ميرزا ابراهيم وكان فاضلاً عالماً متكلماً جليلاً نبيلاً جامعاً لأكثر العلوم سيّما في العقليات والرياضيات، قال بعض أصحابنا – بعد الثناء عليه – : وهو في الحقيقة مصداق (يخرج الحي من الميت).قد قرأ على جماعة منهم والده ولم يسلك مسلكه، وكان على ضد طريقة والده في التصوف والحكمة، وقد توفي رحمه الله في دولة السلطان شاه عباس الثاني بشيراز في عشر السبعين بعد الألف "[٢٠٦]، وكذلك في ترجمة " الحسين ابن الشيخ عبدالصمد كان – قدس سره – عالما ماهرا متبحرا عظيم الشأن، قال شيخنا الشهيد الثاني في اجازته له – وهي اجازة طويلة مفصلة يأتي نقل كثير منها في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى " [٢٠٧].

قائمة المصادر والمراجع:-

القران الكريم.

١-أسد الله الكاظمي، (ت ١٢٣٧هـ) مقابس الأنوار ونفايس الأسرار في أحكام النبي المختار وآله الأطهار ،تحقيق: السيد محمد علي ، قم ، ١٢٣٣هـ.

٢-إسماعيل باشا البغدادي ،هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان،طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية إستانبول، سنة ١٩٥٥.

٣-الأمين ، حسن ،(ت١٣٩٩) ، مستدركات أعيان الشيعة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩ م، دار التعارف للمطبوعات، سوريا .

٤-الأميني ، محمد هادي ، معاصر ، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي عام ، (ت٤٤٨هـ) ، معجم المطبوعات النجفية ، الطبعة الأولى، ١٣٨٥ – ١٩٦٦ م، النجف الأشرف،مطبعة الآداب.

٥-البحراني ، علي ، (ت ١٣٤٠هـ)، أنوار البدرين في تراجم علماء الأحساء والقطيف والبحرين ، إشراف وتصحيح : محمد علي محمد رضا الطبسي، ١٣٧٧، مطبعة النعمان – النجف، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم – ايران – ١٤٠٧.

٦-البحراني ، يوسف ، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور،(ت ١١٨٦هـ)، الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، الناشر الشيخ علي الآخوندي ، مؤسسة النشر الإسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين. بقم المشرفة (إيران) ١٣٧٧ هـ تقديم وترجمة المؤلف للسيد عبد العزيز الطباطبائي.

٧-البحراني، يوسف ، سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد، تحقيق: الشيخ محمد عيسى ال مكباس، السنابس – البحرين، الناشر: دار العصمة، ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٨-البحراني ، يوسف ، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور،(ت ١١٨٦هـ)، الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب ، تحقيق : السيّد مهدي الرجائي ، الطبعة الأُولى ، قم المقدّسة.

٩- البحراني، يوسف، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور،(ت ١١٨٦هـ)، لؤلؤة البحرين، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مؤسسة آل البيت، قم .

١٠-البحراني ،يوسف ، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور،(ت ١١٨٦هـ)، الدرر النجفية ، تحقيق ونشر شركة دار المصطفى لإحياء التراث .، لبنان ١٤٢٣ هـ .

١١-البحراني يوسف ، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عصفور،(ت ١١٨٦هـ)، الكشكول، تحقيق: السيد محمد السيد حسين المعلم، د.م، الناشر: المكتبة الحيدرية، ط١، ١٤٢٨ هـ .

١٢-جعفر مرتضى العاملي ، (معاصر) ، الصحيح من سيرة الإمام علي (ع) مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي، الطبعة الأولى،١٤٣٠ – ١٣٨٨ هـ ، إيران – قم .

١٣-جعفر مرتضى العاملي ، (معاصر) ، الإمام علي والنبي يوشع عليهما السلام (تاريخ يعيد نفسه) ،الطبعة الأولى، ١٤٢٨ – ٢٠٠٧ م، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت – لبنان.

١٤-الجناتي، محمد إبراهيم، تغلب الاجتهاد على الأخبارية، صحيفة (كيهان أنديشه) العدد: ١٤، ١٤٠٨ هـ .

١٥-حسن الصدر الكاظمي ، بغية الوعاة في طرق طبقات مشايخ الإجازات، بلا .

١٦-حسن الصدر ، تكملة أمل الآمل ، تحقيق: السيد احمد الحسيني ، نشر: مكتبة آية الله المرعشي – قم طبع: مطبعة الخيام – قم التاريخ: ١٤٠٦ هـ .

١٧-الخوانساري ، محمد باقر الموسوي الاصفهاني (ت ١٣١٣هـ) روضات الجنات في احوال العلماء والسادات ، صححه وفهرسه : محمد علي الروضاني الاصبهاني ، إيران ، طبع حجر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٦٧هـ .

١٨-الخوئي ، أبو القاسم الموسوي ،(ت ١٤١٣هـ) ، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، الطبعة الخامسة السنة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

١٩-خير الدين الزركلي ، الأعلام ، الطبعة الخامسة، أيار ، مايو ١٩٨٠، دار العلم للملايين ، ب يروت ، لبنان .

٢٠-داني، علي، الأغا محمد باقر بن محمد أكمل الأصفهاني المعروف بالوحيد البهبهاني، طهران، ١٤٠٤ هـ .

٢١-السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن تـ(٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية، (مطبعة العاصمة ، القاهرة، سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م).

٢٢- شبّر، جواد، أدب الطف، طبعة بيروت ١٩٨٠م، ١٤٠٩ هـ.

٢٣-شمس الدين أبو علي فخار بن معد الموسوي المتوفي،(ت ٦٣٠ هـ) ، ايمان أبي طالب (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) ،تحقيق: السيد محمد بحر العلوم، الطبعة الثانية،١٣٨٤ - ١٩٦٥ م، النجف الأشرف، مكتبة النهضة - بغداد.

٢٤-الطهراني ، محمد محسن المعروف باغا بزرك ، (ت ١٣٨٩هـ) ، الذريعة الى تصانيف الشيعة ، نشر دار الأضواء، الطبعة الثانية ، بيروت ، سنة ١٠٤٣.

٢٥-الطهراني ، محمد محسن المعروف باغا بزرك ، (ت ١٣٨٩هـ) ، طبقات أعلام الشيعة (الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة) ،دار احياء التراث العربي .

٢٦-علي البروجردي (ت ١٣١٣هـ)، طرائف المقال ، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الأولى،١٤١٠، بهمن - قم .

٢٧-عبد الحسين الأميني ، شهداء الفضيلة ، تقديم الشيخ خليل محمد الزين العاملي، مطبعة الغري، النجف الاشرف ١٣٥٥ - ١٩٣٦.

٢٨-علي الطباطبائي، (ت١٢٣١هـ) ، رياض المسائل ، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، رمضان المبارك ١٤١٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٩-فسائي، حسن بن حسن، فارسنامه ناصري (رسالة فارس الناصرية)، تحقيق: منصور رستكار فسائي، طهران، ١٤٠٩ هـ

٣٠-المازندراني، محمد بن إسماعيل ،(سنة ١٢١٦ هـ) ، منتهى المقال في أحوال الرجال، قم – إيران، الناشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، ١٤١٦ هـ .
٣١-محسن الأمين ،(ت ١٣٧١هـ) ، أعيان الشيعة ، تحقيق وتخريج : حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .
٣٢-محمد باقر الوحيد البهبهاني ،(ت ١٢٠٦هـ)، الفوائد الحائرية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥، قم، مجمع الفكر الإسلامي.
٣٣-محمد جواد العاملي، (ت ١٢٢٨هـ) ، مفتاح الكرامة ، تحقيق : الشيخ محمد باقر الخالصي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٣٤-محمد علي الأنصاري، معاصر ، الموسوعة الفقهية الميسرة، ، الطبعة الأولى، ١٤١٥،باقري، مجمع الفكر الإسلامي.
٣٥- ميرزا حسين النوري الطبرسي ، مستدرك الوسائل، الخاتمة ، طبع مؤسسة اسماعيليان ، قم .
٣٦ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله بن عبد الله الحموي الرومي،(٦٣٦هـ) ، معجم البلدان ،دار احياء التراث العربي ،بيروت ،١٩٧٩م.

الهوامش:

(١)-السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن تـ(٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية، (مطبعة العاصمة ، القاهرة، سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م) ج٣/ ص٨٨.

(٢) -أُنظر ترجمته في : يوسف البحراني ، أحمد بن إبراهيم بن أحمد عصفور،(ت ١١٨٦هـ)، مقدمة كتاب الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، الناشر الشيخ علي الآخوندي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٣٧٧ هـ ، ج ١ /ص ٧ ،٣٧ ، يوسف البحراني ، أحمد بن إبراهيم بن أحمد عصفور،(ت ١١٨٦هـ)، الشهاب الثاقب ، تحقيق : مهدي الرجائي ، الطبعة : الأُولى ، قم ، مقدّمة المحقّق: ٢٦. البحراني، يوسف، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عصفور،(ت ١١٨٦هـ)، لؤلؤة البحرين، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مؤسسة آل البيت، قم ، ص ٤٤٢، المازندراني، محمد بن إسماعيل ،(ت ١٢١٦ هـ) ، منتهى المقال في أحوال الرجال، قم – إيران، الناشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، ١٤١٦ هـ ، ج ٧ / ٧٩ ، محسن الأمين ،(ت ١٣٧١هـ) ، أعيان الشيعة ، تحقيق : حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ،ج١٠ / ٣١٧ ، الطهراني ، محمد محسن المعروف باغا بزرك ، (ت ١٣٨٩هـ) ، طبقات أعلام الشيعة (الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة) ،دار احياء التراث العربي ، ج٩ /٨٢٨، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي ،(ت ١٤١٣هـ) ، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، الطبعة الخامسة السنة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م ، ج٢١ /١٧٣ رقم١٣٨٠٩، خير الدين الزركلي ، الأعلام ، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠، دار العلم للملايين ، يروت ، لبنان، ج ٨ / ٢١٥ .

[٣] – البحراني، الشيخ يوسف ، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عصفور ، مقدمة كتاب الدرر النجفية ، تحقيق ونشر شركة دار المصطفى لإحياء التراث ، لبنان ١٤٢٣ هـ ،ج ١ /ص ١٤ ـ ٣٢.

[٤] – الشيخ يوسف البحراني، ، لؤلؤة البحرين ، ص ٤٢٥.

[٥] – في بداية القرن العاشر (٩٠٥ هـ) أنشأ السلطان إسماعيل الصفوي الدولة الصفوية في إيران ، وهي دولة معروفة في التاريخ . وفي سنة ٩١٤هـ سيطر السلطان إسماعيل الصفوي على العراق وقضى على دولة " آقا قوينلو ". وتزامن ظهور وتوسع الدولة الصفوية في إيران والعراق وخراسان وهرات مع سقوط دولة المماليك على يد السلطان سليم العثماني وامتداد نفوذ العثمانيين إلى بلاد الشام سنة ٩٢٣ هـ . وتحولت الساحة الاسلامية إلى ساحة صراع عنيف بين الدولتين الصفوية والعثمانية ، وكانت الحرب بينهما سجالا . واتخذت الحرب بينهما صفة مذهبية مما كان يزيد في عنف المعارك بين هاتين الدولتين .السيد علي الطباطبائي، (ت١٢٣١هـ) ، رياض المسائل ، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، رمضان المبارك ١٤١٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة. ج ١ – ص ٦٦.

[٦] – الشيخ يوسف البحراني ، الحدائق الناضرة ، ترجمة المؤلف، ص ٨ .

[٧] – ينظر ترجمته في مبحث شيوخه.

[٨] – الشيخ يوسف البحراني ، الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية ، ج ١ / ص ١٤ – ١٨ ، الشيخ يوسف البحراني ، لؤلؤه البحرين : ٤٢٢ ، المازندراني ، منتهى المقال ، ج٧ / ٧٩ ، ، محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج ١٠ / ٣١٧ ، غابزرك الطهراني ، طبقات أعلام الشيعة (الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة) : ٨٢٨ – ٨٢٩ ، خير الدين الزركلي، الأعلام ، ج ٨ / ٢١٥ .

[٩] – البحراني، لؤلؤة البحرين ، ص ٤٢٥.

[١٠] – البحراني، لؤلؤة البحرين ، ص ٤٢٥.

[١١] – البحراني ، الحدائق الناضرة ، ترجمة المؤلف، ص ٩.

[١٢] – فوقعت الواقعة بين الهولة والعتوب ، إذ أنّ العتوب عاثوا في البحرين بالفساد ، ويد الحاكم قاصرة عنهم ، فكاتب شيخ الاسلام الشيخ محمّد بن عبد الله بن ماجد الهولة ليأتوا على العتوب ، وجاءت طائفة من الهولة ووقع الحرب ، وانكسرت البلد إلى القلعة أكابر وأصاغر ، حتّى كسر الله العتوب ، البحراني يوسف ، الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب ،تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الطبعة الأولى،١٤١٩ – ١٣٧٧ ، قم، ص ٢٩ – ٣٠.

[١٣] – البحراني، يوسف ، الحدائق الناضرة ، ج ١/ ص ١٠. الشيخ علي البحراني ، (ت ١٣٤٠هـ)، أنوار البدرين في تراجم علماء الأحساء والقطيف والبحرين ، إشراف وتصحيح : محمد علي محمد رضا الطبسي، ١٣٧٧، مطبعة النعمان – النجف، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم – ايران – ١٤٠٧، ص ١٩٣ و ٢٠٠ ، مجسن الامين ،أعيان الشيعة، ج ١٠ / ٣١٧ .

[١٤] – البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، ، ص ٤٢٦.

[١٥] – البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، ، ص ٤٢٦.

[١٦] – البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، ص ٤٢٦.

[١٧] – البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، ، ص ٤٢٦.

[١٨] – البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، ص ٤٢٦.

[١٩] – البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، ص ٤٢٦.

[٢٠] –ينظر ترجمته في مبحث شيوخه.

[٢١] – ينظر ترجمتهما في مبحث شيوخه.

[٢٢] – البحراني ، الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية ، ج ١ / ص ١٤ – ١٨و البحراني ، لؤلؤه البحرين : ٤٤٢ ، المازندراني ، منتهى المقال ،ج٧ / ٧٩ ، الطهراني ، طبقات أعلام الشيعة (الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة) : ٨٢٨ – ٨٢٩ ،محسن الامين ، أعيان الشيعة ١٠ : ٣١٧ ،الزركلي ، الأعلام، ج ٨ / ٢١٥ .

[٢٣] – البحراني ،الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية ، ج ١ / ص ١٥ ، البحراني علي ، أنوار البدرين ، ١٧٤ / ٨٨،الخوانساري ، روضات الجنات، ج ٨ / ٢٠٧ / ٧٥٠ .

[٢٤] – دواني، علي، الأغا محمد باقر بن محمد أكمل الأصفهاني المعروف بالوحيد البهبهاني، طهران، ١٤٠٤ هـ ، ص ١٢٤.

[٢٥] – البحراني ، الحدائق الناضرة ، ترجمة المؤلف، ص ٩. البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، ص ٤٤٢.

[٢٦] – بعد مقتل السلطان.

[٢٧] – البحراني، الدرر النجفية، ج ١، ص ١٦.

[٢٨] – في بداية القرن العاشر (٩٠٥ هـ) أنشأ السلطان إسماعيل الصفوي الدولة الصفوية في إيران ، وهي دولة معروفة في التاريخ . وفي سنة ٩١٤هـ سيطر السلطان إسماعيل الصفوي على العراق وقضى على دولة " آقا قوينلو ". وتزامن ظهور وتوسع الدولة الصفوية في إيران والعراق وخراسان وهرات مع سقوط دولة المماليك على يد السلطان سليم العثماني وامتداد نفوذ العثمانيين إلى بلاد الشام سنة ٩٢٣ هـ . وتحولت الساحة الاسلامية إلى ساحة صراع عنيف بين الدولتين الصفوية والعثمانية ، وكانت الحرب بينهما سجالا . واتخذت الحرب بينهما صفة مذهبية مما كان يزيد في عنف المعارك بين هاتين الدولتين .السيد علي الطباطبائي، رياض المسائل ، ج ١ / ص ٦٦.

[٢٩] – مدينة كرمان ، بينها وبين شيراز أربعة وعشرون فرسخا ، وكانت تسمى القصرين ، وكان ابن البناء البشاري يقول : السيرجان مصر إقليم كرمان وأكبر القصبات وأكثرها علما وفهما وأحسنها رسما ، ذات بساتين ومياه وأسواق فسيحة أبهى من شيراز وأوسع ، هواؤها صحيح ، وماؤها معتدل ، بنى بها عضد الدولة دارا ومنارة في جامعها ، ومياه البلد من قناتين شقهما عمرو وطاهر ابنا ليث تدور في البلد وتدخل دورهم ، ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله بن عبد الله الحموي الرومي،(٦٣٦هـ) ، معجم البلدان ،دار احياء التراث العربي ،بيروت ،١٩٧٩م ، ج ٣ / ص ٢٩٥.

[٣٠] – البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، ص ٤٢٨.

[٣١] – البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، ص ٤٢٨

[٣٢] – فسا : بالفتح ، والقصر ، كلمة عجمية ، وعندهم بسا ، بالباء ، وكذا يتلفظون بها وأصلها في كلامهم الشمال من الرياح : مدينة بفارس أنزه مدينة بها فيما قيل ، بينها وبين شيراز أربع مراحل ، وهي في الاقليم الرابع ، طولها سبع وسبعون درجة وربع ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلثان،– الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ / ص ٢٦٠ – ٢٦١.

[٣٣] – وفي سنة ١١٦٤ هـ كان سلطان (شاه رخ شاه) حفيد (نادر شاه) على حال شديدة من الزعزعة والاضطراب . وكان أحد خانات قبيلة (بختيار) وطغاتهم ، واسمه (علي مردان خان) يسعى إلى الحصول على العرش لنفسه ، وقد سيطر على أرض البختياريين إلى حد « خوزستان » . ورأى في اختلال أحوال (شاه رخ شاه) وضعفه فرصة للوصول

إلى مقاصده ، فخرج من مساكن قبيلته بجيش قاصدا احتلال أصفهان . وكان حاكما عليها خان آخر من خانات (بختيار) اسمه (أبو الفتح خان) ، عينه في هذا المنصب (إبراهيم خان أفشار) يوم كان خارجا على أخيه « علي عادل شاه) – وبعد مقتل (إبراهيم خان) أقره) شاه رخ شاه) في منصبه . ووقعت بينهما حرب انتهت بهزيمة (علي مردان خان) حسن الأمين،(ت١٣٩٩) ، مستدركات أعيان الشيعة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩ م، ى دار التعارف للمطبوعات، سوريا ، ج ٦ / ص ٢٤٤.

(٣٤) – فسائي، حسن بن حسن، فارسنامه ناصري (رسالة فارس الناصرية)، تحقيق: منصور رستكار فسائي، طهران، ١٤٠٩ هـ ، ج ١، ص ٥٩٠.

(٣٥) –اصطهبانات :مدينة في الجنوب الشرقي من « شيراز » ، فيها مدارس علمية دينية تخرج منها جماعة من العلماء ثم ذهبوا إلى الحوزات العلمية إذ أكملوا بها مراحلهم الدراسية ، حسن الأمين ، مستدركات أعيان الشيعة ، ج ٦ / هامش ص ٥.

(٣٦) – البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١/ص ،البحراني يوسف ،الكشكول، تحقيق: السيد محمد السيد حسين المعلم، د.م، الناشر: المكتبة الحيدرية، ط١، ١٤٢٨ هـ ، ج ٢ /ص ٢٣٧.

(٣٧) – البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، ص ٤٢٨.

(٣٨) –ينظر بتصرف كل من ، المحقق البحراني ،مقدمة الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية ، ج ١ / ص ١٤ – ١٨ ، السيد محمد جواد العاملي، (ت ١٢٢٨هـ) ، مفتاح الكرامة ، تحقيق : محمد باقر الخالصي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ج ١ / ص ٢ – ٣ .

(٣٩) –ينظر في بحث مصنفاته جليس الحاضر وأنيس المسافر (أو جليس المسافر وأنيس الحاضر) متنوع المواضيع، كتبه تكريماً لابنه ، ورسائله المستقلة، وهذا الكتاب معروف ومشهور بين الناس باسم (كشكول البحراني).

(٤٠) – ميرزا حسين النوري الطبرسي ، مستدرك الوسائل، الخاتمة ، طبع مؤسسة اسماعيليان ، قم ،ج ٢/ ص ١٠٤.

(٤١) – وبعد أن مني علم الأصول بصدمة عارضت نموه متمثلة في الحركة الأخبارية المناهضة لعلم الأصول في أوائل القرن الحادي عشر الهجري – على يد الميرزا محمد أمين الاسترآبادي (ت : ١٠٢١) واستفحل أمرها حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري ظهرت مدرسة جديدة حمل لواءها المجدد الوحيد البهبهاني (محمّد باقر بن محمّد أكمل الوحيد (ت١٢٠٦ هـ) فقاوم الحركة الأخبارية بكل جد وانتصر لعلم الأصول حتى تضاءل الاتجاه الاخباري ومني بالهزيمة . محمد باقر الوحيد البهبهاني ،(ت ١٢٠٦هـ)،، الفوائد الحائرية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥، قم، مجمع الفكر الإسلامي، ص ٨.

(٤٢) –البحراني يوسف ، الحدائق الناضرة، صفحة ترجمة المؤلف ١٤.

(٤٣) – السيد الحجة أبو محمد السيد حسن الصدر الكاظمي ، بغية الوعاة في طرق طبقات مشايخ الإجازات .

(٤٤) –ينظر مبحث مصنفاته.

(٤٥) –ينظر بحث مصنفاته.

(٤٦) – البحراني، لؤلؤة البحرين، ص١١٧ – ١١٨.

(٤٧) – الجناتي، محمد إبراهيم، تغلب الاجتهاد على الأخبارية، صحيفة (كيهان أنديشه) العدد: ١٤، ١٤٠٨ هـ ص ٤ – ٥، ١١ – ١٤.

(٤٨) –الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري(٣٣٦ – ٤١٣ هـ = ٩٤٧ – ١٠٢٢ م) ، يرفع نسبه إلى قحطان ، أبو عبد الله ، المفيد ، ويعرف بابن المعلم : محقق إمامي ، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته ، كثير التصانيف في الأصول والكلام والفقه . ولد في عكبرا (على عشرة فراسخ من بغداد) ونشأ وتوفي ببغداد . له نحو مئتي مصنف ، خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج ٧ / ص ٢١.

(٤٩) – محمد هادي الأميني ، معاصر ، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي عام ، (ت٤٤٨هـ) ، معجم المطبوعات النجفية ، الطبعة الأولى، ١٣٨٥ – ١٩٦٦ م، النجف الأشرف،مطبعة الآداب ، ص ٢٨.

(٥٠) – علي بن بابويه القمي المعروف باسم الشيخ الصدوق. صاحب كتاب (من لا يحضره الفقيه) .

(٥١) – البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ٢٧.

(٥٢) – الكتب الأربعة عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية هي: الكافي: جمعه الشيخ الكليني، وهو من أقدم وأهم هذه الكتب.، من لا يحضره الفقيه: جمعه الشيخ الصدوق.، تهذيب الأحكام: جمعه الشيخ الطوسي.، والاستبصار فيما اختلف من الأخبار: جمعه الشيخ الطوسي أيضًا.. تعتبر هذه الكتب الأربعة من أهم المصادر الحديثية عند الشيعة، وتتضمن أحاديث عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام).

(٥٣) – بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار المشهور اختصارًا ببحار الأنوار، هو أحد كتب الحديث المشهورة لدى الشيعة الاثنا عشرية ومن كبرى مصادر الحديث عند الشيعة الجعفرية. جَمَعه محمد باقر المجلسي الثاني (١٠٣٧ هـ–١١١١ هـ) في زمن الدولة الصفوية. يحتوي على الكثير من الأحاديث، إذ يعد من أكبر كتب الحديث إذ يحتوى على ما بين ٧٠ إلى ١٠٠ ألفًا من الأحاديث، وكذلك اكثرهن طباعةً إذ يتكون من ١١٠ مجلدات.

(٥٤) –معاني الأخبار للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفي سنة ٣٨١هـ عني بتصحيحه علي أكبر الغفاري الناشر انتشارات إسلامي وابسته بجامعة مدرسين حوزه علميه قم ١٣٦١ هجري.

(٥٥) –كتاب الخصال تأليف محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ وهو متكلم، أديب، فقيه ومحدث إمامي.صنّفه قبل السبعينات وأجمع فيه أعداد الخصال المحمودة والمذمومة من أحاديث الرسول وآله وذلك في أربعمئة باب. وكانت الطبعة الأولى للكتاب في طهران سنة ١٣٠٢ وهي طبعة حجرية.

(٥٦) –إنّ فقه الرضا (عليه السلام) هذا هو الذي كتبه الرضا لأحمد بن السكّين الذي كان مقرّباً عنده ، وهو بخطه (عليه السلام) موجود في الطائف بمكّة المعظّمة في جملة كتب السيد علي خان ، وعليه إجازات العلماء وخطوطهم ، وهذه النسخة بالخطّ الكوفي ، وتاريخها عام مائتين من الهجرة.

(٥٧) – البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١/ ص ٢٧.

(٥٨) – البحراني، لؤلؤة البحرين، ص ٢٩٠.

(٥٩) – البحراني، ، الدرر النجفية ، ج ١/ ص ٢٠.

(٦٠) – البحراني، ، سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد، تحقيق: الشيخ محمد عيسى ال مكباس، السنابس – البحرين، الناشر: دار العصمة، ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م ، ج ١/ ص ٣.

(٦١)– محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١٠/ ص ٣١٧.

(٦٢)– المازندراني، ، منتهى المقال في أحوال الرجال ، ج ٧/ ص ٧٤.

(٦٣)– ميرزا حسين النوري الطبرسي ، مستدرك الوسائل، ج ٢/ ص ٦٥.

[٦٤] – محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١٠/ ص ٣١٧.

[٦٥] – الشيخ يوسف البحراني ، الكشكول ج٢/ ٢٥٦، البحراني ، الدرر النجفية ،ج١/ ص ١٨،البحراني ، الشهاب الثاقب ،ص ٤٤، شبّر، جواد، أدب الطف، دار المرتضى، ١٤٠٩ هـ ، ج ٦/ ص ١٦، – ٢٥٧ .

[٦٦] – الشيخ يوسف البحراني ، ج ٢/ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ شبّر، جواد، أدب الطف، دار المرتضى، ١٤٠٩ هـ ، ج ٦/ ص ١٦.

[٦٧] –شبر، أدب الطف، ج ٦/ ص ١٢–١٣.

[٦٨] – البحراني يوسف ، الحدائق الناضرة ،ترجمة المؤلف ، ص ١٢.

[٦٩] –المازندراني ، منتهى المقال المشهور بـ (رجال أبي علي) ج ٧ ص ٧٥ رقم ٣٢٨٦

[٧٠] – البحراني ، يوسف ، مقدمة المازندراني ، منتهى المقال المشهور بـ (رجال أبي علي) ج ٧ ص ٧٥ رقم ٣٢٨٦

[٧٠] – البحراني ، يوسف ، مقدمة الحدائق الناضرة ج ١ /ص ٢٠ عن منتخب لؤلؤة البحرين

[٧١] – الشيخ أسد الله الكاظمي، (ت ١٢٣٧هـ) مقابس الأنوار ونفايس الأسرار في أحكام النبي المختار وآله الأطهار ،تحقيق: السيد محمد علي ، قم ، ١٢٣٣، ص ١٨.

[٧٢] – الخوانساري ، روضات الجنات ج ٨ /ص ٢٠٣ رقم ٧٥٠.

[٧٣] – السيد علي البروجردي ، طرائف المقال ١ /٦٣ رقم١٤٢

[٧٤] –البحراي ، مقدمة الحدائق الناضرة ج ١ /ص ٢٠ عن رجال النيسابوري.

[٧٥]–البحراني ، مقدمة الحدائق الناضرة ج ١ /ص ٢٠ عن نجوم السماء في تراجم العلماء للكشميري

[٧٦] – البحراني علي ، أنوار البدرين: ١٩٣ رقم٨٨..

[٧٧] –النوري ، خاتمة المستدرك ج ٢ /ص ١٠٤خاتمة المستدرك ٢ /٦٥..

[٧٨] –البحراني علي ، أنوار البدرين في تراجم علماء الاحساء والقطيف والبحرين رقم ٨٨ ص ١٩٣

[٧٩] – البحراني علي ، أنوار البدرين في تراجم علماء الاحساء والقطيف والبحرين ص ٢٠٠

[٨٠] –البحراني يوسف ، مقدمة الحدائق الناضرة ج ١ ص ٢٢ عن الفوائد الرضوية للقمي

[٨١] – البحراني ، مقدمة الحدائق الناضرة ج ١ / ص ٢٢ عن الفوائد الرضوية للقمي

[٨٢] – الشيخ عبد الحسين الأميني ، شهداء الفضيلة ، تقديم الشيخ خليل محمد الزين العاملي، مطبعة الغري، النجف الاشرف ١٣٥٥ – ١٩٣٦ ، ص ٣١٦.

[٨٣] – – شبّر، جواد، أدب الطف، طبعة بيروت ١٤٠٩ هـ ، ج ٦/ ص ١٦.

[٨٤] – محسن الامين ، أعيان الشيعة، ج ١٠ /٣١٧.

[٨٥] – الزركلي ، الأعلام ج ٨ /ص ٢١٥.

[٨٦] –البحراني ، مقدمة الحدائق الناضرة ج ١ /ص ٢٢

[٨٧] – المازندراني، منتهى المقال في أحوال الرجال، ج ٧/ ص ٧٤.

[٨٨] –محسن الامين ، أعيان الشيعة، ج ٢ /٤٦٣.

[٨٩] – انظر البحراني ، لؤلؤة البحرين : ٦ / ١ .

[٩٠] – الشيخ علي البحراني ، أنوار البدرين ، ص ١٧٦ – ١٧٩،٣ ، الطهراني ، محمد محسن المعروف باغا بزرك ، (ت ١٣٨٩هـ) ، الذريعة الى تصانيف الشيعة ، نشر دار الأضواء، الطبعة الثانية ، بيروت ، سنة ١٠٤٣، ج ١ /

ص ١٨٨ – ١٨٩، السيد حسن الصدر ، تكملة أمل الآمل ، تحقيق: السيد احمد الحسيني ، نشر: مكتبة آية الله المرعشي – قم طبع: مطبعة الخيام – قم التاريخ: ١٤٠٦ هـ ، ص ٢٢٩ – ٢٣٠ ، ميرزا حسين النوري الطبرسي ،خاتمة المستدرك ، ج ٢ / ص ٦٦ ، البحراني، لؤلؤة البحرين : ٦ / ١ ، و الشيخ علي البحراني ، أنوار البدرين : ١٧٦ / ٧٩ .

(٩١) –. والبلادي نسبة إلى قرية تسمى البلاد من قرى البحرين ، السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج ٣ / ص ٨ – ٩.

(٩٢) –١٦٥.

(٩٣) – السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة ، ج ٣ / ص ٨ – ٩.

(٩٤) – الشيخ علي البحراني ، أنوار البدرين ، ص ١٦٨ – ١٦٩، آقا بزرگ الطهراني ، الذريعة ، ج ٢٤ / ص ٨٦.

(٩٥) – البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ك.

(٩٦) – الشيخ علي البحراني ، أنوار البدرين ، ص ١٦٨ – ١٦٩

(٩٧) – البحراني، يوسف بن أحمد، الكشكول، ج ١/ ص ٦و البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١‹ صفحة ترجمة المؤلف ١٤›

(٩٨) – المازندراني ، منتهى المقال في أحوال الرجال ، ج ١ – ص مقدمة التحقيق ١ – مقدمة التحقيق ٢.

(٩٩) – إسماعيل باشا البغدادي ،هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان،طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية إستانبول سنة ١٩٥٥، ج ٢ / ص ٣٥٣.

(١٠٠) – الشيخ أسد الله الكاظمي، مقابس الأنوار ونفايس الأسرار في أحكام النبي المختار وآله الأطهار ، ص ٩.

(١٠١) – ذكره في الخوانساري ، محمد باقر الموسوي الاصفهاني (ت ١٣١٣هـ) روضات الجنات في احوال العلماء والسادات ، صححه وفهرسه : محمد علي الروضاني الاصبهاني ، إيران ، طبع حجر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٦٧هـ ط ١ ٤١٤ ،ص ٤١٥.

(١٠٢) – ميرزا محمد العسكري ، المستدرك على البحار،ج١/ ٢٨ .

(١٠٣) –، البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ٤ ، الشيخ علي البحراني ، أنوار البدرين ٢٠٤ (ضمن الترجمة ٨٩) ، السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة، ج ٦ / ٣٣٠ ، حسن الأمين ، مستدركات أعيان الشيعة ٢ / ١٣٥.

(١٠٤) – آقا بزرگ الطهراني ، الذريعة ، ج ١٣ / ص ٤ ، مجلة تراثنا – مؤسسة آل البيت – ج ٢٢ / ص ٢١٩.

(١٠٥) – البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١، ص ٢٨.

(١٠٦) – السيد علي البروجردي (ت ١٣١٣هـ)، طرائف المقال ، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الأولى،١٤١٠، بهمن – قم – ج ١ / ص ٦٣.

(١٠٧) – السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة ٧ / ٣١٥ ، السيد حسن الصدر ، تكملة أمل الآمل، ٢٢٦ برقم ١٩٥ .

(١٠٨) – الامام شمس الدين أبو علي فخار بن معد الموسوي المتوفي،(ت ٦٣٠ هـ) ، ايمان أبي طالب (الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب) ،تحقيق: السيد محمد بحر العلوم، الطبعة الثانية،١٣٨٤ – ١٩٦٥ م، النجف الأشرف، مكتبة النهضة – بغداد ص ٩.

(١٠٩) –الخوانساري ، روضات الجنات ،ج ٤ / ٣٩٩ ، محسن الامين ، أعيان الشيعة،ج٨/ ٣١٤ ، الشيخ محمد علي الأنصاري، معاصر ، الموسوعة الفقهية الميسرة، ، الطبعة الأولى، ١٤١٥،باقري، مجمع الفكر الإسلامي، ج١/٥٨٩.

(١١٠) – الشيخ علي البحراني ، أنوار البدرين ، ص ١٩٩.

(١١١) – البحراني، يوسف ، لؤلؤة البحرين، ص ٤٤٥ – ٤٤٨

(١١٢)– المازندراني، منتهى المقال، ج ٧/ ص ٧٧.

(١١٣) –البحراني، الحدائق الناضرة، ج ١/ ص ٢٩.

(١١٤) – ينظر كل من: الشيخ يوسف البحراني مقدمة كتاب الحدائق الناضرة ، ج ١ /ص ٧ ـ ٣٧ ،الشيخ يوسف البحراني ، مقدمة كتاب الدرر النجفية ، ج ١/ ص ١٤ ـ ٣٢.

(١١٥) – مجلة تراثنا – مؤسسة آل البيت – ج ٣٧ / ص ١٩١.

(١١٦) – هذه المؤلفات التسعة أوردها شيخنا الحجة العلامة الرازي في الجزء الثاني من موسوعته (القيمة الذريعة إلى تصانيف الشيعة في حرف الألف بعنوان (الأسئلة . . .) وفي الخامس في حرف الجيم بعنوان (جوابات المسائل . .) ونحن ذكرنا هاهنا بعنوان أجوبة المسائل . . . تبعا " لما عبر به مؤلفها في لؤلؤته .

(١١٧) – الطهراني ، الذريعة ،ج ١ /ص ٤٣١.

(١١٨) – السيد جعفر مرتضى العاملي ، (معاصر) ، الصحيح من سيرة الإمام علي (ع) مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي، الطبعة الأولى،١٤٣٠ – ١٣٨٨ هـ ، إيران – قم ، ج ٢٠ / ص ٢٤٨، مجلة تراثنا – مؤسسة آل البيت ،ج ١٣ / ص ٢٥١ ، السيد جعفر مرتضى العاملي ، (معاصر) ، الإمام علي والنبي يوشع عليهما السلام (تاريخ يعيد نفسه) ،الطبعة الأولى، ١٤٢٨ – ٢٠٠٧ م، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت – لبنان ، ص ٩٧.

(١١٩) – البحراني ، الحدائق الناضرة، ‹ صفحة ترجمة المؤلف ٢٦ ›.

(١٢٠) – الطهراني ، الذريعة ،ج ٨ /ص ١٤٠.

(١٢١) – السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج ١ / ص ١٩٠، مجلة تراثنا – مؤسسة آل البيت – ج ١١ / ص ٢٣٢ – ٢٣٣.

(١٢٢) – البحراني ، الحدائق الناضرة، ‹ صفحة ترجمة المؤلف ٢٧ ›.

(١٢٣) – خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج ٦ / ص ٤٢ ، السيد محمد الرضي الرضوي ، كذبوا على الشيعة ، بلا.، ص ٨٣.

(١٢٤) – المحقق البحراني ،الشهاب الثاقب ، ص ٢.

(١٢٥) – البحراني ، الحدائق الناضرة، ‹ صفحة ترجمة المؤلف ٢٨ ›

(١٢٦) – آقا بزرگ الطهراني ، الذريعة ، ج ١٧ / ص ٧.

(١٢٧) – السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج ١ / ص ١٩٠.

(١٢٨) – يوسف ، البحراني ، الكشكول، ج ١ / ص ١٩٠.

(١٢٩) – مجلة تراثنا – مؤسسة آل البيت ،ج ٢٤ / ص ١٢٦.

(١٣٠)– البحراني يوسف ، مقدمة كتاب لؤلؤة البحرين.ص ٥.

(١٣١)– البحراني يوسف ، المقدمة لؤلؤة ، ص ٦.

(١٣٢)– المصدر نفسه ، المقدمة ص ٦.

(١٣٣)– المصدر نفسه ، ص ٥١.

(١٣٤) –البحراني ، لؤلوة البحرين ، ص ٩٨–٩٩.

(١٣٥). المصدر نفسه ، ص ٩٤.

(١٣٦) –المصدر نفسه ، ص ٩٣–٩٤.

(١٣٧)– المصدر نفسه، ص ٧٢.

(١٣٨)– المصدر نفسه، ص ٨.

(١٣٩) –البحراني ،لؤلؤة البحرين ، ص ٧.

(١٤٠) –البحراني ، لؤلؤة البحرين ص ٧–٨.

(١٤١)– المصدر نفسه ، ص ٨.

(١٤٢) البحراني ، لؤلؤة البحرين ، –ص ٣٨.

(١٤٣) – المصدر نفسه ص ١٥–١٦.

(١٤٤) – المصدر نفسه، ص ٨٧.

(١٤٥) –البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٢٨–٣٠

(١٤٦) – المصدر نفسه ، ص ٥٣.

(١٤٧) – المصدر نفسه ص ٣٩–٤٠

(١٤٨) – المصدر نفسه ص ٢٨

(١٤٩) – المصدر نفسه ،ص ٧٢.

(١٥٠) – المصدر نفسه ،ص ٣٨.

(١٥١)– المصدر نفسه ، ص ٤٩.

(١٥٢) – المصدر نفسه ، ص ٤٩.

(١٥٣) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٥٣.

(١٥٤) – المصدر نفسه ، ص ٧٧.

(١٥٥) – المصدر نفسه ص ١١٦–١٢٧.

(١٥٦) – المصدر نفسه ، ص ١٠٦–١٠٧.

(١٥٧) – المصدر نفسه ، ص ٨٢.

(١٥٨) – المصدر نفسه ، ص ٩–١٢.

(١٥٩) – المصدر نفسه ، ص ٢٠–٢١.

(١٦٠) – المصدر نفسه ، ص ٣٩–٤٠.

(١٦١) – المصدر نفسه ، ص ١٢٦.

(١٦٢) – المصدر نفسه ، ص ١٢٦.

(١٦٣) – المصدر نفسه ، ص ٢٤–٢٥.

(١٦٤) – المصدر نفسه ، ينظر ترجمته مطولة من ص ٢٨–٣٤.

(١٦٥)– المصدر نفسه ، ص ٣٩.

(١٦٦) – المصدر نفسه ،ص ٣٩.

(١٦٧)– المصدر نفسه ، ص ٦٣.

(١٦٨)– المصدر نفسه ، ص ١٥–١٧.

(١٦٩)– المصدر نفسه ،ص ٣٩–٤٢.

(١٧٠) – المصدر نفسه ،ص ١٤.

(١٧١) – المصدر نفسه، ص ٥٢.

(١٧٢) –المصدر نفسه ، ص ٥٨.

(١٧٣) – المصدر نفسه ، ص ٦٠.

(١٧٤) – المصدر نفسه ، ص ١٤.

(١٧٥) – المصدر نفسه ، ص ١٦.

(١٧٦) – المصدر نفسه ، ص ٣٩–٤٠.

(١٧٧) – المصدر نفسه ، ص ٩.

(١٧٨) – المصدر نفسه ، ص ١٨.

(١٧٩) – المصدر نفسه ، ص ٢٥.

(١٨٠) – المصدر نفسه ، ص٦.

(١٨١) – محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الشهير بالمجلسي– صاحب كتاب بحار الانوار

(١٨٢) –البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٣٧.

(١٨٣) –كتابه الرجال .

(١٨٤) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٢٣٢.

(١٨٥) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٢٥.

(١٨٦)– المصدر نفسه ، ص٤٥.و ص ٥٢و ص ٧.

(١٨٧) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٣٩.

(١٨٨) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٢٣٩.

(١٨٩) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٣٠٠.

(١٩٠) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٢٧٦.

(١٩١) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ١٧.

(١٩٢) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص٤١.و ص ٤٦ ص ٤٧–٤٨ ص ٧٧

(١٩٣) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٢٨١.

(١٩٤) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٢٥

((١٩٥)) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٩.

(١٩٦) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ١٠١.

(١٩٧) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ١٠٢.

(١٩٨) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٨٤.

(١٩٩) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٨٤.

(٢٠٠) – البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٨٣.

(٢٠١) – المصدر نفسه ، ص ١٩–٢٠.

(٢٠٢) – المصدر نفسه ، ص ٨٨.

(٢٠٣) – المصدر نفسه ، ص ٨٩.

(٢٠٤) –المصدر نفسه ، ص ١٠٤.

(٢٠٥) –البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٣٣–٣٤.

(٢٠٦) –البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ١٢٨.

(٢٠٧) –البحراني ، لؤلؤة البحرين ، ص ٢٤–٢٥.

جهود الدولة العثمانية في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية ضد مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

د. حمساء حبيش رزاح ماضي آل قويد الدوسري

أستاذ مشارك بقسم التاريخ والآثار – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك خالد

جهود الدولة العثمانية في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية ضد مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

د. حمساء حبيش رزاح ماضي آل قويد الدوسري

ملخص الدراسة:

شهدت منطقة شرق إفريقيا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي تطورات مهمة على الصعيدين السياسي والعسكري ، خاصة في علاقة القوى الإسلامية بمملكة الحبشة المسيحية ،ففي الوقت الذي خضعت فيه مملكة الحبشة المسيحية لتهديدات القوى الإسلامية المتزايدة ، خضعت للأطماع البرتغالية التي قد توسعت في المنطقة منذ بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ؛ للهيمنة على مناطق التجارة البحرية ، وفي تلك الأثناء بدأ العثمانيون في التركيز على دعم وجودهم في البحر الأحمر ، فضلا عن الحفاظ على مسارات التجارة الحيوية بين البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ووجد العثمانيون في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية والقوى الإسلامية في شرق إفريقيا فرصة ثمينة لتعزيز وجودهم في منطقة البحر الأحمر من ناحية ، ومنع توسع البرتغاليين في السواحل الإسلامية وتحالفهم مع مملكة الحبشة المسيحية من ناحية أخرى ، فتحالف العثمانيون مع مسلمي إمارة هرر الإسلامية ، وقدموا لهم المساعدات العسكرية والاقتصادية ، وأرسلوا أساطيلهم البحرية إلى البحر الأحمر ، ومنطقة السواحل الشرقية لإفريقيا ، كما قاموا بالسيطرة الفعلية على السواحل الغربية للبحر الأحمر ، وتأسيس ما عرف بـ(ولاية الحبش) ، وبفضل الدعم العثماني تمكنت القوات الإسلامية في شرق إفريقيا من مواجهة التهديدات الحبشية – البرتغالية ، كما أكدت تلك الإمدادات على دور الدولة العثمانية كحامية للإسلام والمسلمين في تلك المنطقة من المخططات الصليبية البرتغالية في الوصول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز ، وهو ما ساعد على تعزيز نفوذها في المنطقة ، وإيقاف المد البرتغالي ، وحماية الشعوب الإسلامية في منطقة شرق إفريقيا.

وتسعى هذه الدراسة إلى استجلاء طبيعة دور العثمانيون وجهودهم في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية ضد كل من مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال ، وتوضيح أثر ذلك في دعم سياستهم في البحر الأحمر ؛ لمواجهة النفوذ البرتغالي المتزايد في سواحله ، وذلك في ضوء الأحداث التي مرت بها منطقة شرق إفريقيا ، وتحليلها تحليلا تاريخيا ، إلى جانب كشف الأسس والمرتكزات التي انطلقت منها تلك السياسة في تأسيس ولاية الحبش .

الكلمات المفتاحية : شرق إفريقيا ، الحبشة ، البرتغال ، ولاية الحبش ، سواكن ، مصوع ، هرر ، الدولة العثمانية.

Abstract :
The East African region in the tenth century AH / sixteenth century AD witnessed important developments at the political and military levels, especially in the relationship of the Islamic powers with the Christian Kingdom of Abyssinia, at a time when the Christian Kingdom of Abyssinia was subject to the increasing threats of the Islamic powers, it was subject to the Portuguese ambitions that had expanded in the region since the beginning of the tenth century AH / sixteenth century AD; to dominate the maritime trade areas, and in the meantime the Ottomans began to focus on supporting their presence in the Red Sea The Ottomans found in support of the Muslims of the Islamic Emirate of Harar and the Islamic powers in East Africa a valuable opportunity to strengthen their presence in the Red Sea region on the one hand, and prevent the expansion of the Portuguese in the Islamic coasts and their alliance with the Christian Kingdom of Abyssinia on the other hand, so the Ottomans allied with the Muslims of the Islamic Emirate of Harar, provided them with military and economic aid, and sent their naval fleets to the Red Sea, and the The eastern coasts of Africa, as they effectively controlled the western coasts of the Red Sea, and established what was known as the "Abyssinian Province", and thanks to the Ottoman support, the Islamic forces in East Africa were able to face the Abyssinian-Portuguese threats, and those supplies also confirmed the role of the Ottoman Empire as the protector of Islam and Muslims in that region from the Portuguese Crusader plans in reaching the holy places in the Hejaz, which helped to strengthen its influence in the region, and stop the Portuguese tide. and the protection of the Muslim peoples in the East African region. This study seeks to clarify the nature of the role of the Ottomans and their efforts in supporting the Muslims of the Islamic Emirate of Harar against both the Christian Kingdom of Abyssinia and its ally Portugal, and to clarify the impact of this in supporting their policy in the Red Sea to confront the increasing Portuguese influence in its coasts, in light of the events that the East African region went through, and to analyze it historically, in addition to revealing the foundations and foundations from which this policy was launched in the establishment of the Abyssinian state. Keywords : East Africa, Abyssinia, Portugal, Abyssinian Province, Suakin, Massaw, Harar, Ottoman Empire.

موضوع الدراسة:

شهدت منطقة شرق إفريقيا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي تطورات مهمة على الصعيدين السياسي والعسكري ، خاصة في علاقة القوى الإسلامية بمملكة الحبشة المسيحية، ففي الوقت الذي خضعت فيه مملكة الحبشة المسيحية لتهديدات القوى الإسلامية المتزايدة، خضعت للأطماع البرتغالية التي قد توسعت في المنطقة منذ بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ؛ للهيمنة على مناطق التجارة البحرية، وفي تلك الأثناء بدأ العثمانيون في التركيز على دعم وجودهم في البحر الأحمر ، فضلا عن الحفاظ على مسارات التجارة الحيوية بين البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ووجد العثمانيون في مساندة القوى الإسلامية في شرق إفريقيا وخاصة (إمارة هرر الإسلامية) فرصة ثمينة لتعزيز وجودهم في منطقة البحر الأحمر من ناحية ، ومنع توسع البرتغاليين في السواحل الإسلامية وتحالفهم مع مملكة الحبشة المسيحية من ناحية أخرى، فتحالف العثمانيون مع القوى الإسلامية في شرق إفريقيا ، وقدموا لهم المساعدات العسكرية والتمويلات الاقتصادية ، كما قاموا بإرسال أساطيلهم البحرية إلى البحر الأحمر ، ومنطقة السواحل الشرقية لإفريقيا ، كما عملوا على توفير الأسلحة والأموال وجميع الإمدادات الاقتصادية ؛ لتقوية الجيوش الإسلامية المحلية ، كما قاموا بالسيطرة الفعلية على السواحل الغربية للبحر الأحمر في سنة ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م ، عندما نجح أوزدمير باشا بالسيطرة الفعلية على تلك المناطق من سواكن شمالا حتى مصوع وزيلع جنوبا ، وتأسيس ما عرف بـ(ولاية الحبش) ، وبفضل الدعم العثماني تمكنت القوات الإسلامية في شرق إفريقيا من مواجهة التهديدات الحبشية – البرتغالية ، كما أكدت تلك الإمدادات على دور الدولة العثمانية كحامية للإسلام والمسلمين في تلك المنطقة من المخططات الصليبية البرتغالية في الوصول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز ، وهو ما ساعد على تعزيز نفوذها في المنطقة ، وإيقاف المد البرتغالي ، وحماية الشعوب الإسلامية في منطقة شرق إفريقيا.

وتسعى هذه الدراسة إلى استجلاء طبيعة دور العثمانيون وجهودهم في مساندة مسلمي (إمارة هرر الإسلامية) وأثر ذلك في دعم السياسة العثمانية في البحر الأحمر في تلك المدة الزمنية موضوع الدراسة ؛ لمواجهة النفوذ البرتغالي المتزايد في البحر الأحمر ، وذلك في ضوء الأحداث التي مرت بها منطقة شرق إفريقيا ، وتحليلها تحليلاً تاريخياً، إلى جانب كشف الأسس

والمرتكـزات التـي انطلقـت منهـا تلـك السياسـة فـي تأسـيس مـا عـرف بـ (ولايـة الحـبش).

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على طبيعة دور الدولة العثمانية وجهودها في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية ، وربط مساعيها في ضم السواحل الغربية للبحر الأحمر بسياستها العامة في البحر الأحمر ، ومدى نجاح السياسة العثمانية في دعم مساعيها في ترسيخ وجودها في السواحل الغربية للبحر الأحمر من جهة، وتحقيق سياستها الاستراتيجية في البحر الأحمر بصفة عامة من جهة أخرى ، والتعرف على المتغيرات التاريخية الداخلية والخارجية المؤثرة على علاقة العثمانيون بمسلمي إمارة هرر الإسلامية خاصة ، ومسلمي شرق إفريقيا عامة ، من خلال إبراز عوامل هذا الارتباط ومظاهره المتعددة في الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية ، مع توضيح ردة فعل كل من مملكة الحبشة المسيحية والبرتغال من الوجود العثماني في السواحل الغربية للبحر الأحمر، خاصة بعد تأسيس ما عُرف بـ(ولاية الحبش).

تساؤلات الدراسة:

يثير موضوع الدراسة عدة تساؤلات، والتي ستكون أجوبتها ركائز رئيسة تنطلق منها هذه الدراسة، وهي :

- ما أهمية مدينة هرر بالنسبة للأحباش؟
- ما دور العثمانيون في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية من الناحيتين الدفاعية والهجومية؟
- ما المتغيرات التاريخية الداخلية والخارجية المؤثرة على علاقة العثمانيون بمسلمي إمارة هرر الإسلامية ؟
- ما أبرز عوامل ارتباط العثمانيون بمسلمي إمارة هرر الإسلامية ؟ وما مظاهره المتعددة في الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية؟
- ما الأسس والمرتكزات التي انطلقت منها السياسة العثمانية في تأسيس ما عرف بـ(ولاية الحبش)؟
- ما ردت فعل كل من مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال من الوجود العثماني في السواحل الغربية للبحر الأحمر، خاصة بعد تأسيس ما عرف بـ(ولاية الحبش)؟

- ما مدى نجاح أمير هرر أحمد بن إبراهيم القرين في إخضاع أراضي الحبشة ونشر الإسلام بين سكانها؟
- ما أثر جهود العثمانيون في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية في دعم مساعيها وترسيخ وجودها في السواحل الغربية للبحر الأحمر من جهة وتحقيق سياستها الاستراتيجية في البحر الأحمر عامة من جهة أخرى؟
- ما مدى نجاح العثمانيون في حماية البحر الأحمر وتأمينه من الخطر البرتغالي؟ وما أبرز النتائج التي وصلت إليها تلك المعارك بين الحلف الإسلامي الممثل في العثمانيين ومسلمي إمارة هرر الإسلامية والحلف المسيحي الممثل في الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال؟
- ما عوامل ضعف جهاد إمارة هرر الإسلامية عقب وفاة نور بن مجاهد ؟
- ما مدى أثار تلك الهزائم المتعاقبة التي تعرضت لها مملكة الحبشة المسيحية من حروبها المستمرة مع مسلمي إمارة هرر الإسلامية من جهة ، وزحف قبائل الجالا داخل أراضيها من جهة أخرى في حالة الاضطرابات والفوضى والتشتت التي عاشتها الحبشة بعد ذلك مدة قرنين من الزمان؟

الحدود المكانية والزمنية للدراسة :

أما الحدود المكانية لموضوع الدراسة، فقد اقتصرت في حدودها المكانية على السواحل الغربية للبحر الأحمر، وحدود ولاية الحبش بمفهومها الإداري بعد تأسيسها وتبعيتهما للدولة العثمانية في تلك الحقبة التاريخية ، كما اقتصرت في حدودها الزمنية على القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، الذي شهد الغزو البرتغالي على سواحل شرق إفريقيا من جهة، وتحالف البرتغاليين مع مملكة الحبشة المسيحية من جهة أخرى ، كما شهد تأسيس ما عُرف بـ(ولاية الحبش) التي أدى وجودها إلى ترسيخ النفوذ العثماني على السواحل الغربية للبحر الأحمر، ومن ثم تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية لمسلمي إمارة هرر الإسلامية في جهادها الإسلامي ضد كل من مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال .

منهج الدراسة:

أما المنهج الذي اعتمدت عليه هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي الوصفي القائم على الاستنتاج والتحليل ، وتقصي المعلومات وجمعها من الوثائق والمصادر المختلفة ورصدها ، ومن

ثم تحليلها ومناقشتها في إطار الحقائق التاريخية التي تُعالج في هذه الدراسة مع الأخذ بأداة تحليل النص عن طريق النقد التاريخي .

الدراسات السابقة:

على الرغم من وجود بعض الدراسات التي تناولت جوانب من جهود الدولة العثمانية في مقاومة الوجود البرتغالي في البحر الأحمر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، إلاَّ أنها ركزت على سياسة الدولة العثمانية في كل من الحجاز واليمن ، ولا توجد دراسة تفصيلية بشكل متكامل عن موضوع جهود الدولة العثمانية في مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية موضع الدراسة، إذ لا توجد حتى الآن دراسة متخصصة في هذا الموضوع من كافة جوانبه، وعلى الرغم من ذلك وقفت الباحثة على بعض الدراسات التي تطرقت إلى بعض جوانب الموضوع، وسأتعرض لذكرها هنا؛ نظراً لإمكانية الاستفادة من معلوماتها، ومناهجها، والنتائج التي تم التوصل إليها منها، وهي كالآتي:

١- دراسة الباحث بابكور، عمر سالم .**حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.** رسالة ماجستير. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، حيث تحدثت هذه الدراسة عن جهود الدولة العثمانية في مقاومة الخطر البرتغالي بضم كل من الحجاز واليمن واتخاذ عدن قاعدة عسكرية أمامية، لمواجهة حملات البرتغاليين للدخول إلى البحر الأحمر، وتختلف عن الدراسة المقدمة بالتركيز على سياسة الدولة العثمانية في البحر الأحمر عامة، خاصة سواحله الشرقية ، في حين ركزت الدراسة المقدمة على سياسة الدولة العثمانية في السواحل الغربية للبحر الأحمر وساحل الصومال، وقد استفادت منها الدراسة المقدمة في توضيح الحملات البرتغالية للدخول إلى البحر الأحمر، ومحاولة الوصول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز، وجهود الدولة العثمانية في التصدي لتلك الحملات وإحباط محاولاتها في تحقيق أهدافها الصليبية في الوصول إلى ميناء جدة؛ للوثوب منه إلى الأماكن المقدسة في الحجاز.

٢- دراسة الباحث المالكي ، محمد ضيف الله عزيز. **العثمانيون والبحر الأحمر (٩٢٣- ١٠٤٥هـ/ ١٥١٧- ١٦٣٥م)** . رسالة ماجستير. الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، حيث تحدثت هذه الدراسة عن بداية وصول البرتغاليين إلى البحر الأحمر، وعن موقف القوى المحلية في اليمن للتصدي لخطر البرتغاليين، كما تحدثت

عن التوسع العثماني في البحر الأحمر بضم كل من الحجاز واليمن، والنظام الإداري المتبع في حكمهما، كما تطرقت إلى وصول العثمانيين للساحل الغربي للبحر الأحمر وتأسيس ولاية الحبش بشكل عام، كما تحدثت في الفصل الأخير عن موقف العثمانيين تجاه القوى الأوروبية (الهولندية والإنجليزية) في البحر الأحمر حتى سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م، وتختلف عن الدراسة المقدمة بالتركيز على سياسة الدولة العثمانية في السواحل الشرقية للبحر الأحمر، في حين ركزت الدراسة المقدمة على سياسة الدولة العثمانية في السواحل الغربية للبحر الأحمر وساحل الصومال ، وفق العناصر الموضحة في محتوى الدراسة ، وقد استفادت منها الدراسة المقدمة في توضيح جهود أوزدمير باشا في تأسيس ما عرف بـ(ولاية الحبش) وربطها سياسيا وإداريا بإيالة مصر ، ثم بوالي جدة العثماني .

محتوى الدراسة:

أما محتوى الدراسة فقد احتوت على أربعة أقسام رئيسة، إضافة إلى المقدمة والخاتمة والتوصيات ومصادر الدراسة ومراجعها.

فالمقدمة: تركزت على خطة الدراسة ومنهجها.

والقسم الأول التمهيد: وجاء بعنوان : (نشأة الإمارات الإسلامية في شرق إفريقيا وعلاقتها بمملكة الحبشة المسيحية) .

أما القسم الثاني: فكان بعنوان: (وصول البرتغاليين إلى شرق إفريقيا) .

أما القسم الثالث : فجاء بعنوان : (اتصال البرتغاليين بمملكة الحبشة المسيحية) .

أما القسم الرابع : فكان بعنوان: (سياسة الدولة العثمانية تجاه الوجود البرتغالي في شرق إفريقيا وساحل الصومال) ويشتمل على ثلاثة عناصر هم.

١- دوافع العثمانيون لمد نفوذهم على الساحل الغربي للبحر الأحمر .

٢- مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية في شرق إفريقيا ضد كل من مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال .

٣- تأسيس ولاية الحبش واستمرار العثمانيون في دعم المقاومة الإسلامية في إمارة هرر.

أما الخاتمة: فتضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وهي مهمة ومتعددة، إضافة إلى التوصيات التي تقدمها الدراسة .

مصادر الدراسة ومراجعها:

أما ما يتعلق بمصادر الدراسة ومراجعها فقد اعتمدت على مجموعة من الوثائق العثمانية المحفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول، إلى جانب كتب السالنامات الحجازية، والمصادر العربية والمعربة المتنوعة، إضافة إلى المراجع العربية والأجنبية والدوريات العلمية المتعلقة بموضوع الدراسة.

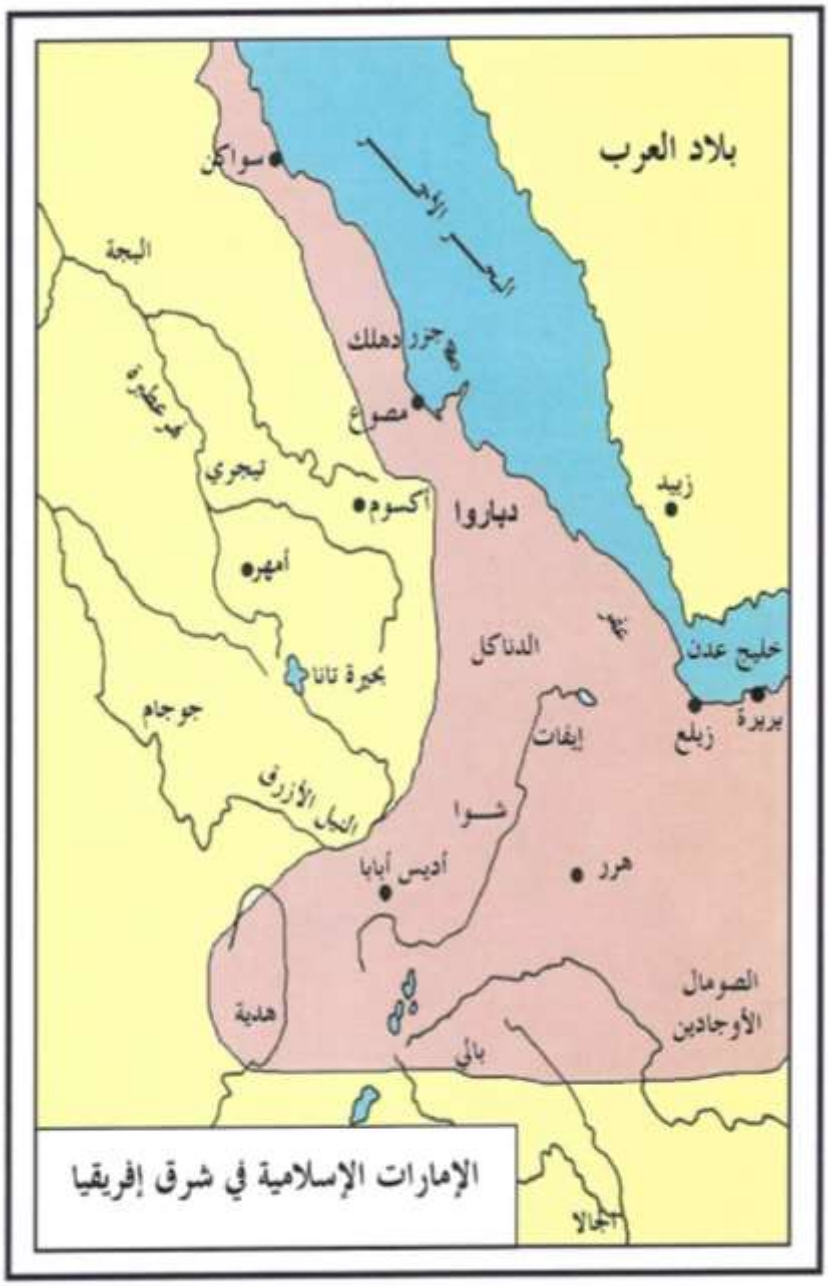
وأخيرا أدعو المولى عز وجل أن يوفقني في إخراج هذه الدراسة في شكل علمي جاد ومتميز، وأن تكون هذه الدراسة المتواضعة ثمرة نافعة للقراء والباحثين، وأن تضيف لبنة جديدة إلى لبنات تاريخ البحر الأحمر إبأَّن العصر العثماني الزاخر والله ولي التوفيق إنه على كل شيء قدير وهو حسبي ونعم الوكيل.

أولاً: التمهيد: نشأة الإمارات الإسلامية في شرق أفريقيا وعلاقتها بمملكة الحبشة المسيحية:

ذكرت بعض المصادر التاريخية أن أول دولة إسلامية نشأت في بلاد أثيوبيا هي مملكة (شوا)[١] التي قامت في الجزء الشرقي من الإقليم المسمى بذات الاسم في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وتنسب هذه المصادر التاريخية تأسيس تلك المملكة إلى ود بن هشام المخزومي، الذي خرج من الحجاز مع بعض رجال قبيلته أثناء خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ / ٦١٤-٦٤٣م) – رضي الله عنه –[٢].

كما ذكر بعض المؤرخين وجود سبع ممالك إسلامية أخرى امتدت على مساحات شاسعة في الشرق والجنوب الشرقي من بلاد أثيوبيا، حيث كونت شريطاً ساحلياً بين أثيوبيا والبحر الأحمر، كالطراز له، وكان ذلك مما دعا بعض المؤرخين العرب بتسمية تلك الممالك بـ (ممالك الطراز الإسلامي)، وهي: ممالك إيفات (أوفات) وعدل وهادية وفتاجار ودوارو وبالي وآربا[٣].

خريطة رقم (١)



المصدر : غسان الرمال . مرجع سبق ذكره ، ص ٣٢٣ .

وتقع مملكة إيفات في الأقاليم الشرقية لشوا وما جاورها بعد أن ضمت مملكة شوا الإسلامية لحكمها في عام ٦٨٧هـ/١٢٨٥م، والمنحدرات المؤدية إلى أودية نهر الأواش، إلاَّ أن طموحها السياسي، كان أكبر من ذلك بكثير، فقد امتد سلطانها حتى شمل المناطق التي تقع حول ميناء زيلع، كما أن قبائل العفر (الدناكل)[٤] القاطنين حول بحيرة أوسة كانوا يدينون بنوع من الولاء لحكام إيفات[٥].

وقد كان لسيطرة إيفات على طرق التجارة الرئيسة؛ نظراً لموقعها المتميز على الحدود الشرقية لإقليم شوا المسيحي، أهمية اقتصادية وعسكرية كبيرة، حيث جعلها أكثر الممالك الإسلامية تميزاً وثراء(٦). بيد أن دور إيفات الرائد كحليف ونصير أساسي للمسلمين في صراعهم ضد الأثيوبيين المسيحيين، سرعان ما انتقل إلى مملكة عدل التي اتخذت منطقة هرر(٧) مركزاً رئيساً لها، أما مملكة هادية فقد سيطرت على جزء كبير من المناطق الواقعة بين نهري الأواش والجيبى، بينما اتسعت مملكة فتاجار لتشمل الأقاليم الواقعة بين جنوب شرق مرتفعات شوا وبين المنحنى الغربي لنهر الأواش. وتمركزت مملكة دوار في الجزء الجنوبي من شوا بين مملكة إيفات ونهر الأواش. أما مملكة بالي فقد كانت تقع جنوب دوار(٨). وقد مرت الطرق الرئيسة التي تربط أثيوبيا المسيحية بالعالم الخارجي، عبر هذه الأراضي التي سيطر عليها المسلمون، ولذلك أصبح سكان تلك الممالك الإسلامية بمثابة الوسيط التجاري الطبيعي والمنفذ الوحيد الذي لا غنى عنه لأثيوبيا المسيحية وعلاقاتها بالعالم الخارجي(٩).

وقد كانت علاقة الحبشة المسيحية بجاراتها من الممالك الإسلامية غير مستقرة، إذ أنه ولمدة طويلة من الزمن، كانت العلاقة متقلبة بين السلم والعداء بينهما، فلم يكن ملوك تلك الدول الإسلامية يتبعون سياسة واحدة للتعامل مع الحبشة المسيحية، فقد كانوا يدينون بالولاء لأباطرة الحبشة حيناً، ويستقلون عنهم ويحاربونهم حيناً آخر، ولم تكن الحبشة تخشى بأس تلك الممالك الإسلامية الضعيفة والمتناثرة في بادئ الأمر.

وكانت إمارة أوقات هي أقواها جميعاً. وقد شهدت القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية/ الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر الميلادية سلسلة من المعارك بين مملكة الحبشة المسيحية ودول الطراز الإسلامي؛ بسبب التنافس للسيطرة على المراكز التجارية في داخل الحبشة وميناء زيلع على الساحل الصومالي، وقد استعان مسلمو الحبشة بدولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م) في مصر، ولكن بُعد المسافة ووعورة الطريق لم يتح لمصر أن تقدم أي مساعدة لهم، وفي المقابل استعان الأحباش المسيحين بالأوروبيين(١٠).

وخلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تشبعت الحبشة بالأفكار الصليبية، التي خلقت لها أعداء من مسلمي دول الطراز الإسلامي، وواجه المسلمون في شرق إفريقيا كثيراً من اضطهادات ملوك الحبشة، واستطاع المسلمون الصمود قروناً طويلة أمام جبروت الأحباش المسيحيين، وبفضل إثارة روح الجهاد الإسلامي في سبيل الله ضدهم، انتصروا عليهم في فترات

كثيرة، وفي بداية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي قام إمبراطور الحبشة إسحاق الأول (٨١٦-٨٣٢هـ/١٤١٤-١٤٢٩م) بشن هجوم شامل على مناطق المسلمين، وأنزل بهم هزائم كثيرة، وبالغ في اضطهادهم حتى وصلت أنباء ذلك إلى السلطان المملوكي برسباي[١١] (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م) في مصر، مما أثار حفيظته لما حل بالمسلمين، وأمر بحبس بطريرك القبط في مصر وهدده بالقتل لو حاول الاتصال بملك الحبشة إلاّ بإذن منه، كما أمر بإغلاق كنيسة القيامة؛ انتقاماً لما حدث للمسلمين على أيدي الأحباش[١٢]، واستمر خلفاء إسحاق في اتباع تلك السياسة مع المسلمين، حيث قام زرد يعقوب Zard Yeghub (٨٣٧-٨٧٢هـ/١٤٣٤-١٤٦٨م) بالتنكيل بالمسلمين أشد تنكيل، كما قام بعدة هجمات دامية على مملكتي إيفات وعدل، حتى أصبحت الممالك الإسلامية تدفع الجزية لإمبراطور الحبشة[١٣].

إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلاً فبموت زرد يعقوب، لم تستمر الأمور على ما كانت في عهده، من سيطرة خلفائه على الممالك الإسلامية واستتباب الأمن، بل عادت الأمور إلى سابق عهدها من مناوشات واشتباكات وحروب، وسرعان ما أصبحت سيادة الإمبراطور على الممالك الإسلامية إسمية وشكلية لا تتعدى في أحسن أحوالها دفع الجزية السنوية، وكان من أسباب ذلك اتساع الرقعة الإسلامية وترامي أطرافها[١٤].

وقد تزعمت حركة الجهاد الإسلامي آنذاك مملكة عدل تحت قيادة الإمام محفوظ[١٥]، الذي كان يهدف إلى استعادة المدن على الحدود الشرقية للحبشة وهي: إيفات وفتاجاور ودوارو وبالي، وقد هاجمها الإمام محفوظ وأنزل بالأحباش هزائم كبيرة متتالية في عهد ملكي الحبشة إسكندر Eskender (٨٨٢-٨٩٩هـ/١٤٧٨-١٤٩٤م) وناعود Naod (٨٩٨-٩١٣هـ / ١٤٩٤-١٥٠٨م)، واغتيل ناعود وهو يدافع عن مقاطعة إيفات في مواجهة الإمام محفوظ[١٦].

ثانياً: وصول البرتغاليون إلى شرق إفريقيا:

عندما كانت أوروبا في العصور الوسطى متأخرة، كانت أسبانيا والبرتغال مزدهرة تحت الحكم العربي الإسلامي (٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١-١٤٩٢م)، وبعد نهاية الحكم العربي الإسلامي وحرب الاسترداد الصليبية وعملية الإبادة وإخراج العرب المسلمين منها، اندفعت إلى ما وراء حدودها بسرعة مذهلة لتعوض الماضي باحتلال شعوب آسيا وأفريقيا بصفة عامة والعرب والمسلمين بصفة خاصة.

وتقاسم البرتغاليون والأسبان شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا بتشجيع من بابا الفاتيكان الذي عدَّ ذلك عملاً مقدساً لحركة تنصير العالم بالقوة العسكرية، عندما أعلن تقسيم العالم بموجب معاهدة (توردیسلاس) في عام ٨٥٣هـ/١٤٤٩م التي وقعتها البرتغال وأسبانيا، بخط التقسيم الذي بدأ في المحيط الأطلسي غربي جزر الرأس الأخضر بمحاذاة خط الطول الغربي الخمسين درجة تقريباً، ومما جاء في المعاهدة أن جميع الممتلكات التي ستستعمر في غربي خط التقسيم، تكون من نصيب أسبانيا، وفي شرق الخط من نصيب البرتغال(١٧).

وصادق بابا الفاتيكان الكسندر السادس (بورجيا) Borgia على تلك المعاهدة التي أصبحت وثيقة رسمية بصك الفاتيكان لتنصير العالم وتحقيق الأهداف الاستعمارية، وكانت مصلحة الفاتيكان وسياستها ترمي إلى الاستمرار في الأوضاع الجديدة وبوجه جديد يتناسب السياسة التنصيرية والصليبية القديمة التي انتهجتها الكنيسة الكاثوليكية، للقضاء على الإسلام وهي امتداد لسياسة الحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر والمغرب العربي(١٨).

واتفقت أهداف السياسة البرتغالية والأسبانية على تطويق العالم الإسلامي، وتوزعت أدوارها، فبينما توجهت البرتغال جنوباً حول إفريقيا ومنها إلى الشرق، توجه الأسبان إلى أمريكا والفلبين واتفقت سياستهما في السير باتجاه معين دون تعارض أو تصادم. وكانت أهداف السياسة البرتغالية أهدافاً صليبية ثم أهدافاً استعمارية لنهب الموارد التجارية والسيطرة الكاملة بإخضاع تلك الشعوب للاحتلال الأوروبي سياسياً، ثم نشر المسيحية وإرسال البعثات التنصيرية للوصول إلى الهدف النهائي بتدمير الإسلام والمسلمين(١٩)، تصديقاً لقوله تعالى:﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾(٢٠)، هذا إلى جانب دافع الثأر والانتقام من العرب المسلمين الذين حاربوهم وأخرجوهم من الجزء الجنوبي الغربي لشبه جزيرة إيبريا المعروفة اليوم بـ (البرتغال)، والتي كانت بلاداً عربية، وبعد إخراجهم للعرب تحول هذا الشعور الديني وحب الانتقام إلى الكسب المادي والاحتكار التجاري والتسلط الاستعماري(٢١)، أما الأهداف التي يرددها الأوربيون لإخفاء حقائقهم الصليبية والاقتصادية والسياسة مدعين الكشوف الجغرافية فما هي إلاَّ أقنعة زائفة لتدمير العالم الإسلامي وإخضاعه واحتلاله ونشر النصرانية، أما اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح أو الكشوف الجغرافية الأخرى، فلم تكن إلاَّ خطوات أولى لتحقيق أهداف استعمارية، حيث اتخذ الغرب المسيحي الكشوف الجغرافية وسيلة لتحقيق مطامعه الاستعمارية الصليبية عن طريق تطويق العالم الإسلامي من الشرق ومن الغرب ومن الجنوب.

وفي أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي بدأت رحلات البرتغاليين تصل إلى شرق إفريقيا بعد عبورهم رأس الرجاء الصالح في عام ٩٠٣هـ/١٤٩٧م، ووصل فاسكو دي جاما Vasco de Gama إلى الساحل الشرقي لإفريقيا، وكانت سفنه تحمل الصليب، كما كان دائم السؤال عن ملك الحبشة، ولما وصل إلى سفالة بدأ يلمس حضارة إسلامية، وفي ميناء موزمبيق وجد أربعة سفن عربية محملة بالذهب والفضة والجواهر والعقيق، وحينها عرف أن بلاد برسترجون Prester–John [٢٢] التي يبحث عنها في الداخل ويمكن الوصول إليها على ظهر الجمال، وزار سلطان موزمبيق ومعه مجموعة من الهدايا، فرفض السلطان قبول هداياهم، وعندما تأكد سكانها من أنهم مسيحيون اشتد احتقارهم لهم، فعاملهم فاسكودي جاما بمنتهى القسوة والوحشية[٢٣].

وفي سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م أجبر البرتغاليون سكان جزر زنجبار وبمبا ومافيا على دفع الجزية، وفي سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م استولى دالميدا Dalmeida – أول نائب للملك البرتغالي في الهند– على سفاله وكلوه وممباسا وأنشؤوا في ممباسا قلعة عسكرية ضخمة عرفت باسم (قلعة يسوع أو المسيح)، وفي سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م، دمر كل من كرستان دي كونها Kuristan de Cunha، والفونسو دي البوكيرك AlFonso de AlBuquerqae، الموانئ الشمالية، وهي: لامونداجا وبراوا وأجبروا سكانها على الخضوع للبرتغاليين[٢٤].

ثالثاً: اتصال البرتغاليين بمملكة الحبشة المسيحية:

ارتبطت مشروعات البرتغاليين الصليبية بمملكة الحبشة المسيحية في تلك المدة ارتباطاً وثيقاً، وكانت دوافع البرتغاليين في إقامة علاقات واتصالات بالحبشة في السيطرة على تجارة الشرق واحتكارها ومنع وصولها إلى بلاد المسلمين، ثم التوغل داخل القارة الإفريقية وتحويل طرق التجارة عبر البحر الأحمر وطريق القوافل إلى الطريق البحري حول إفريقيا وإلى موانئ المحيط الأطلسي، وجاء هذا النشاط مصحوباً بالرغبة في الانتقام من المسلمين وإحياء الروح الصليبية[٢٥]، ومن أهم الدوافع الأخرى التي دعت البرتغاليين إلى التعاون والاتصال مع الأحباش هو محاولتهم لنشر المذهب الكاثوليكي هناك وتحويل العناصر الوثنية في الشرق إلى المسيحية، هذا إلى جانب مخططهم الحقيقي وهو محاربة المسلمين في منطقة القرن الإفريقي (دول الطراز الإسلامي السبع) ثم الوصول إلى سواحل البحر الأحمر الشرقية وخاصة ثغر جدة الذي يقودهم إلى مقدسات المسلمين في الحجاز ليتمكنوا من تدميرها[٢٦]، وبذلك كان اتصال البرتغاليين بملوك الحبشة ما هو

إلا تطويق للعالم الإسلامي من الشرق والغرب والجنوب، ومن ناحية أخرى توفير مراكز بحرية للبرتغاليين داخل البحر الأحمر لمهاجمة الحجاز ومصر واليمن(٢٧).

وبدأ تاريخ العلاقات الحبشية البرتغالية منذ أن أرسل الملك يوحنا الثاني JohnII (٨٨٦-٩٠١هـ/١٤٨١-١٤٩٥م) في سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م كلاً من الجاسوسيين اليهوديين كوفلهام Covillham، ودي بايغا De Pyva؛ للبحث عن مملكة القديس يوحنا والتعرف على مناطق انتاج التوابل، فكانت رحلتهما بداية لسلسلة من الرحلات والبعثات البرتغالية لملك الحبشة من أجل التعاون معه؛ لضرب المسلمين من ناحية واستقطاب ملك الحبشة للمذهب الكاثوليكي بدلاً من المذهب الأرثوذكسي من ناحية أخرى(٢٨)، وفي عهد الملك ناعود زاد اتصال البرتغاليين بالحبشة، وكثرت البعثات إليها(٢٩).

وفي عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م تولى عرش الحبشة الملك الطفل لبنادنجل Lebna Dange (٩١٤-٩٤٧هـ/١٥٠٨-١٥٤٠م) وكانت الوصية عليه والدته الملك هيلانة Heleni التي بذلت كل جهودها لتحقيق غايتها في قيام تحالف صليبي بين الحبشة والبرتغال ضد إمارات الطراز الإسلامي، فأرسلت بعثة إلى ملك البرتغال دون مانويل Don Manwell (٩٠١-٩٢٨هـ/١٤٩٥-١٥٢١م) على يد مبعوثها ماثيو Mathieu، الذي ذهب في أول الأمر إلى البوكيرك – نائب الملك البرتغالي في الهند – وقدم عرض الملكة هيلانة ورغبتها في قيام تحالف مشترك بين الحبشة والبرتغال للسيطرة على الحجاز ومصر، كما عرض مطالبها القائمة على تزويدها بأسطول قوي يكون على أهبة الاستعداد للعمل ضد القوى الإسلامية في البحر الأحمر. وبعد إتمام ماثيو مهمته في الهند أرسله البوكيرك إلى لشبونة لتقديم رسالة الملك هيلانة إلى ملك البرتغال دون مانويل، وقد حوت تلك الرسالة شكوى الملكة من الأخطار التي تهددها من جانب مصر ودويلات الطراز الإسلامي(٣٠).

كما أشارت إلى أن كريستان دي نورنها Christain de Noronhad –أحد ضباط الملك في الهند– أرسل رسولين إلى الملكة هيلانة يطلب منها أن تمده بالطعام والرجال لتساعده في نضاله، وأنها في قضية كهذه لن تتوانى في مد يد العون، وأضافت الملكة أنه قد وصل – إلى مسامعها أن السلطان قانصوه الغوري(٣١) (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥١٦م) جمع جيشاً كبيراً ليهاجم به البرتغاليين في الهند، وأن لديها الرغبة في إرسال جنودها ليقدموا المساعدة عند مضيق باب المندب, وأوضحت أيضاً داخل الرسالة إلى أن الجيوش البرتغالية إذا اتحدت مع الجيوش

الحبشية كونا قوة كافية لصد القوات الإسلامية، وأنها بحاجة لقوات بحرية؛ نظراً لأن قواتها برية فقط[٣٢]. وبذلك كان تطلع الحبشة من جانبها إلى مساعدة دولة مسيحية أوروبية لتعينها في حروبها ضد الدويلات الإسلامية المجاورة لها وأهمها مملكتي عدل وإيفات، وكانت الحروب بين هاتين المملكتين وبين الحبشة مستمرة طوال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وكان الانتصار في أغلب الأحيان حليف المسلمين.

وأثارت زيارة ماثيو إلى البرتغال فرحاً كبيراً في نفوس البرتغاليين؛ إذ تحقق حلمهم في رؤية مبعوث خاص عن القديس يوحنا Prester John، وكان الرأي العام البرتغالي يأمل في تحويل الحبشة المسيحية إلى المذهب الكاثوليكي والتعاون مع الأحباش لتحقيق أهدافهم وأطماعهم الصليبية والاقتصادية في البحر الأحمر والمحيط الهندي. ووافق المجلس الأعلى البرتغالي على مساعدة الحبشة وقدم لها معونة عسكرية لمقاومة المسلمين، واستطاع البرتغاليين تجميع بعض المعلومات عن الحبشة ومدى صلاحية الطرق المؤدية لها وأفضلها وأقصرها، إضافة إلى معلومات حول عقيدة الأحباش الأرثوذكسية وأحوال الحبشة الاقتصادية، وقد حصلوا عليها من ماثيو رئيس البعثة الحبشية[٣٣].

ولم يكن أمل البرتغاليين في تحويل الأحباش إلى المذهب الكاثوليكي فحسب، بل عملت الملكة هيلانة على سلخ بلدها عن كنيسة مصر وربطها مباشرة بكنيسة روما كجزء من الاتجاه العام في ربط مصير الحبشة بالمسيحية الأوروبية[٣٤].

وتأخرت بعثة ماثيو في العودة إلى الحبشة، وفي أثناء تلك المدة، قام الملك لبنادنجل في سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م بالسيطرة على جزء من إمارة هرر بعد الانتصار على أميرها الإمام محفوظ، وأجبر سكانها على دفع الجزية[٣٥]، وفي تلك الأثناء عاد ماثيو إلى الحبشة ومعه وفد برتغالي يرأسه دي كالفان De Calvan، وكان رجل في سن الثمانين من عمره وقد مات في الطريق قبل أن يصل إلى الحبشة، فحل محله رود ريجو دي ليما Rodrigo de lima، ووصل ماثيو إلى مصوع في عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م، ولكنه لم يستطع الوصول إلى الحبشة، فاضطر البرتغاليون ومعهم ماثيو إلى الرحيل إلى الهند، وظل ماثيو ينتظر الفرصة التي تمكنه من دخول الحبشة ولكنه لقي حتفه في عام ٩٢٧هـ/١٥٢٠م، فأمر نائب الملك في الهند لوبز دي سكويرا Lopez de Sequeyra رود ريجودي ليما بإيصال رسالة الملك إلى الملكة هيلانة[٣٦]، والتي تقضي بإقامة علاقات ودية مع الأحباش، والاعتذار عن تأخر وصول الوفد البرتغالي، وعن تأخر ماثيو مبعوث

الحبشة، كما حملت البعثة معها كمية من البنادق، لمساعدة الأحباش، إضافة إلى اقتراح بأن تقوم الحبشة بمساعدة البرتغال في الهجوم على المسلمين ومعاونتهم في بناء قلعة في جزيرة كمران أو في مصوع لمهاجمة السفن الإسلامية في البحر الأحمر، هذا فضلاً عن جمع المعلومات عن الحبشة وملكها وجيشها وكنائسها وتجارتها، إلى جانب دراسة طرق الحبشة ومسالكها وأحوال سكانها وجيرانهم ودعوة الملكة هيلانة والبطريرك وكبار رجال الدولة لزيارة البرتغال(٣٧).

وفي بلاط الملك لبنا دنجل بدأت المفاوضات بينه وبين مبعوث البرتغال دي ليما، وأفصح ملك الحبشة عن مساعيه في التحالف مع البرتغال، وعن رغبته في أن يسارع ملك البرتغال في بناء قلاع في مصوع وسواكن وزيلع ضد تقدم العثمانيين، وأوضح أن احتلال البرتغاليين لزيلع بوصفها ميناءً مهماً، سيكون له فائدة كبيرة في تموين الأساطيل البرتغالية، فضلاً عن أنها تمون الساحل الشرقي للبحر الأحمر من عدن حتى جدة ثم مكة المكرمة، وإن بناء تلك القلاع ستكون ضربة قوية للدولة العثمانية وزعزعة نفوذها في المنطقة(٣٨).

ولكن على الرغم من إلتقاء أفكار كل من الملك البرتغالي والحبشي، إلا أن كل واحد منهم شك في قدرة الآخر، فملك الحبشة شك في قدرة البرتغاليين على إقامة تلك القلاع، والبرتغاليون لم يقنعوا بقدرة ملك الحبشة في أن يوصلهم إلى الساحل ويمون أساطيلهم؛ بسبب حصار المسلمين للحبشة، فدعا ذلك إلى أن كتب الملك لبنادنجل إلى ملك فرنسا ليقوم بإنشاء قلعة في زيلع، وإلى ملك البرتغال لينشئ قلعة في مصوع، وإلى ملك أسبانيا لينشئ قلعة في سواكن قائلاً: إن اتحاد ثلاثتهم سوف يمكنهم من صد العثمانيين(٣٩).

وكان غاية ملك الحبشة أن يجعل المسألة مشكلة دولية، أو إثارة حرب صليبية في البحر الأحمر، ولذلك أرسل إلى البابا في عام ٩٣٠هـ/١٥٢٤م لكي يباركه في عمله هذا، كما أرسل رسالة إلى نائب الملك في الهند أبدى فيها تمنياته في أن يرى قلعة برتغالية وكنيسة في كل من مصوع ودهلك وزيلع ودعاه للاتحاد في سبيل قتال المسلمين، وأعقب ذلك أن أرسل الملك سفيرًا له في عام ٩٣٢هـ/١٥٢٦م يدعى زاجازابو Zagazabo إلى كل من ملك البرتغال والبابا بهدف تحقيق محالفة البرتغال وإشعال حرب صليبية في البحر الأحمر(٤٠)، مما يدل على شدة تخوف ملك الحبشة من القوى العثمانية، وبمدى ضغط العثمانيين على السواحل الحبشية.

وفي عهد الملك جلاديوس Galawdewos (٩٤٧-٩٦٦هـ/١٥٤٠-١٥٥٨م) زاد التحالف والتعاون بين الطرفين؛ لضرب حركة الجهاد الإسلامية التي تزعمها الإمام أحمد القرين(٤١) (٩٢٢-

٩٥٠هـ/ ١٥٠٦-١٥٤٣م) حيث أبحرت حملة برتغالية بقيادة كريستوفر دي جاما Chritopher de Gama وصلت إلى الحبشة في عام ٩٤٩هـ/١٠٤٢م، بالإمدادات البرتغالية من الأسلحة النارية والمدفعية الحديثة، وتعاونت مع ملك الحبشة جلاديوس، الذي استطاع بفضل هذه الإمدادات البرتغالية إنزال الهزيمة بحاكم هرر أحمد القرين، وقتله واسترجاع قواعدهم العسكرية التي استولوا عليها سابقاً، وفي العقد السادس من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، جدت أمور أدت إلى تغير العلاقة بين الأحباش والبرتغاليين، وذلك عندما عزم البرتغاليين على تكثيف نشاطهم البحري في البحر الأحمر بهدف إنزال البعثات الكاثوليكية على أرض الحبشة وتحويلها من المذهب الأرثوذكسي إلى المذهب الكاثوليكي، ولذلك سعت البابوية جادة إلى إعطاء المجال لجمعيات الجزويت؛ لتعيين أحد رجال الدين في روما أسقفاً على الحبشة، ولذلك توالت البعثات الكاثوليكية على أرض الحبشة، إلاَّ أنها فشلت؛ بسبب اعتراض السفن العثمانية لها في البحر الأحمر[٤٢].

وفي عهد الملك ميناس Minas (٩٦٧-٩٧٨هـ/١٥٥٩-١٥٧٠م) مُنيت الحبشة بانقسام ديني خطير وبحروب أهلية، وغرقت البلاد في مناقشات دينية عظيمة أيد فيها البعض الكنيسة الغربية وأيد البعض الآخر كنيسة الإسكندرية، وانضم الملك إلى الفريق الثاني وطلب من المنصرين البرتغاليين مغادرة البلاد ومنعهم من نشر عقيدتهم أو الظهور في الكنائس، وحرم عليهم الزواج من الحبشيات، وأعلن إسحاق حاكم دباروا[٤٣] Dabarwa العصيان وحارب جيش الملك وأعلن تأييده للكنيسة في روما وانضم إليه البرتغاليون المطرودون من الحبشة، وتقرب من العثمانيين بقيادة أوزدمير باشا[٤٤] (٩٥٦-٩٦٢هـ/١٥٤٩-١٥٥٤م) وعقد تحالفًا معهم ووضع نفسه والجزء الذي يحكمه من الحبشة تحت سيادة العثمانيين، وفي وسط هذا النزاع تمكن العثمانيون من توسيع نفوذهم في المنطقة[٤٥].

وفي عهد سارسا دنجل Sarsa Dengal (٩٧٨-١٠٠٦هـ/١٥٧٠-١٥٩٧م)خفت حدة العلاقات بين الحبشة والبرتغال وظهرت منازعات الطامعين في العرش، واستغل العثمانيون هذا الخلاف وناصروا فريق على آخر، وتمكنوا بذلك من توسيع مناطق نفوذهم، وكان النصر في جانب الفريق الذي يؤيده العثمانيون، لأنهم كانوا يمدونه بالأسلحة النارية والمدافع، مما حدا بالملك إلى الاستنجاد بالملك فيليب الثاني PhilipII (٩٦٤-١٠٠٧هـ/١٥٥٦-١٥٩٨م) ليرسل إليه من يجيدون استعمال البنادق والمدافع، كما أرسل إلى البابا يطلب منه التبريك وإرسال البعثات، فكأنه

بذلك قلب سياسة سلفه رأساً على عقب، وأخذ الجزويت ينزحون من جديد إلى الحبشة، وأُنشئت الأديرة التي كانت تعلم المذهب الكاثوليكي، وكان لقسيس إسباني يُدعى بايز Paez دور كبير في ذلك، وذاعت تعاليمه، وأُصيبت سياسة الملك ميناس بنكسة قوية(٤٦).

وفي ضوء تلك الأحداث خفت حدة العلاقات بين الحبشة وبين البرتغال، وكانت بعثة مليثور دي سيلفيا Milchior de Syliva في سنة ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م آخر محاولة من البرتغاليين للدخول في البحر الأحمر، والوصول إلى أرض الحبشة، حتى خرجوا منها نهائياً في سنة ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م بعد هزيمتهم على يد التحالف الصفوي الإنجليزي في الخليج العربي، ودخول دول أوروبية أخرى منافسة (هولندا وإنجلترا وفرنسا) (٤٧).

رابعاً: سياسة الدولة العثمانية تجاه الوجود البرتغالي في شرق إفريقيا وساحل الصومال:

(١) دوافع العثمانيون لمد نفوذهم على الساحل الغربي للبحر الأحمر:

مع دخول مصر ثم الحجاز تحت السيادة العثمانية في سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، حمل العثمانيون عبء الدفاع عن البحر الأحمر والأماكن المقدسة في الحجاز، لينالوا بذلك شرف حماية الحرمين الشريفين حتى تكون لهم الزعامة الدينية على العالم الإسلامي، ومن ثم ظهرت الدولة العثمانية ولأول مرة بصفتها قوة سياسية كبرى في منطقة البحر الأحمر.

وبعد أن نجح العثمانيون في السيطرة على مدخل البحر الأحمر بالاستيلاء على عدن في سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م(٤٨) واتخاذها قاعدة عسكرية أمامية للدفاع عن أمن الحرمين الشريفين، صمموا على بسط سيطرتهم ونفوذهم على الساحل الشرقي الإفريقي، والوقوف بشدة وضراوة ضد كل من الحبشة والبرتغال وأطماعهم في البحر الأحمر، حيث رأت الدولة العثمانية أن السيطرة على السواحل الشرقية لإفريقيا، وإقامة قواعد عسكرية عثمانية بها هدف أساسي من أهداف سياستها في البحر الأحمر لعدة أسباب منها:

(١)- وقف الخطر البرتغالي في البحر الأحمر، وإفساد مخططاتهم الصليبية التي تهدف إلى تطويق العالم الإسلامي من الغرب والشرق والجنوب، ومن ثم توفير مراكز بحرية لهم داخل البحر الأحمر، لتقوية مركزهم سياسياً واقتصادياً، وإضعاف المسلمين بتحويل التجارة الشرقية إلى طريق رأس الرجاء الصالح وكسر احتكارهم للتجارة الشرقية من جهة، والوصول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز، ومهاجمة مصر واليمن؛ لإغلاق البحر الأحمر في وجه تلك القوات العثمانية من ميناء الطور شمالاً إلى مضيق باب المندب جنوباً، والتحرك في تلك المناطق بحرية تامة دون منافس من جهة أخرى.

(٢)- إحكام السيطرة العثمانية على البحر الأحمر من الشرق والغرب والجنوب، ومن ثم تحويله إلى بحيرة إسلامية خالصة. فضلاً عن ذلك، فإن البحار الشرقية كانت تشكل منطقة استراتيجية مهمة بالنسبة للعثمانيين لكونها منطقة متصلة بحدود دولتها في الجنوب، وبناء على ذلك حرص العثمانيون على التحكم في البحر الأحمر والخليج العربي، وذلك لكونهما أفضل موطن صالح للوثوب على البحرية العثمانية في تلك البحار، وتطويق أعدائهم الصفويين في بلاد فارس (إيران) من الجنوب، خاصة بعد تحالفهم مع البرتغاليين؛ لتحطيم الأساطيل العثمانية في السواحل العربية[٤٩].

(٣) -قطع أي محاولة للاتصال بين الحبشة والبرتغال، وتحطيم أي أمل لتكوين حلف مسيحي ضد مسلمي شرق إفريقيا.

(٤) -مساندة القوى الإسلامية في شرق إفريقيا في جهادها الإسلامي ضد مملكة الحبشة المسيحية والبرتغاليين، حيث تطلعت هذه القوى إلى الدولة العثمانية بوصفها قوة إسلامية كبرى في منطقة البحر الأحمر؛ ولذلك وجدت الدولة العثمانية أن تحالفها مع هذه القوى الإسلامية قاعدة رئيسة؛ لحماية مصالح العالم الإسلامي والمقدسات الدينية من الغزو البرتغالي، كما أنها فرصة لانطلاق القوات العثمانية نحو المحيط الهندي، والخليج العربي بعد الاطمئنان على قواعدها العسكرية داخل البحر الأحمر وعلى سواحله الشرقية والغربية.

(٢) مساندة مسلمي إمارة هرر الإسلامية في شرق إفريقيا ضد كل من مملكة الحبشة المسيحية وحليفتها البرتغال:

قام العثمانيون بدور إيجابي في نصرة إخوانهم مسلمي إمارة هرر الإسلامية والقوى الإسلامية في شرق إفريقيا، حيث أدوا دوراً بارزاً في إضعاف الوجود البرتغالي في شرق إفريقيا، وكان ظهورها في البحر الأحمر عوناً معنوياً للمسلمين للقيام بالثورات ضد البرتغاليين وحليفتهم الحبشة.

وبحلول القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، أخذت الممالك الإسلامية النامية تنافس الأحباش في عقر دارهم في الهضبة المحيطة بهم، وتضيق عليهم الخناق بحكم توسعهم الجارف الذي استمر على حدته وضراوته حتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وقد قاوم ملوك الحبشة هذا التوسع بكل قوة وشراسة، لكون الحبشة أكبر دولة مسيحية في منطقة القرن الإفريقي، وما ثم كان عليها أن تساهم مساهمة فعالة في ضرب الجبهة الإسلامية من الخلف، ولا يمكن أن يتهيأ لها ذلك إلا بالتخلص من المقاومة الإسلامية في بلاد الزيلع، والقضاء على الوجود الإسلامي حول بلاد الحبشة وفي داخلها[٥٠]، ولذا استحكم دفاع الأحباش وازدادوا ثباتاً، وخاصة عندما ارتقى العرش الملك زرد يعقوب، ففي عهده توقف الزحف الإسلامي في المرتفعات، كما تمكنت القوات الحبشية من استرجاع أجزاء كثيرة كان المسلمون قد أخضعوها لسلطانهم، واستعادت الحبشة قسطاً وافراً من هيبتها ونفوذها، وبدأت باكتساح

الممالك الإسلامية التي بدأت تهدد الهضبة، وسعى الملك زرد يعقوب لتوحيد صفوف الأحباش في مختلف الأقاليم وكان النجاح حليفه(٥١).

واحتدم الصراع بين هرر والحبشة، واستطاع الإمام محفوظ أمير هرر، أن يوجه ضاربة قاسية للحبشة، وتغلب عليها وأحرق كنائسها وديرتها وقتل رجالها، واشترك في المؤامرة التي انتهت باعتقال الإمبراطور إسكندر الذي كان حاكماً للحبشة في تلك المدة(٥٢).

ونجح ملك الحبشة ناعود في هزيمة أمير هرر محفوظ، وقتله مع عدد كبير من أتباعه في سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦م، كما ضيق الخناق على عدد كبير من الدويلات الإسلامية المحيطة بهضبة الحبشة المعروفة باسم (ممالك للطراز الإسلامي) (٥٣).

وفي عهد الأمير أحمد بن إبراهيم القرين، تغيرت موازين القوى في المنطقة، فسرعان ما أعلن رفضه لدفع الجزية لملك الحبشة، وعندئذ أصبح قيام الحرب بينهما أمراً لا مفر منه، وعندما تحركت الحبشة واجتاحت سلطنة عدل، تصدى لها الأمير أحمد وهزمها شر هزيمة، كما رأى الأمير أن يبدأ بوضع حد لحركات الأمراء الصوماليين ويوطد أركان حكمه في الصومال ليحمي ظهره، فدعا القبائل والإمارات المختلفة للانضمام تحت لوائه لمواجهة خطر الأحباش، فانضمت إليه قبائل الصومال في الشرق والعفار والدناكل في الغرب، ونجح في تنظيم صفوفهم في مهارة فائقة، وجعل منهم قوة ضاربة منيعة خاضت معه مراحل جهاده ضد الحبشة المسيحية(٥٤).

وبحلول الربع الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي لم يتبق للأحباش سوى المرتفعات من بلادهم، إلاَّ أنه بحلول سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م أصبحت حتى المرتفعات مهددة بالغزو تحت الضغط العسكري الشامل لمملكة عدل – ايفات– التي أعدت العدة لحرب حاسمة(٥٥)، وعمل الأمير أحمد على تكتيل النفوذ الإسلامي اللازم لحرب الأحباش، وسار من هرر وبلاد عدل إلى بقية الأقاليم الحبشية، وعمل على توحيد قوات المجاهدين في الصومال وفي الحبشة نفسها(٥٦).

وسجلت السنوات بداية من سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م أكبر عملية غزو تشهدها الحبشة، حيث اشتبك الأمير أحمد بن إبراهيم القرين وقواته مع الأحباش في موقعة "شامبا كوري ((Shamba cory))، تمكن فيها من هزيمة الأحباش، وتحرير معظم الإمارات الإسلامية من سيطرتهم، واندفعت بعدها جحافل الصوماليين مخترقة هضبتها بعد أن كان الأحباش هم الذين يباشرون الهجوم عليها، وبدأ الأمير أحمد القرين حركته بضم الولايات الشرقية(٥٧)، ولكنه كان قلقاً من قبائل الجالا(٥٨) البدو الذين كانوا يشكلون جانبًا مهماً من قوته؛ لما يتصفون به من خصال يصعب ترويضها، فبالرغم مما بذله معهم من مجهودات، فضل كثير منهم العودة إلى مواطنهم حاملين معهم ما غنموه من أسلاب، لذلك أخذ في تكوين جيشه من جديد معتمداً على العناصر التي تدين له شخصياً بالولاء، واستغرق ذلك منه عامين، وبعد ذلك توالت انتصارات الأمير

أحمد فاستولى في سنة ٩٣٨هـ/١٥٣١م على دوارو وشوا، ثم أمهرة ولاستا في سنة ٩٤٠هـ/١٥٣٣م، وفي طريقه استولى على السلطنات الإسلامية بالي وهادية وسيداما وجوراجي[٥٩].

ولقد اتسمت غزوات الأمير أحمد بالسرعة والمفاجأة والحماس والشدة، وما أن جاءت سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٠م إلاَّ وكان الأمير أحمد قد سيطر على وسط الحبشة وجنوبها، وبدأ في غزو مقاطعة تيجرى التي دانت له بالرغم مما بذلته من مقاومة عنيفة، وامتدت سلطته إلى البحر الأحمر من الشرق حتى مدينة كسلا من الغرب، وهناك اتصل بالمقاطعات الإسلامية التي كانت آنذاك بشرق السودان[٦٠].

وبعد أن أتم الأمير أحمد غزو جوجام حتى بحيرة تانا ثم منها إلى حدود السودان، حاول الإمبراطور لبنادنجل جع شتات جيوشه المنهارة وهاجم القوات الإسلامية، فهزمه الأمير هزيمة منكرة وتقدمت جيوش الإمام واستولت على أكسوم، وحرقتها، ثم احتلت شمال الهضبة ثم انحدرت إلى إقليم يجمدير، وبعد أن اجتاحت جيوش الإمام جميع أرجاء الهضبة عاد إلى عاصمته هرر، وأصبحت الحبشة كلها من ممالك إسلامية ومسيحية تحت إمرة الأمير أحمد، واخذت المسيحية في الانهيار تحت ضغط انتصارات المسلمين المتوالية[٦١]، وفي سنة ٩٤٧هـ/١٥٣٨م استطاع الأمير أحمد الاستيلاء على إقليم شوا، وأن يدفع بالملك لبنادنجل أمامه حتى حدود سنار، حيث وقعت معركة حامية على ضفاف النيل قُتل فيها أعداد كبيرة من الأحباش، اضطر بعدها لبنادنجل إلى الفرار مرة أخرى معتصماً بداخل الهضبة الحبشية التي هاجمها الأمير أحمد من جميع الجهات، حيث أخذت أعداداً وفيرة من الأجناس في اعتناق الإسلام، وانتهت آخر مظاهر المقاومة في أقصى الشمال بين أعوام ٩٤٥-٩٤٧هـ/١٥٣٨-١٥٤٠م، وعندما بلغ الإمبراطور لبنادنجل أقصى حالات اليأس والإجهاد والمرض توفي قبل أن تصله الحملة البرتغالية التي طلب مساندتها[٦٢].

وفي الوقت الذي كان فيه الأمير أحمد مشغولاً بجهاده ضد الحبشة المسيحية، وسع العثمانيون نفوذهم في جنوب البحر الأحمر بالاستيلاء على عدن واتخاذها قاعدة عسكرية لهم لتوجيه ضرباتهم العسكرية ضد البرتغاليين، وأعقبوا ذلك بالاستيلاء على سواكن على الساحل الغربي للبحر الأحمر وأقاموا بها حامية عسكرية، كما استولوا على زيلع وأقاموا بها جمركاً وأسطولاً مكوناً من قطع صغيرة سريعة، واستطاعوا أن يصلوا ومعهم الأسلحة النارية المختلفة إلى موانئ البحر الأحمر، ووجدوا في مملكة عدل مجتمعًا إسلاميًا مترابطًا يستطيع استخدام هذه الأسلحة ضد الأحباش المسيحيين[٦٣].

وجاء استيلاء العثمانيين على هذه المناطق في الساحل الأفريقي مصدر قلق وخطورة على الإمارات الإسلامية والأحباش على السواء في الحبشة، فقد عرفت القوتان المتناحرتان أن الغزاة الجدد يتسلحون بأسلحة نارية ومدافع لا تستطيع إحداهما مقاومتهم، غير أن مسلمي هرر وشرق إفريقيا وجدوا عاملاً مهماً للارتباط مع الفاتحين الجدد وهو عامل الاتفاق في الدين، فضلاً عن ترحيب العثمانيين بهذا

الارتباط الديني بجانب الأهداف التجارية، وكان لدى مسلمي الحبشة معلومات وافية عنها، أما الحبشة فكان الأمر مختلفًا بالنسبة لها فهي مسيحية وليس هناك أدنى احتمال في إمكانية عداء العثمانيين للمسلمين هناك، كما أن أسلحتهم لم تزل حتى ذلك الوقت هي القوس والنشاب والسيف والاعتماد على الشجاعة والقوة، وهذه لا تجدي فتيلاً أمام الأسلحة الحديثة للعثمانيين آنذاك، فكان لا بد من عون خارجي يتفق في التسليح والنظام مع العدو الأقوى، كما يتفق مع الأحباش في العقيدة(٦٤).

وتطلع العثمانيون إلى الحبشة، وأرادوا السيطرة عليها فاتصلوا بمسلمي الولايات الشرقية في الحبشة، وأمدوهم بالمال والرجال والذخيرة وخصوصاً المدافع والبنادق(٦٥).

وأمام ظهور الدولة العثمانية بصفتها قوة إسلامية كبرى في منطقة البحر الأحمر من ناحية، والجهاد الإسلامي الواسع في شرق إفريقيا، أسرع البرتغاليون لمساندة الحبشة المسيحية؛ لوقف نشاط إمارة هرر والقضاء على زعيمها، إذ أدرك البرتغاليون أن نجاح حركة الجهاد الإسلامي في شرق إفريقيا وتحويل الحبشة إلى مملكة إسلامية سوف يجعل هذا بدوره من البحر الأحمر بحيرة إسلامية خالصة؛ وهذا يعين العثمانيين من تشديد قبضتهم على سواحله الغربية، ومن ثم اعتراض السفن البرتغالية والقضاء على قواعدهم البحرية والتجارية التي اتخذوها في سواحل شرق إفريقيا محطات؛ لتموين السفن البرتغالية القادمة من لشبونة في اتجاهها للهند؛ ولذلك عززوا من تحالفهم مع الحبشة المسيحية على الرغم من نشاط الدوريات العثمانية في البحر الأحمر، واعتراضها للسفن البرتغالية وتحطيمها؛ فأسرع البرتغاليون بإرسال معونتهم للحبشة، خاصة بعد نجاح حملة سليمان باشا(٦٦) (٩٣١-٩٤١هـ/١٥٢٤-١٥٣٤م) – (٩٤٣-٩٤٥هـ/ ١٥٣٦-١٥٣٨م) على اليمن في سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م، فأرسلت أسطولاً برتغالياً في سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م بقيادة استيفان دي جاما Stephan de Gama ووجهته لميناء السويس، والحملة الثانية بقيادة كريستوفر دي جاما Christopher de Gama؛ لمساعدة ملك الحبشة جلاديوس Galawdewos،(٦٧) فوصلت إلى ميناء مصوع، وكان لوصولها صدى كبير في البلاد، وكانت تتكون من أربع مئة وخمسين من المحاربين المسلحين بالأسلحة والمدفعية الحديثة، وسرعان ما انضم إليهم الأمراء القدامى، وتمكنوا من الحصول على مؤازرة قبائل التيجرى(٦٨). وعندما علم الأمير أحمد القرين بوصول تلك الإمدادات البرتغالية وتأييد القبائل المعادية لهم، عمل مضطراً للحيلولة دون اتصال الجيش البرتغالي مع تلك القبائل المعادية التي تضمر التأييد لملك الحبشة في مقاطعة شوا، ولكن عندما نشبت المعركة مع هذه التشكيلات الجديدة التي استعملت من الأسلحة الحديثة ما لم تعهده الحبشة من قبل، لحقت الهزيمة بقوات الأمير أحمد في سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م وأصيب بجراح، وفي معركة لاحقة – بعد بضعة أيام – لحقته الهزيمة مرة أخرى وتمكن بإعجوبة من الإفلات من الأسر، ولم تكن لدى البرتغاليين من الفرسان ما يمكنه تعقبه والقبض عليه(٦٩).

ولقد كان لهاتين الهزيمتين أسوأ الأثر على الأمير أحمد، الذي سارع إلى العودة إلى الجبال المطلة على وادي الدناكل؛ لكي يعمل على جمع قواته وتنظيم صفوفه، ووجد نفسه مدفوعاً إلى طلب العون والمساعدة من الدولة العثمانية، التي رأت في استنجاد الأمير أحمد بها دافعًا أساسياً وبارزاً سوف يعجَّل ببسط النفوذ العثماني على السواحل الغربية للبحر الأحمر، ومساندة الإمارات الإسلامية في شرق إفريقيا بوصف ذلك – أولاً وقبل كل شيء – واجبًا دينياً تفرضه واجبات الخلافة الإسلامية؛ ولذا اتصل العثمانيون بالأمير أحمد وأمدوه بالأسلحة وخصوصًا بالمدافع والبنادق(٧٠)، ولكن لا بد أن يكون قد سبق هذا الإمداد محادثات تبين لهم منها أن هذا الأمير المسلم – إذا أعلن الثورة على الإمبراطور الحبشي، ونجح في تقويض هذه المملكة المسيحية وإقامة أخرى إسلامية على أنقاضها– يستطيع أن يبذل لهم العون، ويوطد أقدامهم في تلك المناطق، وحينئذ يستطيعون أن يتغلبوا على البرتغاليين بإحياء الطريق القديم بين أوروبا والهند، إضافة إلى حماية مصالح العالم الإسلامي، وخاصة الأماكن المقدسة في الحجاز من المخططات البرتغالية الصليبية(٧١).

وقد وجد العثمانيون في أمير هرر أحمد القرين القوة التي تمكنهم من السيطرة الكاملة على الساحل الغربي للبحر الأحمر، كما استفادوا من تدينه وتقواه لإظهاره أمام مسلمي الحبشة بمثابة قائد ديني يجمع كلمتهم ويوجه قوتهم ضد الأحباش(٧٢).

وقد أقنع العثمانيون الأمير أحمد بأن قيام دولة إسلامية في أثيوبيا تجعل البحر الأحمر بحيرة إسلامية تتسيدها الأساطيل العثمانية، ووضعا معاً أساس إمبراطورية إسلامية يكون الأمير أحمد ممثلاً لها في البحر الأحمر بعد أن يضم إليه الأجزاء الإسلامية من الحبشة، بل أنه يستطيع أيضاً القضاء على دولة الحبشة بفضل ما وعده به العثمانيون من أسلحة حديثة من البنادق والمدافع، التي كانت في ذلك الوقت اختراعاً لا يعرفه الأحباش، فكان هذا هو السبب الأول في قيام الثورة الجامحة التي اتسمت بالعداوة الدينية للمرة الأولى في تاريخ أثيوبيا(٧٣).

وانطلاقاً لتحقيق تلك الأهداف توالت المساعدات العثمانية للأمير أحمد وازدادت؛ وذلك لإجهاض حركة التعاون بين البرتغاليين والأحباش الذي ظهر في تهديد النفوذ العثماني في البحر الأحمر، ولذا هبت لمساندة الأمير أحمد عندما استنجد بها بعد وصول الإمدادات البرتغالية للأحباش، فأرسلت لواليها العثماني في زبيد مصطفى النشار(٧٤)، (٩٤٧-٩٥٢هـ/١٥٤٠-١٠٤٥م) – (٩٦٣-٩٦٤هـ/ ١٥٥٥-١٥٥٦م) بتزويد الأمير بالجنود والسلاح، مرتين، المرة الأولى: أرسل له البنادق وكرات المدافع مع مئتي جندي، وفي المرة الثانية: أرسل له ست مئة جندي، مزودين بالأسلحة ومواد التمويل، وفي تلك الأثناء أرسلت الدولة العثمانية لمصطفى باشا في زبيد حوالي مئتي ألف أوقية من الذهب؛ لمساعدته في دعم أحمد القرين، وبوصولها أرسل من طرفه مدفعين آخريين، وعشر كرات من المدافع مع تسع مئة جندي

من جنود التفنكجيان[٧٥]، إضافة إلى المساعدات الحربية ومواد التمويل التي أرسلها أمير مكة المكرمة الشريف أبو نمي محمد بن بركات[٧٦] (٩٣١-٩٩٢هـ/١٥٢٤-١٥٨٤م) بأمر من الدولة العثمانية، وهذا بدوره ما جعل الأمير أحمد يطمئن إلى وجود قاعدة قوية مضاف إليها التفاف مسلمي دول الطراز الإسلامي حوله مما شجعه على متابعة كفاحه ضد الأحباش وحلفاؤهم البرتغاليين[٧٧]، وعندما وصلته تلك الإمدادات العثمانية من اليمن والحجاز التقى مع الأحباش في معركة " أفلا Afla" في سنة ٩٤٩هـ/١٥٤٢م، وانتصر فيها على الرغم من تفوق البحرية والمدفعية البرتغالية، إلاَّ أن نشوة النصر عند الأمير أحمد القرين دفعته إلى إعادة القوات العثمانية لليمن[٧٨]، ولم يتبق معه سوى مئتي جندي، كما قام بتسريح قوات المتطوعين، وبعض كتائب فرسانه، وأعاد للعثمانيين بعض الأسلحة والمدافع التي جهزوا حملته بها[٧٩]، وهذا ما أعطى الفرصة للتحالف البرتغالي الحبشي؛ لإعادة تنظيم قواتهم من جديد، وداهمت قوات الأمير أحمد على حين غفلة[٨٠]، فلم يعد بإمكان الأمير أحمد جمع شتات قواته التي تفرقت في أرجاء مملكته المترامية الأطراف، وبناء على امتداد طرق مواصلاته الطويلة، فقد استحال على قواعد تموينه إيصال الإمدادات اللازمة في الوقت المناسب خاصة المساعدات العثمانية من قواعدها في البحر الأحمر[٨١]، فهاجمت القوات البرتغالية الحبشية جيوش الأمير أحمد، وتمكن القائد بدرو ليوني Bedro Lyone من اختراق الصفوف إلى حيث الأمير أحمد وأطلق عليه الرصاص فجرح جرحاً مميتاً وسقط عن جواده ميتاً في سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م[٨٢]، وتفرقت جيوشه، وسارعت أقاليم الهضبة لتقديم فروض الولاء والطاعة مرة أخرى للإمبراطور الحبشي جلاديوس Galawdewos، وعادت الأمور إلى سابق عهدها قبل عهد الأمير أحمد القرين[٨٣].

ومما تجدر الإشارة إليه، أن غزوة الأمير أحمد للحبشة كما أسماها الكثير من المؤرخين بـ (الغزو العظيم) [٨٤] كانت الغزوة الأولى من نوعها في تاريخ الحبشة، التي أمكن فيها لقائد أن يوطد يها أركان ملكه بغير منازع على جميع أرجاء الحبشة، وكان عهده في ذلك فريداً في بابه لم يتيسر لأحد من الملوك إلاَ في أوائل القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين ميلادي في عهد الإمبراطور منليك الثاني MenelikII (١٣٠٧-١٣٣٢هـ/١٨٨٩-١٩١٣م).

ولم تنقطع المقاومة الإسلامية في شرق إفريقيا بموت الأمير أحمد القرين، ولم ينته تحالف العثمانيين مع القوى الإسلامية؛ للتصدي للنفوذ البرتغالي داخل البحر الأحمر؛ إذ رأت الدولة العثمانية أن في مساندتها لحركة الجهاد الإسلامي في شرق إفريقيا تحقيقاً لهدف أساسي من أهداف سياستها الأمنية في البحر الأحمر، ولذلك دعمت حركات الجهاد الإسلامي الأخرى التي قامت في هرر بعد مقتل الأمير أحمد ضد التحالف الحبشي البرتغالي.

فبعد انتهاء الغزوة الكبرى، أخذ الإمبراطور جلاوديوس في إعادة تشكيل جيوشه وتنظيمها، حيث أدى التدخل البرتغالي إلى تغيير موازين القوى لصالح الأحباش، ومن ثم تعمق النفوذ البرتغالي، فالجنود البرتغاليين فضلوا عقب استشهاد الأمير أحمد البقاء في الحبشة خاصة بعد أن طلب منهم الإمبراطور جلادوديوس ذلك لحمايته، وبناء ما دمرته الحرب؛ نظراً لكون الكثير منهم أصحاب حرف تفتقر إليها الحبشة مثل الصناعة والزراعة، وما لبث هؤلاء البرتغاليين أن تزوجوا بالحبشيات وكونوا أسراً مختلطة(٨٥).

أما المسلمون، فبعد الهزيمة التي حلت بجيوشهم ودمرتها، فقد تجمعت بقايا قواتهم في مدينة هرر، وعقدوا العزم على القيام بجولة ثانية؛ لاستعادة مجد المسلمين، فقام الوزير عباس بحركة جهادية لتكوين دولة إسلامية جديدة من مقاطعات دوارو وفاتاجر وبالي، ولكن الإمبراطور جلاوديوس قضى على تلك المحاولات وقام باحتلال المقاطعات، ولكنه كان احتلالاً سريع الزوال، حيث وصلت طلائع قبائل الجالا إلى بالي وجعلوا منها مركزاً لهم للإنطلاق إلى المناطق الأخرى(٨٦).

وكان من أثر ذلك أن أخذت عوامل الاتحاد تظهر بين المسلمين في مدينة هرر وخصوصاً تحت تأثير زوجة الأمير أحمد، التي عزمت على الانتقام لزوجها، فقامت حركتي عمرو دين وعلي الجراد ابن الأمير أحمد وكان نصيبها الفشل في محاولتها الأولى(٨٧).

وفي سنة ٩٥٦هـ/١٥٥١م، تولى القيادة نور بن الوزير مجاهد – ابن أخت الأمير أحمد– الذي تزوج من أرملة الأمير أحمد بعد أن تعهد لها بالانتقام له(٨٨)، وأخذ في إعادة تنظيم قواته وتجهيزها للمجابهة القادمة، فحصن مدينة هرر وبنى سورها الذي لا يزال يحيط بها إلى الآن، وجرت أولى المناوشات بينه وبين الأحباش، فكانت غير موفقة، ولكن سرعان ما تغير موقف مملكة الحبشة المسيحية، عندما أصبحت مهددة من الجنوب من قبائل الجالا، ومن الشمال بواسطة الأتراك العثمانيين(٨٩).

(٣) تأسيس ولاية الحبش(٩٠) واستمرار العثمانيون في دعم المقاومة الإسلامية في إمارة هرر:

بعد انتهاء ولاية أوزمير باشا على اليمن وعودته إلى إستانبول عن طريق سواكن ثم مصر، اقترح على السلطان العثماني سليمان القانوني(٩١) (٩٢٦-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م) فتح أراضي الحبشة وتدعيم النفوذ العثماني على ساحلها(٩٢)، ومن ثم السيطرة على امتداد ساحل البحر الأحمر الغربي؛ فوافقت الدولة العثمانية على اقتراحاته وعهدت إليه بضم الحبشة؛ وبادر أوزدمير باشا بإعداد جيش عسكري كبير توجه به براً عن طريق صعيد مصر فاستولى على بريم ونجح في السيطرة على قلعتها، كما استولى على قلعة درر، ومدينة مفراق، وصاي(٩٣)، حتى وصل إلى سواكن فاستولى عليها(٩٤)، كما قام بنقل السفن من ميناء السويس إلى ميناء سواكن، إضافة على نقل مخازن الأسلحة والذخيرة إليها(٩٥)، ثم تقدم باتجاه الساحل الغربي للبحر الأحمر من أجل إنشاء قواعد عسكرية عثمانية في تلك المناطق تكون نقطة ارتكاز للعمليات العثمانية العسكرية الموجهة ضد الحبشة وحليفتها البرتغال، فاستولى على مصوع وبعض

الأراضي المحيطة بها بعد أن أحكم حصارها براً وبحراً، ومن ثم قطع اتصال إمبراطورية الحبشة بالبحر، ومنع المساعدات البرتغالية لهذه البلاد ونقل العاصمة إلى هذا الميناء، وبعد ذلك استولى على زيلع؛ بمساعدة الأسطول العثماني في البحر الأحمر في سنة ٩٦٥هـ/١٥٥٧م[٩٦]، كما استولى على أركيكو[٩٧]، التابعة لملك الحبشة، ودخلت بعد ذلك الجزر التابعة لدهلك في حوزة الدولة العثمانية، وفي البداية ظلت هذه الجزر تابعة إدارياً لإيالة اليمن، حتى عهد بها إلى أوزدمير باشا، الذي بدأ في نشر قواته في الحبشة والمناطق الشمالية، وكانت كل عملية عسكرية يتم تنفيذها يكون لها عظيم الأثر في العمليات العسكرية الأخرى[٩٨]. وقد دفعت مصر من خزانتها للإنفاق على مستلزمات الجند الذين توجهوا لضم مناطق جديدة لحساب الدولة العثمانية، كما صرفت الخزانة المصرية مئة ألف أقجه[٩٩] لإمارة أوزدمير باشا وزيد هذا المبلغ بعد ذلك لعدم كفايته في إدارة شؤون الإمارة الجديدة، ثم أُلحقت جزيرة دهلك إدارياً إلى ولاية الحبش، وكان يحصل منها تسعة أكياس[١٠٠] إلى داخل الولاية الجديدة، وقد انضم من اليمن بعض الجنود للإشتراك ضمن صفوف القوات في ولاية الحبش، كما قدم بعض الجنود من الإمارات العثمانية الأخرى للاشتراك في الحملات العثمانية ضد الحبشة، كما استعان أوزدمير باشا بمرشد يسمى (حطاب)؛ لمساعدته في معرفة الأوضاع الداخلية لإقليم الحبشة والقبائل التابعة له[١٠١].

وفي الوقت ذاته وإمعاناً من الدولة العثمانية في الحفاظ على الأمن والاستقرار في تلك المناطق المفتوحة عينت فرق من جند مصر؛ للحفاظ على الأمن في تلك المناطق بطريق المناوبة لأول مرة، كما ألحقت بعض المناطق في أبريم وفي ولاية الصعيد بولاية الحبش؛ للقضاء على حركات القبائل العربية وعصيانها هناك، كما أمرت بتوفير احتياجات ولاية الحبش من مناطق جنوب مصر الغنية بالبارود والحبوب؛ لمساعدة الأهالي والجنود في صدّ العدوان البرتغالي – الحبشي[١٠٢].

وكانت احتياجات ولاية الحبش تُوفر من ولاية مصر مباشرة، وبخاصة الاحتياجات الدورية منها، أما الاحتياجات الطارئة والتي ليس لولاية مصر القدرة على توفيرها، وخاصة السلاح، فكان والي مصر يرفع بطلبها مباشرة من إستانبول، حيث كانت ترسل هذه الإمدادات عن طريق ولاية مصر[١٠٣]، وفي حالة عجز والي مصر عن توفير الاحتياجات المطلوبة لولاية الحبش، كان يحيط مركز الدولة علماً بالأمر، حيث تصدر الأوامر إلى أمير مكة المكرمة ليقوم بدوره في تقديم المعونات اللازمة من الجند والجياد بحسب العادة إلى والي ولاية الحبش، كما كانت تُصدر الأوامر إلى والي اليمن للقيام بدوره في تقديم المعونات العسكرية لوالي ولاية الحبش[١٠٤].

وبعد ذلك نظم أوزدمير باشا ولاية الحبش، وألحقت بها الدولة العثمانية سنجقية[١٠٥] جدة، وجعلتها تحت إدارة واحدة ممثلة في سنجق جدة التركي[١٠٦]، وكان غرض الدولة العثمانية من هذا الإجراء الإداري متابعة الدوريات البحرية العثمانية في البحر الأحمر بين شواطئه الشرقية والغربية؛ لإحكام السيطرة على

مياه البحر الأحمر وإغلاقه في وجه السفن المسيحية من ناحية، ومراقبة السفن البرتغالية وتدعيم الكيان العثماني أمام التحالف البرتغالي الحبشي من ناحية أخرى.

وبعد أن نظم أوزدمير باشا ولاية الحبش واتخذ مصوع عاصمة لها[١٠٧]، وضع مخططاً عسكرياً عثمانياً يهدف إلى تحقيق الغرض العثماني من إنشاء هذه الولاية، فبدأ بشن الحملات العسكرية على الأقاليم المجاورة، فأغار على دبرا دامو Debra Damo، وهدم الدير المقدس الموجود بها[١٠٨] – وهو مكان مقدس لملك الحبشة وشعبها– كما استولى أحد القادة التابعين لأزدومير باشا على جزيرة بوري Buri، وهزم قبائل الجالا الموجودة في الجنوب الشرقي بإقليم الحبشة[١٠٩].

كما أغار أوزدمير باشا على إقليم دباروا Dabarwa، وأعلن حاكمها البحرنجش الدخول في طاعة العثمانيين، وعقد تحالفاً معهم، ووضع نفسه والجزء الذي يحكمه من الحبشة تحت سيادة العثمانيين، كما أعلن العرب على ملك الحبشة وجيشها[١١٠]، وقد اختار أوزدمير باشا هذه المنطقة لتكون نقطة انطلاق لشن الحملات العثمانية على بقية أقاليم الحبشة الداخلية، وكانت مصوع وسواكن بمثابة مراكز الإمدادات والتراجع عند الهزيمة، وأنشأ أوزدمير باشا في دباروا حصناً من الحجر أنزل فيه حامية عسكرية عثمانية، ووضع به الغنائم التي كان يتحصل عليها من العمليات العسكرية الناجحة التي قام بها[١١١]، كما أنشأ بها أيضًا الجامع الكبير وعدة مساجد صغيرة، وأسلم الكثير من أهالي الحبشة من النصارى والوثنيين[١١٢].

كما غزا أوزدمير باشا إقليم أجامي Agame، فهاجم الأديرة شمال غرب أديرجات Adirgat وقتل رهبانه وخرب كنيسته[١١٣]، فكان رد البرتغاليين على ذلك سريعاً، فأرسلوا حملة برتغالية برئاسة أندروا أوفيدا Andrew Ovida في سنة ٩٦٧هـ/١٥٥٩م، ولكنها فشلت باصطدامها بالصخور عند مدخل البحر الأحمر، وفي تلك الأثناء اتصل أوزدمير باشا بنور الدين مجاهد؛ للقيام بهجوم مشترك على المناطق الداخلية للحبشة في سنتي٩٦٦-٩٦٧هـ/١٥٥٨-١٥٥٩م، فنجح نور الدين مجاهد في بسط سياسته على المناطق الممتدة من مصوع إلى دباروا[١١٤].

وبعد وفاة أوزدمير باشا، بدأت علامات التفرق تظهر في ولاية الحبش، وتولى بعده ابنه عثمان بن أوزدمير باشا (٩٦٩-٩٧٥هـ/١٥٦١-١٥٦٧م) [١١٥]، وكان أول عمل قام به هو إعادة ترتيب القوات التي كانت تحت إمرته والجنود التي أحضرها معه من مصر، وقد وضع سواحل الصومال تحت نظام المراقبة الشديدة، ومنع القوات البرتغالية من تقديم المساعدة لإمبراطورية الحبشة، وقد تمكن عثمان بن أوزدمير باشا من الاستفادة من الاضطرابات الداخلية في الحبشة لصالحه، بين البحر نجش – حاكم دباروا– وبين الأمبراطور ميناس Mines ونج سجد الثاني Wange Sagda II (٩٦٧-٩٧١هـ/١٥٥٩-١٥٦٣م) فهاجم الحبشة وهزم ميناس في سنة ٩٧٠هـ/١٥٦٢م هزيمة منكرة في أندرتا Enderta في أراضي تيجرى، ثم استولى بعد ذلك على دباروا، وأقام قلعة عسكرية في سواكن ضد الفونج، واستطاع أن يعيد الموقف في

الحبشة على ما كان عليه زمن والده. وقد أسس إدارة فعلية في الأماكن الأخرى التي لم يدخلها العثمانيون من قبل، إلاَّ أن الأماكن الشمالية الغربية من ولاية الحبش أُصيبت بأخطار في سنة ٩٧٢هـ/١٥٦٤م، من القبائل التابعة لسلطنة الفونج التي لم تعد تعترف بالسلطة العثمانية التي كان معترف بها من قبل، فاعتدت هذه القبائل على سواكن والأماكن المحيطة بها(١١٦).

وقد أنشأ عثمان بن أوزدمير باشا إدارة جديدة ومنظمة في ولاية الحبش في المدة التي بقي فيها هناك وهي سبع سنوات، وكان يُرسل بتقارير منتظمة في إجراءاته وأعماله في ولاية الحبش، وكانت تقاريره تُقابل بالإمتنان البالغ(١١٧).

وخلف عثمان بن أوزدمير باشا حسين باشا في ولاية الحبش، ولم يظهر له أي نوع من النشاط في ولاية الحبش، وفي تلك الأثناء هاجمت قبائل الجالا إمارة هرر الإسلامية في مدة أفول نجمها، وبعد هجمات متتالية وغزوات مركزة سيرتها خراباً ودماراً(١١٨)، وعُزل حسين باشا عن ولاية الحبش، وتولى بعده أحمد باشا بن اسكندر في سنة ٩٧٨هـ/١٥٧٠م(١١٩).

وفي عهد أحمد باشا أظهر الجنود ضيقاً من عدم توفر مرتباتهم واحتياجاتهم، ورغم جهود أحمد باشا أنه لم يستطع إزالة أسباب هذه الشكوى، وكان السبب في ذلك يرجع إلى القحط الذي شمل مصر والولايات المجاورة لها في تلك المدة، كما أن رغبة الدولة العثمانية في إخماد ثورة اليمن ورغبتها في فرض سيطرتها الفعلية على اليمن مرة أخرى، والمجهودات الحربية التي بذلت في هذا الشأن، فقد عملت على نقل عدد من الجنود في ولاية الحبش إلى ولاية اليمن(١٢٠).

وقد قام أحمد باشا بإنشاء العديد من القلاع والحصون في ولاية الحبش؛ لتقويتها عسكرياً، وعلى الرغم من جهوده المضنية التي بذلها، إلا أن مشكلة نقص احتياجات الجند والحامية العثمانية لم تُحل؛ ولذا ترك أحمد باشا ولاية الجيش برغبته(١٢١).

وتولى ولاية الحبش بعد أحمد باشا رضوان باشا في سنة ٩٨٠هـ/١٥٧٢م، وكان على دراية كاملة بأحوال الإقليم ومشاكله، ولذا طلب رضوان باشا مساعدات عسكرية من ولاية اليمن ممثلة في خمس مئة بندقية، ومئة قنطار من البارود، وخمس مئة جندي من اليمن، كما طلب من ولاية مصر عدد من المدافع والأسلحة والذخيرة، كما قام بتوفير احتياجات الجند والحامية العثمانية في ولاية الحبش من المساعدات العسكرية والنقدية من ولايتي مصر واليمن(١٢٢).

كما أرسل رضوان باشا والي الحبش عدد من القوات العسكرية بقيادة مراد أغا لمواجهة قوات أسحق Yeshak، والذي تحالف مع ملك الحبشة؛ لإسترداد الأراضي التي بحوزة العثمانيين، واختار دباروا مركزاً لهجومه، إلاَّ أن محاولاته باءت بالفشل؛ بسبب قوة العثمانيين ودفاعهم عن دباروا، إلاَّ أن أسحق نجح بعد

ذلك في التحالف مع ملك الحبشة والاستيلاء على أركيكو، مما أدى ذلك إلى عزل رضوان باشا من ولاية الحبش في سنة ٩٨٢هـ/١٥٧٤م(١٢٣).

وخلف مصطفى باشا رضوان باشا في ولاية الحبش في سنة ٩٨٢هـ/١٥٧٤م، واستمرت ولايته حتى سنة ٩٨٤هـ/١٥٧٦م، ويُذكر أن لم يحدث في أثناء ولايته أي حدث كان، وتوفي في مصوع، وقد شغر مكانه مدة بعد وفاته وظلت ولاية الجيش بلا وال حتى تم تعيين الوالي الجديد(١٢٤).

وكان الموكل بإدارة ولاية الجيش في هذه الأثناء هو محمد بك – أمير سنجق –، ثم عُين سليمان باشا على ولاية الحبش، إلاَّ أنه لم يذهب لتولي عمله في ولاية الحبش، فعُزل وتولى بدلاً منه أخوه أحمد في سنة ٩٨٥هـ/١٥٧٧م(١٢٥).

وفي تلك الأثناء سعت الدولة العثمانية استكمالاً لتحقيق أهدافها من مساندة مسلمي إمارة هرر والقوى الإسلامية في شرق إفريقيا إلى مساندة البحر نجش في حربه ضد مملكة الحبشة المسيحية، فأرسلت له المساعدات الحربية – عن طريقي ولايتي الحبش واليمن–، والتي عن طريقها اشتبك مع الأحباش في معارك عنيفة، أسفرت عن انتصار البحر نجش، ومن ثم ثبتت أقدام الدولة العثمانية في إقليم دباروا للمرة الثانية(١٢٦)، إلاَّ أن هذا الانتشار لم يدم طويلاً؛ إذ ما لبث أن هُزم البحر نجش أمام التحالف البرتغالي الحبشي، وقُتل هو والوالي التركي في مصوع في موقعة "عدي كورو Addi Qorro" في سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م، وتقدم الأحباش نحو إقليم دباروا، واستولوا عليه، وانحصر العثمانيون مرة أخرى في المنطقة الساحلية الممتدة من سواكن حتى مصوع (ولاية الحبش) (١٢٧).

وبعد ذلك تولى خضر باشا ولاية الحبش في سنة ٩٨٧هـ/١٥٧٩م، واستطاع تأمين ثلاث مئة بندقي ومئة فارس وذخائر وبارود، إضافة إلى قواته، وبذل جهوداً عظيمة لتجميع الجنود العثمانيين المهزومين في موقعة (عدي كورو)، وقد نجح بدحر الهجوم الحبشي البرتغالي الذي اتجه إلى مصوع وأركيكو، واتحد مع الجنود الذين قدموا من اليمن، وتم إنقاذ أركيكو بعد هزيمة ساحقة للقوات الحبشية البرتغالية، وأجبرها على التراجع بفضل الإدارة المنظمة التي اتبعها خضر باشا، كما أنقذ مصوع والمناطق المجاورة لها، ومن ثم استطاع خضر باشا إعادة السكون والسيطرة على الأراضي التي تشكل حدود ولاية الحبش(١٢٨).

ثم تولى مصطفى باشا ولاية الحبش بعد خضر باشا في سنة ٩٩٠هـ/١٥٨٢م، وتعقب جميع أخبار ملك الحبشة وذلك عن طريق شبكة منظمة من الجواسيس، فعلم باستعدادات سرسا دنجل Sarsa Dengel ملك الحبشة لخوض حرب عظيمة(١٢٩)، وأنه قدم إلى مدينة سيرى Sire بجيش قوامه أربعون ألف مقاتل، فأرسل مصطفى باشا إلى الشيوخ والقبائل يخبرهم بذلك، وقام بتقوية القلاع والحصون وحفر الخنادق،

واستكمل استعداداته للحرب، وفي هذا الوقت توفي ملك الفونج وخلفه ابنه الأكبر الذي بدأ يخطط في الاستيلاء على سواكن منفذه الوحيد على البحر الأحمر، إلا أنه انشغل بالصراع على السلطة(١٣٠).

ومن الجدير بالذكر أن تلك المناطق الجنوبية التي استولى عليها العثمانيون، لم تكن مستقرة الأحوال، بل كان سكانها يقومون بحركات عصيانية مستمرة ومشاحنات مع الإدارة العثمانية، وقد أثبتت الوثائق اليد الخبيثة التي تحرك هذه الثورات في الخفاء وتمدها بالمساعدات؛ لعرقلة مساعي الدولة العثمانية في ترسيخ نفوذها في المنطقة، حيث تم قبض والي الحبش على جاسوسين برتغاليين في لباس المسلمين، حيث كانوا يتجسسون في موانئ البحر الأحمر وفي الممرات، وكانوا على صلة بسكان تلك المناطق، وقد تم إرسالهم إلى والي مصر ومن هناك تم إرسالهم إلى إستانبول(١٣١).

وبعد ذلك اتضح أن هناك تحالفاً بين ملك الحبشة سارسا دنجل وداكن ملك الفونج(١٣٢)، وذلك للإطاحة بالعثمانيين وطردهم من الأراضي التي في حوزتهم، ومن أجل عرقلة هجوم ملك الفونج أرسل مصطفى باشا يطلب العون والمساعدات من مصر، وقد أجيب طلبه بإرسال الإمدادات العسكرية والأسلحة والذخائر(١٣٣).

وفي الوقت ذاته عزم العثمانيون على استرجاع إقليم دباروا، الذي كان بمثابة حصن منيع لحماية ولاية الحبش من جهة، ومركزاً لشن الحملات العثمانية ضد التحالف الحبشي البرتغالي من جهة أخرى، فساندوا ولد عزوم Walda Ezum في سنة ٩٨٨هـ/١٥٨٩م، واشتبكوا مع الأحباش بمساندة قوات مصطفى باشا مرة أخرى في عدة معارك هزموا في نهايتها، واتجه الإمبراطور سرسا دنجل إلى إمارة هرر الإسلامية واستولى عليها بعد أن اشتبك مع حاكمها(١٣٤) في عدة معارك، قتل في نهايتها.

وبتلك الهزيمة، كانت القوة الحربية لإمارة هرر قد أذنت بالزوال(١٣٥)، وهو ما أثار العثمانيين مرة أخرى، حيث أدركوا أن زوال القوة الحربية لهذه الإمارة والإمارات المجاورة ونهاية صراعها مع الحبشة معناه زوال عملهم في مراقبة الأوضاع في الحبشة وعمليات التحالف بينها وبين البرتغاليين؛ لأن ظهور قوة حربية لهذه الإمارات وثَّوار على مسرح الأحداث السياسية يؤدي إلى لجؤهم إلى الدولة العثمانية لمدها بالسلاح والعتاد، وذلك يعطيها الفرصة للتدخل وضرب النفوذ والتحالف البرتغالي الحبشي، وإفساد جميع مخططاتهم الصليبية التي تهدف لضرب المواقع العثمانية على سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية، ثم الوصول للأماكن المقدسة في الحجاز، ولهذا أسرع السلطان العثماني مراد الثالث(١٣٦) (٩٨٢-١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤-١٥٩٤م) بإرسال حملة بقيادة علي بك ميرال(١٣٧)؛ لتخليص البلاد الإسلامية الواقعة على الساحل الشرقي لإفريقيا من السيطرة البرتغالية، وقد استقبله السكان خير استقبال، ومن ثم استطاع علي ميرال كسب تأييد مشايخ الساحل، وعندئذ رأى البرتغاليون ضرورة حسم الموقف وتداركه قبل القضاء على جميع مراكزهم التجارية وقواعدهم العسكرية في شرق إفريقيا، فأرسلوا أسطولاً كبيراً بقيادة ري دي كامارا

Ruy de Camara وصلت إلى جزيرة كمران واشتبك مع القوات العثمانية، التي ظفرت بقتله وحالت دون وصولهم لإمارات الساحل الشرقي لإفريقيا، وقد عادت الحملة إلى ميناء جوا تجر ذيول فشلها، عندئذ قرر نائب الملك في الهند دورات دي مينزيس Duart de Meneses إرسال حملة تأديبية لسكان الساحل الإفريقي بقيادة مارتيم دي ميلو Martem de Melo في سنة ٩٩٦هـ/١٥٨٧م(١٣٨)، وقد وصلت هذه إلى ممباسا، واستولت على قلاعها وحصونها وعادوا بعدها إلى الخليج دون الاشتباك مع القوات العثمانية(١٣٩)، وهو ما دعا حكام الساحل الشرقي لإفريقيا إلى الاستنجاد بعلي ميرال، فوصل بقواته مرة أخرى في سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م(١٤٠)، من ميناء المخُا اليمني إلى مالندي، التي قاومته بشدة، حيث أرسل حاكمها يُخبر القيادة البرتغالية في جوا بوصول أسطول علي ميرال إلى مالندي ويطلب مساعدتهم(١٤١)،عندئذ وجدها البرتغاليون فرصة لضرب النفوذ العثماني وحماية قواعدهم ومراكزهم التجارية في شرق إفريقيا، فوصل أسطول برتغالي بقيادة توما ديسوزا كوتينوا Toma Desousa Cautinho إلى ممباسا التي تحصن فيها علي ميرال(١٤٢)، وفي الوقت ذاته زحف خطر كبير من الجنوب وهو خطر قبائل الوزامبا(١٤٣)، Zimba ففوجئ علي ميرال بحصار قبائل الوزامبا من البر، والأسطول البرتغالي من جهة البحر، وهو ما مكنَّ الأسطول البرتغالي منه، فأوقعوا به الهزيمة، وأخذوه إلى جوا بالهند في سنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م، ثم إلى لشبونة، حيث توفي هناك(١٤٤).

وبإخفاق حملة علي ميرال انتهى آخر نشاط بحري عثماني كبير في البحار الشرقية وسواحل إفريقيا لمساندة مسلمي إمارة هرر والإمارات الإسلامية في شرق إفريقيا من جهة ومقاومة النفوذ البرتغالي من جهة أخرى، ومقاومة النفوذ البرتغالي، كما أن حملة توما ديسوزا كوتينوا كانت آخر حملة برتغالية دخلت البحر الأحمر في سبيل مهاجمة المراكز العثمانية داخله(١٤٥)، واقتصر دخول الحملات البرتغالية بعدها إلى البحر الأحمر على إنزال بعثات كاثوليكية في أرض الحبشة وحسب، دون الاشتباك مع الأسطول العثماني مثل: بعثتي بايز Payz ومونصارات(١٤٦) Monsaratt، وبعثة سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٣م، برئاسة مارا مايت يريست Maroraite Priest، وبعثة أخرى في سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٤م، وبعثة مليثو ردي سيلفيا Milchior de Syliva في سنة ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م، التي كانت آخر محاولة من البرتغاليين للدخول في البحر الأحمر(١٤٧).

نتائج الدراسة وتوصياتها

أولا: نتائج الدراسة :

- أظهرت الدراسة أن الحروب بين الأحباش ومسلمي شرق إفريقيا اتخذت ظاهرة الحرب الدينية بين طرفين مختلفين في الديانة كل منهما يريد نشر ديانته والقضاء على الأخرى.
- أوضحت الدراسة أن اعتداء الحبشة المتكرر والمستمر على مسلمي شرق إفريقيا وخاصة إمارة هرر الإسلامية، قد جعل من رد المسلمين لعدوان الأحباش فتوحات إسلامية لمعظم أجزاء الحبشة باتجاهاتها المختلفة ، خاصة في عهد أمير هرر أحمد بن إبراهيم القرين، تلك الفتوحات التي اطلق عليها المؤرخون بـ(الغزو العظيم).
- أوضحت الدراسة أن دور إمارة هرر في الجهاد الإسلامي ضد الأحباش والبرتغاليين، هو أحد أدوار ثلاثة ، احتلت فيها هرر الدور الأخير بعد أن سبقتها كل من عدل وإيفات، ولكنها تميزت عنهما بمميزات جعلتها صاحبة السيادة لمدة زمنية طويلة أوشكت فيها الحبشة أن تصبح مملكة إسلامية لولا استشهاد زعيمها الأمير أحمد بن إبراهيم القرين.
- أبرزت الدراسة أنه كان للوجود العثماني على السواحل الحبشية أثره الفعال في ازدياد التعاون بينهم وبين مسلمي شرق إفريقيا وخاصة مسلمي إمارة هرر الإسلامية ، بدليل أنه ما أن ارتفعت الأصوات تنادي بضرورة جهاد المسلمين ضد الحبشة حتى بدأت الاستجابة الفورية من قبل أمراء المدن الإسلامية على سواحل الحبشة.
- أوضحت الدراسة أنه كان من نتيجة انتصار الأمير أحمد بن إبراهيم القرين على الأحباش في موقعة ((شامبا كوري)) في سنة ٩٣٥هـ/١٥٢٨م أثرها الفعال في انتهاج مسلمي إمارة هرر الإسلامية استراتيجية حربية جديدة تختلف عن السابق ،عندما كانوا يقومون بالإغارة على أطراف الحبشة ، صمموا بعد انتصارهم في المعركة على ضرورة النفوذ إلى داخل الهضبة الحبشية ذاتها، مما كان الأثر الكبير في فتح أجزاء واسعة من أراضي الحبشة ، ونشر الإسلام بين سكانها إلى حد كبير.
- أظهرت الدراسة أنه في الوقت الذي اندفع فيه الصوماليون نحو الهضبة الحبشية لاختراقها ، تمركز العثمانيون في قواعدهم الساحلية ؛ لتأمين قواعد الأمير أحمد بن إبراهيم القرين البرية التي انطلق منها من جهة ، ومراقبة الوحدات البحرية البرتغالية – التي تعودت سنويا الإغارة على سواحل البحر الأحمر – واعتراضها وتدميرها .

- أبرزت الدراسة أنه كان لموقع مدينة هرر أهمية كبيرة بالنسبة للأحباش، إذ يُعدَّ منفذ وسوق لتصريف منتجات الحبشة واستيراد ما تحتاجه من جهات أخرى ، لذا لم يكن مستغرب أن يداوم الأحباش غاراتهم على المدينة.
- أوضحت الدراسة أن الأحداث السابقة التي مر بها البرتغاليون سواء في المحيط الهندي أم أثناء حروبهم مع الأحباش ضد الأمير أحمد بن إبراهيم القرين، أن سيطرة البرتغاليين على الحبشة كان يجب أن تكون مستمرة، ذلك أن ترك العثمانيين يهددونها أمر قد ينتهي بهم إلى جعلها مملكة إسلامية، وهذا بدوره ما يساعد على جعل البحر الأحمر بحيرة إسلامية تساعد العثمانيين على الخروج واعتراض السفن البرتغالية ما بين الهند وشرق إفريقيا، خاصة أن السفن البرتغالية المتجهة من لشبونة إلى الهند كانت تتوقف في شرق إفريقيا للاستراحة والتزود بالمؤن.
- أبرزت الدراسة أن جهاد إمارة هرر الإسلامية قد ضعف تماما عقب وفاة نور بن مجاهد، بعد أن أنهكت الحروب السابقة مواردها من الرجال والعتا، حتى أنها لم تستطع مشاركة الدولة العثمانية بعد ذلك عملياتها الحربية في شرقي الهضبة الحبشية ، ويرجع ذلك إلى نشوب الصراع بين الأسر المتتابعة على العرش، إضافة إلى تعرضها لموجات شديدة من غارات قبائل الجالا التي قامت بقطع الطرق التجارية بين هرر وزيلع، وجلبت عليها انهياراً تاماً في اقتصادها، ولذا أضحت مهمة خلفاء نور بن مجاهد هي المحافظة فقط على حدود الإمارات الإسلامية من الأحباش المتربصين بها، ونتيجة لذلك تركز كفاحهم في المناطق الداخلية لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لشعوبهم.
- كشفت الدراسة أن سيطرة الدولة العثمانية على السواحل الغربية للبحر الأحمر ، تعد هدفاً أساسياً من أهداف سياستها في هذا البحر عامة، وتنفيذا لتلك السياسة، أرسلت الدولة حملة عسكرية؛ لإخضاع السواحل الشرقية لإفريقيا بقيادة أوزدمير باشا، والتي نجحت في إخضاع تلك السواحل للسيادة العثمانية، وتأسيس ما عرف بـ(ولاية الحبش).
- أكدت الدراسة أنه من خلال ارتباط ولاية الحبش بمصر طوال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس والسابع عشر الميلاديين، تبين مكانة مصر، وأهميتها لهذه المناطق في الدولة العثمانية، حيث حازت مصر على أهمية قصوى، ومكانة عظيمة بين ولايات الدولة في الشرق، حيث كانت ممثلة للدولة العثمانية في تلك الجهات، ومطبقة لسياستها فيها ، وكانت تعمل بصفتها حلقة وصل بين الإدارة المركزية في إستانبول، وبين ولاياتها في الشرق، وقد ساعدها على احتلال هذه المكانة، موقعها المتوسط بين ولايات الدولة، والروابط التاريخية والحضارية التي تربطها مع تلك الولايات، إلى جانب مواردها الاقتصادية والعسكرية الغنية .

- أوضحت الدراسة أنه كان لاستقرار أحوال مصر الإدارية والمالية ، تأثير مباشر على الأوضاع في ولاية الحبش ، كما كان للأوضاع الأمنية المضطربة باستمرار في هذه الولاية ، انعكاس مباشر على أحوال مصر الإدارية والمالية أيضاً.
- أوضحت الدراسة أن تأمين البحر الأحمر كان خطوة إيجابية من قبل العثمانيين؛ إذ أنه على الرغم من المشاكل التي كانت تمر بها الدولة العثمانية ومتاعبها على سواحل اليمن إلا أنها تمكنت من تأمين البحر الأحمر بالتعاون مع إمارة هرر والقوى الإسلامية في شرق إفريقيا ، فعندما رفع الأمير أحمد بن إبراهيم القرين راية الجهاد الإسلامي ضد الأحباش نشطت السواحل الشرقية للبحر الأحمر ممثلة في القيادات العثمانية في اليمن وأشراف الحجاز في سبيل مشاركة الإمارات الإسلامية معاركها ضد الأحباش والبرتغال معاً، وتجلت صور الوحدة الإسلامية في اجتماع فصائل المجاهدين من اليمن والحجاز والقوات النظامية العثمانية إلى إخوانهم من مسلمي الإمارات ، هذا بخلاف المساعدات العسكرية والاقتصادية التي تلقاها مسلمو الإمارات ، الأمر الذي أدى إلى إلحاق هزائم شديدة بصفوف القوى الصليبية المتحالفة .
- أكدت الدراسة نجاح الدولة العثمانية في حماية البحر الأحمر وتأمينه ، وأنها أضحت صاحبة الأمر فيه ، كما أن نجاحها أدى إلى جلب أنظار الدول الأوربية إلى البحر ذاته ، وتحويل الصراع إلى مسألة دولية كما حدث من خلال المعارك التي دارت رحاها على السواحل الغربية بين الحلف الإسلامي الممثل في الإمارات الإسلامية بمؤازرة الدولة العثمانية واليمن والحجاز والحلف المسيحي الممثل في الأحباش والبرتغاليين ، وعلى الرغم من النتائج التي وصلت إليها تلك المعارك ، فقد نجح العثمانيون في الحفاظ على البحر الأحمر ومراقبة سواحله الغربية ، وظل الصراع بينهم وبين البرتغاليين مسألة دولية حتى نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بعد انضمام البابوية والأسبان .
- أظهرت الدراسة أنه إذا كان البرتغاليون قد نجحوا في تأمين قواعدهم داخل المحيط الهندي التي كانت بمثابة قواعد الارتكاز، فقد نجح العثمانيون في القضاء على خطورتهم داخل البحر الأحمر، وإن نجح البرتغاليون في ضم الهنادكة إلى صفوفهم ، فإن الحظ خالف العثمانيين في تكوين جبهة موحدة مستمرة على شواطئ البحر الأحمر .
- أظهرت الدراسة أنه في خلال تلك المدة التي قاست فيها الإمارات الإسلامية في شرق إفريقيا من هزائم وتشتت، كانت الحبشة المسيحية مشغولة بأحداثها وحروبها ضد قبائل الجالا، التي انتهزت فرصة الخلافات داخل المملكة الحبشية المسيحية وعودة المنازعات القديمة بين الأمراء، الذين أخذ كل منهم ينزع إلى الاستقلال، وأمعنت في تغلغلها داخل المملكة الحبشية، كما وقعت – بعد ذلك

– الحروب بينهم وبين العثمانيين في مصوع ، انسحب بعدها الأتراك بعد أن اكتفوا بتعيين نائب في مصوع وأركيكو مع بقاء المنطقة تابعة للحكم العثماني ، وبذلك سادت الحبشة كلها – بمناطقها الإسلامية والمسيحية– مرحلة جديدة من الاضطراب والعزلة مدة قرنين من الزمان كانت فيها البلاد نهباً للاضطرابات، وتفتت البلاد إلى عدد كبير من الإمارات التي ظل ينازع بعضها البعض إلى منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، عندما خرجت الحبشة من عزلتها مرة ثانية في عهد الامبراطور ثيودور الثاني Tewodor 11 (١٢٧٢-١٢٨٦هـ/ ١٨٥٥-١٨٦٩م) والذي كان له دور بارز في توحيد الحبشة ، وإنهاء حالة الانقسام التي عرفت بـ(زمن الأمراء) .

- كشفت الدراسة أنه لم يكن للعثمانيين على الساحل الغربي للبحر الأحمر – باستثناء ميناءي سواكن ومصوع – سوى نفوذ ضئيل ، إذ أن الحاكمين العثمانيين في كل من سواكن ومصوع ، لم يكونا يتمتعان بسلطة مطلقة ، سوى في الجزيرتين – مقر إقامتهما – أما الإقليم الساحلي ، فكان تحت سلطة القوى المحلية ونفوذها ، المتمثلة في أمير الأرتيقا في سواكن ، ونائب أركيكو في مصوع .
- أظهرت الدراسة أن تراخي القبضة العثمانية على السواحل الغربية للبحر الأحمر ، خاصة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ،قد أدى إلى بروز قوة الزعماء المحليين ، الذين استغلوا تراجع نفوذ الدولة العثمانية في تلك الجهات ، فاسترعوا اهتمامها ، وثبتوا مواقعهم السياسية والإدارية والعسكرية من خلالها ، وشكلوا قوى سياسية كان لها اعتبارها داخل كيان الدولة العثمانية ، وحصلوا منها على اعتراف رسمي يبقيهم بصفتهم سلالات حاكمة في تلك الجهات ، بشرط دفع ضريبة سنوية لها .
- كشفت الدراسة أن العثمانيون بسبب سعة إمبراطوريتهم ، وانشغالهم بالحروب البرية ، وتخلفهم في التكنولوجيا الحربية لم يتمكنوا من طرد البرتغاليين من معظم المياه العربية والشرقية ، غير أن حملاتهم البحرية استطاعت – إلى حد كبير – إضعاف الاحتكار التجاري البرتغالي ، كما نجحت في المحافظة على البحر الأحمر والمدن الإسلامية المقدسة وطرق الحج ، إضافة إلى ذلك استطاعت الدولة العثمانية حماية رأس الخليج العربي من الغزو البرتغالي ، وهذا ما سمحت به أوضاع العثمانيين وإمكاناتهم المادية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .

ثانيا : **توصيات الدراسة** :

- إجراء المزيد من الدراسات التاريخية لولاية الحبش ودورها في تعزيز النفوذ العثماني في السواحل الغربية للبحر الأحمر ، التي لم تنل حظها من الدراسة والتحقيق بشكلٍ كافٍ، وتوجيه طلابنا وطالباتنا في الدراسات العليا إلى دراسة المواضيع المتعلقة بكافة ولايات الدولة العثمانية في المشرق

والمغرب العربي ضمن توجهات الخطط والمقررات والأبحاث المتعلقة بـ(الدولة العثمانية والعالم العربي) .

- تحفيز الاهتمام بدراسة الموانئ والمدن التاريخية القديمة مثل (مدن الطراز الإسلامي في شرق إفريقيا) من خلال تأكيد أن التراث امتداد وأساس للتطور المستقبلي، وأن التراث كلمة عامة تشمل مواقع الآثار والتاريخ الإسلامي بجميع جوانبه بما في ذلك توجهاته ومدارسه المعاصرة.
- تحفيز الاهتمام بدراسة المدن ذات التاريخ القديم العريق كمدينة هرر وبقية مدن الطراز الإسلامي ، وتفعيل مساهمتها في التنمية الثقافية والاقتصادية، كونها عنصر متجدد يستمد عراقته من الماضي ليسهم في انطلاقة حضارية عريقة وتحريك الوعي الوطني والعربي والإسلامي بصفة عامة.
- إفراد دراسات خاصة لسياسة الدولة العثمانية في شرق إفريقيا وساحل الصومال ، وأثرها في دعم العلاقات بين الكيانات الإسلامية المطلة على سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية في جميع الجوانب المختلفة ، من خلال البحث في الأرشيفات التاريخية – خاصة أرشيف رئاسة الوزراء في إستانبول – لاستخراج الوثائق التاريخية التي لم تظهر إلى النور بعد ، ومن ثم كشف النقاب عن المزيد من مظاهر العلاقات بين تلك الكيانات الإسلامية على سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية في مدة السيادة العثمانية الكاملة على البحر الأحمر خاصة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .

مصادر الدراسة ومراجعها

أولا : الوثائق

(أ)– الوثائق غير المنشورة :

- **الوثائق المحفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء بإستانبول :**
- **تصنيف دفتر المهمة :**
  - دفتر رقم ٢٨/ ٢١٧ ، بتاريخ شهر ذي الحجة في سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م .
  - دفتر رقم ٧٢/ ٣١١ ، بتاريخ شهر رمضان في سنة ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م.
  - دفتر رقم ٧٢/ ٣١٢ ، بتاريخ شهر رمضان في سنة ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م.
- **تصنيف كامل كبجي :**
  - وثيقة رقم ١٠٨/٢١١ ، بتاريخ شهر رجب في سنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م.

- وثيقة رقم ٢٢٥/ ٣٠٤، بتاريخ شهر ربيع الأول في سنة ٩٨١هـ/ الموافق شهر يوليو في سنة ١٥٧٣م.
- وثيقة رقم ٨٦/ ٣٠٣ ، بتاريخ شهر ربيع الأول في سنة ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م .

(ب)- الوثائق المنشورة:

- **السالنامة الحجازية** .ط٢.مكة المكرمة : المطبعة الميرية، ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م .

ثانيا: المصادر:

(أ)- المصادر العربية:

- الأتابكي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردي (٨١٣- ٨٧٤هـ/ ١٤١٠- ١٤٧٠م) .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تحقيق .شلتوت، فهيم محمد. محرز، جمال محمد. القاهرة : الهيئة العامة للكتاب، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ، ج١٤- ١٥.

- ابن إياس ، محمد بن أحمد (٨٥٢- ٩٣٠هـ/ ١٤٤٨- ١٥٢٤م) .

بدائع الزهور في وقائع الدهور .تحقيق .زيادة ، محمد مصطفى . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ج٥ .

- الجزيري، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري (٩١١- ٩٧٧هـ/ ١٥٠٥- ١٥٧٠م).

درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة المعظمة .ط١.الرياض : دار اليمامة ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ج٢ .

- الحيمي ، الحسن بن أحمد بن صلاح اليوسفي .

سيرة الحبشة . تحقيق .كامل ، مراد .ط٢ . بيروت : دار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

- السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين (٨٣١- ٩٠٢هـ/ ١٤٢٧- ١٤٩٦م) .

التبر المسبوك في ذيل السلوك .القاهرة : د.ن ، د.ت .

- الطبري ، محمد بن علي بن فضل (١١٠٠- ١١٧٣هـ/ ١٦٨٨- ١٧٦٠م) .

تاريخ مكة المكرمة المسمى (إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن) تحقيق . سليم ، محسن محمد حسن .ط١. القاهرة : دار الكتاب الجامعي ، د.ت ، ج١ .

- فقيه ، شهاب الدين أحمد بن عبد القادر عرب .

تحفة الزمان أو فتوح الحبشة . نشره مع مقدمة بالفرنسية . باسيه، رينيه . حققه . شلتوت ، فهيم محمد . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م . ج١.

- القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (٧٥٦- ٨٢١هـ/ ١٣٥٥- ١٤١٨م).

صبح الأعشى في صناعة الإنشا . القاهرة : د.ن ، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٩م . ج٥.

- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (٧٦٦- ٨٤٥هـ/ ١٣٦٥- ١٤٤١م).
  - **الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام** .القاهرة : د.ن ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .
  - **السلوك لمعرفة دول الملوك** . صححه ونشره . زيادة ، محمد مصطفى . القاهرة : د.ن ، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م .
- الملواني ، يوسف (....- بعد سنة ١١٣١هـ-/ .....- بعد سنة ١٧١٨م).

تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب .تحقيق . هلال ، أحمد . عيسى ، عبد الرزاق عبد الرزاق . ط١. القاهرة : العربي للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

- النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد (٩١٧- ٩٩٠هـ/ ١٥١١- ١٥٨٢م).

البرق اليماني في الفتح العثماني . الرياض : دار اليمامة ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

(ب)- المصادر المعربة :

- برنار ، صامويل (من علماء الحملة الفرنسية على مصر) .

((الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر – الموازين والنقود)) **ضمن كتاب وصف مصر** . ترجمة . الشايب ، زهير . القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م ، ج٣.

- تخسيرا ، بيدروا (مرافق للحملة البرتغالية في سنة ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م) .

تاريخ الخليج والبحر الأحمر . ترجمة .أمين ، عيسى . د.م : مؤسسة الأيام للصحافة والنشر ، د.ت .

ثالثا: المراجع:

(أ)- المراجع العربية:

- أباظة، فاروق عثمان (الدكتور) .

أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر. الإسكندرية : دار المعارف ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- أنيس، محمد (الدكتور) .

الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤- ١٩١٤م). القاهرة : جامعة عين شمس، مكتبة سعيد رأفت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

- البحراوي، محمد عبد اللطيف (الدكتور) .

فتح العثمانيون عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر. ط١. القاهرة : دار التراث، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

- بطي، محمد عبيد.

الصراع العثماني البرتغالي في القرن السادس عشر. د.م : د.ن ، د.ت .

- جرادات ، وليد محمد .

الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر . الدوحة : دار الثقافة ، د.ت.

- جوهر، حسين محمد.

الحبشة. ط١. القاهرة : مطبعة مصر، د.ت .

- الجوهري، يسري عبد الرازق (الدكتور) .

الكشوف الجغرافية. بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- حافظ ، صلاح .

صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي . الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

- حراز، السيد رجب (الدكتور).

أرتيريا الحديثة (١٥٥٧- ١٩١٤م). القاهرة : جامعة الدول العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

- حنظل، فالح .

العرب والبرتغال في التاريخ ٩٢-١١٢٤هـ/٧١١- ١٧٢٠م. ط١. أبو ظبي: منشورات المجتمع الثقافي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

- رضوان، نبيل عبد الحي (الدكتور).

جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث. ط١. مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

- رمضان، مصطفى محمد (الدكتور) .

العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر. القاهرة : دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ،ج٢.

- رياض ، زاهر (الدكتور).
  - **استعمار القارة الإفريقية واستقلالها** . ط١. القاهرة : دار المعرفة ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
  - **الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى** . ط١. القاهرة : دار المعرفة ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- سالم ، حمدي السيد .

الصومال قديما وحديثا . الصومال : وزارة الاستعلامات، د.ت ، ج١.

- سالم ، السيد مصطفى (الدكتور) .

الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨- ١٦٣٠م) . القاهرة : جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

- سليمان، أحمد السعيد (الدكتور).

تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل. القاهرة : دار المعارف، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- صابان ، سهيل (الدكتور).

المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية . الرياض : مطبوعات الملك فهد الوطنية ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

- صبري ، محمد .

مصر في إفريقيا الشرقية (هرر- زيلع- بربرة) . القاهرة : مطبعة مصر ، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م .

- الصيرفي ، نوال حمزة.

النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . الرياض : مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

- عابدين ، عبد المجيد (الدكتور).

بين الحبشة والعرب .القاهرة : دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، د.ت.

- العارف ، ممتاز .

الأحباش بين مأرب وأكسوم . بيروت : المكتبة العصرية ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، ج١.

- عاشور ، سعيد عبد الفتاح (الدكتور).

أوروبا في العصور الوسطى . التاريخ السياسي . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ،ج ١.

- عثمان ، سعيد حسين . الجميحي ، عبد المنعم إبراهيم .

الاعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ. ط١. د.م: د.ن، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- العراقي، السر سيد .

الإسلام والصليبيون في سواحل إفريقيا. د.م: د.ن ، ١٤٠٩- ١٤١٠هـ/ ١٩٨٨-١٩٨٩م .

- عمار، حامد.

علاقة مصر بالدول الإفريقية في العصور الوسطى . ط١. د.م : مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

- غسان ، الرمال .

صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . جدة : دار العلم للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .

- غيث ، فتحي .

الإسلام والحبشة عبر التاريخ . د.م : د.ن ، د.ت .

- الفنائي ، أحمد الجنى .

الجواهر الحسان في تاريخ الأحباش . القاهرة : د.ن ، ١٣٢١هـ/ ١٩٢١م .

- قاسم ، جمال زكريا (الدكتور) .

أصول العلاقات التاريخية الإفريقية . القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

- مراد ، محمد عدنان .

صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي . د.م : دار دمشق ، د.ت .

- يحيى ، جلال (الدكتور) .

تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر . الإسكندرية : د.ن ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م .

- اليوسف ، محمد الطيب بن محمد بن يوسف .

أثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ . مكة المكرمة : المكتبة المكية ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، ج١ .

(ب)- المراجع المعربة :

- أوغلو ، عبد القادر ده ده .

السلاطين العثمانيون . ترجمة . جان ، محمد . تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

- إيفانون ، نيقولاي .

الفتح العثماني للأقطار العربية (١٥١٦- ١٥٧٤م) .ترجمة . عطا الله ، يوسف . بيروت : دار الفارابي ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

- كرفجال، مارمول .

إفريقية. ترجمة. محمد، حجي و(آخرون). الرباط : مكتبة المعارف، د.ت ، ج٣ .

- لوليفر، رولاند .فيج، جون .

موجز تاريخ إفريقية. ترجمة. صادق ، دولت أحمد. القاهرة: معهد الدراسات العربية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت .

- المكي ، محمد الأمين .

خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج . ترجمة . مخلوف ، ماجدة . ط٢. القاهرة : دار الآفاق العربية ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

- هاد ، سونيا .ي .

في طلب التوابل . ترجمة . رفعت ، محمد عزيز . القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م .

رابعا : البحوث المنشورة :

- دياب ، أحمد إبراهيم (الدكتور).

((العلاقة بين جدة وسواكن التي كانت تابعة لولاية جدة في فترة الحكم العثماني)) **ضمن البحوث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ شبه الجزيرة العربية** . الرياض: جامعة الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج.٢

- الشناوي، عبد العزيز محمد (الدكتور) .

((المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة)) **ضمن الحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة** .الدوحة: د.ن ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

- قاسم ، جمال زكريا (الدكتور).

((الصراعات المحلية والدولية في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي)) **ضمن بحوث ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة** . سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث . القاهرة : جامعة عين شمس، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

- القيسي، عبد الوهاب .

((المجابهة البرتغالية العثمانية في المياه العربية)) **ضمن بحوث ندوة رأس الخيمة التاريخية بعنوان (الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي)** . رأس الخيمة : مطبعة النخيل ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ج١ .

خامسا : المطبوعات الحكومية :

- **المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية** . بغداد : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م .

سادسا : الرسائل الجامعية غير المنشورة :

- بابكور ، عمر سالم .**حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي** . رسالة ماجستير . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .
- المالكي ، محمد ضيف الله عزيز . **العثمانيون والبحر الأحمر (٩٢٣- ١٠٤٥هـ/ ١٥١٧- ١٦٣٥م)** . رسالة ماجستير . الإسكندرية : جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

سابعا : الدوريات العلمية :

- زغلول ، سعد (الدكتور).
((البرتغاليون والبحر الأحمر)) **مجلة الدارة** ، س١ ، ع ٢، (ربيع الأول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م) .
- الصواف ، فائق بكر (الدكتور) . رمضان ، مصطفى محمد (الدكتور).
((أهمية ثغر جدة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي)) **مجلة الدارة** ، س٦، ع٢،(ربيع ألأول ١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م) .
- عبد الكريم ، الأمين .
((الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية في أثيوبيا إلى نهاية القرن التاسع عشر)) **مجلة دراسات إفريقية** . المركز الإسلامي الإفريقي ، الخرطوم ، ع١ ، (رجب ١٤٠٥هـ/ أبريل ١٩٨٥م) .
- العيدروس ، محمد (الدكتور).
((دوافع وأهداف السياسة البرتغالية تجاه مدخل الخليج العربي والبحر الأحمر في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي)) **المجلة التاريخية المغاربية – العهد الحديث والمعاصر** . س٩ ، ع ٦٧- ٦٨ ،(١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
- قاسم ، جمال زكريا (الدكتور) .
((الممالك الإسلامية في الحبشة كانت شيعا ثم طواها الزمان)) **مجلة العربي . الكويت**، ع ١٧٨ ، (شعبان ١٣٩٣هـ/ سبتمبر ١٩٧٣م) .

- محمد ، السيد أحمد جماله .

((فتوحات الإمام أحمد بن إبراهيم القرين (جرى) ١٥٢٧– ١٥٤٣م في القرن الإفريقي)) **مجلة الفتح العربي** . الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، س١٦، ع ٤١–٤٢ ، (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) .

- متولي، أحمد فؤاد (الدكتور).

((البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي على ضوء الوثائق التركية)) **مجلة كلية العلوم الاجتماعية.** جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ع٤ ، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

ثامنا : المراجع الأجنبية :

(أ)– المراجع الإنجليزية :

- A.Kanner Albert . **lamer rouge,lAbyssinie et L Arabie depuis LA nticiute, ti,11 Le caire, LImprimerie de LInstitut francais d Archeologic Orientale.** Pour Societe Royal de Geographie Egypte , 1928-1935.
- Jones, A.H.M .&nd Elzabeth Monroe . **Ahistory of Ethiopia** . oxford, 1978.-
- J.s. Tirming ham **. Islam in Ethiopia** . oxford, 1952.-
- Longrigg. Stephen . **Ashort History of Eritrea** , U.S.A,1974.-
- M .Abir . **Ethiopia and The red sea** . london,1980.-
- Margery Perham . **The Government of Ethiopia**. 1969.-
- -Mordechai Abir . **The Era of The Princes of Challenge of Islam and The Revajion of The Christiam Empire (1769-1855)** 1974, pxix .
- S.Bovil . **The Golden Trade of the Moors** . london,1962.-

(ب)- المراجع التركية :

- باللغة التركية (بالحروف اللاتينية) :

- Gengiz Orhonlu. **Habes Eyalete** . Istanbul : Edebiyat Fakultesi Matbaa si. 1977.

الهوامش:

(١) انظر: خريطة رقم (١).

(٢) محمد، السيد أحمد جمالة "فتوحات الإمام أحمد بن إبراهيم (جرى) ١٥٢٧-١٥٤٣م في القرن الأفريقي" مجلة الفتح العربي. الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب. س١٦، ع٤١-٤٢، (١٤٤١هـ/١٩٩٠م) ص ص ٥٢-٥٤. وانظر: J.S Tirmingham: **Islam in Ethiopid**. Oxford, 1952, PP 58-60.

(٣) وصف أحمد بن علي القلقشندي هذه البلاد بقوله: "البلاد المقابلة لبر اليمن على بحر القلزم وما يتصل بها من بحر الهند ويعبر عنها بالطراز الإسلامي لأنها على جانب البحر كالطراز له، وقد تكونت إمارات الطراز هذه نتيجة زيادة عدد المسلمين في هذه المنطقة ذات الأهمية البالغة في تجارة البحر الأحمر، وقد تبلور الوجود الإسلامي بهذه المنطقة من الناحية السياسية في سبع إمارات ظهرت مع بداية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وهذه الإمارات هي أوفات ودوارو وآراييني وهادية وشرحا وبالي وداره....".

(انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. القاهرة: د.ن، ١٣٢٨هـ/١٩١٩م، جـ٥، ص ص ٣٢٤-٣٣٠) وتقع إمارة أوفات غربي ميناء زيلع. وهي من أقوى الإمارات الإسلامية، وقد أسسها قوم من قريش، أما إمارة دوارو فتقع على الحدود الغربية لإمارة أوفات، بينما تقع إمارة أرابيني في الشمال الغربي من بحير كانا، وكما تقع إمارة هاديه جنوب إمارة إيفات، بينما تقع إمارة شرحا غرب إمارة إيفات بين إمارتي هادية، ودوارو، وتقع إمارة بالي جنوب إمارة دوارو، أما إمارة دارة فهي من أضعف الإمارات الإسلامية في شرق إفريقيا، هذا إلى جانب إمارات إسلامية أخرى، مثل: إمارة عدل، وإمارة فتاجار، وإمارة موره، وإمارة شوا. انظر: الرمال، غسان علي محمد. صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. جدة: دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ص ١٥٢-١٥٣ وانظر: خريطة رقم (١).

(٤) قبائل العفر (الدناكل): هي قبيلة من القبائل العربية القديمة التي نزحت من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى أفريقيا الشرقية، ويسميها الأحباش تارة باسم (الدناكيل) نسبة إلى ملك كان يحكم المثلث العفري اسمه دنكلي بن ملكان، وتارة باسم (العفر)، والعفر هم المعافرة وهي بطن من مهرة بن حيدان قضاعة حمير من القحطانية من مهرة باليمن، نزحوا من اليمن إلى القرن الإفريقي منذ أكثر من أربع مئة سنة واستقروا في تلك المنطقة (إريتريا، أثيوبيا، جيبوتي) وكانوا يدينون بالوثنية قبل الإسلام، ثم اعتنقوا الإسلام، وكانت هجرتهم الأولى إلى الحبشة بقيادة جعفر الطيار، وكان لهم سلطان وإمارات تحكم قبائل العفر المترامية الأطراف، وكانت هذه الإمارات مستقلة استقلالاً تاماً عن الحبشة. لمزيد من

المعلومات انظر: اليوسف، محمد الطيب بن محمد بن يوسف. أثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ. مكة المكرمة: المكتبة المكية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، جـ١، صفحات متفرقة.

(٥) عمار، حامد. علاقة مصر بالدول الإفريقية في العصور الوسطى. ط١، د.م: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٣٠.

(٦) عبدالكريم، الأمين "الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية في أثيوبيا إلى نهاية القرن التاسع عشر" مجلة دراسات إفريقية. المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، ع١ (رجب ١٤٠٥هـ/أبريل ١٩٨٥م)، ص ٥٠.

(٧) هرر: مدينة إسلامية، وهي إحدى مقاطعات الصومال الغربي المسمى بـ (الأوجادين) (انظر: حافظ، صلاح. صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٧) بدأ ظهورها بوصول الهجرات العربية إليها من اليمن وحضرموت حاملين معهم الإسلام في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، وكان موقعها ذا أهمية كبيرة بالنسبة للحبشة، حيث تُعد سوقاً ومنفذاً لتصريف منتجات الحبشة واستيراد ما تحتاج إليه من جهات أخرى. انظر: بابكور، عمر سالم. حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. رسالة ماجستير: مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢١٢.

(٨) كانت هناك ممالك إسلامية أخرى بخلاف الممالك المذكورة أعلاه من بينها ممالك شرحا وموره ودارة، وقد عرفت جميع هذه الممالك الإسلامية التي ظهرت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي في مصر وبلاد الشام بـ (بلاد زيلع). انظر: القلقشندي. مصدر سبق ذكره، جـ٥، ص ص ٣٢٤-٣٢٩. الغنائي (أحمد الجنى). الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان. القاهرة: د.ن، ١٣٢١هـ/١٩٢١م، صفحات متفرقة.

وانظر: خريطة رقم(١) .J.S Trimingham. op.cit., pp 66-69

(٩) القلقشندي. مصدر سبق ذكره، جـ٥، ص ص ٣٣٢-٣٣٣ وص ص ٣٣٦-٣٣٧. وانظر:

Mordechai Abir. **The Era of the Princes of Challenge of Islam and the Revision of the Christian Empire (1789-1852),** 1974, p xix.

(١٠) القلقشندي. مصدر سبق ذكره. جـ٥، ص ص ٣٢٤-٣٣٠. وانظر: المقريزي، تقي الدين أحمد. الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام. القاهرة: د.ن، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ص ١٢٥-١٣٠.

(١١) السلطان برسباي: هو السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري، جركسي الأصل، اشتراه نائب ملطية دقماق المحمدي، ثم قدمه إلى السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٧٩٠هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م) – (٧٩٢-٨٠١هـ / ١٣٨٩-١٣٩٨م) وأصبح من جملة المماليك الجراكسة

حتى تولى السلطنة في سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، وتوفي في سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨م. انظر: الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تحقيق شلتوت، فهيم محمد. محرز، جمال محمد. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج١٤، ص ص ٢٤٢-٣٧٣، وج١٥، ص ص ٧-٢١.

(١٢) المقريزي. السلوك لمعرفة دول الملوك. القسم الأول صححه ونشره. زيادة، محمد مصطفى. القاهرة: د.ت، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، جـ٤، ص ص ٤٩٣-٤٩٤. وانظر: عابدين، عبدالمجيد. بين الحبشة والعرب. القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، د.ت، ص ص ١٧٩-١٨٢.

(١٣) السخاوي، محمد بن عبدالرحمن بن محمد شمس الدين. التبر المسبوك في ذيل السلوك. القاهرة: د.ن، د.ت، ص ص ٧١-٧٢. وانظر: عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٤-١٨٥.

(١٤) غيث، فتحي. الإسلام والحبشة عبر التاريخ. د.م : د.ن، د.ت، ص ١٤٨.

(١٥) الإمام محفوظ: كان أميراً لمنطقة هور، ثم أصبح حاكماً لزيلع في سلطنة عدل، لُقب بـ (قائد زيلع) واشتهر بدوره في توسيع نفوذ سلطنة عدل وتوحديها، قاد حركة الجهاد الإسلامي ضد مملكة الحبشة المسيحية آنذاك، وهو والد (دولبنرة) زوجة الأمير أحمد بن إبراهيم القرين. انظر: عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٢-١٨٤.

(١٦) المرجع السابق، ص ص ١٨٤-١٨٥.

(١٧) العيدروس، محمد "دوافع وأهداف السياسة البرتغالية تجاه مدخل الخليج العربي والبحر الأحمر في النصف الأول من القرن السادس عشر" المجلة التاريخية المغاربية – العهد الحديث والمعاصر. س ١٩، ع٦٧-٦٨ (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص ٣٩٨.

(١٨) المرجع السابق، ص ٣٩٩.

(١٩) لمعرفة المزيد عن دوافع السياسة البرتغالية وأهدافها. راجع. العيدروس، محمد. مرجع سبق ذكره، ص ص ٣٩٤-٤٠٧.

(٢٠) سورة البقرة. آية رقم (١٢٠).

(٢١) مراد، محمد عدنان. صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي. د.م: دار مشق، د.ت، ص ١٥٧.

(٢٢) Prester-John: بمعنى القس، والقديس يوحنا شخصية خرافية كان أهل أوروبا يعتقدون بوجودها وأنه يحكم إمبراطورية واسعة في آسيا، غير أن أهل أوروبا في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وجدوا أن المقصود بهذه الشخصية ملك الحبشة المسيحي. انظر: فقيه، شهاب الدين أحمد بن عبدالقادر عرب. تحفة الزمان أو فتوح الحبشة، نشره مع مقدمة بالفرنسية. باسيه، رينيه. حققه. شلتوت، فهيم محمد. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، جـ١، ص ٤٠.

S.B ovil. **The Golden Trade of the Moors**. London, 1962, P92.

(٢٣) البحراوي، محمد عبداللطيف. فتح العثمانيون عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر. ط١. القاهرة، دار التراث، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ٦١.

(٢٤) كرفجال، مارمول. إفريقية. ترجمة. محمد حجي (وآخرون)، الرباط: مكتبة المعارف، د.ت، جـ٣، ص ص ٢٦٣-٢٦٤. وانظر: الجوهري، يسري عبدالرازق. الكشوف الجغرافية. بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١٣٣ وانظر: خريطة رقم (١).

(٢٥) لمعرفة المزيد عن الحروب الصليبية ودوافعها في الشرق الأدنى. انظر: عاشور، سعيد عبدالفتاح. أوروبا في العصور الوسطى. التاريخ السياسي. القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، جـ١، ص ص ٤٣٦-٤٦٤.

(٢٦) من مخططات البرتغاليين الصليبية في البحر الأحمر، الوصول إلى جدة، مركز المقاومة الإسلامية، والقاعدة العسكرية الأولى، ومن ثم الولوج منها إلى مكة المكرمة؛ لهدم الكعبة المشرفة، ويؤكد ذلك ما قاله القائد البرتغالي البوكيرك Alburquerque في أحد رسائله لحكومة الحبشة بقوله: ((يكون من السهل تجهيز خمس مئة فارس برتغالي بمعداتهم للنزول في جدة، ومن هناك ينتقلون إلى مكة، وهي رحلة يوماً ليجعلوها رمادا)). (انظر: عثمان، سعيد بن حسين. الجميعي، عبدالمنعم إبراهيم. الاعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ. ط١. د.م: د.ن، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ص ٧٨-٧٩) ثم السير من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة حيث قبر الرسول -ﷺ- لنبشه، ثم مواصلة الزحف منها إلى تبوك ومنها إلى بيت المقدس، حيث يوجد المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ومن ثم الانتقام للهزائم التي تعرض لها الصليبيون في بلاد الشام (انظر: الشناوي، عبدالعزيز محمد. ((المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة)) ضمن البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة. الدوحة: د.ن، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ص ٦٥٣-٦٧٦)، كما أنه من ضمن مخططاتهم الصليبية بالإضافة إلى مهاجمة الحجاز، مهاجمة مصر واليمن وإغلاق البحر الأحمر في وجه السفن الإسلامية من ميناء الطور شمالاً حتى مضيق باب المندب جنوباً (انظر: زغلول، سعد ((البرتغاليون والبحر الأحمر)) مجلة الدارة، س ٦، ع٢ (ربيع الأول ١٤٠١هـ/يناير ١٩٨١م) ص٩. رمضان، مصطفى محمد. العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر. القاهرة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، جـ٢، ص٨٤) ومن ثم الوصول إلى مصر وتغيير مجرى النيل باتجاه البحر الأحمر حتىُ تحرم مصر من موردها المائي المهم فيتم هلاكها (انظر: هاد، سونيا. ي. في طلب التوابل.ترجمة. رفعت، محمد عزيز. القاهرة. مكتبة نهضة مصر، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، ص ٢٢٦). ومن الجدير بالذكر أن تنفيذ الجزء الأكبر من تلك المخططات الصليبية البرتغالية، قام بها القائد البرتغالي

البوكيرك، عندما عُين قائدًا للأسطول البرتغالي في عام ٩٠٩هـ/١٥٠٣م، ثم عُين نائبًا للملك في الهند في سنة ٩١٥هـ/١٥٠٩م، وبالتالي عُرف بشدة تعصبه وكراهيته للعرب والمسلمين، وإذا كان البرتغاليون قد نجحوا في تحقيق معظم تلك المخططات الصليبية في المحيط الهندي والخليج العربي، فإنهم فشلوا في تحقيقها في البحر الأحمر والوصول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز.

(٢٧) أباظه، فاروق عثمان. أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر. الإسكندرية: دار المعارف، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٠٨.

(٢٨) جوهر حسين محمد. الحبشة. ط١. القاهرة: مطبعة مصر، د.ت، ص ١٠٤.

(٢٩) البحراوي، عبداللطيف. مرجع سبق ذكره، ص ٦٤.

(٣٠) المرجع السابق، ص ص ٦٤-٦٥.

(٣١) السلطان قانصوه الغوري: هو الملك الأشرف أبو قنصوه الغوري، تولى السلطنة وعمره حوالي ستون عاماً، كان مهاباً جليلاً، شيد الكثير من الأعمال المعمارية في القاهرة، والتقى مع السلطان العثماني سليم الأول (٩١٨-٩٢٦هـ / ١٥١٢-١٥٢٠م) في موقعة مرج دابق في سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، فكان وفاته تحت سنابل الخيل. انظر: ابن إياس، محمد بن أحمد. بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق. زيادة، محمد مصطفى. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٥، ص٨٨. الملواني، يوسف. تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب. تحقيق: هلال، عماد أحمد. عيسى، عبدالرازق عبدالرازق، ط١. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٤٧.

(٣٢) Margery Perham. **The Government of Ethiopia**, London 1969, P38.

(٣٣) الرمال، غسان علي محمد. مرجع سبق ذكره، ص ص ٩٥-٩٦.

(٣٤) رضوان، نبيل عبدالحي. جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث. ط١. مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٦٤.

(٣٥) جرادات، وليد محمد. الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر. الدوحة: دار الثقافة، د.ت، ص١٠٠.

(٣٦) البحراوي، محمد عبداللطيف. مرجع سبق ذكره، ص ص ٦٦-٦٧.

(٣٧) M.Abir. **Ethiopia and The Red Sea**. London, 1980, P.13.

(38) (A.Kanner. **Albert. La Mer Rouge, L'Abyssinie et L'Arabic depuis L'anticiute, t1, II Le Caire, L'Imprimerie de L'Institute Francais d'Archeologic Drientale, pour Societe Royal de Geographie Egypte**, 1928-1935, PP 6-8..) وانظر: خريطة رقم (١).

(٣٩) البحراوي، محمد عبداللطيف. مرجع سبق ذكره، ص ص ٦٨-٦٩.

(٤٠) المرجع السابق، ص ٦٩.

(٤١) الإمام أحمد القرين: هو الإمام أحمد بن إبراهيم القرين، عُرف بأحمد المجاهد، كما عُرف بالأشول، وأطلق عليه الأحباش اسم (أحمد جراد) كان ابنًا لأحد قساوسة أبيجو، ولد في مدينة هونت من أم صومالية في مقاطعة هرر، ترك موطنه ودخل الإسلام، وبدأ حياته بالإنتساب إلى أسرة أمير عدل الإمام محفوظ عندما تزوج من ابنته دولنبره (انظر: سالم، حمدي السيد. الصومال قديماً وحديثاً. الصومال: وزارة الاستعلامات، د.ت، جـ١، ص ص ٣٨٣-٣٨٥) كما تعلم من الإمام محفوظ فنون القتال، ثم قاد حركة الجهاد الإسلامي لإمارة هرر في العقد الثاني من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وقُتل على يد الأحباش في عام ٩٥٠هـ/١٥٤٣م. انظر: رياض، زاهر. الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى. ط١. القاهرة: دار المعرفة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص ١٩٥.

(٤٢) عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٨-٢٠٠.

(٤٣) دباروا: عاصمة إقليم ميدري بحر أو بحر مدر (أي بلاد الشاطئ المطل على البحر) وحاكمها هو البحر نجش (أي سيد أو ملك الإقليم) وهي إريتريا الحديثة. انظر: حراز، السيد رجب، إريتيريا الحديثة (١٥٥٧-١٩٤١م) القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص ٣٠.

(٤٤) أوزدمير باشا: جركسي الأصل من مماليك نائب الإسكندرية في الدولة الجركسية أمير خذاوردي، وقد دخل في خدمة العثمانيين منذ أن كان عمره ثلاث عشرة سنة، وكان من المتطوعين الذين يعملون بأجور يومية، اشترك في حملة سليمان باشا الخادم (٩٣١-٩٤١هـ/١٥٢٤-١٥٣٤م)- (٩٤٣-٩٤٥هـ/١٥٣٦-١٥٣٨م) على الهند، وكان خيالاً ماهراً، أسندت إليه ولاية اليمن، وتم منحه رتبة (الباشوية) واستقر في اليمن، في حين كانت عائلته في مصر (زوجته، ووالدته، وابنه عثمان، وابنته هوما) ثم أسندت إليه نيابة جدة في سنوات ٩٦٢-٩٦٧هـ/ ١٥٥٤-١٥٥٩م، وفي سنة ٩٦٥هـ/١٥٠٧م، استولى على مصوع وسواكن، وأسس ما عُرف بـ (ولاية الحبش) وكان أول حاكماً لهذه الولاية، حتى توفي فتولاها بعد إبنه عثمان باشا.

انظر: Gengiz Orhonlu. **Habes Eyaleta** FakÜltesi Matbaas, 1977, SS33-34

وانظر: خريطة رقم (١).

(٤٥) البحراوي، محمد عبداللطيف. مرجع سبق ذكره، ص ٩٧.

(٤٦) المرجع السابق، ص ٩٨.

(٤٧) عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٠٠-٣٩٥. وانظر: زاهر، رياض. استعمار القارة الإفريقية واستقلالها. ط١. القاهرة: دار المعرفة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص ص ١٥٢-١٥٤. غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٥٥-١٥٨. زكريا جمال ((الصراعات المحلية والدولية في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)) ضمن بحوث ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة. سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث. القاهرة: جامعة عين شمس، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ص ٢٢٧-٢٣٧.

(٤٨) كانت هذه الحملة بقيادة والي مصر سليمان باشا الخادم (٩٣١-٩٤١هـ/١٥٢٤-١٥٣٤م) - (٩٤٣-٩٤٥هـ/ ١٥٣٦-١٥٣٨م) وأطلق عليها (الفتح العثماني الأول لليمن)، انظر: النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد. البرق اليماني في الفتح العثماني. الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص ص ٨٠-٨٧)، وقد نجحت في الاستيلاء على عدن، واتخاذها قاعدة عسكرية أمامية في جنوب البحر الأحمر؛ للدفاع عن أمن الحرمين الشريفين والبحر الأحمر من ناحية، ولمواجهة الخطر البرتغالي في مياه المحيط الهندي من ناحية أخرى، ومن أهم نتائجها إخضاع السواحل اليمنية من عدن جنوباً حتى جازان شمالاً، ومن ثم تدعيم السيطرة العثمانية وإحكام قبضتها على سواحل البحر الأحمر الجنوبية والشرقية. وللمزيد من المعلومات عن تفاصيل الحملة ونتائجها. انظر: سالم، السيد مصطفى. الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨-١٦٣٠م) ط١. القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ص ١٥٤-١٩٧.

(٤٩) بعد هزيمة الصفويين في موقعة (جالديران) في سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م، على يد العثمانيين، عزموا على الانتقام منهم، بنشر المذهب الشيعي في بلاد العراق والشام ومصر، وتحطيم الأساطيل العثمانية في السواحل العربية بالتحالف مع البرتغاليين، ولذلك نص الاتفاق الذي جرى بين الشاه إسماعيل الصفوي (٩٠٧-٩٣١هـ/ ١٥٠١-١٥٢٤م) والقائد البرتغالي البوكيرك Alburquerqu على أن يقوم البرتغاليون بإمداد الصفويين بالسفن الحربية، وتدريبهم على استخدام الأسلحة الحديثة؛ لاحتلال البحرين والقطيف مقابل التنازل للبرتغاليين عن ميناء جوادر (على ساحل بلوخستان) وعن هرمز، وقد انفض هذا الاتفاق بموت القائد البرتغالي البوكيرك. انظر: عثمان، سعيد بن حسين. الجميعي، عبدالمنعم إبراهيم. مرجع سبق ذكره، ص ص ٧٠-٧٣.

(٥٠) أنيس، محمد. الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤م) القاهرة: جامعة عين شمس، مكتبة سعيد رأفت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ص ٢٩-٣٠.

(٥١) العارف، ممتاز. الأحباش بين مأرب وأكسوم. بيروت: المكتبة العصرية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، جـ١، ص ٨٥.

([٥٢]) المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية. بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص١٠٢.

([٥٣]) المرجع السابق، الصفحة ذاتها.

([٥٤]) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٥١-١٥٢.

([٥٥]) العارف، ممتاز. مرجع سبق ذكره، جـ ١، ص ٨٧.

([٥٦]) يحيى، جلال. تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر. الإسكندرية: د.ن، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ١٠٦.

([٥٧]) رياض، زاهر. مرجع سبق ذكره، ص ٩٥.

([٥٨]) قبائل الجالا: هي قبائل حبشية، تقطن جنوب الحبشة بالقرب من مدينة هرر، وتتصف بالوحشية وشدة البأس، وصل إليها الإسلام منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بعد ظهور الإمارات الإسلامية في شرق إفريقيا، وفي الجنوب الشرقي من الحبشة، ودعَّم هذا الوجود الإسلامي، هجرة بعض الجماعات الإسلامية إليها، وتأسيس الإمارات الإسلامية، وعندما سيطرت قبائل الجالا على الحكم في تلك الجهات، انتشر الإسلام بين قبائل التيجرى في القسم الشمالي من هضبة الحبشة، كما كان لغزوات أحمد القرين في إمارة هرر، أكبر الأثر في نشر الإسلام بين قبائل الجالا والشعوب المجاورة، هذا إلى جانب الجهود التي قام بها التجار المسلمون، الذين كانوا يترددون على بلاد الحبشة للبيع والشراء. للمزيد من المعلومات. انظر: عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٦-٢٠١.

([٥٩]) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٥٣. وانظر: J.S. Tirraing ham, Op.Cit., p76

([٦٠]) المرجع السابق، ص ١٥٣.

([٦١]) رياض، زاهر، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٥.

([٦٢]) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٥٤.

([٦٣]) لوليفر، رولاند. فيج جون. موجز تاريخ إفريقية. ترجمة. صادق، دولت أحمد. القاهرة: معهد الدراسات العربية، الدار المصرية للتأليف والترجمة. د.ت ، ص ١٠٧.

([٦٤]) العراقي، السر سيد. الإسلام والصليبيون في سواحل إفريقيا. د.م: د.ن، ١٤٠٩هـ- ١٤١٠هـ/ ١٩٨٨-١٩٨٩م، ص٢٣٩.

([٦٥]) الحيمي، الحسن بن أحمد بن صلاح اليوسفي. سيرة الحبشة، تحقيق. كامل، مراد، ط٢. بيروت: دار النهضة للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٢٢ وانظر:

Jones, A.H.M. 8nd Elzabeth Monroe. **A history of Ethiopia**. Oxford, 1978, P.40.

(٦٦) سليمان باشا الخادم: تولى حكم ولاية مصر، وكان أول الولاة في طول مدة حكمه لمصر، حيث استمر واليًا على مصر ثلاث عشرة سنة؛ وذلك لحسن سيرته، ومعاملته العادلة للرعية، وكثرة أعماله الخيرية في مصر. انظر: الملواني، يوسف. مصدر سبق ذكره، ص ص ٢١٩-٢٢٠.

(٦٧) حنظل، فالح. العرب والبرتغال في التاريخ ٩٢-١١٢٤هـ/٧١١-١٧٢٠م. ط١. أبو ظبي: منشورات المجتمع الثقافي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٣٥٩.

(٦٨) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٥٦.

(٦٩) المرجع السابق، الصفحة ذاتها.

(٧٠) صبري، محمد. مصر في إفريقيا الشرقية (هرر- زيلع – بربرة). القاهرة: مطبعة مصر، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ص ٢٣.

(٧١) رياض، زاهر. مرجع سبق ذكره، ص ٢٥١.

(٧٢) قاسم، جمال زكريا "الممالك الإسلامية في الحبشة كانت شيعاً ثم طواها الزمان" مجلة العربي. الكويت، ع١٧٨، (شعبان ١٣٩٣هـ/سبتمبر ١٩٧٣م)، ص ١٠٤.

(٧٣) رياض، زاهر. مرجع سبق ذكره، ص ٨٢.

(٧٤) مصطفى النشار: هو مصطفى بن عبدالله الرومي الشهير بـ (النشار) كاشف الغربية بمصر، تولى إمارة الحج أربع مرات؛ إذ مكث فيها خمسة عشر سنة، حيث كانت آخر حجة له في سنة ٩٦١هـ/١٥٠٣م، ثم وصله الأمر السلطان يتولى اليمن بدلاً من أوزدمير باشا (٩٥٦-٩٦٢/١٥٤٩-١٥٥٤م) وقد اشتهر بشجاعته وشدة بأسه؛ لأنه كان ينشر السارق بالمنشار إلى شقين. انظر: الجزيري، عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاري. درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المكرمة المعظمة. ط١. الرياض: دار اليمامة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، جـ٢، ص ٨٣٢، وص ص ٨٤٢-٨٤٤ وص ٨٦٣ وص ٨٩٣-٨٩٥ وص ٩١٧، وص ٩٢٨.

(٧٥) Gengiz Orhonlu. a.g.e, ss 24-25, S28.

(٧٦) الشريف أبو نمي: هو الشريف محمد بن أبي نمي بن بركات بن محمد بن بركات، تولى حكم إمارة مكة المكرمة بالاشتراك مع أبيه في سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م، ثم انفرد بالحكم بعد وفاة أبيه في سنة ٩٣١هـ/١٥٢٤م، كان شجاعاً مهيباً ذا عقل راجح، وإدارة حازمة، توفي في سنة ٩٩٢هـ/١٥٨٤م، وله من العمر ثمانون سنة. انظر: الطبري، محمد بن علي بن فضل. تاريخ مكة المكرمة المُسمَّى (إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن). تحقيق سليم، محسن محمد حسن. ط١. القاهرة: دار الكتاب الجامعي، د.ت، ج١، ص ٣٣١ و ص٤٢٤ وص ٥٥٩.

(٧٧) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٥٦.

(٧٨) أرجع بعض الباحثين سبب إعادة أحمد القرين القوات العثمانية لليمن إلى خلاف وقع بينه وبين القوات العثمانية؛ بسبب استعجال أحمد القرين بقتل القائد البرتغالي كريستوفر دي جاما، في حين كان الجنود العثمانيون يرون إرساله حياً إلى إستانبول؛ للتدليل على جهودهم في مقاومة التحالف الحبشي البرتغالي، بالإضافة إلى خلافهم في توزيع الأموال، وخوف الأمير أحمد من سيطرة الأتراك العثمانيين على بلاده. انظر: زكريا، جمال. الصراعات الدولية والمحلية في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ص ٢٣٨، وانظر: الرمال، غسان. مرجع سبق ذكره، ص ٢٦١.

(٧٩) العارف، ممتاز. مرجع سبق ذكره، جـ١، ص ٨٩.

(٨٠) حافظ، صلاح، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦١.

(٨١) العارف، ممتاز. مرجع سبق ذكره، جـ١، ص ص ٨٤-٩٠.

(٨٢) الحيمي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦. وانظر: رياض، زاهر. مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٦.

(٨٣) J.S.Tir mingham op.cit., p89.

(٨٤) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٥٧.

(٨٥) J.S.Trimingham.Op.cit., P.85.

(٨٦) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٦٠.

(٨٧) J.S.Trimingham. Op. Cit., P. 86.

(٨٨) العارف، ممتاز، مرجع سبق ذكره، جـ١، ص ص ٩٠-٩١.

(٨٩) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٦٠.

(٩٠) ولاية الحبش: أطلقت على المناطق الممتدة عبر الساحل الغربي للبحر الحمر من مصوع إلى سواكن، وسميت بهذا الاسم لأنهما كانتا الميناءين الوحيدين للسودان والحبشة على الساحل الغربي للبحر الأحمر، ولا يقصد بها بلاد الحبشة ذاتها، التي لم تكن تابعة لها إطلاقاً. (انظر: دياب، أحمد إبراهيم "العلاقة بين جدة وسواكن التي كانت تابعة لولاية جدة في فترة الحكم العثماني" ضمن البحوث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ شبه الجزيرة العربية. الرياض: جامعة الرياض، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، جـ٢، ص ٢٠٧). وكانت ولاية الحبش تضم في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي سنجقين بحريين هما: سنجقا سواكن ومصوع، وفي أواخر القرن أُلحقت بعض المناطق في سنجق أبريم، وأسوان، وصاي، وبعض السنجقيات في ولاية الصعيد بولاية الحبش. انظر: استانبول: أرشيف رئاسة الوزراء. تصنيف كامل كبجي. وثيقة رقم ٢٢٥، بتاريخ شهر ربيع الأول في سنة ٩٨١م،/ الموافق شهر يوليو في سنة ١٥٧٣م، ص ٣٠٤.

(٩١) السلطان سليمان القانوني: هو السلطان سليمان بن سليم الأول، ولد في مدينة طرابزون في سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م، لُقب بـ (القانوني) لأنه وضع عدة قوانين أمر بتطبيقها، ولقد سماه المؤرخون بـ (السلطان الكبير)؛ لكثرة حروبه في القارة الأوروبية، توفي في سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م، وكانت مدة حكمه ست وأربعون سنة. انظر: أوغلـو، عبدالقادر ده ده. السلاطين العثمانيون. ترجمة. جان، محمد. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ١٠.

(٩٢) النهروالي، قطب الدين محمد. مصدر سبق ذكره، ص ١١٩.

(٩٣) إستانبول: أرشيف رئاسة الوزراء. تصنيف كامل – كبجي، دفتر رقم ١٠٨/٢١١، بتاريخ شهر رجب في سنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م.

(٩٤) Longrigg. Stephen. **A Short History of Eritera**, U.S.A, 1974, P. 44

بدأ ظهور العثمانيون في سواكن في سنة ٩٢٧هـ/١٥٢٠م، حيث كانت هناك جالية عثمانية تعمل بالتجارة، ومن المؤكد أن قسماً من هذه الجالية كانت مهمته متابعة نشاط البرتغاليين في مملكة الحبشة، كما كان ميناء مصوع واحداً من أهم الموانئ التي تربط الحبشة بالبحر الأحمر، وكان البرتغاليون يؤمنون المواصلات عن طريق هذا الميناء. انظر: Gengiz Drhonlu, a.g.e., S .43.

(٩٥) Ibid, S 37.

(٩٦) Ibid, S 46.

(٩٧) غيث، فتحي. مرجع سبق ذكره، ص ١٦٠.

(٩٨) إيفانون، نيقولاي. الفتح العثماني للأقطار العربية (١٥١٦-١٥٧٤م)، ترجمة. عطا الله، يوسف. بيروت: دار الفارابي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٧٠.

(٩٩) الأقجة: كلمة تركية معناها اللغوي السكة البيضاء، وهي عملة معدنية صغيرة من الفضة، وزنها ربع مثقال، وعيارها تسعون بالمئة(انظر: سليمان، أحمد السعيد. تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل. القاهرة: دار المعارف، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢٣) سُكَّت لأول مرة في عهد السلطان عثمان بن أورخان (٧٢٦-٧٦١هـ/ ١٣٢٥-١٣٥٩م) وقد سُميت بـ (السكة العثمانية) أو (الأقجة العثمانية) تميزاً لها عن السكة الإسلامية المستعملة في تلك الوقت، مثل: الدرهم والدينار. انظر: صابان، سهيل. مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٠-٢١.

(١٠٠) أكياس: مفردها كيس، والكيسة وحدة نقدية حسابية عثمانية مساوية لكميات كبيرة من النفوذ وفقاً لوقت ومكان استعمالها، وهي عبارة عن كيس موحد الحجم من حيث ما يحتويه من نقد يساوي خمس مئة قرش عثماني. انظر: برنار، صامويل "الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر – الموازين

والنقود" ضمن كتاب وصف مصر. ترجمة. الشايب، زهير. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، جـ٣، ص ٩٢.

(١٠١) Genqiz Orhonlu. a.g.e, S42.

(١٠٢) إستانبول: أرشيف رئاسة الوزراء. تصنيف كامل كبجي. وثيقة رقم ٣٠٤/٢٢٥، بتاريخ شهر ربيع الأول في سنة ٩٨١هـ / ١٥٧٣م، ووثيقة رقم ٣٠٣/٨٦، بتاريخ شهر ربيع الأول في سنة ٩٨٤هـ/١٥٧٦م.

(١٠٣) إستانبول: أرشيف رئاسة الوزراء: تصنيف دفتر المهمة. دفتر رقم ٣١١/٧٢، بتاريخ شهر رمضان في سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٣م، ص ٣١٢.

(١٠٤) المصدر السابق: دفتر رقم ٣١٢/٧٢، بتاريخ شهر رمضان في سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٣م.

(١٠٥) سنجقية: كلمة تركية معناها اللغوي العلم واللواء الخاص بالدولة، ثم خُص بها اللواء الذي يمنحه السلطان للوالي أو الأمير، ثم تطورت فأصبحت تعني قسماً إدارياً من أقسام الدولة، وكانت الأقسام الإدارية تُرتب على هذا النحو: ناحية أي (بلدة)، قضاء، سنجق، ولاية، وكان حاكم السنجق حاكماً عسكرياً ومدنياً، وكان في بداية الدولة العثمانية الوحدة الإدارية الأساسية، حيث انقسمت الدولة إلى عدد من السناجق على رأس كل منها (سنجق بك) أي (أمير لواء) (انظر: صابان، سهيل. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٤٦). وتقع سنجقية جدة في غرب الحجاز، ومركزها ميناء جدة، وتحدها شمالاً المدينة المنورة، وشرقاً مكة المكرمة، وغرباً البحر الأحمر، وجنوباً القنفذة، والليث، وعسير، وتضم في أطرافها رابع، والليث، والقنفذة، والقرى التابعة لهم. انظر: المكي، محمد الأمين. خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج. ترجمة. مخلوف، ماجدة. ط٢. القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٩٥.

(١٠٦) الصواف، فائق بكر. رمضان، مصطفى محمد "أهمية ثغر جدة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي" مجلة الدارة. س٦, ع٢، (ربيع أول ١٤٠١هـ/يناير ١٩٨١م)، ص٢١٧. وقد استمرت جدة مقراً لهذه الولاية حتى سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م، عندما أُلغيت ولاية جدة، وأصبحت تعرف باسم (ولاية الحجاز) ومقرها مكة المكرمة (انظر: السالنامة الحجازية. ط٢. مكة المكرمة: المطبعة الميرية، ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، ص١٣٠) واستمرت ولاية الحبش بعد ذلك تابعة للإدارة العثمانية في ولاية الحجاز حتى سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٥م، عندما فُصلت عنها تماماً، وانضمت للإدارة المصرية على أن يؤدي إيرادهما إلى خزانة جدة، كما كان في عهد محمد علي باشا (١٢٢٠-١٢٦٥هـ / ١٨٠٥-١٨٤٨م) انظر: دياب، أحمد إبراهيم. مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٠٩-٢١٠.

(١٠٧) كانت مصوع هي مركز الولاية الجديدة، ومقر حاكمها في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، في حين كان نائب الحاكم يقيم في سواكن، وفي القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، أصبح حكام الولاية يقيمون في سواكن، بعد أن تُركت مصوع وما جاورها إلى الحكام المحليين، وفي القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، نُقل مقر الولاية إلى جدة. انظر: Gengiz Orhonlu. a.g.e,S89.

(١٠٨) Ibid, S46.

(١٠٩) Ibid, S46.

(١١٠) البحراوي، محمد. مرجع سبق ذكره، ص ٩٧.

(١١١) Gengiz Orhonlu. a.g.e. S45.

(١١٢) J.S. Trimingham. Op. cit., PP 87-88.

(١١٣) الرمال، غسان. مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٧.

(١١٤) المالكي، محمد ضيف الله عزيز. العثمانيون والبحر الأحمر (٩٢٣-١٠٤٥هـ/ ١٥١٧-١٦٣٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة. الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٨٤.

(١١٥) Gengiz Orhanlu. a.g.e. S46.

(١١٦) Ibid, S 62.

(١١٧) Ibid, S 62.

(١١٨) العارف؛ ممتاز. مرجع سبق ذكره، جـ١، ص ٩٩.

(١١٩) Gengiz Orhonlu. a.g.e, S 62.

(١٢٠) Ibid, S 62.

(١٢١) Ibid, S 63.

(١٢٢) Ibid, S 64.

(١٢٣) Gengiz Orhonlu. a.g.e, SS 64-66.

(١٢٤) Ibid, S 66.

(١٢٥) Ibid, S 68.

(١٢٦) رياض، زاهر. مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٢.

(١٢٧) قاسم، جمال زكريا. مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٩.

(١٢٨) Gengiz Orhonlu. a.g.e, S 62.

(١٢٩) عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ١٩٤.

(١٣٠) Gengiz Orhonlu. a.g.e, S 63.

(١٣١) لا توجد معلومات دقيقة عن عدد سنوات حكم الملك داكن، سوى أنه حكم في بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ضمن المدة التأسيسية للسلطنة.

(١٣٢) إستانبول: أرشيف رئاسة الوزراء. تصنيف دفتر المهمة. دفتر رقم ٢١٧/٢٨، بتاريخ شهر ذي الحجة في سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، ص ٢١٨.

(١٣٣) Gengiz Orhonlu. a.g.e. S 63.

(١٣٤) لم تتوصل الباحثة إلى اسم حاكم هرر آنذاك (أثناء استيلاء الإمبرطور سرسا دنجل على إمارة هرر الإسلامية).

(١٣٥) الرمال، غسان. مرجع سبق ذكره، ص ٢٨٦.

(١٣٦) السلطان مراد الثالث: هو السلطان مراد بن سليم الثاني، وُلد في سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م، وتولى السلطنة في سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م، اشتهر بالسخاء ومساعدة الفقراء، كما أسس وقفاً ضخماً عُرف باسمه، كما سُمي بـ (وقف الدشيشة الصغرى) خاض عدة معارك حربية ضد بلاد فارس (إيران) وألمانيا، توفي في سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٤م، وعمره تسع وأربعون سنة بعد أن أمضى في الحكم إحدى وعشرين سنة. انظر: أوغلو، عبدالقادر ده ده. مرجع سبق ذكره، ص ١٢.

(١٣٧) علي بك ميرال: هو أحد ضباط البحرية العثمانية، الذين اشتركوا في أسطول خير الدين باربروسا في الجزائر، قاد حملتين بحريتين للتصدي للنفوذ البرتغالي، الأولى: على مسقط في سنة ٩٨٩هـ/١٥٨١م، والثانية على شرق إفريقيا في سنة ٩٩٣هـ/١٥٨٥م، وسنة ٩٩٨هـ/١٥٨٩م، توفي في لشبونه أثناء أسره. انظر: متولي، أحمد فؤاد "البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي على ضوء الوثائق التركية" مجلة كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٤ (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ص ص ٣٩٥-٣٩٦.

(١٣٨) بطي، محمد عبيد. الصراع العثماني البرتغالي في القرن السادس عشر. د.م: د.ن، د.ت، ص ٢٠٧.

(١٣٩) ذكر بعض الباحثين أن حملة دي ميلو هي التي اشتبكت مع العثمانيين وقتلت علي ميرال (انظر: المالكي، محمد ضيف الله عزيز. مرجع سبق ذكره، ص ١٩٦. الصيرفي، نوال حمزة. النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. الرياض: مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٨٠) وهذا خطأ لأن حملة دي ميلو عادت إلى الخليج قبل وصول أسطول علي ميرال مرة أخرى، ويؤيد هذا الرأي المعاصر للأحداث والمرافق للحملة البرتغالية بيدروا تخسيرا Bidrua Takhisra. بعد حصوله على تصريح بالسفر ومرافقة الأسطول البرتغالي.

انظر: تخسيرا، بيداروا. تاريخ الخليج والبحر الأحمر. ترجمة أمين، عيسى. د.م: مؤسسة الأيام للصحافة والنشر، د.ت، ص ص ١١-١٤.

(١٤٠) القيسي، عبدالوهاب "المجابهة البرتغالية العثمانية في المياه العربية" ضمن ندوة رأس الخيمة التاريخية بعنوان (الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي) رأس الخيمة، مطبعة النخيل، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، جـ١، ص ١٧٢.

(١٤١) بطي، محمد عبيد. مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٨.

(١٤٢) تخسيرا، بيدروا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

(١٤٣) قبائل الوزامبا: هي قبائل خرجت من حوض نهر الكونغو واتجهت نحو المنطقة الساحلية، فمرت بموزمبيق ووصلت إلى ممباسا، وقد نشرت الدمار والخراب وألقت الذعر والخوف في نفوس السكان. انظر: قاسم، جمال زكريا. أصول العلاقات التاريخية العربية الإفريقية. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ١٠٣.

(١٤٤) بطي، محمد عبيد. مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٩.

(١٤٥) قل النشاط البحري البرتغالي في البحر الأحمر بعد هزيمة الأسطول البرتغالي في موقعة (الأرمادا الأسبانية) في سنة ٩٩٧هـ/١٥٧٧م، على يد الأسطول الإنجليزي. انظر: بطي، محمد عبيد. مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٩.

(١٤٦) المالكي، محمد ضيف الله عزيز. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٩٧-١٩٨.

(١٤٧) كانت بعثة مليثوردي سيلفيا في سنة ١٠٠٤هـ/١٥٩٦م آخر محاولة من البرتغاليين للدخول في البحر الأحمر حتى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وبداية القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، عندما خرجوا نهائياً في سنة ١٠٣٢هـ/١٦٢٢م، بعد هزيمتهم على يد التحالف الصفوي الإنجليزي، ودخول دول أوروبية أخرى منافسة (هولندا وإنجلترا وفرنسا) انظر: زغلول، سعد، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٩. عابدين، عبدالمجيد. مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٨-١٩٥.

التحالفات القبلية واثرها في البيئة الاجتماعية في اليمن القديم

ماجد طلال حسن هاشم التميمي

أ.د. عادل شابث جابر

كلية الاداب- قسم التاريخ

التحالفات القبلية واثرها في البيئة الاجتماعية في اليمن القديم

ماجد طلال حسن هاشم التميمي
أ.د. عادل شابث جابر

الملخص:

ونتيجة لاهمية هذه المنطقة من الاهمية لفهم التشكيلات السياسية والاجتماعية التي رسمت تاريخ هذه المنطقة ، اذ ركزنا على العوامل التي ادت الى قيام التحالفات بين الممالك والقبائل اليمنية ، ودورها في تعزيز الاستقرار او اثارت الصراعات الداخلية والخارجية كما يسلط الضوء على الموقع الجغرافي واثره على اليمن ، والذي جعله محوراً مهماً للتجارة والعلاقات الاقليمية مع الممالك المجاورة.

Tribal Alliances and Their Impact on the Social Environment in Ancient Yemen

Majid Talal Hassan Hashim Al-Tamimi
Prof. Dr. Adel Shabeth Jaber
Faculty of Arts - Department of History

Abstract:
Given the importance of this region, it is crucial to understand the political and social formations that shaped its history. We focus on the factors that led to the formation of alliances between Yemeni kingdoms and tribes, and their role in promoting stability or sparking internal and external conflicts. It also highlights Yemen's geographical location and its impact on it, making it an important hub for trade and regional relations with neighboring kingdoms.

اليمن من القبيلة الى المدينة

إن المجتمع اليمني القديم قبلي، تقسم، هذه القبيلة الى بطون وأفخاذ، حتى تصل إلى أدنى تقسيم وهو العائلة، والتي تمتد لتصل إلى القرية او البيت ، ومن

مجموع هذه التقسيمات، تكون المجتمع اليمني القديم[١]، ومن ثم تكونت الممالك ، اذ إن زعيم الجماعة، أو القبيلة هو من يمارس تنظيم شؤون قبيلته ومصالحها، معتمداً على قدراته الذاتية ومهاراته الشخصية، لذلك هو الآمر والناهي على أفراد قبيلته، وهو المسؤول عن فض النزاعات، في حالتي السلم والحرب[٢].

كانت اليمن ان ذاك مقسمة على مخاليف، ولكل مخلاف اسم يعرف به، وهو اسم قبيلة من قبائل اليمن، ومن تلك المخاليف (لحج، بيحان، شبوه، المصافر، رعين، جيشان، مأرب، ريمه، رداع...الخ)،وكان كل مخلاف يضم محافد ومدن وقرى، إذ تعد سبأ أكبر وأهم تكوين سياسي وإداري في تاريخ اليمن القديم[٣].

مرت الأدارة في اليمن القديم بمراحل من التطور والبناء من مجلس القبيلة إلى مجلس التحالفات القبلية[٤]، لذلك تم تقسيم المملكة إلى أقسام إدارية (مخاليف)، ومناطق، إذ قسمت في عهد الدولة الحميرية في فترة حكم اسعد كامل عام (٣٨٥م) إلى خمسة أقسام ومنها:-

- القسم الأول: سبأ ويشمل العاصمة مأرب والربع الخالي ونجران وصعدة والجوق وعمران وحجة.
- القسم الثاني: ذو ريدان، وكانت مدينة ظفار عاصمة لمناطق حميَّر.
- القسم الثالث: ويشمل حضرموت، وكانت عاصمتها شبوه، وتشمل مخاليف حضرموت.
- القسم الرابع: يمنات وامتدت من جنوب وشرق حضرموت والمهرة وظفار.
- القسم الخامس: الطود وتهامة وتشمل سهل وساحل تهامة[٥].

إن مفهوم القبيلة في اليمن لا ينبغي أن يقوم على صلة القرابة والدم والجد الواحد المشترك، اذ تبين من خلال النقوش ان لفظة قبيلة كانت في اليمن تستخدم للتعبير عن نظام خاص، هذا النظام، يقوم على اساس الروابط الاقتصادية، أو روابط العمل، اذ ان هذه العوامل الاقتصادية والسياسية هي من تقرر وظيفة الجماعة، أي القبيلة[٦]، اذ ان القبيلة في اليمن القديم، تكون من قبائل وعشائر

مختلفة، ومن جماعات عمل تمثل مختلف الحرف، انظمت إلى قبيلة واحدة، أو إلى ملك للعمل في أرضه، وبسبب طول بقائها اندمجت في القبيلة الكبيرة[٧].

أن الأساس الذي اعتمدت عليه القبيلة في ديمومتها وقوتها في مواجهة الأخطار هو التحالف[٨]، بسبب الصراعات والتهديدات من الأخطار التي تحيط بها[٩]، اذ كان لسياسة الأحلاف في جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديمة) أهمية كبيرة[١٠]، فكانت القبيلة من خلال التحالف تؤدي إلى إندماج أفراد القبائل مع بعضها، وهذا ادى إلى زيادة أعداد أفراد القبيلة، وهذا قد يحدث بين أفراد من داخل القبيلة أو إندماج قبيلة مع قبيلة أخرى، وهذا ينتج عنه امتزاج بين النسب والمصالح المشتركة،[١١] لذلك اعطى المجتمع اليمني أهمية للتحالف ومكانة كبيرة تتعدى صلات النسب والقربى، اذ كانت القبيلة تتكون من عدة تجمعات قد لا تربطها حالة النسب، إنما تربطها المصالح والعلاقات[١٢].

أدت هذه التحالفات إلى ظهور كيانات سياسية غير منفصلة عن القبيلة ولكن منبثقة منها، وهذه الاتحادات القبلية المتحالفة كونت رقعة جغرافية واسعة، علما ان هذا الاتساع غير ثابت بل معتمد على قوة وازدهار التحالف أو انحساره[١٣]، وكذلك يعتمد على اساس قوة القبيلة المسيطرة على التحالف وثقلها السياسي، وكان الحلف القبلي إما يكون حلف ولاء أو علاقات ومصالح سياسية واقتصادية واجتماعية[١٤].

وكثيراً من الاحلاف سريعاً ما ينهار ويتلاشى بانتهاء المصالح، وكانت زعامة الحلف تنتقل من قبيلة إلى أخرى حسب قوة القبيلة المتزعمة ، فضلاً عن ان زعامة الحلف تنتقل من قبيلة ضعيفة إلى قبيلة أخرى أكثر قوة[١٥].

كانت هذه التحالفات إلى أن تكون مصدر قوة للسلطة المركزية، إذ تؤدي إلى مواجهة المشاكل التي قد تتعرض لها المملكة، إذ يطلق على تلك التجمعات القبلية لفظة (شعب) وترتبط ارتباطاً مباشراً بالحاكم، وتكون مصدر قوة اقتصادية بسبب سيطرتها على المزارع، وفي بعض الاوقات نشبت صراعات حول هذه المزارع، لذلك تنشأ هذه الاتحادات والتحالفات ليس فقط بين القبائل، بينما تطورت

لتكون بين الممالك لتكون تحالفاً قوياً، من أجل أن تكون حماية لها ضد أي هجمات وتوسعات من القبائل فيما بينها، وتطور هذا الحلف ليصل إلى منزلة التآخي، من حيث قوة الأواصر المترابطة بين القوى المتحالفة، لتكون أقوى من أواصر الدم، بين القبيلة الواحدة(١٦).

اذ كانت هذه العلاقات والتحالفات تتلاشى إذا ما تضاربت المصالح(١٧) الاقتصادية او السياسية او الاجتماعية للأطراف المتحالفة حتى لو كانت تجمعهم رابطة الدم والنسب(١٨)، هذه الاتحادات والتحالفات تشكل مصدر قوة للدولة في مواجهة التحديات والكثير من المشاكل التي قد تتعرض لها تواجهها، وهذا الاتحاد والتحالف يزيد من قوة نفوذ الدولة وسيطرتها كما هو الحال في مملكة سبأ ، وكثيراً ما دفع الحكام إلى بذل الجهود في سبيل توحيد الأطراف السياسية ودمج القبائل، ضمن تحالف مشترك، وأحياناً بالقوة من أجل تحقيق الوحدة(١٩).

إن التطور في سيطرت التحالفات القبلية، كان له الأثر الواضح ليس في الجانب السياسي فحسب، بل أدى ذلك إلى تطور النظم الأدارية والتشريعية، والذي ادى بدوره الى أن تكون جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديمة) لمستوى عالي من التطور والتقدم(٢٠)، اذ اطلق على ابناء القبيلة لفظة (شعب) مثل (سبأ وشعبهموا) وتعني سبأ وقبائلها ، وبدأت القبيلة بتكوين الجند للدفاع عنها، وكان الشعب كذلك قد ورد اسمه بلفظة (أخمسهم) وتعني الجند، وكانوا جاهزين للصراعات الداخلية والخارجية(٢١)، وكانت لفظة (الشعب) أو (اشعب) كما وردت بالنقوش فتعني مجموعة القبائل المنتشرة في مختلف المناطق، ويقودها (أقيال) ومشايخ القبائل للدفاع عن الدولة(٢٢)، ولفظة (شعب) تعني مجموعة من البشر تربطهم علاقات قربى في تكوينها الأولي، وفيما بعد جمعتهم المصالح المشتركة من خلال الاتحاد او التحالف لتشكيل قوي في مواجهة الأخطار التي قد تحيطها(٢٣).

قامت الممالك اليمنية القديمة، بزعامة قبائل قوية متحالفة، لا تربطها صلة الدم، وهذه يبين تجاوز روح العصبية القبلية في المجتمع اليمني، وهذا أدى إلى

قيام أنظمة الحكم في اليمن القديم المرتكز على قوة القبائل المتحالفة مع بعضها[٢٤]، كذلك تحالف الاعراب البدو، وهذا يؤكد دمج الأقاليم الحضرية مع البدو، لتشكيل قوى تواجه الأخطار التي تحيط بها، وذلك من خلال سيطرتهم على المزارع وعيون الماء والمراعي والأستفادة من أراضي البادية[٢٥]، ومن أبرز القبائل قبيلة (مذحج) [٢٦]، في مأرب، وقبيلة (جرم) [٢٧] ، وقبيلة (مراد) [٢٨]، وقبيلة (همدان) [٢٩]، وقبيلة (بني كعب) [٣٠] و(سعد العشيرة) ، وقبيلة (عك) [٣١] والأزد[٣٢]، اذ إن نظم إدارة تلك التجمعات القبلية المتحالفة كانت عبارة عن أنظمة للعلاقات بين القبائل القوية، وبقية القبائل والمجموعة المنظمة تحت لوائها[٣٣]، أو التابعة لها، وفيما بعد تحولت هذه التجمعات من خلال التحالف مع بعضها إلى ممالك ومدن[٣٤]، وان تلك التجمعات والتحالفات، أصبحت فيما بعد متنافسة ومتصارعة على السلطة، وكان مكان انعقاد هذه التحالفات في الممارسات السياسية هو المعبد اذ كان المعبد يمارس الدور السياسي إلى جانب دوره الديني بين (امتلاك المعابد الكثير من الأراضي والاستحواذ على الضرائب وأصبحت تسهم بشكل اساسي بالعمل السياسي[٣٥].

نتيجة لذلك تطور نظام الحكم القبلي في اليمن، اذ ظهر نظام جديد هو (ذو) أي صاحب، وجمعها (أذواء)، ولقب (أقيال) وارتبط هذا اللقب يتطور نظام الحكم القبلي في اليمن القديم مثل (ذو ريدان) [٣٦]، أي صاحب قصر ريدان و(ذو سلحين) أي صاحب قصر سلحين، و (ذو غمدان) أي صاحب قصر غمدان[٣٧]، ويدل هذا على صاحب النفوذ، وليس على النسب أو اسم شخص[٣٨]، وان قبائل سبأ انتهجت سياسة الأحلاف طيلة مراحل حكمها وهذا ما تثبته لفظة (س ب أ و ج و م) أي سبأ وقوتها[٣٩].

كانت أبرز تشكيلات الممالك في جنوب شبه الجزيرة العربية هو القبائل[٤٠]، ومالها من دور في جميع جوانب حياة أهل اليمن القديم، من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد كانت القبيلة تمثل وحدة اجتماعية، وإلى جانب وظيفتها الاجتماعية، كانت تتمتع بأنها تمثل وحدة سياسية، فكانت تمثل جانب

وكيان سياسي داخلياً داخل القبيلة نفسها، أو خارجياً بتحالفها مع القبائل الأخرى، وذلك بسبب الظروف التي كانت سائدة وتطلب الامر إلى زيادة أعداد أفراد القبيلة من خلال تحالفها مع قبائل أخرى، فكانت الأسرة تمثل النواة للقبيلة، وتتحالف مجموعة من الأسر لتكون مجموعة من الأفراد، أكثر عدداً للدفاع عنهم من الأخطار الخارجية، أحياناً تربطهم رابطة الدم وينحدرون من أصل واحد ، أو من خلال تحالف المصالح من عدة قبائل، ويكون تحت رئاسة واحدة ويسمى بشيخ القبيلة(٤١).

إذاً القبيلة كانت هي عماد الحياة في البادية، حيث يحتمي الفرد من خلالها للدفاع عن نفسه وعن ماله، إذ تتألف القبيلة من بيوت تختلف عددها باختلاف حجم القبيلة(٤٢)، وكان سكان شبه الجزيرة العربية ينقسمون إلى بدو وحضر، وكانت القبيلة هي الوحدة السياسية عند العرب قبل الإسلام، أفراد القبيلة في العادة ينتمون إلى أصل واحد، ومشترك وتجمعهم وحدة الجماعة، وكانت العصبية القبيلية مصدر قوتهم، فكان الفرد ينصر قبيلته ظالمة كانت أو مظلومة(٤٣).

فكانت القبيلة تمتلك كافة مقومات الدولة من الأراضي التي تحدد مكان نفوذها، وبين ضيق الحياة في شبه الجزيرة العربية تضطر القبيلة إلى التنقل، فكان لكل قبيلة مجلس من شيوخها يرأسه شخص يتم اختياره من بين أفراد القبيلة ويطلقون عليه الرئيس أو الشيخ أو السيد، وأن يكون من يستلم هذا المنصب يحمل صفات منه القوة والشجاعة والحكمة والصبر والنفوذ وقوة الرأي(٤٤).

فالقبيلة في النظام القبلي تعني جماعة من الناس ينتسب جميع أفرادها إلى جد واحد مشترك وتجمعهم رابطة الدم، ويسكنون في العادة في منطقة واحدة، وإذا إرتحلوا يرتحلون معا ولهم واجبات الدفاع عن القبيلة وبه الوحدة الاجتماعية لهم ولكن فيما بعد أصبحت تضم عدة أفراد من خلال التحالف قد لا تجمعهم صلة القربى وإنما تجمعهم المصالح المشتركة(٤٥).

فكان في جنوب شبه الجزيرة العربية اليمن القديم يعبر عن القبيلة بلفظة (شعب) وهي وحدة لا تقوم على النسب أي رابطة الدم، وإنما تربطهم روابط أخرى منها اجتماعية، ودينية واقتصاد، ومصلحة مشتركة، عكس أهل الشمال(٤٦).

اذ في اليمن القديم كانت معظم الأماكن والمواقع تسمى بأسماء القبائل التي تسكها، وإن دل هذا على قوة القبيلة وتأثيرها بالجانب السياسي في اليمن القديم، والجانب الأجتماعي والجانب الأقتصادي(٤٧)، إذ كانت القبائل في اليمن القديم تحتفظ بأسمائها وإنتمائها وهم ينحدرون من سبأ بن يعرب بن قحطان وبعد سبأ يأتي ابنائه الاثنين حميَّر وكهلان(٤٨).

إن أهل اليمن القديم كانوا يطلقون على تجمع أكثر من قبيلة في تحالف بينهم للمصالح الأقتصادية لفظة (شعب) وتكون القبيلة القوية هي من تقود هذا التجمع أو التحالف(٤٩)، لذلك فأن لفظة شعب تدل على اتحاد وتحالف من عدة قبائل مثل (شعب حاشد) أو (شعب سمعي(٥٠)، فهناك في سبأ قبائل (سمعي) والتي تمثل تحالفاً ثلاث قبائل هي (همدان) و(وحملان) و(يرسم) وقبيلة بني حرت(٥١).

فضلاً عن ذلك لم يكن الحكم في اليمن ذات سلطة مطلقة بل تكون تشاورية، وكان لكبار القبائل رأي في إدارة الدولة، واتخاذ القرارات، وكان نظام الاستشارة هذا اشبه بالنظام الديمقراطي الحديث، إذ كانت القبائل لها الرأي في أي قرار يتخذ(٥٢)، ووردت لفظة شعب في نصوص المسند (شبعت) والجمع (اشعب) أو شعوب مثل (سبأ وشعوبهم) أو (سبأ وقبائلهم) و(شعبن معين) أي (قبيلة معين)، و(شعبت همدان) أي (قبيلة همدان) ويلي الشعب القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة(٥٣)، لذلك كان في اليمن القديم (مجلس قبلي) يدير الأمور، وهي تمثل هيئة تشريعية يضم عدة قبائل متحالف ةيمثلها كبارها أ وشيوخها في المجلس، حسب مكانة القبيلة يكون التدرج القبلي والموقع الجغرافي للقبيلة وقربها من العاصمة السياسية التي يستقر فيها الملك(٥٤).

اذ كانت القبيلة في جنوب شبه الجزيرة العربية تمثل التكوين السياسي فيها، فكانت القبيلة إلى جانب وظيفتها الاجتماعية تمثل وحدة وتحالف سياسي يمثل

مجموعة من الأفراد، فهي تمثل كياناً قائماً بذاته سواء في أمورها الداخلية أو الخارجية أو حرب أو سلام أو إتفاقيات أو تحالفات ، إذ تتكون القبيلة من مجموعة من الأفراد تجمعهم رابطة الدم، أو المصالح، وتتحد هذه المجامعي والأفراد لعدة ظروف تحت قيادة واحدة أو زعامة واحدة(٥٥).

إذ أحيانا تتخذ القبائل شكل قبائل منفردة، أو تجمعات لعدة قبائل من خلال التحالفات، وتقوم هذه حول المراكز التجارية، وتتجمع الدفاع عن كياناتها وأحياناً يكون التحالف بين القبائل لحفاظ الجوار بينهم(٥٦).

اذ أشارت بعض النقوش ومنها النقش المرقم (394 BES) والنقش (140 CIH) والنقش المرقم (568 SA) والنقش المرقم (555 SA) والنقش المرقم (577 SA) والتي اشارت الى ان هناك قبائل، قد اندمجت من خلال التحالف في سبأ في عهد الملك (كرب آل وتر) والذي اتخذ سياسة التوسع من خلال توحيد اليمن القديم والذي حققه بعد خوضه عدة حروب مع كيانات كانت تتمتع بنفوذ مستقل واستطاع من دمجها في مملكته(٥٧).

حيث إن هذه القبائل التي كانت منفصلة قبل إندماجها وتحالفها في سبأ لتشكل قوة ووحدة هي قبائل (سخيم وذو مليح وخسا وعقرب وخولان وردمان وجدن واربعين وبتع وسمعي وحملان ويرسم وبنو سمع ورمس) (٥٨).

إذ شاع الحلف بين القبائل في جنوب شبه الجزيرة العربية، بسبب متطلبات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي كانت الأحلاف بين القبائل على أنواع (احلاف فردية) والتي كانت تعقد بين الفرد والقبيلة، فأحياناً يوجد أفراد قد تركوا قبائلهم الأصلية لعدة أسباب، منها إرتكابهم جرائم قتل، أو أي ظروف أخرى تضطره إلى الانتماء إلى قبيلة أخرى من خلال التحالف معها من أجل الحماية ويكون أحد أفراد تلك القبيلة(٥٩).

وهناك أحلاف أخرى وهي (الأحلاف الجماعية) والتي تتم بين قبيلة وقبيلة أخرى لأسباب سياسية، أو اجتماعية أو اقتصادية، وأحيانا يكون الحلف مؤقتاً أو دائمي(٦٠)، لذلك تعد سياسة الأحلاف التي كانت متبعة جائت خطوة في جمع

الصفوف وتوحيدها في مجتمع كانت السمة الغالبة عليه البداوة والنظام القبلي، مما أدت هذه التحالفات إلى وحدة الصف وتقليل الصراعات، لذلك كان نظام الجد أو مرتبط ارتباطاً وثيقا بنظام الحلف[٦١]، (فحلف القبائل) أحياناً لا يستمر فترة طويلة بل ينتهي بانتهاء المصالح بين الأطراف المتحالفة[٦٢]، وهناك عدة قبائل في اليمن القديم، كان لها الدور في تاريخ اليمن ومنها قبيلة (جدن) [٦٣]، والذي ورد في كتابات ملوك سبأ[٦٤]، وهو يدل على اسم مكان أو حصن أو قلعة أو قصر، واطلق عليهم (بني جدن) أو (بني ذي جدت) ومنها بسطت نفوذها على ما حولها[٦٥].

وتأتي قبيلة (جرت) بعد قبيلة جدت وهي اسرة واحدة من قبيلة ذمري وهم حلفاء (سمهر) [٦٦]، ظهرت هذه القبيلة في اليمن القديم بحدود عام (٨٠م) وتمكنت هذه القبيلة من القضاء على جيش الأحباش في عهد الشرح يحضب واخيه بازل في عهد تحالف سبأ وذي ريدان[٦٧]، وعن قبيلة جرت كان لها الدور في تاريخ ال يمن، حيث انتصار الملك (نشأ كرب يهأمن يهرحب) على الأحباش[٦٨].

أما قبيلة (حملان) [٦٩] والتي ورد اسمها في عدد من الكتابات الموسومة بـ (CL 179) بحدود عام (٢٩٠ق.م) والتي دونها (انمار يهنعم بن وهب آل يحز، ملك سبأ[٧٠]، وكانت (حملان) تابعة إلى (تبع) من خلال تحالفها معها[٧١]. أما قبيلة (خولان) والتي ورد ذكرها في النقوش اليمنية بالنقش المرقم (CL1155) والذي كان ينقل احداث قيام قبيلة خولان بالهجوم على قافلة تجارية معينية[٧٢]، ويرجع نسب خولان الى سبأ، وهي تقع بالقرب من مأرب وصرواح[٧٣]. كما تأتي بعد خولان قبيلة (ذو غيمان) وتقع جنوب شرق صنعاء وسميت المنطقة بأسم القبيلة عيثمان[٧٤]، وكانت هذه القبيلة متحالفة مع همدان، وفيما بعد استقلت عن همدان[٧٥]، وقد ورد اسمها في النقوش (شعلبن –غيمن) أي (قبيلة غيمان) ومنها النقش (Sa 942)[٧٦]. أما قبيلة (سخيم) وهي تعد من القبائل المهمة في اليمن القديم، لما تمتلكه من أراضي واسعة، وتعد منطقة شيام سخيم المقر الرئيس لهم[٧٧]، وقبيلة (رعين)، وهم بطن من بطون حميَّر[٧٨]، ولها عدة فروع منها

ذويارق وذي رعين وبارق متحالفة مكونة قبيلة رعني[٧٩]،ومن القبائل الأخرى قبيلة (سمعو) وهي همدانية سكنت المنطقة الاقعة بين حاشد وحملان[٨٠]، وكانت قبيلة قوية بقوة شيوخها الذين سيطروا على الحكم وتلقبوا بلقب ملك، ومن أهم شيوخها (يهعان ذبيان بن يمه كرب) والذي ورد ذكره في النقش (CL302)، وكانت تشغل مكانة مهمة في اليمن القديم[٨١]، وكانوا حلفاء مع (بنو رأبان) (راين) كما جاء في النقش المرقم (CL302) (شعين سمع) أي قبيلة (سمع) [٨٢].

أما قبيلة (همدان) وهي تعد أحد قبائل اليمن القديم، ومن القبائل الكبيرة في اليمن ويرجع نسبها إلى (كهلان) [٨٣]، وترجع بطون همدان إلى حاشد وبكيل[٨٤]، وتقع همدان بالقرب من حاشد[٨٥]، وقد جاء ذكر قبيلة همدان في النقش المرقم (Sa616) [٨٦]، وكانت التحالفات القبلية في اليمن القديم متشعبة حسب مصالح القبيلة، أحياناً تكون القبائل المتحالفة متباعدة غير متجاورة[٨٧]، ويعتبر (بنو تبع) أهم تكوينات همدان، إذ كانت لها نفوذ واسع وأراضي واسعة[٨٨]، ويرجع نسب همدان إلى (تبع) [٨٩]، ومن القبائل الأخرى قبيلة (اربع) وكانوا شيوخها يلقبون بلقب ملك وقد ورد ذكر هذه القبيلة في النقش المرقم (E170) والذي جاء فيه (أقول/شعبن/يكلم/ ربعن/ذهجرن) وتعني كلمة (ر ب "عليه السلام" وهي التابعة لمدينة شبأم، ووردت في نقوش أخرى يصيغة (ريعو، ريعاو، ريعاء) في النقش المرقم (Sa650) [٩٠]، ومن القبائل الأخرى قبيلة (مرثد) والتي تقع قرب بلاد همدان وقد ورد اسمها في النقش المرقم (C1H79) [٩١].

لذلك كان على شيوخ القبائل في اليمن القديم وبسبب شغف العيش والحياة الصعبة غير المستقرة، مما يؤدي إلى التنقل لذلك أدت إلى نشوب صراعات ونزاعات على الأراضي والطرق التجارية، لذلك كان العبئ على شيخ القبيلة لفض هذه النزاعات مع القبائل المجاورة، اما بالطرق السلمية من خلال عقد تحالفات بينهم[٩٢]، ويكون دوره معتمداً على قوة شخصيته ونفوذه في المجتمع، لذلك يكون شيخ القبيلة هو الأعلم بمصلحة القبيلة ورعاية مصالحها في جميع المجالات[٩٣].

إذ كان لكل قبيلة مجلس يجتمعون فيه وينعقد هذا في بيت شيخ القبيلة وكان اختيار شيخ القبيلة يتم عن طريق مجلس القبيلة[٩٤]، إذ كان هذا المجلس القبلي يمثل جميع القبائل المتحالفة ويتدرج شيوخ القبائل حسب مكانة القبيلة وموقعها الجغرافي في اليمن القديم[٩٥].

وعرف اليمن القديم مجالس الشعب، وتمثل فيها جميع القبائل ويطلق عليه (المزود)[٩٦]، وفي القرن الثالث الميلادي، تم الغاء المجالس القبلية، واصبح الحكم مباشر، إذ اختفت مشاركة الشعب في الحكم بسبب ازدياد الخطر الخارجي، لاسيما غزو الأحباش والبيزنطيين على اليمن القديم ، ومحاولة بعض القبائل الاستقلال وترك التحالفات[٩٧].

من كل ما تقدم يتبين لنا إن القبيلة في اليمن القديم، كانت تمثل الأساس الأجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمع في اليمن القديم، إذ كانت القبائل بأستقلالية نسبية وفي نفس الوقت تتفاعل مع الممالك الحاكمة من خلال الصراعات والتحالفات.

الخاتمة:

هناك نتائج سلبية للتحالفات، فعلى الرغم من الفوائد الكبيرة للتحالفات لكن قد تكون لها نتائج سلبية ومنها خيانة التحالفات، كانت تحالفات سرعان ما تنهار بتغير مصالحها، مما تؤدي إلى نزاعات وحروب طويلة والتحكم الخارجي بالتحالفات فبعض التحالفات مع قوى خارجية أدت إلى تدخلات عسكرية أو اقتصادية من قوى إقليمية أو امبراطوريات أجنبية، مما أدى إلى ضعف الممالك اليمنية.

الهوامش:

(١) عبدالرحمن، محمد قاسم ، الأدارة المحلية والحكم المحلي في اليمن من النشأة إلى التطور، الجامعة الوطنية، ع١٢، ٢٠٢٠م، كلية الآداب- جامعة صنعاء، ص١٦٨

(٢) عبدالباقي، شمسان، الامركزية الأقليمية في الجمهورية اليمنية (مقارنة من منظور الحكم الجيد)، المنتدى الاجتماعي الديمقراطي، صنعاء، اليمن، ٢٠١١م)، ص٥.

(٣) أحمد، محمد الحضراني، إضاءات على تطور الدولة اليمنية، (مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، اليمن، ٢٠٠٦م)، ص١٦.

(٤) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧، ص١٤١.

(٥) احمد، إضاءات على تطور الدولة اليمنية ، ص١٦.

(٦) رودوكاتاكيسن ليتكولوس، الحياة العامة للدولة العربية الجنوبية في كتاب التاريخ العربي القديم، تر: فؤاد حسين علي، (لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٩٨م)، ص١٧.

(٧) قائد ، الشرجي، القرية والدولة في المجتمع اليمني، ط١، (دار التضامن ، بيروت، ١٩٩٠م)، ص١٢٤.

(٨) ينظر ملحق رقم (٧).

(٩) ابو الصوف، إطلاله على تاريخ اليمن وحضارته، ص٤٩.

(١٠) المحمداوي، محمود هاشم، أصل العرب وأصولهم ، (بغداد، مؤسسة الرافد للمطبوعات، ٢٠٠٩م)، ص٣٨.

(١١) رودكاناكسن الحياة العامة للدول العربية الجنوبية، التاريخ العربي القديم، ص١٢٧.

(١٢) عبدالله ، وحدة الآثار والحضارة ، مجلة المسند، ع١، (صنعاء، (٢٠٠١م)، ص٦٠.

(١٣) لوندين، دولة مكربين ، سبأ، ص٣٢٤.

(١٤) محمد، عبدالقادر ، في سبيل الحكم، دار الحرية للطباعة ، (بغداد، ١٩٧٤م)، ص٧٤.

(١٥) رودوكاتاكيس، الحياة العامة للدولة العربية الجنوبية، التاريخ العربي القديم، ص١٨٢.

(١٦) علي، جواد، أصول الحكم عند العرب، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٣١، ج٢، (بغداد، ١٩٨٠م)، ص٥٩.

(١٧) رودو كان كيسن الحياة العامة للدول العربية الجنوبية، التاريخ العربي القديم، ص١٢٥.

(١٨) صبره، علي بن عبدالله، المجتمع القبلي وخصائصه، مجلة الصباح، ع٢، (الكويت، ١٩٧٠م) ، ص١٩.

(19) Broton.Sean. francois, Arabia Felix from the tim of the Queen of Sheba, (French, 1998), P.40.

(٢٠) الشرجبي، قائد، القرية والدولة في المجتمع اليمني، (دار التضامن، بيروت، ١٩٩٥م)، ص١٢٣.

(٢١) الحارثي، صالح بن أحمد، جيش اليمن قبل الإسلام، (دائرة الصحافة للطباعة والنشر، ١٩٩١م)، ص٤٧.

(٢٢) بيستون واخرون، المعجم السبئي، (منشورات جامعة صنعاء، من دار تشربيتر لوفتم الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت ، ١٩٨٢م)، ص١٩.

[٢٣] سلطان، أحمد ، نظرة في تطوير المجتمع اليمني، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت، ١٩٧٠م)، ص٧٦.

[٢٤] محمد، مختارات، ص١٩٠.

[٢٥] ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد (ت: ٨٠١م) مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر ، (بيروت، ١٩٨١م) ، ص١٢٠.

[٢٦] مذحج: من القبائل القحطانية في اليمن القديم يعود نسبها الى مذحج بن ادد بن زيد يشجب ووردت في النقش (RES 4376) كقوة قتالية وتحالفية. علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٣، ص١٧١.

[٢٧] جرم: هي قبيلة عربية قحطانية فرع من فروع طي من ابرز القبائل اليمنية. علي، المصدر نفسه، ص١٧١.

[٢٨] مراد، هي احدى كبريات قبائل مذحج اليمنية القحطانية تعود نسباً الى (مراد بن مذحج بن ادد بن زيد بن يشجب) تسكن جبال مراد جنوب شرف صنعاء. ووردت في النقش (RES 4326 , CIH 140) التحالفات القبلية والعسكرية . علي ، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٧٧-١٧٩ .

[٢٩] همدان: هي قبيلة تعود الى (همدان بن زيد بن اريش بن مره بن ادد بن زيد بن كهلان) وهي قبيلة كهلانية سبئية ووردت في النقش (CIH 539) . علي ، المصدر نفسه، ج٣، ص١٧٠-١٧٢.

[٣٠] بني كعب: هي قبيلة عدنانية يعود نسبها الى (كعب بن ربيعة بن عامر من قبيلة هوازن)، كان تواجدها في نجد، سعد العشيرة: هي احدى قبائل مذحج اليمنية القحطانية تعود الى (سعد العشيرة بن مالك بن ادد بن زيد بن كهلان بن سبأ)، تسكن شمال ووسط اليمن، ووردت في النقش (CIH 140) ، يوسف، محمد عبد الله، مفاتيح النقوش اليمنية القديمة، ص٢١٤؛ علي ، المفصل في تاريخ العرب، ج٣، ص١٧٦.

[٣١] عك: هي قبيلة قحطانية قديمة مشهورة تنتمي الى قبائل كهلان من سبأ، مستقرة في جنوب غرب الجزيرة العربية ، تنتمي الى (عك بن عدنان بن عبد الله بن كهلان بن سبأ). علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٣، ص١٧٤-١٧٦ .

[٣٢] الأصفهاني، قصة جزيرة العرب، ص٢٤٧.

[٣٣] محمد، تاريخ اليمن القديم، ص٧٩.

[٣٤] الوردي، علي، الصراع بين البداوة والحضارة، الدار العربية للموسوعات، (د.م، ١٩٦٥م)، ص١٣.

[٣٥] لوندين، دولة مكربي سبأ، ص١٤٥.

[٣٦] إبراهيم ، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ،(د.ط)، (القاهرة، دار المعارف ١٩٨٠م)، ص٢٢.

[٣٧] غمدان، هو اسم قصر يقع في سبأ في اليمن القديم وارتبط الاسم بالقصر والمنطقة وهو من اشهر قصور اليمن . الهمذاني، صفة جزيرة العرب، ص٢٣٤-٢٣٦.

[٣٨] عبدالله، كتب حديثه عن اليمن ، مجلة دراسات عربية، ع٢، (صنعاء، ١٩٧٩م)، ص١١١.

[٣٩] علي، مقومات الدولة العربية قبل الإسلام، ص٤٥.

[٤٠] ينظر ملحق رقم (٨).

(٤١) عبدالوهاب، لطفي، العرب في العصور القديمة- مدخل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (الإسكندرية،)، ص٣٥٢.

(٤٢) علي، المفصل في تارخي العرب قبل الإسلام، ج٧، ص٣١٣.

(٤٣) العين صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب، بغداد، ١٩٥٩م، ص١٥٢.

(٤٤) الجميلي، رشيد عبدالله، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، ط٢ (مطبعة بغداد، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٦م)، ص٣١٢.

(٤٥) العسلي، خالد، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (الشورى في العرف القبلي)، اعداد وتقديم عبدالسلام رؤوف، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٢م)، ج١، ص٦١.

(٤٦) علي، المدونات العربية لما قبل الإسلام، مجلة (بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٠م)، م٣، ص٢٢٨.

(٤٧) الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام، ص٦٥.

(٤٨) عنان، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص١٨.

(٤٩) الأرياني، نقوش مسندية، ص٢٩٣.

(٥٠) بافقيه، محمد عبدالقادر، العربية السعيدة، ص٩١.

(٥١) ابن عبدالحق، صفي الدين البغدادي (ت٧٣٩هـ): مراصد الأطلاع على اسماء الأكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البحاري، ط١، (بيروت، دار الجليل، ١٩٩٢م)، مج٣، ص١١٨٢.

(٥٢) الحمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، ص٥٦.

(٥٣) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، (الكويت، وزارة الأرشاد والأنباء، ١٩٦٥م)، ج٨، ص٧٢.

(٥٤) رودوكتاكيس، الحياة العامة، ص١٣٣.

(٥٥) يحيى، لطفي عبدالوهاب، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، (الإسكندرية،)، ص٣٥٤.

(٥٦) زناتي، محمود عبدالسلام، نظم العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، (القاهرة، ١٩٩٥م)، ص١٦٦.

(٥٧) علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢ن ص٩٠.

(٥٨) علي، المصدر نفسه، ص٢٩٤.

(٥٩) الراوي، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٦٣.

(٦٠) الفيروزي، أيادي، محمد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (مصر، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٩٥٢م)، ج١، ص٤٠٨.

(٦١) الزبيدي، تاج العروس، ج١، ص٤٧٨.

(٦٢) البستاني، بطرس، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ط١ (بيروت، دار المكشوف ، ١٩٦٨م)، ص١٩.

(٦٣) جدن: اسم موقع وذو جدن ملك من ملوك حميَّر وهو أحد المثامنه من ولد ذو جدن الاصفر، تقع جنوب شرق سبأ، قرب شبوه غرب حضرموت وهي قبيلة صغيرة او متوسطة تحالفت او خضعت لممالك كبرى كما ظهر في النقش المرقم (RES) و (CIH) والنقش المرقم 3945 S). يوسف، محمد عبد الله، تاريخ اليمن القديم، ط١، (دار الفكر المعاصر ، بيروت، ١٩٩٧م)، ص٢١٩.

(٦٤) إبن دريد، أبي بكر محمد (ت٣٢١هـ) الاشتقاق، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط١، (القاهرة ، مكتبو الخانجي، د.ت)، ص٥٣٢.

(٦٥) الأرياني، نقوش مسندية، ص٣٢٨.

(٦٦) البكر، قبيلة جرت ودورها السياسي في تاريخ اليمن قبل الإسلام، مجلة المؤرخ العربي، ع٢٥-٢٦، ١٩٨٦م، ص١٢١.

(٦٧) البكر، قبيلة جرت ودورها السياسي قبل الإسلام، ص١٢٢.

(٦٨) الأرياني، نقوش مسندية، ص١٢٢.

(٦٩) حملان: هي قبيلة يمنية مرتبطة ببطون همذان وستقرت في المناطق الشمالية من اليمن وكانت جزء من تحالف قبلي مع ممالك سبأ وحمير، وذكرت في الحملات العسكرية في النقش المرقم (140 CIH) . علي، المفصل ، ج٣، ص١٧٢-١٨٠ .

(٧٠) المنحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج٢، (صنعاء، دار الكلمة، ٢٠٠٢م)، ص١٣٢٠.

(٧١) بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، ص٣٧١.

(٧٢) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص٤٠٠.

(٧٣) ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ): العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد، (المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٣م)، ج٣، ص٣١٧.

(٧٤) البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٣١٨.

(٧٥) مكياش، عبدالله أحمد عبدالله، اسماء القبائل في النقوش العربية الجنوبية، رسالة ماجستير، جامعة عدن، ١٩٩٣م، ص١٠٠.

(٧٦) الأرياني، نقوش مسندية، ص١٦٢.

(٧٧) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص٣٩٤.

(٧٨) الهمداني، الأكليل، ج٢، ص٣٠٣.

(٧٩) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص١٠١.

(٨٠) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص٤٠٩.

(٨١) مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ص٤١١.

(٨٢) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص٤١١.

[٨٣] ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ): نسب معد واليمن الكبيرن تحقيق: ناجي حسن، (بيروت ، عالم الكتب، ٢٠٠٤م) ، ص٥٠٩.

[٨٤] الدباغ، مصطفى مراد، الجزيرة العربية (بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٣م)، ص٢٧٧.

[٨٥] علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص٣٥٣.

[٨٦] الأرياني، نقوش مسندية، ص١٤٧.

[٨٧] الأرياني، مطهر علي ، نقش جديد من مأرب، مجلة دراسات يمنية، ع٢٥، ١٩٨٦م، ص٧٠.

[٨٨] المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج١، ص١٣٤.

[٨٩] الهمداني، الأكليل، ج١٠، ص٢٦.

[٩٠] الأرياني، مطهر علين نقش جديد من مأرب، ص٢٦٥.

[٩١] علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

[٩٢] العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج١، ص١٥٨.

[٩٣] العسلي، الشورى في العرف، ج١، ص٦٨.

[٩٤] العلي، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص١٥٥.

[٩٥] رود كاناكيس، الحياة العامة، ص١٣٣.

[٩٦] الفتلاوي، سهيل حسين، تاريخ قانون اليمن القديم قبل الإسلام، (بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٣م)، ص٨٣.

[٩٧] الحمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، ص٦١.

الجانب السياسي والاقتصادي ,العمراني بين مدينتي بغداد وفاس
في القرن الثاني الهجري / الثامن ميلادي

م.د. رياض خليل هندي

Riad.k@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

الجانب السياسي والاقتصادي ,العمراني بين مدينتي بغداد وفاس في القرن الثاني الهجري / الثامن ميلادي

م.د. رياض خليل هندي

الملخص :

تتناول هذه الدراسة موضوعاً حيوياً للوقوف على اوجه التشابه والاختلاف بين تأسيس مدينتين اسلاميتين مهمتين لهما ارثهما الحضاري والسياسي الذي لا ينكره احد ، فجاءت تلك الفكرة لمعرفة الاوجه السياسية والاقتصادية والعمرانية وغيرها من الجوانب ذات الأهمية في تأسيس تلك الحاضرتين الاسلاميتين والدوافع التي أُسستا من أجلهما لتكونا بعد ذلك نبراساً في مشرق الارض ومغربها وبزوغ شمسهما في العصر الاسلامي لتؤدي كل واحدة منهما دورها المنشود والمعروف وتتركا وما زالتا إرثاً حضارياً وسياسياً لامعاً تتغنى به الأجيال .

الكلمات المفتاحية : بغداد – فاس – الاحوال السياسية – الاقتصادية – العمرانية

The Political, Economic, and Urban Aspects between the Cities of Baghdad and Fez

Abstract

This study addresses a vital topic by examining the similarities and differences in the founding of two important Islamic cities, both of which possess undeniable cultural and political legacies. The idea behind this research is to explore the establishment's political, economic, and architectural aspects, along with other significant factors that contributed to their founding. These cities were created with specific motivations, ultimately becoming beacons of civilization, shining across the East and the West. Their emergence during the Islamic era allowed each to play its anticipated and well-known role, leaving behind a remarkable cultural and political heritage that continues to be celebrated by generations.

Keywords: *Baghdad, Fez, Political conditions, Economic conditions , Architectural development*

المقدمة:

بادئة ذي بدء إن هذه الدراسة هي محاولة لمعرفة مدة بناء وتكوين الجغرافي لمدينة بغداد والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية على يدي الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في هذا الاقليم ، ما هي إلا دراسة متواضعة لمعرفة الاحداث التي مرت بها هذه المدينة في تلك المدة التي بقيت اثنائها هذه المدينة فعالة في معظم الاحداث السياسية المهمة التي وقعت في العراق بشكل عام وفي بغداد بشكل خاص ، ونظراً لأهمية اختيار موقع بغداد العسكري والاقتصادي في كل مراحل النزاع التي طالت مدينة بغداد في تلك المدة الزمنية نجد ان مدينة بغداد وتطورها العمراني في كل مرافق الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبل حتى الإدارية ظلت محتفظة بازدهارها العمراني كالمساجد والمدارس والربط والاسواق وغيرها.

بعد نجاح الثورة العباسية في إسقاط الخلافة الاموية سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠م واستئثارهم بالخلافة دون العلويين والذي افضى بدوره إلى تفجير الخلاف بين الطرفين مما دفع الأدارسة إلى اللجوء لأقصى المغرب لبناء مدينة فاس على يد ملك الادارسة إدريس الثاني والتي برزت أهميتها وموقعها الجغرافي والطبيعي والبشري في بلاد المغرب عموماً وفاس خصوصاً على الرغم من اعلان استقلالها الذاتي عن الدولة الكبرى فقد ظلت محافظة على الطابع الإسلامي مع انه في الواجهة دولة عربية اسلامية ولكنها في اللباب دولة كنعانية أو بربرية يرأسها حاكم عربي من ولد فاطمة الزهراء (عليها السلام) ابنة محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ذات نظام عربي اسلامي خالص من الشوائب تدين بالاسم وتتكلم اللغة العربية وبذلك تركت العروة التي فصلها إدريس الأول وابنه إدريس الثاني عالقة بالدولة العربية الإسلامية دون الاعتراف لها بالسيادة والتي اخذت تؤدي دوراً مهماً طيلة الاحداث فأصبحت فاس بموجبها مركزاً اشعاعياً فان اوج ارتقائها هو تقدم الحياة الفكرية والعمرانية والازدهار الاقتصادي في هذه المدينة.

المبحث الأول

الجانب العمراني في تأسيس مدينة بغداد ومدينة فاس

١- التسمية والموقع الفلكي:

ان أصل تسمية بغداد: فيها أربع لغات بغداد بدالين مهملتين وبغداد معجمة الأخيرة وبغدان بالنون ومغدان بالميم بدلاً من الباء تذكر وتؤنث (البكري، ١٩٨٣م، ص ٢٦١) (Albakri, 1983, P.261)، ويرجع تسمية مدينة بغداد ليست فارسية بل هي آرامية وتفيد معنى (باب الاله أو باب الضان) أو دار الغزل فهي بل (دود واو بكداد أو بيت كدادا)، منها (بغدا) وهي أكثر ذيوعاً، وكان الناس يفضلون دائماً هذا الاسم الجاهلي (بغداد) اما الاسم الذي اطلقه المنصور على المدينة التي أنشائها وهو (مدينة السلام) أو (دار السلام)(الحسني والدوري، ١٩٨٤م، ص١٢) (Al Hasni and Alduri, 1984, P.12)، اما اصل تسمية مدينة فاس: بالسين المهملة بلفظ فاس النجار، الفَأْسُ مهموزاً واحد الفُؤُوس وفَأْسُ اللجام الحديدة القائمة في الحنك (الرازي، ١٩٩٩، ص ٢٣٣) (Al Razi, 1999, P.233)، فقيل ان (إدريس) لما شرع ببنائها كان يعمل فيها بيديه مع الصناع والفعلة والبنائين تواضعاً منه لله تعالى فصنع له فأساً من ذهب والفضة فكان إدريس يبتدئ به الحفر ويخطط الاساسات للفعلة فكثر عند ذلك ذكر الفأس على ألسنتهم طوال مدة البناء فسميت المدينة بـ(فاس) (الجزنائي، ١٩٩١م، ص ٢٣) (Al Guznaai, 1991, P.23).

موقع بغداد الفلكي: طول بغداد سبعون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلث وتعديل نهارها ست عشرة درجة وثلثا درجة وأطول نهارها أربع عشرة ساعة وخمس دقائق وغاية ارتفاع الشمس بها ثمانون درجة وثلث وظل الظهر بها درجتان وظل العصر أربع عشرة درجة وسمت القبلة ثلاث عشرة درجة ونصف وجهها عن مكة مائة وسبع عشرة درجة في الوجود ثلاثمائة درجة (ياقوت الحموي، ١٩٩٥م، ص ٤٥٧) (Yagut Al Hamawi, 1995, P.457)، اما **موقع فاس الفلكي:** طول عشر درجة وخمسون دقيقة، وعرضها ثلاثة وثلاثون درجة (القلقشندي، د.ت، ص ١٤٨) (Al Qalqashandi,n.d , P.148).

٢- الموقع الجغرافي:

ان الموقع الجغرافي لمدينة بغداد فقد تحدها من جهة الشرق باب الازج محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرقي بغداد فيها محال عدة كل واحدة منها تشبه أن تكون مدينة، ومن جهة الغرب الأنبار أيضاً مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ وكانت الفرس تسميها فيروز سابور طولها تسع وستون درجة ونصف وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلثان، من الجانب الشمالي من نواحي دجيل من بغداد كثيرة البساتين والشجر وبينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت (ياقوت الحموي، ١٩٩٥م، ص ص ٢٥٧-٢٧٤) (Yagut Al Hamawi, 1995, PP.257-274)، اما **الموقع الجغرافي لمدينة فاس** يتكون من جبال متوسطة الارتفاع، ففي الشمال جبال غمارة وفي قبلتها جبال بني بهلول وعلى مسيرة ثلاثين ميلاً إلى الجنوب هناك جبال بني يزغة وغير بعيد من هذه توجد جبال فزازة وبين جبال يزغة وجبال بني بلهلول وجبال زالغ يوجد البسط " السهل" المسمى بسايس ويدعى "فحص" سايس ومختلف المناطق من خلال امتداده إلى الجهة الشرقية (ابن القاضي، ١٩٧٣م، ص ص ٢٨-٢٩) (Ibn Algadi, 1973, PP.28-29).

٣- تخطيط المدينة:

لم يكن العرب يقيمون المدن اعتباطاً انما يمارسون ذلك بعد ان يرسموا خطتها التي على اساسها تنشأ ويمكن ان عد بناء مدينة بغداد على يد المنصور (طه، ٢٠٠١م، ص ٤٦) (Taha, 2001, P.46) في سنة خمس واربعين ومائة ولما عزم على بنائها احضر اهل المعرفة بالبناء والعلم بقياس المساحة والارض والمهندسين واحظر الفعلَ والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم وكتب إلى كل بلد يحمل من فيه ممن له الخبرة بالبناء ولم يبتدء بالبناء حتى تكامل بحضرته اهل المهن والصناعات ألوف كثيرة وبعدها اختط المدينة وجعلها مدورة وانتهى من بنهائها سنة تسع واربعين ومائة وسماها مدينة السلام (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٢، ص ص ٣٧٥-٣٧٦؛ ايوب، ١٩٨٩م، ص ٤٥) (Alkhtib Al Baghdadi, 2002, PP.375-376; Ayup, 1989, P.45)، اما تخطيط مدينة

فاس وذلك عندما طلب الامام إدريس الثاني من وزيره عمير بن مصعب الازدي ان يتخير موضعاً لمدينته الجديدة فسار عمير في جماعة من قومه لينظر ما طلب فاخترق النواحي حتى وصل إلى فحص سايس (اسم السهل الممتد بين فاس ومكناس الفاصل بين سلسلة جبال الاطلس المتوسط وسلسلة جبال الاطلس الساحلي) فوجد عيون كثيرة فنزل على عين ماء غزيرة مطردة في مروج مخضرة ثم سار في فحص سايس حتى وصل إلى العين التي ينبعث منها وادي فاس فرأى غيضة ملتفة الاشجار مطردة بالعيون والانهار في موضع خيام من شعر يسكنها قوم من زناته فرجع عمير إلى الامام إدريس واعلمه بما رآه من الأرض وما استحسنه من كثرة الماء وطيب التربة وصحتها واعتدال الهواء فأعجب إدريس ما رأى من ذلك وسأل عن مالكي الأرض فقيل له قوم من زواغه يعرفون بني برغش وبني الخير فبعث اليهم واشترى منهم موقع المدينة بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن واشهد عليهم بذلك وشرع في بناء المدينة (ابن القاضي، ١٩٧٣م، ص ص ٢٨ –٣٠ ؛ طه، ٢٠٠١، ص ٤٦) (Ibn Algadi, 1973, PP.28–30; Taha, 2001, P.46).

٤ – حدود بلدية مدينة بغداد وفاس:

اجمع كتاب العرب على ان المنصور لم يشيد مدينته في اقليم خلو من السكان فقد قسم مدينة **بغداد** بأسماء جاهلية اخذت تندمج تدريجياً والتي شملت العاصمة العباسية واهم هذه الأماكن منطقة (بادوريا) على الضفة اليسرى من نهر دجلة والتي تشمل المدينة المدورة التي بناها المنصور والتي كانت نواة لحاضر العباسيين، وان معظم المناطق والمحلات القريبة منها كان جل اصحابها من النصارى والآراميين في النصف الجنوبي، وكما يضم الجانب الغربي السوق الكبير أي منطقة الكرخ وما جاور الكرخ شرقاً وغرباً وفي هذا الاقليم قرى اصلها ساساني (الحسني والدوري، ١٩٨٤م، ص ص ١٦–١٧) (Alhasni and Alduri, 1984, PP.16–17)، بينما نجد ان الامام إدريس الثاني قام بتقسيم مدينة **فاس** والاراضي المحيطة بها على النحو الاتي: جعل الاسوار مباشرة على قبائل العرب والبربر فانزل القبائل كل بناحية فنزلت العرب القيسية بازاء الاسوار الجنوبية من عدوة القرويين من باب افريقية إلى باب الحديد ونزلت الازد بجوارهم ونزل الحصيبون على الجهة المقابلة

للقيسية أي بإزاء الاسوار الشمالية وجعل ابن ابي زرع هؤلاء العرب ثلاثمائة بيت من اهل القيروان كانوا أول من نزل بالعدوة مع الامام إدريس بن إدريس فسميت ونسبت اليهم، ومن ذلك نرى ان مدينة فاس العربية كانت تقع في عدوة القرويين حيث انزل الامام العرب معه (طه، ٢٠٠١م، ص ٤٧) (Taha, 2001, P.47).

٥- مواد البناء:

إذ ان المصادر تذكر ان المنصور لما وجه ببناء بغداد امر بإحضار المهندسين واهل المعرفة بالبناء والعلم والذرع والمساحة وقسمة الارضين، والبنائين والفعلة والصناع والنجارين والحدادين والحفارين فلما اجتمعوا وتكاملوا اجرى عليهم الارزاق واقام لهم الاجرة وكتب إلى كل بلد في حمل من فيه يفهم شيئاً من البناء فحضره مائة ألف من أصناف المهن والصناعات (العلي، ١٩٨٨م، ص١٠) (Alali, 1988, P.10).

اجمالاً فان مواد البناء التي تم بها مدينة **بغداد** حسب ما ذكرت المصادر فقد استعمل اللبن في بناء أساس الاسوار وكان من اللبن العظام أو الجعفري وهو ذراع في ذراع ووزن الواحدة تبلغ مائة رطل واستعمال الصخر في فرش الرحبة الداخلية، واستعمل الاجر والجص في بناء عقود الدهاليز التي عند ابواب المدينة المدورة والتي عند الرحبة العظمى وفي عقود الطاقات التي عند الرحبة كما استعمل في بناء الاعمدة التي أقيمت عليها السقيفة التي كان يقيم فيها صاحب الشرطة قرب القصر الذهب وفي عقدة القنطرة القديمة استعمل الاجر والصاروج للقنوات وكان مسجد المنصور مبنياً باللبن والطين (العلي، ١٩٨٨م، ص ص١٦-١٧) (Alali, 1988, PP.16-17).

فقد استخدم الامام إدريس الثاني في بناء مدينة **فاس** مواد عدة منها الطابية بدلاً من اللبن أو الحجر وهي نوع من الخرسانة بالمفهوم المعاصر، كما استخدم مواد الخلطة عبارة عن مركب يدمج بين الرمل بالجير البلدي والحمري مواد بنائية أخرى، كما استخدم الحجارة واعتمدها في بناء استحكامات المدينة، كما استخدم الاجر كمادة ثانوي في العمارة حيث بنيت في الدعامات وسقيفة المداخل والعقود والتسقيف ومن أهم ما في هذه الآثار السور وبواباته (باب افريقيه، باب بني مسافر، باب الجيزيين، باب الحديد، باب حصن سعدون،

باب الخوخه، باب الكتبيين، باب الكنيسه، باب المحروق، باب المخفيه، وغيرها من الابواب) (الجزنائي، ١٩٩١م، ص ص ١٠١، ١٠٤) (Aljuznaai, 1991, PP.101,104).

المبحث الثاني

المظاهر السياسية بين الخلافة العباسية والادارسة

ظلت الخلافة العباسية منذ قيامها في الشرق عام (١٣٢ هـ/ ٧٤٩م) في صراع مع العلويين، واخمدت الخلافة العباسية العديد من حركاتهم وثوراتهم ومن هذه الثورات ثورة الحسين بن علي بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (الصفدي، ٢٠٠٠م، ص ٢٨٢) (Alsefedi, 2000, P.282) الذي خرج بمكة عام (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) فارسل له الخليفة العباسي الهادي (ت ١٧٠ هـ/ ٧٨٦م) (ابن الاثير، ١٩٩٧م، ص ص ٢٦١-٢٦٢) (Ibn Altheer, 1997, PP.261-262)، جيشاً يقاتله في مكان يسمى بـ(فخ) وقتله ومن معه من العلويين ونجا من القتل خاله إدريس الذي فر إلى بلاد المغرب حيث نزل بمدينة (وليلي) والتقى باسحاق بن محمد بن عبد الله الأوربي زعيم قبيلة (اوربة) فبايعه هو وقبيلته المجاورة وبذلك نجح إدريس في تأسيس دولته التي عرفت بأسم (دولة الادارسة) عام (١٧٢ هـ/ ٧٨٨م) (ابن خلدون، ١٩٨٨م، ص ص ١١-١٧؛ نصر الله، ١٩٨٧م، ص ص ٦٨، ٧٠) (Ibn Khaldoon, 1988, PP.11-17; Nasrallah, 1987, PP.68,70).

وقد اثارت هذه الدولة حفيضة العباسيين فأرسل هارون الرشيد رجلاً فتمكن من قتل إدريس بالسم الا انه كانت له جارية حاملاً منه، فانتظر البربر ان وضعت مولودها الذي سمي بأسم ابيه (إدريس) وما ان لبثوا بايعوه في عام (١٨٦ هـ/ ٨٠٢م) (الجزنائي، ١٩٩١م، ص ص ١٤-١٥؛ ايوب، ١٩٨٩م، ص ص ٦١-٦٣) (Aljuznaai, 1991, PP.14-15; Ayub, 1989, PP.61-63).

ولم تعد مدينة ويليلي كافية في ايواء كل الناس الذين وفدوا على الامام إدريس بن إدريس الثاني (ت ٢١٣ هـ/٨٢٨م) من الغرب وسائر الجهات فقد وفد عليها خمسمائة فارس من افريقية ووفد عليه من الأندلس مئات الاسر من بني قيس، ومن الازد، ومن الخزرج، ولم

تمض خمس سنوات من البيعة حتى عرض بالحاجة إلى انشاء مدينة جديدة لسكناه وسكنى خاصته ووجوه دولته.

لذا شرع في بناء مدينة جديدة وهي مدينة (فاس) وذلك في عام (١٩٢ هـ/٨٠٧م) حيث ارسل وزيره الازدي ليختار موقعاً يبني عليه مدينته فاختار ذلك الموقع الذي تكثر فيه العيون التي ينساب منها نهر فاس، وابلغ الامام إدريس بهذا الاختيار فراسل إدريس مالكي الأرض واشترى منهم موضع المدينة بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن واشهد بذلك وشرع ببناء المدينة (الجزنائي، ١٩٩١م، ص ص ١٧-١٩) (Aljuznaai, 1991, PP.17-19).

المبحث الثالث

الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمدينتي بغداد وفاس

اتجهت الدولة العباسية في مجال التنمية والاستثمار في الحياة الاقتصادية في بغداد وهو اقامة الحوانيت والمحلاة التجارية ووضع غلة معينة عليها تجيبها من شاغليها اجارة عنها منها ان اسواق بغداد كانت داخل المدينة ثم رأى أبو جعفر المنصور ان يخرجها إلى الكرخ فأخرجت وقامت الدولة ببنائها والنفقة عليها فلما تمت وضع أبو جعفر على كل حانوت غلة مقدرة ولما زاد اقبال الناس عليها سمحت الدولة لهم ان يبنوا في تلك المواضع من اموالهم الخاصة وجعلت الغلة اقل مما وضع على الذين نزلوا الحوانيت التي بنتها (البطاينة، د.ت، ص ٣٠٣) (Albutaina, n.d.,P.303).

لقد تأثرت التجارة في مدينة **فاس** بالهجرات الاندلسية اليها إذ يتجلى الطابع الاندلسي في فاس في ميدان التجارة والاقتصاد ففي فاس نلاحظ اعراق ومظاهر واتجاهات يرجع اصلها إلى المهاجرين الأندلسيين بطريقة انفاقهم المال واكتنازها وطريقة تصريف واحتكار الاغذية حيث كانوا يضعون يدهم على المحاصيل عند نضجها وكان منهم تجار البقالة، والماشية، والقصابون، والخبازون، واصحاب الفنادق (عبد الله، ١٩٥٧م، ص ٣٩) (Abdullah, 1957, P.39).

اما من الجانب التجاري لمدينة **بغداد** فان التجارة كانت نشيطة في العصر العباسي فقد انتشرت مراكزها في البلاد وزاد اقبال الناس عليها ومما يشير إلى أهمية موقع بغداد في دولة العصر العباسي والتي راعت ان يكون موقعها وسطاً من الطرق التجارية تأتيها مواد التجارة من كل مكان قيل لابي جعفر المنصور بشأن ذلك "وانت أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من المغرب بالفرات وتجيئك طرائف مصر والشام ، وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة، وتجيئك الميرة من ارمينية وما اتصل بها في تأمرا حتى تصل إلى الزاب، وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة " (الطبري، د.ت، ص ٦١٧) (Altabari, n.d., P.617).

وتوفرت في مدينة **فاس** الأسواق التي ساعدت على تصريف تجارتها شانها شأن باقي الاسواق في العالم الإسلامي فكل سوق من الأسواق يضم عدة متاجر تتاجر في سلعة واحدة وتباع السلعة في بناء كبير مستطيل الشكل وبداخله دروب ضيقة تتوزع فيها الحوانيت على كلا جانبيها ويطلق على هذا البناء اسم قيسيارية (سالم، ١٩٥٩م، ص ١٤٥) (Salem, 1959, P.145).

اما من جانب الإنتاج الصناعي في **بغداد** فقد كان الصناع والحرفيون فيما يصنعون ويعملون بتلبية حاجات الناس الأولية ولذلك فكانت صناعة النسيج والحياكة من اهم الصناعات في ذلك الوقت وأكثرها نشاطاً كما يذكر ابن خلدون "اعلم ان المعتدلين من البشر في معنى الإنسانية لابد لهم من الفكر في الدفء كالفكر في الكنّ ويحصل الدفء باشتمال المنسوج للوقاية من الحر والبرد ولابد لذلك من اللحام الغزل حتى يصير ثوباً واحداً وهو النسج والحياكة" (ابن خلدون، ١٩٨٨م، ص ٥١٦) (Ibn Khaldoon, 1988, P.516).

كانت **بغداد** تشتهر بالمنسوجات والثياب الحريرية والاقمشة القطنية والثياب العتابية الحريرية والقطنية والازر والعمائم والمناديل والملاحم والملحمة ثوب سداه حرير ولحمته من القطن، واشتغل الناس صباغين وحدادين وقصارين وخياطين وصاغة وخرازين وفرانين وبنائين واشتغلوا بضرب اللبن وقطع الحجارة وطبخ القرميد وغير ذلك من المهن والصنائع (البطاينة، د.ت، ص ٣١٠) (Albutaina, n.d.,P.310).

اما في مدينة **فاس** كان كل نوع من انواع الصناعة يحتل شارعاً أو سوقاً بأسمه مثل ربض الفخاريين وسوق العطارين والصباغين والباغين والطوابين وسوق الفاكهة وسوق النحاسين وتجار المواد الغذائية من تجار السمك والفاكهة والخضروات ثم دكاكين بائعي السمن والعسل وبائعي اللبن وبائعي الشعير والقمح ويقال لهم الحناطون، وبائعو الملح والخل كما تضم مدينة فاس عدد من حوانيت الأطعمة الجاهزة مثل المعجنات والحلويات والفواكه المقلية (القلقشندي، د.ت، ص ٢٩٣) (Al Qalqashandi, n.d., P.293).

فقد كانت مدينة فاس مدينة تجارية مهمة وانها كانت طريق التجار المسلمين لبلاد الذهب في غانا والصمغ في السودان مما يذكره الجزنائي: انها كانت مركزاً التجار من جميع البلدان والاقطار وانتقل من جميع البلدان القاصية والدانية فليس من اهل بلد ولا اقليم الا ولهم متجر ومنزل وصناعة وتصرف اجتمع فيها ما ليس بمدينة من مدن الدنيا (الجزنائي، ١٩٩١م، ص ٣٩) (Aljuznaai, 1991, P.39).

وكانت لها تجارة مع سائر المدن الدولة، وخاصة ما كان قريباً منها مثل تازا شرقاً ومكناسة غرباً، وحتى تلك المدن التي تبعد عنها مثل سلا ومراكش حيث كانت اسواق هذه المدن تحرص على ما تنتجه فاس من كماليات تحتاجه الطبقة المتوسطة من الاقمشة والاحذية واغطية الرأس (سالم، ١٩٥٩م، ص ١٤٥).

الحياة الاجتماعية:

تميزت الحياة الاجتماعية في **بغداد** في العصر العباسي الأول بطغيان العنصر الفارسي في المجتمع لقيام الخلافة على اكتاف الفرس ولم يلبث هؤلاء تركوا بصماتهم واضحة في هذه المجتمع وبخاصة ما يتعلق بمظاهر الترف والثراء في بناء القصور وتعدد الازياء وظهور الوان فارسية جديدة من الأطعمة هذا اضافة إلى مجالس اللهو والغناء والشراب التي بالغ فيه بعض خلفاء العباسيين في العصر الأول تقليداً للعادات الفارسية وظهر واضحاً التأثير الفارسي في ملابس الرجال كأستعمال القلانس والاقبية والسراويل والجوارب بل تعدى ذلك إلى ازياء النساء فأكثرن من استعمال الحلي والمجوهرات والاحزمة

وذهب العباسيون إلى ابعد من ذلك بمشاركتهم الفرس في اعيادهم وخاصة عيد نوروز والمهرجان.

إلا أن السيادة كانت إلى المجتمع الإسلامي في بغداد حتى وان كثرت الطوائف الأخرى مثل (اليهود، والنصارى، والمجوس، وغيرهم) لكن الدولة العباسية دولة اسلامية وغاية الفتوح كانت نشر الإسلام وتعاليمه فان الغالبية العددية والسيادة الاجتماعية كانت للمسلمين وعلى هذا الأساس كانت آداب الإسلام وتقاليده هي المهيمنة والتي تطبق في المجتمع البغدادي بوجه عام (الجاحظ، ١٩٦٨م، ص ٣٥٤؛ أيوب، ١٩٨٩م، ص ص ٢٤٩-٢٥٠) (Aljahedh, 1968, P.354; Ayub, 1989, PP.249-250).

اجمالاً يضم المجتمع العباسي في بغداد طبقات عدة فيأتي في أعلى الهرم السكاني الحكام ويليهم العلماء الذين تبوأ مكانة مرموقة في بغداد في حاضنة المجتمع العباسي سواء لدى الخلفاء ورجال الدولة أو لدى التجار والعامة فقد تميز العصر العباسي بتشجيع العلم والعلماء والنهوض بالعلوم والآداب، ويأتي في المرتبة الثانية التجار الذين جمعوا ثروات كبيرة بسبب ازدهار الدولة العباسية وازدهار مدينة بغداد فكانت منهم فئة عاشت فيها اقتصر عمل افرادها على التعامل بالسلع الثمينة كانواع الرقيق الممتاز والمجوهرات، اما الحرفيون والصناعة فهم فئة نشطة في المجتمع العباسي على اختلاف عناصرهم وطوائفهم، واخيراً الغوغاء العامة اكتظت مدينة بغداد في العصر العباسي بجموع من الغوغاء من اجناس واديان مختلفة اطلق على هؤلاء اسم العامة ونظراً لكثرة عددهم فقد كانوا مصدر فساد واضطراب في المجتمع مما حدا بالحكومة إلى تملقهم احياناً وتحسن اليهم اتقاء لشرهم (أيوب، ١٩٨٩م، ص ص ٢٥٤-٢٥٥) (Ayub, 1989, PP.254-255).

فقد تميزت الحياة الاجتماعية في **فاس** والتي ساعدت العوامل السياسية والاقتصادية والمظاهر الجغرافية بينها وبين المدن القريبة منها كالأندلس مثلاً إلى وجود نوع من التأثر والتأثير بينهما وان كان هذا التأثير أكثر وضوحاً في مجتمع فاس بسبب المهاجرين اليها من الأندلس عموماً فان عادات المغرب انتقلت بعادات الوافدين اليها إلا أن العنصر العربي لم يفقد امتيازاته وذلك لانتشار القبائل العربية في مختلف انحاء المدينة كما كانوا عنصراً طيباً

من عناصر الاستقرار الاجتماعي في الدولة كما اسهموا إلى حد كبير في تنمية النشاط الحضاري والعمراني (زايد، ١٩٨٩م، ص ٣٤٦) (Zyid, 1989, P.346).

تميزت الاعياد في مدينة فاس والتي اشتهرت كعيد نيروز واعياد المهرجان والعنصرة وهو عيد فلاحي يحتفلون به في كل عام، اما ملابسهم فقد اعتادوا على لباس الملابس البيضاء في الحزن خلاف اهل المشرق العباسيين الذين يميلون إلى ارتداء الملابس السوداء وكان اللون الأبيض اللون المحبب إلى اهلها وكانت المرأة تلبس الخمار وهو من الاقمشة الحريرية التي تختلف من حيث درجة الجودة والشفافية والثمن وتفنن نسائهم في لبس المصبغات والمذهبات والديباجات من الملابس وحليهن من القلائد والخلاخل من الذهب الخالص والفضة والاحجار الكريمة (سالم، ١٩٥٩م، ص ١٤٥) (, Salem,1959 P.145).

الخلاصة:

ان اختيار أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي في بناء بغداد اعتمد على عوامل عدة منها جغرافية وسياسية واقتصادية واجتماعية، منها انها على دجلة حيث العمارة على جانبي النهر بينما كانت العمارة على نهر الفرات تقتصر على ضفته الشرقية كما انها تتوسط موقعها البصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد وقربها من البر والبحر والجبل كل هذه المدن كان تحذر أبو جعفر المنصور في اقامة عاصمته فيها لان اغلبها لها الخلاف السياسي مع توجهات الدولة العباسية، كما ان تكون بغداد حلقة وصل بين العالم السامي والعالم الإيراني بذلك اصبح واسطة العقد بين العنصرين الرئيسيين اللذين تألفت منهما الجماعة الإسلامية، كما ان قوة العباسيين كانت من فارس لاعتمادهم على جند خراسان فانه لاشك في نقل حاضرتهم ناحية المشرق وفي بغداد خصوصاً، ان قاموا بتأسيسها حتى غدت ذات خطر في السياسة والثقافة.

لذا نجد ملك الادارسة قد غاير قاعدة العباسيين في قيادة الحكم بحث قسم الدولة على اخوته الستة واحتفظ لنفسه بلقب الامام وادارة العاصمة فاس واسهم ابناء إدريس بنشر

الإسلام على نطاق واسع في المغرب كدولة عربية اسلامية، كما انها أسست قواعد الحكم الاستقلالي المغربي بشكل عام وفاس بشكل خاص ووحدت ما بين العرب المستوطنين والكنعانيين الاصليين سكان البلاد أي البربر لما عملت على نشر العلوم والآداب واقامة المعاهد العلمية والثقافية في مقدمتها جامعة القرويين . ان اختيار مدينة فاس لموقعها الإستراتيجي على طول السواحل المغربية، مرآزة على جبل طارق، وعلى الطرق التجارية، ولقد تم اختيار الموقع وفق شروط طبيعية مثل توفر الأمن، والمياه إن طبيعة البناء، والمواد المستخدمة فيه...

المصادر والمراجع الحديثة:

ابن الاثير ،عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد (ت٦٣٠ هـ/١٢٣٢)، [١٩٩٧م، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١]، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج.٥.

البكري، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، [١٩٨٣م عالم الكتب , بيروت، ط٣] ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ج١.

الجاحظ، عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ/٨٦٩م)،[١٩٦٨م ، دار صعب، بيروت، ط١]، البيان والتبيين ، مجلدان.

الجزنائي،ابو الحسن علي(٧٦٦هـ/١٣٦٥م)،[١٩٩١م، المطبعة الملكية، الرباط، ط٥]، جنى زهرة الاسس في بناء مدينه فاس ، تح: عبد الوهاب ابن المنصور.

الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م)، [٢٠٠٢م، دار الغرب الاسلامي ،بيروت،ط١]، تاريخ بغداد، تح:بشار عواد معروف، ج١.

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، [١٩٨٨م، الفكر، بيروت، ط٢]، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الاكبر ، تح: خليل شحادة، ج٤.

الرازي، زين الدين ابو عبد لله محمد بن ابي بكر (ت٦٦٦هـ / ١٢٦٧م)، [١٩٩٩م، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥]، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن ابيك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، [٢٠٠٠م، دار احياء التراث، بيروت ، ط١]، الوافي بالوفيات، تح : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ج.١.

الطبري،محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، [د.ت، دار المعارف ،القاهره ، ط٢]، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ج٧.

ابن القاضي،احمد المكناسي (ت١٠٢٥هـ/١٥٥٣م)،[١٩٧٣م، دار المنصور للطباعة والورق ,الرباط ،ط١]، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينه فاس.

القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، [د.ت، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١]،صبح الاعشى، ج٥.
ياقوت الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت(ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، [١٩٩٥م، دار صادر, بيروت ، ط٢]، معجم البلدان، ج١.

قائمة المراجع:

أيوب، ابراهيم، [١٩٨٩م، مكتبه المدرسة، بيروت ، ط١]، التاريخ العباسي السياسي والحضاري.
البطانية، محمد طيف،[د.ت، دار الكندي،اربد، ط١]، الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى.
الحسني، السيد عبد الرزاق؛ الدوري،عبد العزيز،[١٩٨٤م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١]، كتب دائرة المعارف الإسلامية، تر: ابراهيم خورشيد واخرون.
زايد،عبد المرضي عطوة، [١٩٨٩م، مطبعه دار العلوم ،جامعه القاهرة،ط١]، العلاقات بين المغرب والاندلس من الفتح الاسلامي للاندلس إلى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب .
سالم ،السيد عبد العزيز،[١٩٥٩م ، القاهرة]،العمارة المدنية بالاندلس، دائرة معارف الشعب, العدد ٦.
طه، جمال احمد ، [٢٠٠١م، دار الوفاء،الإسكندرية، ط١]، مدينه فاس في عصري المرابطين والموحدين ٤٤٨هـ/١٠٥٦م الى ٦٦٨هـ /١٢٦٩م دراسة سياسية وحضارية.
عبد الله ،عبد العزيز، [١٩٥٧م، دار السلمي للطباعة والنشر،د .م ،ط١]، مظاهر الحضارة المغربية.
العلي، صالح احمد، [١٩٨٨م، دار الشؤون الثقافية العامة افاق عربيه، بغداد،ط١]، معالم بغداد الإدارية والعمرانية دراسة تخطيطية.

نصر الله ، سعدون عباس،[١٩٨٧م، دار النهضة العربية، بيروت، ط١]، دوله الادارسه في المغرب العصر الذهبي ٧٦٢-٢٢٣ هـ/ ٧٨٨-٨٣٥

المصادر الأجنبية:

Ibn al-Ether, Izz al-Din Abu al-Hassan Ali bin Abi alKarm Muhammad bin Muhammad (630 AH/1232 AD), [1997, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, I 1], Al-Kaml in History, Tab: Omar Abdul Salam Tamri, c5.

Al-Bakri, Abu Obaid Abdullah bin Abdul Aziz bin Muhammad (D. 487 AH/1094 AD),[1983, World of Books, Beirut, I 3], Dictionary of the names of the country And positions, c1. Al-Jaheh, Amr bin Bahr (T255 AH/869 AD),] 1968, Dar Saab, Beirut, I 1, [, Al-Bayan and Al-Ba'in, c2, c3.

Al-Jazna'i, Abu al-Hassan Ali (766 AH / 1365 AD),] 1991, the printing Press Royal, Rabat, I 5, [, Jana Zahra Al-Asas in the construction of the city of Fez, T: AbdAl-Wahab Ibn Mansour.

Al-Khatib Al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmed bin Ali (463 AH/1071 AD),[2002, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut, I 1,], History of Baghdad, Ter: Bashar Awad Known, c1.

Ibn Khaldun, Abdul Rahman bin Muhammad bin Muhammad Al-Hadrami (D808 AH/1406 AD),[1988, Dar Al-Fikr, Beirut, l 2], Al-Abr And Al-Diwan AlMubtad and Al-Khobar in The history of the Arabs, the Ajm, the Berbers and their contemporaries from the authorities Al-Akbar, Tah: Khalil Shehadeh, c4.

Al-Razi, Zain al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr (666 AH/1267 AD),[1999, Modern Library, Beirut, I 5], Mukhtar Al-Sahah, Tah: Youssef AlSheikh Muhammad.

Safadi, Salah al-Din Khalil bin Abek (d 764 AH / 1363 AD),[2000, Dar Heritage Revival, Beirut, I 1], Al-Waf with deaths, Tah: Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa, c12.

Al-Tabari, Muhammad bin Jarir (d310 AH/922 AD), [n.d., Dar Al-Ma'rif, CairoI 2], the history of the apostles and kings, conjuer: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, c7.

Ibn al-Qadi, Ahmed Al-Maknasi (D. 1025 AH/ 1553 AD),[1973, Dar Al- Mansour for Printing and Paper, Al-Rabat, I 1], the quotation in a mention of a solution From the media, the city of Fez.

Al-Qalqashandi, Abu al-Abbas Ahmed bin Ali (d. 821 AH/1418), [D. T, Dar Scientific Books, Beirut, I1], Sabah Al-Ashi, c5.

Yaqut Al-Hamwi, Abu Abdullah Shihab al-Din Yaqut (T626 AH/1229 AD),[1995, Dar Sadr, Beirut, l 2], Dictionary of the Countries, C1.

List of references

Ayyub, Ibrahim, [1989, school library, Beirut, I1], Abbasid political and civilizational history.Al-Bataniya, Muhammad Taif, [n.d., Dar Al-Kindi, Irbid, I 1], economic life in the early Islamic eras.

Al-Hassani, Mr. Abdul Razzaq; Al-Douri, Abdul Aziz, [1984, Lebanese Book House, Beirut, I 1], Books Circle Of Knowledge Islam, Ter: Ibrahim Khurshid and others.

Zayed, Abdel-Madi Atwa, [1989, Dar Al-Ulum Press, Cairo University, I 1], Relations Between Morocco And Andalusia From Al-Fath Islamic to the establishment of the Fatimid state in Morocco.

Salem, Mr. Abdul Aziz, [1959, Cairo], Civil Architecture in Andalusia, Department of People's Knowledge, No. 64.

Taha, Jamal Ahmed, [2001, Dar Al-Wafa, Alexandria, I 1], the city of Fez in the emerns of AlMurabitin and Al-Mohadin 448 AH/1056 AD to 668 AH/1269 AD is a political and civilizational study.

Abdullah, Abdulaziz, [1957, Dar Al-Salami for Printing and Publishing, Dr. M, I 1], manifestations of Moroccan civilization.